الجزآن الثالث والرابع المجلد الثاني والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



ذو الحجة ١٤٠١ هـ
تشرين الاول ١٩٨١ م

الجزآن الثالث والرابع　　　　المجلد الثاني والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي





ذو الحجة ١٤٠١ هـ
تشرين الاول ١٩٨١ م

امتداد العرب في صدر الاسلام

القسم الثاني

الدكتور صالح أحمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي

استيطان العرب في بلاد الشام

ان اقليم الشام يشبه العراق من حيث اتصالهما بشبه جزيرة العرب جغرافياً وبشرياً ، حيث أن أحد أطراف كل منهما مفتوح للصحراء ، ولا يوجد حاجز جغرافي يعيق الاتصال بينهما وبين شبه جزيرة العرب ؛ وكانت هذه الجبهة الواسعة المفتوحة مع جزيرة العرب عاملاً في أن يكون لسكان هذين الاقليمين نفس الأسس العرقية واللغوية والثقافية التي لسكان الجزيرة ؛ غير أن ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة في الجهات البعيدة عن اطراف الصحراء أدى الى نمو المدن وتطور الحياة الحضرية فيها ، اما المناطق التي في اطراف الصحراء فقد كانت منذ أقدم الأزمنة تقيم فيها قبائل عربية لها نظم بدوية لا تختلف عن نظم وحياة أهل شبه جزيرة العرب . وقد قامت في الأطراف الجنوبية الشرقية من بلاد الشام امارة الغساسنة ، ودانت لها القبائل العربية في بوادي الشام ، وامتد نفوذها في أوج توسع سلطانها الى أطراف جبلي طي ، غير أن هذه الدولة زال سلطانها قبيل تقدم الجيوش الاسلامية الى بلاد الشام تاركة القبائل العربية مقيمة في

ديارها القديمة(١) فلما فتح المسلمون بلاد الشام اصبحت هذه القبائل ضمن الدولة الجديدة ؛ وأهم هذه القبائل المقيمة في أطراف بلاد الشام عند تقدم الاسلام هي لخم وجذام في فلسطين والاردن ، وغسان في أطراف الجابية ، وكلب في بادية الشام ، وتنوخ في أطراف حمص ، وتغلب في أعالي الفرات(٢).

وعلى طول الأطراف الغربية من بلاد الشام يمتد البحر الأبيض المتوسط الذي يكون حاجزاً وخط حماية لها ، كما أنه يعرضها لهجمات غير محددة من سفن الدول البحرية : وكان هذا البحر عاملاً في اشتغال كثير من سكان سواحله بالملاحة وفي ظهور عدد غير قليل من الموانئ التي اشتغل أهلها بالتجارة البحرية وانتشروا منذ أزمنة قديمة في كافة البلاد الواقعة حول البحر الأبيض المتوسط .

وقد أصبحت بلاد الشام منذ أن فتحها الاسكندر المكدوني في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد ، تحت حكم الاغريق ثم الرومان فالبيزنطيين . وتميز النظام الاداري التي وضعته هذه الدول بالعناية بالمدن وإفساح المجال لكل منها بإدارة نفسها ، وقد عمل البيزنطيون منذ زمن جستنيان على تقليص امتيازات المدن على حساب توسيع سلطة الامبراطور المركزية (٣) . الا أن التقسيمات الادارية التي تتميز بما للمدن من مكانة فيها ظلت قائمة ، فكانت بلاد الشام تتكون من اربعة أجناد هي دمشق ، وحمص ، وفلسطين ، والاردن ؛ وكان في كل جند بعض المدن المتميزة . وقد ابقى العرب هذه الاجناد الاربعة ، ثم أضافوا اليها في زمن يزيد بن معاوية جنداً خامساً هو قنسرين ، ثم كوّر العباسيون العواصم

(١) انظر عنهم : امراء غسان لثيودور نولده كه ؛ ترجمة قسطنطين زريق .

(٢) انظر في ذلك العرب في سوريا قبل الاسلام لدوسو

(3) The Greek City. A. H. M. Jones

وجعلوها وحدة إدارية خاصة . فبلاد الشام لم تكن عندما دخلتها الجيوش العربية مركز الامبراطور الحاكم ، وإنما كانت إقليماً ذا وحدة ظاهرية يضم أربعة اجناد متمايزة ، وهي بذلك تختلف عن العراق الذي كانت فيه عاصمة الساسانيين ، وكانت فيه تقسيمات ادارية غرضها تيسير جمع الضرائب ولم يكن للمدن فيه كيان قانوني متميز .

وقد انتشرت المسيحية في بلاد الشام ، واعتنقها الحكام البيزنطيون وأهالي الشام ، غير أن اعتناق هؤلاء الأهالي المذهب اليعقوبي الذي لم يعتنقه الحكام ، أدى الى أن لا يكون الدين المسيحي رابطاً بين السكان والحكام ؛ وكان هذا مما زاد في تعاون أهل الشام مع الجيوش العربية .

كانت بين بلاد الشام والحجاز صلات وثيقة عند ظهور الاسلام ؛ اذ كانت تذهب اليها قوافل قريش التجارية في الصيف[٤] ، واليها ذهب الرسول (ص)في السفرتين الوحيدتين التي ذكرتهما له كتب السيرة الى خارج الحجاز[٥]، ولما هاجر الرسول الى المدينة أخذ المسلمون ينمون علاقاتهم التجارية مع بلاد الشام . وبعد أن عقد الرسول صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة وأمن خطر قريش ، اهتم بتأمين سلطة الاسلام على شمالي الحجاز ، وهي المناطق التي تمتد فيها الطرق الى بلاد الشام، فقاد بنفسه حملة أخضعت يهود خيبر ، وارسل عدة حملات لاخضاع المناطق الشمالية القريبة من بلاد الشام .

ولما توفي الرسول (ص) وولي ابو بكر الخلافة وقضى على حركات الردة ، وجّه الجيوش المتيسرة لديه الى بلاد الشام ، فتقدمت هذه الجيوش الى بلاد الشام، وتوغلت في عدة جهات . ثم تجمعت وقاتلت الروم وانتصرت عليهم في معركة اليرموك الحاسمة؛ وتابعت انتصارها بالتقدم الى بلاد الشام ؛ وانشطرت الى رتلين :

(٤) انظر كتابنا « محاضرات في تاريخ العرب » ١/ ٩٧

(٥) انظر ابن هشام ١/١٩٤ ، ٢٠٣

اتجه احدهما الى فلسطين فضمّها الى دولة الاسلام وتقدم بعضه الى مصر ففتحها : واتجه الرتل الثاني ، وهو الأكبر ، نحو الشمال فسيطر على مدن بلاد الشام حتى وصل الى اطراف جبال طوروس ، وبذلك ضم هذه البلاد الى دولة الاسلام .

كانت لبلاد الشام أحوال خاصة حملت العرب على اتخاذ تنظيمات خاصة تلائم اوضاعها . وذلك أن الانتصارات الساحقة التي أحرزها العرب على الروم لم تؤد الى القضاء على الدولة البيزنطية التي ظلت جيوشها محتفظة بجبال طوروس في شمال بلاد الشام ،وقد أمّن العرب باستيلائهم على الجزيرة وأرمينية الحدود الشرقية لبلاد الشام ، غير أن الاطراف الغربية والشمالية ظلت معرضة الى تهديدات الروم . ذلك أن أسطول البيزنطيين كان يسيطر في البحر الأبيض المتوسط فيهدد شواطئها الطويلة والمدن الكثيرة الواقعة على السهول الساحلية الضيقة التي تفصلها عن المناطق الداخلية سلاسل جبال لبنان الوعرة الممتدة من الشمالى الى الجنوب . ثم أن الروم بصمودهم في جبال طوروس المطلة على شمالي بلاد الشام ، أوقفوا تقدم العرب الى آسيا الصغرى ، فبقيت لهم العاصمة البيزنطية وأراض وأقاليم واسعة تستطيع الاعتماد عليها في صد العرب وتهديدهم . ثم انه رغم أن عدداً كبيراً من الروم وأنصارهم انسحبوا بعد الفتح الاسلامي من بلاد الشام وان معظم اهل الشام تقبلوا الحكم العربي ورحبوا به ، إلا أنه بقي أيضاً في بلاد الشام بعض من يميل الى الروم ، مما كان يسبب بعض القلق في ادارتها . ولا يخفى أن بلاد الشام رغم ان مساحتها لم تكن تزيد على مساحة العراق ، فانها كانت منذ عهد الروم مقسمة الى عدة ولايات لكل منها مركز وامتيازات ادارية .

كل هذه العوامل حملت العرب على توزيع القوات الاسلامية في عدة أماكن تقيم في كل منها دائماً وتقوم بواجباتها العسكرية باستمرار .

إن التنظيمات التي اتخذها العرب في توزيع قواتهم على إثر فتح بلاد الشام مباشرة اقتضتها الظروف التي رافقت الفتح ، غير أنه بعد استقرار السلطة العربية وانقطاع البيزنطيين في استرجاع الأقاليم المفتوحة ، كان لا بد من إعادة النظر في التنظيمات لتتلاءم مع الأوضاع المستقرة الجديدة وما تقتضيه .

ويلاحظ أنه حتى بعد استقرار السيادة العربية فإن الروم ظلوا قوةً معادية ومصدر خطر مهدِّد ، خاصة وأنهم يسيطرون على جبال طوروس المطلة على بلاد الشام ، كما أن اسطولهم ظل قادراً على التسلل وتهديد المدن والموانيء الساحلية ، كما ظل يقيم في بلاد الشام عدد ممن يميل الى البيزنطيين فيعملون على خلق الفتن المقلقة للدولة العربية . وكل هذا تطلب أن تتوزع القوات العربية في أماكن متعددة ، وبشكل يلائم الأوضاع الجديدة التي تختلف الى حدٍّ ما عن الأوضاع التي رافقت الفتح . وأول ما تستلزمه هذه الأوضاع الجديدة هو ايجاد مراكز رئيسة للادارة واستقرار المقاتلة وعيالاتهم ، وكذلك توزيع قوات صغيرة نسبياً تقيم بصورة دائمة في الأماكن ذات الأهمية العسكرية ، وهذا يتطلب عدم الاقتصار على المراكز الرئيسة الكبيرة المحدودة العدد ، وانما ايضاً إنشاء مراكز متعددة صغيرة وخاصة في المناطق الشمالية والغربية .

ثم إن بلاد الشام أمطارها غزيرة وكثيرة ، وهذا يقتضي أن يقيم العرب في مساكن محكمة البناء ، بخلاف الوضع في العراق حيث الأمطار قليلة وبالامكان السكنى في أخصاص القصب أو في بيوت من الطين ، وكان هذا يتطلب إعداد المساكن الملائمة لذلك المناخ . وأيسر الوسائل لتحقيق ذلك هو أن يقيموا مع السكان في المدن المبنية قبل الفتح .

تذكر المصادر عدداً من المدن في بلاد الشام صالح أهلها العرب على أنصاف منازلهم ، فيذكر البلاذري عن الهيثم بن عدي أن شرحبيل بن حسنة

افتتح الأُردن عنوة ما خلا طبرية فان أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم[٦] ويقول الطبري أن طبرية وبيسان صالحوا على صلح دمشق « ان يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن »[٧]، ويروي البلاذري عن الهيثم بن عدي « أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم »[٨] ويذكر « وزعم بعض الرواة أنهم صالحوا على حقن دمائهم وأن يقاسموا أنصاف منازلهم وكنائسهم »[٩] ، ولعل هذه الرواية الأخيرة مصدرها الهيثم بن عدي أيضاً . ويلاحظ أن البلاذري يميل الى عدم تأييد هذه الرواية ، ويبدو أنها تناقض الاتجاهات العامة لمواقف العرب وسياستهم .

وفي الرد على قول الهيثم بن عدي ينقل البلاذري قولاً للواقدي « قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أرَ فيه أنصاف المنازل والكنائس وقد رُوي ذلك ، ولا أدري من أين جاء به من رواه ، ولكن دمشق لما فتحت لحق بشرٌ كثير من أهلها بهرقل وهو بانطاكية ، فكثرت فضول منازلها ، فنزلها الناس »[١٠]

ويروي ابن عساكر عن خليفة بن خياط انه اشترط في صلح دمشق « ان للمسلمين فضول الدور والمساكن عنهم واسواقها »[١١] ، كما يروى عن مسلمة الجهني عن عمه « نشاطرهم[١٢] منازلهم ، فيسكن فيها المسلمون ، وأن نأخذ الحيز القبلي من كنائسهم لمساجد المسلمين » .

ولعل أبا مسهر كان أدق في تصويره تطور الاوضاع حيث قال « اقام بعد فتح دمشق من بطارقة الروم بدمشق اثنا عشر بطريقاً فأقروا في منازلهم ، وكان لكل بطريق منهم في منزله يعني كنيسة ، فأقاموا بها حيناً ، ثم بدا لهم

---

(٦) فتوح البلدان ١١٥ ، وانظر أيضاً : تاريخ اليعقوبي ١٥٩/٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٢٩/٥ .
(٧) الطبري ٢١٥٩/١
(٨) فتوح البلدان ١٢٢
(٩) كذلك ١٢٦
(١٠) كذلك ١٢٢
(١١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٦٩/١ ، ولم اجد هذا النص في المطبوع من تاريخ خليفة .
(١٢) كذلك ٥٧٠/١

فهربوا من دمشق وتركوا تلك المنازل فأقطعهاقوم من أشراف دمشق منهم بحدل وابن مدلج العذري وغيرهما ؛ فلما ولي عمر بن عبدالعزيز أخرج أولادهم منها وردّها على الأعاجم ، فلما مات عمر رُدّت الى أولاد الذين اقطعوها » (١٣) .

وذكر البلاذري مثل هذا الوضع في الأُردن وفي حمص ؛ فأما عن الأردن فانه ، يقول إن أهل طبرية بعد أن قضى شرحبيل بن حسنة على تمردهم صالحوه « على منازلهم إلاّ ما جلّوا عنه وخلّفوه » ويضيف « فتح شرحبيل جميع مدن الأُردن وحصونها على هذا الصلح فتحاً يسيراً بغير قتال ، ففتح بيسان ، وفتح سوسية ، وفتح أفيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان (١٤) ويقول الطبري إن أهل طبرية وبيسان كان من شروطهم «أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن» (١٥).

اما عن حمص فيقول البلاذري « وذكر بعض الرواة أن السمط بن الأسود الكندي كان صالح أهل حمص ، فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه ، وأن السمط قسم حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها وأسكنهم في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة» (١٦) ويروي الطبري عن أشياخ من غسّان وبلقين أن صلح حمص « على أنصاف دورهم وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنيانهم لا ينزلونه عليهم فتركوه لهم .. وولوا معاملة ما جلا ملوكهم عنه» (١٧) ويقول البلاذري إن السمط هو الذي قسم منازل حمص بين أهلها (١٨) .

ويروي أبو عبيد أن الوليد بن هشام المعيطي قال «لمّاولاّني عمر بن عبدالعزيز قنسرين ، وكانت صلحاً ، شكا اليه اهل الذمة المسلمين أنهم قد نزلوا منازلهم فكتب اليّ ان انظر من كان في منازل اولئك الذين كانوا من اهلها حين صالحوا

(١٣) كذلك ٢/١٢٦ وانظر تفاصيل أوفى في ١/٥٦٩ فما بعد
(١٤) فتوح البلدان ١١٥
(١٥) الطبري ١/٢١٥٩
(١٦) فتوح البلدان ١٣٠
(١٧) الطبري ١/٢٣٩١
(١٨) فتوح البلدان ١٣٧

فأخرج من كان في منازلهم عنهم ،قال فنظرت فإذا أولئك قليل،فسألوني الكف عن ذلك فكففت»[١٩]

ان المعلومات الواردة في الفترة السابقة مرجّحة ، ولكن المصادر لا تذكر مساحة وموقع هذه الأبنية التي جلا أهلها عنها ، لأننا لا نعلم تفاصيل خطط مدن بلاد الشام عند الفتح الاسلامي ، ومن المحتمل أن هذه الأبنية كانت موزّعة في مختلف أرجاء كل مدينة أو بلدة ، وأن معظمها كانت من الأبنية الجيدة ، لأن أصحابها كانوا ، أو أغلبهم، من الاداريين أو ممن حالتهم المالية جيدة .

إن اهم مدينتين اتخذهما العرب مركزاً للسكن هما دمشق وحمص ، أما المقاتلة فقد وزعوا على الولايات الاربعة التي يتكون منها اقليم الشام وهي دمشق ، وحمص ، وفلسطين، والاردن،وقد اتخذ العرب اللدّ مركزاً لهم في فلسطين ، كما اتخذوا طبرية مركزاً للاردن والراجح أن هذه المدن هي التي أقام فيها مقاتلة كل جند .

غير أن الخطر الأكبر الذي كان يهدد حكم العرب في بلاد الشام في عهد خلافة عمر هو الأسطول البيزنطي الذي كانت له انذاك السيادة في البحر المتوسط ، ولم يكن العرب قد أنشأوا أسطولهم بعد،فكان لا بد من اتخاذ التدابير لحماية المدن والموانىء الساحلية المعرضة لتهديدات الأسطول .

يذكر البلاذري أن اللاذقية وجَبَلَة وانطرسوس فُتحت في زمن ولاية أبي عبيدة « وكان يوكل بها حفظة الى انغلاق البحر »[٢٠] .

وقد أدرك معاوية أن هذا التدبير لا يكفي ، فلما ولي الشام كتب الى عمر « يصف له حال السواحل ، فكتب اليه في مرمّة حصونها وترتيب المقاتلة فيها

---

(١٩) الأمـــوال ٥٣

(٢٠) فتوح البلدان ١٣٣

واقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المراقب لها »[21] ويقول أبو حفص الدمشقي « وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج لها من المسلمين، فإن حدث في شيء منها حَدَث من قبل العدو سربوا إليها الامداد [22] ويبدو أن هذا الاجراء استمر أمداً فيذكر البلاذري « كان معاوية يوجه في كل عام الى طرابلس جماعة كثيفة من الجند يشحنها بهم ويوليها عاملاً، فاذا انغلق البحر قفل وبقي العامل في جُميعة منهم يسيرة، فلم يزل الأمر فيها جارياً على ذلك حتى ولي عبدالملك » [23] ويذكر أيضاً « كانت قورس كالمسلحة إلى انطاكية يأتيها كل عام طائفة من جند أنطاكية ومقاتلتها ثم حُوِّل إليها ربع من أرباع أنطاكية وقطعت الطوالع [24].

ولما استخلف عثمان كتب الى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها وإقطاع من ينزله إيّاها القطائع، ففعل [25]؛ وكان « الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب وأول خلافة عثمان بن عفان، فقصد لهم معاوية حتى فتحها ثم رمّها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع [26].

ويذكر البلاذري أن معاوية « أنشأ جَبلة وشحنها بالرجال» [27]، ويذكر أنه « بنى معاوية أنطرسوس ومصّرها وأقطع بها القطائع، وكذلك فعل بمُرقية وبلنياس» [28].

(21) كذلك ١٢٧
(22) كذلك ١٢٧
(23) كذلك ١٣٦
(24) كذلك ١٤٨
(25) كذلك ١٢٧
(26) كذلك ١٢٦
(27) كذلك ١٣٢ وانظر ياقوت ٢/٢٥
(28) كذلك ١٣٢، ياقوت ١/٣٨٨ وعن مرقية انظر ياقوت ٤/٥٠١

وقد أمر عثمان معاوية « أن يُعِدّ في السواحل إذا غزا أو أغزى ، جيوشاً سوى من فيها من الرتب ، وأن يقطع الأرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ويبني المساجد ويكبر ما كان ابتني قبل خلافته» [٢٩] ، كما أمر أن يقيم بها « قوماً وأن يقطع قطائع » [٣٠] .

ولما ثارت عسقلان وأعاد فتحها معاوية «أسكنها الروابط ووكل بها الحفظة»[٣١].

وعلى مرّ الأيام ازداد انتقال الناس الى السواحل من كل ناحية[٣٢] ؛ ويروي هشام بن الليث عن اشياخه « أُنزلنا صور والسواحل وبها جند من العرب وخلق من الروم ثم نزعَ إلينا أهل بلدان شتى فنزلوا معنا ، وكذلك جميع سواحل الشام » [٣٣] .

ويجدر ان نلاحظ أن بلاد الشام تعرضت في صدر الاسلام الى طواعين اجتاحتها في عدة سنوات متتابعة [٣٤] ولا بد أنها كانت في كل مرة تفني عدداً غير قليل من سكانها . بنسب غير منتظمة ، واشهر هذه الطواعين طاعون عمواس الذي اجتاح البلاد في سنة ١٨هـ وأفنى عدداً كبيراً من المقاتلة العرب وقادتهم[٣٥] ، وكانت هذه الطواعين من العوامل التي حملت الخلفاء الامويين على الاقامة في قصور متناثرة في الأرياف والبوادي [٣٦] ، ولعل عدداً غير قليل من السكان فضل الانتشار والإقامة في الأماكن القليلة الازدحام حيث يقل خطر العدوى .

(٢٩) كذلك ١٢٧

(٣٠) كذلك ١٤٦ – ٧

(٣١) كذلك ١٤١

(٣٢) كذلك ١٢٧

(٣٣) كذلك ١١٦

(٣٤) انظر تاريخ دمشق لإبن عساكر ٣٤١/١ ؛ الحيوان للجاحظ ١٣٥/٤ ؛ الطبري ١٥٦٣/٢، ١٥٦٤ ؛ تاريخ الاسلام للذهبي ١٧٨٤/٢ .

(٣٥) الطبري ١٥١٣/١ فما بعد

(٣٦) انظر الطبري ١٧٨٤/٢ (عن سكنى يزيد بن عبدالملك) ، ١٧٩٦/٢ (الوليد بن يزيد) وانظر مقال لامنس «البادية» المنشور في كتابه «دراسات عن عصر الأمويين »

ثم إن الخلفاء الأمويين كانوا يرسلون حملات من أهل الشام الى عدد من الأماكن لاخماد الثورات او لمساعدة الجيوش الاسلامية في حفظ الحدود وتوسيع رقعة البلاد الاسلامية . ولا ريب في ان معظم هذه الحملات وقتية ، تعود الى مراكزها بعد انجاز مهماتها ، غير أن بعضها يستقر في البلاد التي يرسل اليها ؛ ومن ابرز الامثلة على ذلك الطالعة التي ارسلت من اهل الشام في زمن الخليفة الى الاندلس واستقرت فيها بعد ان توزعت في مدنها (٣٧) .

ويقابل هذا هجرات « غير رسمية » من افراد او جماعات كانت تأتي بلاد الشام وتستقر في ارجائها طلباً للرزق والعمل دون ان تسجل في الديوان ، او تتقيد بما يلزمها الاقامة في مكان محدد ؛ وبذلك تعوض، عمن يقتل في الحروب او يهاجر الى الاماكن الأخرى .

ذكر كثير من كتب التاريخ والسير والرجال اسماء عدد كبير من أهل الشام والعشائر التي ينتمون اليها وبعض الأعمال التي ساهم كل منهم فيها ؛ ولكن دون الاشارة الى أماكن استيطان هؤلاء الأشخاص او الى مدى سكنى العشائر التي ينتمون اليها في بلاد الشام ؛ فالقوائم التي تنظم اسماء هؤلاء الأشخاص لا تفيد كثيراً في دراسة مدى انتشار العرب في بلاد الشام بعد الفتح الاسلامي .

ان هذه العوامل كانت تؤثر في عدد العرب وتتطلب اعادة توزيعهم ، ولا بد ان هذا التوزيع قد تكرر بأشكال متعددة ، وفي أزمنة يصعب ضبطها ، غير انه يمكن معرفة الصورة التي استقرت فيها الاوضاع في أواخر القرن الثالث الهجري مما ذكره اليعقوبي عن توزيع قبائل جندي حمص ودمشق واشاراته الى قبائل فلسطين والاردن ، حيث قال :

« أهل حمص جميعاً يمن من طي وكندة وحمير وكلب وغيرهم من بطون اليمن . وبحمص اقاليم منها :

(٣٧) انظر فجر الأندلس : للدكتور حسين مؤنس ٣٥٦ فما بعد

التمـّة : وأهلها كلب .

الرستن وحماة : أهلها بهراء وتنوخ .

صوران : به قوم من إياد

سلمية : أهلها من ولد عبدالله بن صالح الهاشمي ، مواليهم ، وأخلاط من الناس تجار وزرّاع .

تدمر : أهلها كلب .

تلمنس : وهي مساكن إياد .

معرة النعمان : وأهلها كلهم تنوخ .

البارة : وأهلها بهراء .

فامية : وأهلها عذرة وبهراء .

شيزر : وأهلها قوم من كندة .

الأطميم : وأهلها قوم من يمن من سائر البطون ، أكثرهم كندة .

اللاذقية : أهلها قوم من يمن من سليح وزبيد وهمدان ويحصب .

جبلة : أهلها همدان ، وبها قوم من قيس وإياد .

بلنياس : أهلها أخلاط .

انطرسوس : أهلها قوم من كندة .

اما كورة دمشق فمنها :

الغوطة : وأهلها غسّان وبطون من قيس ، وبها قوم من ربيعة .

حوران ومدينتها بصرى: وأهلها قوم من قيس من بني مرة خلا السويداء فان بها قوماً من كلب .

أذرعات : وأهلها من يمن ومن قيس .

عـمّان والغور : وأهلها قوم من قيس وبها جماعة من قريش .

جبال ومدينتها عرندل : وأهلها من غسان ومن بلقين وغيرهم .

مآب وزغر : وأهلها اخلاط من الناس .

الشراة ومدينتها اذرح : واهلها موالى بني هاشم .

الجولان ومدينتها بانياس: واهلها قوم من قيس اكثرهم بنو مرة، وبها نفر من أهل اليمن .

جبل سنير : وأهلها بنو ضبة وبها قوم من كلب .

بعلبك : في أطرافها قوم من اليمن .

جبل الجليل: أهلها قوم من عاملة .

صيدا : بها قوم من قريش ومن اليمن .

عرقة: بها قوم من ربيعة من بني حنيفة [٣٨] .

ويتضح مما ذكره اليعقوبي ان القبائل العربية في بلاد الشام كانت موزعة كما يلي :

كندة : حمص ، شيزر ، الاطميم ، اُنطر سوس ، فلسطين .

همدان : حمص ، اللاذقية ، جبلة .

طـي : حمص

حمير : حمص

كلب : حمص ، اقليم التـمّـه ، تدمر ، السويداء ، جبل سنير .

بهـراء : الرستن ، حماة ، البامة ، فامية .

تنوخ : الرستن ، حماة ، معرة النعمان .

إيـاد : صوران ، تلمنس ، جبلة .

عـذرة : فاميـة

---

(٣٨) البلدان ٣٢٤ - ٣٢٦

سليح : اللاذقية
زبيد : اللاذقية
يحصب : اللاذقية
قيس : جبلة ، الغوطة ، حوران ، اذرعات ، عمان والغور ، الجولان وبانياس ، فلسطين ؟
غسان : الغوطة ، جبال وعرندل
ربيعة : الغوطة .
بلقين : جبال وعرندل .
اليمن (؟) : الجولان ، اذرعات ، بعلبك ، صيدا .
ضبة : جبل سنير
حنيفة : عرقة
الأشعر : طبرية والاردن
جذام : جبرين
لخم : فلسطين
عاملة : فلسطين ، الخليل .
كنانة : فلسطين
قريش : عمان ، صيدا

ثبّت العرب تقسيم بلاد الشام الى اربعة اقسام ، سموا كلاً منها جنداً . وهي دمشق وحمص وفلسطين والأردن ، وكان الخليفة يعيّن على كل من هذه الاجناد والياً ؛ وقد ولي دمشق أبرز الولاة الأولين وهم ابوعبيدة بن الجرّاح ثم يزيد بن أبي سفيان ، ثم تلاهما معاوية الذي ظل في الولاية الى ان اصبح خليفة ؛ ومن المحتمل أنه اصبحت له في زمن خلافة عثمان مكانة متميزة في

بلاد الشام وسلطة متميزة على ولاة بقية الاجناد إن لم يكن اصبح مسؤولاً عن تعيينهم [٣٩] .

أصبحت دمشق في العهد الأموي مركز الخلافة ومرجع الدولة كلها ؛ غير أن بلاد الشام بقيت محتفظة بأجنادها الأربعة الى أن اضيف اليها جند خامس هو قنسرين بعد أن كان من جند حمص . ثم فصلت الجزيرة عن قنسرين في زمن عبدالملك بن مروان ، واصبحت إقليماً قائماً بذاته .

وكانت الأجناد أساس تقسيم كل جيش كان يرسله الخلفاء الأمويون من بلاد الشام الى مختلف البلاد في المشرق والمغرب لاخماد الثورات أو اسناد الجيوش الأخرى والقيام بالفتوح .

وقد ذكرت المصادر هذه الحملات وما قامت به من اعمال عسكرية ، وذكرت اسماء قوّاد كل حملة ، واشارت الى تقسيم بعضها الذي لا يخرج اساسه عن الاجناد التي ذكرناها ؛ وهي أن أهل الشام يتكونون من أهل دمشق ، وأهل حمص ، وأهل فلسطين ، وأهل الأردن ، وأهل قنسرين [٤٠] . وذُكر انه في التعبئات الكبرى يكون أهل حمص في المقدمة واهل دمشق في القلب [٤١]

غير ان المصادر لم تذكر المكوّنات الثانية لكل من الأقسام المذكورة اعلاه ، الا ما ذكره نصر بن مزاحم في كلامه عن تنظيم جيش معاوية عندما تقدم لمقاتلة الامام علي في صفين . فقد ذكر اسم حامل اللواء ، وقائد كل من قائد الخيل والرجالة والميمنة والميسرة ، ثم ذكر مكوّنات كل من المجموعات التي تكون منها جيش أهل الشام وقوادها ، وهي مكونة مما يلي :

---

(٣٩) ذكر الطبري امراء أجناد الشام في زمن عمر بن الخطاب (طبري ٢٥٢٦/١ ، ١٨٦٦) وذكرهم في زمن عثمان قائلا « عمال عثمان على الشام معاوية وعامل معاوية على حمص .. والاردن .. وفلسطين » (٣٠٥٧/١ ؛ ويدل هذا ان معاوية اصبحت له ولاية كل بلاد الشام في زمن عثمان . وذكر البلاذرى « وجمع عثمان لمعاوية الشام والجزيرة وثغورها (فتوحات البلدان ١٨٢)

(٤٠) ذكرنا من قبل دور اهل الشام في خراسان وسنفرد لدورهم في العهد الاموي بحثاً خاصاً .

(٤١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١١٩/٢ وانظر ٢٦١/١ ؛ ويذكر ابن عساكر ان معاوية كتب الى ابن قرط « اذا حضر أهل الشام جميعاً ، فأهل دمشق وحمص ميمنة الامام ٢٦١/١ .

دمشـق

القلب : الضحاك بن قيس الفهري

ارجالة : بسر بن أرطاة

قضاعة (قيس) : حسان بن بحر (!) الكلبي

كنـــدة : حسان بن حُوَيّ السكسكي

رجالة قيس : همام بن قبيصة .

حمص

الميمنـــة : ذو الطلاع

الرجالة : حوشب ذى ظليم

كنـــدة : يزيد بن هبيرة السكوني

قيس : بلال بن أبي هبيرة الأزدي

قنسرين (!)

الميمنة : زفر بن الحارث

الرجّالة : طريف بن حابس الهلالي

الأردن

الميسرة : ابو الأعور السلمي

الرجالة : عبدالرحمن القيسي

قضاعـــة : حبيش بن دلجة القيني

مذحج : مخارق بن الحارث الزبيدي

همْدان الأردن : حمزة بن مالك

غسان الأردن : يزيد بن ابي النمس

فلسطين : الحارث بن عبيد الأزدي

كنانـــة : شريك الكناني

جذام ولخم : ناتل بن قيس الجذامي [٤٢] .

ومن الواضح في هذه القائمة التي ذكرها نصر بن مزاحم ، عدم توازن المعلومات الواردة عن تنظيم جيش كل من هذه الأجناد الخمسة. فقد ورد في هذه القائمة اسماء قادة الرجّالة في كل منها ، واسماء قادة الميمنة في ثلاث منها ، واسم قائد القلب وقائد الميسرة في واحد منها ؛ والراجح ان هذا التباين يرجع بعضه الى عدم استيعاب القائمة لكل التنظيم ، ولا يرجع الى نقص في التنظيم الأصلي .

وذكر نصر بن مزاحم أيضاً أنه « كان على خثعم ولفّها حمل بن عبد الله الحنفي » و « على القواصى (!) القعقاع بن ابراهيم الهلاليّ » ؛ وذكر في قائمته أيضاً اسماء من كان على أهل كل من هذه الأجناد ابان سيرهم الى صفين ، وعند اشتباكهم في المعركة .

ويتبين من قائمة نصر بن مزاحم أن جيش كل جند كان من مجموعات قبلية ، وقد ذكر للأردن اربع مجموعات ولكل من دمشق وحمص وفلسطين مجموعتين . ويظهر من قائمته ان كلاً من قضاعة ، وكندة ، وقيس كونت وحدة قائمة بذاتها في أكثر من جند واحد .

أن قائمة نصر بن مزاحم ، بصرف النظر عن مدى دقتها ، هي إجمالية ولا يمكن اعتبارها مستوعبة لكافة عشائر كل جند ، كما انها تظهر تنظيم جيش معاوية عند تقدمه الى صفين ؛ اما الأخبار المفصّلة الاخرى عن الاشتباكات وسير القتال في صفين ، ففيها ذكر لاسماء عشائر اخرى كثيرة ويبدو منها ان تطور المعركة استلزم بعض التعديل للتنظيم الذي كان متبعاً عند التقدم الى ميدان القتال .

---

(٤٢) صفين لنصر بن مزاحم ٢٣٢ – ٤ . تاريخ خليفة بن خياط ١/١٧٨ – ٩ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٢٩١ ، ٣٤٧ ، ٤٨١ . واقتصر الطبري على ذكر اسماء قادة الاقسام الرئيسة في الجيش (١/٣٢٨٣) ويجدر ان نشير الى ان في المعلومات التي وردت عن وقعة صفين مادة واسعة نرجو أن تكون موضوع بحث مستقل عن اهل الشام واهل العراق .

يروى ابن عساكر « ان جند حمص المتقدم ، وإن كانت يومئذ ثغراً ، وان الناس كانوا يجتمعون بالجابية لقبض العطاء واقامة البعوث من أرض دمشق في زمن عمر وعثمان حتى نقلهم الى معسكر دابق معاوية بن ابي سفيان لقربه من الثغور ، فكان والى الصائفة وامام العامة في أهل دمشق لأن من تقدمهم من أهل حمص وأهل قنسرين مقدمة لهم ، وأهل الثغور مقدمة لهم »[٤٣] .

ان هذا النص صريح بان مركز تجمع البعوث للحملات العسكرية ، ومكان توزيع العطاء على المقاتلة في بلاد الشام كان في الجابية ، ثم نقله معاوية الى دابق . والواقع ان المعلومات الواردة في المصادر الأخرى تؤيد أن الجابية كانت مركزاً مهماً فقد قدمها عمر بن الخطاب في سنة ١٨هـ [٤٤] ، وفي خلال بقائه فيها صالح أهل ايلياء[٤٥] ، وبعث خالد بن مالك الفهمي الى القدس[٤٦] وجمع الولاة وحاسبهم [٤٧] ، ونظم قسمة الاراضي [٤٨] ، واعلن عن تنظيم العطاء [٤٩] . أما دابق فانه توجد اشارات غير قليلة في المصادر الى انها كانت ابان العهد الاموي مركزاً لتجمع الجيوش التي تنطلق لغزو الروم[٥٠] . وليس من المستبعد ان يتم فيهما توزيع العطاء على المشاركين في الحملات ، ولكن هذا لا يعني ان هذين البلدين كانا المركز الموحد لادارة المالية في كل بلاد الشام .

(٤٣) تاريخ دمشق ١١٩/٢

(٤٤) الطبري ج/٢٣٦٠ ، ٢٥٠٠ ، ٢٥٠٣ ، ٥٢٠٤ ؛ فتوح البلدان ١٣٨ الأموال لأبي عبيد ١٥١

(٤٥) الطبري ٢٤٠٥/١ ، ٢٤٠٧ ، فتوح البلدان ١٣٨ .

(٤٦) الأموال ١٥٣ ، ١٥٤

(٤٧) الطبري ٢٤٠٢/١ ، ٢٥٢٦

(٤٨) الأموال ٥٩

(٤٩) الأموال ٢٢٣ ، ٢٦٣

(٥٠) انظر مثلا الطبري ١٣١٥/٢ — ٧ ، ١٣٣٦ ، ١٣٤٠ ، ١٣٦١ وعن العصر العباسي انظر ٤٨٥/٣ ، ٤٩٩ ، ٦٥٩ ويقول ابن العديم « وولاة الصوائف ترد كل عام مع الجيوش الاسلامية الى دابق »(زبدة الطلب ٤١/١) .

ان اتخاذ مركز لتجميع الجيش قبل تحركه الى ميادين القتال ، هو تنظيم ضروري لتيسير عملية إنفاذ البعوث ؛ ولا ريب في ان للجابية موقعاً جغرافياً متميزاً يؤهلها لأن تكون مركزاً لانفاذ الجيوش القادمة من الحجاز ومناطق شبه جزيرة العرب الى بلاد الشام والى فلسطين ومصر ؛ كما ان لموقع مرج دابق مثل هذه الميزة لتجمع الجيوش التي تتقدم إلى الدرب الرئيس الذي يخترق جبال طوروس ويؤدي الى بلاد الروم . ولا بد ان تحويل مركز تجمع البعوث من الجابية الى دابق تم بسبب تناقص خطر الروم على الاطراف الشمالية للدولة ، واتخاذ الامويين مواقف المبادأة في التعرض للروم والهجوم عليهم ؛ وبذلك يكون مرج دابق اكثر ملاءمة للسياسة الجديدة من الجابية التي تقع في الاطراف من بلاد الشام وبعيدة عن الدروب التي تسلكها الجيوش الاسلامية في الهجوم على الروم . ثم إن تسليم العطاء للمشاركين في البعوث في اماكن تجمعهم يضمن عدم دفع العطاء لمن يتهرب من البعث للقتال .

غير أن هذا لا يعني أن كلاً من الجابية ثم دابق اصبحت مركز الادارة المالية في بلاد الشام ؛ لأن الصورة العامة للنظم التي اتبعها العرب في الادارة تظهر بانه كان لكل جند مركز إداري يضم الدواوين ويستلم الجبايات ويقوم بتوزيع العطاء على المقاتلة فيه ؛ وخاصة لمن لا ينضم منهم الى البعوث ؛ ولعل اوضح مظهر لذلك هو أن كل قسم ، أو جند ، كان له والٍ ذو مكانة أهلته لأن تهتم به المصادر فتذكر اسمه[٥١] .

غير أن توزع مقاتلة معظم هذه الاجناد كان يقضي باتباع تنظيم خاص في الادارة المالية وفي ترتيب العشائر ، يختلف عما في البصرة والكوفة حيث استوطن المقاتلة العرب باعداد كبيرة في كل منهما مما اقتضى تنظيم العشائر فيها وتعيين العرفاء للعشائر ، وجَعْل كل عشيرة مكونة من الف مقاتل[٥٢].وفي

(٥١) انظر مقالنا « موظفو بلاد الشام في العهد الأموي » المنشور في مجلة الابحاث م ١٩ ج١ سنة ١٩٦٦ .

(٥٢) انظر كتابي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٤٩-٥٠

الكتب معلومات كثيرة عن العرب في بلاد الشام . ولكن لا تتوفر المعلومات عن التنظيم الذي وضع للمقاتلة في بلاد الشام ولا بد ان هذا التنظيم قام على اساس التنظيم القبلي ، وان لم يكن مطابقاً في تفاصيله لما كان متبعاً في العراق .

ولما كان التنظيم الاداري في بلاد الشام قائماً على اساس اجنادها ، فاننا سنتخذ ذلك في تنظيم بحثنا ، وندرس العرب في كل جند ، مبتدئين بالأجناد الجنوبية وهي فلسطين والاردن ، لانها كانت منعزلة نسبياً ، ثم ندرس دمشق فحمص ، ثم قنسرين .

فلسطين :

كانت فلسطين تضم اللُّد والرَمْلة ، وعمواس ، ونابلس ، وقيسارية ، ويافا ، وسبسطية ، وبيت جبرين ، وعسقلان ، وغزّة ، وبيت المقدس[٥٣] .

كانت قيسارية اهم مدن فلسطين عند الفتح الاسلامي ، وقد تحصن فيها الروم وقاوموا الجيوش الاسلامية ، فتأخر فتحها عدة سنوات .

وفي العهد الاموي كانت اللُّد هي مركز فلسطين ، فلما ولي سليمان الخلافة « أحدث مدينة الرملة ومصّرها » [٥٤] وقد « انشأ مسجد جامعها وقصر امارتها ونقل الناس اليها من لدّ ، وكانت المدينة التي ينزلها الناس ، فأخذ بهدم منازلها والبنيان بالرملة ، وعاقب من امتنع من ذلك وهدم منازلهم وقطع الميرة عنهم حتى انقفلوا وخرب لُدّ [٥٥] وفلسطين « عامة سكانها العرب متغلبون عليها » [٥٦] .

وفي أخبار صفّين ما يوحي بقبائلها ، فقد ذكرنا انه كان على كنانة فلسطين شريك الكناني ، وعلى جذام فلسطين ولخمها ناتل بن قيس الجذامي ، وكان على

---

(٥٣) المسالك والممالك لابن خرداذبه ٧٨ ، أحسن التقاسيم للمقدسي ١٥٤ البلدان لليعقوبي ٣٢٨ — ٩ ؛ الاعلاق الخطيرة لابن شداد الجزء الخاص بلبنان والاردن وفلسطين ص١٨١ فما بعد

(٥٤) فتوح البلدان ١٤٣ ؛ الاعلاق الخطيرة ١٨١ — ١٨٢

(٥٥) تاريخ اليعقوبي ٣/٣٥١ ، انظر البلدان لليعقوبي ٣٢٨ البلدان لابن الفقيه ١٠٣ .

(٥٦) المسالك والممالك للاصطخري ٥٨

رجّالة أهل فلسطين الحارث ابن عبيدة الازدي ، ويذكر اليعقوبي ان « أهل جند فلسطين أخلاط من لخم ، وجذام ، وعاملة وكندة ، وقيس ، وكنانة» [٥٧].

فأما لخم وجذام فكانتا من القبائل القديمة في فلسطين ، كما ذكرنا من قبل . ويلاحظ أن أبرز رؤساء فلسطين المذكورين هم من جذام مثل سعيد بن زنباع الجذامي [٥٨] ، وثابت بن نعيم الجذامي الذي اختاره أهل فلسطين ليكون عليهم في الاضطرابات التي حدثت قبيل مجيء العباسيين [٥٩] . ويذكر اليعقوبي ان كورة جبرين اهلها قوم من جذام [٦٠] .

ويذكر ابن حزم أن عمرو بن كنانة « وهم قليل ودارهم بفلسطين» [٦١].

الأردن :

اما الأردن فكان يشمل طبرية ، وصور ، وعكا ، وقدس ، وبيسان ، وفحل ، وجرش ، وسوسية ، وبيت راس [٦٢] .

ومدينته الرئيسة هي «طبرية واهلها من الاشعريين ، وفي بقية مدنها اخلاط من العرب» [٦٣] .

لم تذكر المصادر التاريخ الذي بدأ فيه استيطان الاشعريين طبرية ، وفي صفين كان على «قضاعة الأزد حبيش بن دلجة ، ومذحج الاردن مخارق بن الحارث الزبيدي ، وهمْدان الاردن حمزة بن مالك ، وغسان الاردن يزيد بن ابي النمس» وكان علي رجالتهم عبدالرحمن القيسي ، وعلى ميسرتهم ابو الاعور السلمي .

ويذكر المسعودي ان مروان بن محمد مر خلال هزيمته بالاردن « فوثب به هاشم بن عمرو القيسي والمذحجيون جميعاً» [٦٤] .

(٥٧) البلدان ٣٢٧
(٥٨) الطبري ١٨٣٧/٢
(٥٩) الطبري ١٨٩٢/٢
(٦٠) البلدان ٣٠٣
(٦١) جمهرة النسب ١٧٠ ، وانظر ٣٣٠
(٦٢) البلدان لليعقوبي ٣٤٧ ، المسالك والممالك لابن خرداذبه ٧٨ .
(٦٣) البلدان ٣٢٧
(٦٤) مروج الذهب ٨٥/٦

دمشـــق :

يقع جند دمشق في أواسط بلاد الشام ، ويشغل منطقة واسعة تمتد الى البحر ، ويحتوي على كور ذات اهمية كبيرة بعضها برية وبعضها بحرية .

فأما كورة البرية فهي تسعة :

(١) البقاع ومدينتها بعلبك

(٢) حوران ومدينتها بصرى

(٣) البثنية ومدينتها أذرعات

(٤) الظاهر ومدينتها عـمّان

(٥) الغور ومدينتها اريحا ويجمعها أرض البلقاء

(٦) الجبال ومدينتها عرندل

(٧) الجولان ومدينتها بانياس

(٨) الشراة ومدينتها أذرح

(٩) زُغـَر .

وأما البلاد الساحلية من جند دمشق فانها تشمل عِرْقة ، وجبيل ، وصيدا ، وبيروت ، واطرابلس (٦٥) .

ولا ريب في ان المدينة الرئيسة في هذا الجند هي دمشق ، وهي من أقدم المدن وأكبر مدينة عربية كانت قائمة عندما بدأت الفتوح الاسلامية ؛ وكانت عند تقدم العرب محصّنة بسور محكم يحيطها ، ولكن العرب تغلبوا على مقاومة الروم فيها ودخلوها وارغموا الروم على الانسحاب شمالاً الى حمص ثم الى اخلاء كل بلاد الشام .

وقد ولي دمشق بعد فتحها أبرز القواد العرب في بلاد الشام ؛ ولكن يبدو من المعلومات القليلة المتوفرة عن ادارة بلاد الشام في اوائل سني الفتح ان سلطة واليها

(٦٥) الأعلاق الخطيرة ٤١ ، وانظر الاصطخري ٥٦ ، ابن الفقيه الهمداني ١٠٥ .

اقتصرت عليها ولم تمتد الى كافة أجناد الشام حتى زمن خلافة عثمان بن عفان الذي اصبحت سلطة واليه معاوية تشمل كل بلاد الشام وما يتبعها ؛ وقد استلزم هذا ابقاء قوة دائمة لمواجهة التطورات الاستثنائية التي تتطلب المعالجة . غير ان الاحوال التي اشرنا الى احاطتها ببلاد الشام في صدر الاسلام كانت تقتضي تقليص عدد المقاتلة المقيمين في دمشق بالرغم من ان دمشق اصبحت ابان العهد الاموي مركز الخلافة ومرجع الدولة وما يتطلبه ذلك من دواوين مركزية وعناية خاصة .

ان المعلومات المتناثرة في الكتب ، وخاصة في تاريخ دمشق لابن عساكر ، عن خطط دمشق في العهود الاسلامية الأولى تظهر ان العرب الذين استوطنوا داخلها هم افراد من ذوي المكانة في الادارة والسياسة ؛ فكان لعدد منهم دور وقصور ومساجد مسماة باسمائهم ، ولكن لم يرد ذكر محلة او قطاع باسم عشيرة أو قبيلة عربية ؛ الأمر الذي يدل على ان المقاتلة العرب لم تسكن داخل المدينة .

نزلت العشائر العربية التي تكون عظم المقاتلة في اطراف المدينة ،وقد أورد ابن عساكر المعلومات المتوفرة في زمنه عن ذلك فقال :

« وكان أكثر ظاهر البلد منازل للقبائل وقرى متصلة وابنية متقاربة ، فخرب اكثر ذلك في الفتن والحروب والحصارات وباد أهلوه ، وتمادى عليه الخراب الآن . .

فمما سمى لنا من منازلها القبلية : فندق عبدالمطلب .. والراهب .. ومحلة السفليين .. والشماسية .. وعالية وعويلية .. والقطائع وبج حوران ..

الأشعريين ، وغير ذلك .

ومن الغرب : لؤلؤة الكبيرة ، ولؤلؤة الصغيرة ، وقينية ، وصنعاء ، والحميريين ، ومنازل بني رعين ؛ وغير ذلك .

وشماليه : سَطْر ، والفراديس ، والصدف ، ومقرى .

سوى ما كان من شرقيه من قرى الغوطة والمرج من القصور والديورة والمنازل المعروفة والأماكن المذكورة مما عفا رسمه وبقي ذكره واسمه»[٦٦].

ومما يفيد في معرفة القبائل التي كانت تقيم في اطراف مدينة دمشق، ما ذكره الطبري في كلامه عن تقدم القوات المؤيدة ليزيد الثالث، لدخول دمشق وخلع الوليد بن يزيد، فقد ذكر ما ملخصه ان :

أهل المزّة مع عبدالرحمن بن مصاد (الكلبي) دخلوا من باب الجابية

السكاسك (وعددهم ثلاثمائة) دخلوا من باب الشرقي

يعقوب بن هانئ العنسي في أهل داريا، دخلوا من باب الصغير .

عيسى بن شبيب التغلبي في أهل دوما وحرستا، دخلوا من باب توما

حميد بن حبيب اللخمي من أهل دير المران والارزة وسطر، دخلوا من باب الفراديس.

النضر بن عمر الجرشي في أهل جرش وأهل الحديثة ودير زكا، دخلوا من باب الشرقي .

ربعي بن هاشم الحارثي من جماعة من بني عذرة وسلامان، دخلوا من باب توما .

جهينة ومن والاهم مع طلحة بن سعيد[٦٧].

فأما المزّة فإنها كانت « من قرى اليمانية[٦٨] ؛ واكثر الرجال الذين نسبوا اليها من كلب، ومن هؤلاء معاوية بن مصاد « سيد أهل المزة » في زمن الوليد ابن يزيد[٦٩]. وعمرو بن حارثة الذي كانت جماعته في المزة أكثر من ألف[٧٠]

---

(٦٦) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٤٣/٢، ١٤٤

(٦٧) الطبري ١٧٩١/٢ – ٣ .

(٦٨) كذلك ١٨٩٤/٢

(٦٩) كذلك ١٧٨٨/٢، ١٧٩٣

(٧٠) كذلك ١٨٢٢/٢

وحكيم بن عباس[٧١]، والحسن بن اسامة بن زيد بن حارثة[٧٢] غير انه كان يسكن في المزة ايضاً جماعة من لخم[٧٣] .

وبالقرب من المزّة كانت صنعاء[٧٤].وقد سميت بذلك لأن اكثر أهلها من صنعاء اليمن ،وقدظهر من أهلها عدد غير قليل من المحدثين ذكر بعضهم السمعاني في كتاب الانساب ، وياقوت في معجم البلدان[٧٥] . وممن ذكرتهم المصادر ونسبتهم الى عشائرهم يزيد بن مرشد الهمْداني ، ويزيد بن ربيعة الهمْداني[٧٦] ، وحنش بن قيس الرحبي الهمْداني[٧٧] ، وابو اسماء الرحبي[٧٨] ، وراشد ابن داوود البرسمي[٧٩] ، وحماد بن المبارك الازدي[٨٠] . ويتبين من هذه النسب ان كثيراً من أهل صنعاء هم من أرحب وبرسم الهمدانية ، وان فيهم من الأزد .

كانت السكاسك هي الجماعة الثانية التي دخلت دمشق عند ثورة يزيد الثالث على الوليد بن يزيد ؛ والسكاسك هم من ابرز عشائر كندة ، وقد شاركوا في فتح حمص[٨١] ، وهددوا معاوية عندما أعرض عن رئيسهم مالك ابن هبيرة[٢٢] ، وناصروا مروان بن الحكم في مرج راهط[٨٣] ، وشاركوا في

(٧١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٢٢/٤
(٧٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٥٢/٤
(٧٣) الطبري ١٨٩٤/٢
(٧٤) تهذيب ابن عساكر ٨/٥ ياقوت ٤٢٦/٣
(٧٥) الانساب للسمعاني ٣٥١ ب – ٣٥٢ أ ياقوت ٤٢٦/٣ – ٧ .
(٧٦) السمعاني ٣٥٢ أ
(٧٧) تهذيب ابن عساكر ٩/٥ .
(٧٨) ياقوت ٤٢٩/٣
(٧٩) لهذيب ابن عساكر ٢٨٩/٥ ياقوت ٤٢٩/٣ .
(٨٠) تهذيب ابن عساكر ٤٥٧/٤ .
(٨١) الطبري ٢٣٩٢/١
(٨٢) الطبري ١٤٤/٢
(٨٣) كذلك ٤٧٧/٢

معركة الزاب [٨٤] . وكان « العمود المسّفط في شرقي المسجد (مسجد دمشق) يعرف بعمود السكاسك » وقد وضع عند هذا العمود رأس يحيى بن زكريا بعد ان نقل من عمود مجلس بجيلة [٨٥] . وذكر محمد كرد علي ان بيت لهيا هي قرية السكون والسكاسك [٨٦] ، ولكنه لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في ذلك ، رغم كثرة ترديده ذكر بيت لهيا في كتابه عن غوطة دمشق . وقد ذكر البخاري في تاريخه ، والبستي في كتابه عن علماء الأمصار ، أسماء عدد غير قليل من رجال السكاسك في الشام دون الاشارة الى مدنهم .

ومما يجدر ذكره أن كندة ، التي تعتبر السكاسك احدى عشائرها ، ساندت في مرج راهط عمرو بن سعيد الأشدق «لأنهم كانوا أخواله» ، وان الطبري يذكر ان الحصين بن نمير السكوني اشترط على مروان بن الحكم لتأييده في مرج راهط « ان ينزل البلقاء من كان بالشام من كندة وأن يجعلها لهم مأكلة، فأعطاه ذلك » [٨٧] ؛ ويظهر هـذا مدى أهمية كندة ودورها ، علماً بأنه لا يوجد ما يدل على ان مروان وفى بوعده [٨٨] .

أما أهل داريّا فقد وردت عنهم بعض التفاصيل في كتاب تاريخ داريّا ، فقد ذكر ان معظم أهلها من عنس وخولان [٨٩] ، وأن فيها لخولان مقبرة [٩٠] ، ومسجداً بناه القاسم بن هزان [٩١] ، وفيها أسرة واحدة من عشيرة غرس [٩٢] ،

---

(٨٤) كذلك ٣/٤٠

(٨٥) فضائل الشام ودمشق للربعي ٣٢

(٨٦) غوطة دمشق ٢٢٤ (الطبعة الثانية) .

(٨٧) الطبري ٢/٤٨٧ ، وانظر مروج الذهب ٥/٢٠٠ .

(٨٨) يقول البلاذري أن مالك بن هبيرة السكوني هو الذي ادعى ان مروان وعده بالمرج ان يجعل له ولقومه كورة البلقاء ، وان مروان انكر هذا الوعد فيما بعد (انساب الاشراف ٥/١٤٩) .

(٨٩) تاريخ داريا ٢٨ انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ١/٣١٨ .

(٩٠) تاريخ داريا ٣٠

(٩١) كذلك ٩٢

(٩٢) كذلك ٨٩

واخرى من عشيرة رحب بن بكر [٩٣] الخولانيين . وذكر أسماء أربعة صرح بنسبتهم لخولان [٩٤] وذكر أسماء ثلاثة من أهلها منسوبين لعنس [٩٥] . وذكر من سكانها اثنين من محارب [٩٦] ، واثنين من الأزد [٩٧] .

الراجح ان كلاً من القواد الذين تقدموا لدخول دمشق تأييداً ليزيد الثالث ، كان يقود عشيرته التي تقيم في الأماكن التي ذُكِرَت في هذا النص ؛ فاذا صح ذلك فان تغلب كانت تقيم في دوما وحرستا ؛ ولخم تسكن دير المران والارزة وسطرا ،والأخيرة ذكر السمعاني انها تقع في الاطراف الشمالية من دمشق ، وجرش تقيم فى قرى جرش والحديثة ودير زكّا . وان من قبائل دمشق بني عذرة ، وسلامان ، وجهينة .

يروي ابن عساكر انه « اذا كان اللقاء تقدم ربع قريش من أهل دمشق حتى يكونوا عند راية الأمير والجماعة ، ثم ربع كندة من جند دمشق عن يمينهم [٩٨] ، وهذا يدل على ان جيش أهل دمشق كانوا أرباعاً وان كندة كانت تتلو قريشاً في المكانة . غير ان المصادر لم تذكر كافة مكونات الأرباع وعدد كل منها ،وتذكر بعض المصادر ان اليمانية بدمشق كانوا عشرين الفاً [٩٩]

وقد وردت نصوص مفردة عن اشخاص وذكرت عشائرهم وقراهم ، فذكر ابن عساكر «داوود بن محمد المعيوفي الحجوري من أهل قرية عين شرحا» [١٠٠] ،

---

(٩٣) تاريخ داريا ٣٣

(٩٤) كذلك ٣٥ ، ٦١ ، ٢٩ .

(٩٥) كذلك ٢٨ ، ٥٧ ، ١٠١

(٩٦) كذلك ٣٤ ، ٦٩

(٩٧) كذلك ٤٩ ، ٧١

(٩٨) تاريخ دمشق لابن عساكر ١/٢٦٢ ، وانظر عن تقسيم جيش دمشق الى ارباع تفسير الطبري ١٧/١٣٦ . ويلاحظ ان اهل الحجاز كانوا يسمون في الشام « الجالية » (انساب الاشراف ٥/٢٠٢) الاغاني ٩/٢٢٨ .

(٩٩) شرح نهج البلاغة ٤/٤٩ .

(١٠٠) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/٢١٤ .

وابن مالك الاشجعي الحرستاني (١٠١) ، وذكر ياقوت ان « عذراء قرية بغوطة دمشق من اقليم خولان (١٠٢) ؛ غير ان هذه الاشارات مفردة ولا تكفي لوضع صورة كاملة لكافة العشائر التي استوطنت دمشق ؛ وستبقى هذه الصورة ناقصة حتى تتوفر المصادر التي ما يزال كثير منها بعيداً عن متناول الباحثين .

جند حمص :

يضم جند حمص: حماة ، شيزر ، معرّة النعمان ، صوران ، لطمين ، تل منس ، الغلاس ، كفر طاب ، جوسية ، لبنان ، الشعير ، اقاليم التمّة ، البلعاس ، البارة ، الرستن ، زمين ، القسطل ، سلمية ، عقبرتا ، الجليل ، السويدا ، رقينة ، تدمر .

وله من السواحل اللاذقية ، جبلة ، بلنياس ، انطرسوس ، مرقية ، قاسره السقى ، جرثية ، الحوله ، عملو ، زندك ، قبراثا (١٠٣) .

كانت حمص المدينة الثانية في الاهمية بعد دمشق ، وعندما تقدم العرب الى بلاد الشام اتخذ هرقل منزله فيها (١٠٤) . وقد ظلت محتفظة بأهميتها بعد الفتح الاسلامي لقربها من الساحل واتصالها بالبحر عن طريق وادي نهر العاص، ومع ان اهميتها تناقصت بعد فصل الجزيرة وقنسرين عنها الا انها ظلت ذات اهمية للصوائف التي كانت تجتمع عادة في دابق .

ذكر الوليد بن مسلم « أن جند حمص الجند المتقدم وان كانت يومئذ ثغراً فكان والي الصائفة وامام العامة في أهل دمشق لا بد من تقدمهم من أهل حمص وأهل قنسرين وأهل الثغور مقدمة لهم والى أهلها يولون ان كانت جولة من

(١٠١) كذلك ٤٢٧/٤

(١٠٢) ياقوت ٦٣٥/٣ ، وانظر ديوان الأخطل وشرحه ١٩/١

(١٠٣) ابن خرداذبه ٧٥ – ٦

(١٠٤) الطبري ١٥٦٢/١ ، ٢٠٦٨ ، ٢١٠٣ فتوح البلدان ١١٣ .

عدوهم»؛[١٠٥] ويروى ابن عساكر ان معاوية كتب الى عبد الله بن قرط «فاذا حضر أهل الشام جميعاً فأهل دمشق وحمص ميمنة الامام [١٠٦] .

ولا بد ان كثيراً ممن نقل الى السواحل كانوا في الاصل منها ، الا انها بقيت قاعدة رئيسة وقد وردت في المصادر اسماء عدد كبير من رجالها وعشائرهم مما يساعد على تكوين صورة واضحة عن تكوينها القبلي ، كما أن المصادر رددت أن حمص ممن قسمت منازلها على العرب أي أنهم نزلوها مع أهلها القدماء ، غير أنه لا تتوفر معلومات عن خططها وأماكن سكنى كل قبيلة .

وفي المصادر اشارة الى أن عدد مقاتلتها عشرون ألفاً [١٠٧] .

وقد ذكرت المصادر ، وخاصة كتب الحديث والرجال عدداً كبيراً من رجالهم وقبائلهم ، وهم من اليمن ، غير أنها ذكرت عدداً من قبائل أخرى . وفيما يلي جدول بمن استطعت جمعهم من المصادر مرتبين حسب القبائل ، علماً بأنه يجدر ان نلاحظ ان بعضهم لم يستوطن المدينة وانما سكن في الاصقاع التي يضمها الجند ، ولذا ينبغي ان تدرس بالمقارنة مع ما ذكره اليعقوبي عن توزيع العشائر في الاصقاع .

حضرموت

بسر بن عبد الرحمن	(الاصابة رقم ٦٤٨)
جبير بن نفير	الذهبي : التاريخ ١٤٥/٣
حدير بن كريب ابو الزاهرية	ابو زرعة ٢٧٤ (رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة).
الحسن	تهذيب ابن عساكر ٢٨١/٤

(١٠٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ١١٩/٢

(١٠٦) كذلك ٢٦١/١

(١٠٧) الأغاني ١٥٥/٥ ؛ ٤٩/٦ ؛ ١١٧/١٤ .

حيوة بن شريح	ابو زرعة ٢١٣
عبدالله بن ناسج	الإصابة ٤٩٨٧
عبدالرحمن بن جبير بن نفير	الذهبي ٢٧٤/٤
عمرو بن عبدالله	الاصابة ٥٨٩٦
كثير بن مرة	الذهبي ٢٠٤/٣
معاوية بن صالح	ابو زرعة ٢١٣
يزيد بن شريح	الذهبي ٢١٢/٤ ، ١٨/٥
نصر بن علقمة	الذهبي ٣٠٨/٥

وصاب (حضرموت)

لقمان بن عامر	الذهبي ٣٩٧/٤
محفوظ بن علقمة	الذهبي ٣٩٨/٤ ابن ماكولا ١٥٢/١
محمد بن حفص	الدولابي ٧٥/٢

مهـرة

موسى بن أيوب	الذهبي ٣٠٦/٥

كنــدة

احمد بن خالد	تاريخ البخاري ١٤٨٣

التراخم (كندة)

«تراخمة بطن من يحصب نزلوا حمص» اللباب ١٧٢/١ .

ابو بحرية عبدالله بن قيس	الذهبي ٧٣/٤
سعيد بن محمد	ابن ماكولا ٤١٦/١

السكاسك

حوشب بن سيف (ويقال المعافري) الذهبي ٣٦٢/٣ تهذيب إبن عساكر ١٣/٥
زامل بن عمرو الحميري تهذيب إبن عساكر ٣٤٦/٥
صفوان بن عمرو خليفة : الطبقات ٣٤٦ ،أبو زرعة ٢٩٣
مالك بن عامر خليفة : الطبقات ٣٤٦ . أبو زرعة ٢٩٣
مالك بن يخابر الالهاني أبو زرعة ٣٦٧ الذهبي ٤/ ٦٩٣
يزيد بن عميرة الزبيدي الذهبي ٢١٥/٣
(ويقال الكندي ويقال السكسكي)

السكون

أشعث بن ميناس الاصابة ٤٦٥
صالح بن شريك الاصابة ٢/ ١٩٠ ، ٣٥٠ الذهبي ٢٥٧/٣
صفوان بن عمرو خليفة : الطبقات ٣١٦
عاصم بن حميد الاصابة ٦٢٨ الذهبي ٣/ ٢٦٠
عمرو بن قيس بن ثور بن مازن
(سيد أهل حمص) الذهبي ١٩٣/٥

الألهان (السكون)

ابراهيم بن محمد بن زياد تاريخ البخاري رقم ١٠١١
رزيق ابو عبدالله الذهبي ٦٩/٥
سلمة بن نفيل اليراعي : رئيس الإصابة ٣٤٠٢
ألهان على رجالة حمص بصفين

عبدالله بن غاير الذهبي ٤/١٣٨
حوشب ذو ظليم تهذيب ابن عساكر ٥/١٤
كان على رجالة حمص في صفّين

حمير

تبيــع الاصابة ٨٦٠
حدير بن كريب ابو الزهرية تهذيب ابن عساكر ٤/٩٠
ابو خالد بن خالد الدولابي ١/١٦٢
راشد بن سعد ابن سعد ٧ ـ ٢/١٦٢
ذو كلاع اسميفع بن باكورا الاحاطي (شهد اليرموك ودمشق وصفين وكان مع أهل حمص الميمنة : الاصابة ٢٥٠٥ تهذيب ابن عساكر ٤/٢٦٧ ، ٦٧٧
يريم بن معد يكرب بن أبرهة بن الصباح
« كان سيد حمير بالشام في زمانه » الاصابة ٩٣٩١

وحاض (حميــر)

شبيب ابو روح الذهبي ٣/٢٥٤
يحيى بن صالح الدولابي ١/٩٦

يَـــزَن

يزيد بن خمير الذهبي ٣/٣١٢ ، ٥/١٧
هشام بن عبدالملك ابن ماكولا ١/٣٤٦

زَبيــد

ابراهيم بن العلاء تاريخ البخاري ٩٧٤
اسحق بن ابراهيم بن العلاء تاريخ البخاري ٢١٣
حمزة بن حبيب الذهبي ٤/٢٥٩

محمد بن الوليد بن عامر	مشاهير علماء الامصار رقم ١٤٤٢

الكلاع

(قبيلة كبيرة نزلت حمص	اللباب ٣/ ٦٣

حراز بطن من الكلاع نزل اكثرهم حمص (اللباب ١/ ٢٨٨)

ميثم من الكلاع قبيل بحمص	(اللباب ٣/ ١٩٨)

اليفع بن عبد	الذهبي ٤/ ٩٢

بقية بن الوليد	تاريخ البخاري ٢٠١٢

ثور بن يزيد	ابن سعد ٧ - ٢/ ١٧٠

الحكم بن نافع	الدولابي ١٤٤

خالد بن معدان بن أبي كرب	الذهبي ٤ / ٨٧ ، ١٠٩ ؛ تهذيب ابن عساكر ٥/ ٨٦

خالد بن خلي	ابو زرعة ١٨٠ ابن ماكولا ٢/ ١١٣

سليم بن عامر الخبائري	الذهبي ٤/ ٢٥٥

ابو ظبية السلفي	الذهبي ٣/ ٣١٩

يونس بن سيف	الذهبي ٥/ ٢١

نعيمة (السحول) ؟

ولنعيمة عدد كثير بحمص منهم سعيد بن السنر النعيمي

سيد الكلاع بحمص	الاكمال ١-٢/ ٢٨١

خـــولان

أبو الأعيسر	الذهبي ٥/ ١٩٣

أبو شعيب يوسف بن شعيب الدولابي ٢/٥
أبو عنبسة الذهبي ٣/٣٢٠
أبو الفتح عبد الصمد بن أحمد بن خنيس ، الاكمال ٢/٣٤٢
أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج ابو زرعة ٢٠٨
محمد بن حرب الابرشي ابو زرعة ١٨٠

عنَتس

الأحوص بن حكيم بن عمير أبو زرعة ١٨١
اسماعيل بن عياش أبو زرعة ١٦٢ تاريخ البخاري١١٦٩
تهذيب ابن عساكر ٣/٣٩
عمرو بن الأسود الذهبي ٣/١٩٤

الجَنَد

عبدالرحمن بن الجَنَدي الاكمال ٢/٢٢٢

الأوزاع

ابو مصبح المقرائي الذهبي ٤/٢٢٤

أرحب

حبيب بن عبيد الذهبي ٤/٢٤١
حريز بن عثمان تاريخ البخاري ٣٤٠

الظهران

الحارث بن مخمر الذهبي ٤/٩٧

طي

اسد بن وادعة تاريخ البخاري ١٦٤٧
ثابت بن سعد ابو زرعة ٤٤٩

الخطاب بن عثمان	ابو زرعة ٢٥٩
محمد بن القاسم	البخاري ٦٦٩
محمد بن عمر	ابو زرعة ٤٤٩
محمد بن عوف	الدولابي ٢/١٣٣

كلب

اسحق بن علقمة	أبو زرعة ١٧٢
اسحق بن يحيى	تاريخ البخاري ١٢٩٨
عطية بن قيس (مولى)	الذهبي ٤/١٥٥

بهراء

« قبيلة نزل اكثرها مدينة حمص » اللباب ١/١٥٦

الحكم بن نافع	أبو زرعة ١٣٨
سليمان بن عبدالحميد ابو ايوب	أبو زرعة ١٧٧
عبد الأعلى بن عدي	الذهبي ٤/١٤٠
عبدالله بن دينار	الذهبي ٥/٢٦٥

تنوخ

المذبـذب	الاصابة ٣/٣٧٥

قضاعة

يحيى بن حميد	أبو زرعة ١٩٩

الأزد

اسماعيل بن يوسف	تاريخ البخاري ١١٩٧
عبدالله بن سفيان	الاصابة ٥١٨٨

ثمالة (الأزد)

الحجاج بن عامر الاصابة ١٦١٩
عبدالرحمن بن عائذ الاصابة ٦٦٩٦
عبدالرحمن بن قرط الاصابة ٥١٨٨
عبدالرحمن الأزدي الثمالي ويقال الكندي، الاصابة ١٥٢/٣

غامد (الازد)

الحارث بن الحارث أبا المخارق الاصابة ٣٨٦

جرش

عبدالرحمن الاصابة ٩٨/٣
عبدالرحمن بن عوف (قاضي) الاصابة ٦٣٧٦ الذهبي ١٤٣/٤
الوليد بن عبدالرحمن الذهبي ١٣/٥

الحبـران

راشد بن سعد الذهبي ٢٤٨/٤ ابن عساكر ٢٨٩/٥
ابو راشد الذهبي ٣١٨/٣
شريح بن عامر الذهبي ٢٥٧/٤

لخـم

عباد بن الريان الذهبي ٢٦٢/٥

يحصب

العلاء بن عبدالجبار الذهبي ٢٨٢/٥

سـليم

الحجاج تهذيب ابن عساكر ٧٤/٤

حنظلة بن طفيل (شهد الفتح)	الاصابة ١٨٦٢
عبد الأعلى بن هلال	الاصابة ٤/١٤٠
عمرو بن عنبسة بن عامر	الذهبي ٣/٥٧

مزينة

عبدالرحمن بن أبي عميرة	الاصابة ٥١٧٩ الذهبي ٣/٤٣
عبد الرحمن بن شبل	الاصابة ٢/٣٩٥

اشجع

عوف بن مالك	ابن سعد ٧/٢ /١٢٣/٢٢
مالك بن أوس بن زياد	الاكمال ١/٤٨

هوازن

أبو عامر	الذهبي ٣/٢٢١

ثقيف

حنظلة بن أبي حنظلة	الاصابة ٧١٥٧

البَكاء

علي بن عياش	أبو زرعة ١٤٣
محمد بن عوف	الدولابي ٢/١٣٣

كنانة

سليمان بن سليم	تاريخ البخاري ١٨١١

كلاب

عطية بن يحيى	تاريخ البخاري ٤٨

مـــازن

عطية بن يسر	الاصابة ٢٥٧٠

أنمـــار

بكر بن الحارث	الاصابة ٧٢٤

نصـــر (أسد)

حسان بن نوح	ابو زرعة ٢٣٦ تاريخ البخاري ١٣٣
ابو معاوية عبدالرحمن بن خلف	الدولابي ١/١٢٥
محمد بن سليمان أبو ضمرة	ابن ماكولا ١/٣٩٠
محمد بن ابي جميلة	الاكمال ٢/١٢٩

غاضـــرة (أسد)

جابر الازرق	الاصابة ١٠٠٩
خالد الازرق	الاصابة ٢٢٠٦
عبدالله بن معاوية	الاصابة ٤٩٦٦
عمرو بن معاوية	الاصابة ٥٩٧٠

بجيلـــة

أوسط بن سعيد	أبو زرعة ٢٢٥

باهلـــة

أدهم بن محرز	الذهبي ٣/٢٤١
أبو امامة	الذهبي ٣/٣١٣
محرز بن أسيد	الاصابة ٣/٣٤٧

عبس

سالم بن سالم	تاريخ البخاري ٢١٤٦

غور ؟

الخطاب بن عثمان	ابن سعد ٧ـ٢/١٧٥ ابو زرعة ٢٧٤

جرجيس

يزيد بن عبد ربه	ابو زرعة ١٦٨ الدولابي ٢/٨٠

الأنصار

رافع بن سعيد	الاصابة ٨٥٣٠
شداد بن شرحبيل	الاصابة ٣٨٥٠

* * *

استيطان العرب في الجزيرة

كانت المنطقة الواقعة شمال شرقي بلاد الشام تسمى الجزيرة وكانت لها اهمية كبيرة في السنين الاولى من توسع الدولة، إذ أنها المنفذ الذي يمكن أن تهدد منه جيوش الروم بلاد الشام والعراق، كما أنها متصلة بأرمينية وأذربيجان، ولذلك اهتم العرب بتأمين السيطرة عليها، ووضع قوات من المقاتلة العرب في مختلف أرجائها.

فيروي البلاذري «ولى ابو عبيدة كل كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة من المسلمين وشحن النواحي المخوفة»[1]. ويذكر أيضاً «رتب أبو عبيدة ببالس جماعة من المقاتلة واسكنها قوما من العرب الذين كانوا بالشام فاسلموا بعد قدوم المسلمين الشام وقوما لم يكونوا من البعوث. نزعوا من البوادي من قيس، واسكن قاصرين قوما ثم رفضوها او اعقابهم»[2].

ويذكر أيضاً أنه عندما فتحت الرها «خلف بها عامله في جماعة»[3] وكان صلح الرها الأنموذج الذي احتذي في صلح عدد من المدن الاخرى مثل حرّان، وراس كيفا، وسميساط، وبازبدى، وارزن، وطور عبدين، وماردين، [4]. وقد بنى قيس بن سعيد بن عامر بن حديم مسجداً في الرقة ومسجداً في الرها [5] مما يدل على انها كانت مركزاً إدارياً يسكنه العرب.

ويذكر البلاذري أيضاً أن سنجار «أسكنها قوماً من العرب» [6].

(١) فتوح البلدان ١٤٩.
(٢) كذلك ١٤٩
(٣) كذلك ١٧٤.
(٤) انظر فتوح البلدان ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٤. وانظر ياقوت ٢/٢١٣، ٧٣٣
(٥) فتوح ١٧٧.
(٦) كذلك ١٧٦.

ويذكر ابن حوقل ان وادى حيال ، وحوشي لى سنجار يسكنه قشير ونمير وعقيل وكلاب (٦أ)

ويذكر أيضاً أن معاوية أنزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ، وأذن لهم في اعتمال الارضين التي لا حقّ فيها لأحد ، فأنزل بني تميم الرابية ، وأنزل المازحين والمديبر أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم ، وفعل ذلك في جميع نواحي ديار مضر ، ورتب ربيعة في ديارها على ذلك : والزم المدن والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذبّ عنها من أهل العطاء ، ثم جعلهم مع عماله (٧)

ويذكر أيضاً أنه « لما ولى معاوية الشام والجزيرة وجه إليها (ملطية) حبيب بن مسلمة ففتحها عنوة ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها ، وقدمها معاوية وهو يريد دخول الروم فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرها ،فكانت طريق الصوائف ، ثم إن أهلها انتقلوا عنها في أيام عبدالله بن الزبير ، وخرجت الروم فشعثتها ثم تركتها ، فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط (٨) .

ويقول إن معاوية في زمن خلافة عثمان « ألزم المدن والقرى والمسالح (في الجزيرة) من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء ، ثم جعلهم مع عماله»(٩) .

ولما قتل عثمان وولي الامام علي الخلافة واستعر الخلاف بينه وبين معاوية ، امتدت الانقسامات الى العرب وادت الى احداث تغييرات في مساكن العرب وتوزيعهم وخاصة في الجزيرة التي ازدادت اهميتها العسكرية ، فلم تعد الثغرة التي يمكن أن ينفذ منها الروم لتهديد الدولة الاسلامية فحسب ، بل أصبحت

(٦أ) ابن حوقل ٢٤٠/١

(٧) كذلك ١٧٧ .

(٨) كذلك ١٨٤ .

(٩) كذلك ١٧٧ .

أيضاً الطريق الرئيس الذي يمكن أن يسلكه الامام علي وجيوشه الى الشام لتهديد سلطان معاوية . ولذلك عمل معاوية على سد هذه الثغرة التي يمكن أن تهدده ، فأسكنها مقاتلة من العرب لصد تقدم الامام علي ، وقد حشد هذه المقاتلة بصورة خاصة من العرب الذين غادروا الكوفة ولجأوا اليه حباً بعثمان وتمسكاً بذكراه ، أو كرها لعلي ومعاداة له . وقد أنزل كثيراً من هؤلاء عدداً من مدن الجزيرة ، وخاصة الرها وقرقيسيا والرقة .

الرّقة وقنّسرين :

يذكر نصر بن مزاحم انه « كان من بالكوفة والبصرة من العثمانية قد هربوا فنزلوا الجزيرة في سلطان معاوية » [١٠] ويذكر الطبري انه « مصّر قنسرين معاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراقين »[١١] .

وقد ذكرت المصادر بعض الجماعات التي لجأت الى معاوية فمن هؤلاء بنو الأرقم ، وهم من كندة « قالوا لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان ، فتحولوا الى الشام ، فأسكنهم معاوية الرها وأقطعهم بها» [١٢] ، وكانت الرها قد استوطنها العرب منذ فتح الجزيرة ، وكان فيها مسجد بناه عمير بن سعد»[١٣] .

وممن هرب الى معاوية جرير بن عبدالله البجلي الذي حدث بينه وبين الامام علي خلاف « فلحق بقرقيسيا ولحق به ناس من قَسْر من قومه ،ولم يشهد صفين من قسر غير تسعة» [١٤] .

---

(١٠) وقعة صفين ١٦ .
(١١) الطبري ٢٨٦٦/١ .
(١٢) الأنساب لابن حزم ٤٠٠ الإصابة لابن حجر (رقم ١٢٧٣ ، ١٤٦٤ ، ٥٤٨٩) . عن ابن سعد .
(١٣) فتوح البلدان ١٧٧ .
(١٤) وقعة صفين ٦٧ وانظر أيضاً : انساب الاشراف ٢٧٧/٢ ، تاريخ البخاري ٢ – ٣٤/١ .

اما الرّقة فقد«بنى مسجدها سعيد بن عامر بن حذيم الذي ولى الجزيرة بعد وفاة عياض بن غنم» [١٥] ، وممن لجأ الى معاوية سماك بن مخرمة الاسدي « وقد كان فارق عليا في نحو من مائة رجل من بني اسد ، ثم اخذ يكاتب قومه حتى لحق به منهم سبعمائة رجل » وقد جعله معاوية اميراً على الرقة « وجل أهلها العثمانية الذين فروا من الكوفة برأيهم وأهوائهم الى معاوية» [١٦] .

وممن لجأ الى معاوية حنظلة الكاتب وثلاثة وعشرون من قومه [١٧] وأنزل معاوية الرقة أيضاً عدي بن عميرة الكندي الذي لجأ اليه مفارقاً لعلي [١٨]. ولما قتل الامام علي وصفت الخلافة لمعاوية تابع خطته في فصل محبيه عن مبغضيه وفي توطين محبيه في الجزيرة خاصة ،فيروي الطبري «وكان معاوية حين أجمع عليه أهل العراق بعد علي يخرج من (الى ؟) الكوفة المستغرب في امر علي وينزل داره المسغترب في امر نفسه من أهل الشام وأهل البصرة وأهل الجزيرة وهم الذين يقال لهم النواقل في الأمصار» [١٩] .

ويقول الطبري « كان معاوية هو الذي جنّد قنسرين من رافضة العراقين أيام علي وانما كانت قنسرين رستاقاً من رساتيق حمص حتى مصّرها معاوية وجنّدها بمن ترك الكوفة والبصرة في ذلك الزمان ، وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق ، اذربيجان والموصل والباب فضمها فيما ضم» [٢٠] وأنه

---

(١٥) فتوح البلدان ١٧٧ .

(١٦) وقعة صفين ١٦٣ ، وانظر عن هرب سماك الى الرقة : فتوح البلدان ٢٨٤ ،ياقوت ٥٢٦/٤ .

(١٧) وقعة صفين ١٠٩ .

(١٨) فتوح البلدان ٢٠٥ .

(١٩) الطبري ١٩٢٠/١ .

(٢٠) الطبري ٢٦٧٣/١ .

وأنه « مصّر قنسرين معاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراقيين »[٢١] . وينسب البلاذري إفراد قنسرين الى يزيد حيث يقول انه لما ولي يزيد الخلافة « جعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جنداً وكانت قنسرين وكورها قبل ذلك مضمومة الى حمص» [٢٢] .

ولما توفي يزيد نشب خلاف واسع بين القبائل القيسية واليمانية في بلاد الشام كاد يودي بحكم الامويين ، ثم تمكن مروان بن الحكم من التغلب بالقوة على معارضة القيسيين ، فلما ولي عبد الملك الخلافة أدرك احتمال تجدد هذا الخطر ، فعمل على ازالته باجتثاث اسبابه ولذلك أمر بنقل القيسية الى الجزيرة ، وكانت الجزيرة تابعة الى حمص ، فلما جندت قنسرين صارت تابعة الى قنسرين «فجندها عبدالملك بن مروان ، أي أفردها ، فصار جندها يأخذون أطماعهم بها من خراجها ، وان محمد بن مروان كان سأل عبدالملك تجنيدها ففعل» [٢٣] .

وقد نزل ولد ابي رمثة حصن كفرتوثا « فمدّنوها وحصنوها»[٢٤] ويذكر الهمداني ان كفرتوثا كانت لجشم [٢٥] .

ولما اعلن مروان بن محمد نفسه خليفة اتخذ مركزه في حرّان [٢٦] وقد ظل مقيماً بها بعد إخضاعه بلاد الشام الى أن شخص الى الزاب [٢٧] . وقدفرض مروان لنيف وعشرين الفاً من اهل الجلد [٢٧أ] ، ولابد ان كثيراً منهم من عرب حران وقد سيطر بنو نمير في السكن بحران في العهود العباسية المتأخرة [٢٨] وكانت حرّان قصبة ديار مضر في العهود العباسية » [٢٩] .

(٢١) الطبري ٢٨٦٦/١ .
(٢٢) فتوح البلدان ١٣١ .
(٢٣) فتوح البلدان ١٣١ ياقوت ١٣٦/١ .
(٢٤) فتوح البلدان ١٧٩ .
(٢٥) صفة جزيرة العرب ١٣٣ .
(٢٦) الطبري ١٨٩٢/٢ ، ١٩٤٦ ؛ ٣٣/٣ ، ٣٨ مروج الذهب ٧٥/٦ .
(٢٧) الطبري ١٩٩١/٢ ، ١٠/٣ ، ٣٣ ، ٣٨ .
(٢٧أ) الطبرى ١٨٧٣/٢
(٢٨) القلقشندي : صبح الاعشى ٢٤١/١ .
(٢٩) ياقوت ٢٣١/٢ .

الموصـــل :

اما الموصل فقد تم فتحها بجيش تقدم من الكوفة « وكانت الباب واذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة» (٣٠) ، وقد تم فتح الموصل على يد عتبة بن فرقد الذي فتح أيضاً « المرج وقراه ، وأرض باهذرى ، وباعذرى ، وحبتون ، والحنانه ، والمعلة ، ودامير ، وجميع معاقل الأكراد وأتى باعيناثامن حزة ففتحها ، وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الحر بن صالح .. فتح ذلك كله وغلب عليه المسلمون » وقد فتح عتبة ارميه ايضاً (٣١) .

ثم ولى بعد عتبة ، هرثمة بن عرفجة البارقي فمصّر الموصل « وأنزل العرب منازلهم واختط لهم ، ثم بنى المسجد الجامع » ، وهو « أوّل من اختط الموصل وأسكنها العرب ومصّرها » (٣٢) ، ويذكر المعافى ان « عثمان مصّر الموصل واسكنها أربعة الاف مقاتل» (٣٣) .

يذكر الطبري « وكان اهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة رميتا بكل من كان ترك هجرته من اهل البلدين : وكانت الباب واذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة ، فنقل ذلك الى من انتقل منهم الى الشام أزمان علي والى من رميت بالجزيرة والموصل ممن كـــان ترك هجرته ايام علي (٣٤) ، إلا أن المصادر لم تذكر العشائر التي انتقلت الى الموصل في هذا العهد المبكر .

وقد حدث النمو الكبير في الموصل في زمن خلافة عبدالملك بن مروان فيروي اليعقوبي أن « عبدالملك ولىّ اخاه محمداً الموصل ، ونقل إليها الازد وربيعة من البصرة» (٣٥) ولعله في هذا الزمن انتقل اليها بنو رويم الازديون» (٣٦) واللبو ،

(٣٠) الطبري ٢٦٧٤/١ .
(٣١) فتوح البلدان ٣٣٠ .
(٣٢) فتوح البلدان ٣٣١ .
(٣٣) الاصابة ٣٣١/٢ ، ولعل كلمة « عثمان » محرفة أو من اخطاء النقله .
(٣٤) الطبري ٢٦٧٤/١ .
(٣٥) التاريخ ٣٢٤/٢ .
(٣٦) ابن دريد : الاشتقاق ٥١٠ .

وهم من عبد القيس » الذين يذكر ابن قتيبة ان « منهم بالموصل »[٣٧] .

ذكر الازدي في الجزء الثاني الذي وصل إلينا من كتابه «تاريخ الموصل» بعض عشائر الازد الذين استوطنوا الموصل ، واغلبهم من بني سليمة بن مالك ابن فهم ، وقد ذكر من اولاد مالك بن فهم جذيمة، وفراهيد ، وعمرو ، وان إخوة جذيمة ، معن وهناء امهما ابنة وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ، والحارث وهمام وسليمة ، امهم جعدة بنت ساعدة بن الحارث بن معاوية الكندي ، وهؤلاء الذين قدموا الموصل وقد ذكرت شأنهم»[٣٨] والعبارة الاخيرة غامضة ، فقد يكون القصد منها أن بني سليمة وحدهم ، أو أن القبائل الثلاثة ، أو أن جميع بني مالك بن فهم قد قدموا الموصل وسكنوها . ويبدو انه فصّل في ذكرهم في الجزء الاول المفقود من كتابه ، اذ انه يقول « وقد بينت ولد كل واحد من بني سليمة ومنازلهم واخبارهم على ما بلغني من ذلك ؟ الكتاب الذي قدمت ذكره »[٣٩]

ويذكر الأزدي أن « لسليمة من الولد فيما ذكروا خمسة عشر من الولد هم حماية ، وعبد ، وعبيد ، وكلاب ، وغنم ، وزاحر ، وحيال ، ورواحة ، وحملة ، ورافد ، والأسود ، وسعد ، وجرير ، وأسود ، ومحاسن ، بنو سليمة بن مالك ابن فهم [٤٠] .

وذكر ايضاً بالموصل من سليمة بنو الخشاش من ولد عبد بن سليمة : منهم عمرو بن جرو بن نصير بن زائدة بن عمر بن حشاش بن ذهل بن عاصب بن غزال بن سعد بن جابر بن عدي بن عبد بن سليمة .. ومنزلهم مع سليمة في السكة الكبيرة» [٤١] .

(٣٧) المعارف ٤٥ .

(٣٨) تاريخ الموصل ٩٩ .

(٣٩) تاريخ الموصل ١٠١

(٤٠) تاريخ الموصل ١٠١

(٤١) تاريخ الموصل ٩١

فاما محاسن فمن ولده بنو جابر الذين منهم بنو عمران الموصليون [٤٢] وبالموصل من ولد جابر بن جبلة ثلاثة نفر : نفيل ، وسليمان ، ووهب بنو جابر بن جبلة ، فاما نفيل فمنزله بالموصل في السكة الكبيرة التي بين المربعة المعروفة بابن عطاء ودرب دراج وله هناك زقاق يعرف بفضل الآن ، ومسجد سليمان الحضرمي» [٤٣] .

ومن سليمة ، ممن قدم معهم وكان مع سليمة بالموصل .. أبو الأشهل الحكم بن عطاء السليمي .. وكان مصاحبا لجابر بن جبلة .

ومن بني محاسن محمد ، سكن الموصل جماع بن احمد بن اسلم بن زيد السليمي وهو صاحب سكة جماع بالموصل « وبلغني انه قدم الموصل مع جابر بن جبلة ، وبنو ابي السرداج الذين في سكة جماع من مواليه .

وبالموصل من سليمة بنو الحشاش من ولد عبد بن سليمة .. ومنزلهم مع سليمة في السكة الكبيرة ومنهم بقية» [٤٤] .

وممن قدم الموصل من إخوة سليمة معن بن مالك، ومنازلهم بالموصل باب سنجار والمسجد الذي فيه مسجدهم ، وكان باب سنجار في أيديهم وأيدي سليمة [٤٥] .

وبنو الروّاد كانوا بالموصل ، ومنها انتقلوا الى اذربيجان فغلبوا على كورة منها ، ومن إخوتهم أيضاً ممن قدم الموصل فراهيد بن مالك بن فهم ، وكان بالموصل منهم رهط منهم بيان بن خالد .. ومنازل بيان في محلة بني عمران ، ودار بيان كانت الدار المعروفة بمسجد بن الفضل بن زيد بن عمران [٤٦] .

---

(٤٢) تاريخ الموصل ١٠١
(٤٣) تاريخ الموصل ٨١
(٤٤) تاريخ الموصل ٩١
(٤٥) تاريخ الموصل ٩٢
(٤٦) كذلك ٩٢

وبالموصل عمرو بن مالك ، وكان بالموصل منهم جماعة انقرضوا وبقي بقية من مواليهم ، وكانت منازلهم في قطيعة دور الطمثانيين (٤٧) .

ومن رجال الأزد وائل الشحاجي الأزدي، وكان وائل بن الشحاج ممن طارد مروان بن محمد بعد هزيمته بالزاب ، فأقطعه أبو العباس قطيعتين بربض مدينة الموصل أسفل الارض المعروفة بقطائع بني وائل (٤٨) ثم أقطع سنة ١٣٩ أرضاً قربها (٤٩) .

وممن سكن الموصل من الأزد بنو بريضة وكانت لهم « الجزيرة » إقطاعاً فاشتراها منهم هشام (٥٠) (بن عبدالملك ؟) .

ومن الأزديين في الموصل«بنو المختار ، وهم إخوة عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي (٥١) » .

وممن ذكر من رجال الأزد أبو الصقر نجدة بن الحكم صاحب سكة صقر (٥٢) والعراهم بن المختار (٥٣) .

وذكر الأزدي رجالاً من عشائر متعددة في الموصل ، ولعل هذه العشائر ممن كانت مقيمة في الموصل .

١ – القطران بن أكمه الشيباني « له خطة ومسجد في ربض الأعلى يعرف بمسجد ابن أكمه القطران » ، وكان « في عدة من أهل بيته وقومه» (٥٤) .

٢ – الزبير بن اياس الذهلي (٥٥) .

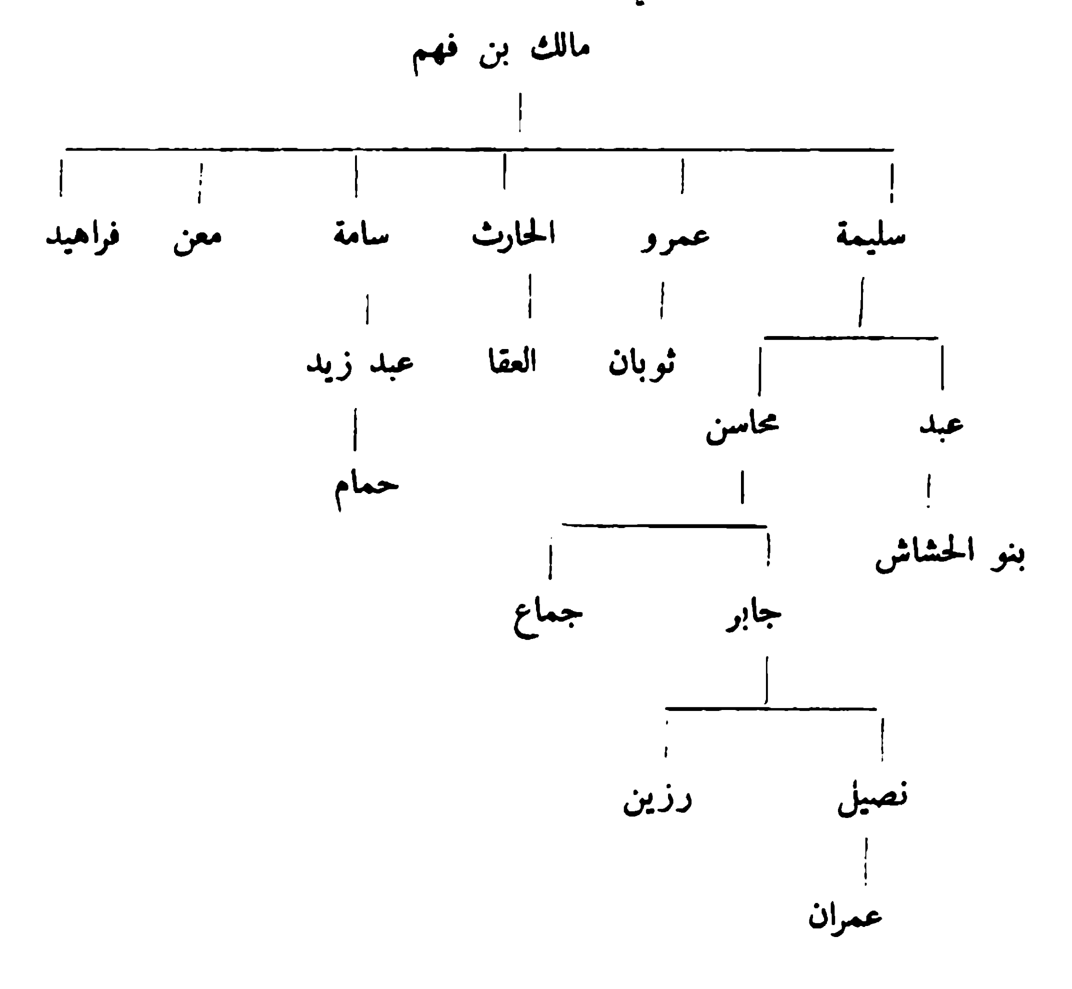
(٤٧) تاريخ الموصل ٩٣
(٤٨) كذلك ١٥٨
(٤٩) كذلك ١٧١
(٥٠) كذلك ١٧٢
(٥١) كذلك ١٦٤
(٥٢) كذلك ١١
(٥٣) كذلك ٤٧ ، ١٥٣
(٥٤) كذلك ٦٨
(٥٥) كذلك ١٤٧

٣ – شريح بن شريح بن عمر بن سلمة الخولاني ، وهو صاحب قناطر شريح بالموصل [٥٦] .

٤ – المعمر بن ايوب الهمداني جد بني حيّة [٥٧] .

٥ – علي بن نعيم الحميري ، جد بني سمعويه [٥٨] .

٦ – طرخان بن يزيد الرحبي [٥٩] .



(٥٦) تاريخ الموصل ١٥٣ ، ١٤٦

(٥٧) كذلك ١٤٧

(٥٨) كذلك ١٤٧

(٥٩) كذلك ١٥٣

٧ – خاقان بن يزيد الرحبي ، مولى لهم ، وهو جد بني قود المصحين وهو صاحب سكة خاقان التي بين مسجد موسى بن مصعب وبين مسجد بسام الذي يصلى فيه بنو الوضاح العبديون (٦٠) .

اما القرى التي في أطراف الموصل فقد ذكر الأزدي أن بني ثوبان ، وهم من ولد عدي بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم ، سكنوا باسَطّا فكانوا أهلها ، وأن ثوبان بن الحارث بن عبادة قدم من البصرة الى الموصل « فنزل قرية يقال لها ثرثار وسفطا ، بحواثا والعروبة من اقليم الديبور ونزل معه مالك بن الحارث » وأن « باساطا فانما ملكوها من اهل باجريق ، وليست خطة لهم ، ومنهم بقية» (٦١) .

وسكن بنو العقا بن الحارث بن مالك بن فهم باعقا ، وهي قرية على شط الزاب بقرب باسحق .

اما حمام بن عبد زيد بن سامة بن مالك بن فهم فقد قال هشام «منازل حمام عمان ، ومهاجرهم البصرة والموصل ، .. ولبني حمام بالموصل ضيعة تعرف بالحميمة ويضاف اليها طيمونة ، قريبة من باسحق» (٦٢) .

وبنو معن بن مالك بن فهم ، الذين سكنوا باب سنجار من الموصل ، لهم « الثرثار خطط وضياع منها تل خواسا وذواتها ، ومنهم هناك بقية» (٦٣) .

وكانت منازل بني مالك بن همدان ببافخارى ، وقد سكنوها بعد ان قدموا من الكوفة (٦٤) . وسكنت عنزة في حزّة (٦٥) .

وسكنت بنو تغلب في مدينة بني أسد (٦٦) .

(٦٠) تاريخ الموصل ١٤٧
(٦١) كذلك ٩٤
(٦٢) كذلك ٩٤ – ٩٦
(٦٣) كذلك ٩٢
(٦٤) كذلك ٢٠٤
(٦٥) كذلك ٣١٣
(٦٦) كذلك ٢٦٨ ، ٣٣٢ ، وانظر : الجزيرة الفراتية والموصل لمحمد جاسم حمادي ١٦٦ .

يروي البلاذري أنه « لما اختط هرثمة الموصل وأسكنها العرب أتى الحديثة وكانت قرية قديمة فيها بيعتان وأبيات للنصارى ، فمصّرها وأسكنها قوماً من العرب ، فسميت الحديثة لانها بعد الموصل ، وبني بحزَّة حصناً ، ويقال إن هرثمة نزل الحديثة أولا فمصّرها واختطها قبل الموصل ، وأنها إنما سميت الحديثة حين تحول إليها من تحول من أهل الأنبار لما وليهم إبن الرفيل أيام الحجاج ابن يوسف فعسفها ، وكان فيها قوم من أهل حديثة الأنبار فبنوا بها مسجداً ، وسموا المدينة الحديثة» (٦٧) .

ونقل ياقوت عن البلاذري « وجه عتبة بن فرقد من الموصل بعدما افتتحها في سنة عشرين مسعود بن حريث بن الأبجر ، احد بني تيم بن شيبان ، الى تكريت ففتح قلعتها صلحاً وكانت لامرأة من الفرس شريفة فيهم يقال لها داري ، ثم نزل مسعود القلعة فولده بها ، وابتنى بتكريت مسجداً جامعا ، وجعله مرتفعاً عن الارض لأنه أمنهم على خنازيرهم ، فكره أن يدخلوا المسجد»(٦٨) وهذا النص غير موجود في الطبعة المتداولة لفتوح البلدان ، وهو يظهر أن مسعود الشيباني استوطن القلعة مع أهله ، ولعل عدداً من ابناء عشيرته سكنوها أيضاً ويدل على ذلك بناءه « مسجداً جامعاً» لا يقام عادة إلا في الأماكن المأهولة بالمسلمين .

عشائر اخرى في الجزيرة :

ذكرت كتب النسب بعض العشائر والأسر التي استوطنت الجزيرة بعد الفتح الاسلامي دون ان تحدد بدقة تاريخ انتقالها . فقد ذكر ابن دريد « بنو عمرو بن سعد بن زيد مناة بالكوفة والجزيرة يقال لهم الصحصحيون » (٦٩) وذكر ابن قتيبة «غفيلة بن عمرو بن قاسط لهم عدد بالجزيرة في بني تغلب»(٧٠)

(٦٧) فتوح البلدان ٣٣٣
(٦٨) ياقوت ١/٨٦٣
(٦٩) الاشتقاق ٣٥٨
(٧٠) المعارف ٤٦

و « بنو عُلَيم لهم عدد بالجزيرة منهم بكر بن معاوية صاحب ديوان الجند ، وكان من قواد أبي جعفر » [٧١] .

وذكر ابن الكلبي في كتاب الأنساب « بهثة منهم بالجزيرة والكوفة» [٧٢] و « الكاهن بن غالب بن مرة وهم بالجزيرة» [٧٣] ، وبنو عوف بن عبدالله ، وهم من عقيل ، قتلوا توبة ثم انحدروا الى الجزيرة» [٧٤] ، وذكر أن خالداً، أخا الوليد بن عقبة ، نزل الجزيرة وولده بها [٧٥] وان البحتري بن الحر بن عبيدالله بن عمر لهم عدد بحرّان [٧٦] وذكر مسعر بن مهلهل « باجنيس بلد بني سليم» [٧٧] .

والواقع أن الهجرات إلى الجزيرة تتابعت ، ثم انتظمت القبائل ، فصارت الجزيرة مقسمة الى ثلاثة اقسام رئيسة هي ديار مضر وقاعدتها حرّان ، وديار ربيعة وقاعدتها الموصل وديار بكر وقاعدتها آمد .

وقد وصف إبن حوقل ، وهو من مؤلفي القرن الرابع الهجري أحوال الجزيرة فقال إنها « كان يسكنها قبائل من ربيعة ومضر ، أهل خيل وغنم وإبل قليلة ، وأكثرهم متصلون بالقرى وبأهلها ، منهم بادية وحاضرة فدخل عليهم في هذا الوقت من بطون قيس عيلان الكثير من بني قشير وعقيل وبني نمير وبني كلاب فأزاحوهم عن بعض ديارهم بل جلّها ، وملكوا غير بلد واقليم منها حرّان وجسر منبج والخابور والخانوقة وعرابان وقرقيسيا والرحبة في ايديهم يتحكمون حضائرها ومرافقها» [٧٨] .

(٧١) المعارف ٣٩
(٧٢) الانساب ١٨٧ ب
(٧٣) كذلك ١١١ أ
(٧٤) كذلك ١٣٥ أ
(٧٥) كذلك ١٧ أ
(٧٦) كذلك ١٠٩ أ
(٧٧) ياقوت ٤٥٥/١
(٧٨) صورة الارض ٢٢٨ — ٩

ويلاحظ ان المعارك الكثيرة التي حدثت في ايام عبدالملك في الجزيرة كانت بين بني سليم وتغلب ، مما يدل على استقرارهم فيها قبل ذلك[٧٩] .

وذكرت مصادر متأخرة بعض العشائر العربية في الجزيرة الفراتية واماكن سكناها ، والراجح أن استقرار كل عشيرة في المكان الذي ذكرته هذه المصادر يرجع الى صدر الاسلام ، كما أن عشائر أخرى هاجرت فيما بعد الى ارمينية او الثغور ، او استقرت في المدن .

فقد ذكر الهمداني أن كفرتوثا كانت لجشم ، وأن نصيبين كانت لبني حمدان ، وأن جبل سنجار كان فيه شراة بني تغلب وبني زهير وعمرو ، وان ديار بني عبيد التغلبيين كانت تمتد من اذرمة الى برقعيد[٨٠] .

وذكر ابن حوقل ان رأس العين بها للعرب خطط[٨١]، وذكـــر القلقشندي ان ديار بني تغلب كانت بجهات سنجار ونصيبين[٨٢] ثم غلبهم بنو عقيل[٨٣]

استيطان الثغور وارمينية

كان للاطراف الشمالية من بلاد الشام والجزيرة وضع خاص نظراً لأنها تحدّ بلاد الروم فتتعرض بصورة أسبق وأكثر من غيرها لهجمات الروم وتعدياتهم ، كما أن فيها المنافذ التي تسلكها الجيوش العربية الى بلاد الروم ، ولذلك كان لا بد من الاهتمام بتحصينها وشحنها بقوات يكون واجبها الدائم حمايتها والوقوف بوجه الروم الى الدرجة التي تعطل تقدمهم وتتيح المجال للقوات الغربية الرئيسة بالاستعداد لمواجهتهم ، أي أنه يجب أن تكون القوات المعسكرة

(٧٩) انظر عن هذه الايام : أنساب الاشراف ٣٠٨/٥ - ٣٣١ الكامل لابن الاثير

(٨٠) صفة جزيرة العرب ١٣٣٤

(٨١) صورة الارض ٣٠٠ ، وانظر أيضاً الجزيرة الفراتية والموصل لمحمد جاسم حمادي ١٥٩ - ١٦٢ .

(٨٢) قلائد العقيان ١٣٢

(٨٣) كذلك ١٠٠

في هذه المراكز الأمامية تتوفر فيها الشروط اللازمة لقوات الطلائع من قدرة على عرقلة تقدم المعادية دون أن تعرض القوة الرئيسة للخطر ، وقد ازدادت أهمية هذه القوات بعد أن سيطر العرب على البحر المتوسط فمنعوا بسيطرتهم الروم من تهديد بلاد الشام ، علماً بأن الحادثة الحاسمة في العلاقات الحربية بين العرب والروم لا يمكن أن تأتي إلا من القوات البرية .

وقد اقتضت الاحوال أن يؤثر تحصين الأطراف الشمالية على التنظيم الدفاعي للاطراف الجنوبية ، لأن تقدم جيوش الامام علي من الجنوب لتهديد بلاد الشام نبّه الى أهمية المناطق الجنوبية واحتمال تجدد الاخطار منها ، ولذلك كان لا بد من الاحتفاظ بقوات كافية في الجنوب ، وان تقوم القوات الرئيسة في الوسط لتكون في وضع آمن ، وتستطيع ان تتقدم منه الى مواضع الخطر بعد تبنيه .

ان الاماكن الرئيسة التي اهتم معاوية بتقويتها هي قاليقلا ، ومرعش ، وملطية ، فاما قاليقلا فان حبيب بن مسلمة فتحها ، فهدده الروم « فبعث اليه معاوية الفي رجل أسكنهم قاليقلا واقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة لها »[1] وكان ذلك في عهد خلافة عثمان .

اما ملطية فقد«فتحها حبيب بن مسلمة ورتّب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها ، وقدمها معاوية وهو يريد دخول الروم فشحنها بجماعة من اهل الشام والجزيرة وغيرها ، فكانت طريق الصوائف » غير ان الروم استغلوا الاضطرابات التي حدثت في فتنة ابن الزبير ، فجلا عنها العرب وخربها الروم وسكنها الارمن ، فلما صفت الخلافة لعبد الملك بن مروان ، قام ابنه عبدالله سنة ٨٣هـ باعمار طرندة ، فنزلها المسلمون وبنوا بها مساكن ، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز نقل

(١) فتوح البلدان ١٩٦

العرب من طرندة الى ملطية . غير أن العرب اضطروا الى إخلائها على أثر تولي العباسيين الخلافة (٢) .

اما مرعش فقد « بناها معاوية وأسكنها جنداً » ثم أغار عليها الروم في زمن ابن الزبير فأخلاها المسلمون « ثم إن العباس بن الوليد بن عبد الملك صار الى مرعش فعمّرها وحصّنها ونقل الناس اليها وبنى بها مسجداً جامعاً ،وكان يقطع في كل عام على اهل قنسرين بعثاً اليها » فلما ولى مروان بن محمد الخلافة استغل الروم الثورات التي قامت ضده فها جموها واضطر المسلمون الى إخلائها ، وقد حاول مروان إعادة بنائها ولكنه لم يفلح (٣) .

وبنى عبدالله بن عبدالملك سنة ٨٤هـ حصن المصّيصة « ووضع بها سكاناً من الجند منهم ثلاث مائة رجل انتخبهم من ذوى البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك (٤) .

ولما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة اراد هدم المصيصة والحصون التي بينها وبين انطاكية ، ولكنه أمسك عن ذلك عندما علم أن عمله سيعرض المنطقة لهجوم الروم(٥) .

واهتم هشام بن عبدالملك بهذه المنطقة فحصّن المثقب ، وبنى حصن قطرغاس وحصن مورة بفراس وحصن بوقا . ورتب في حصن متورة اربعين رجلاً وفي حصن بغراس خمسين رجلاً (٦) .

واهتم الأمويون بالمناطق الواقعة في أرمينية فحصنوا مدنها ، وخاصة دبيل والباب والأبواب وباب اللان ، وكسال .

فاما دبيل فقد « بناها عبدالعزيز بن حاتم وحصنها وكبّر مسجدها ، وبنى مدينة النشوى ، ورمّم مدينة بردعة ، ويقال إنه جدد بناءها ، وأحكم حفر

---

(٢) فتوح البلدان ١٨٤
(٣) كذلك ١٨٨
(٤) كذلك ١٦٤
(٥) كذلك ١٦٤
(٦) كذلك ١٦٦ - ٧

الفارقين حولها ، وجدد بناء مدينة البيلقان ، وكانت هذه المدن متشعثة [٧] .

ويذكر البلاذري « ويقال إن الذي جدد بناء بردعة محمد بن مروان في ايام عبدالملك ، وقال الواقدي بني عبدالملك مدينة بردعة على يد حاتم بن النعمان أو ابنه » [٨] .

ولما ولى مسلمة بن عبدالملك ارمينية أسكن باب الأبواب « أربعة وعشرين ألفاً من أهل الشام على العطاء ، فأهل الباب اليوم لا يدعون عاملاً يدخل مدينتهم الا ومعه مال يفرقه بينهم ، وبنى هريا للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح ، وأمر بكبس الصهريج ، ورمّم المدينة [٩]

يذكر المسعودي ان مسلمة بن عبدالملك وصل الى باب اللان « وأسكن في هذه القلعة أناساً من العرب الى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع ، وربما يحمل اليهم الرزق وأقوات من البر من ثغر تفليس» [١٠] .

ويذكر البلاذري ان مروان بن محمد نزل كسال « وبنى مدينتها وهي على أربعين فرسخاً من بردعة ، وعشرين فرسخاً من تفليس» [١١] .

وفي خلافة مروان قام منصور بن جعونة ببناء حصن منصور ومرمّته « وكان قيماً به أيام مروان ليرد العدو ومعه جند كثيف من اهل الشام والجزيرة» [١٢] .

وكان الغالب على أرمينية اليمانية ، فلما جاء هرون الرشيد ولى يوسف بن بن راشد السلمي فنقل الى البلد جماعة من النزارية .. فكثرت النزارية في ايام يوسف ، ثم ولى يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فنقل اليها ربيعة من كل ناحية حتى هم اليوم الغالبون عليها» [١٣] .

---

(٧) فتوح البلدان ٢٠٤
(٨) كذلك ٢٠٤
(٩) كذلك ٢٠٦
(١٠) مروج الذهب ٢٩٤/١
(١١) فتوح البلدان ٢٠٦
(١٢) كذلك ١٩٢
(١٣) تاريخ اليعقوبي ١٥٦/٣

ويذكر المسعودي « وبين مملكة حيدان وبين الباب والأبواب من المسلمين عرب لا يحسنون شيئاً من اللغات غير العربية في آجام هنالك وغياض وأودية وأنهار كبار في قرى قد سكنوها وقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذي افتتحت فيه تلك الديار لمن طرأ من بوادي العرب اليها ، منهم مجاورون لمملكة حيدان الا أنهم محتفون بتلك الأشجار والأنهار ، وهم على نحو ثلاثة اميال من مدينة الباب والأبواب ، وأهل الباب يحذرونهم »(١٤) . ويقول أيضاً « وبالباب أزفلة من بني أمية»(١٥) .

واستغل الروم فرصة الاضطرابات التي رافقت انتقال الخلافة الى العباسيين ، فحاولوا تدمير الحصون الاسلامية التي على أطراف دولتهم ، غير أن العباسيين اهتموا للامر .

ومن اولى المناطق التي اهتموا بتحصينها هي المصيصة لأنها الثغر الذي يمكن أن ينفذ منه الروم الى انطاكية « فلما استخلف ابو العباس فرض بالمصيصة لأربعمائة وأقطعهم، ثم لما استخلف المنصور فرض بالمصيصة لأربعمائة رجل ، ثم لما دخلت سنة ١٣٩هـ أمر بعمران مدينة المصيصة ،وكان حائطها متشعثاً من الزلازل ، وأهلها قليل في داخل المدينة، فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة ١٤٠هـ وسماها المعمورة. .وفرض المنصور فيها لألف رجل، ثم نقل أهل الخصوص، وهم فرس وصقالبة وأنباط نصارى ، وكان مروان أسكنهم اياها وأعطاهم خططاً في المدينة عوضاً عن منازلهم على ذرعها ، ونقض منازلهم واعانهم على البناء واقطع الفرض قطائع ومساكن .

ولما استخلف المهدي فرض بالمصيصة لألفي رجل ولم يقطعهم لأنها قد كانت شُحنت من الجند والمطوعة ، ولم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكية في كل عام حتى وليها سالم البرلسي .. وفرض موضعه لخمس مائة مقاتل على خاصة

(١٤) مروج الذهب ١/١٩٢

(١٥) كذلك ٥/٩٥

عشرة دنانير فكثر من بها وقروا ، وذلك في خلافة المهدي» [١٦] .

« وبنى الرشيد كفربيّا ، ويقال بل كانت ابتنيت في خلافة المهدي ثم غيرَّ الرشيد بناءها وحصنها بخندق» [١٧] .

وفي سنة ١٣٩ أيضاً أمر المنصور باعادة بناء ملطية ، فندب اليها من جند أهل خراسان وأهل الشام والجزيرة حوالي سبعين ألفا « فجدّ الناس في العمل حتى فرغوا من بناء ملطية ومسجدها في ستة أشهر ، وبُني للجند الذين أسكنوها لكل عرافة بيتان سفليان وعليتان فوقهما ، واصطبل، والعرافة عشرة نفر الى خمسة عشر رجلاً ، وبنى لها مسلحة على ثلاثين ميلاً منها ،ومسلحة على نهر يدعى قباقب يدفع في الفرات .

واسكن المنصور ملطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم ، على زيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار سوى الجعل الذي يتجاعله القبائل بينها ، ووضع في شحنتها من السلاح ، واقطع الجند المزارع » [١٨] .

وفي سنة ١٣٩هـ «فأدى المنصور بمن كان حيّاً من اسارى أهل قاليقلا ، وبني قاليقلا وعمّرها ، وردّ من فادى به اليها ، وندب اليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم» [١٩] .

وفي سنة ١٤١ أ و ١٤٢هـ بنيت اذنة «والجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مسلمة بن يحى البجلي ، ومن أهل الشام مع مالك بن أدهم الباهلي ، وجههما صالح بن علي .. وقد كان المنصور أغزى صالح بن علي بلاد الروم، فوجه هلال بن ضيغم في جماعة من أهل دمشق والاردن وغيرهم ، فبنى ذلك القصر ، ولم يكن بناؤه محكماً فهدمه الرشيد وبناه» [٢٠] .

---

(١٦) فتوح البلدان ١٦٤ – ٥ وانظر أيضاً ١٦٧
(١٧) كذلك ١٦٥
(١٨) كذلك ١٨٦
(١٩) كذلك ١٩٨ (عن الواقدي)
(٢٠) كذلك ١٦٧

وفي خلافة المنصور أعاد صالح بن علي بناء مرعش «وحصّنها وندب الناس اليها على زيادة العطاء ، واستخلف المهدي فزاد في شحنتها وقوى أهلها» (٢١) .

وفي خلافة المنصور تحركت الخزر بناحية أرمينية ، فوجّه اليهم أبو جعفر « جبريل بن يحيى البجلي في عشرين الفاً من أهل الشام وأهل الجزيرة وأهل الموصل ، فواقع الخزر ، فقتل خلق من المسلمين» ولما سمع المنصور بذلك «أخرج سبعة آلاف من أهل السجون ، وبعث فجمع من كل بلد خلقاً عظيماً ووجه بهم وبفعلة وبنائين ، فبنى مدينة كمخ ، ومدينة المحمدية ، ومدينة باب ، وآمد وعدة مدن جعلها ردءا للمسلمين ، وأنزلها المقاتلة فردوا الحرب» (٢٢) .

ويذكر البلاذري أن المنصور « ولى يزيد بن أسيد السلمي ، ففتح باب اللان ورتب فيه رابطة من أهل الديوان ، وبنى يزيد أرجيل الصغرى ومدينة أرجيل الكبرى وأنزلهما أهل فلسطين» (٢٣) .

وفي خلافة المهدي أعاد الرشد بناء حصن منصور وشحنه (٢٤) وفي سنة ١٦٩هـ تم بناء مدينة الحدث على يد علي بن عيسى ، وفرض محمد لها فرضاً من أهل الشام والجزيرة وخراسان في أربعين ديناراً من العطاء ، وأقطعهم المساكن ، وأعطى كل امرىء ثلاث مائة درهم » ثم فرض على بن سليمان بمدينة الحدث لأربعة آلاف فأسكنهم أياها ، ونقل اليها من ملطية وشمشاط وكيسوم ودلوك ورعبان ألفي رجل وسميت بعد عمارتها هذه المحمدية والمهدية» (٢٥) .

ثم أعادت الروم الهجوم على الحدث فتفرق من كان بها من الجند ، فلما ولي الرشيد الخلافة أمر «ببنائها وتحصينها وشحنها واقطاع مقاتلتها المساكن والقطائع» (٢٦) .

وزاد المهدي في شحنة مرعش وتقوية أهلها» (٢٧) .

(٢١) فتوح البلدان ١٨٨
(٢٢) تاريخ اليعقوبي ١٠٧/٣
(٢٣) فتوح البلدان ٢٠٨
(٢٤) كذلك ١٩١
(٢٥) كذلك ١٨٩
(٢٦) كذلك ١٩٠
(٢٧) كذلك ١٨٨

وأعاد الرشيد أيضاً بناء بطرة ، وكانت حصناً قديماً فتحه العرب مع حصن الحدث على يد حبيب بن مسلمة ، ثم أغار عليه الروم في أيام الوليد بن يزيد، وهدموه في أيام مروان بن محمد ، فاعاد بناءه المنصور . ولكن الروم أعادوا هدمه « فبناه الرشيد على يد محمد بن ابراهيم وشحنه » ثم هاجمه الروم من جديد « فأمر المأمون بمرمته وتحصينه » ولكن الروم جددوا الهجوم عليه، مما أثار المعتصم فغزا الروم حتى وصل عمورية وأخرجها « وأمر ببناء زبطرة وحصّنها وشحنها ، فرامها الروم بعد ذلك فلم يقدروا عليها» [٢٨] .

وفي سنة ١٧٧ فتح المسلمون حصن شمشاط ، ثم استعاده الروم أيام الحرب بين الامين والمأمون ، ولكن عبدالله بن طاهر أعاد فتحه ، ولم يبق طويلاً بيد المسلمين بل استعاده الروم [٢٩] .

وفي سنة ١٧١هـ أغزى الرشيد الصائفة هرثمة بن أعين وأمره بعمارة طرسوس وبنائها وتمصيرها ففعل ، ثم أشخص إليها ندبتين : الاولى من أهل خراسان وهم ثلاثة آلاف رجل ، فوردوا طرسوس ، ثم أشخص الندبة الثانية وهم ألفا رجل : من أهل المصيصة وألف من أهل أنطاكية ، على زيادة عشرة دنانير لكل رجل في أصل عطائه ، فأقاموا الى أن استتم بناء طرسوس وتحصينها وبناء مسجدها ، وكان فيها أربعة آلاف خطة ، كل خطة عشرون ذراعاً في في مثلها ، وأقطع أهل طرسوس الخطط ، وسكنتها الندبتان في شهر ربيع الاخر سنة ١٧٢هـ» [٣٠] .

وفي سنة ١٨٠ أمر الرشيد بابتناء مدينة عين زربةوتحصينها وندب اليها ندبة من اهل خراسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل .

وفي سنة ١٨٣ أمر ببناء الهارونية فبنيت وشحنت ايضاً بالمقاتلة ومن نزل اليهامن المطوعة ونسبت اليه، ويقال انه بناها في خلافة المهدي ثم اتمت في خلافته[٣١].

* * *

(٢٨) فتوح البلدان ١٩٠
(٢٩) كذلك ٨٤
(٣٠) كذلك ١٦٨
(٣١) كذلك ١٧٠

ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادرشاه على العراق في رواية شاهد عيان

الأستاذ محمد بهجة الأثري

(١)

ولعت بالتاريخ ، وهو أبو العِبَر والمعلّم الحكيم ، وعُنِيت به على قدر انبساط الذَّرْع ، فقرأته قراءة متبصّر متدبّر . . يلتمس ما وراء كوائنه الجِسام من مناشيء وبواعثَ وأسباب تُحْدِث هذا الصراع الخطير المستمر بين البشر في قديم الدهر وحديثه .

وتهدّيتُ من جملة ما قرأت من التاريخ الى أن كل صراع بين قوم وآخرين ، وراءَه خلّة من خلّتَيْن ، تنفردان حيناً ، وتتلاقيان حيناً آخَرَ فتكوّنان رافداً واحداً يدفع إلى الاقتتال .

إحدى هاتين الخلّتين حب الامتلاك والاستحواذ ، والرغبة الجامحة في العلوّ في الأرض ، تستشري في أعماق العتاة المغامرين ، وتدفعهم الى البغي على المستضعفين من حولهم . . لا يَزَعُهم عنه وازع من عقل أو ضمير أو خُلُق ، ولا يردعهم عن الاقتتال إلّا اقتتال مثله أو أعنفُ منه ، يُضَادُّون به ، صوناً للأرواح والأعراض والأموال أن تستباحَ ، وحمايةً لتراب الوطن أن يَسْتَحْوِذَ عليه بغير الحق بُغاةٌ آثمون مدمّرون ، يتعشّقون الهيمنة ، ويَتَنَفّشُون بالاستعلاء !

والخلّة الأخرى هي هذا التعصب للموروثات القديمة من الآباء ، على فسادها طبعاً ومنشأً وغاية . ومن شأن هذه الخلة أنها تغطّي على البصائر تغطيةَ الظلام على

الأبصار ، وتورث الجمودَ الذي يتأبّى الانفتاح على الجديد المفيد الممتع ؛ وتستبقي الفاسد : عقيدةً تُقَدَّس ، ووثَناً يُعْبَدُ ، وشريعة للحياة مضللة تزري بالحياة الإنسانية التي كرمها الله، وتقعد بها عن معالي الأمور. ولكن التعصّب لا يُحِسّ هذه الزراية، لأنه متبلّد، والعقول المسحورة به لا تستطيع الانفصام عنه، لأن سلطانه عليها ذو هيمنة بالغة ، فهي تعَضُّ على ما هي عليه من فِكَر ونوازع ومعتقدات ، بالنواجذ ، وتدافع عن كل ذلك دفاعاً مستميتاً ، وتُقْتَلُ دونه ولا تتخلّى عن شيءٍ منه..سنّةٌ مضى عليها أصحاب الأهواء الأوّلون والآخرون (إنّا وجدنا آباءَنا على أمّةٍ وإنّا على آثارِهِم مُقْتَدُونَ). وهذا التعصب، في كل ألوانه وصوره وحالاته، يتجسد ، لا عند السّواد الأعظم الذي لا يعقل الحقائق ولا يعلم النّيّاتِ التي في الصدور ، بل عند الرؤساء المشعبذين المنتفعين من كَدّه ، وكلٌ كسبٍ عندَهم من عنده ! فهؤلاء هم وحدهم المتعصبون الحقيقيون المفسدون للحياة ، واليهم مَرَدُّ هذا الصراع الذي يدور بين الأقوام ، وهم يصطنعون هذا التعصب الأعمى ، ويغرسونه في نفوس أتباعهم ، استبقاءً لدوام هيمنتهم عليهم ، وحفاظاً على زعاماتهم ومنافعهم وما يمتلكون .

ولذلك ترى هؤلاء وأولئك في كل زمان ومكان في عمى عن الرؤية الصحيحة دائم ، وفي صَمَم مطبق مستمرّ ، تُضاء لهم الأنوار الساطعة فيعشون منها ويُغْمضون أبصارهم دونها مفضّلين عليها الظلام الذي هم فيه ، ويلقى اليهم القول الطّيب الحسن ، فيصمّون الأسماع عنه ويضعون أصابعهم في آذانهم حَذَرَ أن ينفذ اليها اليقين الذي يزعزع الضلال والباطل ويذهب بالنوازع الشّرّيرة ، ويُدْعَوْن الى الحقّ فيُلَوُّون الأعناق ، ويصدّون عنه صدوداً ، ويُنادَوْنَ الى السّلْم من موقع القوة والقدرة فيؤثرون الحرب وإن جرّتِ الوَبال على أبناء جِلدتهم أكثرَ مما تجرّه على من يتصوّرونهم أعداء ، وإلى الألفة والوفاق فيجنحون الى الفرقة والشقاق ، وإلى فضائل التعايش السلمي الكريم وتبادل المصالح المشتركة بالموادّة

والمصافاة والمساواة، فيردّون ذلك أقبح ردّ ، ويصرون على الحِنث العظيم. غروراً واستكباراً ، وكأنهم لهذا الشرّ خُلِقوا ! ولله في خلقه شؤون !

إن التاريخ البشريّ – منذ قتل (قابيل بن آدم) أخاه (هابيل) . وتركه في العراء . لم يُوارِ سَوْأَتَهُ ، فواراها (الغُرابُ) ! – حافل من هذا الصنف من البشر غير السّوِيّ بالكثير ، ومن شناعاته بأقبح ما يتخيّله الذهن من الصور المنكرة للحروب المدمرة ، والمشاهد الدامية المحزنة .

وما فتئ هؤلاء يتكررون ، وتتلاحق شرورهم على وجه الزمن . . ونشاهد اليوم من صورهم الشُنُع أقبح الأحوال . ومن شرورهم وهي تتحرك هنا وهناك ما يذهب بالنعيم الذي أتاحه الله وأباحه للانسان ليسعد . ويُلقي على الحياة المشرقة الوضيئة حَلَكَ الشقاء !

عصبيات ورِدّات يحاول أربابها العلوّ في الأرض ، وذرائعُهم اليه مُتعدّدة الصور ، ولكنها متّحدة الغاية ، وهي الامتلاك والاستحواذ وبسط السلطان على المستضعفين .

وكلٌّ يفكر ، فيما يحاوله ، على قدر إدراكه وتصوّره . ويصطنع لذلك الوسائل والذرائع التي تمهّد له الطريق الى الغاية .

فعصبية وردّة وانتكاس الى الوراء . . تقيم دعوتها على أصول الوثنية والإباحية وإحياء ملل ونحل وموروثات بائدة تشلّ العقول ، وتفسد الأخلاق . وتقطع وشائج الأرحام أوصالاً وأشلاءً مِزَقاً ، ناسيةً أو متناسيةً صعودَ البشر بعد تلك العصور السحيقة من الحضيض الى الأوج . وخروجَهُ من الظلمة الى النور ، والتماسَهُ دائماً السبيلَ الى الارتقاء بالحياة أُفُقاً فوق أفق وسَمْتاً بعدَ سَمْتْ . وأنَّ الرّدّة الى التفرق والتمزق والعقائد المتهرئة المزرية بالإنسان ، قد تجاوزها الإنسان السّوِيّ . وأن الانتكاس في الرّدَغات قد بات غير ممكن الحدوث ، وأن حركة التاريخ قد أثبتت أن البقاء للأصلح دائماً في كل زمان ومكان . . ذلك قانون طبيعي خالد ،

وسنة كونيّة ثابتة ، لا تتغيّر ولا تتبدّل ، تؤكّدهما البراهين الحسية وواقع الحياة وشرائع السماء (فأمّا الزَّبَدُ فيذهَبُ جُفاءً ، وأمّا ما ينفَعُ الناسَ فيمكُثُ في الأرض) .

وعصبية أخرى غيرها ، استعلنت فيها دعوى (الميراث التاريخي) فعملت على إعادة تاريخ ، من التوسع والامتلاك والاستحواذ بغير الحق ، مظلمٍ مُحْلَوْلِكٍ .. تسنّى حدوثه في بعض غَفَلات الزمن الدابر ، وكم للزمن من غفلات ! ثم ارتدّ بأهله خاسئاً حسيراً ، واختفى في الظلام ، وانتهى زماناً ومكاناً ، وعياناً وأعياناً ، وحدثت من بعد الأمور أمور ، وتلاحقت دول في إثر دول ، وتتابع على الجميع الفناء والزوال .

وتلك حجة داحضة ، وزعم باطل يَدْمَغُهُ الواقع ، وخرافة يستحيل أن تكون حقيقة وتثبت ، ولا يمكن أن يكون مثل هذه الذريعة السخيفة سبباً للاستحواذ والامتلاك يتعلق به الطامعون في المستضعفين .

هذه الذريعة الباطلة الداحضة ، من ولائد النزعة العنصرية المتعصبة ، تفتح الأبواب مُشْرَعةً أمامَ كلّ أمة من الأمم أن تتذرّع بها لامتلاك ماليس لها به حق ، عوداً على بدءٍ ، فتطالب بما اغتصبت واستحوذت عليه من البلاد في عصر مّا من العصور البائدة ، يومَ كانت الممالك مسارح ليست لها معالم ولا حدود مرسومة ، والأرض دُولَة بين الأقوياء كرّاً وفرّاً . . يطمع قوم في أرض قوم آخرين وديارهم وما يملكون ، ويعدو القويّ على الضعيف فيغلبه على أمره ، ويجيء الأقوى فيجتاحه ويسلَخُ منه عَنْوَةً واقتداراً ما اغتصب وسلب ، ويجاوزه الى عقر دياره فيخضعها لأمره ، ويقيم فيها ما شاء ، أو ينحسر عنها إذا جاءه مَدٌّ يخشاه .

وهكذا دَوَالَيْكَ على امتداد الزمان القديم .. فما ثَمَّ بإزاء هذه الحقائق التاريخية موضعٌ لِما يتذرّع به خلائف العنصريين اليومَ من (دعوى الميراث التاريخي) في مُلكٍ قائمٍ معمورٍ بساكنيه ، وقد رُسمت للأوطان حدود دوليّة ، بقانون دوليّ عام

معترف به من لدن أمم الأرض ودُوَلِها كافةً ، وهو يسقط حُجِّيّة هذه الذريعة وزَعْمَ شرعيّتها في إثبات حقّ لقوم في أوطان قوم آخرين، أقرهم عليها القانون الدولي ، وأيّده الواقع وشهادة الحال .

ويترتب على هذه الذريعة اذا قُبِلت تبديلُ وجه الأرض ما بين مشرقٍ للشمس ومغيب ، ومَسْخُ الحضارة ، وإفساد الحياة ، وإعادة البشر الى (شريعة الغاب) ، فيدعي (الإغريقيون) مثلاً ملكية (بلاد فارس) : لأنّ (الإسكندر الأكبر) سال سيل جيوشه إليها فغمر بِطاحها وقُنَنَ جبالها، وأنزل ملكها (داريوس الثالث) من عرشه ، وانتهى . ويطالب (النورمنديون) بصقلية وما بَغَوْا عليه من بلاد شمالي أفريقية . ويبغي (البرتقاليون) على جنوبيّ إفريقية والخليج العربي ، (والايطاليون) على ليبية والحبشة ، (والفرنسيون) على الجزائر ، (والانكليز) على الهند والسند والعراق ومصر وغيرها من « الملك الذي لا تغيب عنه الشمس » ، (والهولنديون) على أندونيسية ؛ إذِ استضعف هؤلاء الأقوياء في ماضيات الأيّام أصحاب هذه البلاد ، فبغوا عليهم ، ثم أُكرهوا على الخروج وطُرِدوا ، فعادوا من حيث جاؤوا خاسئين وَولّوْا مُدْبِرين . وهكذا الى آخر ما يمكن أن يذكر من صراع الشعوب والأمم ، والكر والفر ، والاستيلاء والإجلاء ، مما دخل في ذِمّة التاريخ الذي يجب أن لا يتكرر ، فالغلب للحق لا للقوة ، (وتلك الأيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ) (وِلله ِميراثُ السّموات ِوالأرْضِ) ، فليس لأحد أن يزعم لنفسه اليومَ ميراثاً تاريخياً في ملك استقرّ به أهله وادعين آمنين .

لقد بعث الله الرسل والأنبياء ، ليصلحوا الناس ، ويقيموا موازين العدل ، ويزيلوا فوارق العنصريات وما تحدثه من تعادٍ وقطيعة رحم وغصب وسلب ونهب ، ويُحلّوا في الأرض السلامَ ، فيأمَنَ الجار بَوائق جاره ، وينعَمَ الناس كل الناس بنعمة الرفاهية والأمان والاطمئنان . وقد آمن من البشر من آمَنَ ، فأمِنَ وسلِم وارتاح وأراح ، وكفر منهم من كفر وجهل وتمرد ، فعاش والشرُّ أدنى من ظلّ نفسه إليه .

وغدا وراح : لا ينام عن البغي ولا يُنيم ، وورَّثَ بنيه غرائزه وفساده ، فتعاقبوا على طريقه وهو مؤدٍّ الى الجحيم .

وقد تجسد الكفر بالحقّ والعـدل والسلام « عملياً » في فكر العنصريين من الملوك وأرباب الرئاسات والزعامات . وعند من يلوذ بهم من المنتفعين، وهم صور شتّى ، على مَسار التاريخ كله : قديمهِ وحديثهِ ، وكثيرٌ منهم يزعمون « نظرياً » الانتماء إلى دين من هذه الأديان المنزلة المعظمة . وهي تَـزَع عن البَغْي والعدوان لكنهـم لا يرتدعون، وتحبب الى الناس السلام والرفق والحلم والخير ، ولكنهم – بما يمتلكون من الحَوْل والطَوْل وما يركبهم من الغرور ، ويبتعثهم من الطمع في الاستحواذ والاستعلاء – يعصونها . ويؤثرون الحروب ، فيقيمونها في الأرض على قدم وساق ، ويعززون من أجل ذلك مواقعهم بالعصبية العنصرية ، أو العصبية الدينية . أو بهما معاً، وكلاهما شرٌّ. ويُكَرِّهُون الى شعوبهم دعوات الإصلاح والسلام، ليحملوهم على العدوان الذي يحقق لهم ما يشتهون .

وفي مقدمة هذا الصنف من أصحاب العصبيات العنصرية المتوارثة : ملوك أوربة وقادة الرأي فيها ، ورؤساء اليهود ، وشعوبيو الفرس .

* * *

١ – فأما ملوك أوربة في العصر الوسيط ،وهم الطامعون في الاستحواذ على الشرق، فقد كبر عليهم أن تقوم بوجههم دولة عظيمة على غير عصبيتهم ومُثُلهم ، فأثاروا ما يسميه المؤرخون الأوربيون أنفسهم « الحروب الصليبية » ، فتنادوا الى التحالف لاستئصالها ومحوها ، وتذرعوا لهذا الأمر الخطير بإثارة العصبية الدينية ، فزعموا لشعوبهم أن قبر عيسى ، عليه الصلاة والسلام ، في (فلسطين) مهان ومُهَدَّد ، وأن الحاكمين في هذه الأرض المقدسة « كُفّار عُتاة » لا يرعون له إلّاً ولا ذِمّة ، ويوشك أن يطمسوه .. فاستنفروهم بهذه الذريعة الكاذبة للقتال ، لإنقاذه ، فانقادوا لهم بالخدعة ، ونفروا وراء ملوكهم من كل حدب وصوب ، وانثالوا في حمية بالغة وحماسة حامية على الشرق العربيّ الإسلامي أرْسالاً ، حملةً بعد حملة ، من البر

ومن البحر ، ممعنين حيث مرّوا أو نزلوا في التخريب والتدمير والتقتيل والذبح وإبادة الحرث والنسل ، وقد ذبحوا في (المسجد الأقصى) وحدَه سبعين ألفاً حتى سبحت الخيل الى صدورها في الدماء ، فما الظن فيما كان من هذا كله على أرض مصر والشام حيث دارت الحروب سجالاً مئتي عام، وقاوم خلالـها أهلُ البلاد الغزاةَ ، دفاعاً عن الأرواح والأعراض والأوطان والمقدسات والأموال ، وثبتوا لهم ثبات الجبال ، ببسالة تفوق الخيال ، حتى أجلوا ساقتهم ، وما ظلّ بها رمق من الحياة ، وهي تجرّر أذيال العار والشنار ؟ . هذا ، وعيسى النبي عليه السلام سامي شرقي أصيل ، ليست له نسبة بالآريين أو اللاتين أو السكسون أو الجرمان من قريب ولا من بعيد ، ودينُه السّمْحُ مؤيّد من القرآن ورسول الإسلام ، ومقامُه في نفوس أهل القبلة ، لا أستثني فرداً منهم . مقامُ نبيهم محمد بن عبدالله الهاشمي القرشي : خاتَم الرسل والأنبياء. ومتمّم رسالاتهم ومؤيّدها ومعظّمها جميعاً بغير استثناء ، ومنزّهٌ عيسى وأمه مريم العذراء البتول من مطاعن اليهود — أحبّاءِ المستعمرين الزاعمين الانتماء الى المسيحية — ، وهو عليه السلام في النص القرآني قد رفعه الله تعالى إليه وأنقذه من محاولة قتلهم له ، فليس له في عقيدة المسلمين قبر في الأرض تُزْعَمُ إهانتهم له ، وأحسب أن شعوب (أوربة) لو علموا هذه الحقيقةَ الإسلامية ومبلغَ تعظيم القرآن لعيسى وأمه ، وعلموا أن القرآن يقول في أتباع المسيح الصادقين : (ولَتَجِدَنَّ أقربَهُمْ مَوَدَّةً لِلّذِينَ آمَنُوا ، الّذِينَ قالُوا: إنّا نَصارى، ذلك بأنَّ منهم قِسّيسينَ ورُهْباناً ، وأنّهم لا يستكبرون) « ٥ / ٨٢ » ، وكانوا على حظّ من العقل والهداية — لما انخدعوا بالدعايات الكواذب ، ولم يجروا منقادين لرؤسائهم ، وهم يقذفون بهم في السعير ولا يدرون ، ويقضون على السلام في الأرض باسم رسول السلام، وداعية المحبة والرفق والحلم ، ومن وصاياه للأتباع ، إمعاناً منه في دفع الشر : « من ضربك على خدّك الأيمن ، فأدر له خدّك الأيسر » يُريد الحلم في سبيل السلام ، و « أحِبّوا أعداءَكم ، فإن كنتم تحبّون أصدقاءكم ، فأيّ فضل لكم ؟ » .

ولم تبرح نوازع السيطرة والاستحواذ على الممالك نفوسَ ملوك (أوربة) وساستها في يوم من الأيام ، وظلوا على ذلك يصطنعون الذرائع لقهر الشعوب وإذلالها ، ولا سيما شعوب مادنا من (أوربة) من الأرض. وما عسى أن أذكر من عظائمهم في (الأندلس) ومحاكم التفتيش الشهيرة التي أقامها هناك فرديناند وإيزابلا ؟ ومن أفعالهم المنكرة الشُنُع في حرب الثلاث مئة سنة في الشمال الإفريقي العربي الإسلامي ؟ ومن مواصلة الزحف هنا وهناك ، واتخاذ مختلف الذرائع لذلك ؟ وقد بلغت عندهم في محاولة تقويض الانبراطورية العثمانية (مئة ذريعة)، منها : دعوى حماية الأقليات المسيحية ، وإثارة العنصريات والعصبيات الدينية والمذهبية ، وقد دوّنها (دجوفار الروماني) في كتاب سماه (مئة ذريعةِ تقسيمٍ لتركية)[1] . وقد كانت هذه الذرائع على جانب عظيم من الخطورة في إشعال نيران الحروب ، وإهلاك البشر ، وإفساد الحياة .. ولكنها في نهاية المطاف ، لم تحقق غير إرضاء الغرائز المسعورة وإشباع الشهوات في نفوس الملوك والساسة والقادة ، لمدة موقوتة قصيرة الأجل ، لا يعادل محصولها جزءاً من عشرات آلاف الأجزاء من الدماء المهراقة ، والأموالِ المُنْفَقَة ، والجهودِ المضنية ، من الأوربيين ومن الشرقيين معاً . وفي طليعة تلك الغرائز المسعورة ، هذا الذي استعلن من التشفّي في أوّل أيّام النصر الموقوت في كلام الجنرال الفرنسي (غورو) ، والجنرال الانكليزي (اللنبي) . وقد أتى الأول في يوم دخول الجيش البريطاني (دمشق) ضريحَ السلطان الراشد المجاهد البطل العظيم (صلاح الدين بن أيوب) فاستلّ سيفه من غمده ، وأخذ يلوّح للجدث الصامت ويقول : « ها نحن أولاء أبناء (كودافرو) ! فأين أبناؤك يا (صلاح الدين) ؟ » ، ووقف الثاني يوم دخل (القدس) خطيباً في أهلها يهتف بلؤم الشامت المعيرٍ وصلف المغرور: « يا أهل (القدس) ! اليومَ انتهت الحروب الصليبية ! » ، ولم يدر في خلَد

---

(١) ترجم الأمير (شكيب أرسلان) رحمه الله هذا الكتاب ، وأودعه تعليقاته الرائعة على كتاب (حاضر العالم الإسلامي) الشهير ، تأليف الكاتب الأمريكي لوثروب ستودارت ، وترجمة : الكاتب العربي الأستاذ عجاج نويهض .

(غورو) أن أبناء صلاح الدين سيثورون بعد بضع سنين على (فرنسة) ذات الجيوش الجرارة في الأرض ، والأساطيل الجـَآرة في البحار ، مستهينين بسلطانها ومثابرين على قتالها ، ثم ما لبثوا أن أخرجوها من ديار الشام ، وتم لهم إحراز النصر . ولم يخطر ببال حليفه (اللنبي) أيضاً أن العرب الفلسطينيين الذين قـُهروا وهم عـُزّل ، ثم أسلمت دولته أرضَهم لحلفائها وعملائها الصهاينة ، سيعيدون الحرب جذعـة ، ويكرون عليهم كرّاً ، أُسُوداً جبارين ، لا في طلب الثأر والتشفـّي ، فان هـذا الفكر المريض لا يخامر نفوسهم الكرائم وإنسانيتـَهم الرحيمة ، ولكن لإعادة الحق والكرامة الى نصابهما ، من موقع القوة النفسية التي لا تهزم ، وهي قوة طبيعية في العرب ، تتدفق في دمائهم تدفـُّقَ (شلالات نياغرا) ، وهي فوّارة أبداً ، وجيّاشة لا تهدأ ولا تنقطع ! .

* * *

٢ــ وأما اليهود الصهاينة ، فإنّ عصبيتهم العنصرية من الشهرة العالمية بمكان ، وتاريخهم القديم والحديث في الاستعصاء على الصلاح ، والإمعان في البغي والشر والجاسوسية والخيانة وإثارة الحروب ، يؤلف أسفاراً عظاماً ، وحسبنا أن نذكر حاضرهم في البغي الذي غطـّى على كل مسموع من بغي العتاة في الأرض قديماً وحديثاً ، فلم يتركوا لبغي الآخرين موضعاً يذكر بإزائه .

وقد خرجت هذه الصهيونية في أواخر المئة المنصرمة على العالم الحديث ــ بعد كمُون وتربص ــ بابراز هذه العصبية ، بمباركة دول الغرب ، في شكل ظاهرُه اليسرُ ، وفي باطنه العسرُ والمُرُّ والبلاء ، فجاءت تطالب بـ (فلسطين) ملكاً خالصاً لها ، وتدعو الأمم المتمدنة أن تطرد العرب منها الى الصحراء ، بذريعة (الميراث التاريخي) ، إذْ كانوا ــ فيما زعموا ــ هم أهلها القـُدُم ، وهي (أرض الميعاد) الموعودون بالعودة اليها بعد تشتـُّتهم في الأرض ، فمن حقهم أن يجمعوا شتاتهم في أرض الميعاد ، لأنهم ــ زعموا ــ هم الوارثون !

وتستند هذه الذريعة اليهودية الى فكر قديم لمحرفي التوراة وصانعي التلمود ، ثم فكر

مدوّني ما يقالُ له « بروتوكولات حكماء صهيون » ، وقد منّواْ قومهم المغلوبين على أمرهم (الرجعةَ) ، ليتَشَبّثُوا بالبقاء ، ويصبروا على بأساء الحياة ولأوائها ، ويستعدّوا في السر والخفاء ، في حالات الضعف والكمون ، الى أن تحين الفرصة للظهور والتمكن .

وقد ارتصد يهود أوربة الفرصة ، بعد أن استعدّوا لما يبغون ، حين رأوا دول الاستعمار تتحرك للاستيلاء على ممالك الشرق العربي الإسلامي ، فانضووا الى قوة إنكلترة المتعاظمة ، وجندوا كل طاقاتهم لخدمتها وإعانتها على الغلب والنصر في مقابل وعد بجعل (فلسطين) وطناً قومياً لليهود ، بعد أن عجزوا عن شرائها من السلطان العثماني عبدالحميد الثاني رحمه الله ، وأعطاهم الانكليز هذا الوعد إعطاء من يجود بما لا يملك ، كما أعطوا العرب في الوقت نفسه وعداً بتأسيس الدولة العربية في أرضهم الى جبال طوروس ، ولكنهم خاسوا مع العرب ، وبَرّوا مع اليهود ، لسبب واضح . وهو أن العرب مالكون حقيقيون لأرضهم من قبل أن يعرف التاريخ ، وأنهم لا يمكن أن يكونوا تابعين لأحد. أما اليهود الأوربيون فغرباء عن الأرض العربية ، وليس لهم في (فلسطين) فتر واحد يحق لهم امتلاكه ، فاذا مُلّكُوها كانوا عبيداً أرقّاءً للمفضلين عليهم ، ينقادون لهم طوعاً ، ولا يعصون لهم أمراً أبداً .

وذريعة اليهود التاريخية ووعد الانكليز الحديث ، وسيلتان صوريتان ، اقتضى الصراع الدولي على الشرق العربي الإسلامي إبرازهما ، ليتخفى الاستعمار الدائم وراءهما ، ويُبْقي وجوده ثابتاً في هذه الرقعة الواسعة العظيمة من قلب العالم ذات الشأن السّوْقي الخطير والثروات النفطية والكنوز المعدنية التي لا تُكاثَرُ ، ومنها اليورانيوم والذهب والفضة والنحاس ، وعلى هذا كله تتوقف الحضارة المادية وبقاء أوربة . وأُعلن تقسيم فلسطين بين أهلها العرب واليهود الطارئين عليها . ثم أنشئت (اسرائيل) ، وقوتل العرب وهُجِّروا ، لتكون فلسطين كلها لليهود ، ومُدّوا بالمال والسلاح الفتاك من كل صوب ، سراً وعلناً ، وأُغروا بالبلاد العربية المجاورة لفلسطين ، فأشعلوا نيران ثلاث حروب ، ومنها واحدة تحالفت فيها إنكلترة وفرنسة واليهود ، فهجموا على مصر

لإزالة دولتها الوطنيـــة، إذْ طردتِ النفوذ الإنكليزي ، واستقلت استقلالاً فعلياً .
ورقعـــة (اسرائيـــل) الحقيقية في ذهن هؤلاء ومخططهم الاســـتعماري ، تمتد ما بين الغرب والشرق : من نيل مصر الى خانقين ومنافط الخليج العربي ، وما بين الشمال والجنوب : من جبال طوروس في الشمال الى ما وراء أرض الحجاز المقدسة ، وفي الحجاز غيرُ كنوزه الغنية مصادرُ قوة العرب والإسلام المعنوية : المسجد الحرام ، والكعبة المشرفة ، ومثوى خاتم النبيين ، ومنازل الوحي ، ومِنىً ، وعرفة . . . !

ونعود الى (دعوى الميراث التاريخي) التي تذرع بها الصهاينة المتهوّدون للاستيلاء على (فلسطين) ، وأظهرت الدول الاستعمارية اقتناعها بها فأنفذتها لبلوغ الأهداف التي ذكرتُ . لنظهر زيفها وباطلها . وفي هذا تقوم أمام النظر العلمي المتثبت ثلاث حقائق : —

الحقيقة الأولى : أن هؤلاء الصهاينة هم متهوّدون من أصول خزرية أو روسية أو بولونية أو انكليزية أو جرمانية . . تهوّدوا في الأزمنة الأخيرة ، وتفصل بينهم وبين بنـــي اسرائيل أزمان وأزمان ، فلا يمكن أن تكون لهم ماتّة عرقية بهم إطلاقاً ، وبنـــو اسرائيل في قديم الدهر ضربتهم الأمم ضربات ماحقة ، فقلّوا جداً . ثم بادوا.. ، ضربهم (سرجون الآشوري) ، ثم (المصريون) ، فـ (البابليون) ، فـ (الرومان) ، ولم يـرَهم (تيطس) خليقين بأن يرحموا . فليس لمتهوّد أن يدّعي أنه من سلالة بني إسرائيل ، ودون إثبات دعواه خَرْط القتاد ، والتهوُّدُ لا يثبت ماتّةَ النسب ، ولا يحقق وراثة .

والحقيقة الثانية : واقع (فلسطين) الجغرافي ، وهو أظهر من إشراق الضحى لذي عينين وضوحاً وانكشافاً ، وأغنى من أن يبرهن عليه فيذكر أن هذه البقعة العربية المباركة جزء من (الشام) موصول بأرض (الحجاز) العربية المقدسة ، و بـ (بادية السّماوة) ، فـ (العراق) . . و(العراق) و (الشام) متصلان ليس بينهما حاجز ، وهما امتدادان لـِ (جزيرة العرب) يضربان إلى أعالي (ما بين النهرين) حيث (ديار بكر بن وائل) ، و (ديار ربيعة)، و (ديار مضر) .

والحقيقة الثالثة: واقع (فلسطين) القومي في التاريخ ، وهذا الواقع متولد من الواقع الجغرافي، ومرتبط به ارتباطاً وثيقاً ، لا ينفكُّ عنه بحال من الأحوال . ومن هنا... من الامتداد الطبيعي للأرض العربية ، كان الوجود العربي أسبق وجود في (فلسطين) فيما حدّث التاريخ، وكان (العمالقة) وهم من العرب العاربة الأقحاح السبّاقين الى توطن هذه الأرض المباركة . وكان منهم ملوك العراق والجزيرة وجبابرة الشام (الكنعانيون) وفراعنة مصر . وتحدثت التوراة عن (العمالقة) هؤلاء ، و بسطت قصتهم في«سفر العدد الذي هوالسفر الرابع من أسفارها»،وجاء فيه: أن النبي (موسى) عليه السلام أرسل (بني إسرائيل) الى (فلسطين)، وكان (بنو عناق العمالقة) يسكنون أمامهم في أدنى الأرض المقدسة ، ورأوهم كبار الأجسام ، طوال القامات ، أشدّاء أقوياء ، فجبُنُوا عن لقائهم ، وارتدوا على أعقابهم هلعاً منهم ، فقالوا لموسى في ملَئِهم : « قد ذهبنا الى الأرض التي أرسلتنا اليها ، وحقّاً إنها تفيض لبناً وعسلاً ، وهذا ثمرها — وقد حملوا منه — ، غيرَ أن الشعب الساكن في الأرض معتزّ ، والمدن حصينة عظيمة جداً ، وأيضاً قد رأينا (بني عناق) هناك : (العمالقة) ساكنون في أرض الجنوب ، و (الحثيون) و (اليبوسيون) و (الأموريون) ساكنون في الجبل ، و (الكنعانيون) ساكنون عند البحر وعلى جانب (الأُرْدُنّ) . »

وتحدثت التوراة أيضاً : «أن الإسرائيليين،تَمَنَّوْا أن يموتوا في (مصر)،أو في المهمه القفر، وذلك أحبّ إليهم من أن يدنوا من (فلسطين) حيث(العمالقة) القوم الجبارون ، وتساءلوا : « لماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض ، لِنَسْقُطَ بالسيف ، وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة ؟ أليس خيراً لنا أن نرجع الى (مصر) ؟ فقال بعضهم لبعض : نقيم رئيساً ، ونرجع إلى (مصر) » !

وأسفار التوراة في مواضع عديدة منها تطلق على (فلسطين) اسم (أرض كنعان) و (أرض الكنعانيين) .

وليست بي — بعد كلام التوراة هذا — حاجة إلى أكثرمنه في إبطال حجية (الميراث التاريخي) اليهودية، لـ (فلسطين)، التي تذرع بها متهوّدة أوربة، وإثبات

العكس . وقد ظلت (فلسطين) مشغولة بالعرب في جميع أدوار التاريخ المتقدمة ، وكان السلطان فيها لهم ، إلا في مدتين قصيرتين جداً بالقياس الى عمر التاريخ : المدّة التي أقام فيها بنو اسرائيل دويلة لهم على جزء من فلسطين ، إذ جرؤوا على دخولها بعد ضعف العمالقة ، فجاؤوها طالبين الاستيطان ، ثم كان ما حدث لهم من الإجلاء والسبي والإبادة ، والمدّة الثانية هي المدّة التي سيطر فيها الرومان عليها . ثم لفظت الأرض العربية هؤلاء وأولئك ، لأنهم دخلاء عليها ، وآلت الى قومها الطبيعيين الشرعيين ، وكان مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى ، وكان الفتح الإسلامي ، وزار الخليفة الراشد الفاتح العظيم عمر بن الخطاب رضوان الله عليه البلاد المباركة ، ولبثت بعده عربيّة اسلامية الى زماننا هذا ، وأهلها من مسلمين ونصارى هم صُيّابة العرب من سلالات العماليق وعناق وكنعان ولَخْم وجُذام وغسّان ، وهم قوم لَقَاح : لا يدينون لمتغلّب طارىء ، ولا يستخذون لقوّة ، ولا ينامون على ضيم . ولسوف يعلم الصهاينة لمن تكون عقبى الدار !

* * *

٣ـ وأمّا الشعوبيّون ـ وهم عنصريون وباطنيّون ملاحدة ، من سلالات الملوك والمرازبة والدهاقين ، وسدنة بيوت النار المغلوبين على أمرهم ـ فإنّهم أشباهُ الملوك والقادة الأوربيين الصليبيين ورؤساء اليهود ، في تعصبهم العنصريّ الأعمى ، واستمساكِهم بالموروثات الفاسدة ، واتخاذِ دعوى (الميراث التاريخي) ذريعة للاستحواذ على ما ليس لهم به حق من المُلْك ، وفي قَرَمِهم إلى الدماء ، وشوقهم إلى إشعال نيران الحروب ، والعدوان على العرب خاصّةً .

وقد عاش هؤلاء الشعوبيون دهرَهُم كلّه ، وهم يحلُمُون بإعادة الدولة الساسانية الإقطاعية الجائرة إلى (إيران) ، وإلى (العراق) وما وراءه من الوطن العربي ، وإحياء المِلل والنِّحَلِ الفارسيّة القديمة . وقد مضت عليهم مِئون من السنين ، وهم يضربون بقرونهم صخرة العروبة والإسلام ، ويركبون أثباجَ لُجَجٍ هائجة من الجنون مع الهالكين ، لإدراك ما يبتغونه من هذه الغاية ، لا يفتُرون عن اللهاث وراء السمادير والأحلام .

وكان الساسانيون قد طغوا على (العراق) و (بلاد البحرين) ، وحواشي جنوبيّ (جزيرة العرب) حتى (اليمن) ، فملكوها في غفلة الزمان عَدْواً بغير الحق ، وبسطوا سلطانهم عليها ، وساموا أهلها سوء العذاب ، كما طغى الروم البيزنطيون على (أرض الشام) ، وهي عربيّة خالصة ، فاستولوا عليها ، وما هم منها في قَبِيل ولا دَبِير ، وكلاهما غاصب جائر ، وما لامتلاك الغاصبين بقاء .

ونهض العرب بالإسلام ، أو نهض الإسلام بالعرب ، فأجلوا الساسانيين والبيزنطيين جميعاً ، واستَردُّوا منهم ما اغتصبوه ، وأعادوا الأرض العربية إلى وحدتها وطبيعتها الجغرافية والتاريخية والسكانية .

حقٌّ طبيعي لهم ، لا امتراءَ فيه .. أُخذ منهم بالقوّة فاستردوه بالقوّة ، وما ثَمَّ منهم بغيٌ ولا جوْر ولا اعتداء . وليس لأحد أن ينسبهم إلى شيْءٍ من هذا فيما صنعوا واستردّوا من أرضٍ هم أهلُها ووراّثها التاريخيّون الحقيقيّون ، وليس لطارىءٍ غاصبٍ لها بقوته الباغية ذرَّةٌ من ترابها ، يحقّ له ادّعاء ملْكها ووراثتها .

ثم خرجوا بعد ذلك إلى أمم الأرض رُسُلَ سلام ، ودعاة أخوّة ومساواة وفلاح ، وبأيديهم النورُ الّذي يَحسِرُ الظّلام، ويَهْدِي الى سُبُل الخير ؛ والحقُّ المبينُ : يضعون في موازينه العادلة كلَّ أمر من أمور الحياة في نصابه الصحيح ، وينصرون به المظلوم ، ويأخذون على يد الظالم ، كما تفرض قوانين السياسة الشرعية وهي عدل مطلق ، ولم يكونوا طامعين فيما وراء ذلك من البقاء في الملك والسلطان ، فإن الملك لأهله ، والسلطان عليه لأهله ، والله هو وارث الأرض ومن عليها وما عليها ، ويورثها مَنْ يشاء من عباده، كما تقرر في الفكر الإسلامي الذي هيمن على سلوك قادة الفتح، وقد كانوا هُداةً معلّمين ، وما كانوا في الأرض بُغاةً جبّارين .

وتقبّلَت شعوب (إيران) ، في جملة أمم الأرض التي تفتحت للنور وللحق ، رسالةَ الإسلام هذه ، تَقَبُّلَ الأرضِ العطشى الغيثَ المِدرارَ : صابَ عليها بعدَ جَدْبِ السِّنينَ ، فغاثَها ورواّها وأنعشها، فاهتزّتْ ، وربَتْ ، وأنبتت من النبات

النّضْر كل لون بهيج يرِفّ بالحياة ويُشرق بالأنوار . . وأسلمت وجوهَها لربّ العالمين مالكِ المُلك وحدَه ، بعدَ أنْ كانت تُسلِمُها في ذلّ ومسكنة للملوك المتجبّرين والمرازبة والدهاقين . وعبَدَتْه وحدَه لا شريكَ له ، وأخلصت له العبادة ، بعدَ أن تعبّدت للنار وللبدود والأوثان ، وتناهبتها هيمنات السّدَنة من الموابذة والهرابذة ، وضربت عُرْضَ الحائط بما أفسد حياتَها ، وأمات ضمائرها ، وشلّ عقولها ، وأعمى بصائرها أن ترى النور والحقّ ، من مُوحيات الزندقة والإباحية والشرك . ومضت في طريق الحق والخير والجمال ، وأيديها بأيدي العرب النبلاء ، تشدّ عليها شدّاً ، تؤلّف معهم وحدة بشريّة متحابّة متعانقة نزيهة الغاية : تهتدي وتهدي بالحق ، وتستنير بالعلم ، وتصلح ، وتعمّر ، وتمدّن ، لتحقيق السعادة للانسان من كل عرق ولون . وحبُّها هذا الدين الذي خامرَ قلوبها ، استتبع حبَّ العرب ، لأنهم مادّته . وحبَّ العربية لأنّها لغته . وقد استعلن هذا وذاك فيما أقبلوا عليه ، أو أقبل عليه نُبَغاؤهم ، من التثقّف بالعربية ، والإقبال على التأليف في نحوها وصرفها وبلاغتها وأدبها وعلومها وفنونها إقبالاً يثير الدهشة ، وقد برعوا وأبدعوا فيما ألفوا وكتبوا . وشواهدُه من الاشتهار والوضوح بمكان . وحين ذَرَّ بينهم قَرْن الشعوبيّة ، صدعوها ، وحمدوا الله تعالى أن عصمهم من وَصْمَتِها ؛ لأنّها ردّة وجهل وسفَه . . جرى ذلك على لسان جارالله محمود الزمخشري المفسر البلاغي اللغوي النحويّ الأديب في (مُفَصَّلِه) ، وعزّزه بمدح (العرب) في قصيدةحارّة المشاعرماتعة البيان وهي في ديوانه. وفخر الفيلسوف الرياضي المؤرخ أبو الريحان البيرونيّ الخوارزمي مثل فخره بالعرب ، بل آثر الهَجْوَ بالعربية على المدح بالفارسيّة . وكلامه في هذا الشأن في كتاب الصيدنة ، لم يرْقَ إلى مثله عربيٌّ صُبّابة في فخره بقومه العرب ! وهذا كله صادرٌ ونابع من الإيمان الصحيح بالإسلام ، والاقتناع العقلي العلميّ بالأصالة العربية ، ولا ريب .

وقد كان قيام الشعوبيين شذوذاً عن الإجماع الإسلامي . . ومرَدُّ ذلك الى أنهم عنصريّون من سلالة الملوك والمرازبة والدهاقين ، ومن ورثة سَدَنة النّوْبَهار وبيوت النار

وقد كان آباؤهم يؤلفون بِنية الدولة الساسانية الإقطاعية ، وإليهم كان الملك والسلطان السياسي والديني ، وتصريف الأمور والعقد والحلّ ، وإليهم كانت تساق الجبايات من الجماهير فينعمون بها ، إذْ هؤلاء يَعْرَوْن ويجوعون ويشقَوْن . فلما قوضت هذه الدولة الإقطاعية ،زال منهم جاه السلطان الذي كانوا يعلون به على المستضعَفِين ، والنعيم الذي كانوا به يسعدون . فحقدوا على العرب أن كانوا هم الذين أفقدوهم سلطانهم ونعيمهم ، وجاههم وإقطاعهم ، وضربت الخُنْزُوانة العنصريّة أنوفهم ، فاستكبروا أن يسلموا ويؤمنوا بالدين الجديد ويدخلوا مع العرب في السلم ، كما أسلمت وآمنت ودخلت الشعوب الإيرانية في السلم ، وصوّر لهم الفكرُ العنصريُّ (العَرَبَ) فاتحين عنصريين على غِرارهم ، جاؤوهم قاهرين ومُذِلّين . وانغلقت رؤوسهم على هذا الفكر ، فاستعصى عليهم أنْ يفقهوا أنّ فتح العرب فتح عامّ لا يخُصّ الأفق الإيرانيّ وحدَهُ ، وأنه فتح هداية وتبشير بما ينفع الناس وإصلاحٌ يُحَرّر من الظلم والقهر والعبودية والفساد ، وليس فتحَ ممالك وتسلّط وقهر وإذلال واستعباد ؛ وأنْ يدركوا — إلى ذلك — أنّ المنافع والمكاسب التي نعم بها آباؤهم في سلطانهم الجائر حراماً وظلماً ، سينالونها بالإسلام حلالاً طيباً لا شائبة فيه من سلب السلطان واغتصابه ، ولا أثر فيه من عفونة تحايل السّدَنَة على الجماهير ، إذا صلحوا حقّاً ، وعمِلوا صالحاً ، وطلبوا الكسب من وجهه الحلال ، وكانوا خِياراً ؛ فإنّ خيار أهل الجاهلية العرب ، كانوا في الإسلام خيار الأمة ، وقد أصابوا بالنية الطيبة والأعمال الصالحة حظوظاً من الخير والسعادة ، وعلت مكانتهم أضعاف ما كانت عليه قديماً ، وأصبحوا في تاريخ البشر عناوين عالمية تضرب بهم الأمثال .

من هنا بَيّتَ هؤلاء العنصريون المجوس أن يقوضوا الدولة الإسلامية ، ويمحوا آثار العرب والإسلام من النفوس ، ويعيدوا الى (ايران) الدولة الفارسية الإقطاعية وديانات الفرس القديمة .

وكانوا أعجز عن الإصحار بعملٍ ممّا يأتونه أمام قوتين عظيمتين اندمجتا فألّفتا الدولة الإسلامية في الأرض الإيرانية : قوة الفاتحين وهي قوة نفسيّة وخلقيّة ، وقوة

الشعوب الإيرانيّة المؤمنة وقد شدّت أواصرَها بالعرب وبالإسلام ، وهي من الكثرة الكاثرة بالموضع الذي لا يُغالَبُ . فلجؤوا الى التستر والنفاق : يتآمرون ، ويضعون في مرحلة الكمون خِطَطَ الهدم من كل نوع ، وأظهروا إسلامهم وهم منطوون على قتله ، وتزيّوا بالزي العربي ، ووضعوا على رؤوسهم بدل القلانس العمائمَ وهي تيجان العرب ، وانتموا إلى القبائل العربية الكبرى انتماءَ وَلاء ، وسمّوا أبناءهم أسماء عربية ، عدنانية وقحطانية ، وتكذّب الكثيرون منهم وفي مقدمتهم زعماؤهم السياسيون ، فادعوا تحدرهم من أصلاب أهل بيت النبوة .ودفعوا أبناءهم إلى تعلّم العربية وإتقانها ، وقراءة القرآن والحديث ، والتفقّه ، والتأدّب والكتابة وقرض الشعر ، لاتخاذ هذا كله وسائل يفسدون بها الفكر العربي بما يدخلونه عليه من أضداده ، باللطف والتحايل ، كما جاء النصّ على هذا صريحاً في قول واحد منهم ، وأيّدته أفاعيلهم وأباطيلهم ، قال : « نرفض في الظاهر ما بيننا من العداوة ، ونظهر موافقتهم ومساعدتهم ، وندخل في دين محمد ، ونؤمن به ، ثم نفسد عليهم دينهم بلطيف الحيل ، وندرك منهم ما لا يمكن إدراكه بالقهر والغلبة [1] » « فسلّموا — كما قال المسعودي — ظاهر الشريعة ، ولكن ذهبوا يقولون في تأويل معانيها ، ويأمرون المدعوّ — عند أخذ العهد عليه — بستر ما يكشفونه له من كتاب الله ، ومنهم من يقول للمدعوّ عند ذلك : أُسْتُرْ ما أكشفه لك من كتاب الله ، وتأويل التأويل ، وتبليغه الى مراتب ينتهون به اليها ، ويسمونها (البلاغ) ، وغير ذلك من دعواتهم ، ووجوه سياساتهم ، وأسرارِهم في ذلك ، ورموزِهم [2] » . وفي كتابي الغزالي : « فضائح الباطنية » و « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » وكتب الفرق والنِّحل — تفاصيل هذا الإجمال للمخطط الذي رسموه لإبطال الإسلام تحت (غطاء الاسلام) ، وتشقّقوا على الأيام كتفاريق العصا سبعين فرقة ، بل أكثر ، عُرفوا بالغلوّ المتناهي

(١) حكاه أبو محمد عثمان بن عبدالله العراقي في « كتاب الفرق المتفرقة بين أهل الزيغ والزندقة » ، ص ١٠٠ ، طبعة أنقرة ، ١٩٦١ .

(٢) علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والاشراف، ص ٤٣٢ ، طبعة مصر ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

وسُمّوا (الغالية) و (الغلاة) ، ولكنهم اتفقوا على العمل بهذا التأصيل الباطني الذي يُحل الديانات الفارسية القديمة محل الإسلام ، بافساد عقول الايرانيين وغيرهم ، ليدفعوهم الى الانتقاض على الدولة العربية الإسلامية . وأقاموا الفتن والحروب على قدم وساق في الأرض الإيرانية وفي عقر الوطن العربي ، ولا سيما ما جاور أرضهم منه ، على امتداد التاريخ ، وأسالوا الدماء هنا وهناك أنهاراً ، وذهبوا بأرواح الملايين ، وأمعنوا في الفتك بالخلفاء والوزراء والكبراء وغيرهم في جنون مستعر ، ولكنهم ما استطاعوا أن ينالوا من جوهر الإسلام منالا ، فظلّ سليماً مُعافىً على كثرة ما حاولوا من إفساده لقتله ، ولا قدروا أن يقهروا العرب ويقيموا في ديارهم الدولة الفارسية الوجه واليد واللسان ، وما دَنَوْا إلى شيْ من ذلك الا أُبعدوا وأُبيدوا ، وارتد عليهم وبالُ أمرهم ، وآبوا خزَايا خاسرين .

ترصد سلفهم (الساسانيون) (الإسلامَ) وهو يشرق من (حِراء) ويتصاعد نوره ويبهر ، واليَقَظَةَ العربيةَ هناك في غربي الجزيرة العربية وهي تؤلّف الشمل وتوحد الصف وتجمع الأطراف ، وأدركوا من مواقعهم في العراق وأطراف الأرض العربية الأخرى أن هذا الأمر له ما بعده ، وما كان في استطاعتهم أن يقتحموا الرمال والوعور على العرب ليذهبوا بهذا الأمر الجديد الذي لم يكن في حسابهم شيْ منه ، فسلكوا أيسر السبل إلى ما يبتغون ، فكانوا وراء المتنبئين الكاذبين يدفعونهم الى قتال الإسلام في أواخر أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ، فَقُضي عليهم ، وما نفعوهم شيئاً .

والتحق الرسول عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، وتولّى الخِلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقامت بوجهه الردّة : ردة بعض قبائل الأطراف ، بتدبير من هؤلاء الساسانيين ولا ريب ، فما لبث أن قضى على هذا الحادث ودفنه ، وأبطل تدبيرهم ، وردّ المغرَّرَ بهم إلى اليقين ، وضمّهم الى الشمل الموحّد ، ليعدّهم مع من يعدّ لتطهير الأرض العربية من البيزنطيين والساسانيين جميعاً ، وحمل رسالة الإسلام الى ما وراء الحدود ، ولم يتمَّ له ، لقصر مدته ، وتم للفاروق رضي الله عنه بعده .

وهلعت قلوب الفرس، إذْ حرر الفاروق (العراق) وامتدّ الزحف العربي الإسلامي الى عقر الأرض الفارسية ، فدعا يزدجرد الى عقد مؤتمر نهاوند ، فقرروا ضرب الدولة العربية الإسلامية في شخص الخليفة ، ثم ينظر ما يكون بعدُ ، وقتل (فيروز أبو لؤلؤة المجوسي) العنصري المتظاهر بالإسلام نفاقاً الخليفة الفاروقَ رضوان الله عليه، وهو يصلي الصبح في مسجد الرسول ، فذهب الى ربه شهيداً، ولم تذهب معه الدولة .

ولم يعدلوا عن هذه الخطّة ، فلما ولي الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتقدمت الجيوش الإسلامية تفتح خراسان وكرمان وسجستان وغيرها من مدن آسية وأفريقية والبحر المتوسط . شغّبوا عليه الغوغاء من الداخل، وأحدثوا الفتنة الداخلية الكبرى ، ليبطلوا هذه الفتوح في الخارج ، ويسقطوا الخلافة . إلى أن انتهوا الى حصاره وقتله صبيحة عيد الأضحى وهو يقرأ القرآن في بيته بالمدينة ، فمضى الى ربه شهيداً كسابقه ، ومضت جيوش الإسلام في طريق الفتح ، ولم تقتل الدولة بقتله .

وولي الخلافة بعده علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، فدبر (زادويه) القائد الفارسي مع الخوارج مؤامرةً سوداء انتحت حياته وحياة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، ولم تختلف هذه المؤامرة عن سابِقَتَيْها مقصداً وغاية ، ونال الإمام الشهادة وهو داخلٌ مسجد الكوفة في تبلج الفجر للصلاة ، فلقي الله بدمه شهيداً كسابقيه . ولم تنتقل الدولة الاسلامية بعده الى الفرس .

وقامت الدولة الأُمَويّة، ولم يقعدوا عنها، ومضوا في الكيد لها أعنف ما يكونون، وتآمروا عليها في السر مع بني العباس المنافسين للأمويين ، وتولى كِبْرَ الأمر العظيم فارسي من صميم الفرس ، من سلالة يزدجرد الملك الساساني ، كان حقده على العرب والإسلام قد تقيّح في صدره ، حتى سمّى الأمويين « الشجرةَ الملعونة » . ذلك هو (أبو مسلم الخراساني). ولكن نيّات الفريقين المتحالفين كانت متباينة أشدّ التباين ، وكان ما يضمره الخراسانيون غير الذي يضمره العباسيون ، ولم يجهل

العباسيون أن القوم يتخذون من اسمهم غطاءً ، وفي أنفسهم أن يكرّوا عليهم بعد النصر فيزيحوهم ، ليخلو لهم الجوّ ، وينقلوا الدولة إليهم . وهذا ما أصحرت عنه مواقفهم من العباسيين بعد قيام دولتهم ، فأحدثوا لهم الفتوق العظيمة ، وشغلوهم بتدابيرِ سدِّ الثُّلَم ، وقَدْع الفتن ، وإطفاء الحرائق – عن مواصلة الفتوح ، فتوح الهداية ومدّ الإسلام إلى الآفاق البعيدة كما فعل المسلمون الأُوَل ، قصداً الى إيهانهم ، وكسر شوكتهم ، وإسقاطهم ، لينقلوا الملك الى أنفسهم ، ويجعلوه فارسي الوجه واليد واللسان.

واتصلت أفعالهم في هذا الشأن ، ما فتروا عنه منذ قامت الدولة في سنة ١٣٢ هـ إلى أن عصفت بها ريح (المغول) الصفراء ، فأتت على أمّ عواصم الدنيا (مدينةالسلام) وعلى حضارتها الزهراء (سنة ٦٥٦هـ) ، وعجزت الدولة عن الوقوف بوجه هؤلاء الوحوش ودَرْء عاديتهم بما أدخله هؤلاء الشعوبيون العنصريون على الأمة والمِلّة من الوهن الذي أضعف المُنّة ، وكانوا يريدون عاقبة ذلك لأنفسهم ، فصارت لغيرهم !

ومع هذا ما انقطعوا ، بعدَ زوال الغاشية ، عن مواصلة حربهم للعرب والإسلام ، فعادوا برؤوسهم المنغضة إلى مثل ما بدأه أسلافهم من البغي والعدوان ، وما لبلاياهم مَدًى يُحَدّ ، ليبلغ القلم غايته في الإبانة عنها ، وحدِّثْ عن بلايا خالفيهم ولاحَرَج.

* * *

وألمح هنا إلى كُبْرَيات النوازل الجوائح الّتي انْتَحوْا بها (العِراق) خاصّةً ، ولم تسلم من مثلها أطراف أخرى عربية وغير عربية أيضاً .

وأولها أفاعيل (الصفويين) سلالة (الشيخ صفي) أحد دراويش (أردبيل) ، وأخَصُّها أفاعيل أَفْعاهُمْ (إسماعيل) ، مؤسس دولتهم ورأس (القِزِلْ باش) المتصوّفين الباطنيين . والبغداديّون ما برحوا يتذكرون هذا المخلوق غير السوي ، ويذكرون ببالغ الألم فتحه مدينتهم ، وفتكه الفتكَ الذَّريع بأسلافهم ، وقتله العلماء والوجوه والأعيان ، وتدنيسه المساجد الجوامع ، ونبشه قبور الأئمة ، إلى أن نكص على عقبه مدحوراً [1] خزيان ، وقد كان في خياله أن يلحق (العراق) بـ (فارس) ، ويخضع العرب للفرس ، فما تمّ له ذلك كجاري العادة في كل مرّة .

(١) أنظر التعليق (٣٠٩) في القسم الثاني .

ثم حملات (نادر طهماسب قُلِـي الأفشاري) ، الّذي نزا على عرش سلالة الدرويش صفي بعد اضمحلال دولتهم ، وورث منهم ما ورثوه من أسلافهم من فساد ، ومن خيال حشيشيّ يعدو بهم وراء سراب عودة الملك الساساني المجوسي ، فاندفع إلى ذلك يميناً وشمالاً ، ووجّه أعظم حملاته إلى العـــراق [١] ، فانتظمت البصرة وبغداد وكركوك والموصل ، وألقى ثقله كله على (بغداد) ، وكان عزمـــه كما صرح لوفد الصلح التركي ــ أن يتوغل بعدُ إلى (اسلامبول) ، ويسقط سلطان الـــروم ، يعني الترك العثمانيين الذين وقفوا بوجـــه المدّ الفارسي ، وكـــان كل من الفريقين يحاول التوسع وبسط السلطان ، وهذه الشعوب الوادعة التي سحقتها الحروب من عن يمين وعن شمال هي الحب المطحون بين شِقّيِ الرَّحَى . ثم كَرَّ الى بلاده مدحوراً ليطفئ ثـــورة شبت فيها انتحت الإدالة منه ، ثم هلك ، ولم يحقـــق لفارس شيئاً ، وإنما حقق لها كأسلافه الانسحاق والتخلف وقبح السمعة .

ثم أدرك القومَ الوَناءُ ، مدّةً ما ، إلى أن زالت دولة القاجاريين ، وكانت على غاية من الضعف بسبب الحكم الاستبدادي ، وهو عريق في الفرس ، فانتزى على عرشهم رئيس اصطبلات جيادهم :(رضا الفهلوي) ،وكان طاغية سفّاحاً ، بعيدَ مطارح الأطماع وعلى حظّ من الجهل كبير ، وفي رأسه حلم أسلافه أيضاً ، وبدأ يحققه فيما كان يخال ، واستضعف إمارة المحمرة العربية الصغيرة فضمّها الى إيران ، وغافص [٢] أميرها العربي با لاحتيال عليه ، وباتت في نفسه أشياء حالت الحرب العالمية الثانية دون شروعه في تحقيقها ،إذِ انكفأالإنكليز والروس على إيران ،فأُسِر ونُفي ، وهلك في منفاه ، ولو عاش لما بلغ مُناه أيضاً كمن سبقوه .

وولي بعدَه صبيُّه ، فأُلقيت إليه الأحلام ، واستعلنت النّيات الّسود فـــي التصريحات بشأن الخليج العربي والبحرين ، وانتُزِيَ على ثلاث جزائر عربيـــة « سَوْقيّة » : أبي موسى ، والطنب الكبرى ، والطنب الصغرى ، وضُمّت أجزاء

(١) تراجع الوثائق التاريخية عن حملاته في القسم الثاني .
(٢) غافص الرجل : أخذه على غرة ، فركبه بمساءته .

من ماء العراق وأرضه الى إيران، ومُدٌ خارجيٌّ في شماليّه بالمال والسلاح أمداً طويلاً، استُنْزِفت فيه أموال، وأريقت دماء، وخُرِّبت بلاد، وكُدِّس السلاح الفتاك والعتاد الذي لا ينفَدُ، إذْ جُوِّعت شعوب إيران واشْتُرِي بالمليارات من واردات النفط ومن جبايات الضرائب المضروبة على المسحوقين، لغرض مُبَيَّت، وخُلع الشاه المتغطرس قبل أن يضرب بهذا السلاح البلد الذي يريده، ليحقق الحلم العنصري الشعوبي القديم.

وجاء ورّاثه، وقد أعلنوا إيران « جمهورية إسلامية ! »، وإذا هم من أول يومهم يشغبون على المسلمين، ويتطاولون في « إذاعاتهم » على الدُّوَل العربية المجاورة، ويقذعون في شتمها ويسرفون، ويحرّضون شعوبها على الانتقاض، ويبغون على بيت الله الحرام، حيث الناس آمنون : يدسون اليه السلاح الفتاك على أيدي بغاة خوارج، فيفتكون بالطائفين والركع السجود، ويخربون المسجد الحرام، ويشيعون الذعر في المؤمنين العزّل الوادعين. ثمّ إذاهم ينكفؤون – بما كدّس الشاه المخلوع من هذا السلاح والعتاد – على (العراق الحديث)، فيفرضون عليه حرباً ضروساً، طوت ذكر حروب الصفويّ إسماعيل والأفشاريّ نادر شاه، وقد امتدت إلى الآن عشرة أشهر[1]، لا يهدأ لها أوار، ساعةً من ليل أو نهار، وتنادت الدول الإسلامية، والهيآت الدولية لإيقاف هذه الحروب، إذِ اليهوديةُ الصهيونية من الجانب الغربي تواصل ضرب البلاد العربية الإسلامية، وتعدّدتِ الوساطات، وكثر الذهاب والإياب في السفارة والمساعي الحميدة، فأبى هؤلاء « المسلمون ! » إلّا البغي ودوامه، وتغطرسوا، وذهب رئيسهم بعنجهيته بعيداً، فأعلن أن (عمق العراق) هو حدّ إيران ! وقد جُنّ جنونُهم أنْ قدر (العراق) – وأرضه وناسه أقل من رُبع رُقعة إيران وناسها – أنْ يستردّ ما اغتصبه الشاه المخلوع وأبوه من أرضه ومائه خطفاً في بضعة أيام، ثم يمضي جيشه هذا الباسلُ العظيمُ قُدُماً، فينقلُ رَحى الحرب إلى (عمق إيران) على امتداد نحو ألف ك. م : من تخوم « بنجوين » في أقصى

(١) بدأت ايران الحرب في ١٩٨٠/٩/٤، وأنا أكتب هذا في حزيران ١٩٨١ م .

الشمال الى « عبّادان » في الجنوب ، ووراءه شعب متراص الصفوف ، وكلاهما له النفس الطويل والصبر الجميل ، ليدرك النصر أو يموتَ دونَهُ ، والحق يعلو ، وعلى الباغي تدور الدوائر . . . سنّة الله في خلقه (فَلَنْ تَجِدَ لسنّةِ الله تبديلاً ، ولن تَجِدَ لسُنّةِ الله تحويلاً) .

* * *

وجملة الحال أنّ شواهد التاريخ قد أثبتت بالبيّنات القواطع : أنّ فُسُولة الشعوبيين العنصريين، لم يتمّ لها الغلب على الأصالة العربية الإسلامية في يومٍ ما من الأيّام ، على امتداد أزمان المواجهة بينهم وبين الدول العربية الإسلامية ، منذ نجموا الى هذه اللحظات، و(كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) ، وغُلِبوا على أمرهم ، فارتدُّوا على أعقابهم مدحورين خاسرين ، في جميع الحروب النفسية والقتالية التي أججوها على العرب والإسلام ، وأكلتهم أعمارهم فيها أكلا . وكم حاولوا صدع حصونهما من الداخل والخارج ، فما نالوا من جوهرهما منالاً ، على كثرة ما غادَوْها وراوَحُوها في عنف وعناد وإصرار ، وعجزوا أن يجعلوا خرافتهم حقيقة ، ويُحققوا حلم عودة الدولة الفارسية المجوسية الإقطاعية إلى الأرض الإيرانية ، بَلْهَ الأرض العربيةَ !

أسباب خمسة . . قضت بذلك .

السبب الأول : منعة العرب النفسية والخُلُقية ، وتحلّيهم بخصال عالية من الشجاعة والاستبسال والصبر ، صاروا بها أمنع من عُقاب الجو على مبتغيه .

السبب الثاني : متانة تركيب الإسلام الفكري والعملي ، وسداد أصوله وعقائده وأحكامه ، ومُثُله الأخلاقية ، وحيويته ، وتفتّحه .

السبب الثالث : رفض الطبيعة الإنسانية السويّة إحلال شيءٍ ميت متفسخ عفن، كالمجوسية والمزدكية الإباحية والمانوية الثنويّة ، محلّ شيءٍ آخر بالغ القوة والسداد والسُّمُوّ والحيويّة وجزالة النفع كالإسلام .

السبب الرابع : هذا الإيمان المستقر في نفوس جماهير الشعوب الإيرانية كأمثالهم الذين دانوا بالإسلام ، واستمساكُها بعروة الدين الحنيف ، على كثرة ما حاول

الباطنيون من إيهانه وإبطاله بالتحريف والتأويل وتأويل التأويل ، فاستعصمت بالأصل ، ورفضت شرك الديانات الفارسية القديمة رفضاً قاطعاً .. ودَعْ عنك المنحرفين ، إذْ لا عبرة بالقلّة ، وإنما العبرة بالجماهير .

السبب الخامس : أن الغيلة والتقتيل والإحراق والإبادة ونحوها مما درج عليه الشعوبيون الباطنيون في سلوكهم العام ، ليست وسائل تقام عليها دولة وملك ، ويُبْنَى بها دين ، ويُستصلح بشر . . فالملكُ غرس وتجديد وعمران ، والدينُ المعاملةُ بالحسنى وزيادة ، والاستصلاحُ بالدعوة الخيّرة والحكمة والموعظة الحسنة . وقد غاب عن فكر القوم وروحهم هذا الجانب الإيجابي السّويّ ، وحضر فيهما ذلك الجانب السلبيّ الشرّير ، وعاشوا وطبائعُهم منحرفة ، وعقولُهم منغلقة ، وصدورُهم نَغِلة ، ودخائلهم مطوية على الشّنَآن : يتلذّذون بإبادة البشر ، ورؤيةِ الدماء وهي تسيل ، ولا يحسنون غير صناعة القتل : يقترفونه فِعلاً ، ويتمطّقون بالفخر به قولاً ! !

يمثّلهم . . ذلك القرمطيّ الباطني ، المدعوّ سليمان بن الحسن بن بهرام الجنّابيّ (نسبة إلى « جنّابة » من بلاد فارس) ، وقد ظهر في الربع الأول من المئة الرابعة الهجرية ، واستغوى بباطنيّته وشعوبيّته الرّعاعَ ، فعاث بهم فساداً في العراق والشام والحجاز ، وقتل الخَلْق العظيم ، وأغار على « مكّة » يومَ التَرْوِية (سنة٣١٧هـ) والحجيج مُحْرِمون ، ليس معهم سلاح ، ففتك رعاعُه بهم فتكاً ذريعاً في فِجاج « مكة » وفي « البيت الحرام » ، وعَرَّوْا البيت ، وقلعوا بابه ، وضرب هو « الحجر الأسود » بدبّوس فكسره ثم اقتلعه وأرسله الى « هَجَر[1] » ، ورَدَمَ «زمزم» بالقتلى ، وبلغ قتلاه في « مكّة » وحدَها ثلاثين ألفاً[2] ، وجلس على باب « الكعبة » سكران ، ورعاعُه يصرّعون الحجيج وهو يصيح :

---

(١) أعيد الى موضعه سنة ٣٣٩ هـ .

(٢) وأذكرك بآخرين على شاكلة هذا القرمطي الباطني ، وهم كثيرون ، ومن أبلغهم نكاية نهيود الورزنيني صاحب زنج البصرة ، وقد قتل رعاعه =

أنـــا بـــالله ، وبالله أنـــا يخلُقُ الخلقَ ، وأُفنيهم أنا [١] ! !

هذا هو دين الشعوبيين العنصريين ، ومسلكهم الأخَسّ في محاولة قتل الدولة العربية ومحق الإسلام ، لبعث الدولة الفارسية المجوسية وإخضاع العرب لها كما حاول الفرس ذلك قبل الإسلام وبعده، وهو ما يريده خلائفهم اليوم .

وكذلك دين العنصريين الآخرين ، وما برحت شعاراتهم بل أعمالهم تدور حول هذا المحور ، كما كانت قبل اليوم ، والسلسلة متصلة ومتلاحقة ، يمسك بهـــا الجزارون من طرف والدّجّالون من طرف آخر ، وما بأحـــد منهم صَوْرَةٌ [٢] الى عفّة وخُلُق ، وميلةٌ عن البغي الى الموادعة والسلم ، ولله عاقبةُ الأمور .

* * *

هذه صورة مصغّرة جدّاً ، أشبه بالنقطة في مركز الدائرة المُنْداحة ، للحوادث والنوازل الجِسام وذرائعها ، مما انتحى الأُمّةَ العربية الإسلامية : وجودَها وعقيدتَها وأرضَها وحضارتَها ، في غابر الدهر وحاضره . . أردت بها المَنْبَهَةَ على خطورة الحال ،وهي في ضراوتها وتحدّيها الدائم لها تتجاوز حدود دائرة الخَيال ، وتستدعي شدّ الحيازيم ، وإذكاء الوعي ، للتعبئة الروحية المعنوية ، والسبيلُ إلى ذلك — التاريخُ ، والإكثارُ من كتابة قضاياه ، ما كبر منها وما صغر ، كتابةً تساوق الطموح القومي الإسلامي ، وتنطلق من خصائص الأمّة النفسية والعقلية والخُلُقية ، والمُثُل الرفيعة التي تعتمل في الصدور ، وتحقق الذات ، وتشعر العزة . . وما أكثر ما تمتلك أُمّتنا العظيمة من هذه وتلك ! ولا جَرَمَ أنّ إبراز الحقيقة العربية الإسلامية من خلال

= في يوم واحد بالبصرة ثلاث مئة الف ، وبلغ من قتلوا مابين واسط والأحواز، خلال ستة عشر عاما ، نحوا من مليوني نسمة ، ومع هذا عده بعض ناس اليوم بطلا مصلحا !

(١) المنتظم ، وتاريخ ابن الاثير ، وسير طبقات النبلاء (الطبقة ١٩) ، وتاريخ الاسلام ، وفوات الوفيات ، وعقد الجمان ، والنجوم الزاهرة ، وشذرات الذهب . .

(٢) صورة : ميلة بالمودة .

التاريخ ، وهو حبيب الى النفوس ، يولّد الثقة والاعتزاز ، وينشيء القوة النفسية الفاعلة المقاوِمة ، ونحوَها من خصال تبتعث الحفاظ والاستبسال الّذي لا يُغالَبُ ،ويحمي بيضة الأمّة أن تتصدع وتنسحق ، وهذا هو المطلب الأسنى . وبالتعبئــة الروحية تُغنى التعبئة المادّيّة غَناءَها ، ولا تجدي هذه الثانية إذا غابت الأولى . وكم مـــن دولة ملكت السلاح الرهيب ، ولم يملك شعبها وجندها القـــوة النفسية والاستبسال ، فانهارت من أوّل لقاء لعدوّها ، وحاقت بها الهزيمة . والعرب بالخصائص المتميّزة الّتي ركبت في طباعِهم ، وفي مقدمتها خصال الشجاعة والنجدة والشهامة ، وما يعزّزها من مُثُل الإسلام وموحياتها ، استقام أمرهم ، وتحدّوا الفناء ، وامتنع أن يحيق بهم ما حاق بالأقوام الآخرين من السقوط والزوال ، ولولاها لدثرهم بعض ما انصب عليهم من البغي ، وذنبُهم عند البُغاة أنهم أخلصوا النيات والأعمال ، ولصاروا أثراً بعدَ عين ، وهم اليوم ، في متناوح الأعاصير حولهم وفي عقر أرضهم ، أحوج إلى الاعتصام بما اعتصم به سلفهم الفاتحون الهداة المهديون من المُثُــل والأخلاق ، فعزّوا ، وسادوا إذ عدلوا ، وأزهر بهم التاريخ . وصدق (لوبون) الفرنسي الفيلسوف في شهادته لهم بين المنصفين : « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم — أو أعدل — من العرب». وكم كان (بول هازرد) « (Paul Hazard) أصيل الفهم والعلم في قوله ، وهو يفنّد صورة (العرب) الشوهاء في التراث الأوربي : « لوأن الناس بدلاً من أن يشيعوا أكذب القصص وأبعدها عن الحقيقة ، ذهبوا الى (العرب) أنفسهم من أجل معرفة الحقيقة ، لوجدوا أنّ (محمداً) و(صحابته) كانوا يتمتعون بصفات في القلب والعقل تجعلهم لا يقلون قَدْرَ أنملة عن أعظم الأبطال ، عند أي جنس من أجناس العالم . والواقع أنه كان في دينهم من الانسجام بقدر ما فيه من السُّمُوّ والجمال .

ولما اجتاحت الهمجية وجه البسيطة ، فمن حمل لواء العقل وحضارته ؟ إنّهم (العرب) [١] . »

(1) The European Mind : 1680 - 1715, Trans. J. Yewis May (Haromondaworth Penguin Books. 1964) , P. 32.

(٢)

وإليك – بعدُ – وثائقَ تاريخيّةً، تفصّل مجملَ بعض ما أجملت القول فيه من الحملات العنصرية التوسعية على (العراق) ، ابتغاءَ ضمّه الى المملكة الفارسية .. عنيتُ حملات نادر طهماسب قُلي (١١٤٥ – ١١٤٦ هـ) ، و(١١٥٦ هـ) .

وهي وثائق أصيلة صادقة ، ولا أراني مُبعداً إذا قلت إنها أقدم ما دُوّن بالعربية في شأن هذه الحملات الفادحة.. دوّنها معاصر لها ، بل شاهد عيان من ثقات أهل العلم البغداديين ، وقد كابد شدة الحصار الذي ضربته الجيوش الفارسية على (بغـداد) مرتين متتابعتين في وقت متقارب ، وذاق وَبالَ أمره ، وكان أيامَ الحصار الأول في السنة الثانية عشرة من عمره ، فوصف ما شاهـده رأي العين ، وابتلته نفسُه ، وروى ما سمع من الثّقات عن حالات الحملات في (العراق) من البصرة الى الموصل وشهرزور .

ولهذه المزية في هذه الوثائق ، ولأنّها من العلم التاريخي الذي ما زال غائباً في عالم المخطوطات ، أُغريت بإلحاقها بهذا البحث محررةً ومحققةً وموضحةً ، لتكون لمؤرخ الصراع بين الشعوبيين العنصريين والعـرب عوناً على التفصيل والاستنباط ، وللعربيّ زيادةَ تبصرةٍ بما تُكادُ به أمّتُهُ على مرّ الزمن .

ولعلَّ القارئَ الطُّلَعَة يوَدّ تعرُّف أحوال صاحب هذه الحملات ، وترجمةَ مدوّنِ حوادثها العالم البغدادي ، قبلَ أن يبدأ قراءة هذه الوثائق التاريخية الخطيرة ، وهذا نَزْرٌ مما يوَدّه ، لا أرى الموضع يتّسع لأكثر منه .

* * *

فأما نادر طهماسب قُلي، فهو خراسانيّ من قبيلة الأفشار، ولد[1] في بيت مغمور، وقضى صِباه المفعَم بالمجازفة راعياً وقاطع طريق . وكان جبّاراً ، به ظمأ شديـد الى الدم ، وفي رأسه طموح وجموح ، فجمع حوله عصائب من الأفغان والكـرد دانوا له بالولاء والطاعة ، فظهر بهم ، وبلغ مكانة عالية في عشيرته . ووافق ظهوره ضمورَ السلطنة الصفويّة في إيران (إذْ نقص إيرانَ من أطرافها بطرس الأكبـر من الشمال، والعثمانيون من الغرب وقد اقتحمت جيوشهم ، أيامَ ولاية الوزيرين حسن باشا ثم ابنه أحمد باشا بغداد، أعماق إيران ، ثم خان الغلزاي الأفغاني من الشرق. وقد اقتلع هذا ، الشاهَ حُسَيناً الصفويَّ من عرش إيران وأسَره) ، فانضمّ نادر إلى خلفه طهماسب ، الذي فرَّ من وجه خان الغلزاي إلى خراسان وخوارزم : يستجيش القبائل ويستنفرها لنصرته ، فولاه طهماسب القيادة العامـة ، وتلقب هو بلقب « اعتماد الدولة » ، وقصد خان الغلزاي الأفغاني فقهره ، وقضى على أسرته ، وأجلس طهماسب الضعيف على العرش في أصفهان . وفيما كان غائباً في خراسان ، عقد الشاه طهماسب صلحاً مع العثمانيين ، وأرسل سفيره إليه يبشره بما تمّ من الصلح فتميّز غيظاً ، وسب الشاه ، وحبس رسوله ، وأغار من فوره على أصفهان في خامس شهر ربيع الأول ١١٤٥ هـ فخلع الشاه ، وساقه إلى مازندران في الشمال محبوساً ، ونكل بأركان دولته وحبسهم واستصفى أموالهم ، والأموال مطمح نظره أبداً كما رأيناه بعدُ ، حين غزا (الهند) ، واستولى على (دلهي) ، وعاد منها وهو يحمل معه كنوز أباطرة المغول والماسة الشهيرة كوهنور وعرش الطاووس . . وهل يمكن أن يكون لقاطع الطرق غير هذا الأرب ! وأجلس على العرش ابنه الصغير عباس مِرْزا ، ولم

---

(١) قال مؤرخوه : انه ولد (سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م) ، واغتيل سنة ١١٦٠هـ ـ ١٧٤٧/٦/٢٣م). وفي هذه الوثائق مايشير الى ان ولادته كانت قبل هذه السنة بكثير (تنظر خواتيم الوثائق في وصف العلامة عبدالله السويدي له وقد رآه في سنة ١١٥٦هـ شيخا يلوح عليه كبر السن ، وقدر عمره بنحو الثمانين) .

يبلغ تمام الشهرين، باسم الشاه عباس الثالث، ونصب نفسه وصياً، وتوجه لحرب الأتراك العثمانيين ، وسـار على رأس جيوش جرارة عبر بها الحدود إلى العراق ، فعاث ودمر ، وضرب على (بغداد) حصاراً دام سبعة أشهر ، وأعجزه استبسال البغداديين مع قوى الدولة العثمانية أن ينال سنها منالاً فارتد، ودحره العثمانيون في معركة حاسمة في نواحي (العُظَيْم) ، فولّى الى (همذان) حيث جيش الجيوش ، ونجم بها في سنة ١١٥٦ هـ ، وحاصر (البصرة) بنحو تسعين ألفاً ، وضرب الحصار على (بغداد) عشرين يوماً ، وعاث في قـراها، وتوجه الى (شهرزور) و (كركوك) و (إرْبِلِ) ، وقصد (الموصل) بنحو مئتي ألف مقاتل فحاصرها أربعين يوماً ،فثبتت له وردته على أعقابه ، فتوجه للمرة الثالثة الى (بغداد) .. وفي أثناء ذلك خرج (البلوج خان) فاستولى على غالب المدن الايرانية ، فطلب من الوزير (أحمد باشا) الصلح ، فأجابه اليه ، وانكفأ الى (إيران) ولم يحقق أربه في ضم (العراق) إلى المملكةالفارسية كأسلافه جميعاً ، واغتيل فى سنة ١١٦٠ هـ ، وأنهى هلاكه عودته الى الشقاق ، واستراح (العراق) من حروب (الفرس) ، ليأسو جراحه ، وينعش حياته .

* * *

وأما مدوّن هذه الوثائق ، فهو العالم الأديب المؤرخ الثقـة ، أبو الخير زين الدين عبدالرحمن، بن الشيخ العلامة المناظر الحجة والمِدْرَه الفصيح القوي العارضة إمام عصره في العراق: أبي البركات عبدالله، بن الشيخ حسين ، بن الشيخ مرعي، بن الشيخ ناصر الدين العباسي البغدادي ، مؤسس البيت السُّوَيْدِي من أظهر بيوتات العلم والأدب والرئاسة والوجاهة بالعراق خلال ثلاثة القرون الهجرية الأخيرة .. أعاد الى بغداد مع جملة البيوتات العربية الأخرى ، كالشاويّين والألوسيين وآل الشواف وغيرهم، رونقها العلميَّ القديم، ووجهها العربيَّ الإسلاميَّ المشرق ، بعد احتجاب طويل في الظلمات الّتي ألقاها عليها الغزاة المدمرون . وبرزت كفاية هذا الإمام في مؤتمر النجف الشهير ، الذي دعا نادر إلى عقـده ، بعد عقده الصلح مـع

الوزير أحمد باشا ، وطلب منه عالماً بغدادياً يشهد مناظرة علماء العجم الأفغانيين والفرس.. كان صحبهم معه ، وكان بعضهم يكـّفر بعضاً ، ويفسدون بذلك المجتمع الإيراني ، ويعدّونه للحرب الأهلية . . فاصطفى الوزير أبا البركات السُّوَيْدِيَّ له ، وقبِله نادر وكيلاً عنه : يرفــع المكـّفرات ، ويشهد على القوم بما يلتزمونه ، فجلّى بحججه القواطع وبيانه وإخلاصه ، وهيمن ، حتى زيّن للفرقاء — المتخاصمين بدوافع التعصب بغير مسوغ من العقل والشرع — الوِفاقَ تحت راية القرآن ، والتفيُّؤَ بظلال الجامعة الإسلامية ، وبلغ أكرم غاية وأحبها الى الله . . وورث أبناؤه هذه الخصال منه ، ومنهم أبو الخير [1] مدوّن هذه الوثائق ، وقد درج على نهج أبيه وفكره ، وأخذ العلم والأدب منه ومن غيره من علماء بغداد ، وبرع في قرض الشعر وكتابة النثر الفنّي ، وألف في العربية ، والفقه ، والكلام ، والفلك . وعني بأحوال المجتمع وسياسة البلاد ، فأرّخ عصره من خلال كتابته سيرةَ الوزيرين الكبيرين : حسن باشا ، وابنه أحمد باشا ، وسمّى ما دوّن « حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ».. أرخ فيه حقبة من الزمن شهدت هذا الصراع الرهيب بين العثمانيين والفرس عــلى العراق ، وأحداثاً محلية كثيرة ، تركت كلها آثاراً سيئة في الحياة والعمران ، ما تزال ماثلة على أديمه هنا وهناك ، على كثرة ما أخذ شعبه في طمسها ومحوها ، بعد استقلاله ، وقد حققته له قوته النفسية العالية ، وهي لا تغالب .

* * *

---

(1) ولد بحسب تحقيقي في سنة ١١٣٣هـ ، وتـوفي سنــة ١٢٠٠ هـ . وفي « المسـك الاذفـر في نشر مزايـــا رجـــال القـــرن الثـــاني عـشر والثالث عشر» الهجريين ، للعلامة محمود شكري الآلوسي ، اسماء كتبه ، ولكن ليس بينها كتــاب حديقة الزوراء ، وذرو من شعره ومن المراثي التي قيلت فيه ، وممن رثوه العلامتان الاديبان احمد وعلي السويديان ، وتلميذه سليمان بك الشاوي .

والآن أدعك مع هذه الوثائق التاريخية (1) .. لترى مثلاً لعشرات أمثاله من بغي العصريين على العرب، وصورة الشعب العربي في العراق وهو يدرأ العوادي بجأشه الربط وعزمه الصلب الذي لا يلين، ويغالبها فيهزمها. ويحقق لنفسه النصر المؤزر، كما هو شأنه في كل وقعات الغزاة، على امتداد الزمن.

---

(1) استخرجت هذه الوثائق من كتاب «حديقة الزوراء» وهو مخطوط، ومنه مصورتان في خزانة كتب المجمع العلمي العراقي، صورتا عن نسخة منه في خزانة كتب المتحف البريطاني بلندن، واخرى في خزانة كتب شيخ الاسلام أحمد عارف حكمة الله الحسيني في المدينة المنورة، وعليهما اقمت تحقيقها. وقد اعتمدت النسخة اللندنية اصلا لأنها اصح واوضح خطا، ويظهر انها نسخة المؤلف، او هي مقروءة عليه كما تدل الاشارات الى القراءة في حواشي الكتاب. وقد رمزت اليها بالحرف (ل)، والى فرعها بالحرف (ش)، ورايت اثبات نصوصها بعجرها وبجرها كما هي في الكتاب، واصلاح اغلاطها في الحواشي، ابقى على صورة الاصل.

قال العالمُ ، الأديبُ ، المؤرّخ : أبوالخير ، زين الدين ، عبدالرّحمن، بن العلامة الإمام الشيخ عبدالله السُّوَيديّ البغدادي، في تاريخه : (حديقة الزوراء):

[و ١١٧ / أ]

« ثمّ لم تزل النّاس ترتع في صَحاصح (١) الأمان ، وتمَرَحُ على بِساط العدل في وِديان أيّ وديان (٢) ، قد عَمّهم السرور والهنا (٣) ، وذهب عنهم كل الشرور والعنا (٤) ، إذْ قد ذلّت جميع الأعداء ، وجادت بما يرومونه الأنواء ، (٥) حتى غدت (بغدادُ) في الهنا (٦) والفرح والسرور ، يتلو على أفنانها طائرُ الإسعاف والإسعاد : (بلدةٌ طيّبةٌ وربٌّ غفُورٌ) (٧) ، إلى سَلْخ هذه السّنَة .

فنَجَم (٨) الظّالم الغَشُوم ، والطّاغي الباغي المَشُوم : (نادرشاه) ، من بطون بلدان أهل (فارس) ، وقصد (العِراق) بكلٍّ بطل حارس ممُارس .

وسببُ نُجُومِهِ ، وعلّة قدومه على (العِراق) وهُجُومه ــ هو أنّ (نادر) (٩)

---

(١) ش : « صحائف » ، وليس لها وجه . والصحاصح : واحدها صحصح ، وهو الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار . استعارها للأمان !

(٢) ذكرت المعاجم للوادي أربعة جموع : الأوداء ، والأوداة ، والأوادية ، والأودية ، وجاءت « الأودية » في آيتين كريمتين في كتاب الله العزيز ، وزاد الزبيدي « الوديان » ، وله تخريج لا يحتمل المقام بسطه .

(٣) وكذا في (ش) بالقصر ، وفي المعاجم : « الهناءة »، وليس فيها « الهنا » ولا « الهناء » .

(٤) ش : « العناء » بالمد ، على الأصل .

(٥) الأنواء : جمع النوء ، وهو (هنا) المطر .

(٦) ش : « الهناء » .

(٧) سبأ / من الآية ١٥ .

(٨) نجم : ظهر .

(٩) وكذا في (ش) غير معرب .

هذا كان « اعتماد دولة (الشّاه طهماسب) » المتقدّم ذِكره ، ولم يكن حين الوقعة المذكورة موجوداً ، وكان مشهوراً بالشّجاعة ، معروفاً بطول الباع في هذه الصِّناعة .

فبعدَ أنْ فُلَّ جمعُ (طهماسب) ، قال الوزير المذكور : « لو كان ذلك الكلب موجوداً ، لَكُنّا خلّصنا المسلمين منه ! » . فسَمِع ذلك الكلب هذا الكلام ، وجمع جموعه ذلك العام ، وأرسل إلى (الوزير) المذكور : أنْ « قد ذكرتَ يومَ كذا : « كذا » ، فها أنا [10] قادمٌ عليك ، أثرَ الرَّسول المرسل إليك . فتأهّبْ للحرب والقتال ، والطِّعان في النِّزال ! » .

ثم إنّ (الوزير) عرض بذلك [11] إلى (الدَّولة العُثمانيّة) ، فأمدَّ بأُسُود إسلاميّة ، وپاشات [12] خاقانيّة . لكنّه لم يؤمر بقتاله ، ولا بمقابلة رجاله ، بل أُمِرَ بحفظ (القلعة) [13] ، وأنْ يباشِر كفَّه عنها ومَنْعَه . [و١١٧ / ب] فأرسلوا جنوداً لحفظ البلاد ، لا للمكافحة والجِلاد .

وكان إذْ ذاك الصَّدْر الأعظم ، والوزير الأفخم ، ذو الصَّدارة العظمى ، والوزارة الكبرى : (علي باشا) ، المعروف بـِ (ابن الحكيم) . فأمَدَّه بالعسكر المذكور ، ولم يأمُرْه بالقتال لأمر من الأمور .

وكانت عِدَّتُه مئةَ ألف فارس .

وكان معه من الوزراء ثلاثة : (قَرَهْ مصطفى باشا) ، و (صاري مصطفى باشا) ، و (حمّال أُوْغلي أحمد باشا) .

فدخل (الخارجيّ) المذكور حِمى (دار السّلام) ، وهرب أمامَه أهل جميع القُرى ، واستأصَلَ غالب ذَراري الورى .

---

(١٠) الاستعمال الفصيح : « ها أناذا » ، وفي التنزيل العزيز : (ها أنتم هؤلاء . .) .

(١١) وكذا في (ش) بزيادة الباء ، والصواب : عرض ذلك على الدولة العثمانيه .

(١٢) رسمت بثلاث نقط كما ينطقها الأتراك « Pasha » ، وفي (ش) : « باشا » بنقطة واحدة هنا وفي المواضع الأخرى من البحث .

(١٣) موضع وزارة الدفاع اليوم ، وقد كانت آخر العمران ، ويليها الربض الشمالي بين المدينة وقصبة (الأعظمية) .

وقابله (بيك الدَّرَنه) بعساكر (الأكراد) ، فقُتِلَ وسُلِب منه الفؤاد . وتفرّقت ذَراريه أيدي سَبَا [١٤] ، وغدت شَذَرَ مَذَرَ [١٥] على الوِهاد والرُّبَا [١٦] .

ثمّ إنّ الظّالم الغَشُوم ، والفاجر الظّلُوم ، نزل فحاصر (بغدادَ) في الخامس والعشرين من رَجَب [١٧] هذه السَّنَة . فعملت « الأطْوابُ » [١٨] من الجانبين ، وحَنّت حنينَ الثّكْلَى ذاتِ البَيْن [١٩] .

وكان نزوله محاذياً لـ (قَصَبَةِ الإمام الأعظم) ، بحيثُ تُرَى خيامه من فوق السُّور ، فضرب « بالأطواب » الكبار ، ورَفَع عن تلك الدّار ، ونَزَل فوق منزله بنصف ساعة ، خَشيَةَ رُماة الجماعة . لكنّه بنى ليلاً ، في مواضع شَتّى قريباً من السُّور بحيث تَصِلُه [٢٠] بنادق « الزّنبُورَك [٢١] » ، شيئاً يقال له :

---

(١٤) مثل مشهور ، أي : تفرقوا تفرقاً لا اجتماع بعده ، ويروى : « أيادي سبا » ، بتسكين الياء في هذه الرواية وتلك، وكان القياس أن لاتسكن ، إلا أنهم آثروا الخفة بالسكون. والمراد بالأيدي الأنفس ، وسبا : الأصل فيه « سبأ.» وفي هذا المثل كلام طويل في كتب الأمثال وغيرها ، وانظره في (الروض الأنف) ١/١٥ .

(١٥) تشذر القوم : تفرقوا . وذهبوا في كل وجه شذر مذر ، أي : ذهبوا في كل وجه ، ولا يقال ذلك في الإقبال .

(١٦) الوهاد : جمع الوهدة ، وهي الأرض المنخفضة .

(١٧) الفصيح : شهر رجب ، بزيادة « شهر » فيه وفي كل شهر يبتدئ بالراء ، مثل « رمضان »، وفي التنزيل العزيز : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) ، وورد في الشعر بغير « شهر » وهو محمول على الضرورة .

(١٨) هي المدافع ، واحدها « طوب » (تركي ، درج استعماله في العراق ، ولا يزال معروفاً به الى جانب المدفع والمدافع) .

(١٩) الثكلى : فاقدة الولد أو الحبيب . – البين : البعد والانفصال .

(٢٠) يقال : وصل الشيء إلى الشيء وصولا ، إذا انتهى اليه وبلغه ، ووصله إليه وأوصله : أنهاه اليه وأبلغه . وجاء في حديث النعمان بن مقرن : « أنه لما حمل على العدو ما وصلنا كتفيه حتى ضرب في القوم. » ويظهر أنه سقط منه – عند روايته أو كتابته – حرف الجر (إلى)، ففي التنزيل العزيز : (إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) .

(٢١) الزنبورك : كان في أواخر العهد العثماني ببغداد شيء يقال له « الزنبور » يستعمل في مراسم الاحتفال بيوم جلوس السلطان في الغالب . . ، يصنع من ورق مقوى غليظ ، مستديراً ، ويحشى بالبارود ، وتوصل به في رأسه فتيلة. وما كان منه كبيراً يوضع أسفله على الأرض،=

« الكُونكَرَة » (٢٢) ؛ ووضع عليه بعض « الأطواب » ، يروم بذلك أن يجعل له من السُّور بعض الأبواب .

فرفع الإسلامُ (٢٣) بعضَها بـِ « الطّوب » القالع ، وبعضُها بَقِي لبُعده عن السُّور فليس بقاؤه للعدوّ بنافع .

هذا ، وأمّا (بغدادُ) [و ١١٨ / أ] ، فهي ذات سور مكين ، ذو (٢٤) بناء مَتِين ، راسخ في التُّخُوم (٢٥) ، شامخ إلى النُّجُوم ، وخندقٍ عميق جِدّاً .

وقد بَنَى سورها المهندسون ، وفصّله منهم الممارسون ، حتّى غدا ذا خاصّة لا يقبلها العقل ، ولا يصحّحها النّقل ، حتّى تُشاهَد من كَثَب(٢٦) ، ويُنادَى(٢٧) إذْ ذاك بالغرابة والعجب ! وهي أنّه من مسير ساعة إذا نُظِر اليه لم يُرَ منه إلّا رؤوس الشُّرُفات ، ولم يبصر منه إلّا بعضه من جميع الجهات . وإذا تُقُرِّب إليه ، أُبصِرَ بناءً رفيعاً وحصناً حصيناً مكيناً . فاحتار (٢٨) العدوّ فيه . ولم يقدِر على قلع حَجَر « بطوبه » من أعاليه . بل إنْ طأطَأَ رأس «طَوْبه » ، وقَع بندقه (٢٩)

= وأعلاه على قاعدة ، فيكون اتجاهه الى علو ، وما كان منه صغيراً يحمل باليد ، وتشعل فتيلته ، ويقذف ، فينطلق « لولبياً » هائجاً متلوياً يميناً وشمالا ، وله نشيش ، ثم ينفجر . وسمي « الزنبور » إما لنشيشه ، فيكون لفظاً عربياً ، وإما لحركته اللولبية ، واللولب يقال له باللغة التركية « زنبرك » فيكون الزنبورك أو الزنبرك دخيلا ، ولا يزال اللولب يعرف بالعامية البغدادية بالزنبلك ، باللام. فلعل هذا ضرب من الزنبورك الذي كان يستعمل في القتال .

(٢٢) ش : « الكنك » ، وأرى رواية (ل) هي الصحيحة ، وهي بلغة عامة بغداد الى عهد قريب : « الكنكرة » يعنون شيئاً شبيهاً بالتل ، ويطلقونه على الشيء المكور ، فيقولون : عقال فلان مكنكر ، أي مكور كالتل .

(٢٣) يريد : أهل الإسلام ، وسوف يكرره .

(٢٤) وكذا في (ش) ، وصوابه : « ذي بناء .. » ، لأنه معطوف على المجرور قبله .

(٢٥) التخوم : الحدود الفاصلة بين أرضين ، واحدها تخم ، بضمتين .

(٢٦) أي من قرب .

(٢٧) ش : « ونيادا » (تحريف) .

(٢٨) يقال : حار في الأمر ، اذا تردد فيه واضطرب . أما « احتار » فليس معروفاً في فصيح اللغة وصحاحها .

(٢٩) استعمل « البندق » لقنابر المدافع ، خلافاً للصحيح .

في التُّراب ؛ وإنْ رفعه مقدارَ شعيرة ، صار بُنْدُقه يخترق السّحاب . ولم يزل في حَيْرَة من ذلك ، وعَجَب مِمّا هنالك !

هذا ، وأما (الجانب الغربيّ) فمعمورُ الجهات ،ومغمورٌ بالخيرات ، لحيلولة (دجلة) بينه وبين ذلك الباغي ، ومنعها من الوصول لذلك الطّاغي .

وقد وضع هذا الوزير عساكرَ في (الجانب الغربيّ) ، تُجاهَ العدوّ ، تمنعه من العبور ، وتكُفُّه وتردَعُه من نصب الجسور . و « الطّوب » أيضاً يتراسل بين الشّاطئين ، وتترامى بنادقه من الجانبين .

[و ١١٨ / ب]

ولم يزل (الجانب الغربيّ) سالماً عن الحِصار ، رخيص الأثمان والأسعار ، منه يستمدّون [٣٠] أهل (الجانب الشّرْقيّ) ما أرادُوا ، ويستزيدون منه كيلهم ما استزادُوا . وبسبب سلامته لم يتفطن للحصار ، ولم يعرِف كيف الانحصار .

ثمّ إنّ الوزير ، يومَ نزول هذا الظّالم ، أرسل إلى الدّولة بريداً من طريق (الجانب الغربيّ) يخبرهم[٣١] بالحِصار ، ويحرّضهم[٣١] على تخليص الدّيار .

فلما بلغ البريد (إسلامبولَ) ، وسلّم العرضَ للصَّدْر الأعظم ، الوزير الكبير ، المشار إليه أوّلاً ، فشرع [٣٢] إذ ذاك بجمع الجنود من الأطراف والأكناف . لكن ، أين يلحق الدِّرْياق للملسوع ، ومن أين يتَأتّى للسّلِيم هجوع [٣٣] ؟

* * *

(٣٠) يريد « يستمد أهل الجانب الشرقي » . وهو لغة لبعض العرب ، بسط النحاة القول فيها ، وانظر في ذلك (كتاب الحلل في أصلاح الخلل من كتاب الجمل) ٨٠ — ٨٧ .

(٣١) يريد : يخبرها . . ويحرضها .

(٣٢) وكذا في (ش) ، والصواب حذف الفاء ، لأن جواب الشرط اذا كان فعلا لا يقرن بها ، وإنما يقرن به اذا كان اسماً .

(٣٣) ل : « الهجوع » . — والسليم : الملدوغ (على التفاؤل) . والسليم : الجريح المشفي على الهلكة .

« فصلٌ : وفي غُرَّة [شهرِ] (٣٤) رَمَضَانَ هذه السّنَة ، عبرت (الأعاجم) الى (الجانب الغربيّ) ، قريباً من (تَكْرِيتَ) ، ولم يشعرْ بهم أحد غيرُ الخِرِّيت (٣٥) . لكنّهم رفعوا « أطوابهم » وخيامهم اللّاتي كانت تجاه المعسكر المتقدِّم ذكره . »

فظنّ العسكر أنّهم ملّوا من المضاربة ، وعجزوا عن هذه المحاربة ، وأخبروا الوزير بما وقع من رفع قنابِرهم و « أطوابِهم » ، وقلعِ خيامهم وقُشُوع سَحابِهم . فقال الوزير : إذا كان الأمر كذلك ، فكلّ يوم يمضي نحوُ الألف (٣٦) فارس : يحرس الشّرائع ، [و ١١٩ / أ] ويقطَعُ (٣٧) على العدوّ — للعبور — الوسائلَ والذّرائع .

فبقي الحال كذلك ، حتّى عبَرُوا من ناحية (دُجَيْل) في الليل الحالك .

وأمّا(٣٨) أهلُ (الجانب الغربيّ) فهم أهل نَجْدَة وشجاعة ، وأصحاب همّة وأحسن جماعة ، قد بنوا سُوراً من اللّبِن ، عَرْضُه نحو الخمسة (٣٩) أذرُع بذِراع الكِرْباس (٤٠) ، وطوله ضعف(*) عَرْضه ؛ وحفروا خندقاً واسعاً عميقاً ، إلّا أنّه لم يَتِمّ بناء السُّور ولا حَفْرُ الخندق ؛ لِأنّ الوقت ضاق ، والعدوّ قد ضَيّقَ عليهم الخِناق . فطَفِقُوا يحرسُون في الليل على شُرُفاته ، ويطوفون — حَذَرَ هجوم العدوّ — على سائر جهاته ، وأعَدُّوا الخيل والسِّلاح ، واستعدُّوا للقتال

(٣٤) يراجع في تعرف سبب هذه الزيادة ، التعليق (١٧) .

(٣٥) هو الدليل الحاذق بالدلالة . (٣٦) وكذا في (ش) .

(٣٧) وكذا في (ش) ، والأصوب : « يحرسون الشرائع ، ويقطعون . . » .

(٣٨) ل : « هذا ، وأما . . » .

(٣٩) الصواب : « نحو خمس أذرع » ، أو « نحو خمسة أذرع » . الأول على تأنيث الذراع . والثاني على تذكيره ، ومن الأئمة كسيبويه والأصمعي من منعوا تذكيره .

(٤٠) في اللسان : الكرباس والكرباسة : ثوب . وفي حديث عمر — رضي الله عنه — : « وعليه قيص من كرابيس » هي جمع كرباس ، وهو القطن . وزعم أنه فارسي ، ولا دليل على فارسيته .

(*) ش : « وطوله نصف عرضه » .

والكفاح ، وقالوا : لا بُدَّ أن يعبرُ علينا [٤١] هذا الغادر (دجلةَ) ، ويَدْهَمنا على حين غفلة ووَهْلَة . فنَذَر الكُلُّ القتال ، وعاهَدُوا الله على الحرب والنِّزال ، وأصَرُّوا على القتال ، دُونَ عِيالهم ، وأموالهم وأطفالهم.

قال الفقير :

كنتُ ذلك اليوم ابْنَ اثني عشر [٤٢] سنةً ، وكنّا من أهل (الجانب الغربيّ) ، وكنت أنام مع والدتي في الدّار ، ولم أخرُجْ مع أبي وأقاربي ليلاً إلى الأسوار .

فلم نشعر في نصف الليل الأخير من غُرَّة [شهر] [٤٣] رَمَضانَ إلّا بأصوات جسيمة ، وغوغاء عظيمة [٤٤] ، ينخلع لها قلب الجبان ، وتُرْعَدُ [٤٥] لها أكباد الشُّجعان ، وسَمِعتُ أصوات « تفا كَ » [٤٦] متوالية ، وأبصرتُ ازدحام أقدام في الطُّرُقات غاديةً عادية . فأيقظت [و ١١٩ / ب] والدتي حينئذٍ ، وعيوني تدمَعُ ، خوفاً مما قد أرى وأسمع ، فقلتُ : يا أُمّاه ! ما هذا الصَّخَب الذي رجَّ [٤٧] الآفاق ؟ وما هذا التّجادُل والشِّقاق ؟ فقالت : يا بُنَيَّ ! الظّاهر ، والله أعلم ، أنّ (العجم) قاربتِ الحصون ، وعبروا على [٤٨] رجالنا من حيث لا يشعرون . فادعوا [٤٩] الله في هذا الوقت بتثبيت [٥٠] أقدام المسلمين ، وسَلِ الله أن يَحُفَّهم بالنّصْر المبين .

---

(٤١) وكذا في (ش) ، وصوابه : « إلينا » .
(٤٢) وكذا في (ش) ، والصواب : ابن اثنتي عشرة سنة .
(٤٣) ينظر سبب هذه الزيادة في التعليق (١٧) .
(٤٤) الغوغاء : الصوت والجلبة ، و — السفلة ، لكثرة لغطهم وصياحهم .
(٤٥) ترعد : تأخذها الرعدة ، يقال : أرعد فلان .
(٤٦) وكذا في (ش) ، وسترد « تفك » ، وهي ما يعرف اليوم بالبندقيات ، وتنطق بالكاف الأعجمية ، ووحداتها « تفكة » .
(٤٧) ش : « برج » ، والصواب « يرج » .
(٤٨) وكذا في (ش) ، ينظر التعليق (٤١) .
(٤٩) وكذا رسم في (ش) ، وصوابه : « فادع » .
(٥٠) ش : « يثبت » .

فبعدَ هنيئة [٥١] طرقَ البابَ زوجُ خالتي ، وأسرج فرسه ، ووَدَّعَنا ، وسار إلى الجهاد .

ثمّ إنّا بَقِينا نسمَعُ من فوق سُطُوح الدّار ، شعارَ (المسلمين) : « الله ، الله» ! ونسمَعُ شِعارَ (العجم) المنافقين : « هَيْهَوارْ ، هَيْهَوار [٥٢] ! .

فتارةً نسمَعُ شِعار (المسلمين) بعيداً ، فنفرَحُ ، ونقولُ : حصلت لنا الغلبة ، وتارةً نسمَعُهُ قريباً ، فنحزَنُ ، ونقولُ : أُسِرْنا ، وربِّ (الكعبة) !

ولله دَرُّهُمْ من رجال ! قاتَلُوا مع قِلّتهم ، وكثرة عَدَد أعدائهم ، من نصف الليل الأخير إلى قريب طلوع الفجر الثّاني ، وأجْلَوُا الأعداء عن مكانهم ، وأبعدوهم عن أوطانهم ، حتّى أدركهم المَدَدُ من (الجانب الغربي)[٥٣] بالعساكر الكَواسِر ، والليوث الْجَواسِر ، وبقي القتال إلى الظُّهْر . وكان رئيس العسكر حينئذٍ الليث الجسور ، والشُّجاع الغيور ، صاحب الصَّوْلَة والحملة ، والغلبة في الجولة : (قَرَهْ مصطفى باشا) ، وأخذ أهلُ جانبنا [٥٤] ذاتَ اليمين ، وأخذ العسكر الأمامَ [٥٥] وذاتَ الشِّمال .

قال الفقير :

كنت على عِلِّيّة في دارنا مشرفة على محلّ الوقعة ، فأنظُرُ إلى الخيل تعثُر في الرِّجال ، وإلى السُّيُوف [و١٢٠ / أ] تخطب[٥٦] رؤوسَ الأبطال ، حتّى صار العدوّ أضعافهم ، وكثر فنافهم [٥٧] .

---

(٥١) صوابها « هنية » ، أو « هنيهة » كما في (ش) ، ومعناهما القلة من الزمان . « وهنية » تصغير « هنة » على القياس ، و « هنيهة » على إبدال الهاء من الياء في « هنية » .

(٥٢) فارسية ، وتستعمل في الكردية أيضاً عند الاستغاثة .

(٥٣) وكذا في (ش) ، ويظهر من السياق أنه « الجانب الشرقي » .

(٥٤) أهل الجانب الغربي .

(٥٥) ش : « في الأمام » .

(٥٦) وكذا في (ش) ، وصوابه: « تخطف » .

(٥٧) وكذا في (ش) ، ولعله «فناؤهم » .

فأبصرت خيل عسكرنا ولّت على أدبارها، وجدّت في جريها لفِرارها. وأبصرتُ رجالنا ثبتُوا ثباتَ الرجال، وقارعت الأبطال منهم الأبطال، وقاتلوا قتالَ من لا يُريد الحياة! وكثُر الرّهَجُ من جميع الجهات [٥٨]، حتّى أحاط العدوُّ بهم إحاطةَ الأوعال بالجبال [٥٩]. وعلم (المسلمون) أنْ لا فِرارَ ولا مجال، فقاتلوا رغبةً في الشّهادة، ورجاءً لنيل الحُسْنَى وزيادة. فقُتِل الرَّجّالةُ منهم جميعاً إلّا ما قَلّ، وَسلِمَ غالب الفُرسان، وخرجوا من بين الصُّفوف بالسُّيُوف واللِّدان [٦٠].

وحدّثني زوج خالتي، أنّه قال [٦١]: كنّا أخَذْنا الميمنةَ من جهة العدوّ، حتّى أجليناهم من أمامِنا، وحكّمْنا في مفاصلهم [٦٢] كلَّ حُسام. فنظرنا ساعةً إلى وراء، فرأينا العسكر قد ملأ – بفِراره – البَيْداء، وحال العدوُّ بيننا وبَيْنَهُ، فقاتَلْنا قتالَ مَنْ يُحِبّ الموت وبَيْنَهُ [٦٣]. فلمّا احتَرَّ [٦٤] فينا القتل، ودَمِينا إذْ رُمِينا بالبُنْدُق والنَّبْل [٦٥]، وأبصرنا الرجّالة هلك أكثرُها، ورأينا الخيّالة قد قُتِل أصغرها وأكبرها، ونحن عائمون من الموت في بحر لا يُدْرَك قعرُه، ولا يُنال غوْرُه – لم يكن لنا بُدٌّ من الفِرار، وإنْ قيل: «النّارُ ولا العارُ»، ولم يكن لنا طريقٌ إلّا البيداء، فبالَغْنا بالهرب فوقَ كلِّ نجيب عدّاءٍ!

وحدّثني أيضاً أنّه رأى شباباً من أولاد الأكابر، كلٌّ منهم عن متْن شجاعته حاسر، قد رَجّلُوا شعورهم، وترَجّلُوا وتركُوا كُورَهم [٦٦]. قال: [و١٢٠/ب]

(٥٨) الرهج: الغبار.
(٥٩) الأوعال: تيوس الجبل، واحدها وعل، بفتح فسكون.
(٦٠) اللدان: جمع لدن، وهو اللين المهزة، أراد الرماح اللدان.
(٦١) وكذا في (ش) بزيادة «أنه» وليس لها موضع هنا هنا.
(٦٢) ش: «وحكمنا فيهم».
(٦٣) بينه: وصله.
(٦٤) صوابه: أحر، أو: استحر، أي: صار حاراً أو شديداً.
(٦٥) دمي الجرح: خرج منه الدم ولم يسل. وأدماه: ضربه حتى خرج منه الدم. ودماه: أدماه.
(٦٦) الكور: جمع الكورة، وهي المدينة والصقع. والبقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال.

فقلتُ لهم : — يا بَنِيَّ ! أنتم من كرم الله ذوو خيول سوابق ، ونُجُب لواحق ، فلِمَ تركتُموها وسِرْتُم راجلين، وأمامَكم حربٌ عَوانٌ[٦٧] ، وضربُ يمانٍ ،[٦٨] ومُقارَعةُ فُرسان ، ونهب أرواح وأبدان ؟ فإن كنتم خرجتم للفُرجة ، فقِفُوا فوق السُّور كما وَقَفَ البَنادِقيّة ، وانظُروا إلى هذه الدّاهية الدَّهِيّة[٦٩] . فقال أحدهم : يا عَمّاه ! إنّما يفعل ما ذكرتَ مَنْ له في الحياة طمع ، ومَن يتشدّق بالكذِب إذا صار الى بنات عمّه ورَجَع . واللهِ ! إنّا لقد تركنا الدُّنيا خلفَنـا ، وهذه الأخرى زُخرِفت أمامَنا ، ورَفَضْنا الوَجَل، وهذه الجنّةُ زُيِّنت قُدّامنا ! فوالله! لَنَضْرِبَنَّ بسيوفنا هذه حتى نُقتَلَ . وبَلِّغْ أهلنا — إذا رَجَعتَ — السّلام!

قال : فلم يَرْجِع منهم أحد . وقد أبصرت هذا القائل قد فُلِقت هامته، محدقة به خمسة فوارس من (العجم)، ولسيفه رَنّةٌ في المفاصل، وحَنّةٌ في الكَواهِل.[٧٠]

ثمّ إنّ العدوّ طلب (المسلمين) حتّى انتهى إلى (مسجد بَراثَى)[٧١] — المسمّى بـ (المنطقة)[٧٢] — ، فرَجَع القَهْقَرى ، ووَلّى متأخِّرا . ولو بقي في طلبه ودخل البلد ، لَما أبقى في (الجانب الغربيّ) من أحد . ولكن ، ألقى الله الخوف في رُوعهم ، وأمرهم برجوعهم . فيا له من يوم عبوس ! به أمسى الكَمِيُّ بلونِ جاد[٧٣] ، ويا لها من حربٍ (بَسُوس)[٧٤] ! دارَ قُطبُها على أطْواد .

(٦٧) حرب عوان : قوتل فيها مرة بعد أخرى .
(٦٨) سيف يمان ، ويماني : نسبة الى (اليمن) .
(٦٩) الداهية : الأمر المنكر العظيم ، وتقول العرب في مبالغتها : داهية دهياء ، ودهواء أيضاً ، وهو توكيد أيضاً ، وتقول : داهيـة دهوية . ولم ترد « دهية » في هذا المورد . وقالوا : رجل داه من قوم دهين ، وده من قوم دهاة ، ودهي من قوم أدهياء ودهواء ، ورجل داهية ، وهاؤه للمبالغة .
(٧٠) الكواهل : جمع الكاهل ، وهو من الإنسان : ما بين كتفه ، أو موصل العنق في الصلب .
(٧١) ينظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩١/١) ، و« المختصر من مناقب بغداد » ١٤، و٢٢ .
(٧٢) ينطقها البغداديون بفتح الميم وسكون النون وكسر الطاء وكاف أعجمية ثم هاء .
(٧٣) الكمي : لا بس اللأم . و — الشجاع المقدام الجري كان عليه سلاح أو لم يكن . بلون جاد : أراد « بلون الجادي » — وهو الزعفران ، وقد ألجأته السجعة إلى هذا التخفيف .
(٧٤) نكر (البسوس) — وهو اسم امرأة معرف — وجعله نعتاً للحرب مريداً به الشدة، ولا يعرف=

وقد اشتهر هذا اليومُ في (العِراقَيْنِ)[٧٥] و (الحِيرةِ) ، ووُسِم بين القوم بـِ (يوم الكَسِيرة)[٧٦] . وفيه أقول من قصيدة يأتي [و١٢١ / أ] ذكرها :

وفي (يومِ الكَسيرةِ) كم كَسَرْنا لِجَبْرِ الدِّينِ – شوكة كلِّ عادِي
وفي (أُحُدٍ) به كان ائتِسانا ، فيا بشرى لنا يومَ المَعادِ ![٧٧]

ثمّ إنّ عباد الله تراجعت إلى الدِّيار .

وقد رحِمهم الوزير المُسَدَّد ، والدُّسْتُور المُؤَيّد ، بأنْ أرسل بَنادِقِيّة الى السُّور : تحرُسُهم من هجوم الأعداء، وأمرهم بالعبور الى (الجانب الشَّرْقيّ)، وأمرهم أن لا يُبْقُوا لهم طارفاً و[لا] تَلِيداً ، ولا يترُكُوا خَلَقاً ولا جديداً .

ثمّ استشار الوزراءَ الثّلاثة ، الّذين كانُوا معه برسم المحافظة في أمر (الجانب الغربيّ) ، فقالوا له : أنت مأمور بحفظ (القلعة) ، وما كان خارجاً عنها لستَ مأموراً بحفظه . على أنّه لا معنى لحفظ الجُدْران ، ولا حاجة داعية إلى حماية البُنيان . وأمّا أهله فهم للقلعة أجدر ، وأجدى نفعاً وأكثر .

ففي ظَرْف ثلاثة أيّام عَبّرُوا إلى (القلعة) العِيالَ ، وطرفاً من الذّخيرة والمال .

= ذلك في كلام العرب . والبسوس هذه خالة جساس بن مرة الشيباني ، كانت لها فيما روى الرواة ناقة دخلت حمى كليب وائل ، وكسرت بيض طير كان قد أجاره ، فرمى ضرعها بسهم. فوثب جساس على كليب فقتله ، فهاجت بين بكر وتغلب ابني وائل بسببهاحرب طويلة زعموها أربعين سنة ! حتى ضربت بها العرب المثل في الشؤم ، وبها سميت حرب البسوس .

(٧٥) العراقان : البصرة والكوفة ، أطلقه المسلمون عليهما قديماً ، ثم بطل استعماله .

(٧٦) صوابه « يوم الكسرة » ، أي الهزيمة ، تصرفت العامة بها ، فزادت عليها ياء وكسرت الكاف كما هو المسموع اليوم .

(٧٧) ائتسانا : ائتساؤنا، والائتساء : الاقتداء . – وأراد بأحد : غزوة أحد ، وهو جبل شمالي (المدينة) كانت عنده الوقعة الفظيعة التي قتل فيها حمزة بن عبد المطلب وسبعون من المسلمين ، وكسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم ، وشج رأسه الشريف ، وكلمت شفته . وكان يوم بلاء وتمحيص، وذلك لسنتين وتسعة أشهر وسبعة أيام من مهاجرة النبي، صلى الله عليه وسلم . وتفاصيل أحداث هذه الوقعة في كتب السيرة والتاريخ .

وصار ازدحام عظيم بحيثُ غرِقَتِ[78] المُخَدَّرات ، وهتك[79] أستارُهنَّ حرصاً على العبور ، وانكسر من (الجسر) بعض السُّفُن ، لكَثْرة الازدحام ، وعبر أكثر النّاس بالسُّفُن ، وبعضهم بالطَّوْف[80] . وبعضهم بالسِّباحة .

وأشبه هذا اليومُ يومَ المَحْشَر حيثُ لم يعرِف الخليلُ خليلَه ، ولا ساعَدَ القريب قريبه ، وقُطِع فيه الرَّحِم[81] ، واستقل كلٌّ بنفسه وترك ما عداه .

فالحمدُ لله الّذي أنقذنا من هاتيك المُوبقات[82] .

* * *

وفي ظُهر اليوم الثّالث أخْلَوُا البلد ، وهجم عليها[83] العدوّ بكَثْرة العُدَّة والعَدَد . فقُطِع (الجسرُ) وأُغلقت بابه[84] ، ومَنْ بقي لم يعبر فقد سُلِخَ إهابه[85] .

ثمّ طفِق العدوّ يُضارِبُنا من جميع الجهات بالبنادق الحارقات ، ونضارِبه كلّما ضارب ، ونُحاربه كلّما حارب .

ولم تزل جنود (الوزير) – رحمه الله – تخرج كُلَّ يوم خارج السُّور ، أمثالَ

---

(٧٨) ش : « عرفت » .
(٧٩) ومثله في (ش) .
(٨٠) الطوف : الرمث ، وهو خشب يشد بعضه الى بعض ويركب في النهر . ويعرف لعهدنا ضرب من هذا النوع يقال له « الكلك » وجمعه « أكلاك » ، وهو عيدان ضخام يشد بعضها الى بعض وتحتها قرب تنفخ ، وتسد سداً محكماً . تحمل عليه البضائع بين أعالي دجلة وبغداد ، فاذا بلغ بغداد ، وأفرغت منه البضائع ، حلت العيدان وبيعت هي والقرب ، لتعذر اعادتها الى مناشئها . وهي مخصوصة بهذا الشأن وحده ، ولا يعرف صنعها ببغداد لهذا الغرض ولا للعبور بين شاطئ النهر .
(٨١) الرحم : أسباب القرابة ، وأصلها الرحم التي هي منبت الولد ووعاؤه في البطن ، وهي مؤنثة .
(٨٢) الموبقات : المهلكات ، وهي في العرف الشرعي : الكبائر من المعاصي ، لأنهن مهلكات .
(٨٣) وكذا في (ش) ، باعادة الضمير مؤنثاً الى « البلد » وهو مذكر .
(٨٤) وكذا في (ش) ، والباب مذكر ، وقد توهمه المؤلف أو النساخ مؤنثاً ، فأنث فعله . وسوف يعيده مؤنثاً أيضاً .
(٨٥) الإهاب : الجلد .

الضِّراغم والنُّسُور ، فيحصُل لهم مع الأعداء الاصطدام ، والاقتيتال [٨٦] العامّ . فتارةً تحصلُ الغلبة لنا ، وتارةً لعدوّنا .

ونحن — معاشِرَ الرّجّالة — من فوق شُرُفات (الحِصن) ننظر إلى المقاومَة ، والمُصاوَلة [و١٢١/ب] والمُصادَمَة .

هذا ، وقد استُشهد في بعض تلك الوقائع أُناس ، منهم : خَزِينَدار [٨٧] الوزير (أحمد باشا). فأرسل إليه رجالاً ، وحملوه من مصرعه ، ودُفن عندَ باب (بغداد) المعروف بـِ (باب الإمام الأعظم) [٨٨] .

وأمّا (الخارجيّ) الدّجّال ، والملعون المحتال ، فقد أمر بهدم دور (الجانب الغربيّ) ، ونقل أبوابه وأخشابه [٨٩] الى معسكره ، وبنى بها أماكن لعسكره ، من حوانيت وبيوت وحمّامات وغير ذلك من أصناف البناء ، حتّى غدا معسكره كأحسن ما يكون من المدائن ، يفوق بزخارفه وزينته (المدائن) . تُجْبَى إليه المِيرة من جميع الجهات ، وتقصِدُه النّاس من الأقطار الشّاسعات .

وقد أخذ مَخاليفَ [٩٠] (بغدادَ) وقُراها ، ونَهَب بحزبه الفُسّاد [٩١] مَنْ والاها !

وأمّا (أهل بغدادَ) فيُبْدُون الجلَد ، ويُخْفُون الكَمَد ، ويخرُجون إلى قتالــه كُلَّ يومٍ مَعِيّةَ [٩٢] العسكر ، بَجأش رابط ، وعقل حنابط [٩٣] ،

(٨٦) كذا بزيادة الياء ، وفي (ش) : « والقتال » .
(٨٧) ش : « خزندار » .
(٨٨) يعرف لعهدنا بـ (باب المعظم) ، وقد كان باباً عظيماً يفضي الى ربض (بغداد) الشمالي فقصبة (الأعظمية) . تقدم ذكر موقعه في التعليق (١٣)، وقد أزيل بعد احتلال البريطانيين (بغداد) في سنة ١٩١٧ م بزمن غير طويل ، ثم دفن الخندق الذي بجانبه .
(٨٩) وكذا في (ش) باعادة الضمير الى الجانب الغربي ، وحقه أن يعاد الى (دور) .
(٩٠) المخاليف : واحدها المخلاف ، وهو اصطلاح لأهل اليمن يطلقونه على الكورة والقرية .
(٩١) ش : الفاسد .
(٩٢) ش : « بمعية » .
(٩٣) لم أجد هذا اللفظ في العربية ، وصوابه في(ش) : « ضابط » .

والحربُ ذاتَ البَيْن سِجالٌ [٩٤] ، حيثُ كان ضِرام الوَطيس من الجانبين الأبطال [٩٥] . هذا ، و « الطوب » من الجانبين ، «أشغلُ من ذاتِ النِّحْيَيْنِ » ، [٩٦] رائحٌ غادي ، ونائح وشادي ، [٩٧] والقُنْبَرُ [٩٨] بين الفريقين طائر ، والعِثْيَرُ بينَ البَيْن ثائر [٩٩] .

ولم يزل الأمر كذلك إلى أن نَفِد الزّاد ، وقلّتِ المِيرة ، وضألت [١٠٠] العباد ، ووَقَعت في حَيْرَة ، فأكلوا لحوم الخيل والبغال والحمير ، والكلاب والسنانيــر ، وامتصُّوا الدّمَ ، ومضغوا الإهاب . فحصل مرض عظيم ، وداء عَميم . ألا ، وهو الجوع المزمن ، والوَخَم المحزن ، فهلَك غالب أهل (الزَّوْراء) [١٠١] ، لِما نابَهم من هذه اللأواء [١٠٢] ، وبِيع الثّمين بالثّمَن البَخْس ، وقارَنَ أهلَ (بغدادَ) طالع النّحْس [١٠٣] ، وبِيعت الأبكارُ العَذَارَى ، بأرغفة الشعير ، واسْتولى على

---

(٩٤) في أساس البلاغة : ومن المجاز : « ساجله ، فاخره ، مساجلة ؛ والحرب سجال : مرة على هؤلاء ، وأخرى على هؤلاء » . وأصله قولهم : « سقيته سجلا وسجالا ، وهو الدلو العظيمة ، وساجله اذا باراه في الاستقاء من البئر » .

(٩٥) الضرام ، بكسر الضاد : ما تضرم به النار ، والوطيس : المعركة ، يقال : حمي الوطيس ، اذا جدت الحرب واشتدت .

(٩٦) مثل قديم ، ويقال : « أشح من ذات النحيين » . والنحي ، بكسر النون ، وتفتح ، وسكون الحاء : زق السمن . ولهذا المثل قصة منكرة ، وأراه هو وقصته مكذوبين من أوضاع الشعوبية .

(٩٧) كذا باثبات الياء في « غاد » و « شاد » – في الأصل ، وفي (ش) .

(٩٨) واحدته « قنبرة » ، وهي جسم معدني أجوف يحشى بمواد متفجرة ويقذف به العدو بالمدفع ، وتقال اليوم باللام « قنبلة » و « قنابل » .

(٩٩) العثير : الغبار .

(١٠٠) كذا ، والصواب : « ضؤلت » ، يقال : ضؤل يضؤل ضآلة وضؤولة : صغر جسمه . و – نحف . و – حقر . وفي (ش) : « واحتاجت » .

(١٠١) قال الأزهري : مدينة (الزوراء) بـ (بغداد) في الجانب الشرقي ، سميت زوراء لازورار في قبلتها ؛ وقال غيره : الزوراء مدينة أبي جعفر المنصور ، أي المدينة المدورة ، وهي في الجانب الغربي . قال ياقوت : وهو أصح مما ذهب اليه الأزهري بإجماع أهل السير .

(١٠٢) نابهم : نزل بهم ، والنائبة المصيبة . – اللأواء : الشدة .

(١٠٣) ش : « الطالع النحس » ، وصفاً .

النّاس رديّ[و ١٢٢ / أ] الأفكار ، فهم حَيَارَى بل سُكارَى لهذا الأمر الخطير !

قال الفقير :

صلّيت الجُمُعَةَ في جامع القُطب الرَّبّانيّ ، والهيكل الصَّمَدانيّ[١٠٤] ، سيّدي (عبدالقادر الكيلانيّ)[١٠٥] . فلمّا خرجنا من الصَّلاة ، أشرفنا في طريقنا على خَرِبة ، فيها شِلْوُ حمارٍ مُنْتِنٍ[١٠٦] ، وحولَهُ امرأة بلغت من الجمال الغاية ، وحصلت من الحُسن على النِّهاية ، وفي يدها سكّين وهي تقطَعُ من ذلك اللحم النّتن ، وتضَعُهُ في « عِلّاقة » كانت حولها ، فسُئِلَتْ[١٠٧] عن ذلك ، فقالت : الجوعُ أدّاني إلى ما رأيتم ، حيث[١٠٨] صار لي خمسة أيّام لم يدخُلْ في جوفي غيرُ الماء ويانع الخُوص . فتركناها ومضينا .

وكانت (الأكراد) تصطاد الكلاب وتأكُلُها .

ومن كرم الله أنّا لم ينَلْنا في هذا الحِصار سَغَب[١٠٩] ، ولا وَصَب ولا نَصَب[١١٠] . بل كيلُنا وافي ، واتّكالُنا على الكافي .

---

(١٠٤) القطب ، والهيكل الصمداني: من مصطلحات (المتصوفة) ، وهم قد يسمون القطب (غوثاً) باعتبار التجاء الملهوف اليه ... الى آخر ما جاء في « تعريفات السيد الجرجاني » ، وعندهم (القطبية الكبرى) وهي مرتبة (قطب الأقطاب) ، قال : « وهو باطن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام .. » الى آخر ما يهذون به ، والإسلام الصحيح لا يعرف هذه المصطلحات والتقسيمات ، ويرفض التفرق وتعدد الطوائف وزعاماتها ومراتبها .

(١٠٥) هو الشيخ العالم الزاهد المشهور عبد القادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست (أي العظيم القدر) ، محيي الدين الكيلاني ، أو الجيلاني ، أو الجيلي (٤٧١ - ٥٦١ هـ) . قال ابن الأثير في التاريخ (١٢١/١١) : « كان من الصلاح على حال ، وهو (حنبلي) المذهب » . وأثنى شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية على معتقده وتقواه ، وأكبره . وقد نسب اليه المتأخرون تأسيس « طريقة صوفية » ، ودس بعض الناس في مؤلفاته أقوالا يبرئه منها المحققون .

(١٠٦) كل مسلوخة أكل منها شيءٌ فبقيتها شلو .

(١٠٧) ش : « فسألتها » .

(١٠٨) استعمل « حيث » للتعليل ، وإنما هي ظرف للمكان .

(١٠٩) السغب : الجوع مع التعب .

(١١٠) الوصب : الوجع والمرض . و - التعب والفتور في البدن . - النصب : الإعياء والتعب .

حتى إنَّ (الوزير) إذا جِيءَ بطعامه إلى مكانه في السُّور ، تنهَبُه النّاس من شدّة السّغَب ، و (الوزير) المذكور لم يغضَب لذلك ، ويصبِر على الجوع . بل إنّه تجري دموعه على خدّيه رحمةً على[111] العِباد ، ممّا نالهم[112] من المَشاقّ والأنكاد .

ومع هذا الجوع العظيم ، والهلاك العميم ، (أهلُ بغدادَ) لم يطأطئوا للملعون رأساً[113] ، ولم يظهروا له حزناً وبأساً[114] ، بل يظهرون الغِنى ، ويَنْفُون العَنا[115] ، محافظون السُّورَ ، مانعون العدوَّ من الدُّخُول والعبور .

* * *

هذا ، وأمّا (الوزير) المظفّر ، والشُّجاع الغَضَنْفَر ، فمسكَنُه شُرُفات السُّور ، لم يُسْرِ عن المجاهدة والمحافظة بعض الفُتور ، ولم يعرِف النّومَ ولا السِّنَةَ[116] ، ولا الرّاحة في هذه السَّنَة ، بل يركَبُ جواده ويطوف على الحُماة والرُّماة ، في جميع الأنحاء والجهات ، ويحرّضهم على المقاومة ، ويحثّهم على المجادلة والمخاصمة . حتّى إن الأعداء لمّا شَعَروا بمكانه ، لم يرموا « أطوابهم » ولا بنادقهم[117] إلاّ على جهته . فكان يَمُرُّ عليه حجر « الطّوب » الكبير قريباً منه ، فلا يتحرك ولا يتزلزل . حتّى إنّ بعض جلسائه طأطأ رأسه عن حجر « الطّوب » ، فزجره وعنّفَه وأقامه من مكانه .

---

(١١١) وكذا في (ش) .

(١١٢) ش : « وما نالهم » .

(١١٣) ش : « لم يطنطنوا رويسم للملعون » (!) .

(١١٤) بأساً : يأباها السياق ، ويطلب بدلها « بؤساً » كما وردت في (ل) . حزناً : في ش « حوناً » ، وأرى « خوفاً » هي التي توائم المقام .

(١١٥) العنا : العناء ، وفي (ش) : « الفناء » ، والسياق يأباها .

(١١٦) السنة : النعاس .

(١١٧) ش : « وبنادقهم » .

وكان يعلِّل النّاسَ بأن يُخرِج ليلاً خفيةً رجــلاً رَذِيلاً [118] قَلَّ مَنْ يعرِفه ، [و١٢٢ أ / ب] ويوصيه أن يكمُنَ [119] في بعض الأماكن خارج البلد ، ويعود إليهـــا [120] ضحوةً [121] على فرصة من الرِّصَد ، فيدخُل ويخبر بأنّه قد قدِم من المَدَد السّلطاني ، والجَحْفَل الخاقانيّ [122] ؛ وأنّه صارَ اليومَ في مكانِ كذا . فيحصُل السُّرور للخاصِّ والعامِّ ، ويستروحون رائحة الخلاص ،من هذه الأقفاص . ثمّ تمضي على هذه مُدّةٌ ، فيُرسِل آخرَ ، فيُخبر بخبرٍ غيرِ خبرِ الأوّل ، أقربَ مدّةً من الأوّل ، فكذلك يحصل السُّرور ، وينتج الحبور!

* * *

ولم يزل الأمر كذلك إلى أن أيس [123] (أهل بغداد) من مَدَد الإســلام ، وأيقن بالهلاك الخاصُّ والعامّ .

وتأهّبَ الرُّماة الحُماة (الينكجرية) [124] وسائر (أهل بغــداد) للخروج إلى القتال زحفاً ، وإنّ موتهم تحت بَوارِق الظُّبا ، للعِلّة أشفى وأنفى [125] .

---

(١١٨) الرذل ، والرذيل : الدون من الناس ، وقيل : الدون في منظره وحالاته ، وهذا وألصق بمراد المؤلف ، ولو قال : « رذل الثياب » ، لكفانا مؤنة التوجيه لكلامه .

(١١٩) ش : « يكن » ، وليس بشيء .

(١٢٠) وكذا في (ش) كما تقدم نظيره في التعليق (٨٣) .

(١٢١) ش : « ضحوة نهار » .

(١٢٢) الجحفل : الجيش الكثير فيه خيل ، والخاقاني : الملكي بلغة الترك .

(١٢٣) قال الجوهري : أيس لغة في يئس ، وذهب ابن سيده الى أنه مقلوب عن يئس ، وليس بلغة فيه ، واحتج لرأيه بكلام جيد ليس هذا موضعه .

(١٢٤) الينكجري : لفظ تركي ، مركب من : « ينغي » و « جري » بجيم عجمية « ch » ، وترسم « ينغي » بالتركية الحديثة « يكي » بكاف فوقها ثلاث نقط وإسقاط الغين ، وينطقونها « ينـي » ، ومعنى اللفظين : العسكر الجديد . وقد عرب في العراق بـ « الينكجري» للمفرد ، و « الينكجرية » للجمع ، وفي مصر بـ « الأنكشاري » و « الأنكشارية » . و « الينيجرية » مصطلح عسكري أطلقه الأتراك العثمانيون على جنود الجيش الجديد الذي استحدثوه أيام الاصلاح ، وكانوا من أولاد النصارى الذين كانوا يؤخذون جزية ، فيسلمون ، ويدربون تدريباً عسكرياً . وقد صارت لهم في طول الانبراطورية العثمانية وعرضها شوكة ، فقدوا بها مع الأيام روح النظام والانضباط ، فأبادهم السلطان محمود الثاني في سنة ١٨٢٦م

(١٢٥) الظبا : جمع الظبة ، وهي حد السيف وطرفه .

فلم يزل (الوزير) ومَن معه من الوزراء يفنّدونهم ، ويُبــدوا [١٢٦] لهـــم المَضَرَّة في ذلك ويفتّرونهم ، حتى إنّ (الوزير) المذكور — مع وفور هيبته ، وعظيم أُبّهتِه — يُلين لهم المقـــالَ عندَ البابَ ، راجلاً في ذلك الازدحام والاصطخاب ، حتّى رَجَعُوا ، ولقوله أطاعوا وسمِعوا .

* * *

ثمّ إنّ (الخارجيّ) الخبيث ، أمر (مفتي معسكره) أن يكتب لِـ (علماء بغداد) كتاباً : بأن يقولوا : لِـ (أحمد باشا) يُسلّمُ [١٢٧] البلد ، لأنّ (بغداد) مصر كبير ، ويحتاج إلى عسكر كثير ، وقد هلك أكثر النّاس من الجوع ، وليس لهم حيلة سوى الإتيان بكلمتي الشّهادة .

فلمّا جاء كتاب (المفتي) ، قال (الوزير) : أُكتبُوا له : « إنّي لا أسلّم له حجراً من أحجار (بغـــداد) ، حتّى تنفردَ سالِفَتِي [١٢٨] ، وأُقْبَرَ في مكاني هذا وبُقعتي . وأمّا موتُ النّاس ، فَلِأَنّ الوقتَ وقتَ غيبوبة (الثُرَيّا) ، وقـــد جرت عادة الله في (العِراق) أنّه [في] [١٢٩] ذلك الوقت تكثُر الأمراض والأوجاع . هذا ، وذخيرتُنا وافية ، ومِيرَتُنا كافية ، ومددنا كثيرة العدد ، متواصلة المدد » [١٣٠]

هـــذا معنى ما أمر (الوزير) [و١٢٣ / أ] المومى [١٣١] اليه بكتابته ، [١٣٢] فصبَّ (والِدي) هذه المعاني ، في قوالب الألفاظ والمباني .

* * *

(١٢٦) وكذا في (ش) ، وصوابه « يبدون » بالنون كما في سابقه ولاحقه .

(١٢٧) ش : « سـلم » .

(١٢٨) السالفة : جانب العنق .

(١٢٩) الزيادة من (ش) .

(١٣٠) كذا ، وفي (ش) : « ومددنا كثيرة العدة ، متواصلة المدة » ، وأراه : « وجنودنا كثيرة العدد ، متواصلة المدد » .

(١٣١) يقال : « أومأ » ، و « أومى » .

(١٣٢) ش : « بكتابه » .

ثمّ إن المحتال لمّا لم يُسْمَعَ كلامه في تسليم البلد ، ولم يَقْبَلُ كلامَه كلُّ أحد ، أرسل يُريد (السّلْم) و (الصُّلْح) ،ليستخبر بمكره من أين تؤخذ[١٣٣] البلد ، وليعرِفَ كيف يصنع عليها[١٣٤] الرَّصَد !

فأرسل بذلك بعض أكابره ، فأمر (الوزير) المرحوم — لكثرة عقله وشدّة دهائه — أن يباع[١٣٥] المأكولات بأرخص الأثمان ، وهو يُعطي أهلها أَرْشَ النُّقصان ،[١٣٦] ليُفْهِمَ (العجمَ) الّذين أُرسلوا إليه أنّ (بغــدادَ) رخيّة[١٣٧] رخيصة ، المأكولُ فيها كثير . فبِيعَ رغيفُ الخبز بأربعة أفْلس ، مع أنّ ثَمَنه ذلك الوقت كان في الغاية من الغلاء[١٣٨] .

وعمِل (الوزير) لهذا (الرَّسُول) ضيافة غريبة ، جمع مؤونتها من جميع (أهل بغداد) : كلّ ذلك ليعرّفه أنّ (بغداد) فيها مِيرة كثيرة .

فأجابه (الوزير) إلى سؤاله ، معتمداً ظاهرَ حاله في إرساله . فعُقِد من الجانبين (الصُّلح) ، وظنّ (أهل العِراق) نيلَ الرِّبح .

لكنّ الأبواب على حالها مُغلّقة ، والرِّجال الرُّماة بشُرُفات السُّور معلّقة .

ثمّ إنّه طاف بالبلد من خــارج السُّور ، كلُّ عِلْقٍ[١٣٩] من (الفُرس) جسور : أظهروا الفرجة على المعاقل ، والتَّنَزُّهَ على أولئك الجحافل (*) . ويقال

---

(١٣٣) كذا بتأنيث الفعل على توهم « البلد » مؤنثاً كما تقدم في موضعين سابقين ،ومثله في (ش) .
(١٣٤) صواب العبارة : « . . كيف يضع عليه . . . . » .
(١٣٥) صوابه في (ش) : « تباع » .
(١٣٦) أراد فرق النقصان ، وأصله كما قال أبو منصور — : « الخدش ، ثم قيل لما يؤخذ دية لها : أرش » . وقد تكرر ذكر الأرش المشروع في الحكومات ، وهو الذي يأخذه المشتري من البائع اذا اطلع على عيب في المبيع . تنظر شروح الأحاديث ، والنهاية ، واللسان، والتاج ، وتهذيب اللغة .
(١٣٧) ش : « غنية رخيصة » .
(١٣٨) ش : « في غاية الغلاء » .
(١٣٩) الوجه أن يقول « علج » ، أو « علق شر » ، ويقال لمن يحب الشر ويميل إليه .
(*) ينظر التعليق (١٢٢) .

إنَّ (الخبيث) كان معهم متدلِّساً،[١٤٠] وبـلأْمَتِه عن عيُون النّاس مُتَتَرِّساً.[١٤١] والقصدُ كان اختبار السُّور، وأنّه هل يمكن منه الهجوم والعبور ؟

فلمّا لم يروا منه إلى العبور طريقاً، بل لـمّا أبصروه عاليَ البناء من كَثَب،[١٤٢] مُسامِةَ الغَبْراء[١٤٣] من بُعْدٍ، رَأَوا العجب، ورأوه مشحوناً بالأبطال الضَّراغِم، مَـلآناً[١٤٤] بالبنادق والصَّوارم، وأنَّ « طوبه » تُرهِب صورتهـا، فضلاً عن منَالها في مُضيّها وقوّتها ــ أَيِسُوا[١٤٥] من أخــذ (بغدادَ)[١٤٦] عَنْوَةً، وعلِموا أنَّ قدومهم كان إذْ ذاك هَفْوَة .

* * *

فلمّا رجَعُوا إلى (المعسكر)، أمر أن يأتي إليه من أعوان (الوزير) أناس يعقد معهم (الصُّلح) . [و١٢٣ / ب] فأرسل (الوزير) لذلك : (محمّد باشا)، و(راغب أفندي) دفتردار[١٤٧] بغداد .

فحين وَصَلا إليه، أكرمهما، وقال لهما : إنَّ (بغداد) عَذْبَة الهواء، وإنّي أتيت ببذر بِطّيخ من (العجم)، فزرعته، وقد أنتج . وأُريد أن أُرسل منه لـِ (أحمد خان) ــ يعني بذلك (الوزير) .

---

(١٤٠) تدلس : تكتم، وخير من تدلس (هاهنا) : تنكر .

(١٤١) اللأمة : أداة الحرب كلها من سيف ودرع ورمح وبيضة ومغفر . والمتترس : المتوقي بالترس، والترس ما يتوقى به في الحرب .

(١٤٢) أي : من قرب .

(١٤٣) ومثله في (ش)، والصواب : مسامت، أي مقابل ومواز ومواجه، تاؤه أصلية، من « السمت » . ــ الغبراء : الأرض . والصحيح أن يقال : « مداني الغبراء »، إذ لا وجه هنا للمقابلة أو الموازاة أو المواجهة .

(١٤٤) ومثله في (ش)، والصواب : « ملآن » بغير تنوين، لأنه ممنوع من الصرف .

(١٤٥) ينظر التعليق (١٢٣) .

(١٤٦) ش « فتح بغداد » .

(١٤٧) ش : « ودفتردار.. » بواو العطف، والصحيح حذفها ؛ لأن (راغب أفندي) هو الدفتردار .

ثمّ لمّا صار الليل بين العِشائين[١٤٨]، أمر أن يأتوه بـ (راغب أفندي). قال (الأمير محمد باشا) : حين رَجَع (الراغب)[١٤٩] منه ، أبصرته في غاية الوَجَل . فسألته عن ذلك ، فقال : تغيّر الخبيث عن حاله الأوّل ، وقال : لِمَ لا يسلّم البلدَ (أحمد خان) ؟ أنا آخذها[١٥٠] عَنْوَةً ! على أنّها لم تكن مقصدي ، بل إنّ قصدي (قيصر الرُّوم) و (دِيار إسلامبول) ! !

قال : فلمّا أصبحنا ، أرسل خلفنا[١٥١] جميعاً . فلمّا صِرنا بين يديه ، اعتراه الغضب ، وقال : قولا لِـ (أحمد خان) يسلّم البلد ! فقلت له[١٥٢] خوفاً منه : يسلّمها لك[١٥٣] إذا رَجَعْنا إليه . وتكلّم معنا كثيراً بالعُنف والتّهْديد ، وأمرنا بالرُّجُوع .

فلمّا رَجَعنا إلى (بغداد) ، أخبرنا (الوزير) بذلك ، فقال : (لو قُطِّعت إرْباً إرْباً[١٥٤] ، لم أسلّمه حجراً من (بغداد) .

ثمّ أمر بِـ « الأطواب » فضَرَبت ، وعاد الحرب كما كان[١٥٥] .

* * *

ثمّ عُلِم أنّ سبب نكوث[١٥٦] صلح ذلك الغادر ، سماعُه بقرب المَدَد . فضاربوه كما ضارب ، وحاربوه كما حارب ، ونكثوا صلحهم ، وفوّضوا إلى الله صلحهم .

---

(١٤٨) وكذا رسم في (ش) ، والصواب « العشاءين » .
(١٤٩) ش : « راغب » ، ولا وجه لإدخال « أل » عليه .
(١٥٠) ومثله في (ش) . وقد تقدم نظيره (في التعليقات ٨٣ ، ١٢٠ ، ١٣٣) .
(١٥١) الوجه أن يقال : « أرسل يطلبنا . . » .
(١٥٢) ش : « فقلت » .
(١٥٣) ش : « يسلمك البلد » .
(١٥٤) الإرب : العضو الكامل ، يقال : قطعه إرباً إرباً (بتكرار اللفظ) .
(١٥٥) الحرب مؤنثة ، فيجب تأنيث فعلها .
(١٥٦) ش : « نكوس » ، والصواب في الأول « نكث » ، وفي الثاني « نكس » ، أو هو نكوص بالصاد ، والوجه « نكث » كما سيأتي في السطر الذي يليه .

ولم يزل الأمر كذلك حتّى ضـــاق الخِناق ، والْتَفَتْ ــ للوَصَب والسَّغَب [١٥٧] ــ السّاق بالسّاق [١٥٨] ، وظهرت المُخَدَّرات في الطُّرُقات ، وبدت المُحْصَنَـــات الغانيات [١٥٩] ، وذلك من حرارة السَّغَب ، وعـــدم الملجأ والمهرب . وتصـــدّق (الوزير) المذكور بجُلّ خيله ، وتابَعَه على ذلك مَنْ هو كمثله . واقتات غالب (أهل بغداد) ــ بعدَ نَفاد الكلاب والسّنانير ، والبِغال والحمير ــ بأقراص الشّريس اللّزِيج ، وحَبّ القُطْن الحليج . وكَثُر الموت ، إذ ذاك ، من الجوع ، بحيثُ يوجد في الطّريق الواحدِ ، اثنان [١٦٠] أو ثلاثـــة رجـــال [و ١٢٤ / أ] ونساء موتى مُنْتِنُون . وكثر المرض حينئذٍ لكَثْرة الهمّ والحُزْن ، والوَخَم والنّتْن ، وسائر الكدورات على أجسامهم المرتاضة ، وأفئدتهم المِمراضة ، فمات من الأغنياء ــ لا عن [١٦١] جوع ــ الجمعُ الكثير ، والجَمُّ الغَفير ، فتمنّى النّاس ــ لسوء هذا الحال ــ حُلُولَ الرَّمْس [١٦٢] ، ورَضُوا بالهلاك لقوّة طالعِ هذا النّحْس !

فبينا [١٦٣] النّاسُ في هذا الاحتيار(*) ، وعلى ردي الأفكار ، وإذا [١٦٤] بالمَدَد قد قَرُبَ ، وقلبُ (الخبيث) لقربه وَجَب . [١٦٥] ولم يكن لِـ (أهل بغداد)

---

(١٥٧) ينظر التعليق (١١٠) .

(١٥٨) ش : « الساق على الساق » ، والأصل هو الصحيح ، وهو من قوله تعالى : (والتفت الساق بالساق) ــ « القيامة / الآية ٢٩ » . وفي تفسيرها كما في الكشاف : « التفتَ ساقه بساقه ، والتوت عليها عند علز الموت (هو كالرعدة تأخذ المريض) ، وعن قتادة : ماتت رجلاه فلا تحملانه ، وقد كان عليهما جوالا ، وقيل : شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة ، على أن « الساق » مثل في الشدة .. » .

(١٥٩) الغانية : المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة ، وفي (ش) : « الغاليات » .

(١٦٠) ش : « في الطريق الواحد أو اثنان .. » .

(١٦١) ومثله في (ش) ، والصواب « من » .

(١٦٢) الرمس : القبر مستوياً مع وجه الأرض .

(*) ينظر التعليق (٢٨) .

(١٦٣) ش : « فبينما » ، وهما شيء واحد ، أي ظرفا زمان بمعنى المفاجأة .

(١٦٤) ومثله في (ش) ، والصواب حذف الواو .

(١٦٥) وجب : اضطرب .

بقربه خبر ، ولم يعلموا أن سيُدْرِكُهم ما يدفَعُ عنهم هذا الضَّرَر . بل أَيِسُوا[١٦٦] من العساكر الإسلاميّة ، وأخلصوا في التّوكُّل على الله النيّةَ ، وأصَرّوا على أنّهم إلى أن ينفَدَ جميع ما يمكن أن يُقتاتَ به يخرُجون إلى القتال ، ويُقارعون أولئك الأبطال ، ولا يسلّموا[١٦٧] البلد عن إذلال ، حتّى ينقرض الجميع في القتال .

هذا ، و (الوزير) المذكور لم تزل عساكره تخرُج إلى المصادمة ، والمقاتلة والمقاومة ، والحربُ ذاتَ البَيْن سِجال[١٦٨] (شعراً)[١٦٩] .

فيومٌ علينا ، ويومٌ لنـا ويومٌ نُساءُ ، ويومٌ نُسَرّ

ثم إنّه ، رحمه الله ، احتال على عياله ، وأظهر لهم أن يُرسلهم إلى (البصرة) ، وأوصى أن لا تأخُذَ كلٌّ منهنّ شيئاً سِوى ما يستُرُها ويحجبها فيغمرها دوماً ، وحرصاً على النّفيس . وهنّ — لاحتجابهنّ[١٧٠] بحِجاب الخُدور ، واستتارهنّ في المعاقل والقصور ، — لم يعرِفن كيفيّة الحِصار ، ويزعُمْن أنّه يمكن الى (البصرة) الهرب والفِرار[١٧١] .

وكان قصد (الوزير) — رحمه الله — أنّه إنْ أيِسَ[١٧٢] من المَدَد ، وخرج مع العسكر و (أهلِ بغدادَ) للخصام واللّدَد[١٧٣] ، فإذا حصل للعدوّ الاقتدار ، والغلبة على الإسلام والاستظهار ، يأتي إلى (دار الحكومة) ، ويَضَع هؤلاء النّساء في زواريقَ[١٧٤] أرساها تحت الدّار وخرّقها ، ووضع على الخَرْق شيئاً

(١٦٦) ينظر التعليق (١٢٣) .
(١٦٧) ومثله في (ش) ، والصواب « ولا يسلمون » .
(١٦٨) ينظر التعليق (٩٤) .
(١٦٩) كذا بالنصب ، وقد خلت منها (ش) .
(١٧٠) ش : « لاحجابهن » ، ويقال : حجب ، ولا يقال : أحجب .
(١٧١) الهرب : ليست في (ش) .
(١٧٢) ينظر التعليقان (١٢٣) و (١٦٦) .
(١٧٣) اللدد : الخصومة الشديدة مع الميل عن الحق .
(١٧٤) ش : « زوارق » ، وهو الصحيح .

من القار ، فيضعُ جميع عياله فيها ، ويسيّرها حتى تتوسّطَ (دجلةَ) ، فيرفعَ الملاّح [و١٢٤ / ب] ذلك القار ، ويُغرّق الجميع في (دجلة) ، ولا يُبَرِّدُ بهنَّ (للخبيث) غُلَّة [١٧٥] ، ولا يُقال إنّ حَرَمَ الوزير الأكبر ، والدُّستور الأشهر ، أسَرَه [١٧٦] (كلبُ العجم) ، حين أخذ (بغدادَ) وعليها هجم ! وإنّه ، رحمه الله ، يقاتل حتّى يُقْتَلَ .

ولم تزل هذه نيّتَهُ ونيّةَ (أهل بغداد) ، وقد أخذوا — للخروج إلى القتال — الأُهْبَةَ والاستعداد [١٧٧] .

ثمّ إنَّ (الخبيث) الغادر ، واللئيم الفاجر ، حينَ سَمِعَ بقُرب عساكر الإسلام ، وضع جملة من عسكره في المعسكر ، وأمَرهم أن يبقَوْا على حالهم من ضرب «الطّوب» والقنبر [١٧٨] ، كَيْلا ينكِر [١٧٩] عليهم (أهل بغداد) ، فيرسلوا مَنْ يجسّ خبرهم [١٨٠] فيخرُجُوا إليهم على استعداد ، ويأخُذوا العُدَد ، ويقتلُوا هذا العَدَد .

ثمّ إنّه سار بسائر عساكره ، ووجوه كواسره ، وقصَدَ لُيوثَ الإسلام وحماة الإسلام . [١٨١] فلمّا وصل إلى (العُظَيْم) ، ختل لهم في أسرابه [١٨٢] ، واحتجب في دُحُوله بأحزابه [١٨٣] . .

---

(١٧٥) الغلة ، بالضم : شدة العطش وحرارته .

(١٧٦) ش : « أسرها » .

(١٧٧) الأهبة : العدة .

(١٧٨) ينظر التعليق (٩٨) .

(١٧٩) وكذا في (ش) ، والصحيح : « ينكر » .

(١٨٠) ش : « من يأتي بالخبر » .

(١٨١) ش : « وحماة الإيمان » ، وهو الملائم هاهنا .

(١٨٢) ختل لهم : أراد تخفى لهم ، والصواب « ختلهم » ، يقال : تخفى الرجل الصيد ، معدى بنفسه . ويقال : ختله في الحرب ، إذا داوره وطلبه من حيث لا يشعر ليطعنه .

(١٨٣) الدحول : جمع الدحل ، وهو المصنع يجمع الماء .

ولمّا قدم عسكر الإســلام ، وصار بينْ تلك الآجام (١٨٤) ، ولم يكن إذْ ذاك مجتمعاً ، بل كان غير متواصل متقطّعاً ، إذْ يعلمون أنّ العدوّ غير قريب ، وأنّه لم يَخْطِر ببالهم هذا الأمر العجيب ، ـ فصاحَ (١٨٥) العــدوّ بهم عــلى غفلة ، وبَغَتهم من أوّل وَهْلَة ، فاختـــلّ لذلك النّظام ، ولم يمكن (١٨٦) الائتلاف والانتظام .

فمَنْ كان متأخِّراً من الجنود ، هرب قافلاً ، وصار إلى (المَوْصِل) راحلاً ، وأخبروا (أهلَ الموصل) بأنّا قد هربنا من الأعداء ، وأنّ (الوزير) وبقيّة إخواننا سُفِكت منهم الدِّماء ! ولا ريبَ أنّهم أخبروا [و١٢٥ /أ] بما أبصروا ، وحقّقُوا ما شعروا .

وأما المقدَّمة ، فقد هربت غيرَ بعيد ، تنتظر فُرصة الائتلاف مع حزبها الشّريد ، حتّى تقاتل لا عن قلّة ، وتحارب ليس عن ذِلّة .

وأما القلب ، فقد كان فيه الليث الجسور ، والشُّجاع الغيور ، والمجاهد الصّالح ، والشّهيد الفالح (١٨٧) . ألا ، وهو (طُوبال (١٨٨) عثمان باشا) . فحينَ أبصر ما حلّ بأعوانه ، وشاهد مَصارِع إخوانه ، أمر مَنْ معـــه من (الينكجرية) (١٨٩) ، وسائر أهل الحميّة ، أن يأخُذُوا جهة الماء . فأخذوها ، ووضعوا على عجلة منهم « الچَرْخَ فَلَكْ (١٩٠) » ـ وهو هيأة السُّور من الخشب ، صورةُ قِطَعِه هكذا : + + + ،

(١٨٤) واحدها أجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

(١٨٥) كذا بادخال الفاء على الفعل ، ومثله في (ش) ، وجواب الشرط اذا كان فعلا لا تدخل عليه الفاء ، إنما يكون ذلك في الجمل الاسمية .

(١٨٦) ش : « ولم يكن » .

(١٨٧) الفالح : الظافر بما يريد ، فعله : فلح ، والأشهر : أفلح ، فهو مفلح ، وفي التنزيل العزيز : (قد أفلح المؤمنون) .

(١٨٨) الطوبال : الأعرج باللغة التركية ، وتنطق باؤه نطق (P) الفرنجية .

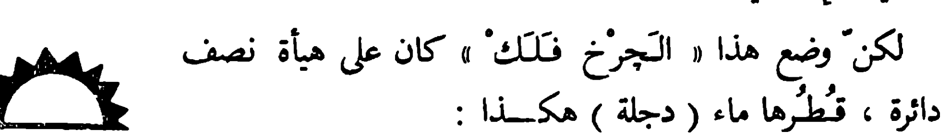
(١٨٩) ينظر التعليق (١٢٤) .

(١٩٠) ش : « الجوخ فلك » ، وأعيدت فيها من بعد صحيحة كهذا الأصل . والجرخ : « العجلة » بالتركية ، وجيمه تنطق نطق (ch) باللغة الانكليزية ، وقد دخل هذا التعبير العاميــة البغدادية ، أو العراقية ، ولا يزال دائراً على الألســنة .

فتوضع قِطعة عندَ قِطعة ، وتُغْرَز [191] طرفاهـا في الأرض ، ويُهـال التّـراب إلى نصفها ، وطرَفاها الآخـران : برأسهما [192] نِصالٌ جَرِيّة [193] وأسِنّة محميّة ، فيكون كالدائرة هكذا : —

ويوضع خلفه « الطوب » و « التُّفَكّ » [194] ، وتُحدِق به من داخلٍ البَنادِقِيّةُ ، [و ١٢٥ / ب] وسائر أهـل الحميّة الإسلاميّة .

لكنّ وضع هذا « الچرْخ فَلَكْ » كان على هيأة نصف دائرة ، قُطرُها ماء (دجلة) هكـذا :



وإنمـا يُفْعَلُ ذلك ويُتَتَرّس [195] به عنـدَ غلبة العدوّ واقتـداره ، واستيصاله [196] واستظهاره .

ولا شكّ أنّ عدد الإسلام وعسكره في الغاية من القِلّة ، إذْ جَناحاه ومقدّمته وساقته ذهبت شَذَرَ مَذَرَ [197] ، وتفرّقت بين الوِهاد [198] والحُفَر ، ولم يبـق غيرُ القلب ، ولم يكن فيه إلاّ حامية الرئيس ، و (الينكجريّة) لُيُوث العِرّيس [199] .

وأمّا العدوّ ، فهو يزيدهم [200] بأضعاف ، وينوفهم في آلاف [201] .

---

(١٩١) ومثله في (ش) أيضاً ، والصواب : ويغرز ، بالياء .

(١٩٢) ش : « برأسيهما » .

(١٩٣) النصال : جمع النصل ، وهو حديدة الرمح والسهم والسكين . جرية : جريئة ، كأنه يريد أنها حادة . وفي (ش) : « حربة » ، وهي لا تستقيم في السجعة .

(١٩٤) ينظر التعليق (٤٦) .

(١٩٥) ينظر التعليق (١٤١) .

(١٩٦) وكذا في (ش) بقلب همزته ياء ، ولا ضرورة تقتضيه .

(١٩٧) ينظر التعليق (١٥) .

(١٩٨) ينظر التعليق (١٦) .

(١٩٩) العريس : الشجر الملتف يكون مأوى للأسد .

(٢٠٠) الصحيح : يزيد عليهم .

(٢٠١) ش : « بآلاف » . وينوفهم : صوابه ينيف عليهم ، يقال : أناف العدد ، اذا زاد على العقد ، ونيف عليه (بالتضعيف) .

وقد أخذ العدوّ جهةَ الهواء ، وأخذت (المسلمون) جهةَ الماء . ثمّ إنّ الإسلام لمّـا أخذت[٢٠٢] جهةَ المـاء ، وتَتَرَّسُوا بـ « الجَرْخ فَلَك » [٢٠٣] ، ألقى الله عليهم السّكينة ، وصاروا آمَنَ ممّن في مدينـة ، وشرِبوا الماء الباردَ النّميرَ[٢٠٤] ، والأعداءُ تصطلي حرَّ الهَجير . [٢٠٥] وكان الوقت وقتَ القائلة في يوم سامَتَتْ فيه الشّمسُ القدم[٢٠٦] ، وقُضِي علىحبَاريه [٢٠٧] بالهلاك [و١٢٦ / أ] والعدم .

ثمّ إن عباد الله طَفِقت تُضاربِ الأعداء بـ « الطّوب » والبنادِق ، والخيّالة تقاتلهم باللُّتُوت السّواحق[٢٠٨]. وقد تراجع من (المسلمين) غالبُ مَنْ هـرب ، واهتدت [٢٠٩] عبادُ الله الهاربون بصوت « الطّوب » إلى المعسكر .

وقامت الحرب من الجانبين على ساق [٢١٠] ، ونَعَب عـلى الأعداء غُرابُ

---

(٢٠٢) وكذا في (ش) .

(٢٠٣) ينظر التعليق (١٩٠) .

(٢٠٤) النمير : الطيب الناجع في الري .

(٢٠٥) الهجير : نصف النهار ، في القيظ خاصة . واصطلاء النار : الاستدفاء بها .

(٢٠٦) القائلة : الظهيرة . سامتت : التعليق (١٤٣) .

(٢٠٧) وكذا في (ش) ، والصواب « حباراه » . والحبارى : طائر طويل العنق رمادي اللون ، على شكل الأوزة ، في منقاره طول ، وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى ، وواحده وجمعه سواء ، وإن شئت قلت في الجمع حباريات ، قال الجاحظ : الحبارى لها خزانة في دبرها وأمعائها ، لها أبداً فيها سلح رقيق ، فمتى ألح عليها الصقر ، سلحت عليه ، فينتف ريشه كله ، وفي ذلك هلاكه . وقد جعل الله تعالى سلحها سلاحاً لها . ولعلماء العرب في الحبارى كلام كثير ، أنظره إذا شئت في « الحيوان » للجاحظ ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري .

(٢٠٨) العرب تقول : لت الشيء يلته لتاً ، اذا فته وسحقه ، والمؤلف يشير الى أشياء يقاتل بها الفرسان ، تلت وتسحق ويرمى بها الأعداء ، ولم أقع على هذه « اللتوت السواحق » في غير هذا الكتاب .

(٢٠٩) ومثله في (ش) .

(٢١٠) قامت الحرب ونحوها على ساق : اشتدت .

البَيْنِ بالهـلاك والانمحاق [٢١١] ؛ إذْ قد أوهنهم الضّحـا [٢١٢] ، وصيّرهم في عناء وعمى ، بحيثُ مات أكثرهم من غير قاتل ، وهلك الباقون بشِفار المَناصِل ، [٢١٣] وحَفَّ الله الإسلام بنصره ، وأظهر بين أعدائه الطّغام غائلةَ قهره .

وهرب (الخبيث) بالشِّرْذِمة القليلة ، نادماً على عدم نِتاج هذه الحيلة . وطلَبهُ من الإسلام الضَّراغمُ ، ولحِقه منهم كلُّ مُبارز ومُقاوم ، فلم يُدرِكوا مَغارَه ، ولم يقطعوا فراره . ويقال إنَّ الّذي أوهنه هو سماعه بأنَّ (الوزير) الغَضَنْفَر سمِع بهذا الخبر ، وخرج الى قتاله من وراء ، [٢١٤] بعساكر ملأ بها البيداء ، وأنّه نهب معسكره ، وقتَل هناك عسكره .

هذا ، وقد بلغ خبر كَسيرته [٢١٥] معسكره ، فهرب وجوه أعوانه ، وتَبِعه مَنْ هناك من أخدانه .

وفرّ ليلاً بعض الأسَارى إلى (بغداد) ، وأخبر [٢١٦] (الوزير) بهـذا الخبر المُفاد . وذلك في يوم الأحد : السّابع من شهر صفر [٢١٧] .

* * *

فما أصبح الصّباح [٢١٨] إلاّ ولُيُـوث العرِيس [٢١٩] من غاباتها خرَجت ،

---

(٢١١) البين : الفراق .

(٢١٢) ومثله في (ش) ، وصوابه « الظمأ » بالظاء المعجمة والهمز ، وتحذف همزته للسجعة ، وهو العطش أو اشتداده .

(٢١٣) السيوف ، الواحد : منصل بضم الميم والصاد ، ومنصل بضم الميم وفتح الصاد .

(٢١٤) ش : « من ورائه » .

(٢١٥) ينظر التعليق (٧٦) .

(٢١٦) ش : « وأخبروا » .

(٢١٧) ينظر التعليق (١٧) .

(٢١٨) صواب العبارة : « فما أتى الصباح » ونحو هذا ، ذلك أن « أصبح » في كلام العرب معناه دخل في الصباح ، فكيف يدخل الصباح في الصباح ؟

(٢١٩) ينظر التعليق (١٩٩) .

وفوارس الخميس (٢٢٠) على وجه الغَبْـــراء دَرَجت (٢٢١) ، وقصـــدوا المعسكر ، فذبحوا (٢٢٢) بقيّة العسكر ، ونهبوا المَتاع والسِّلاح ، وخلّصوا من الأَسْر المُخَدَّرات المِـــلاح ، وتركوا مكانه خالياً ، ورفضـــوا (٢٢٣) عمـــرانه طُلولاً بَوالِيا .

ثمّ بعد ثلاثة أيّام قدم عسكرُ المَدَد ، ودخل [و١٢٦ / ب] بأجمعه البلد . ولكَثرة القَحَط والجَدْب ، رحل العسكر من (بغداد) ، وقَفل راجعاً بعدَ دفع الضّرر والأنكاد ، وزال عن (أهل بغدادَ) السّغَب (٢٢٤) ، وارتفع عنهم الوَصَب والنّصَب (٢٢٥) .

وكانت مُدّة الحصار سبعة أشهُر .

ورَجَع أكثر (أهل الجانب الغربيّ) إلى الأوطان ، وسكنوا تحتَ ظِلال الجُدْران ؛ إذْ ديارهم تركها (الخبيث) بَلا قِـع ، ورُسُوماً بَوالِيَ رَواكِعَ . لكن لحبّهم الوطنَ ، واشتياقهم الى العَطَن (٢٢٦) ، سكنـــوا في ذلك الخـــراب ، واستشفَوْا بذلك التُّراب ، ولا سِيّما الفقير ؛ فإنّي كنت مريضاً نحيف الجسم من شدّة المرض . وليس ذلك — والحمدُ لله — من جوع . بل لِما تقدّم كغيري من الهمّ والحزن والانحصار ، وكثرة الشّوق إلى الدِّيار . فمُذْ أشرفت على رأس

(٢٢٠) ش : « وفوارس العريس من غاباتها .. » ، وهي تكرار للفقرة المتقدمة . — والخميس : الجيش الجرار ، سمي بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة .

(٢٢١) الغبراء : الأرض .

(٢٢٢) ش : « وذبحوا » .

(٢٢٣) كذا ، وفي (ش) : « ودفضوا » ، ولا معنى لهما ، وأراه : « وقوضوا » .

(٢٢٤) ينظر التعليق (١٠٩) .

(٢٢٥) ينظر التعليق (١١٠) .

(٢٢٦) العطن : المناخ حول الورد ، فأما في مكان آخر فمراح ومأوى — كما في أساس البلاغة . وأراه « القطن » جمع القاطن ، وهو الملازم للمكان .

الجسر ، دَبّتِ العافيـة في جسمي دبيبَ الحُمَيّا في الـرّأس (٢٢٧). ولمّا بلغتُ دارَنا ، احتسوت (٢٢٨) الشِّفاء احتساءَ السُّلاف من كأس . (٢٢٩) ! لكنْ ، لشدّة الفرح ، غلبني دمع العين ، وطَفِق يجري جريَ الجِرْيال من عين. (٢٣٠) وقد فضل عندَنا ، بعد الفتح ، من كَيْلنا ثلاث وزنات من الحِنطة ، ولم يكن عندَنا إذْ ذاك دراهِمُ نشتري كيلاً لو نَفِدَت (٢٣١) . فاحتار (٢٣٢) (والدي) لذلك . ثمّ إنّه فَوَّض أمره إلى بارِئ النّسَم (٢٣٣) ، فوفّق الله (الوزيرَ) المذكور بأن جعله مُفتياً في قَصبتي المشهدين الشّريفين : مشهد (الإمام عليّ بن أبي طالب طالب) ، ومشهد ولده (الحسين) ، رضي الله عنهما . فعمِلنا من تلك [و١٢٧ /أ] الحِنطة مَتَاعاً ، وأعطينا الباقيَ لبعض أقاربنا ، وخرجنا الى المرقدين المذكورين مسرورين بقُرب أولئك الأكابر ، مغبوطين بأولي الشّرف الطّاهر (٢٣٤) .

* * *

فبينا نحن في السُّرور والفرح ، وزوال الشُّرور والترَح (٢٣٥) ، وإذا بالخبر قد جاءنا من (بغداد) ، بأنّ (الخارجيّ الخبيث) قد عاد .

وكان الوزير (عثمان باشا) حينئذٍ في (كركوك) بذلك العسكر ، فقابله ؛ واستشهد هناك ، وتفرّق عسكره .

---

(٢٢٧) الحميا : بلوغ الخمر من شاربها ، وحميا الكأس : سورتها وشدتها ، وقيل : إسكارها وحدتها وأخذها بالرأس .

(٢٢٨) وكذا في (ش) ، والصواب « احتسيت » . يقال : حسا الحساء حسواً ، واحتساه يحتسيه وتحساه تحسياً ، تناوله جرعة بعد جرعة .

(٢٢٩) السلاف : أفضل الخمر وأخلصها .

(٢٣٠) الجريال : صفوة الخمر .

(٢٣١) نفدت : فنيت وذهبت . وفي (ش) : « فقدت » .

(٢٣٢) ومثله في (ش) ، والصواب « فحار » – وقد تقدم مثله في التعليق (٢٨) .

(٢٣٣) الباريْ : الخالق . – النسم : نفس الروح .

(٢٣٤) ومثله في (ش) بالظاء المعجمة ، وأراه تصحيف « الطاهر » بالطاء المهملة .

(٢٣٥) الترح : الحزن .

فهرب (والِدي) مع عسكرِ (حِلّةِ ابن دُبَيْس) [٢٣٦] ، ومع متولّي (قصبة الحسين) [٢٣٧] ، إلى (المَوْصِل) عن طريق (شِفاثه) [٢٣٨] ، وأودعني وأودع سائر أهلي وأقاربي عند بعض السّادة ، . . . لساداتهم شيمة حسنة ، وأخلاق مستحسنة ، . . . ووَضَعنا جميعنا في بيت ، واختفينا اختفاءَ المَيْت . لكنّي كنت أخرج في بعض الأحيان ، متدلّساً بزيّ العُربان [٢٣٩] .

وكان من خبر هذا الماكر ، واللئيم الفاجر الغادر ، أنّه لمّا وَصَــل هارباً إلى (هَـمَذان) ، [٢٤٠] واجتمعت عليه وجوه عساكره وجنوده ، وخفقت على رأسه

---

(٢٣٦) هو سيف الدولة ، صدقة بن منصور بن دبيس ، المزيدي . ولي إمرة بني مزيد بعد وفاة أبيه (سنه ٤٧٩ هـ) ، فبنى (الحلة) ، وأسكن بها أهله وعساكره . كان صاحب طموح ، فبسط سلطانه على (الكوفة) واستولى على (هيت) و(واسط) ثم (البصرة)، وانتظم له ملك (بادية العراق) الى أن قصده السلطان محمد بن بركياروق بن ملكشاه السلجوقي بجيش عظيم ، فنشبت بينهما حرب طاحنة انتهت بمقتل (صدقة) عند (النعمانية) (سنة ٥٠١ هـ)، وقيل : ٥٠٤ هـ . وأخباره في وفيات الأعيان ٢٢٩/١ ، وتاريخ ابن الأثير ١٥٤/١٠ ، ومرآة الزمان ٢٥/٨ ، وغيرها .

(٢٣٧) آثر المؤلف إطلاق هذا الاسم الكريم على (كربلاء) تشريفاً لها .

(٢٣٨) ش : « شفاثه » ، والصواب (شفاثى) . ذكرها ياقوت في (عين التمر) ، وقال : « عين التمر : بلدة قريبة من (الأنبار) غربي (الكوفة) ، بقربها موضع يقال له (شفاثى)، منهما يجلب القسب والتمر الى سائر البلاد ، وهو بها كثير جداً ... » . و(شفاثى) لا تزال قائمة ومعمورة بالنخل لعهدنا هذا أيضاً .

(٢٣٩) المتدلس : ينظر التعليق (١٤٠) . – العربان : من ألفاظ العامة ، لا يعرف في الفصحى، يضعونه موضع (الأعراب) ، ويطلقونه على سكان البوادي من العرب أصحاب الإبل والنجعة والانتواء وارتياد الكلأ وتتبع مساقط الغيث ، ويقولون في واحده (عربي) بضم فسكون . وواحد (الأعراب) في الفصحى (أعرابي) بلفظ النسب ، وعلة ذلك مبينة في المعاجم الكبار.

(٢٤٠) ش : « همدان » بالدال المهملة ، وفاقاً لنطق الفرس ، وقد عربها العرب بالذال المعجمة . وهمذان من مشاهير مدن (إقليم الجبال) في غربي (ايران) ، ومن أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها ، إلا أن شتاءها مفرط البرد . وهي ((اكبتانا) القديمة ، قاعدة (إقليم ماذي) . فتحها العرب في سنة ٢٣ هـ ، وعمروها . وانتشرت فيها العربية والعلوم الإسلامية ، ونبغ خلق من أهلها في اللغة والأدب والشعر البليغ والبيان الرائع، أمثال أحمد بن فارس مؤلف المقاييس، وبديع الزمان صاحب المقامات ، واتخذ سلاجقة بلاد فارس همذان قاعدة حكومتهم . وقوضها المغول وأحالوها أرضاً يباباً في سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م . ثم عمرت. وأدخلها العثمانيون =

خوافق [٢٤١] راياته وبُنُوده ـ نَدِم على ما فعل ، ومالِ إلى الغدر وعدل ، وأرسل من جَسٍّ أخبار (بغداد) ، فأخبر بأنّ العساكر تفرّقت ، ورايات الاجتماع تمزّقت ، وهي في قَحَط عظيم ، وجَدْب عميم . ففرح لذلك ، وسار من ساعته .

ولمّا قارب حِمى [و١٢٧ / ب] (بغداد) ، وسمع بقدومه (الوزير) المرحوم ، وقع في تِيه وحيرة ، لقلّة الجنود والمِيرة . فلم يزل يستنتج الأفكار وهي عقيمة ، ويستولد طيب الأقدار وهي منوطة عن الظّهور في مَشِيمة [٢٤٢] . فأدّاه فكـره ، وألجأه حَصَرُه ـ رحمه الله ـ وقَهْرُه [٢٤٣] ، إلى قتاله ، ولو كان عسكره قليلاً ، ولا يسلّم البلد ، فأرسل عياله إلى (البصرة) وبقي منفرداً [٢٤٤] . وخرج إلى بستانه المشهور بـِ (بستانالباشا) [٢٤٥] : يُريد أن يَدْهَمَ سَرِيّةً قدِمت من (الخبيث) ،

= في انبراطوريتهم ، ثم انتزعها منهم الشاه طهماسب الصفوي ، فاستردها الوزير أحمد باشا ابن حسن باشا في سنة ١١٤٣هـ ، ثم عقد الصلح بين الدولتين على أن تكون (كرمانشاه) و (همذان) وقراها تحت حكم الدولة العثمانية كما كانت سابقاً. ثم خرجت من قبضة العثمانيين. وقد قدر سكان (همذان) أخيراً (١٠٣٫٨٧٤ نسمة) .

(٢٤١) ش : « خفائق » !

(٢٤٢) المشيمة : الطبقة الخارجية للغشاء الذي يكون فيه الجنين في البطن ويخرج معه عند ولادته ، جمعها : مشايم .

(٢٤٣) الحصر : ضيق الصدر ، والقهر : الغلبة ، والعامة تستعمله بمعنى الغم ، وكذلك أراده المؤلف كما يدل عليه السياق .

(٢٤٤) ش : « منفرد » مزاوجة للسجعة .

(٢٤٥) سماه المؤلف في الفصل الذي عقده له في كتابه هذا : « بستان الوزير » (الورقة ١٦٠ من مخطوطة المتحف البريطاني) ، وهو يؤنث « البستان » وفاقاً لتأنيث العامة إياه . وقد أطنب في وصف هذا البستان وخرج فيه الى المبالغة . ومما قاله : « وفي هذه السنة (١١٥٣ هـ) كملت في الوجود (بستان الوزير) المذكور ، الكائنة على غربي شاطئ (دجلة) غربي (قصر الخلد) [قصر عباسي لا نعرف موقعه ، فلا أدري ماذا أراد به] ، فكمل بناؤها ، وأنتجت أزهارها ، حتى غدت جنة الدنيا في البلاد ... » ، وقال (الورقة ١٦١) : « وقد دخلتها أيام ارتحال (الوزير) عنها الى قصر الخلافة ، فرأيت قصوراً ما فيها قصور ، بل تقصر دون وصفها ألسنة واصفيها ، أرفع من (رضوى) و (ثهلان) ، ودونها (الخورنق) و (غمدان) ! فيها أواوين كسروية ، ومقاصير قيصرية . نمارقها من أرفع الديباج ، وزرابيها منسوجة بالنضار الوهاج ، وأرائكها مصفوفة موضوعة ، وسررها من اللؤلؤ الرطب على قوائم الياقوت مرفوعة ! ! الجدران ، مموهة الأركان . والجداول في رحابها كأنها الأفاعي في=

فيها (خانه) المشهور بالطُّغيان ، المعروف بـ (باباخان) (٢٤٦) ، حيث أرسلهم أمامه إلى (حِلّة ابن دُبَيْس) (٢٤٧) . ثمَّ لبث هنيئة (٢٤٨) ، وندم على فعله، وأنّه لا يقدم عليه من هو كمثله ؛ إذْ بالجند القليل ، لا يمكن مقابلة ذلك المحيل (*) ، فعوّل على الرّجوع .

لكن ، عصاه جُلّ حشده ، وأكثر خُدّامه وأرباب مَدَده ، وهربوا من يومهم ورَجَع من رجع ، وسَحابُ الوهم عن ذهنه وفكره انقشع .

ونادى في البلد : « مَنْ قدر على الحصار فَلْيَبْقَ ، ومن لم يقدر فليخرُجْ إلى القرى » . فخرج من (أهل بغداد) جمع كثير ، وجَمّ غَفير . لكن أكثرهم ظفر به (الأعاجم) فقُتِل وسُبِيت نساؤه ، واستؤصلت عبيده وإماؤه ! .

وغُلّقت الأبواب ، وعاد الحصار بلا ارتياب .

لكن من لطف الله تعالى على عباده (**) أنّه بقي أيّاماً قليلة ، وأرسل يُريد (الصُّلح) من غير حيلة !

* * *

وسببُ ذلك أنّه أُخبِر بأنّ (البُلُوج خان) استولى على غالب البلدان ، وأنّه خرج عن طاعته ، وعصى مع جماعته ، وأنّه قد جمع عنده من الجنود ما يعجِز عن عدّها (٢٤٩) الحساب ، ولا يُطيق ضبطها قلم [و١٢٨ / أ] ولا كتاب .

= انسيابها ، وفيها من أنواع الزينة ما لا عين رأت ، ومن أوصاف نغمات الأطيار ما لا أذن سمعت ، كما قال (الوالد) في (المقامة) ... » . ونحن لا نعرف اليوم شيئاً ما من أمر هذا البستان ، وقصوره ، ومقاصيره ، ونمارقه وزرابيه وسرره ! .

(٢٤٦) ش : « المعروف بباخان » .

(٢٤٧) ينظر التعليق (٢٣٦) .

(٢٤٨) ش : « هنيهة » ، وصوابهما في التعليق (٥١) .

(*) أراد « المحتال » ، وانما « المحيل » في العربية : الرجل الذي يأتي بالمحال ويتكلم به ، والعرب تقول : فلان حول ، بصير بتحويل الأمور ، وهو حول قلب ، وحول وحولة وحوالي وحوالى وحولول : أي محتال شديد الاحتيال .

(**) الصواب «بعباده» . (٢٤٩) ش : « حدها » .

فأسرع على* الرُّجوع ، لتخليص بلدانه من تلك الجموع ، وطلب من (الوزير) الصُّلح ، فأجابه إلى سؤاله ، وعقد معه الصُّلح ، على أن يَرْجِعَ اليه « الأطواب » الّتي أُخذت يوم فتح (هـمَـذان)[٢٥٠] ، وصار على ذلك عَـقْـدُ الأيمان .

ثمّ إنّه ترك معسكره ، وذهب إلى زيارة الأعتاب ، ورجـع على فَـوْره[٢٥١] بلا ارتياب ، فظعن بجحافله[٢٥٢] ، وسار بعساكره ومحامله ، وقصد (إيرانَ) ، وخلّص الله من يده (أهل بغدان)[٢٥٣] .

وأمّا (أهل بغداد) ، فقد لَـقُـوا ضرراً في هذا الحصار ما لم[٢٥٤] يلقَـوْه في الحصار الأكبر ، مع أنّ حصارهم كان عشرين يوماً ، أو أقلّ . وذلك لقلّة الكَـيْل ، إذْ كان كيلهم الزّبيب والتّين اليابس وأمثالها ما لا يسـُدّ[٢٥٥] الرَّمَقَ ، ولا يدفعُ من الجوع القلقَ .

ثمّ[٢٥٦] إنّه رَجَعَ (والدي) إلينا ، فقدِمتُ معه (دارَ السّلام) . .

* * *

[و ١٤٩ / أ]

فصل : وفي هذه السَّنَة ، قدم عليه من طرف (النّادرشـاه)[٢٥٧] رسول إلى (الدَّولة العثمانيّة) ، صُحْبَتَهُ كتاب إلى (الوزير) المذكور ، وكتاب إلى

(*) وكذا في (ش) .

(٢٥٠) التعليق (٢٤٠) ، وأزيد هنا أن (سليمان فائق) مؤلف كتاب تاريخ المماليك في بغداد نسب (فتح همذان) الى الوزير (حسن باشا) والد الوزير (أحمد باشا) وقال إنه كان يلقب بـ (فاتح همدان). والصحيح ما دونته في التعليق المذكور استناداً الى التواريخ الصحيحة ، ومنها (حديقة الزوراء) هذا الذي أروي عنه هذه الوثائق ، وهو أدقها وأقدمها .

(٢٥١) الصحيح : « من فوره » ، والفور : أول الوقت .

(٢٥٢) ظعن : سار وارتحل . — الجحافل : (التعليق ١٢٢) .

(٢٥٣) لغة في بغداد ، استعملها ليزاوج السجعة . وفي (ش) : « بغداد » .

(٢٥٤) ومثله في (ش) ، والصحيح إسقاط « مـا» .

(٢٥٥) ومثله في (ش) ، والصحيح « مما لا يسد » . — الرمق : بقية الروح .

(٢٥٦) ثم : خلت منها (ش) ، والكلام بإسقاطها لا يستقيم .

(٢٥٧) ش : « نادرشاه » على الصحة .

(السّلطان) ، مضمونُها : « أنّ الصُّلح ، والحمد لله ، قد تَمَّ نظامُه ، وأحكم التئامه . ولكِن ، بقي فينا فيكم شيءٌ واحد ، إنْ رُفع منّا منكم كنّا إخواناً ، لكلّ منّا ومنكم ما للآخَر وعليه ما عليه ، ألا وهو إطلاق الأسارى منّا منكم ، لِتَتِمَّ الألفة والصُّحبة ، وتحكمَ المودّةُ والمحبّة » .

فأجابه (الوزير) إلى ذلك .

ثمّ إنّه لمّا قدِم (بغداد) ، خرج (الوزير) إلى استقباله ، ونصب له الخيام من (٢٥٨) (الجانب الغربيّ) ، وعَبّرَه اليه بالسُّفُن والمآخِر (٢٥٩) ، وعمِل الضّيافة ، ودخل به (بغداد) ظُهرَ يوم الخميس [العاشر] من شهر مُحَرَّم هذه السنة .

* * *

[و ١١٢ / أ] .

فصل : وفي هذه السّنة ، قدِم من طرف (الشّاه نادر) رسولاً (٢٦١) إلى (الدّولة العليّة) ، صحبته هدايا عظيمة لا تُعَدّ ولا تحصى ، ومن جملتها : اثنى عشر (٢٦٢) فيلاً ، واحدٌ منها للوزير المذكور ، وأحد عشر فيلاً للسّلطان ؛ ومعه من الأعوان [و ١٦٢ / ب] ألف وخمس مئة فارس .

فخرج (الوزير) الى استقباله من (قصر الخِلافة) (٢٦٣) إلى (نهر ذيالة) (٢٦٤)

(٢٥٨) وكذا في (ش) ، وصوابه « في » .
(٢٥٩) وكذا رسمت « والمآخر » في (ش) ، وصواب العبارة : « بالسفن المواخر » ، يقال : مخرت السفينة تمخر مخراً ومخوراً ، جرت تشق الماء .
(٢٦٠) من (ش) .
(٢٦١) وكذا في (ش) بالنصب ، وهو فاعل « قدم » ! .
(٢٦٢) وكذا في (ش) ، وصوابه « اثنا عشر » .
(٢٦٣) وكذا في (ش) ، ولا أدري ما (قصر الخلافة) هذا ، وقاعدة الخلافة (اسلامبول) ، فهناك قصرها . وسيعود بعد قليل فيسميه (قصر الإمامة) !
(٢٦٤) وكذا في (ش) بالذال المعجمة والهاء ، وإنما هو ((ديالى) ، بدال مهملة مفتوحة ولام ممالة كما يقول ياقوت وألف مقصورة، ويقال لها اليوم (ديالة) بكسر الدال .

لابساً من ملابس العزّ أفخره وأعلاه ، ومن نفائس الجوهر أزهره وأغـلاه [٢٦٥] ، في طبقات الأولياء ، ووجوه الأشراف والأمراء ، والأعيان والعبيد والقـوّاد ، وأصناف العسكر والأجناد ، ومواكب حسدت السّماءُ الأرض لزينتها وعظم أقدارها ، وغبطت النّجومُ التُّرْبَ لجلالة أخطارها . فزيّن البرّ بأنواع الحلِيّ والحُلَل وبدائع الدّيباج والوشي والثّياب المذهبة ، والأنماط اللطيفة المستغربة . حتّى لم يبق من الأرض شبر إلّا وهو مزيّن ، ولا فِتر إلّا وهو مستبدع مستحسن . ووقع الإجماع على أنّ هذا اليوم المذكور أجلُّ يوم أُرِّخت بمثله الأيّام ، وعَجَز عن وصفه الأنام ، وتزيّنت بجماله بطون الدّفاتر ، وتشرّفت بذكره رؤوس المنابر . وقد عمِل له (الوزير) غَداءً في صحراء (الكَرْخ الشّرْقيّ) من (بغداد) .

ثمّ عاد إلى (قصر الإمامة) ، ومَقَرّ العزّ والكرامة ، مؤيّداً منصوراً ، سالماً موفوراً ، مخصوصاً بصنيع الله وإقباله ، محفوظاً بالملائكة من على يمينه وشماله [٢٦٦] !

وقد أنزل الرّسُول ، إكراماً له ، في تلك البُستان [٢٦٧] ، وأنزل عسكره في بيوت (الجانب الغربيّ) مُدّةَ إقامته .

ثمّ ارتحل ، وقصد (إسلامبول) ، محفوفاً من (الوزير) بالمِنَح الجزيلة والعطاء المحمود المقبول .

* * *

[و ١٦٩ / ب]

فصل : وفي السّنة السّادسة والخمسين بعدَ المئة [و ١٧٠ / أ] والألف ، فرغ (النّادرشاه) [٢٦٨] الخبيث من قتال (اللزك) [٢٦٩] ، حيث قاتلهم أربع

---

(٢٦٥) الضمائر الأربعة حقها (هاهنا) التأنيث .

(٢٦٦) ش : « من يمينه وشماله » .

(٢٦٧) الصحيح : « ذلك البستان » .

(٢٦٨) ش : « نادرشاه » على الصحة .

(٢٦٩) تحدث المؤلف عن (اللزك) في موضع سابق من كتابه ، قال (و ١٥٩) : « اللزك: كرد=

سنين ، ولم يحصل على طائل ، ولم تُجْدِ معهم كثرة الجحافل ، ولم يُطعه منهم أحد ، فعجز عن قتالهم ، وتركهم بحالهم .

وفي مدّة إقامته هذه ، لم تنقطع سفراؤه ورسله عن (الدّولة العثمانيّة) . فتارةً يطلبُ منهم من حدّ (الرُّها) (٢٧٠) إلى ما وراء (عبّادان) (٢٧١) ، وأنّ هذه مِلكه إرثاً وقانوناً وشرعاً وعُرفاً ، قائلاً : إنّها قد ضبطها (تيمور) (٢٧٢) وأنا وارثه ! !

= من أكراد العجم ، في ناحية من أرضهم على حدة ، أهل سنة وجماعة . وقد عصوه فأوهنوا قواه ، وفتتوا غيظاً أحشاه ، اذ لم يطيعوا أمره حين رجع من (أزروم) [يريد : أرزن الروم ، والناس اليوم يسمونها أرضروم وأرزروم، والأصل ما ذكرت] الى صحراء (موغان)، وبايعه الناس على أنه الشاه على الحق . وكان تاريخ البيعة حينئذ : « الخير فيما وقع » ، ومن لم يرض بها قلب التاريخ وقال : « لا خير فيما وقع » . هكذا رأيته في (الرحلة المكية والنفحة المسكية) للوالد حفظه الله . وهؤلاء (الأكراد) لم يبايعوه على ذلك ، ولم يرضوا بكونه شاهاً عليهم . فن حينئذ اشتعلت بينه وبينهم نار الحرب ، ولم يزل يحاربهم ويحاربوه (؟) ، وهم متحصنون خلف جبال وعرة المسالك ، لا يمكن فيها السير للسالك ، غير طريق واحد، حرسوه بالسلاح ، من النبال وبيض الصفاح ، إلا أنهم في هذه السنة [١١٥٦هـ] كانت الغلبة لهم، حيث إنهم دهموه ليلا، فقتلوا أكثر رجاله، ونهبوا جل أمواله . فخشي أن تسمع بذلك (آل عثمان) ، فربما ينقضون منهم ما كان .. » .

(٢٧٠) هي (أدسا) ، سماها العرب (الرها) « ويقول غي . ل . سترنج : «هو تحريف للاسم اليوناني (كلرهو) Callirhoe » . وظلت تعرف بالرها حتى مطلع المئة التاسعة الهجرية (١٥ م) فسميت يومئذ (أورفا) أو (أرفة) تحريفاً للفظة الرها ، وما زالت تسمى (أورفا) حتى اليوم . وهي مدينة قديمة مشهورة ، عند منابع أحد روافد (البليخ) في (الأناطول) .

(٢٧١) أجمع الجغرافيون أن (عبادان) داخلة في حد (العراق) ، ومنهم الإصطخري الفارسي ذكرها في « المسالك والممالك » في عداد مدن البصرة ، قال (٥٧ / ط . مصر) : « وللبصرة مدن : فأما (عبادان) و (الأبلة) و (المفتح) و (المذار) ، فعلى شط (دجلة) ، وهي مدن صغار متقاربة في الكبر عامرة . إلا (الأبلة) ، فانها أكبرها .. » ، وذكر أنها « من بين سائر (العراق) مدينة عشرية ، ولها نخيل متصلة من (عبدسي) الى (عبادان) نيف وخمسون فرسخاً متصلا ، لا يكون الانسان منه الا وهو في نهر ونخيل ، أو يكون بحيث براها .. ». وكانت عبادان رباطاً. ونقل ياقوت عن الكلبي أن أول من رابط به عباد بن الحصين ، وقال: والعبادة الرجل الكثير العباد ، وأما إلحاق الألف والنون فهو لغة مستعملة =

وتارةً يطلب منهم التّصديق بأنّ هذا المذهب ، الّذي نتعبّد عليه ، هو مذهب (جعفر الصّادق) [٢٧٣] ، وأنّه حـقّ ، وتقولون : مذاهب الإسلام خمسة ، لا أربعة .

وتارةً يطلب منهم أن يكون له ركن خامس في (الكعبة) تصلّي فيه الشّيعة .

وتارةً يطلب منهم أن يكون هو الّذي يباشر طريق الحجّ ، الّذي سَنَّتْهُ (زُبَيْدَةُ) [٢٧٤] ، فيصلح البِرَك والآبار وغير ذلك .

وتارةً يطلب أن يكون أميرُ الحاجّ ، إذا ذهب من طريق (العِراق) ، واحداً من طرفه يحُجّ بالنّاس ويرجِع .

وتارةً يرجِع عن بعض ، ويطلب بعضاً .

= في (البصرة) ونواحيها . إنهم اذا سموا موضعاً ، أو نسبوه الى رجل أوصفة ، يزيدون في آخره ألفاً ونوناً .. وهذا الموضع فيه قوم مقيمون للعبادة والانقطاع ، وكانوا قديماً في وجه ثغر يسمى الموضع بذلك ، والله أعلم ، وهو تحت (البصرة) قرب البحر الملح .. » . والفرس لعهدنا يعجمون (عبادان) فيقولون (آبادان) قصداً الى تغيير صيغتها العربية وحقيقتها العراقية ، وإبقائها ملكاً لهم أبدياً . ولكن (العراق الحديث) عزم على تحريرها من قبضتهم ، وجيشه يضرب عليها الحصار الآن من البر ومن النهر لتسلم له من غير إراقة الدماء .

(٢٧٢) تيمور ، أو تيمور لنك : فاتح مغولي مدمر ، ظهر في المئة الثامنة الهجرية . ولد قرب (سمرقند) ، وادعى أنه من سلالة (جنكيزخان) . غزا (فارس) وجنوبي (روسية) و (الهند) ، واكتسح (بلاد الكرج) ، ثم اكتسح (سورية الشمالية) ، واستولى على (حلب) واستباحها ثلاثة أيام ، ثم سقطت (دمشق) في يده ، وزحف على (بغداد) مرتين ، وأقام من جماجم أهلها منائر ، وكذلك فعل في (تكريت) وغيرها ، وسار الى (الأناطول) ، وهـزم (العثمانيين) في موقعـة (أنقرة) ، وأسـر السـلطان (بايزيد) . وهلك في أثناء غزوه (الصين) . وهذا الأفشاري (نادر شاه) حاول السير على خطة هذا المغولي، وادعى وراثته لهذا الملك الطويل العريض ، فاندفع شرقاً وغرباً يخرب البلاد ويريق الدماء ، وقد كان جل همه أن يقوض الإنبراطورية العثمانية الى أن هلك مدحوراً . ألم يقل لرسولي (الوزير أحمد باشا) اليه حين تظاهر له بإرادة الصلح : « أنا آخذها [بغـداد] عنوة ، على أنها لم تكن مقصدي ، بل إن قصدي (قيصر الروم) و (ديار إسلامبول) » ؟

(٢٧٣) هو أبو عبدالله ، جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين، بن الحسين ، ابن علي ، بن أبي طالب ، وسبط القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، فأن أمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبـي بكر الصديق ، وأمها أم أسماء بنت عبد الرحمن بن =

ولم يزل ، لعنه الله ، هذا دأبَهُ ودَيْدَنَه وشأنه ، وهو يسعى في الأرض فساداً . قد خرَّب (الهند) ، وسخّر ممالكها ، إلى أن وصل إلى (جِيهان آباد) كرسي (مملكة الهند) فضبطها بعد قتال كثير . ثمّ إنّه صالح سلطانها (شاه محمّد) ، وأخذ من (الهند) أموالاً كثيرة لا تعدّ ولا تحصى . ورتّب على (شاه محمّد) كلّ عام أن يرسل له خزينة من الأموال معلومة الأجناس والعَدَد .

وارتحل عنها ، وتَوجّه نحو (التُّرْكستان) ، واستولى على (بَلْخَ) و (بخارى) ، فأطاعه جميع (الأفغان) و (التُّركستان) وأهل (إيران) .

= أبي بكر الصديق ، لهذا كان جعفر يقول : « أنا ابن الصديق مرتين » . مولده بالمدينة سنة ٨٠ أو ٨٣ من الهجرة ، ووفاته بها سنة ١٤٨ هـ . وقد روى عن جده لأمه القاسم بن محمد ، وقد أدركه وهو مراهق ، وروى عن أبيه وعروة بن الزبير وعطاء ونافع والزهرى ، وحدث عنه أبو حنيفة وابن جريج وشعبة والسفيانان ومالك وغيرهم ، وبلغ في الفقه مبلغاً عظيماً ، ولقب بالصابر والفاضل والطاهر والصادق ، وبهذا اشتهر . وروي عن علي بن الجعد عن زهير بن محمد ، قال : قال أبي لجعفر بن محمد – يعني به الصادق – إن لي جاراً يزعم أنك تبرأ من أبي بكر بن قحافة وعمر ، فقال جعفر : برئ الله من جارك ، والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر . وذكر الذهبي باسناد عن محمدبن فضيل عن سالم بن أبي حفصة ما يزيد هذا المعنى توكيداً وتوثيقاً ، وهو في ترجمته في « النجوم الزاهرة » (٩/٢) ، ومناقبه – رحمه الله – جمة .

(٢٧٤) زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية . اسمها (أمة العزيز) ، وزبيدة لقب غلب على اسمها . تزوجها ابن عمها (هارون الرشيد) ، وولدت له (الأمين).. وتنسب اليها (عين زبيدة) في (مكة) : جلبت اليها الماء من أقصى (وادي نعمان) ، شرقي (مكة) ، وأقامت له الأقنية حتى أبلغته (مكة) ، وعملت أعمالا نافعة غير العين ، وأشهرها المصانع والبرك والآبار والمنازل ما بين (بغداد) و (مكة) . قال ابن جبير الأندلسي : « انتدبت لذلك مدة حياتها ، فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها الى الآن ، ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذه الطريق » . توفيت ، رحمها الله ، ببغداد سنة ٢١٦ هـ . وقدجاء في « حديقة الزوراء » أن الوزير حسن باشا جدد طريق زبيدة في سنة ١١٣١ هـ قال : « وفي هذه السنة عمر طريق الحاج ، الذي سنته (زبيدة) ، فذهب الحجاج فيه ، وجهز معهم العسكر الكثير ، والنفر العميم الغزير ، وأرسل الى الدولة بوقف سقاة يسقون الحجاج الماء ويحملونه في القلل على الجمال : يتفقدون به الفقراء ، وجعل لهؤلاء السقاة مرسوماً يأخذونه من والي (بغداد) أي وال كان » .

وتزعم [و١٧٠ / ب] (العجم) أنّ (الهنود) حتّى شاههم (شاه محمّد) بايعوه ، وأنّ (الشّاه محمّداً) وكيل عنه . ولأجل ذلك لقّب نفسه بـ (شاهينشاه) [٢٧٥] ، وأمر — لعنه الله — أن لا يسمى إلّا بهذا الاسم ، وأوعد من يُطلق عليه غيره .

ثمّ توجّه إلى (داغستان) ، ففعل مع (اللّزّك) [٢٧٦] ما فعل .

ثمّ قصد (الرُّوم) ، لكنّه — قبّحه الله — يظهر لوالينا الصّداقة والصّحبة ، والألفة والمحبّة . فأرسل إليه « بأنّي قد قصدت (الرُّوم) ، وكان القصد (بغداد) ، ولكن لكونك فيها لم أكدّر خاطرك ، ولم أقدم عليها . ولكنّي ذاهب إلى تسخير (ممالك الرُّوم) » .

وهذه مَلْعَنَة [٢٧٧] منه ، لعنه الله ! يعلم أنّ جلوسه على (بغداد) لا يُجديه نفعاً ، ما دام فيها هذا الحارس ، وأنّ المداهنة خير من المضاغنة .

ثم أرسل إلى الدُّسْتُور المذكور يستمنحه جميعَ مزارع (بغداد) ، وكان الوقت وقت حصاد . فأجابه (الوزير) إلى ذلك ، بِحُكْمِ « إذا كنتَ مأكولَ الطّعام فرَحِّبْ » !

فأرسل ، لعنه الله ، إلى تحصيل ما ذُكر نحوَ سبعين ألفاً !

لكنّه منه ، قبّحه الله ، دهاء . وما قصده إلّا حصار (بغداد) . لكنّه ليس كما نعهد ، بل منعاً لوالينا — رحمه الله — من الخروج ؛ إذْ رُبّما يخرُجُ إعانةً (للمَوْصِل) ونحوها .

فأرسل هذه الفِئات ، وأحدقوا بـ (بغداد) من جميع الجهات ، لكنهم عن (بغداد) مقدارَ فِرْسَخ .

(٢٧٥) ش : « شاهنشاه » فارسي ، مركب من شاهان ، وشاه ، الأولى جمع الثانية ، ومعناهما ملك الملوك !

(٢٧٦) التعليق (٢٦٩) .

(٢٧٧) الملعنة : الفعلة يلعن عليها صاحبها ، جمعها : ملاعن .

وأمّا (الوزير) ، و (أهل بغداد) ، فقد تأهـّبـُوا للحـِصار ، واحتاطوا لـه فنزلوا بأجمعهم الأسوار .

وارتـَحـَلـْنا ـ مـَعاشـِرَ أهل (جانب الغربيّ) ـ [278] إلى (الجانب الشـّرقيّ) ، وأخلينا البيوت والعمران ، والمساكن والأوطان ، وتأهـّبـْنا للحصار ، وبقـِينا في هذه [و ١٧١ / أ] المدّة نـُعاني كربَ الفـِراق ، ونـُقاسي شدائد المشاقّ ، ونتعهـّد الدُّور في النـّهار ، ونـَحـِنّ إلى الأيـّام الماضية ، حنينَ الثـّكـْلـَى [279] ، بإجـراء الدَّمـْع ، ونـَأنُّ [280] على الأوطان الخالية ، أنينَ الحـُبـْلـَى ، وقتَ الوَضع .

وقـد انتبهت سَحَرَ [281] بعض الليال ، فاشـْتقت إلى (الكـَرْخ) [282] وصـلاةِ الفجر بينَ هاتيك الأطلال ، فجرى دمعي تـَوْأماً [283] ، وكاد أن يكون دماً ، فأنشدت بديهاً قولي :

عـَرِّجْ على (الكـَرْخ) وانزِلْ في مـَغانيـه
واسألـْه كيف خـَلـَتْ منه غـَوانيـهِ [284]

---

(٢٧٨) ش : « الجانب الغربي » على الصحة .

(٢٧٩) الثكلى : (التعليق ١٩) .

(٢٨٠) وكذا في (ش) ، والصواب « نئن » .

(٢٨١) السحر : آخر الليل قبيل الفجر .

(٢٨٢) الكرخ : إطلاقه على الجانب الغربي من بغداد حديث . وهو مؤنث في كلام ياقوت ، قال : « وكانت (الكرخ) أولا في وسط (بغداد)، والمحال حولها . ثم صارت محلة وحدها مفردة في وسط الخراب ، وحولها محال ، إلا أنها غير مختلطة بها ..»، ولا نعرف على وجه التحديد الزمن الذي أطلق فيه اسم (الكرخ) على الجانب الغربي كله .

(٢٨٣) حقه أن يقول « توائم » أو « تؤام » ـ بوزن غراب ـ ، وهما جمعا توأم . وهو في أصل اللغة الولدان معاً ، ويستعار جمعهما لما يتشابك من الأشياء ، ومن ذلك : توائم النجوم ، وتوائم اللؤلؤ ، وتوائم الدمع أو تؤامه ، ومنه قول الراجز :

قالـت لنـا ، ودمعها تؤام كالـدر إذ أسـلمه النظام :
عـلى الذيـن ارتحـلوا السـلام

(٢٨٤) المغاني : المنازل التي غني (أي أقام) بها أهلها . ـ والغواني : النساء الغنيات بحسنهن وجمالهن عن الزينة ، الواحدة غانية .

عهـــدي به وَهْوَ معمـــورٌ بسادتـــه
وجملةُ الصَّحْبِ كانوا فــي نَواديهِ
عهدي بـــه وَهْوَ محفوف بكلِّ هَناً
والشَّمْلُ مجتمع والسَّعْدُ ثــاويهِ
والنُّورُ والنَّوْرُ في أرجائـــه سَطَعــا
والوردُ والآس تاهــا في نَواحيهِ (٢٨٥)
وللصَّبا أَرَجٌ تحيــا النّفوسُ بـــه
ممّــا على الأرض عِطــرٌ كامنٌ فيـــهِ
والطّيرُ فــوَق أصولِ البان في طــرب
والغصنُ بالخَوْد يُزري في تَثَنّيهِ (٢٨٦)
فما له ذهبت أصحابـــه ، وعَفَت
آثاره ، وخَوَتْ منه أعاليـــهِ ! (٢٨٧)
لهفي على (الجــانب الغربيّ) أجمعِـــه !
فـ (جانب الشرق) طيباً لا يُدانيـــهِ
باللهِ ! قِفْ بَدَلِي فيـــه كســارية
ولم تزل من صدى التّفريق تُرْويهِ (٢٨٨)
وقِفْ وقوفي به يومَ الرَّحيلِ ضُحـــىً
حيث العَقيقُ على الخَدَّيْنِ أُجريهِ (٢٨٩)

---

(٢٨٥) النور (الثانية) ، بفتح فسكون : الزهر الأبيض ، واحدته نورة ، جمعه أنوار .

(٢٨٦) البان : ضرب من الشجر ، سبط القوام ، لين . تشبه به الحسان في الطول واللين . — الخود ، بالضم فسكون : الشواب النواعم الحسان الخلق ، الواحدة خود ، بفتح فسكون .

(٢٨٧) خوت : خلت .

(٢٨٨) الصدى : العطش الشديد .

(٢٨٩) العقيق : حجر أحمر يعمل منه الفصوص، تشبه به قطرات الدمع، وكان هذا التشبيه مألوفاً عند قدامى الشعراء .

وقد كنت أُريد الهرب ، مع بعض تلامذتي [٢٩٠] إلى (حلب) ، لشدّة اضطراب أهل (بغداد) ، وعموم الأكدار فيهم والأنكاد ، حيث حقّقوا أنّه إن جاء لحصارها ، يأخُذْها عَنْوَةً ، ولا يَدَع فيها وَهْدَةً ولا رَبْوَة ، لكثرة « أطوابه » وقنابره [٢٩١] ، ووفور جنوده وعساكره . لكنّ الغيرة على الأهل والإخوة والأخَوات[و ١٧١ /ب] قيّدتني بأداهم [٢٩٢] ، وأوثقتني بقيد محكَم لازم ، وفكّرتُ أنّ قتلي في الازدحام ، أولى من حياتي وأهلي وأقاربي في أيدي (الأعجام) ، وصَمّمْت على هذه النيّة ، ووطّنت النّفس على هذه المصيبة والرّزيّة .

... ...

[و ١٧٢ / أ]

ثمّ إنّ أولئك الأعجام سَخّرُوا جميع قرى (بغداد) ، وأطاعهم جميع الأعراب أهل الفساد .

* * *

وقد أرسل (الخبيث) إلى (البصرة) نحو تسعين ألفاً ، فحاصروها ، مع إضرام نار الحرب بين البَيْن [٢٩٣] ، واشتعال « الأطواب » والقنابر من الجانبين .

* * *

---

(٢٩٠) كان مولد المؤلف في سنة ١١٣٣هـ كما يؤخذ من قوله: إنه كان ، إبان حصار نادرشاه (بغداد) في سنة ١١٤٥ هـ ، ابن اثنتي عشرة سنة ، فيكون عمره في هذا العام المؤرخ (١١٥٦ هـ) ثلاثة وعشرين عاماً ، وتصدره للتدريس وصيرورة تلاميذ له أراد الهرب مع بعضهم الى (حلب) في هذه السن ، يحقق قول الشاعر العربي :

إذا بلغ الفتى عشرين عاماً ولم يفخر ، فليس له فخار !

(٢٩١) ينظر التعليق (٩٨) .

(٢٩٢) جمع أدهم ، وهو القيد .

(٢٩٣) يريد بين الجانبين ، والعرب تقول : « بين بين » وتريد التوسط بين الشيئين ، وليس تعبير المؤلف من هذا .

وأمّا (الخبيث) ، فقد توجّه ببقيّة عسكره إلى (شَهْرَزُورَ)[٢٩٤] ، فأطاعه أهلها . وكذلك أطاعه عشائر (الأكراد) .

* * *

ثمّ توجّه إلى (قلعة كركوك) ، فحاصرها ثمانية أيّام : ضرب عليها في هذه المدّة عشرين ألف « طوب » ، ومثلها قنابر ، فمات فيها خلق كثير ، وخربت أكثر البنيان . ولم يكن لأهلها بُدٌّ من التّسليم ، فسلّموا ، وأطاعوا . ولكنّهم نَدِمُوا على ما فعلوا ، حيث آذاهم أذاية[٢٩٥] عظيمة ، وأسر منهم نساء عميمة ، وقبَض على علمائها ، وأخذ منهم دراهم كثيرة ، حتى باعوا دورهم وأثاثهم وجميع ما عندهم ، ووفّوا ما أراد منهم . إلّا أن (ابن المفتي) وبعض أهل (كركوك) لم يفوا بما طلب ، لكثرة ما أراد منهم ، فأسرهم ، وجاء بهم إلى (بغداد) . وبذهاب (الوالد) إليه - كما يأتي - تشفّع لهم ، وجاء بهم إلى البلد .

ثمّ إنّ (الوالد) ، حفظه الله ، حين سمع بفعل هذا (الخبيث) [و ١٧٢ / ب] مع أهل (كركوك) ، اضطرب كثيراً ، وقال : أخشى أن يأخذَ (بغداد) ، ويفعل بنا - معاشرَ العلماء - ما فعل بأولئك الفضلاء الصُّلَحاء ، من الضّرب بالسِّياط والحبس المؤبّد ، ولم يزل - إذا تذكّر هذا - يقول : « حسبُنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكّلنا » .

* * *

ثمّ توجّه إلى (إرْبِلَ) ، فسلّم أهلها ، وأطاعوا .

* * *

ثمّ توجّه إلى (المَوْصِل)[٢٩٦] ، وكان معه من العسكر نحو مئتَيْ ألف مقاتل ، ونصب على (دجلة) جسرين ، وعبّر عسكره ، وحاصر (المَوْصِل) نحو أربعين

---

(٢٩٤) كورة واسعة في الجبال بين (إربل) و (همذان) ، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد ، وقد نبغ منهم في علوم العربية والشريعة والقضاء أجلة كبار .

(٢٩٥) صوابها في (ش) : « أذية » .

(٢٩٦) في حاشية الأصل ، و (ش) ، تصحيحاً : « وفعل بهم ما فعل بأهل (كركوك) » .

يوماً . لكن في ظرف سبعة أيّام رمى عليهم نحو الأربعين ألف « طوب » ، ومثلها قنابر ، فثبتوا ، وسلّموا الأمور لمدبّرها ، وهو الله تعالى . ثمّ حفر لُقُوماً [٢٩٧] ، وملأها باروداً ورَصاصاً ، وأشعلها بالنّار ، فكانت وَبالاً عليه ، وأغار على السُّور بالسّلالِم ، فردعه عن الارتقاء الضَّياغمُ ، وقُتِل منه كلُّ مقاوم .

فلمّا علم أنّه لم يحصُلْ من (المَوْصِل) على طائل ، ارتحل عنها ، وتوجّه بعسكره إلى (بغداد) .

ثمّ إنَّ الفقير أرسل إلى (أهل الموصل) كتاباً وقصيدةً يُهَنِّئُهم بالسّلامة .

أما الكتاب . .

* * *

[و ١٨٦ / أ]

فصل : وبعدَ أن ارتحل عن (الموصل) خائباً ، رجع إلى (بغداد) كما قدّمنا آنِباً ، فزلزلت الأقدام ، وارتاعت — لقدومه — الأنام ؛ وحققوا أنّه سيحاصرهم كأهل (الموصل) .

ولمّا بلغ قرب قصبة [و ١٨٦ / ب] سيّدنا الإمام (أبي حنيفة نعمان بن ثابت) ، رضي الله عنه ، أرسل رسولاً إلى (الوزير) يريد الصّلح من (آل عثمان) بلا شرط من شروطه المتقدّمة ، وأنّه راغب فيه عظيم ، وذلك لما شاهد من ثبات أهل بلدان الإسلام ، وقوّة عزمهم ، وتصلّد أكباد أنصاره وتوقُّد حزمهم .

فأجابه (الوزير) إلى ذلك ، وأرسل إليه عَضُدَيْه وساعديه : (الأمير محمّد باشا) ، و (الأمير سليمان باشا) ، وعزّزهما بكاتب الدّيوان (وَلِي أفندي) ، فعقدوا الصّلح ، وشرطوا عليه أن يرحل إلى أرضه ، ويرسلون بذلك إلى (الدّولة) ، فإن رَضُوا بهذا الصّلح فبِها ، وإلا فقد عادَ [تِ] الحرب .

(٢٩٧) ذكرها المؤلف أول مرة في (٩٨ / ب) وفسرها فقال : « فرأى الوزير المذكور (حسن باشا) أن يبقر عليهم (اللقوم) . . » ، ثم ذكر مفردها (اللقم) وعرفه بمثل ما يعرف به (اللغم) اليوم . وذكرها في مواضع أخرى مجموعة على (لقام) تارة ، وعلى (ألقام) تارة ، وورد مفردها (اللغم) بالغين المعجمة مرة واحدة في الكتاب .

ورضي بذلك .

ثمّ ذهب إلى زيارة سيّدنا أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب) ، وليرى قُبّته حيث أمر أن تُبنَى بالذّهب ، وإلى زيارة ولده الشّهيد (الحسين) ، رضي الله عنهما ، وفي هذه الأثناء ، أظهر نفسه (سُنّيّاً) ، وأرسل إلى (الوزير) يريد منه عالماً من (علماء السُّنّة) ، ففُهِم منه ظاهراً أنّه يريده للمناظرة مع (علماء العجم) ، فاختار (الوزير) والدي لذلك .

قال الوالد ، حفظه الله ، في (النّفْحة المسكيّة والرّحلة المكيّة) [298] . . [و ١٨٧ / ب] :

« . . . ثمّ اجتمعت بالوزير (أحمد باشا) صبيحة تلك الليلة ، فتذاكر معي بخصوص هذا الأمر كثيراً ، وقال : إسأل الله تعالى أن يقوّي حُجّتك ، ويطلق بالصّواب لسانك . لكن أنت مُخَيّرٌ بين المباحثة وعدمها . فإنْ رأيت منهم الفساد وعدم الإنصاف ، فقل : إنّي لست بمأمور بالمباحثة من طرف (الباشا) ، لكن لا تترُكِ البحث بالكلّيّة ، بل أوردْ بعض الأبحاث في خِلال الصّحبة بالمناسبة ، ليعلم (العجم) أنّك ذو علم . وإن رأيت منهم الإنصاف ، وأنّهم يُريدون إظهار الصّواب ، فابحث معهم . وإيّاك أن تسلّم لهم » .

ثمّ قال : « إنّ (الشّاه) في (النّجَف) ، وأُريدك صبيحةَ يوم الأربعاء تكون عنده . . . » .

. . . . . .

[و١٨٩ / أ]

« .. فسُقْت دابّتي وأنا أكرّر الشّهادتين ، فتراءى لي علَمان كبيران رفيعان كالنّخلة السّحُوق ، فسألت عنهما ، فقيل لي : إنّهما علَما (الشّاه) ، يغرزهما ليعلم أكابر الجنود كيفية نزولهم في المُخَيّم . فمنهم من ينزل عن يمين العلمين ،

(٢٩٨) المعروف : « النفحة المسكية في الرحلة المكية » ، وهو مخطوط .

ومنهم من ينزل عن شمالهما ، إلى غير ذلك من الأوضاع . فسرنا حتّى رأينا الخيام .

وخيمته على سبعة أعمدة كبار رفيعة . فجئنا الى محلّ يعبّر [عنه] عندهم ب (الكِشْك خان) [٢٩٩]. وهي عبارة عن خيام متقابلات ، في كل طرف خمس عشرة خيمة ، على هيأة القبّة التّي لها إيوان ، لكنْ ذلك بلا عمود . .

وبين رأس الخيام مما يلي خيمة (الشّاه) رِواق متّصل، وفي وسطه باب عليها [٣٠٠] سِجاف . ففي الخيام التي على اليمين نحو أربعة آلاف بنادقيّ : يحرُسون ليلاً ونهاراً ، والّتي على الشّمال فارغة ، فيها كراسيّ لا غير .

فلمّا دنوت إلى (الكِشْك خانه)، نزلت ، فخرج لاستقبالي رجل ، فرحّب بي وأكرمني ، ولم يزل يسألني عن (الباشا) وعن خواصّ أتباعه ، وأنا أتعجّب من كثرة معرفته بأَتْباع (الباشا) . فلمّا شعر منّي ذلك ، قال : كأنّك لا تعرِفني ! فقلت : لا أعرِفك . فقال : « أنا (عبدالكريم بك) : خدمت في باب [و١٨٩ /ب] (أحمد باشا) مدّةً ، وفي هذه الأيّام أرسلت من طرف (الدّولة الإيرانيّة) إلى (الدّولة العثمانيّة) « أيلچيّاً » [٣٠١] » .

فبينما هو يحدّثني ،فاذا نحو تسعة رجال أقبلوا . فلمّا وقَع نظره عليهم ، قام على قدميه ، فسلّموا عليّ، فرددت عليهم السّلام وأنا جالس ،لا أعرفهم . فشرع (عبدالكريم بك) يعرّفهم واحداً واحداً ، فقال : هذا (معيار الممالك حسن خان) ، وهذا (مصطفى خان) ، وهذا (نظر علي خان) ، وهذا (ميرزا زكي) ، وهذا (ميرزا كافي) .

---

(٢٩٩) وكذا في (ش) ، خلافاً لما جاء فيهما بعد قليل : « الكشك خانه » .

(٣٠٠) صوابه « عليه » لأن الباب مذكر . والسجاف : الستر .

(٣٠١) إيلجي : يطلق في الفارسية والتركية على المبعوث السياسي المفوض، وفي « فرهنك جامع – فارسي انكليزي، تأليف ف : ستينجس F. Steingass » : « إيلجي Ilchi an ambassodor, plenipotentiory. ». ومعنى اللفظة الأولى سفير ، رسول أو ممثل مفوض ، ومعنى الثانية مبعوث سياسي مطلق التفويض» .

فلمّا سمعت بذكر (معيار الممالك) ، قمتُ على قَدَمَيَّ ، وصافحني هو ومن معه ، ورَحّبُوا بي . و (معيار الممالك) هذا هو وزير (الشّاه) ، كُرْجِيّ الأصل [٣٠٢] ، من مَوالي (الشّاه حسين) .

ثمَّ قالُوا لي : تفضّلْ لملاقاة (الشّاه) .

فرفعوا السِّجْف الّذي في وسط الرِّواق ، فبان وراءه رِواق آخَرُ ، بينَهما فسحة ثلاثة أذرع ، فأوقفوني هناك ، وقالوا : إذا وَقَفنا تَقِفُ ، وإذا مشينا تمشي .

فأخذنا ذاتَ اليسار ، فانتهى الرِّواق ، وإذا ببَرٍّ أَفْيَحَ واسع ، يحيط به رِواق يُرَى من البعد ، وفيه خيام كثيرة لنسائه وحرمه ، في صدرها (خيمة الشّاه) ، وإذا هو عنّي مقدار غَلْوَة سهم ، جالس على كرسيّ عالٍ .

فلمّا وَقَع نظره عليَّ ، صاح بأعلى صوته : « مرحباً بـ (عبدالله أفندي) ! أخبرني (أحمد باشا) يقول : إني أرسلت إليك (عبدالله أفندي) » .

ثمَّ قال : تقَدَّمْ . فتقدّمت نحو عشر خطُاً ، وعن يميني جميع الخانات ، وعن يساري (عبدالكريم بك) .

ثمَّ قال : تقدَّمْ . وأنا أَتقدّم خطُاً صغاراً مثلَ الأول . ووقَفْنا .

فلم يزل يقول لي : تقَدَّمْ . وأنا أتقدّم خطُاً صغاراً . حتّى صِرت منه[و ١٩٠ /أ] قريباً نحو خمسة أَذرُع ، فوَقَفْنا .

فرأيته رجلاً طويلاً ، كما يعلم من جلسته ، على رأسه قَلَنْسُوَة مربّعة بيضاء كقلانس (العجم) . وعليه عمامة من المِرْعِزّى [٣٠٣] مكلّلة بالدُّرّ والياقوت والألماس(*) وسائر نفائس الجواهر ، وفي عنقه قلائد الدّرّ والجوهر ؛ وعلى عَضُدَيه كذلك الدُّرّ والألماس واليواقيت مخيّطة على رُقعة مربوطة بعَضُده . ويلوح على

(٣٠٢) الكرج : جيل من الناس ، كانوا يسكنون في جبال (القبق) « قفقاسية » وبلد السرير ، اشتهرت نساؤهم بالجمال الفائق : وكانت لهن في قصور العثمانيين حظوة بالغة .

(٣٠٣) هي المرعز ، والمرعز : الزغب الذي تحت شعر العنز .

(*) الصحيح : والماس .

وجهه أثر الكِبَر وتقدُّم السِّنّ ، حتّى إنّ أسنانه المتقدّمة ساقطة ، فهو تقريباً ابن ثمانين عاماً . ولحيتُه سوداء ، مصبوغة بالوَسْمَة ، لكنّها حَسَنة . وله حاجبان مُقَوَّسان مقرونان ، وعينان يميلان [٣٠٤] إلى الصِّغَر قليلاً ، إلّا أنّهما حسنتان. والحاصل أنّ صورته جميلة . فحينما وَقَع نظري عليه ، زالت هيبتُه عن قلبي ، وذهب عني الرُّعْب .

فخاطبَني باللغة التُركمانيّة كخطابه الأوّل ، وقال لي : كيف حال أحمد خان ؟

فقلت : بخير وعافية .

فقال : أتدري لِمَ أردتُك ؟

فقلت : لا !

فقال : « إنّ في مملكتي فِرقتين : (تركستان) و (أفغان) يقولون (للايرانيّين) : « أنتم كُفّار » . فالكفر قبيح ، ولا يَليق أن يكون في مملكتي قوم يكفّر بعضهم بعضاً . فالآن ، أنت وكيل من قِبَلي ، ترفَعُ جميع المكفّرات ، وتشهد على الفرق الثّلاث بما يلتزمونه ، وكلّ ما رأيت أوسمِعت تخبرني[به] ، وتنقله لِـ (أحمدخان)».

ثمّ رخّص لي بالخروج ، وأمر أن تكون دار ضيافتي عند (اعتماد الدّولة) ، وأن أجتمع بعد الظّهر مع (المُلاّ باشي علي الأكبر) . فخرجت وأنا في غاية الفرح والسُّرور [و ١٩٠ / ب] لأنّ حكم (العجم) صار بيدي . .

. . . . . .

فعارضني في الطّريق رجل زيّه زيّ (الأفغان) ، فسلّم عليَّ ، ورحّب بي . فقلت : من أنت ؟ ومن تكون ؟ فقال : أنا (الملا حمزة القِلْجائيّ) مفتي (الأفغان). فقلت : يا حمزة ! أتحسن العربيّة ؟ فقال : نعم ! فقلت : إنّ (الشّاه) أمر برفع كل كفر عند [و١٩١ / أ] (الإيرانيين) ، فربمّا يتنازعون في شيءٍ من المكفّرات ، أو أنّهم لا يذكرون بعض المكفّرات ، ونحن لا نعرِف أحوالهم ولا عبادتهم ، فكلّما

(٣٠٤) وكذا في (ش) بالتذكير .

اطّلعتَ على مكفّر ، فاذكره ، حتّى أرفعه . فقال : يا سيّدي ! إيّاك أن تغترّ بقول (الشّاه) ، وإنّما أرسلك الى (المُلا باشي) ليباحثوك في أثناء الكلام ، وفي خلال المحادثة فاحترزْ منه ! فقلت : إنّي أخشى عدم إنصافهم . فقال : كن أميناً من هذا ، فإنّ (الشّاه) جعل على هذا المجلس ناظراً ، وعلى الناظرِ ناظراً آخرَ ، ثمّ على الآخرَ آخرَ ، وكلّ واحد لم يدر بحال صاحبه ، فلا يمكن أن ينقل (للشّاه) خلاف الواقع .

[و١٩٩ / أ]

ثمّ إنّ هذا الفقير كتب شهادته فوقُ ، في صدر القيّمة(؟) بأنّي « شهِدتُ على الفِرق الثّلاث بما قرّروه والتزموه ، وأشهدوني عليهم » . ووضعت خاتمي تحت اسمي فوق . وكان هذا الوقت وقتاً مشهوراً من عجائب الدُّنيا ، وصار لأهل السُّنّة فرح وسرور ، لم يقع مثله في هذه العصور ، لا تُشبهه أعراس ولا أعياد ، والحمدُ لله على ذلك .

ثمّ إنّ (الشّاه) بعث حَلْوَيات في الصَّواني والخُنْجات (٣٠٥) ، ومع ذلك مَبْخَرَة من الذّهب الخالص مرصّعة بجميع نفائس الجواهر ممّا لا يتقوّم ، وفيها من العنبر ما هو قَدْرُ الفِهرْ (٣٠٦) ، فتبخّرنا ، وأكلنا .

ثم إنّ (الشّاه) وَقَفَ تلك المَبْخَرَةَ على حضرةِ سيّدنا (عليّ) .

فخرجنا ، وإذا النّاس من (العجم) و (العرب) و (التُّركستان) و (الأفغان) ما لا يُحصي عددهم إلّا الله تعالى . وكان خروجنا بعد الظُّهر يومَ الخميس بساعة.

ثمّ أُتي بي إلى (الشّاه) مرّةً أُخرى .

فدخلت عليه على تلك الحالة الأولى ، ولم يزل يأمرني بالتقدُّم حتّى قربت منه

---

(٣٠٥) ش : « الخنجات » بالجيم العجمية : الواحدة خنجة ، وأصلها خانجه « Khancheh » فارسية دخيله ، وهي صينية من خشب ، ولا تعرف اليوم في العامية البغدادية .

(٣٠٦) الفهر : الحجر . و – حجر ناعم صلب تسحق به الأدوية .

أكثر من الموقف الأوّل ، فقال لي : « جزاك الله خيراً ، وجزى (أحمد خان) خيراً . فوالله ! إنّه ما قَصَّر في إصلاح ذات البَيْن ، وإطفاء الفتنة ، وحقن دماء المسلمين. لكِنّا لا نصدّقه ، و (آلُ عثمان) لا يصدّقونه ، فهو مُتّهَم بين الفريقين ، جعل الله عزّه ورفعته أكثر من ذلك » .

ثمّ قال لي : « يا عبدَالله أفندي ! لا تَظُنَنّ أن (الشّاهنشاه) يفتخر بمثل ذلك ، وإنّما هذا أمر يَسَّرَه الله تعالى ، ووَفّقني له ، حيث كان رفع [و١٩٩/ ب] سبّ الصّحابة على يدي ، مع أنّ (آل عثمان) مُنْذُ [ال] سلطان (سليم)(٣٠٧)

(٣٠٧) هو السلطان سليم الأول ، تاسع سلاطين آل عثمان ، اشتهر باسم (ياوز سلطان سليم) . وهو احد ابناء السلطان (بايزيد الثاني) . اوصى أبوه بالعرش للأمير احمد اخي سليم ؛ وكان سليم يطمع في العرش ، والقسم الأكبر من الجيش كان يؤازره ، فخلع أباه ، وقتل اخوته ، واجلس نفسه على العرش . وكان الشاه اسماعيل الصفوي الايراني قد آزر الأمير احمد ، وحمى ابنه مرادا ، فهاجم سليم (ايران)، والتقى بالجيش الصفوي في سهل (چالدِران) بين (بحيرة ارمية) و (تبريز) ، فقضى على الجيش الفارسي في هذا الموقع قضاء مبرما في ثاني يوم من شهر رجب ٩٢٠هـ/٢٣ آب ١٥١٤م ، وفر الشاه وهو مثخن بالجراح تاركا «حريمه» كله في يد السلطان العثماني الظافر . ثم احتل شرقي (آسية الوسطى) و (كردستان) . وحول نظره الى في الشام) فهزم السلطان قانصو الغوري في (مرج دابق) ، وتقدم نحو (مصر) فدحر السلطان طومان باي من سلاطين المماليك الشراكسة في معركة (الريدانية)، ونزل له الخليفة محمد المتوكل على الله الثالث عن الخلافه، فجعل سليم نفسه خليفة المسلمين ، وورث خلفاؤه من آل عثمان هذا اللقب . ثم فتح (الحرمين الشريفين) ، وبعث من (دمشق) كسوة للكعبة المشرفة للمرة الاولى ، فحمل سلاطين آل عثمان ـ منذ ذلك اليوم حتى زوال الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى ـ لقب « خادم الحرمين الشريفين» ، وبنى دارا جديدة لصناعة الأساطيل في دار ملكه ، واعد اسطولا عظيما لفتح (جزيرة رودس) ، ومات وهو يتأهب لذلك في اليوم السابع من شوال ٩٢٦هـ/٢٠ سبتمبر ١٥٢٠م . وتاريخه الحافل بالعظائم مبسوط في التواريخ التركية ، وفي بدائع الزهور لابن اياس، وفي كتب فارسية واوربية كثيرة . وقد لخصه ((J. H. Kramers)) في دائرة المعارف الاسلامية ، وذكر مصادر تلخيصه .

إلى يومنا هذا كم جـهـزُوا عساكرَ وجنوداً ، وصرفوا أموالاً ، وتلفوا [٣٠٨] أنفساً ، ليرفعوا السّبّ ، فما تهيّأ لهم . وأنا ، بحمدالله وعونه ، رفعته بسهولة . وهذه القبائح نشأت من الخبيث (الشّاه إسماعيل) [٣٠٩] : أغواه أهل (لاهجان) ، [٣١٠] ولم تزل إلى يومنا هذا » .

(٣٠٨) ش : « أتلفوا » على الصحة .

(٣٠٩) هو اسماعيل الاول مؤسس الدولة الصفوية بفارس ، من سلالة رجل اسمه الشيخ صفي‌الدين اسحاق : من دراويش (اردبيل) من أعمال (أذربيجان) ، الذين تغلب عليهم النزعة الباطنية ، ويقولون بالتناسخ وحلول الجزء الالهي في اشياخهم ، وغالب اهل (أذربيجان) تركمان ، ولكن أبناءه ادعوا الانتساب الى امام عربي من السلالة النبوية المطهرة، ليعلوا من شان انفسهم ، .. شنشنة معروفة عند أمثالهم من الادعياء، وكانوا قد بذلوا جهدهم لتمهيد الطريق بنشر الدعوة السياسية الدينية، وظلوا يترصدون الفرصة لما يبيتونه من الأمر ، فحانت عند وفاة السلطان أوزون حسن (من حكام آق قويونلي). فالف اسماعيل خلال انتشار الأمر الذي أعقب وفاته جيشا يسمى باسم (قزل‌باش) ، وحاز اليه اتباع والده الشيخ حيدر والقبائل التركمانية السبع ، ومنها (قاجار) و (افشار) ، فاستولى بهم على (شيروان) و (أذربيجان) و (بلاد الجبال) « = العراق العجمي» ، وانتحل لقب (الشاه) ، ومد مملكته الى (هراة) شرقا ، و (دياربكر) و (بغداد) غربا . (ولن تنسى «بغداد» مآتيه الشنيعة وفتكه الذريع بعلمائها واهلها الاصلاء) ، وفرض بالارهاب التشيع في الاقاليم الجديدة التي فتحها ، وسفك الدماء وتعسف وجار وظلم ، فهاج ذلك محمد شيباني خان من خانات (بخارى) وسيد (تركستان) ، وياوز سلطان سليم العثماني . ونازله الاول في معركة عظيمة قرب (مرو) ، فقضى عليه اسماعيل ، وهاجمه السلطان العثماني فهزمه في موقعة (چالدران) في عام ٩٢٠هـ (انظر التعليق ٣٠٧) ، واحتل عاصمة ملكه (تبريز) وغيرها من مملكته ، واستعان اسماعيل بعد هذه الهزيمة العظيمة بـ (شارل الخامس) ، غير أن كتابه استغرق وصوله اليه نحو ست سنوات على ماذكر (CL. Huart) في «دائرة المعارف الاسلامية» ، وهلك في عام ٩٣٠هـ . وظلت أسرته تحكم (فارس) ، الى أن نجم غلام أفشاري من خدمها ، يقال له

فقلت له : « إن شاء الله تَرُدُّ (العجم) كلّهم الى ما كانوا عليه أوّلاً من كونهم أهل السُّنّة والجماعة » .

فقال : « إن شاء الله تعالى ، لكنْ على التّدريج أوّلاً فأوّلاً » .

ثمّ قال: « يا (عبدالله أفندي) ! أنا لو أفتخر ، لافتخرت بأنّي في مجلسي هذا عبارة عن سلاطينَ أربعة . فأنا سلطان (إيران) ، وسلطان (تُرْكستان) ، وسلطان (الهند) ، وسلطان (الأفغان) . لكنّ هذا الأمر ، من توفيق الله تعالى . فأنا لي مِنّة على جميع الإسلام ، حيث رفعت السّبّ عن الصّحابة ، وأرجو أن يشفَعُوا لي » .

ثم قال : « كنت أرسلك ، لعلمي أنّ (أحمد خان) بانتظارك . لكن أرجو أن تبقى غداً، فإنّي أمرت أن نصلّي الجمعةَ في (جامع الكوفة)،وأمرت بأن تذكر الصّحابة على المنبر على التّرتيب ، ويُدْعَى لأخي الكبير حضرة الخُنْكار [٣١١] سلطان (آل عثمان) قبلي ، ويذكر بجميع الألقاب الحسنة ، ثم يدعى للأخ

(نادر) ، بعد « قرنين » من الزمان ، فقضى عليها ، وورث عنها لقب (الشاه) وتسمى (نادر شاه) ، كما ورث عنها كل عنجهيتها وفسادها وبغيها ، فعاث فسادا في الارض شرقا الى (الهند) ، وغربا الى (العراق)، وقد ثبتت له (بغداد) و (الموصل) ، فارتد خائبا الى (ايران) حيث هلك بعد قليل، ولم يعقب غيرالدمار، كأسلافه الصفويين وغيرهم من الباطنيين والشعوبيين العاملين على قتل العرب ومحق الاسلام .

(٣١٠) ش : « الأهجان » ، وهي في « معجم البلدان » : «لاهج » ، وضبطها ياقوت بكسر الهاء . وفي « تقويم البلدان » : (لاهجان) و (اللاهجان) وضبطها بفتح الهاء : بلدة أو ناحية في (كيلان)، وقال المستوفي : « هي في شرق مصب (سفيد رود) ، وكانت مدينة وسطة ، يجلب منها الحرير ، وينمو في ناحيتها الرز والقمح والنارنج والأترنج وغير ذلك من فواكه المنطقة الحارة » ، وهي الجروم . وقال ياقوت : هي « ناحية في بلاد (جيلان) ، يجلب منها الإبريسم اللاهجي وليس بالجيد » ، ووصف أبو الفداء إبريسمها بأنه مشهور يجلب منها الى البلاد » .

(٣١١) الخنكار : السلطان ، بلغة الترك .

الأصغر – يعني نفسه . لكنْ يُدْعَى لي أقلّ من دعاء الخُنْكار ؛ لأنّ الواجب على الأخ الأصغر أن يوقّر أخاه الأكبر » .

ثمّ قال : « وفي الحقيقة والواقع هو أكبر وأجلّ مني ؛ لأنه سلطان ابن سلطان ، وأنا جئت إلى الدُّنيا ولا أب لي سلطان ولا جَدّ ! » .

ثم أذِنَ لي بالخروج ، فخرجت من عنده .

* * *

[و۲۰۳ / ب]

« ثم إنه رَجَعَ مِن الزِّيارة ، وتوَجّهَ إلى أرضه ، وانقشعت سَحابَتُهُ ، وَبَعُدَتْ عن (العراق) عِصابَتُهُ » .

* * *

[و ۲۱۷/ب]

فصل : وفي هذه السَّنَة [١١٦٠ هـ] قدم من (الشّاه نادر) رسول إلى (الدّولة العَلِيّة) ، ومعه هدايا الى الخُنْكار ، من جملتها فِيلانِ يُجيدان المصارعة واللعب العجيب ، وخيمة من الدّيباج محبَّرة بالذّهب ، أعمدتُها بعضها فِضّة ، وبعضها ذهب ، وأوتادها فِضّة ، وأطنابُها (۳۱۲) من الإبريسم المحلّى بالذّهب ، وطِرازها محبوك باللؤلؤ الجيّد .

* * *

وفي هذه السَّنَة قدم من (الدّولة العليّة) رسول إلى (النادرشاه)(۳۱۳) : (كِسْرَلي حاجّ أحمد باشا) – والي (بغداد) الآن – ، ومعه هدايا عظيمة أيضاً ، من جملتها نحو المئة حصان برُخُوتها وحُلِيّها (۳۱٤) . فاجتمع الرّسولان في (بغداد) .

---

(۳۱۲) واحدها طنب ، بضمتين .

(۳۱۳) ش : « نادرشاه » على الصحة ، وسيعاد في الأصل « الشاه نادر » .

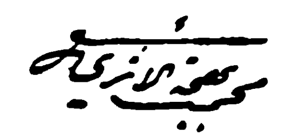
(۳۱٤) الرخوت : جمع الرخت ، وهو ما يوضع على الفرس من سرج ونحوه ، فارسي ، دخل العامية البغدادية ، ولا يزال معروفاً فيها .

ثمّ إنّ رسول الخُنْكار توجّه إلى (إيران) . فلمّا وصل إلى (كَرْمان شاه) ، أُخبِر بموت (الشّاه نادر) ، وبكثرة الاختلال في بلاد (العجم) .

فأرسل إلى (الوزير) المذكور يخبره بذلك ، وأنّه لا يطيق الرُّجوع ولا الذّهاب ، خوفاً من أهل الفساد .

فأرسل (الوزير) إليه سَرِيّة ، أنقذته من تلك المهالك ، وسيّرته على أوضح المسالك ، وأتت به إلى (بغـداد) .

وقد قدّمنا بعض هذه القضيّة في الاستطراد ، فتَفَطّنْ .



* * *

حقيقة التضمين

ووظيفة حروف الجر

الدكتور
أحمد عبد الستار الجواري
(عضو المجمع)

تمهيد :

١ـ وظيفة الحرف ٢ـ وقوع الحروف بعضها مكان بعض ٣ ـ حقيقة التضمين ٤ـ المجاز في الحرف ٥ـ العلاقات اللفظية بين الحروف ٦ـ خاتمة

تمهيد :

يحتاج البحث في التضمين وحقيقته الى أن يقدم بين يديه أمران:

الامر الاول :

يتصل بالحرف والاداة ــ ولا سيما حروف الجر ــ ووظيفتها في الكلام وحسن أداء المعنى بها . ولا غرو فقد سميت تلك الادوات عند علماء العربية حروف المعاني ، ووفيت حقها من البحث والدرس الى مدى بعيد .

الامر الثاني :

وقفة تأمل في ما اجتمع للعربية الفاظا مفردة أو مركبة من تراث أتاها من طول العهد ومديد العمر الذي لا يكاد يلحظ مبتداه ، ومن ثراء عريض اكتسبته من سعة التصرف وكثرة الاستعمال وسعة الانتشارحتى انها كانت لغة الحضارة

العالمية في القرون الوسطى ، وكانت قبل ذلك وفوق ذلك لغة الكتاب الحكيم وديوان شريعته وعقيدته وترجمان الحضارة الاسلامية الزاهرة .

اما الامر الاول فلأن هذا التاريخ الطويل وهذا الميراث العريض قد أثرى ألفاظ هذه اللغة العربية مفردة ومركبة ــ وأضاف الى دلالاتها الاصلية دلالات جديدة ، تستجدّ كلما برز للتعبير بهذه اللغة موهوب في الادب وفي فن القول .

وقد تتراكم تلك المعاني وظلالها حتى يكاد المعنى الاصلي للفظ يحتجب ويتوارى خلف تلك الدلالات الجديدة ويتستر ويختفي وراء تلك الظلال .

من اجل هذا تنطلق الدعوة الى درس العربية درساً تتصل فيه علومها وفنونها وتتواصل الوشائج بين تلك العلوم فيستعان بمعاني النحو على فهم وذوق كثير من امور النحو ، وبمفردات اللغة واشتقاقاتها على فهم مواقعها في التراكيب وعلاقة أجزاء الكلام بعضها ببعض .

ذلك أن دراسة النحو على الصورة المعهودة عند النحاة كثيراً ما يهمل فيها جانب المعنى بحجة أن ذلك من عمل البلاغيين ومن صناعة البلاغة . وكذلك يضرب صفحا عن دلالات الالفاظ المفردة واستعمالها بمعانيها التي وضعت لها او التي جازتها الى ما يجاورها وما يكون منها أشبه بالظلال (المراد المعنى الحقيقي والمعنى المجازي) ومردّ ذلك الى انهم لم يعتبروا في النحو الا أمر الاعراب ، أوعلى الاصح أنهم جعلوا الاعراب هو الغاية الاولى والغرض الاهم، وجعلوا أمر تركيب الكلام والعلاقات المعنوية بين اجزاء التراكيب من عمل اهل البلاغة أو علم المعاني على وجه التحديد، وذلك ما دعاه عبد القاهر الجرجاني نظم الكلام ، وبسط الكلام عليه في كتابه دلائل الاعجاز .

– ١ –

ان الكلام في التضمين يقتضي مزيداً من الوقوف على الامر الاول الذي مرت الاشارة اليه، ذلك أن الدقة في التعبير والقدرة على أداء المعاني وامتلاك ناصية اللغة يعتمد – الى أبعد الحدود على فقه معاني الحروف وعلى ادراك مواقعها والاصابة في تعيين تلك المواقع. ولذلك تسمى هذه الحروف وما يليها من الالفاظ في كثير من اللغات بالادوات – (Idioms) – وهو اصطلاح معروف في علوم العربية يشيع في استعمالات النحاة، وإن يكن يشرك الحروف فيه أنماط من الاسماء والافعال .

وحروف الخفض أو الجر لها بين حروف المعاني مكانة متميزة وموقع بارز. ذلك لأنها بكثرة دورانها في الكلام تكاد تقترب من الاسماء والافعال، من حيث تصرفها في المعاني وتجاوزها الاصل الذي وضعت له الى معان أخرى قريبة منه أو غير قريبة هذا من جهة معانيها، أما من جهة وظيفتها في الكلام ومواقعها في التراكيب فانهم يسمونها أيضاً حروف الاضافة . وانما قيل لها حروف الاضافة لانها تضيف معنى الفعل الذي هي صلته الى الاسم المجرور بها . ومعنى اضافتها معنى الفعل ايصاله الى الاسم [1] وهذه الحروف تجري في استعمالها على طريقتين : الاولى وقوعها بعد فعل أو ما هو في تقدير الفعل مما يشتق منه – أو يشاركه في الاشتقاق من المصدر – مذكوراً كان ذلك أو محذوفاً . وهذا هو الاكثر .

والثانية وقوعها بحيث لا يمكن ان يؤوّل ما بعدها بمفعول وهي التي لم يسبقها فعل أو مشتق منه مذكوراً أو محذوفاً تتعلق به هي وما دخلت عليه . وهذه هي التي يسمونها الزائدة أو المؤكدة . وليس هنا موضع الكلام عليها .

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٢ ص ١١٧ .

يقول ابن يعيش : فاذا قلتم ان هذه الحروف انما أتي بها لايصال معاني الافعال الى الاسماء فما بالهم يقولون : زيد في الدار ، والمال لخالد ، فجيء بهذه الحروف ولا فعل قبلها ، فالجواب أن ليس في الكلام حرف جر الا وهو متعلق بفعل أو ما هو بمعنى الفعل أو التقدير. أما اللفظ فقولك انصرفت عن زيد ، و ذهبت الى بكر . فالحرف الذي هو (الى) متعلق بالفعل الذي قبله .
واما تعلقه بالفعل في المعنى فنحو قولك المال لزيد . تقديره المال حاصل لزيد وكذلك زيد في الدار تقديره زيد مستقر في الدار أو استقر في الدار [1] .

ولعل في هذا الذي اقتبسناه من كلام ابن يعيش — وهو مثال على أسلوبهم في معالجة أمر حروف الجر ما يؤيد الحكم على ذلك الاسلوب من حيث انصراف العناية الى الاثر اللفظي ومسّ الجانب المعنوي برفق كمن يخشى أن يجتاز حداً حدّه لنفسه لا يتعداه ولا يتخطاه لئلا يقع في مجال غير مجاله .

ان وظيفة حرف الجر عندهم لا تتعدى — في الاساس — ما يعرف بتعدية الفعل اللازم . ذلك أن من الافعال أفعالا ضعفت عن تجاوز الفاعل الى المفعول فاحتاجت الى أشياء تستعين بها على تناوله والوصول اليه . وذلك نحو عجبت ومررت وذهبت ، لو قلت عجبت زيداً أو مررت جعفراً أو ذهبت محمداً لم يجز ذلك لضعف هذه الافعال في العرف والاستعمال عن افضائها الى هذه الاسماء ، على ان الاعرابي قد حكى عنهم مررت زيداً كأنه أعمله بحسب اقتضائه ، ولم ينظر الى الضعف ، وهو قليل شاذ ، وأنشدوا :

تمرّون الديارَ ولم تعوجوا كلامكم عليّ اذاً حرام

فلما ضعفت هذه الافعال عن الوصول الى الاسماء رفدت بحروف الاضافة فجعلت موصلة لها اليها فقالوا عجبت من زيد ونظرت الى عمرو .

وخص كل قبيل من هذه الافعال بقبيل من هذه الحروف [2] وهكذا ينظرون الى وظيفة حرف الجر على العموم .

(١) شرح المفصل ج ٨ ص ٩ .
(٢) شرح المفصل ج ٨ ص ٨ .

على أنه يلاحظ في كلامهم على تعدي الفعل ولزومه ، ولا سيما حين يتحدثون عما يسمونه الفعل اللازم وتعديته الى المفعول بحرف الجر ، أنهم يلتفتون الى جانب المعنى بعض التفات ، فيذكرون أن حرف الجر قد يحذف فينصب الاسم الذي كان مجروراً به . وفي ذلك يقول ابن مالك في الالفية :

وعدّ لازماً بحرفِ جرٍ فانْ حُذِفْ فالنّصبُ للمنجرْ
نقلاً وفي أنّ وأنْ يطّردُ مع أمنِ لبسٍ كعجبت أن يدوا

وهذا الحذف السماعي يجري على وجهين : الاول وارد في السعة نحو شكرته ونصحته ، وذهبت الشام . والثاني مخصوص بالضرورة [1] . يقول ابن عقيل في ذلك : ومذهب الجمهور أنه لا يقاس حذف حرف الجر مع غير أنّ وأنْ . بل يقتصر فيه على السماع . وذهب أبو الحسن علي بن سليمان البغدادي وهو الاخفش الصغير [2] الى أنه يجوز الحذف مع غيرها قياسا بشرط تعيّن الحرف ومكان الحذف نحو بريت القلم بالسكين فيجوز عنده حذف الباء فتقول بريت القلم السكين فان لم يتعين الحرف لم يجز الحذف [3] . ومما تعين فيه الحرف ومكان الحذف ما جاء في قوله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا) والصبّان يذكر لحذف الجر توسعا صورتين : الاول الوارد في السعة مع الفصاحة والندرة كقوله تعالى (لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم) أي على صراطك . والوارد في السعة مع الضعف والندرة سمع مررت زيدا [4] .

ومن الصورة الاولى قوله تعالى (واقعدوا لهم كل مرصد) التوبة. ويبدو أن علاقة الفعل بالمفعول تكون على وجهين : اما علاقة مطلقة وهي التي يقع فيها

---

(١) شرح الاشموني ج ٢ ص ٩٠ .
(٢) وكذلك ابن الطراوة حاشية الصبان ج ٢ ص ٩٠ .
(٣) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٥٣٩ .
(٤) حاشية الصبان على شرح الاشموني ج ٢ ص ٩٠ .

المفعول بعد الفعل منصوباً ، وذلك هو الذي يقال له المفعول به . واما علاقة مقيدة بمعنى من المعاني التي يتأثر فيها المفعول بفعل الفاعل كالظرفية والاستعلاء والالصاق وابتداء الغاية وانتهائها والملك وبيان الجنس الى غير ذلك من المعاني التي وضعت لها حروف الجر .

فاذا احتمل المعنى الاطلاق أو الاتساع حذف الحرف فنصب المفعول ، كما مرّ . فان المقصود في مثل قوله تعالى (واقعدوا لهم كلّ مرصد) ليس تقدير (على) ولا تقدير غيره من الحروف وانما الاطلاق بحيث يحتمل معنى كل حرف يمكن أن يقع بين هذا الفعل وهذا المفعول .

ومثلما يكون الاطلاق من قيد الحرف اذا اقتضاه المراد ، كذلك يكون القيد ، فيؤتى بالحرف مع فعل يقوى على الوصول الى المفعول بنفسه . مثال ذلك قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) [1] .

فان الفعل (يخالفون) يصل الى المفعول مباشرة فيقال خالفه وخالف أمره ، اذا أريدت المخالفة مطلقة بلا قيد ، أما خالف عنه فيراد به المخالفة مقيدة بالاعراض والصدود المستفاد من معنى حرف الجر (عن) .

هذا ما يمكن أن يفهم من كلام النحاة على تعدية اللازم والزام المتعدى ، وان يكن فيه بعض الخروج على ما يعرف بالصناعة النحوية التي يجعلون منها في الغالب حائلاً دون النفوذ الى المعاني والاساليب .

وحاصل ما سبق أن الافعال تصل الى مفاعيلها على أحد وجهين :

الاول مباشرتها المفاعيل فتكون العلاقة أصلا ، علاقة اطلاق واتساع لا تقيد

(١) النـور

بمعنى من المعاني التي وضعت لها حروف الجر .

والوجه الثاني توسط الحرف بين الفعل ومفعوله ليكون وصول الفعل اليه مقيد بمعنى من تلك المعاني .

على أن هذا ليس امراً مطرداً يجري على قاعدة مقررة ، وانما الاصل في طائفة من الافعال أن تباشر المفاعيل ، وفي طائفة أخرى ان يقع بينها وبين المفاعيل الحرف الذي يعرف بحرف الجر . على ان الملاحظ أنه قد يصار الى الاطلاق والاتساع اذا اقتضى المقام ذلك او يصار الى التقييد بعد الاطلاق.وكل ذلك رهن بمقتضى الحال كما يقول علماء العربية ، وهو عندهم موقوف على السماع لا يجوز أن يقاس عليه .

— ٢ —

وعلاقة الحروف بالافعال تحكمها الدلالة اللغوية للافعال ، ومواقع الافعال في التراكيب ، ولذلك فهي علاقة مستقرة مدار التصرف فيها على النقل والسماع عموماً ، وعلى قدرة المتكلم وبراعته في استعمال الالفاظ وصياغة التراكيب . ولذلك يقول النحاة ان كل قبيل من هذه الحروف خص بقبيل من الافعال . ومع ذلك فقد تداخلت فيشارك بعضها بعضاً في هذه الحروف الموصلة [١] .

ان هذا التداخل هو في الحقيقة وجه من وجوه التصرف في الحروف يشبه التصرف في حذف الحرف للاطلاق والاتساع أو اثباته حين يراد معناه أن يكون بين الفعل ومفعوله .

وحقيقة هذا التداخل ان يؤتى مع فعل ما بحرف من حروف الجر ليس هو الحرف الذي يتعدى به عادة الى المفعول ، او يقع بينه وبين المفعول ، فقد يكون مما يصل الى مفعوله على صورة الاستعلاء في الاصل ، ثم يؤتى معه بالحرف الذي يدل على معنى الظرفية ، ذلك كقوله تعالى (ولأصلبنكم في جذوع النخل)[٢].

---

(١) ابن يعيش ج ٨ ص ٨ .
(٢) طـه (٧١) .

اذ المعهود أن يؤتى بـ (على) بعد هذا الفعل فجيء بـ (في) مكانها .

فهل نابت (في) مناب (على) ؟ وهل يجوز في حروف الجر أن ينوب بعضها عن بعض ؟ هل يستعمل حرف الجر لغير ما وضع له مثلما تستعمل سائر الالفاظ لغير ما وضعت له على سبيل المجاز ؟ أو أن التصرف وخروج اللفظ عن معناه لم يقع في الحرف ولا يجوز أن يقع لانه لا يحتمله و ينهض به وانما كان في الفعل الذي استعان به في الوصول الى مفعوله ؟

ان فريقا من النحاة يجيز انابة كلمة عن اخرى، فحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض ، ويدخل بعضها مكان بعض [1] ، قد جاء ذلك في القرآن وفي الشعر [2] . وهذا مذهب الكوفيين وبعض المتأخرين ، وممن ذهب هذا المذهب ابو الحسن الهروي[3] ومذهب البصريين أن احرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس ، كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك [4] .

ويفهم مما يذهب اليه سيبويه أن لكل حرف معنى هو الاصل فيه فهو يقول في الباء ان معنى الالصاق هو الاصل فيه. ولعله بذلك يبيح أن يخرج الحرف عن معناه الاصلي الى معنى آخر .

والذين لا يذهبون هذا المذهب حجتهم أن الحرف لا يؤدي معناه في نفسه وانما يؤديه في غيره (الاسم أو الفعل) فهو اذن عاجز عن التصرف في معناه قاصر عن الخروج على الاصل الذي وضع له .

وذهب آخرون ولعلهم الاكثرون الى أن ذلك يكون بتضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف كما ضمن بعضهم (شربن) في قوله (شربن بماء البحر)[5] معنى (روين) . و (أحسن) في قوله تعالى (وقد أحسن بي

---

(١) معنى اللبيب ج ١ ص ١١٩ .

(٢) و (٣) كتاب الازهية في علم الحروف ص ٢٧٧ .

(٤) مغنى اللبيب ج ١ ص ١١٩ .

(٥) هذا جزء من شاهد على الجر بمتى وهو لابي ذؤيب الهذ لي

شربن بماء البحر ثـم ترفعت   متى لجج خضر لهن نئيج

اذ اخرجني من السجن) [1] معنى (ألطف) [2] .

وهذا في الحق باب واسع يفضي الى وجوه عدة ، فهو قد يكون كما قال عنه ابو الفتح ابن جني انه « فصل من العربية لطيف حسن يدعو الى الانس بها والفقاهة فيها [3] . وهو قد يكون — من جانب آخر — مدخلا للتراخي في اداء المعاني والافكار اداء دقّة وضبط واحكام .

وهو على كل حال يتصل اوثق اتصال ببراعة المنشىء والمتكلم وقدرته في استعمال الفاظ اللغة ومفرداتها حروفها وأفعالها وأسمائها .

وتعريف التضمين كما جاء على لسان ابي الفتح ابن جني : أن الفعل اذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف والاخر بآخر فان العرب قد تتسع فتوقع احد الحرفين موقع صاحبه ايذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه با لحرف المعتاد مع ما هو في معناه ، وذلك كقول الله عزّ اسمه (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) [4] .

وأنت لاتقول رفثت الى المرأة وانما تقول رفثت بها او معها ، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الافضاء وكنت تعدي أفضيت بـ(الى) كقولك أفضيت الى المرأة جئت بالى مع الرفث ايذانا واشعارا أنه بمعناه ، كما صححوا عَوِرَ وحَوِلَ لما كان في معنى اعورّ واحولّ ... [5] .

ويقول في موضع آخر متمثلاً على التضمين : وكذلك قوله عزّ اسمه (هل لك الى ان تزكى) [6] وأنت انما تقول هل لك في كذا لكنه لما كان هــذا دعاء منه صلى الله عليه وسلم [7] صار تقديره ادعوك وارشدك الى أن تزكى .

(١) يوسف ١٠٠ .
(٢) مغني اللبيب ج ١ ص ١١٩ .
(٣) الخصائص ج ٢ ص ٣١٠ .
(٤) البقرة ١٨٧ .
(٥) الخصائص ج ٢ ص ٣٠٩ .
(٦) النازعات ١٨ .
(٧) المعني هنا موسى عليه السلام .

وعليه قول الفرزدق :

كيف تراني قالبا مجنّي أضرب أمري ظهره للبطن

قد قتل الله زيادا عني

لما كان معنى قد قتله قد صرفه ، عدّاه بعن [1] .

ومما يمثلون به للتضمين قوله تعالى(..كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله) [2] يقول ابن يعيش : لما كان معناه من يضاف في نصرى الى الله جاز لذلك أن تأتي بـ (الى) ههنا . وكذلك قوله عزّ اسمه (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) [3] لما كان معنى الاكل ههنا الضم والجمع لا حقيقة المضغ والبلع عدّاه بـ (الى) اذ المعنى لا تجمعوا اموالهم الى اموالكم [4] .

فالتضمين اذن ينطوي في حقيقته على أمرين : الاول الاتساع في استعمال حرف الجر وحلول حرف محل حرف آخر اذا كان الفعل الذي يتعدى به قريباً في معناه من معنى فعل يتعدى بذلك الحرف . وهذا شبيه بما مرّ في الكلام على حذف حرف الجر توسعاً ، اذا تعين الحرف وتعين مكان الحذف . فهو يكون اذن قرين التجاور في المعاني عليه يقوم واليه يستند

ومن ذلك ايضاً قوله تعالى (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) [5] وقوله جل شأنه (ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم) [6] . لان معنى نصر مجاور لمعنى انقذ وخلّص ونحوهما لذا يتعدى بمن ، ومثل ذلك قوله تعالى :

---

(١) الخصائص ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١٠ .
(٢) سورة الصف .
(٣) النساء (٢) .
(٤) شرح المفصل ج ٢ ص ١٥ .
(٥) سورة الانبياء (٧٧)
(٦) سورة هود (٣٠) .

(وذلك دلو يشاء الله لانتصر منهم)[1] . ومعروف ان نصر وانتصر يتعديان بـ ـ على ـ عـــادة .

والامر الثاني هو رعاية هذا الذي يصح ان نسميه التجاور في المعاني بحيث يجوز اللفظ معناه الى معنى يجاوره . وذلك هو المجاز ولقد صرح بذلك بعض النحاة فقال ان التضمين مجاز مرسل لانه استعمل اللفظ في غير معناه لعلاقة بينهما وقرينة [2] على أن منهم من ذهب في هذا الامر مذهباً آخر وهو أن في التضمين جمعاً بين الحقيقة والمجاز لدلالة الفعل المذكور على معناه بنفسه وعلى معنى المحذوف بالقرينة . وهذا انما يقول به من يرى جواز الجمع بين الحقيقة المجاز ، وهو ظاهر قول ابن هشام في المغني أن فائدته ـ أي التضمين ـ أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين [3] .

ونقل الشيخ ياسين في حاشيته على التصريح أن العز بن عبدالسلام سماه في كتابه ـ مجاز القرآن ـ مجاز التضمين . وقال انه هو أن يضمن إسم معنى إسم لافادة معنى الاسمين متعديه تعديته في بعض المواضع كقوله : (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) ، فيضمن حقيق معنى حريص ليفيد أنه محقوق بقول الحق حريص عليه [4] .

وهذا الذي قال به ابن هشام وبسطه وشدّ أزره العز ابن عبدالسلام مما لا ترتضيه صناعة البلاغة التي يذهب اهلها الى ان المجاز لفظ أريد به غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى وقرينة مانعة من ارادة المعنى الاصلي .

ولا مراء في أن مذهب هذين الفاضلين أرجح وأجدر أن يتبع . لانه لا يعقل ان يعدل عن المعنى الاصلي في اي لفظ تراد دلالته المجازية ، وانما يكون المعنى الآخر مجاورا للمعنى الاصلي ـ وهذا هو المراد بالعلاقة ـ مدلولا على المعنى

(١) سورة محمد .
(٢) حاشية الشيخ ياسين على التصريح ج ٢ ص ٤ .
(٣) مغني اللبيب ج ٢ ص ١٨٥ .
(٤) ج ٢ ص ٤ .

الجديد من خلال ذلك المعنى الاصلي. واذن فان ما ذهب اليه ابن هشام والعز بن عبدالسلام وإن يكن غير موافق للصناعة البلاغية فهو مطابق لواقع المعنى وللمراد حقاً بهذه الاساليب ، وهو ايضاً توكيد لما يراد بلفظ المجاز وهو الممر الواصل بين معنيين : المعنى الاصلي ومعنى مجاور له لعلاقة التجاور بين المعنيين .

ومهما يكن من أمر فان ما يذهب اليه أكثر النحاة في التضمين سواء منهم من يعده مجازاً مرسلا ، او من يعده اشراب فعل معنى فعل آخر ، فانه اخلال بدقة التعبير إن جاز ان يقاس عليه ، او هو تخلص من مأزق لم يقع في حسبانهم ابتداء او انهم حين افترضوا لكل حرف وظيفة لا يفارقها وفعلا او افعالا لا يقع الا بعدها ، ثم وجدوا ان ذلك غير مطرد ، لجأوا الى هذا الذي لجأوا اليه لئلا يعودوا الى القاعدة التي اقاموها فيعيدوا فيها نظراً ، وهذا دأبهم في كثير من المسائل النحوية .

ولا ينكر احد أن حروف الجر – وهي حروف معان – تختص كل طائفة منها او كل قبيل بقبيل من الافعال . ولكن هذا لا يمكن أن يحول دون أداء معانيها مع أفعال اخرى يصح أن تصل الى مفاعيلها على هيئة معنى هذا الحرف او ذاك .

مثال ذلك أن الفعل (مرّ) يتعدى الى مفعوله بالباء اصلاً فيقال مررت بزيد أو مررت بدار زيد . والباء هنا لمعنى الالصاق وهو أصل معانيها ولكن قد يقال مررت على دار زيد ، مثلما قال قيس بن الملوح :

أمرّ على الديار ديار ليلى   أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

ومثلما قال الشريف الرضي :

ولقد مررت على طلولهم   ورسومها بيد البلى نهب

وقال تعالى (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون) [1] .

فالمرور يحتمل ان يكون مرورا على سبيل الالصاق والاقتراب ،ويحتمل ان يكون مرور إلمام واشراف فيكون الاول بمعنى الباء ويكون الثاني بمعنى على.

ومن ذلك ايضاً (رغب) فانه يقال فيه ورغب عنه ورغب اليه . ومنها طلب يقال طلبه وطلب منه وطلب اليه .

ومثل ذلك يكون اذا عدّي بالحرف الفعل الذي يصل الى مفعوله بنفسه مثل أخذ ، نحو قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام :

(وأخذ برأس اخيه يجره اليه) [2] وقوله تعالى (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) [3]

فان الباء أفادت في المفعول معنى جديدا فيه مزيد من العلاقة بفعل الفاعل ذلك آت من دلالتها – الباء – على معنى الالصاق . ومثل ذلك ما مر بنا في قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم) [4] وكيف أفادت التعدية بالحرف معنى مستفادا من دلالة الحرف ومعناه .

وجملة الامر اذن ان من الافعال أفعالا فيها القدرة على الوصول الى مفاعيلها على أكثر من صورة واحدة . اما مباشرة واما بحرف واحد من حروف الجر او بأكثر من واحد . والظاهر أن هذه طبيعة في الافعال يختلف فيها بعضها عن بعض ، ولذلك يرجع أهل العربية في أمرها الى المعاجم فيقولون ان فعل كذا يتعدى الى مفعوله بحرف كذا ... وهكذا .

أما ما يتصرف فيعدى بحرف لا يختص به فانهم يلجأون في توجيه ذلك ايضاً الى المسموع والمنقول .

---

(١) سورة الصافات .

(٢) سورة الاعراف (١٥٠) .

(٣) سورة الاعراف (١٤٥) .

(٤) سورة النور .

وليس من شأن هذه العجالة ان تحكم على هذه الظاهرة بجواز القياس او الالتزام بالنقل والسماع ، ولكن الذي يراد التنبيه اليه أن لا يصار الى الفوضى في استعمال الحرف ، وأن يلتزم جانب الدقة في الدلالة على المعاني ، وهذا لا يكون اذا أطلق باب التضمين واشراب الالفاظ بعضها معاني بعض .

على ان ثمة امراً آخر ينبغي ان يشار اليه ولو بايجاز . ذلك أن النحاة – على خلاف ما اعتادوه – قد تحدثوا عن المجاز في مسألة التضمين ، وذهبوا فيه اكثر من مذهب فمنهم من أنكره ومنهم من ارتضاه ومنهم من ذهب الى أن المراد المعنيان المعنى الاصلي والمعنى المجازي كلاهما .

وثمة من يرى أن المجاز يكون في الحروف كما يكون في الاسماء والافعال ، ويتخذ دليله على ذلك من كون الحرف الواحد من حروف الجر له اكثر من معنى واحد . فالباء مثلا للالصاق في الاصل ، ومذهب سيبويه أنه هو الاصل فيها وانها لا تخرج عنه [1] وهذا معناه أن المعاني الاخرى السببية والاستعانة وغيرها معان مجازية تخرج اليها الباء عن الاصل لعلاقة معنوية وقرينة مانعة من ارادة الاصـــل .

فالعلاقة بين السببية والالصاق او بين الالصاق والاستعانة ملحوظة ، لان السبب لصيق بالمسبب ، والمستعان به لصيق بما يستعان عليه . وما بين السببية والاستعانة علاقة اوضح وأجلى .

والعلاقة بين معاني (من) تشد أزر الذين يذهبون الى وقوع المجاز في الحروف ، ذلك لأن أصل تلك المعاني وهو ابتداء الغاية كقولنا خرجت من بغداد الى البصرة هو ابتداء غاية سائر المعاني ، ولا سيما معنى التبعيض كقولك أكلت من الطعام وقرأت من الكتاب لان الكل ابتداء غاية الجزء ومثل هذا يقال في

---

(١) صرف العناية للبيتوشي ص ٤٥ .

المعنى الآخر وهو البيان ، فالمبيّن بعض ما يبيّنه كقولنا عندي خزانة من خشب وثوب من قطن بل ان معنى الاستغراق وهو في معنى (من) الزائدة – في زعمهم – وشرطها أن تقع في سياق نفي أو شبهه –فيه معنى التبعيض ورائحة معنى بيان الجنس كقوله تعالى (ما لهم به من علم) وقوله (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) كأن المعنى نفي مؤكد يتناول الجنس كله جزءا جزءا .

– ٥ –

ولو كان للنحاة عناية بالجانب اللغوي والتفات الى العلائق بين الالفاظ المتشابهة لتنبهوا الى مابين الى واللام من علاقة لفظية تفضي الى استعمال اللام في بعض معاني الى ، بل في معناها الذي لا يؤديه غيرها من حروف الجر وهو معنى انتهاء الغاية . من ذلك ما جاء في قوله تعالى (بأن ربك أوحى لها) بل تتعارض وإياها الاستعمال بالمعنى الواحد في سياق واحد . قال تعالى (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق) [١] .

ومثل ذلك ما ورد في حديث النية في قوله عليه الصلاة والسلام: انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليـــه .

ويلاحظ ايضاً ان معنى اللام اصلاً وهو الملك انما هو معنى مجاور أو مجاز لانتهاء الغاية ، بل ان مثل ذلك يصح ان يقال في التعليل . فاذا قيل الدار لزيد فان فيه معنى انتهاء الغاية لان المملوك ينتهي الى مالكه واذا قيل جئت لرؤيتك فان العلة هي منتهى الغاية لمعلولها .

ولا سبيل الى انكار العلاقة اللفظية بين (في) والباء ، فان الفاء والباء مخرجهما متقارب ومعناهما ايضاً متقارب . فان الباء ترد ايضاً لمعنى الظرفية وهي أصل

(١) سورة يونس ، الآية ٢٥ .

معنى (في) نحو قوله تعالى (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل) و (في) تأتي لمعنى السببية وهي من معاني الباء . كقوله عليه الصلاة والسلام « دخلت امرأة من بني اسرائيل النار في هرة حبستها ... » الحديث .

خاتمة :

وبعد فان تعدد المعاني في كل حرف من حروف الجر او في اكثرها ، مرده الى بضعة امور .

الاول سعة التداول وكثرة الاستعمال ، وكون العربية لغة قديمة فيها ميراث عريض من الكلام ، حفظه من الضياع وصانه ورعاه الكتاب العزيز ، وكان واسطة عقده وذروة سنامه وجوهر حقيقته . وهذا الميراث العريق يضيف الى معاني الالفاظ في كل جيل ثمرات المواهب الادبية في استعمال الفاظ اللغة والتصرف في معانيها .

الامر الثاني أن المادة اللغوية قد جمعت من لهجات قبائل عديدة في رقعة من الارض واسعة ليست بالمحدودة ولا الضيقة ، ولا غرابة ان تتعدد استعمالات الالفاظ وتختلف بين القبائل في البقاع المختلفة . ولهذا يرد تعدد المعاني في اللفظ الواحد ويكون احتمال ذلك مقبولا في العقل والمنطق .

الامر الثالث وهو متصل بالامر الاول الاستعمالات المجازية وهي سبيل للنماء والاتساع في اللغات لاحبة فسيحة ، ولا سيما في لغة كالعربية أصلها ثابت ، وفرعها في السماء .

والموقف من هذه القضية يمكن ايجازه في اتجاهين : الاول قبول دخول المجاز في الحرف ، والثاني الاقرار بالتضمين أو اشراب الفعل معنى فعل آخر قريب منه يتعدى بحرف جر لا يتعدى به ذلك الفعل ، وقد مرت امثلة ذلك .

أما الاتجاه الاول فتأباه الصناعة ولا يتسع له صدر القواعد التي وضع بعضها

من غير استقصاء للاساليب وطرق الاستعمال . فان الصناعة تأبى أن يجوز الحرف معناه الى معنى آخر لعلاقة بين المعنيين وقرينة مانعة من ارادة المعنى الاصلي لان الحرف مقيد محدود جامد ، حتى ان ما يبنى من الالفاظ كالاسماء والافعال انما يحمل عليه في بنائه فيقال انه بني لانه اشبه الحرف .

ولكن واقع الحال يثبت أن حروف الخفض او الجر يدل اكثرها على اكثر من معنى واحد وتتعلق تلك المعاني بعضها ببعض علاقة مجاورة كما اسلفنا ، وقد يمكن ان نحكم احياناً باصالة احد تلك المعاني او ان نلمح انه هو الاول وان غيره قد جازه الى المعنى الجديد ، كالذي لاحظناه في معنى (من) . بل ان في كلام سيبويه على الباء وانها اصلاً للالصاق ما يوحي بأنه يقر ضمناً بأن المعاني الاخرى كلها او بعضها معان مجازية ، ثم اضفى عليها الاستعمال الطويل التداول المتكرر ما يشبه الاصالة ، وما ينفي مظهر المجازية عنه .

وأما الاتجاه الثاني فانه يذهب بالدقة في التعبير ويسلم – لو جاز القياس عليه – الى فوضى لا ترتضيها العربية ولا يرتضيها لها الحراص عليها .

على ان تقييد علماء العربية التضمين بالنقل والسماع ، وعدم اجازتهم القياس فيه يخفف ما يخشى ان يوقع فيه من البلبلة وضياع الاصابة في التعبير . ولكنه ايضاً يذهب بالغرض الذي من اجله يجاء بحرف بعينه في موضع قد يظن أنه لحرف آخر . مثال ذلك قوله تعالى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) وقول النحاة ان (في) هنا في موضع (على) أو ان (أصلبنكم) ضمن معنى فعل يتعدى (بفي) ، ولكن معنى (في) في هذا الموضوع يقصد فيه الى غرض هو النص على معنى الظرفية وفيه مزيد من التأكيد على ما في الصلب من عذاب وأذى ، بينما يكون معنى الاستعلاء أقل وأدنى لانه قد يوهم حتى مجرد التعليق دون مايقترن به من تعذيب يراد به ازهاق الروح .

واذن فان لحروف الجر وظيفة في الكلام اهم واخطر لهذا يدعوه النحاة تعدية الافعال القاصرة وايصالها الى المفاعيل وانما وظيفتها اداء معانيها ما كان منها أصلاً او مجازاً بين الفعل ومفعوله . ثم ان كثرة تداولها وسعة استعمالها جعلها اقرب الى الاسم والفعل من حيث تعدد دلالاتها واتساع معانيها .



في ترجمة المكسوعات بـ able - و ible - و ble -
ومحاذير القياس

الدكتور جميل الملائكة
عضو المجمع
الاستاذ في كلية الهندسة ـ جامعة بغداد

(١) حظي موضوع ترجمة الالفاظ الانكليزية والفرنسية المنتهية بالكاسعة able ـ أو ible ـ بالكثير من اهتمام المعنيين بالتعريب ووضع المصطلحات العلمية واختيارها في اللغة العربية . واختلفت الآراء فيه وتشعّبت وما زالت مثاراً للجدل والخلاف ومبعثاً للبلبلة والالتباس .

(٢) وكان المرحوم الاستاذ جب قد تساءل عام ١٩٣٩ عمّا يجب استعماله في العربيــة ليقابل كلمــة soluble . فاقترح المرحوم الأب انستاس ماري الكرملي صيغة (الفعل المضارع العربي) لتقابل الكلمة الفرنجية المنتهية بالكاسعة able ـ لأنه يرى ان الفعل المضارع (يذوب) مثـــلاً يؤدي وحده مؤدى (قابل للذوبان) ، وضدّه (لا يذوب) [١] .

أما الاستاذ علي الجـــارم رحمه الله فكان يرى ان ذلك لا يصلح [٢] . واقترح الاصطلاح بـ (فَعيل) ترجمـــةً للكلمات المنتهية بالكاسعة able ـ

(١) انظر : مجمع اللغة العربية ، محاضر الجلسات في دور الانعقاد السادس ، (١٩٣٨/١٢/١٧ الى ١٩٣٩/١/٢٨) ، اخراج الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، الجلسة ١٨ ، ص ٢٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .

استناداً الى بعض ان الصرفيين يرى قياسية صوغ (فَعيل) بمعنى (مفعول) من كل فعل ثلاثيّ، الا اذا جاء منه فعيل بمعنى فاعل. وهو يرى ان قولنا ماء (شَريب) بمعنى مشروب فيه قوة الفعل المضارع [٣] . واقترح المصدر الصناعيّ لما يقابل مصدره [٤] . وقد بيّن الاستاذ الجارم فيما بعد ان هـذه الصيغة الاجنبية لا يوجد لها نظير في لغتنا، وان المترجمين الاقدمين عبّروا عنها بـ (قابل لكذا). وسبّب اعتراضه على صيغة الفعل المضارع العربية بانه لا يرى امكان وضع صيغة الفعل المضارع لمشتقّ [٥] .

وقد خالفهما الاستاذ المرحوم الشيخ عبدالقادر المغربيّ الذي كان يرى ان المشهور ان (فَعول) هي الصيغة التي تفيد القابلية . ومثّل لذلك بالماء (الشّروب) [٦] ، والماء (المَسُوس) ، واللحم (الطّعُوم) ، والناقــة (الرَّحول) ، مشيراً الى انّ فعولاً اكثر استعمالاً من فعيل في القابلية [٧] .

وقد أقرّ مجمع القاهرة في عام ١٩٣٩ بعد المناقشة ان تترجم الكلمات المنتهية بـ able – (بالفعل المضارع المبني للمجهول) ، ويترجم الاسم منها بالمصدر الصناعي، فيقال (يُذاب) و(يؤكَل) و(لا يُذاب) و(لايؤكل) ، ويقال (المَذوبيّة) * و (المأكوليّة) [٨] .

(٣) المصدر نفسه ، الجلسة ١٨ ، ص ٢٣٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣١ .
(٥) المصدر نفسه ، الجلسة ١٩ ، ص ٢٣٧ .
(٦) المصدر نفسه ، الجلسة ١٨ ، ص ٢٣٠ .
(٧) المصدر نفسه ، الجلسة ١٩ ، ص ٢٣٨ .
* التسمية خطأ لأن الفعل (ذاب) لازم ولا يصاغ منه اسم المفعول (مذوب) الا مع ظرف او جار ومجرور او مصدر ، لاغراض غير التي نحن في صددها ، كما في (الاناء المذوب فيه) . والصواب هنا ان يقال (المذابية) اي قابلية الشيء لأن (يذاب) .
(٨) المصدر نفسه، الجلسة ٢٥ ، ص ٣٠٧. وانظر القرار ايضاً في مجلة مجمع فوآد الاول للغة =

وفي عام ١٩٤٣ اكّد الاستاذ علي الجارم مرة اخرى ان ما يدلّ عـلى الصالحيّة والقابليّة يجب ان يترجم بصيغة (فَعيل) بشرط تعدّي الفعل ، فالماء الشريب الصالح للشرب . واقترح تقرير قاعدة تنصّ على ان كل كلمة تدلّ على الصالح والقابل تترجم بـ (فعيل) من الفعل المتعدي للدلالة على هذاالمعنى، فقرر مجلس مجمع القاهرة احالة المقترح الى لجنة الاصول (٩) .

وفي عام ١٩٥٤ أشار المرحوم الدكتور مصطفى جواد الى انّ العرب ادّت معنى القابلية باسم الفاعل من أَفْعَلَ ، فقالوا (مُفعِل) اي قابل للفعل، ذاكراً انّ ذلك قياس اشتقاقيّ مطّرد فصيح لكلّ كلمة انكليزية مكسوعة بـ able – ، واستشهد له بقولهم أثمر فهو (مُثمِر) ، وأورق فهو (مُورِق) وأنجب فهو (مُنجِب) . مُنَبِّهاً الى انّ امثلة هذا الاشتقاق كثيرة جداً (١٠)

• قد أكّد آنئذ ان هذا الاشتقاق سيجعل ألوف الكلمات الانكليزيـة والفرنسية المكسوعة بـ able – مفروغا من أمرها في ترجمة المصطلحات . ومثّل له ايضاً بقولهم ألام فهو (مُليم) ، ونوّه بان المجمع العلميّ العراقيّ استعمل هذا القياس خلال انجازه الربع الاول من معجم مصطلحات علوم الطبيعة (١١) .

= العربية، الجزء الخامس، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٨٩ . وانظر : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ، ١٩٣٢ – ١٩٦٢ ، مجموعة القرارات العلمية ، الدورة ١ الى الدورة ٢٨ ، اخراج خلف الله احمد ومحمد شوقي امين ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٧٥ .

(٩) انظر : مجمع اللغة العربية ، محاضر الجلسات في دور الانعقاد العاشر ، (١٩٤٣/١٠/١٨ الى ١٩٤٤/٥/٢٩) ، اخراج الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، القاهرة ١٩٨٠ ، الجلسة الاولى، ص ٨ .

(١٠) محاضرة الدكتور مصطفى جواد في مؤتمر ادباء العرب، في بيت مري بلبنان ، ١٩٥٤/٩/١٨؛ انظر : المباحث اللغوية في العراق ، الدكتور مصطفى جواد ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٨٦ وص ١٠٨ .

(١١) المباحث اللغوية في العراق ، الدكتور مصطفى جواد ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٥ ، ص ١٠٩ .

وفي عام ١٩٦٥ ، اضاف الدكتور مصطفى جواد الى مقترحه السالف الذكر قوله : فان لم يصلح قيل (مُستفعِل) [١٢] .

ويبدو ان الدكتور مصطفى جواد عدل بعض الشيء في عام ١٩٦٧ عن صيغة مقترحه الأول ، فرجّح وزن (مستفعِل) على (مُنْعِل) ، وقدّم الى مجمع القاهرة مقترَحاً يطلب فيه اباحة قياس (مستفعِل) ليقابل الاسم الفرنجي المكسوع بالكاسعة a le — او الكاسعة ible ، لكونه ضرورياً للمصطلحات العلمية الحديثة ، واقترح استعمال (غير مستفعِل) للنفي . واستند في كل ذلك الى ان العرب استعملت وزن (استفعَلَ) للدلالة على حينونة الفعل ، وانّ الاشعار بحينونة الفعل يؤذن بامكان كينونته ، ومستشهداً له بامثلة من (استجزّ) الصوف ، اي حان له ان يُجزّ ، و (استحصد) الزرع ، و (استرمّ) الجدار ، اي حان له ان يُرَمّ ، و (استرفع) الخِوان ، اي آن له ان يُرفع بعد الفراغ من الأكل ، و (استحطب) الكَرْم ، اي آن قطع حطبه اي يابسه ، و (استأخذ) الشّعَرُ ، اي آن له ان يقطع الزائد منه ، و (استخرب) السِّقاء ، اي آن خرابه ، و (استهدم) الحائط ، و (استوقع) السيف ، اي آن له ان يُوقَع بالمِيقعة وهي المِسَنُّ الطويل. ثم ختم بالقول بأنّ (مُفعِل) قريب من ذلك فيمكن الاستفادة منه ايضاً في المشتقات الاصطلاحية [١٣] .

وفي عام ١٩٧٣ عرض الاستاذ محمد شوقي امين — خبير لجنة الأصول

(١٢) المباحث اللغوية في العراق ، الدكتور مصطفى جواد ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ١١١ .

(١٣) انظر : مجمع اللغة العربية ، البحوث والمحاضرات للدورة الثالثة والثلاثين ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، الجلسة الثالثة ، مقترحات ضرورية في قواعد اللغة العربية ، للدكتور مصطفى جواد ، ص ٣٣ — ٣٤ . وانظر ايضاً : دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم ، للدكتور مصطفى جواد ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ١٩١ — ١٩٢ .

في مجمع القاهرة آنذاك ـ ان (لو بحثنا في معاني حروف الزيادة ، وجدنا ان الهمزة ايضاً تؤدي هذا المعنى الذي يرى الدكتور مصطفى جواد التعبير عنه عنه بالسين والتاء) [١٤] . ويبدو انه فاته ان الدكتور مصطفى جواد كان هو الذي اقترح استعمال (مُفْعِل) اضافة الى (مُستَفعِل) وقد استهشد الاستاذ محمد شوقي امين بـ (أحصَدَ) الزرعُ ، و (أقطف) العنبُ ، و (أركب) المُهر ، و (أقرن) الدمّل ، فأضاف بذلك امثلة الى تلك التي قدّمها الدكتور مصطفى جواد .

وكان من رأي الاستاذ محمد خلف الله احمد انه لا مانع من استعمال (مُستفعِل) للدلالة على القابلية او الصلاحية، بشرط الاقتصار على الضرورة، دون اطلاق القياسيّة [١٥] .

وقد أقرّت لجنة الأصول بعد المناقشة، ومن بعدها مجلس مجمع القاهرة، انه : يجاز استعمال صيغة (أفعَلَ) و(استفعَلَ) لمعنى الحينونة والدنوّ ، وهو داخل في معنى الطلب ، ولو على سبيل المجاز، ويمكن استعمال هذه الصيغة عند الحاجة في المصطلحات العلمية، بجانب ما أقرّه المجمع من قبل في ترجمة الكاسعة able ـ للدلالة على القابلية او الصلاحية او نحو ذلك [١٦]

---

(١٤) انظر : مجمع اللغة العربية ، محاضر جلسات المجلس في الدورة الاربعين (١٩٧٣/١٠/١ الى ١٩٧٤/٥/٢٩) ، اخراج الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، بحث الاستاذ محمد شوقي امين المقدم الى لجنة الاصول : قياسية السين والتاء لافادة معنى : حان او كاد ، ص ٥١٠ . وانظر البحث نفسه في : كتاب في اصول اللغة ، الجزء الثاني ، محمد شوقي امين ومصطفى حجازي، القاهرة ، ١٩٧٥ ، مجمع اللغة العربية ، ص ١٩٧ . وقد وردت فيه عبارة (الذي يراد التعبير عنه بالسين والتاء) بدلا من (الذي يرى الدكتور مصطفى جواد التعبير عنه بالسين والتاء) .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٥٠٤ . وأنظر : كتاب في اصول اللغة ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، مجمع اللغة العربية ، ص ١٩٦ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٥٠٤ . وانظر : كتاب في اصول اللغة ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

ثم ان مؤتمر مجمع القاهرة ارتأى تعديل قرار اللجنة والمجلس عام ١٩٧٤ ، بحذف العبارة الأخيرة منه وجعله : يجاز استعمال صيغـــة (أَفْعَلَ) و (استفعلَ) لمعنى الحينونة والدنوّ، وهو داخل في معنى الطلب ، ولو عـــلى سبيل المجاز [١٧] .

(٣) من كل هذا يتضح مدى الاختلاف الشديد ، على مدى خمسة وثلاثين عاماً ، حول ما يحسن استعماله في العربية ليقابل الالفاظ المنتهية بالكاسعة **able** – او الكاسعة – ible – :

١– فقد استعمل الاقدمون صيغة (قابل للفعل) او (صالح له) مثل (قابل للذوبان) .

٢– ورأى انستاس الكرملي استعمال (الفعل المضارع) مثل (يذوب) .

٣– وأقرّ مجمع القاهرة استعمال (الفعل المضارع المبني للمجهول) مثـــل (يُذاب) .

٤– وأصرّ علي الجارم على استعمال (فَعيل) مثل (شَريب) بشرط (تعدّي) الفعل ، لأن معناه مفعول .

٥– ورأى مجمع القاهرة ترجمة الاسم بالمصدر الصناعي مثل (المأكولية) .

٦– وكان من رأي عبدالقادر المغربي انّ (فَعول) مثل (شَروب) هو الوزن الذي يؤدي المعنى المطلوب .

٧– ولكنّ الدكتور مصطفى جواد كان يرى انّ (مُستفعِل) مثل (مُستحصِد) هو الذي يؤدي للمعنى ، وأقرّه مجمع القاهرة عليه .

٨– وكذلك رأى الدكتور مصطفى جواد ان (مُفْعِل) مثل (مُنجِب) قريب منه ويصلح استعماله ، واقرّه مجمع القاهرة عليه ايضاً .

(١٧) كتاب في اصول اللغة ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٩٦ .

فأي هذه الاوزان هوالصحيح الملائم ؟ اهو هذا ؟ ام ذاك ؟ ام هو جميع هذه الأشياء ؟ ام غيرها ؟

(٤) لنأخذ اولاً اصل الكاسعة ومعناها :

ففي معجم وبستر[١٨] ان able — ، ومثلها ible — ، وble — ، كواسع للوصفية ، من اللاتينية abilis — و ibilis — و bilis — ، واصلها جميعاً bilis — ، وقد اضيف الى الاولى والثانية الحرفان — a — و — i — وهما من حروف اللين الزائدة التي تستعمل لربط جذور الكلمات اللاتينية في التصريف . وتستعمل هذه الكواسع في الأوجه والمعاني الآتية :

١ — لبناء المفعول passive اي الواقع عليه الفعل ، ويكون من معانيها (قبول) وقوع الفعل ، او (الصلاحية) له ، او (الجدارة) به ، او ما أشبه ذلك ، مثل compressible قابل لأن يُضغط ، مضغوط (منضغط) ، و edible صالح لأن يؤكل (مأكول) ، و lovable جدير بأن يُحَبّ (محبوب) .

٢ — لبناء الفاعل active ، ومن معانيها (الميل والاستعداد) للشيء ، و (اعتياده والاتصاف) به ، و (ترجيحه وتفضيله) و (ايقاعه وتسبيبه) ، و (القدرة عليه) ، و (التعرض) له ، مثل agreeable ميال للموافقة (موافق) ، و voluble كثير الدوران (دوّار) ، و peaceable مفضِّل للسلم (مُسَالِم) ، و terrible قادر على البقاء (باقٍ) ، و perishable متعرِّض للهلاك (هالك) .

---

(١٨) Webster's new international dictionary of the English language,second edition, G.C. Merriam Co., Springfield, Mass., U.S.A., 1957 .
وانظر ايضاً : Webster's third new international dictionary, 1971
وانظر : Webster's new collegiate dictionary, 1961
وانظر : Webster's new collegiate dictionary, 1973.

٣ – وقد تأتي لكلا البنـــاءين الفاعل والمفعـول مثـــل sensible (حسّاس) و (محســـوس) ، و mutable يتغيّر (متغيِّر) ويمكن تغييره (مُغَيّر) ، و dissoluble (ذائب) و (مُذاب) .

٤ – وقد تبنى للفاعل في كلا المعنيين اللزوم والتعدي مثل comfortable (مُرتاح) و (مُريح) .

(٥) – هذا وتجدر ملاحظة انه ليست الالفاظ المنتهية بهذه الكواسع هي الوحيدة التي تؤدي هذه المعاني بالانكليزية ، اذ ان ثمة صيغاً اخرى تستعمل لهذا الغرض . فلفظـــة ductile مثلاً معنـــاها (قابل للسحب) ،وbrittle تعني (سريع الانكسار) ، و docile معناها (قابل للتعليم) ، و esculent معناها (صالح للأكل) ، ومثل هذا كثير .

(٦) – وليلاحظ ايضاً ان كتابة اللفظة المنتهية بهذه الكاسعة كلمة واحدة وعدّها كذلك لا يعدو كونه امراً اعتباريا، لأن اللفظة في الحقيقة مكونة من كلمتين هما الجذر والكاسعة. وحتى الكاسعة نفسها قد يتغير معناها بين لفظة واخرى . وهكذا لا تختلف اللفظة الانكليزية drinkable مثـــلاً من حيث كونها مؤلفة من كلمتين ، بمعنى (صـــالح للشرب) ، عن trust - worthy التي تعني (جدير بالثقة) ، أو عن bookseller ، ومعناها (بائع كتب) .

(٧) – يتضح من كل هذا ما يأتي :

١ – ان صيغ هذه الكاسعة لا تقتصـــر على able – ، و ible –، كما يستشفّ من اكثر ما كتب عنها بالعربية مما أشرنا اليه، بل قد تأتي ايضاً بصيغة ble – مثـــل soluble (قابل للاذابـــة) ، و voluble ومعنـــاها (دوّار) او (مهذار) .

٢– ان دلالتها لا تقتصر على المفعولية كما يفهم من بعض ما كتب عنها بالعربية، بل قد تستعمل للبناء للمفعول ، اي الواقع عليه الفعل ، او الفاعل ،

مثل audible (مسموع) ، يُسمَع ، و acceptable (مقبول) ، و perishable (هالك) ، متعرض للهلاك ، و charitable (مُحسِن) ، محبّ للاحسان . وقد تصاغ لكلا البناءين مثل variable (متغيّر) ، و (مغيّر) بمعنى (قابل للتغيير) ، و sensible بمعنى (محسوس) وبمعنى (حسّاس) أو (عاقل) ، و movable بمعنى (متحرِّك) اي كثير الحركة ، وبمعنى (يُحَرَّك) اي (قابل للتحريك).
وقد تصاغ للمتعدّي واللازم مثل comfortable بمعنى (مرتاح) ومعنى (مريح) .

٣ – ان معناها لا يقتصر على (القابلية) و (الصلاحية) كما يفهم من اكثر ما كتب عنها بالعربية . بل يشمل ايضاً معاني اخرى منها (الجدارة والاستحقاق) مثل dependable (جدير بالاعتماد ،مُعتمَد) ، و adorable (يستحقّ العبادة) ، و respectable (جدير بالاحترام ، محترم) ؛ و (الميل والنزوع) مثل sociable (ميّال للموالفة ، مؤالف ، اجتماعي) ، و charitable (محبّ للاحسان ، محبّ للخير ، محسن) ؛ و (الاعتياد والاتّصاف والطبع) ، مثل equitable (متّصف بالعدل ، عادل) ، و placable (مطبوع على التسامح ، متسامح) ؛ و (الجواز او الوجوب) مثل claimable (تجوز المطالبة به) ، و executable (واجب التنفيذ) ؛ و (الكثرة والسرعة والسهولة) مثل knowledgeable (واسع الاطلاع ، غزير المعرفة ، مطّلع) ، و excitable (سريع التهيّج) ، و manageable (سهل الانقياد ، طيِّع) ؛ و (الترجيح والتفضيل) مثل peaceable (مفضِّل للسلام ، مسالم) ؛ و (القدرة والتمكن) مثل compatible (قادر على الانسجام ، منسجم)، و adjustable (قادر على التكيف ، متكيف) ؛ و (التعرض والخضوع) مثل perishable (متعرِّض للهلاك ، هالك) ، و dutiable (خاضع للضريبة) .

وهذه كلها معان واسعة ومختلفة ولايمكن احتواؤ ها جميعاً ضمن (الصلاحية والقابلية) .

٤ — انه لا يقتصر في اللغة الانكليزية على اضافة هذه الكاسعة لتأدية هذه المعاني ، بل قد تستعمل صيغ اخرى لهذا الغرض من بينها الكسع بـ ile — و ulent — وغيرها .

(٨) الغريب هذا الاهتمام العجيب لهذه الكاسعة . فهل هي حقاً جزء من (مصطلح) اجنبي يراد وضع مصطلح عربي يقابله ؟ انها لا تعدو كونها طريقة اجنبية في الاشتقاق تخصّ لغة من اللغات. ولعلّ من الانصاف القول بانه لو لم يثر المرحوم جب هذا الموضوع منذ أكثر من أربعين عاما ، وهو يفكر بلغته الانكليزية ، لما سبّب كل هذه الضجة . فمثل هذه الكاسعة كواسع اخرى كثيرة في الانكليزية ذوات معان مختلفة مثل ism — و ics — و ish — و ward — و some — و dom — و ity — ومئـــات غيرها لم يستدع ايّ منها مثل هذ الصخب .

وهل دعت الحاجة الانكليزاو الفرنسيين يوماً الى اجهاد قرائحهم في وضع مقابلات لمعنى (الطلب) في (الالف والسين والتاء) من (استفعَلَ)، ومعنى (التشارك) في (الالف) من (فاعَلَ)، و (المطاوعة) في (الالف والنون) من (انفعل)، و (التعدية) في (الهمزة) من (أفْعَلَ) ، و (التكثير) في (التضعيف) في (فَعّل)، الى آخره مما غنيت به لغتنا العربية من مثل هذه الزيادات ومعانيها الواسعة ؟ انهم لم يفعلوا ولن يفعلوا ذلك لانهم يفكرون ويتكلمون ويكتبون بلغاتهم لا بلغات غيرهم . ولـــو فعلوا مثل ذلك لأخطأوا لأن في (الاستفعال) معاني اخرى غير (الطلب) ، وفي (المفاعلة) معاني اخرى غير (التشارك) . ومن معاني (التفعيل) مثلاً معنى (التكثير) كما في (جوّل) اي اكثر الجولان ، و (الصيرورة) كما في (حجّر) الطين اي صار حجرا ، و(النسبة الى اصل الفعل) كما في (فسّقته) اي نسبته الى

الفسق ، و (التوجّه الى الشيْ) كما في (شرّق) اي توجّه الى الشرق ، و (اختصار الحكاية) كما في (سبّح) أي قال سبحان الله ، و (القبول) كما في (شفّعته) اي قبلت شفاعته . وهذه معان مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً . فهل يلزم ان توضع صيغة واحدة في الانكليزية لتقابل (التفعيل) ؟ ومثل ذلك يقال في (الاستفعال) و (المفاعلة) وغيرها .

انهم يقولون مثلاً في (استنجد) he asked for help ، ولا يضيرهم ذلك ، وفي (تقاتلا) they fought each other ، وفي (استقتل) he fought desperately ، وفي (قتّلهم) he perpetrated slaughter amongst them وفي (أنامه) he put him to sleep . فكما ان لكل لغة طرائقها في الاشتقاق والتوسعة ، فلكل لغة ايضاً اساليبها في الترجمة والتعبير . وليس علينا ان نبني الفاظ لغتنا على غرار بنائها في لغة اجنبية صدرا بصدر ، وجذرا بجذر ، وكاسعة بكاسعة ، والاّ كان في كلامنا الكثير من التكلف والتقعير .

اننا نترجم changeable weather conditions فنقول مثلا (احوال جوّية متغيرة او متقلبة) ، ونقول في his views were not comprehensible (لم تكن آراؤه مفهومة) ، ونقول (هذا الحرّ لا يطاق) لتقابل this heat is unbearable ، ونقول كان ذلك حادثاً يؤسف له) بمعنى that was a regrettable incident ، ونقول (هو شخص واسع الاطلاع ، اومطّلع) مقابل he isaknowledgeable person ونقول (المعلومات المطلوبة سهلة المنال) في ترجمة عبارة the data required are accessible ، ونقول (هذه الفاكهة ليست صالحة للأكل) بمعنى this fruit is not edible . فهل ثمة ضرورة حقيقية لاختيار وزن عربيّ واحد بترجمة كلّ هذه المكسوعات ؟

أفلا يكون كثير من الانقياد لخصوصيات لغة غريبة عن لغتنا لو استحدثنا صيغة واحدة نلتزمها لكل هذه المدلولات المختلفة ، كأن نلتزم (فعول) فنقول

(غيور) و (فهوم) و (غير طووق) و (أَسوف) و (طَلوع) و (نَيول) و (أكول) في مقابل هذه الالفاظ ، او نلتزم (فَعيل) مثل (فهيم) و (غير طويق) و (أسيف) و(طليع) و (أكيل) ، او نلتزم (مُفعِل) فنقول (مُغير) و (مُفهِم) و(غير مُطيق) و (مُطْلِع) و (مُؤْكِل)، او نلتزم (مستفعِل) مثل (مستغير) و (مستفهِم) و (غير مُطيق) و (مستأسِف) و (مستطِلع) و(مستنيل) و (مستأكل) ؟ وهذه الاخيرة كانت قد فرضتها على نفسها بعض لجان المجمع العلمي العراقي في زمن ما ثم اضطرت الى التخلّي عن التزامها .

لا شك في ان اكثر هذه الالفاظ سيبدو غريباً ويصعب تقبله، فضلاً عن عدم الحاجة اليه ، مع العلم بان كثيراً منها سيكون مدعاة للبس لاختلاف المعنى. فان (للغيور) و (الأكول) و (الفهيم) و (الاسيف) و (المُغير) و و (المُفهِم) و(المُطيق) و(المُطلِع) و (المستفهِم) و (المُستطلِع) معانيَ معروفة لا علاقة لها بالمراد. وان صحّ عندهم ان يقال (ماء شروب) فهذه الصيغة مستعملة للمفعول بمعنى (يُشرَب) فلا يجيز هذا لنا ان نقول (طعام أكول) بقصد الصالح للأكل ، لأن (الأكول) صيغة مستعملة للفاعل بمعنى الكثير الأكل ، واستعمالها للمفعول قد يسبب لبسا لا حاجة لنا به ولا لزوم له .

(٩) وتجدر بهذه المناسبة ملاحظة ان الاكثر في (فعول) ان يستعمل للفاعل في حال المبالغة ، مثل (صبور)، ولكن ورد استعماله للمفعول على ندرة ، مثل (جمل ركوب)، وان الاكثر في (فعيل) استعماله للمفعول مثل (جريح)، ولكنه قد يستعمل ايضاً للفاعل مثل (رحيم وسميع) .

ومثل الشروب والاكول يصحّ ان يقال (مؤسف) بمعنى regrettable ، ولكن هذا لا يجيز لنا استعمال (مُطيق) لتقابل bearable لأن هذه الاخيرة معناها (مُطاق) لا (مُطيق) ، فالاولى للفاعل والثانية للمفعول .

(١٠) يتضح من الامثلة المبينة ان الاوزان العربية التي تلائم معاني الالفاظ المنتهية بهذه الكاسعة كثيرة جداً ، وتختلف من حال لأخرى. وعليه لا يحسن اقتصارها على (فَعول) أو (فعيل)او (مُفعل) او (مستفعل) او (الفعل المبني للمجهول) . فقد تصلح تارة صيغة (فاعل : هالك) او (مفعول : مفهوم) او (مفاعل : مسالم) او (فعّال : دوّار) او (مفعال : مهذار) او (متفعِّل : متغيّر) او (مفتعِل : مرتاح) او (مفتعَل : محترَم) او (متفاعِل : متسامِح او كثير غيرها من الصفات . وقد تصلح صيغة (قابل للفعل) او (جدير به) او (صالح له) او (عرضة له) او (متعرض له) او (قادر عليه) او (خاضع له) او (ميال له) او (مطبوع عليه) او (مفضَّل له) او (مستحِقّ له) او (محِبّ له) او غيرها . وقد تضاف الى المصدر صفة مثل (كثير) او (غزير) او (واسع) او (سريع) او (سهل) او (واجب) او (جائز) او غيرها . وكل ذلك بحسب معنى اللفظة الاجنبية جذرا وكاسعة .

(١١) وتجدر ايضاً ملاحظة ان اوزان (فَعول) و(فعيل) و (مُفعِل) و(مستفعِل) لا تلائم الا الذي مجرده (فَعَل) الثلاثي . فما القول فيما يترجم بما مجرده الفعل الرباعي (فعلل) مما لا تصلح له هذه الاوزان ؟ فلفظة demonstrable مثلاً من معانيها (قابل للبرهنة) ، فكيف نخضع الفعل (برهن) لهذه الاوزان ؟

(١٢) وحتى استعمال صيغة الفعل ، مجهولا او مطاوعا او معلوما ، لا يلائم جميع الحالات. فانّ لنا مثلا ان نقول (كلام يُفهم) comprehensible و (حرٌّ يُطاق) bearable ، و (فاكهة تؤكل) edible،و (موادّ تنضغط) compressible ، و (اشياء تنكسر) breakable ، و(حال تتغيّر) changeable، و (خذ ما يتيسّر) take what is available . ولكنّ صيغة (الفعل) قد لا تؤدي وحدها دائماً معنى (الثبوت) الذي تؤديه(الصفة المشبهة او جملة وصفيّة

فيها مشتقّ من الفعل). فان قولنا (هذا الرجل يَطّلع) قد يفهم منه سامعه انه (يطّلع الآن) وهذه صفة غير ثابتة ، وهي غير (المطّلع) او (الواسع الاطلاع) التي تقابل knowledgeable . ومثله قولنا (هذه مادة تضاف) الذي قد يفهم منه السامع معنى is to be added اي (تلزم اضافتها بدلا من is addible (يمكن اضافتها) او (ممكنة الاضافة). ولا يخفى ان المطلوب في كل هذه التعابير ان تؤدي معنى (الثبوت) لا (الحدوث) . وكذلك لا يخفى ان (الممكنة الاضافة) غير (القابلة للاضافة) او (الصالحة للاضافة) او (الجديرة بالاضافة) ، وان (الواسع الاطلاع) غير (القابل للاطلاع) او (الجدير به) .

(١٣) فحوى القول ان صياغة الصفات باضافة الكواسع able — او ible — او ble — الى بعض الافعال والاسماء لا يجعلها في عداد المصطلحات، بل هي اسلوب من اساليب التعبير في لغة اجنبية ، وليس علينا ان نتكلف قاعدة صارمة في ترجمتها بلفظة واحدة ووزن واحد، مع العلم بانها مركبة اساساً من لفظين الجذر والكاسعة ، ولكل منهما مدلول متغير .

لقد كان من تعسّف بعضهم ان اقترح ادخال (أل) على الفعل لتحقيق الحصول على لفظ واحد فقال (الينكسر) مقابل breakable . فهل نحن حقّا مضطرون الى كل ذلك ؟ تجدر في هذا المقام ملاحظة اننا لو فحصنا لفظة filterability مثلاً وجدناها مركبة من filter ومعناها (رشح)، و able ومعناها اللاتيني هنا (قابل) ، و ity ومعناها اليوناني (حالة) . فاللفظة في الحقيقة مؤلفة من ثلاث كلمات ركّبت بلفظ واحد ، ورسمت صورتها كذلك فما الضير في استعمال كلمتين عربيتين استعملتا لهذا المدلول فيقال (قابلية الرشح) ، مع العلم بان هذه اللفظة الانكليزية مكونة من ستة مقاطع fil-ter — a — bil — i — ty وان مقاطع مقابلها العربي (قابلية الرشح) ستة ايضاً ؟

(١٤) علينا ان نتذكر ان الكثيرين من المشتغلين بالترجمة العلمية والتأليف ليسوا على مقدرة عالية في اللغة ، وان مثل هذه الاقيسة والقواعد المتعسفة غير الملائمة لجميع الحالات قد يضعهم في مزالق هم في غنى عنها وهم في سبيل النهوض باعباء الترجمة العلمية الى اللغة العربية والتأليف بها . وان الآراء والقرارات التي تصدر عن المجامع والهيئات اللغوية المختصّة يتخذها الناس قواعد ودساتير لاتباعها والتزامها . فقد استمعت مثلاً في بعض المؤتمرات الى احد المشتغلين بالتأليف العلمي يعدد بعض الحلول الميسورة لمشاكل التعريب فيقول « لعيتمد وضع المصطلح العلمي على جميع وسائل نموّ اللغة العربية ومنها ..... ان الكلمات التي تنتهي بالزائدة able – او ible – يقابلها وزن (فَعول) مثل (بَدول) variable ، و (قَلوب) reversible ، و (مَدود) extensible » .
فهل نريد حقّاً هذه الاستحداثات الغريبة في لغتنا لمجرّد تطويعها لصيغة اشتقاقية معينة في لغة من اللغات ، مع ان هذه ليست مصطلحات بل هي صفات بلغة اجنبية ليس غير ؟ وما العيب في (متغير) التي هي بمعنى variable ؟ أيستدعي كون التعبير الاجنبي منتهياً بـ able – كل هذا التمحّل والتكلف ؟ وقالوا في reversible (قابل للعكس) و (قابل للانعكاس) و (انعكاسيّ) و (ينعكس) و (يُعكَس) و (معكوس) و (يُقلَب) و (مقلوب)، وفي reversibility (المعكوسية) و (المقلوبية) و (الانعكاسيّة) وكل هذه تعابير عربية مقبولة وجارية على الالسنة والسماع ، وتؤدي المعنى المطلوب ، فلماذا التقعّر في استحداث (القَلوب) ؟ وفي extensibility قالوا (الممدودية) وقالوا في extensible (قابل للمدّ) و (قابل للتمديد) و (قابل للبسط)،و (يُمَدّ) و(يُبسَط) و(يُمدَّد)، وكله عربيّ صحيح ويدلّ على المقصود فلماذا نلتزم صيغة (مَدود) الغريبة انسياقاً وراء تعبير اجنبي بصيغة اجنبية معينة ؟

(١٥) كنت اتصفح المعجم الجليل المعنون (المعجم الطبي الموحد) الذي

وضعته لجنة من افاضل العلماء واصدره اتحاد الاطباء العرب ، وقد أدهشني فيه التزام استحداث الفاظ على هذا الوزن مقابل قدر كبير من الالفاظ الانكليزية المنتهية بهذه الكاسعة .

فمن ذلك استعمال (ربطة ذووبة) مقابل soluble ligature مع ان المراد بـ soluble معنى البناء للمفعول الواقع عليه الفعل . اي (القابل للاذابة) ، المُذاب . والفعل (ذاب) لازم فكيف يصاغ منه (ذووب) للمفعول ؟ لقد سُمِعت صياغة (فَعول) من الثلاثي للمفعول على ندرة ، ولكنه لابدّ ان يكون من المتعدي ليبنى للمفعول بلا ظرف او جار ومجرور او مصدر ، مثل (جمل ركوب) ، اي يُركب ، و (ناقة حلوب) ، اي تُحلب ، و (ماء شروب) ، اي يُشرَب . اكبر الظنّ ان مصدر الشبهة التباس بين معنيي dissoluble و soluble . فالاولى يأتي معناها للفاعل وللواقع عليه الفعل (يذوب) أو (يُذاب) ، أما الثانية فمعناها (يُذاب) ليس غير . هذا فضلاً عن ان الصواب في الصفة هنا ان تكون (ذووب) بدلاً من (ذووبة) ، لأن تاء التأنيث لا تستعمل هنا الاّ اذا تحولت الصفة الى الاسميّة . وتجدر الاشارة الى ان (الناقة الذؤوب) هي الناقة السمينة.

ومنه استعمال (مفصلة ضبوط) مقابل adustable articulator وهذه الصفة ايضاً يمكن التعبير عنها بعبارة (يمكن ضبطها) او (ممكنة الضبط) او (منضبطة) او (قابلة للضبط) او اي عبارة اخرى مألوفة يختارها لها المترجم ، وموضعها ليس في معجم المصطلحات على اية حال ، لأنها لفظ لغويّ مثل سائر الالفاظ في معجمات اللغة .

ووردت لفظة (قطوع) لتقابل resectable التي معناها قابل للخذم او الاستئصال الجزئيّ . وهذا مدعاة للالتباس لأن القطوع مستعملة لغةً للفاعل لا للمفعول ، ومعناها الكثير القطع ، والقطوع من اللبائن التي يسرع انقطاع

لبنها ، فالقطوع لا تصلح للمفعول كما لا يصلح (الأكول) للمفعول لشيوع استعماله للفاعل .

ومنه استعمال (الحَوّول) في reversible التي مرّ الكلام عليها والتي تعني الممكن عكسه او قلبه لا الممكن تحويله من حال الى حال او المتحول من حال الى حال كما يفهم من لفظ (الحؤول) المستحدث . وتجدر ملاحظة ورود (لا يُعكَس) في المعجم نفسه مقابل irreversible .

ووردت (نَفوذ) مقابل permeable التي معناها ينفذ منه المائع او مُنفَذٌ للمائع . والنفوذ لغة الماضي في الأمور ، وهي مبنية للفاعل لا للواقع عليه الفعل ولا تصلح هنا لاحتمال اللبس ، ولعلّ الافضل ان يقال (مُنفَذ) ، وقد سبق ان احتُجّ له في بعض لجان المجمع العلمي العراقي في نقاش لم ينته فاثبتت اللجنة اللفظتين .

ومثل هذه وردت في المعجم الفاظ محدثة مشابهة مثل (مَثول) المصوغة لتقابل assimilable مع العلم بان فعلها هو المزيد المضعف مَثّل للمتعدي او تمثّل للازم ، و (رَشوح) filterable ، و (ردود) reducible ، و (وَسوع) dilatable صيغت من التوسيع ، و (نهوز) ballotable ، و (لَزون) agglutinable صيغة من اللازم لبناء المفعول ؟،و (صَبوغ) tingible ، و (حقون) injectable ،وغيرها . ولو نظرنا الى جذور اكثر هذه الالفاظ الاجنبية وجدناها الفاظاً لغوية لا اصطلاحية ، وبالامكان اختيار مقابلاتها العربية ترجمة بحسب معانيها ومعاني كواسعها ووفاقا للسماع والصيغ العربية الشائعة .

(١٦) نخلص من كل هذا الى ان ثمة اسبابا كثيرة للتحذير من تسمية وزن عربي واحد يقاس عليه في صياغة الفاظ مستحدثة تقابل الالفاظ اللاتينية الاصول المنتهية بالكاسعة able -- او ible — او ble — اهمها ما يأتي :

١ – ان هذه الالفاظ الاجنبية في الاغلب ليست مصطلحات ليختار لها مصطلحات عربية جديدة وانما هي في الاكثر الفاظ لغوية ، بل هي بوجه خاصّ صفات يُتبّع في اختيار مقابلاتها طريق الترجمة .

٢ – لم تقتصر الانكليزية على الكسع بـ able – و ible – و ble – في الدلالة على (القابلية) و (الصلاحية) وسائر مدلولات هذه الكاسعة ، بل استعملت صيغا اخرى لذلك .

٣ – ان هذه المكسوعات قد تدلّ على معنى اللازم ، أو المتعدي ، أو كليهما ، وقد تبنى للفاعل ، او للواقع عليه الفعل ، أو كليهما ، ولا بدّ من تغيير صيغة الترجمة العربية كلّ مرّة لملاءمة كلّ من هذه الأحوال .

٤ – ان لكل لغة خصائصها في الاشتقاق ، ولكل لغة طرائقها في الترجمة والتعبير . وان وجود صيغة اشتقاقية او تركيبية لمدلول معيّن في لغة ما لا يعني ضرورة ايجاد صيغة اشتقاقية ثابتة تقابلها في لغة اخرى ، مع وجود الامكانات الواسعة في الترجمة .

٥ – قد يكون للفظة الاجنبية الواحدة من هذه المكسوعات اكثر من مدلول فيلزم اختيار مقابل عربيّ لكل من هذه المدلولات ، للتفريق بين المعاني المختلفة .

٦ – ان تحديد وزن عربيّ واحد ، او تضييق دائرة الاوزان لما يقابل هذه المكسوعات ، من شأنه ان يستدعي استحداث كثير من الالفاظ الغريبة على السمع ، الغامضة على الفهم ، ومنها ما قد يؤدي الى اللبس والاشكال .

٧ – ان اوزان المشتقات العربية التي اقترحها المختصّون واختلفوا في أيّها الافضل تلائم الذي مجرده (فَعَلَ) الثلاثي ولا تلائم ما مجرده رباعيّ .

٨ – ان صيغة الفعل المبني للمعلوم الموجب قد لا تؤدي في جميع الاحوال معنى (الثبوت) الذي تؤديه الصفة المشبهة .

٩ – ان الكثيرين من المشتغلين بالترجمة العلمية والتأليف ليسوا على درجة عالية من الاقتدار في اللغة العربية ، وان تسمية صيغة قياسية لا تلائم جميع الأحوال قد تؤدّي الى الكثير من الخطأ واللبس .

١٠– ان كلاً من هذه الالفاظ الاجنبية مؤلف اساساً من كلمتين في الأقلّ ، هما جذر وكاسعة ، وان لكل منهما معناه . وان كونهما تعدّان لفظاً واحداً وتكتبان كذلك من الأمور الاعتيادية ليس غير . وعليه لا الزام بان تكون الترجمة العربية بلفظة واحدة .

١١– ان معنى هـذه الكاسعة قد يختلف من لفظة الى اخرى ، وهـذا يستلزم ان يختار لكل لفظ الصيغة العربية التي تلائمه. وقد يكون ذلك بصيغة (اسم الفاعل) ، او (مبالغته) ، او (اسم المفعول) ، او (الصفة المشبهة) ، أو (الفعل المبني للمعلوم) ، او (الفعل المبني للمجهول) ، او ان يقال (قابل للفعل) او (صالح له) ، او (جدير به) ، او (ميال له) ، او (مستحقّ له) ، او (محبّ له) ، او (مُعَرَّضٌ له) ، او (عرضة له) ، او (مطبوع عليه) ... الخ ، او ان يضاف الى المصدر صفة مثل (سهل) ، او (كثير) ، او (عظيم) ، او (واسع) ، او (سريع) ، او (واجب) .... الخ ، بحسب المدلول ، ووفاقا لما هو مسموع ومستعمل . فان استعصى كل ذلك فلأهل اللغة والمختصين الاختيار من بين كل هذه الصيغ بحسب مقتضى الحال ، وعلى وفق الذوق العربي ، ومن غير التزام بصيغة معينة .

* * *

تأثير الطب العربي في الطب الأوربي

في القرون الوسطى والنهضة الاوربية

الاستاذ الدكتور محمود الجليلي
عضو المجمع العلمي العراقي
بغـــداد

انه لشرف وسرور كبير ان القي المحاضرة التذكارية في تاريخ الطب العربي أمام المؤتمر الطبي العربي التاسع عشر وأن يكون موضوعها محدداً وشاملاً في الوقت نفسه ، ونحاول في هذه المحاضرة اعطاء تحليل دقيق ونظرة شاملة غير مجزأة للتأثير العربي في اوربا .

ان أثر العرب في حصول اوربا على العلوم والطب الفلسفة وتأثيرهم العميـــق في نهضتها امر متفق عليه ، ولكن الرأي السائد ان ذلك تم عن طريق ترجمة عدد كبير من كتب الطب والعلوم والفلسفة من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية ، وان الكتب التي لم تترجم لم تكن ذات تأثير . كما قيل ان الكتاب العربي الذي لم تطبع ترجمته اللاتينية لم يطلع عليه الاوربيون ، وهذا غير صحيح فكثير من الكتب ترجم ولم يطبع كما حدث لكتب اندريا الپاكوس ولكن الترجمة كانت موجودة ومتيسرة ، ثم ان بعض الكتب طبع بعد وفاة مؤلفيها مثل ترجمات الپاكوس وكتاب كولومبو ، وله علاقة بالدورة الدموية . وقد اقيمت هذه الحجة من قبل عدد من المؤلفين الغربيين فيما يختص باطلاع الغربيين على آراء ابن النفيس الخاصة بمرور الدم في الرئتين ، واستحالة مروره من البطين الايمن إلى

المحاضرة التذكارية في تاريخ الطب العربي، القيت في جلسة افتتاح المؤتمر الطبي العربي التاسع عشر لاتحاد الاطباء العرب في عمان في ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨١
ستنشر المصادر مع بحث مفصل عن الموضوع .

البطين الأيسر للقلب خلال ثقوب غير مرئية . ثم ان اطلاع الاطباء الغربيين على الطب العربي اطلاعاً مباشراً نتيجة لمعرفتهم اللغة العربية او لاختلاطهم بالاوساط الطبية العربية ، امر لم يلق الاهتمام من قبل الباحثين العرب او الغربيين .

واني لأرجو أن أتمكن من وضع الحقيقة امام المؤتمر الكريم كما وجدتها في المصادر الاساسية لفترة النهضة الاوربية عند بداية الطباعة ، او مما كتب مباشرة عن القرون انوسطى ، وأستند الى المراجع الاصلية ملتزماً بطرق البحث العلمي الدقيقة . لقد حاولت ان اعايش بفكري فترة انتقال الطب العربي والعلوم العربية الى اوربا فتبين ان تأثير الطب والعلم العربي والمتعرّبين هو اكبر بكثير مما عرف عنه وما كتب عنه .

ولا بد من تقسيم البحث حسب مواضع الاتصال الجغرافي بين العرب والاوربيين واهمها اسبانيا و صقلية وجنوب ايطاليا وجنوب فرنسا ، ثم نوعية وتزامن التأثير كنقل المعرفة او ترجمتها او التأليف فيهـا .

١ـ اسبانيـا :

فتح العرب اسبانيا بسرعة مذهلة من سنة ٧١١ إلى سنة ٧١٣ م (٩٢ـ٩٤هـ) وفتحوا جنوب فرنسا سنة ٧٢٠ ووصلوا الى مائة ميل عن باريس ، ولكن توقّف التقدم العربي بين بواتييه وتولوز سنة ٧٣٢ (١١٤ هـ) بعد معركة بلاط الشهداء ، ثم عبروا نهر الرون سنة ٧٣٦ واستولوا على بعض المدن ولكنهم انسحبوا من بعضها وتم انسحابهم من شمال البرنيز سنة ٧٥٩ م (١٤٢ هـ) .

وبعد سقوط الدولة الأموية في الشام وبداية الدولة العباسية سنة ٧٥٠ (١٣٢هـ) دخل عبدالرحمن بن معاوية الأموي (الداخل) الاندلس سنة ٧٥٥ واستقر في قرطبة وبسط سلطانه على البلاد عدا منطقة جلّيقية في الجبال بقيت خارج النفوذ العربي ، اسست فيها امارة اسبانية ، ثم حدثت اصطدامات بين العرب وامرائها وشارلمان ، انتهت بنوع من السلم ، وتوفي عبدالرحمن الداخل سنة سنة ٧٨٧ . وفي عهد ابنه هشام (٧٨٨ ــ ٧٩٦) جعلت العربية لغة التدريس

في جميع المعاهد ، وكثر اعتناق الاسلام وقربت المسافة بين الفاتحين وسكان البلاد . وتقدمت الاندلس بسرعة فائقة ، واصبحت العاصمة قرطبة من روائع مدن العالم وعدد سكانها نصف مليون في عهد عبدالرحمن الثالث الذي تولى سنة ٩١٢ ،وانشأ الحَكَمُ مدرسة فيها جاءها الطلبة المسلمون والمسيحيون من اسبانيا واقسام اخرى من اوربا وافريقيا وآسيا ، واستدعى اساتذة من المشرق وانشأ مكتبة عظيمة بشراء او نسخ المخطوطات بحيث كان فيها مائتا الف كتاب على قول او اربعمائة الف كتاب على قول آخر .

ودخلت صناعة الورق الاندلس حوالي سنة ١١٥٠ ثم انتقلت الى فرنسا ، ودخلت كذلك إلى ايطاليا سنة ١٢٧٠ عن طريق مسلمي صقليا ، وانتشرت صناعة الورق في اوربا بعد ذلك مما سهل انتشار الكتب والثقافة ثم الطباعة .

وانتشرت اللغة العربية انتشاراً واسعاً بين الاسبان المعايشين للعرب ولم يكن قد مضى على الفتح العربي نصف قرن من الزمن ، وكانت هناك ازدواجية لغوية عربية ورومانية بين عامة الشعب الاندلسي واصبحت العربية الفصحى لغة الثقافة للاسبانيين كذلك ، وإلى جانبها اللاتينية الفصحى وكان مجال استعمالها ضيقاً . وبقيت اللغة العربية الاسبانية حتى القرن السادس عشر الميلادي في اسبانيا. وفي الوقت الحاضر فان العربي الذي يزور المدن الاسبانية ويصغي جيداً يلاحظ ان اللغة مملوءة بالكلمات العربية، فكيف كانت في القرون الوسطى وعهد النهضة؟ من الطبيعي ان تكون قريبة من العربية ، مما سهّل آنذاك انتقال المعرفة المباشر من اللغة العربية .

ولفهم انتقال الثقافة العربية الى غير العرب في اسبانيا وعن طريقها ، لا بد من معرفة تكوّن المجتمع الاندلسي فهو يتكون من الفئات التالية :

١ــ المسلمون ــ الفاتحون والمهاجرون إلى الاندلس .

٢- المولّدون - الاسبان والقوط الذين اعتنقوا الاسلام باعداد كبيرة ، وحسن اسلام معظمهم واستعربوا بسرعة فائقة واصبحوا جزءً من المجتمع الاندلسي ، يشكلون نسبة كبيرة منه .

٣- النصارى المعاهدون الذين لم يعتنقوا الاسلام ويسمّون المستعربين Mozarabes وكانوا عادة في المدن الكبيرة .

٤- بقية السكان من اليهود وكانوا يسكنون (حارات اليهود) والموالي (الصقالبة) .

وبعد بداية الاسترداد الاسباني Reconquista الذي استغرق اكثر من اربعمائة سنة ، واحتلالهم المدن والمواقع واحدة بعد اخرى ظهرت فئتان اخريان :

١- المدجنون Mudjares ، وهم المسلمون الذين بقــوا تحت حكم الاسبان في المدن التي استولوا عليها .

٢- العرب المتنصرون ، الموريسكيون Moriscos وهم المسلمون الذين بقوا بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ ، وجرى تنصيرهم باعداد كثيرة ولكنهم بقوا يمارسون شعائر الاسلام خفية . ثم حدثت ثورات من قبلهم ، وصدر قرار الاخراج سنة ١٦٠٩ فتركوا البلاد ويقدر عددهم بنصف مليون، ذهب بعضهم الى فرنسا ولكن اكثريتهم ذهبت الى شمال افريقيا .

ويذكر استاذ تاريخ الطب في غرناطة ان الموريسكيين تعرضوا للاضطهاد خاصة الاطباء منهم وتمت محاكمة كثير منهم من قبل محاكم التحقيق Inquisition بتهمـــة الهرطقة Heretics ، وكانت تشمل كثيراً من الممارسات التي لا يمكن تعليلها ، فان شفاء المريض الذي لم يتمكن خبراء المحاكم والاطباء الاسبان من تعليل شفائه يعنى انه قد شفي من قبل الشيطان وان الطبيب الموريسكي الذي عالجه متحالف مع الشيطان . واذا نظرنا الى اسماء الاطباء الذين حوكموا نجد انه يصعب معرفة كونها عربية مثل :

Gaspar Capdal, Martin Gaad, Jeromino Pachet, Roman Ramirez, Pinterete, Fransisco of Cordoba, Jeromino Jover.

وهذا الأخير اصل اسمه جابر كما جاء بشهادة احد الشهود في التحقيق ضده . ان هذه الاسماء تدل على ان هناك احتمالاً قوياً بوجود اطباء عرب او من اصل عربي في اسبانيا واوربا بدّلت اسماؤهم فاصبحت لا تدل على اصلهم العربي ، وانهم نقلوا ونشروا الطب العربي غير المترجم . ومثال آخر على تبديل الاسماء فان احـد المؤلفين اسمه ليون الأفريقي **Leo Africans** ولكن اصـل اسمه هو حسن بن علي الوزازي .

وكان في الاندلس اطباء كثيرون ، نذكر منهم الذين اثروا تأثيراً كبيراً في الطب الاوربي ، واولهم ابو القاسم الزهراوي **Albucasis** (٩٣٦–١٠١٣) وفضله كبير في رفع شأن الجراحة ، وكتابه التصريف اول كتاب موضح بالرسوم في الجراحة ، وترجم القسم الجراحي الى اللاتينية مرات متعددة ترجمه جرارد الكريموني في القرن الثاني عشر وترجمه كاي دي شاليا **Guy de Chauliac** جراح القرون الوسطى المشهور ، كما انه اقتبس منه كثيراً في كتابه الجراحة الكبرى **Chirurgia Magna** الذي انجز سنة ١٣٦٣ ، وطبعت الاجزاء المترجمة من التصريف طبعات متعددة باللاتينية اولها سنة ١٤٩٧ ، وكان تأثيره على الجراحين الايطاليين والفرنسيين كبيراً ، واستمر تأثير الزهراوي الى القرن الثامن عشر .

وكان لكتاب ابن زهر **Avenzoar** (١٠٧٢ – ١١٦٢) التيسير **Thesir** تأثير كبير في اوربا ، وتوجد منه صيغ لاتينية متعددة وطبع ٨ مرات بين سنة ١٤٩٠ و١٥٥٤ ، وهو يتضمن علم الامراض والمعالجات (الجزئيات **Particulata**) ويبدو ان الكليـات (**Generalata**) لابن رشد كانت لاكمـاله ، وترجم الى اللاتينية بعنوان **Colliget** .

اما ابن رشد Averroes (١١٢٦ - ١١٩٨) فان تأثيره المهم كان في الفلسفة ، وكان المؤلف المعتمد في جامعات جنوب ايطاليا وبادوا وباريس واكسفورد ، وكانت تسمى هذه الجامعات ابن رشدية Averroist ، وحرّمت فلسفته سنة ١٢٧٧ ولكن تأثيرها استمر بعد ذلك كثيراً . وكان كتاب ابن البيطار (ت ١٢٤٨) الجامع لمفردات الادوية والاغذية وترجمته اللاتينية مرجعاً مهماً .

٢- صقليا وايطاليا :

فتح العرب بلرم في صقليا سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) وتم فتح الجزيرة كلها سنة ٢٨٩ هـ (٩٠٢ م) وهاجموا ايطاليا فاحتلوا ميزينو قرب نابولي وباري ومواقع اخرى ، وحاصروا روما سنة ٢٣١ هـ (٨٤٦م) وكوّنوا امارة صغيرة عند مصب نهر جارليانو سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) . وانضوى صقليون كثيرون تحت لواء العرب وحاربوا في صفوفهم وتقلد بعضهم المناصب الكبيرة في المغرب .

اشتهر بعض الاطباء الصقليين مثل محمد بن الحسن الطوبي (١٠٥٨) وعلي ابن حسن الصقلي وابي عبدالله الصقلي الذي ساهم في ترجمة كتاب العقاقير لديسقوريديس من اليونانية الى العربية في قرطبة حوالي سنة ٩٥١ م .

ثم تجزأت صقليا الى امارات يحكمها امراء متنافسون فبدأ النورمنديون بغزوها من سنة ١٠٦١ م وتمت سيطرتهم عليها سنة ١٠٩١ م . اي ان فترة الفتح والحكم العربي المستقر وفترة إكمال الاحتلال النورمندي استغرقت ٢٦٠ سنة .

وجذبت الثقافة العربية الاوربيين ، وكانت حياة البلاط في صقليا خاصة في عهد روجر الثاني (١١٣٠ - ١١٥٤) وفردريك الثاني (١١٩٤ - ١٢٥٠) تتسم بالرفاه والابّهة التي تقارب بلاط قرطبة ، واتخذ الملكان الملابس وطريقة الحياة العربية ، وكان لهم مستشارون وموظفون من العرب والمسلمين ، وانضم تحت لوائهم علماء من بغداد وسوريا . وكان فردريك الثاني قد توج امبراطوراً

على الامبراطورية الرومانية المقدسةسنة١٢٢٠ ولكنه آثر السكنى في صقليا،وكان له اهتمام خاص بالعلوم، وترجمت له بعض الكتب من العربية الى اللاتينية ، وشجع المناقشات العلمية والفلسفية ، واجريت بعض التجارب في الطب وعلم الحيوان . وان روح البحث والتجربة التي تميز بها عهد فردريك الثاني كان بداية عهد النهضة الايطالية . كما انه اسس جامعة نابولي سنة ١٢٢٤ وكان فيها عدد كبير من المخطوطات العربية ، وانتشرت الثقافة العربية في جامعات اوربا بما في ذلك باريس واكسفورد .

وكانت صقليا مهيأة لنقل الفكر القديم والمعاصر ، فكان فيها المتكلمون بالعربية واليونانية من سكانها وبعض المثقفين الذين عرفوا اللاتينية ، حيث انها كانت تابعة للامبراطورية البزنطية وفيها بعض المعالم الثقافية اليونانية . ان وجود اللغات الثلاث جنباً الى جنب سهّل انتقال المعرفة العربية تسهيلاً كبيراً .

٣- الحروب الصليبية :

بدأ الاعداد للحروب الصليبية سنة ١٠٩٥ م ، ثم سقطت بايدي المحاربين بعض المدن العربية سنة ١٠٩٨ ثم القدس بعد ذلك بسنة ، ثم عادت القدس سنة ١١٨٧ بعد معركة حطين (بعد ٨٨ سنة من الاحتلال مما يدل على عدم بقاء الغاصب اياً كان) ، وعادت كثير من المناطق المحتلة ، وانتهت الحروب سنة ١٢٩١ م . ويصف ابن جبير في رحلته التي قام بها بين ١١٨٢ و ١١٨٥ المستشفيات التي كانت في كل مدينة عربية كبيرة ، بينما يذكر مؤلف اوربي انه لم يكن لدى الصليبيين غير مستشفى فرسان القديس يوحنا في القدس Order of St. John ، وكان المستوى الطبي الاوربي بعيداً جداً عن مستوى الطب العربي ، وتناقلت الكتب كثيراً من قصصه .

وبالرغم من المدة الطويلة التي استمرت فيها الحروب، ما يقرب من مائتي سنة،

والاتصال الكثير بين الطرفين ، إلا أن تأثيرها الثقافي والطبي كان قليلاً ، إذ بدأت تظهر في اوربا بعد القرن الثاني عشر المستشفيات وملاجئ المجذومين والحمامات العامة ، التي اخذوها عن البلاد العربية .

٤- الطب العربي في انكلترا :

كان الاتصال الانكليزي مع الطب العربي قديماً ، فان احد ملوك انكلترا كان قد جلب من سالرنو سنة ١١٠٠ الكتاب المشهور (النظام الصحي السالرني) Regimen Sanitatis المعتمد على الطب العربي . وكان بين المترجمين المشهورين عدد من الجزيرة البريطانية ، كما ان مؤلفات بعض الاطباء الانكليز تضمنت اقتباسات كثيرة من الرازي والزهراوي،واصبح الطب المتعرّب مسيطراً في انكلترا . واستمر الاطباء في انكلترا يتداولون الكتب العربية من سنة ١٣٥٠ إلى سنة ١٥٠٠ وبعد ذلك ايضاً ، حيث اصبح تداول الكتب ميسوراً بعد انتشار الطباعة . وبعد النهضة الاوربية استمرت اعادة طبع الكتب الطبية العربية في القرن السابع عشر في اوربا ، خاصة قانون ابن سينا ، وكان بعض الاطباء المتعرّبين Arabists ما يزالون يستندون في كثير من نظرياتهم وممارساتهم على الاطباء القدماء ، وترجم في القرن الثامن عشر كتاب الرازي في الحصبة والجدري الى اللاتينيـة والانكليزية ثم كتاب الزهراوي الخاص بالجراحة العملية الى اللاتينية وطبعا في انكلترا .

٥ – مدرسة سالرنو الطبية :

كانت مدرسة سالرنو مركزاً لتدريس الطب ما يقرب من ثلاثمائة سنة (٩٠٠- ١٢٠٠ م) وتقع جنوب ايطاليا وذات صلة قوية بصقليا . وبرزت مدرستها الطبية سنة ٩٨٥ م ، ولكن اهم ما في تاريخها هو قسطنطين الافريقي Constantinus Africanus (١٠١٠ – ١٠٨٧) من اصل عربي ولد بتونس ، ازدهر من سنة ١٠٦٥ إلى ١٠٨٥ ، حيث بقي فيها مدة من الزمن ثم استقر في

مونت كاسينو القريبة منها حيث ترجم الى اللاتينية عدداً كبيراً من الكتب الطبية العربية وتوفي سنة ١٠٨٧ . ولاشك انه درّس الطب في مونت كاسينو ، الا ان اهم انجاز له هو ترجمة الكتب العربية واليونانية من العربية الى اللاتينية وينسب له اربعون اثراً .

وظهرت اول طبعة من كتبه في بازل سنة ١٥٣٧ في سبعة اجزاء . وتضمنت الكتب التي ترجمها كامل الصناعة الطبية (الكتاب الملكي) لعلي بن عباس (ت ٩٩٤ م) بعنوان Liber Pantegni وكتباً لابن الجزار (ت ٩٧٥) واسحق بن عمران واسحق بن سليمان وثلاثتهم من اطباء تونس موطنه الاصلي وكان في سالرنو تلميذ له من اصل عربي يدعى يونس الفلكي؟ Joanes Aflacius ساعده في ترجمة الكتاب الملكي . وانّ لاغفال قسطنطين ذكر اسماء المؤلفين الاصليين لبعض الكتب العربية ، تعليلات مختلفة ، ولكن ذلك لا يقلل من اهميته باعتباره اول مترجم ادخل العلم العربي الى اوربا ، وسبّب انتعاش مدرسة سالرنو .

والّفت كتب طبية في سالرنو اظهرت ان اطباءها لم يمتصوا المعلومات الحديثة العربية فقط بل تمكنوا من توسيعها . واهم مؤلفات مدرسة سالرنو هو الموجز السالرني والنظام الصحي السالرني Regimen Sanitatis Salernitanum الذي يبدو أنه الف حوالي سنة ١١٠٠ ، وهو قصيدة في ٣٥٢ بيتاً في الأصل. واشهر شرح لها هو شرح ارنولد ڤيلانوڤا (١٢٣٥–١٣١٢) Arnold of Villanova وهو طبيب واديب من كتالونيا اتقن العربية وترجم منها والف باللاتينية . واشتهر من بين طلاب سالرنو مايكل سكوت Michael Scot (١١٧٥ – ١٢٣٦) الذي تضمنت احدى وصفاته التخدير بالاستنشاق . وكانت اللغة العربية من بين لغات التدريس في سالرنو . لقد عاصرت هذه المدرسة كبار الاطباء والمؤلفين العرب فعاصرت

الرازي (ت ٩٢٥) وابن الجزار (ت ٩٧٥) وعلي ابن العباس (ت ٩٩٤) وابن سينا (ت ١٠٣٧) والزهراوي (ت ١٠١٣) وابن رشد (ت ١١٩٨)

٦ـ مدرسة مونبلييه :

ان قرب مونبلييه من اسبانيا جعلها في متناول التأثير العربي الاسباني ، وكانت تابعةلاراغون ، وكان الطب يدرس فيها منذ القرن الحادي عشر. وتتميز عــن باريس وبقية المدارس الطبية بالخزين الكبير من المخطوطات العربية . فقد كان في باريس تسعة كتب فقط اهمها الحاوي للرازي ، الذي كان ينظر اليه بتقدير كبير ،بحيث انه لما اراد الملك استعارته سنة ١٣٧١ لعمل نسخة منه كان عليه ان يؤمن لدى جامعة باريس مبلغاً كبيراً . بينما كان في جامعة قرطبة ما يزيد على مائتي الف كتاب .

ان الظروف التي احاطت بمونبلييه آنذاك سهّلت تقدمها ، فقد كانت تتصف بالتسامح الديني وحرية التتبع العلمي مع مجال مربح للمارسة الطبية ، واصدر حاكم المدينة سنة ١١٨١ بياناً سمح بموجبه لكل شخص مؤّهل بتدريس الطب في مقاطعته دون الاهتمام بموطنه الاصلي ، وحدث ذلك في وقت مناسب اذ كانت حدثت بعض الحوادث في الاندلس ادت الى نزوح عدد من الاطباء وغيرهم ، ذهب عدد كبير منهم الى مونبلييه .

وفي مونبلييه عدد كبير من السكان العرب والمسيحيين المتكلمين بالعربية ، وكانت في اوائل القرن الثالث عشر باتصال قوي مع المدارس العربية في جنوب اسبانيا،ولهذا فان ما قدمتههذه المدينة لتطور الطبالاوربي علىالطريقة العربية هواكثر اهمية مما هو معتبر لدى المؤلفين بصفة عامة .

ومن مدرسي مونبلييــه العظــام ارنولد ڤــلانوڤا **Arnold of Villanova**

(١٢٣٥ – ١٣١٢) وهنري موندفيل Henry of Mondevill (١٢٦٠ ؟ – ١٣٢٥ ؟) وكاي دي شوليـــا Guy de Chauliac (١٢٩٨ – ١٣٦٨) وقد تضمنت كتبهم اقتباساً كثيراً من الكتب العربية او تضمنت مصطلحات عربية كثيرة .

ومن طـــلابها جلبرت الانكليزي (حوالي ١٢٩٠) Gilbertus Anglicus وجـــون من كادســـدن (١٢٨٠ – ١٣٦١) John of Gaddesden وجون من اردرن (١٣٠٧–١٣٩٠) John of Arderne الذين كان لهم منزلة كبيرة في الطب في انكلترا ، وبطرس الاسباني Petrus Hispanus (حوالي سنة ١٢٧٧) الذي اصبح البابا جـــون الحادي والعشرين وكان كتـــابه كنز الفقراء Thessurus pauperum واسع الانتشار .

٧– عصر الترجمة الواسعة :

لم تكن الترجمة من العربية الى اللاتينية التي ازدهرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر العامل الوحيد في نقل المعرفة العربية الى اوربا ، وبالرغم من اهميتها ، فان انتقال الطب العربي كان مديناً الى النقل الشفوي او الاطلاع المباشر للاطباء والمؤلفين الاوربيين لمعرفتهم اللغة العربية .

ان هناك اختلافاً كبيراً بين الترجمة من اليونانية والترجمة من العربية ، فالترجمة من العربية كانت حية ، فاهلها موجودون ولغتهم سائدة ومعارفهم تتقدم وتنتشر : لقد ترجم قسطنطين الأفريقي في الفترة ١٠٦٥ – ١٠٨٥ كتاب علي بن عباس ٧٠ سنة بعد وفاته ، وكتب ابن الجزار واسحاق بعدما يقرب من مائة سنة مـــن وفاتهما . وترجم جرارد الكريموني جراحة الزهراوي بعد ١٥٠ سنة تقريباً من وفاته ، وقانون ابن سينا بعد ١٢٠ سنة من وفاته ، وترجم سكوت كتب ابن رشد بعد عشرين سنة فقط من وفاته ويبدو أن بعض كتبه ترجم أثناء حيـــاته ، ان قرب عهد الترجمة بعهد المؤلف يعطيها حيويّة خاصة .

ويمكن توزيع مواطن الترجمة كالآتي :

أ – في طليطلة : بعد سقوطها بيد الاسبان سنة ١٠٨٥ م ، اصبحت منذ ١١٢٥ مركزاً مهماً للترجمة مرت منها المعرفة العربية الى الغرب ، ومن اشهر مترجميها جيرارد الكريموني ويسمى الطليطلي كذلك Gerardus Cremonensi أو Toletanum (١١١٤ – ١١٨٧). قدم طليطلة من ايطاليا سنة ١١٥٠ وينسب اليه ما يقرب من مائة كتاب ، وقد الحق تلاميذه بالمجسطي الذي ترجمه قائمة بانتاجه تتضمن ٧١ عنواناً بينها ٢١ كتاباً طبياً منها المنصوري للرازي والقانون لابن سينا . ويبدو ان بعضها من انتاج تلاميذه باشرافه وبعضها بالاشتراك مع غيره خاصة غالب Gallipus وهو مستعرب .

ب – في اسبانيا عدا طليطلة : قام بالترجمة في القرن الثاني عشر اسبانيون وغرباء قدموا اليها ، ثم انشأ الفونسو العاشر ملك كاستيلا (١٢٥٢ – ١٢٨٤) عدداً من مؤسسات التعليم العالي وشجع الترجمة من العربية الى اللاتينية واحياناً القشتالية .

ج – في صقلية : مثل ادلرد من باث الانكليزي (حوالي سنة ١١١٦ – ١١٤٢) واسطيفان من بيزا (الانطاكي) سنة ١١٢٧ ثم مايكل سكوت (ت ١٢٣٦) ترجم بعض الكتب للملك فردريك الثاني من بينها كتب ابن رشد . وغيرهم من المترجمين .

د – في ايطاليا : اهتم ملك نابولي جارلس الأول بترجمة الكتب الطبية العربية الى اللغة اللاتينية واقام مؤسسة تضم المترجمين الفعليين مثل فرج بن سالم وموسى من سالرنو ، والنساخ والمصلحين وترجم كتاب الحاوي للرازي وتقويم الابدان لابن جزلة .

هـ – وترجمت كتب اخرى في مونبلييه .

ورأت نهاية القرن الثالث عشر نهاية العصر الكبير للترجمة من العربية الى اللاتينية ، وان تمت ترجمات قليلة في القرنين السادس عشر والسابع عشر .

ان تراجم القرنين الحادي عشر والثاني عشر وضعت اسس التعرّب Arabism في الطب في الغرب ، وكان هذا الاتجاه غالباً عدة قرون ولم يتوقف الا في

الاوقات الحديثة . وبعد مجادلات طويلة ، وكانت القاعدة المتبعة لمدة طويلة ان الطبيب الجيد يجب ان يكون (ابن سيني جيد) .

وكانت متون الكتب اليونانية المستعملة ، مترجمة الى اللاتينية من الصيغ العربية للكتابات اليونانية مع تعليقات الأطباء العرب عليها . ثم ان الاطباء العرب الذين ترجموا الكتابات اليونانية الطبية ، قاموا بتحليلها وتصنيفها واضافوا اليها معرفتهم بالامراض واستعمالات الادوية الجديدة ، وهكذا اصبحت الآراء الطبية العربية جزءً مندمجاً في الطب الاوربي .

واما مستوى الترجمة الى اللاتينية فيبدو أنها كانت على انواع فبعضها حرفي ابقى الكلمات العربية في مواطن كثيرة ، وبعضها كانت لغته اللاتينية جيدة . ويذكر احد المؤلفين المطلعين عليها (ان من يحكم على الطب العربي من الترجمة اللاتينية سوف يبخسه حقه ويظلمه كثيراً) .

ولا بد من الاشارة الى قيام اليهود بترجمة الكتب من العربية الى العبرية ، خاصة عائلة ابن طبون Ibn Tibbon التي انتقلت من غرناطة الى جنوب فرنسا سنة ١١٥٠ ، ومارس الترجمة اربعة اجيال منهم . واستعان المؤلفون اليهود بهذه الترجمات عند وضع كتبهم باللغة اللاتينية ، وهكذا قدموا الطب العربي والعلم العربي إلى اوربا باعتباره من انتاجهم .

٨ـ نقل الطب العربي ـ الاطباء الاوربيون الذين كانوا يعرفون اللغة العربية :

عند اطلاعي على الطبعات المختلفة للكتب الطبية المترجمة الى اللغة اللاتينية من اللغة العربية ، المطبوعة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الموجودة في المكتبات الطبية والتاريخية في انكلترا ، وجدت ان بعض الطبعات كانت تتضمن اسماء مترجمين آخرين ، مما يدل على وجود اكثر من ترجمة واحدة ، او وقوع تصليح لترجمة سابقة مثل قانون ابن سينا والادوية القلبية والكتاب المنصوري للرازي .

وبين هؤلاء مَنْ هو ليس مترجماً بل طبيب يعرف اللغة العربية ، وان تأثير هؤلاء يتجاوز كثيراً الكتاب المترجَم ، فانهم ادخلوا إلى العالم الغربي كثيراً من المعرفة العربية عن طريق اطلاعهم المباشر عليها . وسنذكر عدداً من المشهورين في عالم الطب منهم .

أ – اندرياس ڤيزاليوس (١٥١٤ – ١٥٦٤) Andreas Vesalius

المعروف ان الكتاب المنصوري للرازي ترجمه جيرارد الكريموني الى اللغة اللاتينية ، وطبعت ترجمته ، ولكن احدى الطبعات (طبعة بازل سنة ١٥٤٤) لم تكن كلها من ترجمة جرارد ، وانما كانت المقالة العاشرة من ترجمة البانوس تورينس (١٤٨٩ – ١٥٥٠) Albanus Torinus Vitoduranus الذي كتب مقدمة اخرى للكتاب ، وكانت المقالة التاسعة (في الامراض الحادثة من القرن إلى القدم) Liber IX من ترجمة وشرح الطبيب الاوربي المشهور اندرياس فيزاليوس البروكسلي (١٥١٤ – ١٥٦٤) Andreas Vesalius Bruxellensis اشتهر ڤيزاليوس في القرن السادس عشر حيث الف كتاباً طبع سنة ١٥٤٣ تضمن لوحات تشريحية مهمة ، عنوانه (ماكنة الجسم الانساني) De Humani Corporis Fabrica وعرف لدى الكتّاب بمصلح التشريح Reformer of Anatomy ، واثّر قيام ڤيزاليوس باجراء التشريح وجعل احد الفنانين يرسمه على لوحات دقيقة ونشرها في كتبه ، اثر في مسيرة الطب الاوربي اكبر تأثير ، وبلغ منزلة عالية بحيث ان مؤرخي الطب الاوربيين يقسمون تاريخ الطب الاوربي الى مرحلتين : مرحلة قبل ڤيزاليوس ومرحلة بعده .

وكان ڤيزاليوس من اسرة طبية مرموقة ، كانوا اطباء بلاط وكانت لهم صلة بالطب العربي فترجم احدهم قانون ابن سينا وكتب آخر رسائل عدة عن مؤلفات ابن

سينا وشروحاً للرازي ، ثم اصبح ڤيزاليوس كذلك طبيباً للامبراطور شارل الخامس ثم ابنه فيليب الثاني في مدريد .

وكان الكتاب التاسع من المنصوري للرازي من ترجمة ڤيزاليوس قد طبع بصورة منفصلة سنة ١٥٣٧ م قبل ان يطبع مع الكتاب الكامل سنة ١٥٤٤ ، بعنوان Liber Nonus Almansoris (الكتاب التاسع من المنصوري) وقال في مقدمته (لذلك لم نتقيد بالترجمة حرفياً بل فضلنا الشرح مستخدمين حريتنا في التوقف لدى الامور الضرورية ، كما اننا افضنا في التعليق على ما رأيناه غامضاً) . ورد كذلك على القائلين بان كتاب الرازي مترجم عن اليونانية واكد انه من تأليف الرازي .

ذكرنا ذلك ، لانه اراد بعض الكتاب الغربيين الانتقاص من معرفة ڤيزاليوس للغة العربية ، وادعى بعضهم ان وجود كلمات عربية في كتاب التشريح لم تكن الا من نوع التظاهر بمعرفة اللغة .

ب- اندرياس الپاكوس Andreas Alpagus (١٤٥٠ ؟ – ١٥٢٢)

طبيب ومتعرب كبير قضى اكثر من ثلاثين سنة في سوريا ، جمع كثيراً من المخطوطات العربية ، ثم عاد الى بادوا وعيّن استاذاً لكرسي الطب في جامعتها ، ولكنه توفي بعد ذلك بقليل . ترجم عدداً من الكتب العربية الى اللاتينية مع شروح على بعضها ، نشر قسم منها بعد وفاته منها ترجمة شرح ابن النفيس للقسم الخامس من قانون ابن سينا طبع سنة ١٥٤٧ ، ونقح ترجمة جرارد الكريموني لقانون ابن سينا طبع سنة ١٥٢٧ واعيد طبعه بعد ذلك مرات متعددة وبلغت طبعات القانون ٣٦ طبعة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وطبعت ترجمته لكتاب الادوية لابن البيطار سنة ١٦٠٢ . ولكن من المؤكد انه لم تطبع كل الكتب التي ترجمها الپاكوس لغرض النشر . وقد اصبحت نسخته من شرح التشريح لابن النفيس

في مكتبة اسرة ناني Nani في البندقية ولقد اطلعت على فهرس المكتبة الذي اعده استاذ اللغات الشرقية في جامعة بادوا سيمون اسّماني Simon Assemani ونشر سنة ١٧٩٢ في بادوا ، فاذا هو يحتوي على وصف النسخة التي كتبت سنة ٧٣٤هـ (١٣٣٣ م) اي خمس وخمسين سنة بعد وفاة المؤلف ابن النفيس ، وتقع في ٣٠٦ صفحات . ان لوجود هذه النسخة اهمية كبيرة في تاريخ اكتشاف الدورة الدموية .

ج – ارنولد من ڤيلانوڤا Arnold de Villanova (١٢٢٥–١٣١١)

من الاطباء الاوربيين الذين كانوا يتقنون اللغة العربية وترجموا منها إلى اللاتينية والفوا كتباً طبية باللغة اللاتينية، وهو طبيب ممارس مشهور ومؤلف متميّز واستاذ الطب في مونبلييه . ولا بد من ان كتبه التي الفها تضمنت المعرفة الطبية التي حصل عليها من دراسته ومطالعته للكتب التي لم يقم بترجمتها. ومن بين المؤلفين الذين ترجم من كتبهم : ابن سينا والكندي وقسطا بن لوقا وابو العلاء ابن زهر. والف ارنولد كتباً كثيرة ويعتبر شرحه (للنظام الصحي السالرني) Regimen Sanitatis Salernitanum احسن شرح لتلك القصيدة ، وقد طبع ٢٤٠ طبعة منفصلة وترجم الى كل لغة اوربية تقريباً .

ان هؤلاء الاطباء وغيرهم ضمّنوا في مؤلفاتهم المعرفة الطبية العربية غير المترجمة الى اللاتينية ، لمعرفتهم اللغة العربية وبذلك ساهموا مساهمة كبيرة في تأثير الطب العربي على الطب الاوربي .

٩– الدورة الدموية الرئوية :

كان تاريخ الدورة الدموية الرئوية وما يزال مجال بحث في المجلات والكتب الطبية ، وبخاصة من كان له الفضل الاول في ذلك .

كان الرأي السائد الذي كتبه جالينوس ان الدم يمر من البطن الايمن إلى البطن الايسر

من القلب خلال الحاجز بينهما ، وانه يمر خلال ثقوب غير مرئية .

ولقد نقض هذا الرأي الطبيب العربي المعروف علاء الدين ابن النفيس القَرشي (٦٠٧ – ٦٨٧ هـ / ١٢١٠ – ١٢٨٨ م) وردّ على جالينوس وابن سينا في كتابه شرح التشريح وبيّن عدم امكان مرور الدم في الحاجز وشرح مروره في الرئتين وتبدله فيهما ، مما مهّد لاكتشاف الدورة الدموية الكاملة من قبل هارفي Harvey بعده بثلاثة قرون تقريباً .

ثم كتب مؤلفون اوربيون في القرن السادس عشر رأياً مشابهاً لرأي ابن النفيس وكتب كثيرون حول اقتباس مؤلف من آخر .

ونقرل ان اول شك في آراء جالينوس في اوربا ورد في كتاب ڤيزاليوس Vesalius (ماكنة الجسم الانساني) في الطبعة الاولى سنة ١٥٤٣ حيث قال ما ترجمته (ان الحاجز كثيف مثل باقي القلب وعليه حفر ، ولكن لا يخترق اي منها الحاجز من البطين الايمن الى الايسر حسبما تشعر به الحواس..) ولكنه في الطبعة الثانية سنة ١٥٥٥ كان اكثر وضوحاً اذ قال (لم اشاهد حتى اصغر قنوات مخفية تمر في الحاجز . وقبل مدة ليست طويلة ما كنت لأجرأ على ان ابتعد قليلا عن آراء جالينوس . . ولكن الحاجز سميك وكثيف وصلد مثل بقية القلب ، ولهذا لا أدري كيف يمكن ان تمر اصغر الاشياء من البطين الايمن الى الايسر خلال الحاجز . . .)

ثم صدر كتاب في اللاهوت بعنوان (أعادة المسيحية Christianismi Restituto سنة ١٥٥٣ ألّفه طبيب من كتالونيا هو مايكل سرڤيتس (١٥١١–١٥٥٣) Michael Servetus تضمن في معـــرض بحثه عن الروح وصفاً لمرور الدم في الرئتين مشابهاً لوصف ابن النفيس ، بحيث يكون اقتباساً منه . ويوجد أدلة على معرفة سرڤيتس اللغة العربية .

ثم صدر كتاب من تأليف كرلومبوس (١٥١٠–١٥٩٩) Realdus Columbus

وكان استاذاً في بادوا ثم روما ، وعنوان الكتاب (في التشريح) (De Re Anatomica) نشر سنة ١٥٥٩ تضمن وصفاً لمرور الدم في الرئتين مع بعض التجارب العملية ، وتضمن كتاب آخر آراء مشابهة وعنوانه (التشريح وتاريخه) نشر سنة ١٥٥٤ من تأليف ڤالڤردي Valverde وكان في بادوا وهو من اسبانيا ولقبه de Hamusco فهل تعنى انه من حمص؟

ولقد دلت الدراسة المفصلة للموضوع على ان سرڤيتس يظهر معرفة واضحة لنظرية ابن النفيس وانه اعتمد عليها ، وان ڤالڤردي مطلع على آراء سرڤيتس ، وان كولومبو مطلع اطلاعاً مباشراً على نظرية ابن النفيس ومقولة سرڤيتس .

اما القول بان كتاب شرح التشريح لم يكن كثير التداول ، فانه لا ينفي الاطلاع على محتواه ، فانه كان كتب اول الامر على حواشي القانون ، ويوجد بالموصل نسخة خطية من القانون على حواشيها شروح على الفقرات الخاصة بالتشريح حسبما ترد في الكتاب وتحتها كلمة (قَرَشي) وهو لقب ابن النفيس ، وبعض الشروح على هوامش المتن وبعضها على اوراق مضافة ، والكتاب قد نسخ سنة ٨٩٩–٩٠٤هـ وهذا يدل على ان الاطلاع على بعض نسخ القانون كان يعنى الاطلاع على شرح ابن النفيس، ثم انه كان هناك نسخة من شرح التشريح في ايطاليا كما بيّنا سابقاً .

ان وجود اندرياس الپاكوس وبولص الپاكوس في بادوا في القرن السادس عشر ومعرفتهما بآراء ابن النفيس ووجود كتبه لديهما يفسّر ظهور الشك المفاجئ بآراء جالينوس خلال سنوات قليلة لدى المؤلفين في تلك الفترة من فيزاليوس إلى هارڤي . وواضح ان هارڤي كان على علم بالآراء السائدة في بادوا عن مرور الدم في الرئتين وإنْ لم يكن مفهوم الدورة الدموية الصغرى مقبولاً بالاجماع في بداية القرن السابع عشر ، حيث درس هارڤي في بادوا اربع سنوات انتهت بحصوله على الدكتوراه سنة ١٦٠٢ ،واورد اول ذكر للدورة الدموية في محاضراته سنة١٦١٦ ، ثم بكتابه المطبوع سنة ١٦٢٨ .

ومن المفيد ان نذكر ان ابن النفيس ذكر الشرايين الاكليلية وانها تغذي عضلة القلب ، وان ما ذكره هارفي عنها يشابه ما ذكره ابن النفيس ، خاصة اذا لاحظنا مرور النصوص بمرحلة الترجمة . ويبدو لنا ان هارفي كان مطلعاً على ما كتبه ابن النفيس .

انه مما لاشك فيه ان هناك عظيمين في تاريخ اكتشاف الدورة الدموية في الجسم : ابن النفيس طبيب القرن الثالث عشر وهارفي طبيب القرن السابع عشر وبينهما اكثر من ثلاثة قرون ، ويعود الفضل لابن النفيس في نقد آراء جالينوس وكسر الانغلاق العلمي وفتح الطريق امام التقدم العلمي .

١٠ـ الكتب الطبية العربية والاوربية :

كانت الكتب العربية المترجمة والتعليقات عليها المسؤول الأوّل عن احياء المعرفة في اوربا ، وعند نشأة الجامعات في اواخر القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر كانت الكتب المنهجية العربية اللاتينية هي ما يعطى للطلبة ، وبقيت كذلك لمدة طويلة بعد النهضة . وكانت اهم المراكز الطبية هي جامعات مونبلييه (التي وجدت في القرن الثاني عشر وفاقت سالرنو في القرن الثالث عشر) وباريس وبولونا وبادوا ، وكان التدريس شفوياً لان الكتب كانت نادرة في ذلك الوقت ، وكانت مكتبات الجامعات لا يعتدّ بها لمدة طويلة ، وكان فـــي مدرسة باريس الطبية وغم اهميتها تسعة كتب ، ولكن مكتبة مونبلييه كانت احسن حالاً اذ كان فيها عدد كبير من المخطوطات العربية لقربها من التأثير العربي ، ومنع الطلبة في بولونا ــ تحت طائلة العقاب الشديد ــ من اخذ الكتب خارج المدينة ، ولكن اختراع الطباعة كان له تأثير كبير على انتشار الكتب وتطور الثقافة الطبية . وكانت الكتب الطبية والعلمية العربية المترجمة الى اللاتينية من اوائل ما اخرجته المطابع في القرن الخامس عشر . وتوسعت الطباعة في القرن السادس عشر كثيراً .

وبدأ الاوربيون يؤلفون الكتب الطبية ، وكان القرن الثاني عشر العصر الذهبي لمدرسة سالرنو ، وتخلّد ذكره مؤلفات لاتينية قليلة لها اهميتها ، وان كانت لا تقارن بالمؤلفات العربية الموجودة في الوقت نفسه ، لانها كانت بداية الطب الاوربي رغم كونها غير دقيقة وبدائية .

ولكن بدأت بعض المؤلفات اللاتينية الأصيلة تتنافس مع المؤلفات العربية واليونانية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، ولكن نجاحها حبّذته اعتبارات اجتماعية . . . وهكذا اصبح اللاتين ورثة للمنقول العربي اليوناني ، واصبحوا ينمّون ذلك التراث بالطريق الصحيح ، اي ان اطباء اوربا عملوا جهدهم لحفظ الميراث ولزيادته مهما كانت الزيادة قليلة .

وبدأت الاصالة في التأليف الاوربي بكتاب هنري دي موندفيل (١٢٦٠؟ — ١٣٢٥ ؟) Henri de Mondeville ، جاء من بولونا الى مونبلييه ونقل الى فرنسا المعرفة الطبية والجراحية والتشريحية من بولونا ، وكانت من اصل عربي خاصة ابن سينا .

وكان معاصراً له في بولونا موندينوس دي لوزي Mondinus de Luzzi (١٢٧٥ ؟ — ١٣٢٦ ؟) الذي اشتغل بالتشريح بصفة نظامية وشرح الجسد الانساني بنفسه وكان كتابه عن التشريح Anathomica الذي الفه سنة ١٣١٦ اول كتاب عصري في الموضوع ، وكان قد قرأ الكتابات العربية في التشريح واقتبس منها ، وكان يشير في كتابه الى كيفية التشريح والى وظائف الاعضاء والى تطبيقات ذلك في الطب والجراحة . وكان موندينوس الخطوة الاولى للتحرر من المدرسية Scholasticism ، ومع هذا فانه كان يعتمد بصفة كلية تقريباً على المؤلفين العرب ، وكان بالحقيقة يشرّح ليحفظ كتبهم .

١١ــ المتعرّبون والانسانويّون والمدرسيّون :

ولابد من بحث بعض المفاهيم التي سادت في اوربا عند البحث عن القرون الوسطى وعصر النهضة وهي : Arabist و Humanist و Scholastic ولقد توصلنا إلى ما يأتي :

أـ Arabist وتعني المتعرب وتعرّبي نسبة الى التعرّب .

والمتعرّب هو الملتزم بالثقافة العربية سواءً كان عربياً او اوربياً . والتعرب هو الالتزام بهذه الثقافة وقبولها . والنسبة تعرّبي تعني ما يختص بهذه الثقافة ، مفرّقة عن عربي Arabic المنسوبة الى العرب سواء كانوا قوماً ام لغة .

ب ــ Humanist انسانوي نسبة الى الانسانويّة Humanism وقد لجأنا الى هذه الكلمة لتفريقها عن الانسانية Humanity. والانسانوية هي دراسة الانسان بذاته والتوصل الى المعرفة عن ذلك الطريق ، كما في علم التشريح فالى عهد موندينوس سنة ١٣١٦ وڤيزاليوس سنة ١٥٤٣ كان التشريح يدرس حسب الكتب الموضوعة فيه . واطلقت هذه التسمية على الحركة الفكرية من سنة ١٤٥٠ إلى ١٥٥٠ .

وكان المثقفون آنذاك اما (متعرب Arabist) او (انسانوي Humanist) وفي بعض الاحيان كان الانسانويون يكونون في صف المتعرّبين . وكانت المعركة الفكرية الكبرى ما زالت قائمة بين المتعرّبين والانسانويين ، وكان الانسانويون رابحين ، ولكن نتيجة النزاع لم تكن واضحة ، ولهذا نجد ڤيزاليوس يضمّن كتبه في التشريح كلمات عربية كثيرة ، ولم يكن ذلك لغرض التظاهر فقط .

وكان هناك من يقبلون آراء جالينوس Galenists دون مناقشة ، وكانوا يتفقون مع المتعربين في بعض الاشياء ويختلفون معهم في اشياء اخرى .

ج ــ Scholasticism المدرسيّة . ويقصد بها نوع من فلسفة ولاهوت رجال المدارس في القرون الوسطى ، الذين كانت تعتمد معرفتهم على الكتب

والنظريات المجردة ، لا على الحياة . وانحصرت فعاليتها في حدود القرن الحادي عشر والرابع عشر . وكان صاحب هذه المدرسة يدعى بالـ Scholastic اي المدرسوي .

واني لارجو ان يكون وقع هذه الكلمات خفيفاً على اللغويين ، فاني لم اخالف قواعد اللغة عند وضعها للتمييز بين المعاني التي تقصد بها .

وكان المقصود باللغات الكلاسيكية آنذاك العربية واليونانية ، وكان الوصول إلى اللغة العربية في ذلك الحين اسهل بكثير من الوصول إلى اليونانية .

١٢ـ محاولة التقليل من فضل العرب :

لقد حورت اسماء كثير من الاطباء العرب بحيث اصبح من الصعب معرفة اصلها في بعض الاحيان ، فكانت (تيوّن) على الطريقة اليونانية او (تلتّن) على الطريقة اللاتينية ، كما كانت الاسماء الاجنبية في السابق تعرّب ، ولكن التعريب لم يجعل الاسماء تفقد صفتها الاصلية. فترى في الغرب ان ابن رشد أصبح Averroes وابن زهر Avenzoar وابو القاسم الزهراوي Albucasis ، ولكن في بعض الاحيان كان التبديل كبيراً كما حدث عند تبديل اسماء العرب المتنصرين بعد سقوط الاندلس وذكرناه في حينه .

وتجاوز الامر تحوير الاسماء فادعى بعض الاوربيين ان ابن سينا كان اسبانياً ، مما استوجب ردّ اندريا الپاكوس Alpagus (ت ١٥٢٢) في مقدمته لقانون ابن سينا بعد ان اعاد النظر في ترجمة جيرارد الكريموني القانون . قال الپاكوس بعد ان ذكر اسم ابن سينا ولقبه : (لم يكن ابن سينا اسبانياً كما كتب عنه البعض ، بل كان من مدينة بخارى ، كما يبدو في التاريخ العربي لحياة الفلاسفة والاطباء اليونان وهو كتاب مترجم من العربية الى اللاتينية ، وكما يمكن الافادة في ذلك من الفصل الثالث من كتاب القانون في طبيعة الازمنة ، وكذلك من مواضع اخرى . . .) .

ويبدو أن الطب العربي كان قد تعرض الى الهجوم وخاصة في القرن السادس عشر اذ قال رينيوس (Rinius) في مقدمته التي كتبها سنة ١٥٤٤ للقانون : (وكيف لا يأخذني العجب وانا ارى الكثيرين قد نهضوا منـــذ ثلاثين سنة ضد هذا الرجل (يقصد ابن سينا) يريدون التشهير به ، الا ان العرف العام والبشرية في كل العصور قد حكمت الحكم التالي : ان ابن سينا رغم كونه ليس يونانياً ولم يتعلم اليونانية فهو ليس اقلّ تأكداً ووثوقاً من الاشياء بقدر ما تتمكن منه الشعوب واللغات . ثم ان العلوم تتطور وتصل الى الكمال وذلك باضافات الخلف سواءً كان ذلك نوعيّاً ام كميّاً كما تبيّن الخبرة .
وابن سينا يستحق هذا القول ولو انه لم يولد في بلاد اليونان ولم يتقن اليونانيـــة.
وبوسع ايٍّ كان ان يطلع على ما بلغه العرب من دراية في اية صناعة كانت ، وليس متعذراً علينا الاطلاع على كتاباتهم . . .) .
ويقول باحث معاصر : ولكنّ تحمّس الانسانويين (Humanists) في عصر النهضة والعنصريين المعاصرين يجب ان لا يعمينا عن الحقائق التاريخية بان العلوم العربية كانت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ارقى بصفة مؤكدة من العلوم الفرنجية بما في ذلك طب سالرنو المبكرّ ، وان ترجمة المادة العربية ادت الى تقدم مؤكد في المعرفة المتيسرة . ويصدق الشيْ نفسه على ترجمـــة المؤلفات اليونانية من اللغة العربية ، لان العرب كانوا يملكون في ذلك الوقت من المؤلفات العلمية اليونانية اكثر مما يملكه اللاتين ، وان العرب بشروحهم واعمالهم المستقلة اضافوا اضافات مؤكدة الى التراث اليوناني القديم . .)
ولقد حاول بعض الكتاب الغربيين في العقود الأخيرة طمس بعض الاكتشافات الطبية العربية ولجأوا في ذلك الى فروض غير صحيحة وتغاضوا عن مصادر مهمة تحت ايديهم ، كما في مسألة الدورة الدموية الرئوية . ولكن كان هناك كتاب آخرون سجّلوا فضل العرب السابق فيها .

١٣ـ معايشة فترة انتقال الطب العربي الى أوربا :

ان معايشة فترة انتقال الطب العربي الى اوربا والرجوع الى ما كتب في تلك الفترة نفسها بدراسة مقدمات المترجمين والناشرين والمؤلفين الغربيين ،والاطلاع على المؤلفات القريبة العهد بها ، امر ضروري جداً لفهم هذه الفترة المهمة من تقدم البشرية والثقافة والفكر العالمي . ويجب تطبيق هذه الطريقة من الدراسة على انتقال العلوم والفلسفة بصفة عامة ، اذ ينتج عنها الحصول على معلومات قيمة جداً او استنتاجات جديدة . فخير ان نقول وجدت في كتاب الپاكوس وڤيزاليوس في القرن السادس عشر كذا وكذا ، من ان نقول قال فلان في القرن العشرين كذا وكذا .

ان معايشة تلك الفترة يمكن ان تعتمد على الخطة الآتية :

١ـ اقتناء ما يمكن اقتناؤه من ترجمات الكتب العربية المطبوعة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وقد حصل المجمع العلمي العراقي على بعض هذه الكتب .

٢ـ الاطلاع على المقدمات التي كتبت لهذه الطبعات . وكذلك على مقدمات شروح الاطباء الاوربيين للكتب العربية المترجمة ، فان فيها مادة مهمة . ويمكن تصويرها من قبل المكتبات العالمية التي تقتنيها . ويمكن ترجمتها من اللاتينية الى العربية ترجمة مباشرة او عن طريق لغة اوربية حديثة .

٣ـ الاطلاع على ما كتب عن تلك الفترة في الاوقات القريبة منها .

٤ـ تعميم هذه الخطة على العلوم والفلسفة لفائدتها بذاتها ولاعطائها فكرة عامة عن الوضع الثقافي مما ينير الطريق امام الباحث العلمي .

١٤ـ الخلاصة في كيفية انتقال المعرفة :

ان انتقال المعرفة يمكن ان يحدث عن الطرق التالية :

أـ الاتصال المباشر بين ممارسي الطب من العرب والاوربيين ، والنقل الشفوي

خاصة في مناطق الاتصال الواسع وهي اسبانيا وصقليا وايطاليا وجنوب فرنسا .

ب- عن طريق المولّدين والمستعربين في اسبانيا وصقليا الذين اخذوا الثقافة العربية لقرون عديدة .

ج - عن طريق العرب الباقين في تلك البلاد بعد زوال الحكم العربي عنها ، وعن طريق المجاورين للحكم العربي الذين تأثروا بالثقافة العربية .

د - الاتصال المباشر عن طريق الدراسة ،حيث كان بعض الاوربيين يدرسون الطب عند اساتذة عرب .

ه - الاطلاع المباشر على الكتب الطبية العربية باللغة العربية - وذلك يحتاج الى معرفة هذه اللغة ولقد ثبت انها كانت معروفة لدى عدد من الاطباء وغيرهم .

و - الترجمة المنظمة التي حدثت في اسبانيا وصقليا وايطاليا ؛ والترجمة الجزئية لبعض المؤلفات لاغراض معينة .

ز - هجرة بعض الاطباء العرب كما حدث في جنوب فرنسا .

ح - ان انتقال المعرفة بطرق مباشرة عدا الترجمة امر معروف ، والمثال الواضح على ذلك هو ما حدث في القرن العشرين عندما حصلت البلاد العربية على المعرفة الطبية الحديثة بواسطة لغة اجنبية تعلمها الدارسون ، وهي الانكليزية او الفرنسية عادة ، ولم تجر محاولة منظمة للترجمة ، وانما صدرت مؤلفات باللغة العربية .

بعض المنظومات العلمية للبيتوشي

الشيخ محمد الخال

(عضو المجمع)

للشيخ عبدالله البيتوشي الكردي كثير من المنظومات العلمية ، ليس لها مثيل في بابها من حيث السلاسة ، وغزارة المعنى ، وقوة البيان والابداع ، فقد بَذّ بها من تقدمه ، وأعيى من بعده ، ولقد ظفرتُ بتلك المنظومات العالية ، والقطع الغالية ، بعد كدٍّ وتعب لا يطاق ، وبما أنها غير مطبوعة وعزيزة الوجود ، رأيت من الأفيد، بل من الألزم أن أنشر بعضَ ما وصل إلي منها لحد الآن إتماماً للفائدة ، وقد بذلتُ جهد المستطاع في تصحيحها وتنقيحها والتعليق عليها ، فهاكها منظومات لغوية مصححة ، واقْتَطِفْ ما فيها من الفوائد التي هي أغلى من الدر النظيم .

المنظومة الاولى ثمانية وسبعون بيتاً في بيان الأفعال التي أتت واوية ويائية وتتضمن مئة واثنين وعشرين فعلاً من الافعال المذكورة ، مع إشارة مختصرة إلى معانيها ، وهي هذه :

حمـداً لمـن جَـلَّ عـن المثـال
أفعالـه خلـت مِـنِ اعتـلال

ثـم الصـلاة مـع سـلام أبـدا
عـلى النبـيّ العـربـيّ احمـدا

وبعد فاسْمَعْ جُلَّ فعل قد اتى
واوا وياءً لامُهُ وأنصتا [(١)]

لما أقول ، واخْشَ داء الحسد
إذ الحسود ابداً لم يَسُدِ

(عَزَيْتُهُ) نسبته (عَزَوْتُهُ)
(كَنَوْتُ) زيداً كنية (كَنَيْتُهُ) [(٢)]

(لَحَوْتُ) عودي قاشرا (لَحَيْتُهُ)
(حَنَوْتُهُ) عَوَّجْتُهُ (حَنَيْتُهُ) [(٣)]

(قَلَوْتُهُ) بالنار أي (قَلَيْتُهُ)
(رَثَوْتُ) خِلاً مات أي (رَثَيْتُهُ) [(٤)]

(شَأَوْتُهُ) سبقته (شَأَيْتُهُ)
(حَلَوْتُهُ) بِالْحَلْيِ أي (حَلَيْتُهُ) [(٥)]

(سَخَوْتُ) ناري موقداً (سَخَيْتُ)
(طَهَوْتُ) لحمي طابخاً (طَهَيْتُ) [(٦)]

(جَبَوْتُ) مالَ صوبنا (جَبَيْتُهُ)
(حَزَوْتُهُ) زجرته (حَزَيْتُهُ) [(٧)]

---

(١) وأنصتا : متعلق بقوله الآتي : لما أقول ، تأكيد لما قبله .
(٢) عزيته : بمهملة فمعجمة .
(٣) لحوت : بالمهملة .
(٤) قليته : بالقاف إذا نضجته في المقلى . رثوت : بمهملة فمثلثة اذا بكيته وعددت محاسنه، أو نظمت فيه شعراً .
(٥) شأوته : بمعجمة . بالحلى : بالمهملة وبالفتح كما في القاموس ما يزين به مصوغ المعدنيات أو الحجارة جمعه حلى كدلي ، أو جمع ، واحده حلية كظبية .
(٦) سخوت : بمهملة فمعجمة . موقدا : أي اوقدتها . طهوت : بالمهملة . طابخاً : اي طبخت .
(٧) جبوت : بجيم فموحدة . حزوته : بمهملة فمعجمة .

(مَحوتُ) خط الطرس أي (مَحَيتُهُ)
(سَحَوتُ) ذاك الطينَ أي (سَحَيتُهُ) [1]
(حَثَوتُ) هذا التربَ أي (حَثَيتُهُ)
(طَلَوتُ) طَلْيي بالطِّلا (طَلَيتُهُ) [2]
سِقاءَنا (مَأَوتَ) في (مَأيتَهُ)
(حَشَوتَ) عِدلي يا فتى (حَشَيتَهُ)[3]
(أتَوتُهُ) أي جئتُهُ (أتيتُهُ)
(مَنوتُهُ) اختَبَرْتُهُ (مَنَيتُهُ) [4]
(نَحيتُهُ) قَصَدتُهُ (نحوتُهُ)
(أسَيتُ) جرحَ زيد اي (أسَوْتُهُ) [5]
(أدَوْتُهُ) ختلتُهُ (أدَيْتُهُ)
(بَهَوْتُ) اذ باهيتُهُ (بَهيتُهُ) [6]
(جَلَوتُ) سيفي صاقلا (جَلَيتُهُ)
(غَطوتُهُ) (غطيته) غَطّيتُهُ [7]

---

(١) الطرس : بالكسر الصحيفة . سحوت : بمهملتين ، أي قشرته بالمسحاة وجرفته .

(٢) حلوت : بمهملة فمثلثة . طلوت طليى بالطلا : بمهملات ، والطلاء ككساء الحبل الذي يشد به. رجل الطلي وهو ولد الضأن ، وقصر الطلاء في البيت ضرورة .

(٣) سقاءنا : بالنصب . دأوت : بتاء الخطاب . مأيته : أي مددته ووسعته . حثوت : بمهملة فمعجمة . عدلي : بكسر المهملة الأولى وسكون الثانية نصف الحمل .

(٤) منوته : بالنون .

(٥) أسيت بمهملة أي داويت .

(٦) أدوته : بالمهملة . ختلته : أي خدعته . بهوت : يقال بهوت زيداً . اذ باهيته : أي غالبته في البهاء والجمال . بهيته : أي غلبته في البهاء .

(٧) جلوت : بالجيم . صاقلا : يعني صقلته . غطوته : بمعجمة فمهملة وكذا غطيته . غطيته من التغطية .

(دأوتُــهُ) ختلتــه (أديــتُــهُ)
(حبوتُــهُ) أعطيتــه (حَبَيْتُــهُ) (١)
(حزَوتُ) جئــتُ مُسرعاً (حزَيــتُ)
(دَهوتُــهُ) بفتنــة (دَهَيــتُ) (٢)
(جَــأوْتَ) لي بُرمــةً اي (جَــأبتَــا)
(حكوتَ) فعــل المــرء أي (حَكيتَا) (٣)
(دَحَوْتُــهُ) بسطتُــهُ (دَحَيْتُــهُ)
(شَكوتُهُ) أيضاً أتــى (شَكيتُهُ) (٤)
(بَغَوْتُ) جرمــاً جاء فــي (بَغَيتُهُ)
(شَرَوْتُ) هــذا العبد أي (شَرَيتُهُ) (٥)
(سَــأوتُــه) مَدَدتُهُ (سَــأيتُــهُ)
(رَعَوْتُ) سرح جعفر (رَعَيْتُهُ) (٦)
(طَبَوتُــهُ) عن رأيــه (طَبَيْتُـــهُ)
(نَقَوتُ) مــخّ عظمه (نقيتُــهُ) (٧)

(١) دأوته : عبارة القاموس في الواو : دأى الذئب دأوا وهو شبه الختل والمراوغة ، وفي الياء : دأيت الشيءُ كسعيت ختلته . حبوته : أي أعطيته بلا جزاء ولا من ومنعته ضد كما في القاموس .

(٢) حزيت : بمهملة فمعجمة ، يقول البيتوشي في حاشية له على هذه الكلمة : هكذا في منظومة ابن مالك ولم أقف عليه مع اني نظرت تصاحيفه فلم أجده في كتب اللغة والله اعلم . دهيت : في القاموس دهاه دهياً أصابه بداهية .

(٣) جأوت : بالجيم . جأيتا : أي أصلحتها بالترقيع . حكيتا : اذا فعلت مثل فعله أو قوله .

(٤) دحوته : بمهملتين وكذلك دحيته . شكوته : بالمعجمة .

(٥) بغوت جرما جاء : أي رأيته . أي شريته : اذا ملكته بالبيع أو بعته كاشتريت فهما ، ضد كما في القاموس .

(٦) سأوته : بمهملة . رعوت سرح جعفر : اي ماله السارح .

(٧) طبوته : بمهملة فموحدة أي صرفته . نقوت : بنون فقاف أي استخرجت مخ عظمه .

(طَبَوتُـهُ) دعـوتُـهُ (طَبَيتُـهُ)
(عَشوتُـهُ) أطْعَمتُـهُ (عَشَيتُهُ)
(طَحَوتُـهُ) دَفَعتُـهُ (طَحَيتُـهُ)
(فأوتُـهُ) شـقـقته (فـأيتُـهُ) (١)
(عَنَوتُ) مكتوبـي كـذا (عَنَيتُهُ)
(فَلوتُـهُ) من قَمْلِـهِ (فَلَيتُهُ) (٢)
إن تَسقُّفَ البيتَ فقـل (غَميتُـهُ)
(غموتُـهُ) (قَفَوتُـهُ) (قَفَيتُهُ) (٣)
(عَظَيتُهُ) آلمتُـهُ (عَظَوتُـهُ)
(شَحَيتَ) فاك فاغـراً (شَحَوتَهُ) (٤)
(عَدَوتَ) عدواً جاء فـي (عَدَيتَا)
(أثَوْتَ) أي وشيـتَ فـي (أثَيتَـا) (٥)
(كَرَوتُ) نهري حافـراً (كريتُـهُ)
(لَصَوتُـهُ) قـذفتُـه (لَصَيتُـهُ) (٦)
(عودي) بروتُ ناحتاً (بـريتُـهُ)
(غَـذوتُ) طفـلي وكـذا (غَذَيتُهُ) (٧)

---

(١) بمهملتين . فأوته : بالفاء .
(٢) عنوت مكتوبي : اي كتبت له العنوان . فلوته من قمله : أي بحثت عن القمل فيه .
(٣) ان تسقف البيت : أي اذا اردت ان تخبر عن ذلك الفعل . غميته : بالمعجمة . قفوته : أي تبعته .
(٤) عظيته : بمهملة فمعجمة . شحيت : بمعجمة فمهملة أي فتحت .
(٥) عدوت : بمهملتين . أثوت : بمثلثة . وشيت : أي به أو عليه عند السلطان او مطلقاً .
(٦) كروت : بمهملتين . نهرى حافرا : اي حفرته وكريته . لصوته : بمهملة .
(٧) بروت : براء بمهملة . ناحتا : اي نحته ، وليس في القاموس غير الياء . غذوت بمعجمتين .

(نَشَوتُهُ) أشعَتْهُ (نَثيتُـــهُ)
(حَمَوتُهُ) المأكول أي (حَمَيتُهُ) [1]

(صَغَيتُ) ملتُ ، جاء ني (صَغَوتُ)
وجاء في (دَرَيتُهُ) (دَرَوتُ) [2]

(بَقَوتُهُ) انتظرتُهُ (بَقَيْتُ)
(رَبَوتُ) في الاكراد أي (رَبَيتُ) [3]

(مَقَوْتَ) طستي جالياً (مَقَيتَا)
وناقتي (مَسَوتَ) في (مَسَيْتَا) [4]

(عَروتَهُ) أتيتَهُ (عَرَيتَا)
(نَأوتَ) أي بَعُدتَ في (نأيتَا) [5]

(غَفَوتُ) في النوم كذا (غَفيتُ)
(نَضَوتُ) جئت خفية (نَضيتُ) [6]

(تَهمو وتَهمي) عينُه (مَضَيتُ)
كذا (مَضَوتُ) بهما رأيتُ [7]

---

(١) نثوته : بنون فمثلثة اي الحديث والخبر . أشعته : أى حدثت به .

(٢) دريته : بمهملتين ، كتب البيتوشي على هذه الكلمة : هكذا وقع في نظم ابن مالك ولم أقف عليه في كتاب ، واما بالذال المعجمة فسيجيء .

(٣) بقوته : بالموحدة والقاف . إنتظرته : او نظرت اليه كما في القاموس ، ربوت : بمهملة فموحدة . ربيت : أي نشأت بينهم .

(٤) مقوت : بالقاف وتاء الخطاب . جالياً : أي صقلته . مسوت بالمهملة ، يقال : مسوت على الناقة ومسيتها إذا أدخلت يدك في حيائها فنقيته وكذلك الفرس .

(٥) عروته : بمهملتين . أتيته : طالبا معروفة . نأوت : بالنون .

(٦) غفوت : بمعجمة ففاء . في انوم : اي جاء بمعنى نمت ونعست . نضوت : بنون فمعجمة .

(٧) عينه : اي صبت دموعها هميا وهميا وهميانا ، بهما : اي بالياء والواو . رأيت : أي في صحاح الكتب .

(تَطْفو) علـى الماء وقـل (طَفَيتُ)
(قَنَوتُـهُ) اتخذتُـه (قَنَيـتُ) (١)

(رَطَيتَهـا) جامعتَهـا (رَطَـوتـا)
(غَشَيتُـهُ) أتيتُـه (غَشَوْتَـا) (٢)

(زَقَـوتَ) يا ديك كـذا (زَقَيتَـا)
(هَذَوتَ) في الكـلام أي (هَذَيتَـا) (٣)

(يَنمو) و (يَنمي) زادَ ، قل (أسـيتُ)
(أسـوتُ) أي فـي صلحهم سـعيتُ (٤)

(حَفَوتُ) بِابْني مُشفِقاً (حَفَيـتُ)
(ضَحَوتُ) للشمس كـذا (ضَحَيْتُ) (٥)

(جنوتَ) في جنـاية (جَنَيتَـا)
كمـا أتى (دَنَوتَ) في (دَنَيتَا) (٦)

(عَنْواً) و (عَنْـياً) أرضُنا إذ أنبتـت
واللهُ (يَطحو) الارضَ (يَطْحيها) ثبت (٧)

---

(١) وقل : أي إن شئت قل : طفيت ، وليس في القاموس غير الواو. قنوته : بالقاف والنون .

(٢) رطيتها : بمهملتين وتاء خطاب . غشيته : بغين معجمة .

(٣) زقوت : بمعجمة فقاف . يا ديك : اي صحت زقاء . هذوت : بذال معجمة .

(٤) ينمو : يقـال : نما ينمو نمواً . ينمى : يقـال : نمى ينمى نمياً ونمية وأنمى ونمى أي زاد . أسيت : بسين مهملة ، وفي القاموس والصحاح ليس الا الواو .

(٥) حفوت : بالفا والحاء المهملة . بابني مشفقاً : أي بالغت في اكرامه . ضحوت : بمعجمة فمهملة للشمس : اي برزت لها .

(٦) جنوت : بجيم فنون وتاء خطاب. في جناية جنيتا : اي في قولك : جناية بالنصب مصدر جنيتا وليس في القاموس كالصحاح غير الياء .

(٧) عنوا : بمهملة فنون ، تقول : عنت الارض عنوا وعنيا إذا انبتت .
يطحو الارض : اي يبسطها .

(يَخفُو) و (يَخفى) البرق في الغيم أضا
إضـــاءة ضعيفـــة مـعترضـــاً [1]

(يَلغَى) و (يَلغو) في الكلام ، وطَمــا
إذا علا (يَطْمُو) (ويَطمي) عُلما [2]

(ضَبْواً) و (ضَبْياً) غيرتــه النـــار او
شمسٌ ، وفي (تَذْرُو) الرياحُ ذا حكوا [3]

(تَسْنَى) كترضى نوقُـــهُ (تَسْنُو) لَـهْ
(عَجْواً) و(عَجياً) أرضعت في مُهلَهْ [4]

نقلـــت مـــن منظومـــة ابـــن مالك
من كامل البحور هَـــدْي السالك [5]

أوردهـا الحِبْـــرُ إمـــام أعْـــــصُرِهْ
أعنى السـيوطيّ الفتـــى في مُـزْهِرِهْ [6]

---

(١) يخفو : بمعجمة ففاء معترضا : اي في نواحي الغيم ، فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض .
(٢) يلغو في الكلام : اي أخطأ . طما : اي طما الماء اذا علا. علما : وهما في القاموس والصحاح .
(٣) ضبوا وضبيا : يقال : ضبته النار ضبوا وضبيا غيرته وشوته . ذا : اي الوجهين الواو والياء . حكوا : كما هو في الصحاح ، وفي القاموس ليس الا الواو .
(٤) تسنى : بمهملة فنون . نوقه : أي سقى عليها . تسنو له : أي تسقى الارض .
عجوا : بمهملة فجيم .
(٥) من كامل البحور : أولها .
قل إن نسيت (عزوته) و (عزيته)
و (كنوت) زيداً كنية و (كنيته)
هدي المسالك : مصدر هداه أي أرشده ، نعت ثان للمنظومة .
(٦) الحبر : بفتح المهملة وكسرها كما في القاموس العالم . أعصره : جمع عصر ، وجمعه باعتبار اليوم والليلة لانه يطلق على الدهر واليوم والليلة . في مزهره : كتاب له في نوادر اللغة وقد ابدع فيه.

لكـــن رأيـــت اســـهلَ البحـــــور
للحفـــظ بحـــرَ الرجَـــزِ المشـــهور [1]
ثُمـــةَ فـــي القامـــوس قـــد وجـــدتُ
أفعـــالاً اخرى هھنـــــا أوردتُ [2]
(ثفوتُـــهُ) تبعتـــــه (ثَفَيتُـــــهُ)
(سَنَوتُـــه) فتحتـــه (سَـــنيتُهُ) [3]
(ذأوتُ) إبـــلي سُـــقتُها (ذأيتهَـــا)
(رَحوتَ) لي تلك الرحـــى (رَحَيتَها) [4]
و (عَذُوَتْ) و (عَذِيَتْ) أرضي، عـــلا
(يَعْلُو) و (يَعْلَى) ك (فثا) (عسا)انجلى [5]
(نَفَوتُـــه) نحيتُـــــه (نفيتُـــهُ)
(مَتَوتُـــهُ) مـــددتـــه (مَتَيتُـــهُ) [6]

---

(١) لكن : إعتذار من نقل تلك المنظومة التي هي من بحر الكامل – الى الرجز . رأيت أسهل البحور الخ : لهذا ترى اكثر المناظيم في العلوم منه .

(٢) ثمة : بضم المثلثة ، والتاء فيه للتأنيث اللفظي كالتي في (لات) و (ربت) ولا رابع لهما في الحروف . أفعالا : مثل الافعال المذكورة .

(٣) ثفوته : بمثلثة ففاء اي تبعته . سنوته : بمهملة فنون اي سنوت الباب بمعنى فتحته .

(٤) ذأوت : بمعجمة . رحوت : بتاء الخطاب . وهي : بالفتح ، أي عملتها أو ادرتها .

(٥) عذو : كسرو . عذي : كرضي . عذوت وعذيت أرضي : أي طابت . يعلو ويعلى : بالواو والياء . كفثا : يقال فثا السيل المرتفع بمعجمة فمثلثة يفثو جمع بعضه على بعض واذهب حلا وته كفثي يفثى . وعسا : النبات بمهملتين عساً وعسواً غلظ ويبس كعسى يعسى عسا ومنه قول الشاعر :

لولا الحياء وان رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت ام القاسم

إنجلى : متعلق كفثا .

(٦) نفوته : بنون ففاء اي نحيته بنون فمهملة من التنحية بمعنى الابعاد . متوته : بمثناة فوق اي الحبل بمعنى مددته .

(طَغِي) زيد ، و (طَغا يطغو) أتــــى
. (دَعَيتَ) فــي (دَعَوْتَ) جاء مُثْبِتَا[1]

وَخِذَيتْ (تخذى) كترضى الأُذُنُ
أي ارْتَخَتْ بالواو واليــا بَيَّنــوا[2]

(يَكرَو) و (يَكْرَى) في كرى أي لعبا .
بالكُرةِ الوجهان أيضــاً كُتِبــا[3]

(يَرْدَى) و (يَرْدو) فرســي للراجــم .
فــي عــدوه المضمارَ بــالقــوائــم[4]

(يَأْزو) و (يأزى) الظــل أي تَقَلَّصَا
(هَرَوتُــه) (هَرَيْتُــه) أي بالعصا[5]

ضربتــه ، (دَســيتُ) في (دَسَوتــا) .
نقيض معنــى قولهــم زكوتــا[6]

(فَلَوتُــه) بالســيف في (فَلَيتُــهُ) .
(لَخَوتُــهُ) ســعطته (لخيتُــهُ)[7]

---

(١) طغي زيد : كرضي جاوز القدر .

(٢) في القاموس خذا يخذو خذوا إسترخى وخذيت أذنه كرضى استرخت من أصلها وانكسرت مقبلة على الوجه .

(٣) بالكرة : وهي كثبة ما أدرت من شيءْ .

(٤) يردى : بمهملتين ، يردو فرسى للراجم : اي يقال هذا للفرس الذي يرجم في عدوه المضمار بالقوائم ، عبارة القاموس ردى الفرس رديا ورديانا : رجمت الارض بحوافرها .

(٥) يأزى : بالمعجمة كيرمى . هروته : بالمهملة .

(٦) دسيت : بمهملتين بتاء الخطاب . في دسوتا : أي جاء في دسوتا . زكوتا : إذا زاد و نما .

(٧) فلوته : بالفاء . لخوته : بالمعجمة . سعطته . بمهملات .

(ثَدِيَ) يعنى ابْتَلَّ قل (ثَداهُ)
أي بَلّه (يثدو) بكلٍ فاهوا [١]

كذا (أبوتُ) جاء في (أبيتُ)
تَعني بهذين أباً غدوتُ [٢]

وقل عَثا (يَعْثو) و (يَعثى) أفسدا
(يَنْغو) و (يَنغى) في تكلم بدا [٣]

و (غَسِيَ) الليلُ أتى يائيّا
كما (غَسى) الليلُ أتى واويّا [٤]

(عَتَا) (عَكَا) إزارَهُ (عَنَاهُ)
(يَعقو) و (يَعقى) جاء في (عَقاهُ) [٥]

(تَلَوتُهُ) تبعتُهُ (تَليتُ)
(بَأوتُ) أي فخرت في (بأيتُ) [٦]

ولحمه (خَظَا) بمعنى كثرا
ولحمه (خَظِيَ) مثله جرى [٧]

---

(١) ثدي : كرضى بمثلثة فمهملة يثدى ، وإن شئت قل : ثداه كدعاه يثدو لان العرب بكل فاهوا اي نطقوا .

(٢) أبوت : بموحدة . أباً غدوت : اي صرت أبا .

(٣) عثا : بمهملة فمثلثة . ينغو : بنون فمعجمة . وينغى في تكلم بدا : يقال نغا كرمى تكلم بكلام يفهم كأنغى .

(٤) غسي : بمعجمة فمهملة كرضى اي أظلم .

(٥) عتا : بمهملة ومثناة فوق عتواً وعتيا إستكبر وعتا يعتى . عكا : بمهملة ازاره اي أعظم معقده يعكو ويعكى . عناه : بمهملة فنون الأمر يعنيه ويعنوه عناية أهمه ، يعقو ويعقى : بمهملة فقاف . جاء : اي كل منهما في عقاه أي الأمر اذا كرهه .

(٦) تلوته : بمثناة فوق . بأوت : بموحدة كسعى ودعا . اي فخرت : بخاء معجمة ونفسى رفعتها والناقة جهدت في عدوها وتسامت وتعالت .

(٧) خظا : بمعجمتين . خظي : كرضى . جرى : اي على السنة العرب ، والمماثلة في أصل الجريان والإ فالاول أشهر وأكثر دورانا ، حتى ان الثاني لم يذكره الجوهري في صحاحه .

(جَثَا) عــلى ركبتــه أي قعـــــدا
(يَجثُو) (لَيَجثى) فيــه أيضاً وردا [1]

يقــال (يَحْذُو) اللبــنُ اللســانــا
يقرصــه (يَحذِيــه) أيضاً جــانــا [2]

فهاك نظمــاً فــي انســجام نثــر
يــكاد كالمـــاء الــزلال يــجــري

ولا يَكُفَّنــك كَــفُّ الحَسَــــدِ
عــن حفــظ ما في ضِمْنِــهِ واجْتهِدِ

فَــرُبَّ نظــم لى يُقَــلى فــي المــلا
من حسد العصر ويُتْلَــى في الخَــلا [3]

فالحمــد للــه عـــلى الاتمــــام
بعونــــه وحســــن الاختــتــام

* * *

(١) جثا : بجيم فمثلثة .

(٢) يحذو : بمهملة فمعجمة . اللبن اللسانا : من شدة حموضته . جانا : اي اتانا من العرب .

(٣) ولله در من قال ، واجاد في المقال :

ان الفتى ينكر فضل الفتى　　خبثا ولؤما فاذا ما ذهب
أحوجه الدهــر الى نكتــة　　يكتبها عنــه بماء الذهب

ولقد أحسن من قال :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئا　　ويرى للأوائــل التقديما
إن هذا القــديم كان حــديثا　　وسيبقى هذا الحديث قديما

النَّبَاتُ في المعجمات العربيّة

الشيخ محمد حسن آل ياسين

(عضو المجمع)

(القسم الثاني)

(حرف الحاء)

النّبات :

التفّاحُ	:	شجر رِيفيٌّ معروف ، طيِّب الرِّيح ، وهو ببلاد العرب كثير .
الحَنْجَحُ	:	بقلة تنبُت نِبْتَة الجَزَر ، وكثير من العرب يُسَمِّيه : الحِنْزَابَ .
الحَوْحُ	:	البِطِّيخ الشاميُّ .
الذِّبَحُ	:	ضَرْبٌ من الكَمْأة بِيْضٌ ، ويقال له الذُّبَحُ ايضاً .
الذُّبَحُ	:	نبتٌ له نَوْرٌ أحمر ، وشجرته تنبت على ساقٍ نَبْتَ الكُرّاث ثم يكون لها زهرة صفراء ، وله أصل يُقْشَرَ عنه قِشْرٌ أسْوَدُ فيخرج أبْيَض كأنّه جزَرَة (خَرَزَة) بيضاء ، حلُو طيِّب يُؤْكَل .

الذُّبَحُ	:	الجَزَرُ البَريُّ ، وله لونٌ (لعله : نورٌ) أحمر. وأظنه الذُّبَحَ المتقدم الذكر .
الذُّبَاحُ	:	نبت من السُّموم يقتُل آكِلَه .
الذَّرَحُ	:	شجر تُتَّخَذ منه الرِّحالةُ للابل .
زُبٌّ رُبّاح	:	ضَرْبٌ من تمور البصرة .
الرَّشِيْحُ	:	نبــتٌ . وقيل : هو ما على وَجْه الأرض من النبات وليس نبتاً معيناً .
المُرَنَّحُ	:	ضَرْبٌ من العُوْد يُجَمَّر به ، وهو من أجْوَدِه.
راحَةُ الكَلْب	:	وتُسَمّى كَفَّ الكَلْب (يراجع تركيب ك ل ب).
الرَّيْحَانُ	:	نَبْتٌ طيب الرائحة ، من انواع المَشْمُوم .
سُحٌّ عُرَيْفِجانَ	:	ضَرْبٌ من التَّمْر ، من أجْوَدِه .
السَّرْحُ	:	شجر كبار عظام طوالٌ في السَّماء ، لا يُرْعى ، وقد تكون شجرتُه دَوْحَةً مِحْلالاً واسعةً يحُلُّ تحتهــا النّاسُ في الصَّيف ويَبْنُونَ تحتهــا البُيوتَ ؛ وظِلُّها صالحٌ ، وتكون منه العَشّةُ القليلةُ الوَرَق القليلةُ الفُروع ، والسَّرْحَةُ دون الأثْل في الطُّول ، ووَرَقُها صغار ، ولها ثَمَرٌ أصفر ، وهي سَبْطَةُ الأفْنان فيهاغُبْرَة ، تنبُت بنَجْدٍ في الغَلْظ والسَّهْل ، وهي مائلة النبتة ابداً ، ومَيْلُها من بين جميع الشجر في شِقِّ اليَمين . وادَّعى بعضهم ان للسَّرْح عِنَباً يُسَمى الألاءَ (الآءَ) يأْكُله الناسُ ويَرْتَبُّون

منه الرُّبَّ ، وله اول شيءٍ بَرَمَةٌ يخرج فيها هذا العنب وهو يُشْبِه الزَّيْتُونَ . وأنكر بعضهم ذلك وقال : ليس السَّرْحُ من الألاء في شيء .

السُّطّاحُ : بَقْلٌ أو شجر سُهْليٌّ . ينبت في الدِّيار في أعطان المياه مُتَسَطِّحاً ، وليست فيه منفعةٌ ، وقيل : بل تَرْعاه الماشيةُ ويُغْسَل بورَقِه الرؤوس . وقيل : هو عِنَبُ الثَّعْلَب .

السُّلَّحُ : من شجر الشَّوْك ، وليس بعِضّ ولا عِضَاه .

الإسْلِيحُ : نبتٌ سُهْليٌّ ، من احرار النبت وذُكور البَقْل، طوال القَصَب ، في لَوْنه صُفرة ، ينبُتظاهراً، وله ورقة دقيقة لطيفة وسنِفَةٌ مَحْشُوَّةٌ حَبّاً كحبِّ الخشْخاشِ ، وهو من نَبات مَطَر الصَّيْف ، تأْكُلُه الإبلُ ، يُسْلِح الماشِيَةَ، وتَكْثُر عليه الألبانُ .

الشَّفَلَّحُ : شجرة لساقِها اربعةُ أحْرُفٍ ، إنْ شِئْتَ ذبحتَ بكل حَرْفٍ شاةً ، ولها ثَمَرَةٌ كرَأْس زِنْجي .

الشُّقّاحُ : نَبْتُ الكَبَر .

الشِّيحُ : نبت سُهْليٌّ ، من احرار النبت ، له هَدَبٌ ورائحة طيبة وطَعْمٌ مرٌ ، يُتَّخَذ من بعضه المكانِسُ ، وهو مَرْعىً للخَيْل والنَّعَم ، ومَنابته القِيعانُ والرِّياضُ .

الصَّدَحُ : ثَمَرَةٌ أشَدُّ حُمْرَةً من العُنّاب وأنْشَزُ منه قليلاً ، وحُمْرَتُه تَضْربُ الى السَّوَاد .

الصَّيْحَانيُّ	:	ضَرْبٌ من تَمْر المدينة ، أسْوَدُ ، صُلْبُ المَمْضَغَة .
الطَّلْحُ	:	شجرةٌ طويلة حجازية يُسَمِّيها العامةُ أُمّ غَيْلان . وهو أعْظَمُ العِضَاهِ وأكْثَرُه وَرَقاً وأشَدُّه خُضْرَةً ، وله شَوْكٌ ضخام طوال أحْجَنُ مثل سُلاّء النَّخْل ، وهو من أقَلِّ الشَّوْكِ أذىً ، وليس لشَوْكَتِه حَرارةٌ في الرِّجْل ، وله بَرَمَةٌ صفراء طيِّبة الرِّيح تَصِير حَبلة ، وفيها حبّة خضراء تُؤْكل فيها شيىءٌ من مَرارة . وليس في العِضاه أكثر صمغاً من الطَّلْح ولا أضخم ، ولا ينبُت الاّ في أرض غليظة شَديدة خِصبة . وللطَّلْح اغصان طوال عظام ، ولشجرته ساق عظيمة لا تلتَقي عليها يَدا الرَّجُل ، ولها ظِلٌ يَسْتظِلُ به الناس والابل . ولِحاؤه حُلو جداً ، فيُلْتَحى ثم يُمْضَغ ويُمْتَصّ ، وله ايضاً رائحة طيِّبة تطيِّب النَّكْهَة . ويظهر في عِيدان الطَّلْح شيىءٌ شَبيهٌ بالصَّمغ وليس بصَمْغ ، لازِقٌ بالعُود ، فيُقْلَع منه فيُوجَد في جَوْفه شيىءٌ أحمر مثل الدَّم ، ثم يُطْرَح ، ثم يُغْسَل بالماء ويُمْضَغ ، فيكون كأجْوَد اللُّبَان وأشَدّه بياضاً . والطَّلْحُ من خير الشجر لاتِّخاذ الحِبال . ويُسَمّى ثَمَرُ الطَّلْح العُلَّفَ .

الطِّلاَحُ : نبتٌ .

الفُرْحانَةُ : الكَمْأة البيضاء . ولعلّها الآتية الذكر في تركيب ق ر ح .

الفُقّاح : عُشْبَةٌ نحو الأُقْحُوان في النبات والمَنبت ، وهي أشَدُّ انْضِمامَ زهرةٍ من الأُقحوان ،ويلزَق بها الترابُ كما يلزق بالتَّرِبَة والحَمَصِيص . ومنابتها الرَّمْلُ .

الفَيْلَحانيُّ : ضَرْبٌ من التِّين أسْوَد مُدَوَّرٌ شديد السّواد ، يلي الطُّبّارَ في الكِبَر ، وهو يتفلّع اذا بَلَغَ ، ويابِسُه جَيِّد .

القُرْحَانُ : ضَرْبٌ من الكَمْأة ، بِيْض صغار ، ذواتُ رؤوسٍ كرؤوس الفُطْر .

القُرْزُحَةُ : شجيرة جَعْدَة لها حَبٌّ أسْوَد .

القُرْزُحَةُ : بقلة ، وربما كانت هي السابقة الذكر .

المُقَزَّحُ : شجر يُشْبِه التِّين ، من غريب شجر البَرِّ ، له اغصان قِصَارٌ في رؤوسها مثلُ بُرْثُن الكَلْب .

القَفَحُ : بقلة شهباء لها وَرَقٌ عِراض .

القُمّحَانُ : قيل هو الزَّعفران . وقيل : هو الوَرْسُ . ويقال له القُمْحَة والقُمُّحَان ايضاً .

الكُتَّيْحُ : اسْمُ نبتٍ .

اللفّاحُ : نبتٌ يَقْطِيْنيٌّ أصفرُ يُشْبِه الباذنجانَ ،طيِّب الرائحة .

المُلاّحُ : نبتٌ من احرار النبات ، مثلُ القُلاّم ، فيه حُمْرة ، يُطبَخ ويُؤْكل مع اللّبَن ، وله حَبٌّ يُجْمَع كما يُجْمَع الفَثُّ ويُخْبَز فيُؤْكل ، وسُمّي المُلاّحَ لطَعْمِه كأنّ فيه من حرارَتِه مِلْحاً . ومَنابته القِيْعانُ .

المُلاّحيُّ : عِنب ابيض في حَبّه طُول ، ويقال له المُلاَحيُّ ايضاً .

المُلاحِيُّ : ضَرْبٌ من التّين صغار ، أمْلَحُ ، صادِقُ الحَلاوَة ، يُزَبّب .

الإنْفَحَةُ : شجرٌ كالباذنجان .

ما يتعلّق بالنبات :

اليَبْرُوْحُ : أصْلُ اللُّفّاح البَرّيّ المعروف بعُوْد الصّليب ، يُتَداوى به .

البَقِيْحُ : قيل هو البَلَحُ .

البَلَحُ : حَمْلُ النّخْل ما دام أخْضَرَ صغاراً كحِصْرِم العِنب .

الباحَةُ : النخل الكثير .

الجُحُّ : كل شجرٍ انْبَسَط على الأرض .

الجُحُّ : الحَدَجُ وهو صِغار البِطّيخ والحَنْظَل قبل النُّضْج .

جُلِحَتِ الشجرةُ : أُكِلَتْ فروعُها فرُدَّتْ الى الأصل ، ونباتٌ مَجْلُوحٌ : أُكِلَ ثم نَبَتَ .

الجالِحَةُ : ما تَطايَرَ من رؤوس النبات والقَصَب والبَرْديّ في الرِّيح شِبْهَ القُطْن .

المِجْلاحُ : النخلة التي لا تُبالي القُحوط .

الجَماميحُ : رؤوسُ الحَليّ والصِّلِّيان ونحو ذلك مما يخرج على اطرافه شِبْهُ السُّنْبل غير انّه لَيِّنٌ كأذناب الثعالب .

الدَّوْحَةُ : الشجرة العظيمة المُفْتَرِشة ذات الفروع الممتدَّة ؛ من أيّ الشجر كانتْ .

المَراجيحُ : النّخيل اذا كانت مَواقِير مُثْقَلَة بحَمْلها .

الرَّداحُ : الدَّوْحَة الواسِعة العظيمة .

المِرْزَحُ : الخَشَبُ يُرْفَع به الكَرْمُ عن الأرض .

اسْتَرْشَحَ البُهْمى : عَلا وارتفع .

رِماحُ البُهْمى : شَوْكُها وسَفاها اليابس .

راحَ الشَّجَرُ : اذا تَجَدَّد له وَرَقٌ رَطب وخِطْرة رطبة كمَشْرة الربيع في دُبُر القَيْظ وبَرْد الليل . وكذلك أرْوَحَ وتَرَوَّحَ .

المِرْوَحُ : الآلة التي يُذَرّى بها الطّعامُ في الرِّيح . وكذلك المِرْوَاحُ .

المَرُوْحَةُ : الشجرة إنْ طَرَحَها رِيْحٌ ؛ أو أصابها ريح فَحَتَّ وَرَقَها ، ويقال لها المَرِيْحَة ايضاً .

الرِّيْحَةُ : من الخِلْفَة ، وهو النبات الذي ينبت أو يتجدَّد وَرَقُه في دُبُر القَيْظ اذا أحَسَّ بانكِسار الحَرّ وبَرْد الليل حين يطلع سُهَيْل .

الرَّيِّحَةُ : من العِضاه والنَّصِيِّ والعِمْقى والعَلْقى والحِلْب والرخامى ، وهو أنْ يَظْهَرَ النبتُ في أُصوله التي بقيتْ من عام أوَّل .

الرَّيْحانُ : ما طابَ رِيْحُه من النبات كلِّه سُهْليِّه وجَبَليِّه

الرَّيْحانُ : اطراف كلِّ بَقْلةٍ طيبة الرِّيح اذا خرَجَ عليها اوائلُ النَّوْر .

السَّحُّ : التمْرُ الذي لم يُنْضَح بماء ولم يُجْمَع في وعاء ولم يُكْنَز ؛ وهو مَنْثُور على وَجْه الأرض ، لغة يمانيَة ، ويقال له السَّحُّ ايضاً .

السَّرْحُ : كل شجرٍ لا شَوْك فيه .

المَسْرَحانِ : خَشَبَتانِ تُشَدّانِ في عُنُق الثّور الذي يُحْرَثُ به .

السِّرْداحُ : جماعة الطَّلْح .

السُّطّاحُ : ما افْتَرَشَ من النبات ولم يَسْمُ .

المَسْطَحُ : مكانٌ مُسْتَوٍ يُبْسَط عليه التمْرُ اذا صُرِمَ ويُجَفّف، كما يُسَمّى به الموضعُ الذي يُجْعَل فيه الزَّرْعُ اذا حُصِد .

المِسْطَحُ : الخَشَبَة المُعَرَّضَةُ على دِعامَتَي الكَرْم بالأُطُر ، وذلك انه : اذا عُرِّشَ الكَرْمُ عُمِد الى دَعائم يُحفَر لها في الأرض ، لكل دعامة شُعْبَتانِ ،ثم تُؤْخَذ شُعْبَةٌ فتُعَرَّض على الدِّعامَتَيْن ، وتُسَمّى هذه الخَشَبة المُعَرَّضَة مسْطَحاً ، ويُجْعَل على المَساطِح أُطُرٌ من أدناها الى أقصاها .

الشّفلّحُ	:	ما تَشقّق من باسِح النخل .
الشّفلّحُ	:	ثَمرُ الكَبَرِ اذا تَفتّح ، أو : هو شِبْهُ القِثّاء يكون على الكَبَر .
شَقّحَ النّخْلُ	:	حَسُنَ بأحماله . وقد يستعمل التّشْقيح في غير النّخْل من النبت .
الشُّقْحَةُ	:	البُسْرَة اذا تغيّرتْ الى الحُمرة ، وكذلك الشّقْحَة ويقال أشْقَحَ البُسْرُ : اذا اصفرَّ أو احمرَّ قبل أنْ يَحْلُو .
صَلَحَ العنَبُ	:	أي نضج .
صاحَ الكَرْمُ	:	اذا استَتَمَّ خروجُه من البَنائق وطال وهو غَضّ ، وصاحتِ النخلة والشجرةُ : طالتْ .
الصواحُ	:	الطّلْعُ حين يجِفُّ فيتناثَر .
التّصوُّحُ	:	أنْ يَيْبَس البقل من أعلاه وفيه نُدُوَّة . ويقال تَصوَّحَ النبتُ : اذا يَبِس وتَشقّق .
الطّرُوْحُ	:	النخلة البعيدة الأعلى من الأسفل . وقيل : هي الطّويلة العَراجِين .
الطّيْحُ	:	خَشَبَةَ الفَدّان التي في أصله .
الفتْحُ	:	ثَمرٌ للنّبْع يشبِه الحَبّة الخضراء إلاّ انه أحمر حلو مُدَحْرَج يأكله الناسُ .
أفْضَحَ البُسْرُ	:	اذا بَدَت الحُمرة فيه . وأفْضَحَ النّخْلُ : احمرَّ واصفرَّ .
فَطَحَ النّخْلُ	:	لَقِحَ ، وفُطِّحَ : أي لُقِّحَ .

الفُقّاحُ : زَهر جميع النبات حين يتفتّح . وفَقّحَ النباتُ : انشقّتْ عيونُه وبَدَتْ اطرافُ ورقِه .

الفُقّاحُ : نَوْرُ الإذْخِرِ ، وهو من العِطر ، وقد يُجْعَل في الدَّواء .

الفَلْحُ : الحَرْثُ وتشقيق الأرض للزَّرْع ،وكذلك الفِلاحَة

الفَلِيْحَةُ : سَنِفَةُ المَرْخ اذا انشقّتْ ، وتُرْوى الفَليجَة بالجيم .

القُحُ : البِطِّيخة التي لم تَنْضَج ، وقيل : هو تصحيف الفَجِّ .

القَدْحُ : أكالٌ يَقَع في الشجر ، وكذلك القادِحُ .

القَدّاحُ : نُوّارُ النبات والشجر قبل أنْ يتفتّح . وقيل : هو اطراف النبات من الورق الغَضّ .

القِرْواحُ : النخلة الطويلة التي امْلاسّتْ وذَهَبَ كَرَبُها فلم يَبْقَ عليها شيٌ منه .

التّقْرِيْحُ : اول شيىءٍ يخرج من البقل الذي ينبت في الحَبِّ وهو ظُهور عُودِه ، وقيل : لا يُقَرِّح البقلُ إلاّ من قدر الذراع من ماء المطر فما زاد .

القِزْحُ : بزر البَصَل ، شاميّة .

التّقْزِيْحُ : شيىءٌ على رَأسِ نبتٍ او شجرة يتشعّب شُعَباً كبُرْثُن الكَلْب .

تَقْزِيْحُ العَرْفَج : اول نباته .

القَمْحُ : البُرُّ اذا جَرى الدَّقيقُ في السُّنبل ، وقيل : هو من لَدُن الإنْضاج الى الاكْتِناز .

القُنّاحَةُ	:	الحَشَبَةَ التي يُشَدُّ بها عِيانُها وهو الطَّرَف من حَديدٍ الذي يجمع السِّنّةَ من الفَدّان في السِّلْب .
أكْمَحَ الكَرْمُ	:	اذا تحرَّك للايراق . وأكْمَحَت الزَّمَعَةُ : اذا ما ابيضَّتْ وخرج عليها مثلُ القُطْن ، والزَّمَعُ: الأُبَنُ في مَخارج العَناقِيد .
اللّفّاحُ	:	ثَمَرَةُ اليَبْرُوْح .
اللّقاحُ	:	طَلْعُ الفُحّال الذي تُلْقَح به النخلة . واستَلْقَحَت النخلةُ : آنَ لها أنْ تُلْقَحَ .
اللّقحُ	:	اسْمُ ما أُخِذ من الفُحّال لِيُدَسَّ في الآخَر.
التّلْقِيْحُ	:	أن يَدَعَ الكافورَ وهو وِعاء طَلْع النخل ؛ ليلتَيْن او ثلاثاً بعد انْفِلاقه ، ثم يأخُذ شِمْراخاً من الفُحّال ، وأجْوَدُه ما عَتُقَ وكان من عام اوَّل ، فيدسُّون ذلك الشِّمْراخ في جوف الطّلْعَة وذلك بقَدَرٍ ، ولا يفعل ذلك إلاّ رَجُلٌ عالم بما يفعل ، لأنّه إنْ كانجاهلا فأكْثَرَ منه أحْرَق الكافورَ فأفْسَدَه ، وإنْ أقَلَّ منه صار الكافورُ كثير الصِّيصاء أي ما لا نَوى لـه .
المَذَحُ :	:	عَسَلُ جُلّنار المَظِّ ، وهو الرُّمّان البَرِّيُّ .
مَرِحَ الزَّرْعُ	:	خرَجَ سُنْبُلُه .
كَرْمٌ مُمَرَّحٌ	:	مُعَرَّشٌ سُنِّدَتْ قُضْبانُه .
المِرْحَةُ	:	الأنْبار من الزَّبيب وغيره ، وهو المَحَلُّ الذي يُخْزَن فيه ذلك .

المَزْحُ : السُّنبل .
الإمْزَاحُ : تَعْريش الكَرْم .
مَزَّحَ العِنَبُ : لَوَّنَ ، وكذلك السُّنْبل .
مَزَّحَ الكَرْمُ : أثْمَرَ ، وقيل صوابه الجيم .
مَصَحَ الزَّهرُ : وَلّى لَوْنُه ، ومَصَحَ النبتُ : وَلّى لَوْنُ زهرِه .
امْلاحَّ النّخْلُ : تَلَوّنَ بُسْرُه بحُمْرَة وصُفرة .
شجرةٌ مَلْحَاءُ : سَقَط ورقُها وبقِيَتْ عِيدانها خُضراً .
المُلاّحُ : عُنْقُود الكَبَاثِ من الأراك ، سُمِّي بذلك لطَعْمِه .
المُلاّحِيُّ : العِنَبُ اذا أرَقَّ ابيضُه وتشكّل أسودُه . والمُلاّحِي من الأرَاكِ : ما فيه بَيَاض وحُمرة وشُهبة .
المِيْحُ : الشِّيْص من النّخل وهو الرَّديءُ منه .
النّتُوْحُ : صُموغ الأشجار .
النسَاحُ : ما تَحاتَّ عن التّمر من قِشرة وفُتَاتُ أقماعِه ونحو ذلك مما يبقى في أسفل الوِعاء ، ويقال له النّسْح ايضاً .
نَضَحَ الشّجَرَ : اذا تفتّح للايراق .
نَضَحَ السُّنْبُلُ : ابتدأ الدَّقيقُ في حَبِّه وهو رطبٌ ، ومثلُه أنْضَحَ ايضاً .
تَنْقِيْحُ الجِذْعِ : تَشْذيبُه من اللِّيْف .
النّيْحُ : تمايُلُ الغُصْنِ ، كالنّيَحان .
وَضَحُ الطّرِيفَةِ : صِغار الكَلأ .

الأوْضاحُ : بَقايا الحَلِيِّ والصِّلِّيانِ اذا يبس ، سُمِّيَ بذلك لبَياضِه .

(حرف الخاء)

النّبات :

البَيْذَخُ : نخلةٌ معروفة .

البِطِّيْخُ : اليَقْطِيْنُ الذي لا يَعْلُو ولكنْ يَذْهَب حِبالاً على وَجْه الأرض . ويُسمّى البِطِّيخ أول ما يخرُج قَعْسَرَاً ، ثم يكون خَضَفاً اكبر من ذلك ، ثم يكون قُحّاً ، والحَدَجُ يجمعه ، ثم يكون بِطِّيخاً وطِبِّيْخاً .

البَلْخُ : شجر السِّنْدِيان ، وهو الشجر الذي تُقْطَع منه كُذِيْناتٌ (كُدينات) القَصّارين ،ويقال له البُلاّخ ايضاً .

البَلَخِيّةُ : شجر يعظُم كشجر الرُّمّان ، له زَهرٌ حَسَن .

الخَوْخُ : معروف ، ويُسَمّى الفِرْسِكَ ايضاً ، وهو ضَرْبان : ضَرْبٌ منه أزْغَبُ يسمى الشّعْرَاءَ، وضَرْبٌ آخَر فيه حُمرة يسمِّيه قومٌ : اللُّفّاح وأهل الشام يسمون الخَوْخَ الدُّرّاقِنَ .

الدّخُ : قيل : هو نبت يكون بين البَساتين .

الذَّمَخُ : ثمرة شجرةٍ تُشْبِه التِّين ، ويقال له الذِّمَخُ ايضاً .

الرُّخُّ : نبات ليِّن هَشٌ ، ويقال له الرَّخاخُ ايضاً .

الاسْفاناخُ : نبات معروف ، معرَّب .

الإسْلِيخُ : نبـات .
السّاخةُ : لغةٌ في السّخَاة وهي البقلة الرِّبيْعيّة .
الشّيْخُ : شجرةٌ منبتها الرياض، ويقال لها شجرة الشُّيوخ، وثمَرتها جِرْوٌ كجِرْو الخِرِّيْع . وهي شجرة العُصْفُر .
الشِّيْخَةُ : نبتة ، سُمِّيت بذلك لبَياضها .
الطِّبِّيْخُ : هو البِطِّيخ بلغة اهل الحِجاز .
الطّرْخُوْنُ : نباتٌ ، معرَّبٌ .
الطِّمْخُ : شجرٌ يُدْبَغ به، يَجيءُ أديمُه أحمر ، ويقال له العِرْنَةُ ايضاً .
الظِّمَخُ : شجرٌ على صورَة الدُّلْب ، يُقْطَع منه خَشَب القَصّارين التي تُدْفَن . ويُسَمّى العِرْنَ ايضاً . ويُقال : هو شجر السُّمّاق . وقيل فيه الظِّمْخ بسكون الميم ايضاً .
الظِّمَخُ : شجرة التِّين ، في لغة طَيِّىء .
العُهْعُخُ : شجرةٌ يُتَداوى بها وبورَقها . وقيل : هي الخُعْخُعُ .
الفِرْضاخُ : ضَرْبٌ من الشجر .
وقيل : هو النخلة الفَتِيّة .
الفَرْفَخُ : البقلة الحمقاء ، وتُسَمّى الرِّجْلَةَ .
قَنْفَخُ : ضَرْبٌ من النّبت .
الكَشْمَخَةُ : بقلة تكون في رِمال بني سَعْد ، تُؤْكَل ، طيبةٌ رَخْصَةٌ . وقيل : هي المُلاّحُ .
ويقال فيها الكُشْمَخَة ايضاً .

الكُشْماخُ : المُلاحُ في لغة اهل البصرة ، ويُظَنّ ان الكلمة نبطيةٌ ، ويُعنى بها الكَشْمَخَة السالفة الذكر.

اللّبَخَةُ : شجرة عظيمة مثل الدُلْب ، من شجر الجبال ، وَرَقُها شبيه بورق الجَوْز ، وثَمَرُها أخْضَر كالتّمْر حُلْوٌ جداً لكنّه كَرِيْه ، وقال بعضهم : هو مُرٌّ كَرِيْه ، واذا أُكِل أعْطَشَ واذا شُرِبَ عليه الماءُ نَفَخَ البَطْن ، وهو – أي الثّمَر – جيِّد لوَجَع الأضراس ، ويُنْشَر خَشَبُها الواحاً يجعلها اصحاب المراكب في بناء السُّفن ، وقيل : اذا ضُمَّ منه لَوْحانِ ضَمّاً شَديداً وجُعِلا في الماء سنةً الْتَحَما فصارا لَوْحاً واحداً . ويقال ان اللّبَخَ لا ينبُت إلاّ بصَعِيد مصر .

المَرْخُ : من العِضاه ، من شجر النّار ، ينفَرِش ويطول في السماء حتى يُسْتَظَلّ فيه ، وليس له ورق ولا شوك ، وعِيْدانه سَابِيَة قُضْبانٌ دقاق طوال خَوّارة ، تنبت في شُعَب وفي خَشَب ، ولها ثمرة كالباقِلاّء مُحَدَّدة الطَّرَف الاّ انها اعْرَض ، ويقال لوِعائه الإعْلِيْط ، فاذا يبستْ فسقط حَبُّها وبقي قِشْرها ذاك فهو سنفها . ومَنْبت المَرْخ الرَّمل ، ومنه يكون الزِّناد لأنه سَريع الوَرْي ، بل ليس في الشجر كلِّه أوْرى زناداً من المَرْخ ، وربما كان

المَرْخُ مجتمِعاً مُلْتَفّاً وهَبّت الريح فحَكَّ بعضُه بعضاً فأوْرى ؛ فاحترق الوادي كلُّه .

الأُمْسُوْخُ : نبات معروف ، قيل : هو مُسَمَّن مُنَقٍّ قابِض .

المُصّاخُ : نباتٌ له قُشور كالبَصَل بعضُها فوق بعض ، كلّما قَشَرْتَ أُمْصُوخَةً ظَهَرَتْ أُخرى ، وقُشورُه نافعة .

الأُمْصُوْخَةُ : ضرب من الثُّمام لا ورق له ، انما هي أنابيب مركّبٌ بعضها في بعض ، كلٌّ انبوبةٍ منها أُمْصُوخة ، اذا اجْتَذَبْتَها خرجتْ من جوف اخرى كأنها عفِاصٌ أُخْرِج من المُكْحُلَة .

الوَرْخُ : شجر يُشْبِه المَرْخَ في نباته ، غير أنّه أغْبَر ، له ورق دقيق مثل ورقِ الطَرْخُون أو أكبر .

ما يتعلّق بالنبات :

ائْتَلَخَ العُشْبُ : عَظُم وطال والتفَّ .

الجَوْخَانُ : الموضع الذي يُجْعَل فيه الزرع اذا حُصِد ، بصريّة ، معرَّبة ، وهو بالعربية : الجَرِيْن والمِسْطَح .

الدَّلُوْخُ : النخلة الكثيرة الحَمْل .

الذِّيْخُ : القِنْو ، وقيل هو بالدال المهملة .

ذَيّخَتِ النّخْلَةُ : اذا لم تَقَبَل الإبَارَ ولم تَعْقِد شيئاً .

الرُّمْخُ : البَلَحُ ، بلُغَة طيِّىءٍ .

الرمْخ : الشجر المجتمِعُ .

الرمْخُ : النّخْلُ اذا أرْطَبَ قبل أنْ يُبْسِر ، يقال أرْمَخَ النخلُ : وذلك اذا سقط البُسْرُ أخضَرَ فنَضِج ، وهو الرُّمْخُ ايضاً .

السّالِخُ : الحَمْضُ اذا سَلَخَ ثم عاد واخْضَرَّ بعدالحَيْج ، وقيل : هو الحَمْضُ لا خُوْصَةَ له .

سَلِيْخُ العَرْفَجِ : ما ضَخُم مــن يَبيسِه . وسَلِيْخَةَ الرِّمْث والعَرْفَج : ما ليس فيه مَرْعىً انما هو خَشَبٌ يابس .

السّلِيْخَةُ : دُهْنُ ثَمَرَ البان قبل أنْ يُرَبّب بأفاويــه الِّطيب ، فاذا رُبِّبَ ثَمَرُه بالمسك والِّطيب ثم اعْتُصِرَ فهو مَنْشُوش .

المِسْلاَخُ : النّخْلَة التي ينتَثِر بُسْرُها وهو أخْضَرُ .

السِّمَاخُ : الثّقب الذي بين الدُّجْرَيْنِ من آلة الفَدّان .

السُّمْلُوْخُ : ما يُنْتَزَع من قُضْبان النّصِيِّ الرَّخْصَة .

شَوادُخِ السّفا : اطرافُــه .

المُشَدَّخُ : البُسْر يُغْمَز حتى ينْشَدِخ ثم يُيَبّس فــي الشِّتاء .

عَجلَةٌ شَدْخَةٌ : رَطْبَة رَخْصَة ، والعَجلَةُ : ضَرْبٌ مــن النبات .

الشُّرُوْخ : العِــضَاه .

الشِّرْبَاخُ : الكَمْأة الفاسِدَة التي قد اسْتَرْخَتْ، ووردت في بعض المعجمات بالياء مكان الباء .

شَمْرَخَ النَّخْلَةَ	:	خرَطَ بُسْرَها أو شَمارِيْخَها بالمِخْلَب .
الشِّمْرَاخُ	:	العِثْكالُ الذي عليه البُسْرُ وأصْلُه في العِذْق، أو الشلعبَة من عُنْقُود العِنَب .
الرِّمْخُ	:	غُصْنٌ دَقيق رَخْصٌ ينبُت في أعلى الغُصْن الغَليظ خَرَجَ في سَنَتِه رَخْصاً .
المُشَنِّخُ	:	النخل الذي نُقِّحَ سُلاّؤه .
نَخْلَةٌ صِرْدَاخٌ	:	صَفيٌّ كَرِيمَة .
الصُّمْلُوْخُ	:	أمْصُوْخُ النَّصِيِّ ؛ وهو ما يُنْتَزَع منه مثل القَضيب . ويقال لما رَقَّ من نبات أصْل النَّصِيِّ والصِّلِّيان : صُمْلُوْخ .
الأفاتِيْخُ	:	هنَوات تخرج في اول الفُقُوع فيحسبها الناسُ كَمْأةً حتى يستخرجوها فيَعْرفوها .
الفَرْخُ	:	الزَّرْعُ اذا تَهَيَّأ للانشقاق بعد ما يطلع ، وقيل: هو اذا صارتْ له اغصانٌ ، وقيل : هو انشِقاق الحَبِّ عن الورقة . وفَرَّخَ النباتُ وأفْرَخَ : اذا تَوالَدَ . وأفْرَخَ الزَّرْعُ : ظَهَرَ .
أفْضَخَ العُنقودُ	:	حانَ وصلح أنْ يُفْتَضَخَ ويُعْتَصَر ما فيه . والمَفاضِخُ : الأواني التي يُنْبَذ فيها الفَضيخُ . والمِفْضَخَةُ : حَجَرٌ يُفْضَخُ به البُسْرُ ويُجَفَّف .
الفَبْخَةُ	:	التِفافُ النبات وكثرتُه .
فَلَخَ النَّبْتُ	:	اشْتَدَّ .
أكْمَخَ الكَرْمُ	:	بَدَتْ زَمَعاتُه وذلك حين يتحرَّك للايراق .

الْتَخَّ العُشْبُ	:	الْتَـفَّ .
أمَخَّ العُوْدُ	:	ابتلَّ وجَرى فيه الماءُ . وأمَخَّ حَبُّ الزَّرْع : جَرى فيه الدَّقيقُ .
المَذْخُ	:	عَسَلٌ يظهر في جُلّنار المَظِّ وهو رُمّانالبَرِّ ويكثر حتى يمتصّه الناسُ وتجرسه النحل . وقيل : هو المَذَخُ بالتحريك .
المَرِخُ	:	النبات اللّيِّن الرَّطب تأخُذُه الماشــية كيف شاءتْ .
المَرِخُ	:	العَرْفَجُ الذي تَظُنُّه يابساً فاذاكَسَرْتَه وَجَدْتَ جَوْفَه رَطباً . ومَرِخَ العَرْفَجُ : طاب ورَقَّ (ورَقُه) وطالتْ عِيدانُه .
الأُمْصُوْخَةُ	:	خُوْصَة الثُّمَام وهي اول نباته الغَضُّ الناعم اذا ظهرتْ عِيدانُه .
الأُمْصُوْخَةُ	:	شَحمة البَرْديِّ البيضاءُ .
النَبْخُ	:	أصْلُ البَرْديِّ ، يُؤْكَل في القَحْط .
الوَثِيْخَةُ	:	ما اخْتَلَطَ من اجناس العُشْب الغَضِّ في الرَّبيع ، ويقال له الوَثيغة ايضاً .
الوَخْوَاخُ	:	الرَّخْوُ من التَمْر . وتَمْرٌ وَخْوَاخٌ : لا حَلاوَةَ له ولا طَعْم .
الوَشْخُ	:	دَوْخَالّة التَمْر .
الوَلَخُ	:	الطّويل من العُشْب . وأوْلَخَ العُشْبُ : طال وعَظُمَ .

(حرف الدال)

النبات	:	
الأبْيَدُ	:	نباتٌ مثل زَرْع الشّعير سَواء، وله سُنْبلة كسُنبلة الدُّخْنَة، فيها حَبٌّ صغار أصغر من الخَرْدَل أُصَيْفِر، وهي مَسْمَنَة للمال جداً وتسمّى في بعض المعجمات : الأُبَيْد .
الأطَدُ	:	العَوْسَجُ . وقيل : عِيدانُه .
البُرْدِيُّ	:	تَمْرٌ جيِّد يُشْبِه البَرْنيَّ، وهو ضَرْبٌ من تَمْر الحِجاز، وأجْوَدُه اليَماميُّ .
البَرْديُّ	:	من الأغلاث، وإكثَرُ منبته الماءُ، وما كان منه في الأرض او الماء فهو ابيض، وما كان فوق ذلك فهو أخضر، ونباته كنَبات النخلة الا انه لا يطول . وله شحمة بيضاءُ تَتَمَصَّخ فتُؤْكَل - والتّمَصُّخُ : نَزْعُ لُبِّهـا - وتُسَمّى : خُرَاطٌ وخُرّاط وخُرَاطى وخُرَّيْطى، ويقال لساقها الأبيض : العُنْقُر ؛ وهي غِلاظ بِيْض كأحْسَن ما شُبِّهَت به سُوقُ النِّساء .
التَّقْدَةُ	:	الكُزْبَرَة والكَرَوْياءُ وهي التَّقْدَة ايضاً .
التِّقْرِدُ	:	الأبْزَارُ كلُّها، أو : الكَرَوْيَاءُ .
التَّوْدُ	:	شَـجَرٌ .
التُّرْمُدُ	:	نبات من الحَمْض، يَسْمُو دون الذِّراع، أغْلَظ من القُلّام . وهي اغصان بلا وَرَق، شديدة الخُضْرَة، اذا تقادَمَتْ سَنَتَيْن غَلُظ

ساقُها وطال فاتَّخذَتْ امشاطاً لجَوْدَتها وصَلابَتها ، تَصْلُبُ حتّى تكادَ تُعْجِزَ الحديدَ ، وتبيَضُّ ويكون طُول ساقِها اذا تقادَمَتْ شبراً . وتسمّى الثُرْمَدَةُ أول ما تنبُت وهي غَضَّةٌ : الجِرْوَةَ .

الإجْرِدُ : نباتٌ ينبت في أصل الكَمْأة ويُسْتَدَلُّ به على مَواضِعها من بطن الأرض ، ويقال انَّ له حبّاً كأنّه الفلفل . ويقال له الإجْرِدُ ايضاً .

الجِسَادُ : الزَّعْفَرانُ ، وهو الجَسَدُ ايضاً .

الجَعْدُ : نبتٌ على شاطئ الأنهار .

الجَعْدَةُ : شجرة خضراء أو غَبْراء من ذُكور البَقْل، تنبُت في شِعاب الجِبال بنَجْد ، نباتُها نباتُ العِظْلِم . ولها رَعْشَة مثل رعثة الدّيك ، طيبة الريح ، ليِّنة المَسِّ ، تنبت في الربيع وتَيْبَس في الشِّتاء لها قُضُب في اطرافها ثَمَرٌ ابيض . مثل فُقّاح الإذْخِر الاّ أنّه أثْخَن مُتَلبِّد ليِّن ؛ تُحْشى به الوسائدُ لطِيب رِيْحه ، الى المَرارة ما هي ، يَصْلُح عليها المالُ .

الجاديُّ : الزَّعْفَرانُ .

الحَصَدُ : نباتٌ قيل هو شَجَرٌ .

الحَصَادُ : نبت سُهْليٌّ ، من الجَنْبَة ، له قَصَب ينبَسِط في الأرض ، وورَقُه على طَرَف قَصَبِه ، ولورَقه حُروفٌ كحروف الحَلْفاء تَحُزُّ في

اليد . يُخبَط للغنم ، وهو يُشْبه السّبَط ، وله اذا جَفّ ثم هبّتْ عليه الريحُ جرسٌ وزَفازف .

الحِفْرِدُ : نبتٌ .

الخَضَدُ : شجر رِخْوٌ بلا شَوْك .

الخَضَادُ : من شجر الجَنْبَة وهو مثل النّصِيّ ، ولوَرَقه حُروف كحروف الحَلْفاء . ولعلّه (الحَصَاد) المتقدم الذكر .

الربَيْدَانُ : نبتٌ .

الرَّشَادُ : نبتٌ يقال له الثُّفّاء ، وهو الحُرْف ، وروى بعضهم ان اهل العراق يقولون للحُرْف : حَبّ الرَّشاد .

الرَّمَادِيُّ : ضَرْبٌ من العِنَب بالطّائف ، أسْوَد أغبَر .

الرَّنْدُ : شجر بالبادية ، طيب الرائحة ، يُسْتاك به ، وليس بالكبير ، وله حَبٌّ يُسَمّى الغارَ ، وربما كان الرَّنْد هو شجر الغار . وقيل : هو الآس . وقد يقال للرَّنْد : الحَنْوَة . وقد يُسَمّى عُوْد الطيب الذي يُتَبَخّر به رَنْداً .

الزبّادُ : من احرار النبت ، سُهْليُّ وقد ينبت في الجَلَد ، تَنْفَرش افنانُه ، له ورق عراض غُبْر مثل ورق المَرْزَنْجُوش ، قليل الارتفاع ، يضرب بعُروقه في كل وَجْه فتُنْتَزَع كأنّها الجَزَر ، يأكله الناس وهو طيب ، وهو مَرْعىً ناجع ، ويسمى الزُّبّادى ايضاً .

الزَّنْدُ	:	شجرة شاكَة .
ابو زَيْدانَ	:	دواء معروف ، وهو أصْل شجرةٍ .
السُّعُدُ	:	ضَرْبٌ من التَمْر .
السُّعْدَةُ	:	أرُومَة مُدَحْرَجة سوداء صُلْبة كأنّها عُقْدَة، لها ورق مثل ورق الزَّرْع ، وهي من العُروق الطيبة الرِّيح ، وتقع في العِطْر وفي الأدوية ، ويقال لها السُّعَادى ايضاً . وقيل : السُّعَادى نبت آخَر غير السُّعْد . وقيل : السُّعَادى هو النبت والسُّعْد طِيبُه .
السَّعْدانُ	:	من احرار النبت ، ينبت في سُهول الأرض ، أغبر اللّون حُلْو ، من اطيب مَراعي الابل وأنْجَعها ما دام رَطْباً ، تَسْمَن عايه وتطيب لحومها وتغزر ألْبانُها، وهو حُلو يَتَمَصَّصُه الانسان رَطباً ويأكُلُه ، وله ثَمَرٌ مستدير مشوك الوَجْه اذا يبس سقط على الأرض مُسْتلقياً ويكون كالحَسَك ، ويقال لشَوْكه : حَسَكَة السّعْدان .
سُعَادى	:	نبتٌ .
الأسْنَادُ	:	شَجَرٌ ، والمعروف في اسمه : السِّنْدِيانُ .
السَّوَادِيُّ	:	تَمرٌ هو المعروف بالسُّهْرِيز .
الشَّبَرْدى	:	نبتٌ أو شجر .
الشَّقْدَةُ	:	حشيشة كثيرة اللَّبَن والإهالة ، ويقال : هي القِشْدَة .

الشَّمَرْدى : هو الشَّبَرْدى المتقدم الذكر .

الصَّدّى : ضَرْبٌ من التِّين ، ابيض الظّاهر أكْحَل الجَوْفِ ، صادق الحَلاوة ، واذا أُرِيْد تَزْبِيْبُه فيجيء كأنّه الفِلَك .

الصَّعْدُ : شجرة يُتّخَذ منها القارُ .

العَبْدُ : نبات طيب الرائحة ، تَكْلَف به الابل لأنه مَلْبَنَة مَسْمَنَة ، حارٌّ المزاج ، اذا رَعَتْه عطشتْ فطلبت الماءَ .

العَرَادُ : من الحَمْض ، وينبت في الرَّمل وفي السّهل ، وقيل : هو من نَجِيْل العَذَاة ، وهو حشيش طيب الريح ، تأكله الابل . وقيل : هو شجر صُلْب العُوْد منتشر الأغصان لا رائحة له . وقيل : هو بَهَار البَرِّ .

اليَعْضِيْدُ : بقلة من بقول الربيع ، من ذكورالبقل ، مُرَّةٌ ، زَهْرُها أشَدُّ صُفرةً من الوَرْس ، تشتهيها الابلُ والغنم ، والخَيْل ايضاً تُعْجَب بها وتخصِبُ عليها . وقيل : هي من الشجر .

العَقَدُ : ضَرْبٌ من التّمْر ، ويقال له العَقَدَانُ ايضاً .

العَقِدُ : شجرٌ وَرَقُه يُلْحِم الجِرَاحَ .

العَلَنْدى : شجرٌ جاسٍ صُلْب العِيدان لا يَجْهَدْه المالُ ، قيل : هو من العِضاه ، وقيل : ليس من العِضَاه لأنّه لا شَوْك له ، وقيل : ليس من الحَمْض. وليست شجرته بطويلة ، وأطْوَلُها على قدر

قِعْدة الرَّجُل ، وهي مع قِصَرِها كثيفة الأغصان مجتَمِعَةٌ .

العُنْجُدُ : قيل : هو ثَمَرٌ يُشْبِه الزَّبيبَ وليس به .

العَوْدُ : شجر ليس في الشجر كلِّه أطْيَبُ منه ، وانما سُمِّي عُوْداً وأُطْلِق عليه حتى صار له إسماً عَلَماً ؛ من قِبَل أنه أشْرَف انواع العُوْد وأطْيَبُها رائحةً .

العِيْدُ : شجر جَبَلي ، ينبت عيداناً نحو الذراع ، لا ورق له ولا نَوْر ، أغْبَر كثير اللِّحاء والعُقَد. يُضَمّد بلِحائه الجُرْحُ الطّريُّ فَيَلْتَئم .

الغِرْدُ : ضَرْبٌ من الكَمْأة ، وقيل هو الصِّغار منها أو الرَّديئة ، ويقال فيه الغَرْدُ والغِرْدَة والغَرْدَةُ والغَرَدَة والغَرَادَة ايضاً .

الغَرَدُ : الكَمْأة ، ويقال فيه الغَرَادُ والمُغْرُوْد .

الغَرْقَدُ : شجر عظام ، من العِضاه ، من شجر الحِجاز ، وقيل : هو ضَرْبٌ من شجر الشّوْك ، وقيل : هو العَوْسَجُ اذا عَظُم .

الفِرْصَادُ : شجرة التُّوْتِ بلغة اهل البصرة ، ويسمون حَمْلَها التّوْت ، ويعنون به الأحْمَرَ منه ، وله صبغ في الأيدي والأفْواه .

الفِرِنْدَادُ : شجرٌ .

الفَقْدُ : نبات يُشْبِه الكَشُوْثى ، ويقال له الفَقَدُ ايضاً

القَتَادُ : شجر من العِضاه ، كقِعْدَة الانسان ، صُلْب ،

له شوكٌ كالإبَر وجَنَاةٌ كجَنَاة السَّمُر تُصَوِّتُ اذا ضَرَبْتَها برِجْلِك ، ينبت بنجدٍ وتهامة ، وهو ضَرْبان : فأمّا القَتادُ الضخام فانه يخرج له خشب عظام وشوكه حَجْناء قَصيرة ، ولا يُنْتَفَع بلِحائه ولا بَخشَبه الاّ أنْ يُسْتَوْقَد ، وتأكله الابل ، وتعلق وَرَقه الغنمُ ، وورقته قصيرة عريضة متفرِّقة الأطراف . وأمّا القَتاد الآخَر فانه ينبت صُعُداً لا يَنْفَرِش منه شيء ، وهو قُضبان مجتمِعة ، كلُّ قَضيب منها مَلآن ما بين أعلاه وأسْفَله شَوْكاً ، ورؤوس الشّوْك تتبع العُوْدَ صعداً وبينه الورق ، لا يقدر عالِقُه على الورق مع الشوك، وليس له خشب ، ولا تأكله الابل الاّ في عام جَدْبٍ فيجيء الرجُل ويضرم فيه النّارَ حتى يحرِق شوكه ثم يُرْعِيه ابلَه ، ويُسَمّى ذلك التَقْتِيْدَ .

القَثَدُ : الخِيَارُ . أو ضَرْبٌ من القِثّاء هو المُدَوَّر . أو نبت يشبه القِثّاء .

التُقْرِدُ : ذُكر في بعض المعجمات في تركيب قرد ، وقد مرَّ في تركيب ت ق ر د .

القَرْمَدُ : قيل : هو الزَّعْفَران .

القِشْدَةُ : حشيشه (يراجع تركيب ش ق د) .

القَصَدُ : العَوْسَج في لغة اهل اليَمَن . وقيل قَصَدُ العَوْسَج ونحوِه : اغصانُه الناعمة .

القَعدُ	:	ضربٌ من الكَمْأة .
المُقْعَدانُ	:	شجر ينبت نبات المِقر ولا مرارة له ، يخرج في وَسَطه قضيب يطول قامةً ، وفي رأسه مثل ثَمَرَة العَرْعَرَة صُلْبَة حمراء يتَرامى بها الصِّبيان ، ولا يرْعاه شيء .
قَنْدَةُ الرِّقاعِ	:	ضرب من التمرْ ، وهي بين التَمْرَة والقَسْبَة ، عَاكِةٌ .
أمُّ وَجَعِ الكَبِدِ	:	بقلة من دِقّ البقل ، يحبُّها الضَّأن ، لها زهرة غبراء في بُرْعُومَة مدوّرة ، ولها ورق صغير جداً أغبر . سُمِّيت أمّ وجع الكبد لأنها شفاء من وجع الكبد .
الكَبّادُ	:	نوع من اللَيْمُون .
الكَشْدُ	:	حَب يُؤْكل .
المَعْدُ	:	ضَرْبٌ من الرطب .
المَغْدُ	:	شجر يتلوّى على الشجر ، أرَقّ من الكَرْم ، وورقه طوال دقاق ناعمة ، ويُخْرِج جِراءَ المَوْز الاّ أنّه أرقّ قِشْراً وأكثر ماءً ، حلو لا يُقْشَر ، وله حَبٌّ كحب التفّاح ، والناس ينتابونَه وينزلون عليه فيأكلونه ، ويبدأ اخضر ثم يَصْفَرّ ثم يخضَر اذا انْتَهى . وقيل : هو نبت شبيه بالباذنجان ينبت في أصل العِضَة . وقيل : هو الباذنجان . وقيل : هو التفّاح أو البَرّيُّ منه . وقيل: هوجَنَى التَّنْضُب .

النَّجْدُ	:	شجر يشبه الشُّبْرُمَ في لَوْنه ونبته وشوكه .
النَّاجُوْدُ	:	الزَّعفران .
النَّدُّ	:	عُوْدٌ يُتَبَخَّر به ، أو العُوْدُ المُطَرَّى بالمِسْك والعَنْبَر والبان ، ويقال له النِّدُّ ايضاً .
النُّقُدُ	:	شجر سُهْلِيٌّ ، له نَوْر يشبه البَهْرَمانَ أي العُصْفُرَ ، وقيل : هو ثَمَرُ نبتٍ يشبه البَهْرَمان ، ويسمّى النَّقَدَ ايضاً . وقيل : النَقُدُ والنَّقَدُ : ضَرْبان من الشجر .
النُّقْدُ	:	شجر ، هو النُّعْضُ ، وربما كان هو النُّقُدَ المتقدم الذكر .
النِّقْدَةُ	:	الكَرَوْيــاء .
النَّيْقَدَانُ	:	شجرة النُّقُدِ ، ولعلّها شجرة الثّمَر الذي يشبه البَهْرَمان وقد مرَّ في (النُّقُدِ) .
الهُرْدُ	:	الكُرْكُم . وقيل : هو عُروقٌ صُفْرٌ يُصْبَغ بهــا .
الهِرْدى	:	ضَرْبٌ من النبت .
الهَيْرُدَانُ	:	نبت ، ولعله الهِرْدى المتقدم الذكر .
التَّوْحِيدُ	:	ضَرْبٌ من التَّمْر بالعِراق .
الوَرْدُ	:	الزَّعفران .
الأَيْبَدُ	:	نبات كالشّعير (يراجع تركيب أب د) .
ما يتعلّق بالنبات	:	
اسْتَأْسَدَ النَّبْتُ	:	طال وعَظُم ، وقيل : هو اذا بَلَغَ والْتَفَّ وقَوِيَ ، وقيل : هو أنْ يَنْتَهي في الطُّول ويبلغ غايته .

المَبْرُوْدَةُ : الشجرة اذا أصابها بَرْدٌ فَحَتَّ ورَقَها .
التِّقِردُ : جميع الأبْزَار .
ثَأَدَ الشَّجَرُ : كان أخْضَرَ حَسَناً شَدِيد الخُضْرَة .
الثأْدُ : البُسْرُ اللّيِّن .
الثَّأْدُ : النبات الناعِم الغَضّ .
الثَّرْدُ : نبت ضعيف .
الثَّعْدُ : الرطَب اذا غلب عليه الإرطاب .
الثَّعْدُ : النبات الناعِم الغَضّ .
جَحَدَ النباتُ : اذا قَلَّ ونَكِد ولم يَطُلْ .
الجُدُّ : ثَمَرٌ كثَمر الطَّلْح .
الجَدَادُ : صَرْمُ التَّمْر ، ويقال فيه الجِدَادُ ايضاً .
الجُدّادُ : صِغار الشجر أو صغار العِضاه .
الجَرِيْدَةُ : السَّعَفَة اذا خُرِط عنها خُوْصُها وجُرِّدَتْ منه ، وقد يقال لها جريدة وانْ لم تُجَرَّد.
تَجَرَّدَ السُّنْبُلُ : استَتَمَّ الخُروجَ من لفائفه ، وكذلك النَّوْرُ عن كِمَامِه .
شَجَرَةٌ جَرْداءُ : ذَهَب ورقُها أجمع .
تَجَسَّدَ النَّبْتُ : يَبِس وصَلُب واشْتَدَّ .
الجَلْدَةُ : النخلة الكبيرة الصُّلبة ، وقيل : هي التي لا تُبالي القُحُوْط .
تَمْرَةٌ جَلْدَةٌ : يابِسَة اللِّحاء جيِّدة ، وقيل : صُلْبة مُكْتَنِزة
الجَهَادُ : ثَمَرُ الأراك،ويسمّى المَرْدَ والبَرِيْرَ والجَهَاضَ ايضاً .

حَدَّدَ الزَّرْعُ : اذا احْتَبَس المطر فطال مقامُ الحَبِّ تحت التُّراب ثم أُمْطِر فخرج في آخِرِ الزَّمان ولم يُشَعِّبْ .

حَشَدَ الزَّرْعُ : نَبَتَ كلُّه .

الحَصَدُ : ما أحْصَدَ من النّبات وجَفَّ ، أو هو العُشب اذا جَفَّ .

الحَصِيْدُ : الزَّرْعُ والبُر المحصود .

الحَصِيْدَةُ : أسافِلُ الزَّرْع التي تبقى لا يتمكّن منها المِنْجَل

الحَصَادُ : الحَصِيْد ، وكذلك الحِصَاد ، وهو جَزُّكَ البُرَّ ونحوَه من النّبات ، وقيل : قَطْعُه بالمنجل . والمِحْصَدُ : المنجل الذي يُجَزُّ به الزَّرْعُ . والمُحْصَدُ : الذي قد جَفَّ وهو قائم. والحَصِيْد : الذي قد انْتَزَعَتْه الرِّياح فطارَتْ به أو حَصَدَتْه الأيدي .

شَجَرَةٌ حَصْدَاءُ : كثيرة الوَرَق .

أحْصَدَ العِنَبُ : نَضِج وحان قِطافُه . وأحْصَدَ البُرُّ والزَّرْعُ : حان له أنْ يُحْصَدَ .

الخَضْدُ : نَزْعُ الشّوك من الشّجَر .

الخَضَدُ : ما تكسّر وتَراكم من البَرْدِيِّ وسائر العِيدان الرطبة .

الخَضَدُ : ضُمورُ الثّمار وانزواؤها .

الاخْتِضَاد : قَطْع الحَنْظَل رطباً .

خَمدتِ الثّمَرَةُ : أينعتْ ثم بقيتْ لم تُؤْكل حتى تَسْوَدَّ وتعفَن .

تَخَوَّدَ الغُصْنُ : اذا تَثَنَّى ومال .

الرِّئْدُ : فَرْخ كل شجرةٍ ، وكذلك الفسيلة .

غُصْنٌ رُؤْدٌ : هو أرْطَبُ ما يكون وأرْخَصُه .

الرَّبِيْدُ : التَّمْرُ الذي قد نُضِّد في جَرَّة ثم نُضِح عليه الماءُ .

المِرْبَدُ : الجَرِيْنُ الذي يوضَع فيه التّمر بعد الجَدَاد لييبس ، والمِرْبَد للتّمر كالبَيْدَر للحنطة . ويطلق المِرْبَد ايضاً على الموضع الذي يجعل فيه فيه الزرع اذا حُصِد ، ويسمّى مِسْطَحاً وحَضِيرة وجَرِيْناً ايضاً .

الرَّصَدُ : الكَلأُ القليل .

نَباتٌ رِعْدِيْدٌ : ناعِمٌ .

الرُّعَيْدَاءُ : ما يُرْمى من الطعام اذا نُقِّيَ كالزُّؤان ونحوه ، وقيل : هو الرُّغَيْداء .

الرُّغَيْدَاءُ : حَبّة تكون في الحنطة تُنَقّى منها حتى تسقط.

أزْبَدَتِ الشّجرةُ : اذا نَوَّرَتْ وكان نَوْرُها أبيض .

إزْبادُ القَتَادِ : أنْ تصير خُوصَتُه عِيداناً ويخرج في قُلَلِه ثَمَرَةٌ ، وصَلاح القَتادِ أنْ يُزْبِد وهو نَفّاخ كأنّه الحِمّصُ أجْوَف .

السَّبَدُ : ما يطلع من رؤوس النبات قبل أنْ ينتَشِر ، وأسْبَدَ النّصِيُّ : نبت منه شيئٌ حديث فيما قَدُمَ منه ، وأسْبَادُ النّصِيِّ : رؤوسُه اول ما يطلع .

السِّبِدُ : البقيّة من الكَلاِ .

سَجَدَتِ النخلةُ : مالَتْ . ونخلة ساجِدَةٌ : أمَالَها حَمْلُها .

سُخِّدَ وَرَقُ الشّجَرِ : نَدِيَ ورَكِب بعضُه بعضاً .

السَّرَادُ : الذي يسقط من البُسْر قبل أنْ يُدْرِك ؛ وهو أخضر . والسّرَادُ من الثّمَر : ما أضَرَّ بـه العطشُ فيبس قبل يَنْعِه .

السّرَادُ : البَلَحُ اذا اخضَرَّ واستَدار وحَلا قبل أنْ يَشْتَدَّ

سَعِيْدُ المَزْرَعَةِ : نَهرُها الذي يسقيها .

السّعْدَانُ : شَوْك النخل .

السّمَادُ : ما يُطْرَح في اصول الزرع والخُضَر من العَذِرَة والزِّبل والسِّرْقين برَمادٍ ليجود نباتُه .

السّوَادُ : جَماعة النخل والشجر لخُضْرته واسْوِداده ، وقيل : انما ذلك لأن الخُضْرَة تقارِب السّوَادَ .

السُّوَيْدَاءُ : حبّة الشِّيْنيز أو الشُّونيز ، ويقال لها الحبّة السّوداء .

صَرَّدَ البُرُّ : طلع سَفاه ولم يطلع سنبلُه وقد كاد ، ويقال ذلك للشعير ايضاً .

المِصْعَادُ : حابُول النخل يُصْعَد به عليه .

الضّمْدُ : رَطْب الشجر ويابسه قديمُه وحديثه ، وقيل : هو رطب النبت ويابسُه اذا اختَلَطا .

أضْمَدَ العَرْفَجُ : تجوّفَتْه الحُوصة ولم تبدُر منه ، أي كانت في جوفه ولم تظهر .

المِضْمَدَةُ : الخَشَبَةُ المُعْتَرِضة على اعناق الثَّوْرَيْن من الفَدّان ، في طَرَفها ثَقْبان ، في كل واحدة ثقبة بينهما فَرْضٌ في ظَهْرِها ، ثم يُجْعَل في الثقبَيْن خيطٌ يُخْرَج طَرَفاه من باطن المِضْمَدَة ، ويوثَق في طرف كل خيطٍ عُوْدٌ ، يُجْعَل عُنُق الثَّوْر بين العُوْدَيْن .

الطَّرَدُ : فِراخُ النخل .

الطَّرِيْدُ : العُرْجُون . والطَّرِيْدَةُ : أصْلُ العِذْقِ .

الطَّرِيْدَةُ : الطَّرِيقة القليلةُ العَرْض من الكَلأ .

غُصْنُ عُبارِدٌ : مُهْتَزّ ناعم لين ، ويقال فيه عُبَرِّدٌ وعُبْرُدٌ وعُبْرُوْدٌ . وعُشب عُبَرِّدٌ ورُطَبٌ عُبَرِّد : رقيق رَديء .

العُجْدُ : حَبُّ العِنَب والزبيب . وقيل : حَبُّ الزبيب، وقيل : هو أردؤه ، وقيل : هو ثَمَرٌ يشبِهه وليس به . وقيل : حَبُّ الزبيب هو العَجْد .

عَرَدَ النَّبْتُ : خرج عن نَعْمَتِه وغُضوضَتِه واشتدَّ وعَسا ، وقيل : عَرَدَ أي طلع وارتفع . وعَرَدَ الشجرُ وأعْرَدَ : اذا غَلُظ وكبِر أو اعوجَّ .

العُرْجُودُ : أصل العِذْقِ من التَّمْر والعِنب حتى يقطَفا، وقيل : هو ما يخرج من العنب اول ما يخرج كالثَّآليل . وقيل : العُرْجُود : عُرجُون النخل.

العَضُدُ : الطَّرِيقة من النخل ، ومثله العَضِيْد .

العَضَد : ما قُطِع من ورق الشجر ، يضربونه ليسقط فيتخذوه عَلَفاً لابلهم .

أعْضَادُ المَزَارِع : حُدُودها ، يعني الحُدودَ التي تكون فيما بين الجار والجار كالجُدران في الأرَضين .

العَوَاضِدُ : ما ينبت من النّخْل على جانبي النهر .

المِعْضَدُ : حَديدة ثقيلة في هيئة المِنْجَل يُقْطَع بها الشجرُ .

العَضِيْدُ : الشجر اذا قُطِع .

العَضِيْدُ : النخلة في احدى مراحل نموها ، وذلك اذا صار لها جذْعٌ يتناوَل منه المتناول ، ويقال لها العَضِيْدَة ايضاً .

المُعَضَّدَةُ : البُسْرَة اذا أرطبتْ من وَسَطها ، وقيل : اذا بدا التَرْطيبُ في أحد جانِبَيْها .

العِضَادَتانِ : العُوْدانِ اللذان في النِّيْر الذي يكون على عُنُق ثور العَجَلة .

العُقْدَةُ : الكَـلأُ اذا كثر في المكان حتى يثق الناسُ بأنه يكفيهم سَنَتَهم . وهي من الشجر : ما اجتمع وثبت أصلُه . والعُقْدَةُ من الحَمْض : مثلُ العُرْوَة من الكَـلأِ .

العَقَادُ : الجماعة من النخل ، وكذلك العُقْدَة .

العُنْقُوْدُ : واحِدُ عَناقيد العِنب ، ويقال في النخل والأراك والبُطْم ايضاً ، والعِنْقَادُ لغة فيه . (وقد

أوردته المعجمات في تركيب ع ق د وتركيب ع ن ق د) .

العُنْجُدُ : ويقال فيه العَنْجَدُ والعُنْجَدُ ، وهو حَبُّ العِنَب ، وقيل : الزَّبيب أو حَبُّه أو الرَّديءُ منه . ومَرَّ العُجْدُ في تركيب ع ج د ؛ وهو بمعناه . ويُسَمَّى الفِرْصِدَ ايضاً .

العُودُ : خشبة كل شجرةٍ دَقَّ أو غلظ ، وقيل : هو ما جرى فيه الماءُ من الشجر ويكون للرَّطب واليابس

العَدَانَةُ : الشجرة الصلبة القديمة لها عُروق نافذة الى الماء .

العَيْدَانَةُ : النخلة اذا فاتَت اليَدَ وارتفعتْ عن ذلك ، في لغة اهل نَجْد . وقيل : هي النخلة الطّويلة أو أطْوَل ما يكون من النخل ، ولا تكون عَيْدَانة حتى يسقط كَرَبُها كلُّه ويصير جذعها أجْرَدَ من أعلاه الى أسفله .

الغَرَادُ : صِغار الكَمْأة ، وقيل : هي الكَمْأة الرَّديئة .

غُصْنٌ غِرْيَدٌ : ناعِمٌ لَيِّنٌ رَطْبٌ . وقيل هو بالزاي المعجمة .

الغِزْيَدُ : الناعم اللَّيِّن الرطب من النبات ، وقيل هو بالراء المهملة كما مرَّ .

غَمَدَ العُرْفُطُ : اذا اسْتَوْفَرَتْ خُصْلَتُه وَرَقاً حتى لا يُرى شوكُها كأنّه قد أُغْمِد .

الغادَةُ : الشجرة الرَّيّا الغَضَّة .

نباتٌ أغْيَدُ : ناعِمٌ مُتَثَنٍّ .

شَجَرَةٌ فارِدٌ : مُتَنَحِّيَةٌ انفردت عن سائر الأشجار ، وكذلك يقال فارِدَة .

الفِرْصِدُ	:	العُنْجُدُ المتقدم الذكر ، ويقال له الفِرْصَادُ والفِرْصِيْد ايضاً .
الفِرِنْدُ	:	الوَرْدُ الأحمر .
الفِرِنْدُ	:	حَبُّ الرُّمّان .
الفِرِنْد	:	الأبْـزَارُ .
أفْصَدَ الشّجَرُ	:	انشقّتْ عيونُ وَرَقِه وبدتْ اطرافُه ، وكذلك انْفَصَدَ .
الفِنْدُ	:	الغُصْنُ من اغصان الشجرة .
الفَيْدُ	:	ورق الزَّعْفَرَان أو وَرْدُه . وفادَ الزعْفَرَانُ والوَرْسُ : انْسَحَقا عند الدّقّ ، وفادَ الزَّعْفَرانَ : دَقّه ثم أمَسّه ماءً .
القَرَدُ	:	السّعَفُ سُلَّ خُوصُها .
القَرَدُ	:	شيءٌ لازق بالطُّرثوث كأنّه زَغَبٌ .
القُرْمُوْدُ	:	ضَرْبٌ من ثَمَر العِضَاه ، وقيل : هو ثَمَرُ الغَضى .
القَصْدُ	:	مَشْرَةُ العِضاه وهي بَراعِيمها واغصانها الرطبة الغضة الرِّخاص ، وينبت ذلك في الخريف اذا بَرَد الليلُ من غير مطرٍ ، ويقال له القَصَدُ والقِصَد ايضاً .
قَعَدَتِ النّخْلَةُ	:	أي حملتْ سنةً ولم تحمل اخرى .
القاعِدُ	:	الفَسيْل اذا صار له جذعٌ .
مَقَاعِدُ النّخْلَةُ	:	أصولُها .

المِقْلَدُ	:	المنْجَل الذي يُحْصَد به وَيُقْطَعُ به القَتُّ . وقيل : هو عَصاً في رأْسها اعْوجَاجٌ يُقْلَد بها الكَلأُ كما يُقْتَلَد القَتُّ اذا جُعِل حِبالاً ؛ أي يُفْتَل .
القَنْدُ	:	عُصَارَةُ قَصَب السُّكَّر اذا جمد ، أو عَسَل قَصَب السكَّر ، ويقال له القِنْدِيد ايضاً .
القِنْدِيْدُ	:	الوَرْسُ الجَيِّد .
القَهْدُ	:	النَّرْجِس اذا كان جُنْبُذاً لم يَتَفَتَّحْ ، فاذا تفتّح فهي التّفاتيح والتّفاقيح والعُيون .
الكُدَادُ	:	حُسَافُ الصِّلِّيان ، وهو الرِّقَةُ يؤْكَل حين يظهر ولا يُتْرَك حتى يتمّ .
الكُرْدُ	:	الشَّرَبَة وهي كالحُوَيض الصَّغير ، يعني الدَّبْرَة من المزارع أي سَوَاقيها ، ويقال لها الكُرْدَة ايضاً .
الكِرْدِيْدُ	:	جُلّة التّمْر أي الفِدْرَة العظيمة من التّمر يكْنَز فيلزَم بعضُه بعضاً .
الْتَبَدَ الوَرَقُ	:	أي تلبّد بعضُه على بعض . والتَبَدَتِ الشجرةُ : كثرتْ اوراقُها .
اللِّبْدُ	:	ما يسقُطُ من الطّريفة والصلّيان ، وهو سَفاً ابيض يسقط منهما في أُصولهما وتستقبله الريحُ فتجمعه حتّى يصير كأنه قِطَع الألْباد البِيْض الى اصول الشجر والصِّلِّيان والطّريفة فيرعاه المالُ ويسمن عليه ، وهو من خير ما يُرْعى من يبيس العِيدان . وقيل : ان اللِّبْدَ هو الكَلأُ الرَّقيق يتلَبّد اذا أنْسَلَ فيختَلِط بالحِبّة .

مَـأَدَ العُوْدُ	:	اذا امتلأ من الريِّ في اول ما يجري الماءُ في العُود فلا يزال مائداً ما كان رَطْباً ، ومَأَد النباتُ والشجرُ : اهتزَّ وتروّى وجرى فيه الماء ؛ وقيل : اذا تنعّم ولانَ .
أمَدَّ العَرْفَجُ	:	اذا جرى الماءُ في عوده . وأمَدَّتْ عيدانُ النّصيّة والطّريفة : اذا مُطِرَتْ فلانَ عُودُها ، وكذلك العَرْفَجُ
المِدَادُ	:	السِّرْقِينُ الذي يُصْلَح به الزرعُ ، وقد مَدَّ الأرضَ : اذا زادَ فيها تراباً او سماداً من غيرها ليكون أعمَرَ لها وأكثر ريعاً لزرعها .
المَرْدُ	:	الغَضُّ من ثَمَر الأراك ، وهو أشَدُّه رُطوبةً ولِيناً ، وهو على لون الكَبَاث . وقيل : هو النّضيج منه . وقيل : هو هَنَواتٌ منه حُمرٌ ضخمة . وقيل : المَرْدُ والبَرِيرُ واحِدٌ .
شجرةٌ مَرْداءُ	:	ذَهَبَ ورقُها أجمع .
المَسَدُ	:	اللّيفُ . وقيل : هو المَسْد .
مَعَدَ الشّجَرُ	:	كان اخضر حَسَناً شديدَ الخُضْرة .
المَعْدُ	:	الغَضُّ من الثّمارِ والبَقْلُ الرَّخْصُ .
المَعَدَةُ	:	الثّمرَة اذا عقدتْ .
المَغْدُ	:	ثَمَرُ الباذنجان ، ويقال له الوَغْد ايضاً .
المَغْدُ	:	صمغٌ يخرج من السِّدْر ، وعرَّفه بعضهم بأنه صمغُ سِدرِ البادية .
الأُمْلُودُ	:	الغصن الناعم الغَضُّ . والمَلَدَانُ : اهتِزاز الغصن ونَعْمَتُه .

المائدُ	:	الشجرُ الذي أصابَه المطرُ فلانَ عودُه . ومادت الحنطةُ (الحنظلةُ) : اذا أصابها ندىً او بلل فتغيّرتْ ، وكذلك التّمْر .
غُصْنٌ مائدٌ	:	مائلٌ ، وكذلك ميّاد .
نَتِدَتِ الكَمْأةُ	:	نبتتْ .
نَقِدَ الجِذْعُ	:	أرِضَ ، وانْتَقَدَتْه الأرَضَةُ : أكلَتْه فتركَتْه أجوف .
أنْقَدَ الشجرُ	:	أوْرَقَ .
نَكِدَ النباتُ	:	قَلَّ ولم يَطُلْ .
تَنَوَّدَ الغُصْنُ	:	تَحَرَّك .
الهَبِيْدُ	:	الحَنْظَل ينقَع اياماً ثم يُغسَل ويطرَح قشرُه الأعلى فيُطبَخ ، وقيل : هو حَب الحنظل يُستَخرج وينقَع لتذهَب مرارَتُه ويتّخذ منه طبيخ يُؤْكَل عند الضرورة ، وقيل : هو شحم الحنظل . ويقال له الهَبْد ايضاً .
الهُدَبِدُ	:	الصمغ الذي يسيل من الشجر ، أسود .
الهُرْدِيّةُ	:	قَصَباتٌ تُضَمُّ مَلْوِيّةً بِطاقات الكَرْم تُحْمَل عليها قُضْبانُه .
هَمَدَتِ الثّمَرَةُ	:	أينعتْ ثم بقيت لم تُؤْكَل حتى تسوَدَّ وتعفن .
الهامِدَةُ	:	الرُّطبة اذا صارتْ قَشِرةً وصَقِرةً .
شجرةٌ هامِدَةٌ	:	تقادَمَتْ على يُبْسٍ حتى تَبْلى وتَرْفَتَّ .
وَتَدَ الزَّرعُ	:	طلع نباتُه فثبَتَ وقَوِي .

الوَرْدُ : نَوْرُ كل شجرةٍ وزَهر كل نبتةٍ ، وقد غلب نوع (نَوْر) الحَوْجَم وهو الأحمر المعروف الذي يُشَمُّ . ووَرَّدَ الشجرُ : نَوَّرَ أي ظهر وَرْدُه . وشجرةٌ وارِدَةُ الأغصان : اذا تدلَّتْ اغصانُها .

الوَصِيْدُ : النبات المُتَقارِب الأُصول .

الوَغْدُ : ثمر الباذنجان ، ويقال له المَغْدُ ايضاً كما مرَّ

(حرف الذال)

النّبات :

الأزَاذُ : ضَرْبٌ من التّمر .

الجَرَاذِيْنُ : ضَرْبٌ من التّمر .

أمُّ جِرْذانٍ : ضَرْبٌ من التّمر كبار ، وهي نخلة تحبُّها الجِرذانُ فتصعدها فتأْكُل منها ، ولذلك سُمّيت أمَّ جِرذان . وأمُّ جرذان بالمدينة مثلُ البَرْنيِّ بالبصرة ، تلْقَط ابداً حتى لا يبقى عليها شيءٌ ، وهي آخِر نخلةٍ بالحجاز إدراكاً .

الحاذُ : شجرٌ عظام ، من شجر الجَنْبَة ، وهو من شجر الشّوْك والحَمْض ، ينبت نبتة الرِّمث ، ولشجرته غِصَنَةٌ كثيرة الشوك ، ومنابته السهول والرمل ، وهو ناجع تخصِب عليه رطباً ويابساً ، وقيل : ان بَقَرَ الوَحْش يألفُ الحاذَ .

الحَوْذَانُ : من بُقول الرِّياض ، من احرار النبت ، له زهرة حمراء في اصلها صُفْرة ، طيبة الرائحة ، وله ورقة مدوَّرة رُوي انها تشبه وَرَقَ الهِنْدباء ، ويرتفع قدر الذراع . والحَوْذانُ حُلو طيب الطعم ، يأْكله الناسُ ، ويسمَن عليه الحافرُ .

الدَّاذِيٌّ : هو الذَّاذِيٌّ الآتي ذكره .

الذَّاذِيٌّ : نبتٌ له عُنقودٌ مستَطيل ، وحَبُّه على شكل حَبِّ الشّعير ، يوضَع منه مقدار رِطلٍ في الفَرَق فتعبق رائحته ويجُود .

الزَّاذُ : هو الأزَاذُ من التّمر ، وقد تقدَّم ذكرُه .

الشَّذَانُ : السُّدْرُ .

الشَّمَرْذى : قيل : هو نبتٌ ، وقيل : شجرٌ .

الشَّمْشَاذُ : مُعَرَّبُ شمشاد ، وهو شجر السَّرْو .

الطَّبَرْزَذُ : بُسْرٌ أحمر ، من رُطَب البصرة .

الكاذِيٌّ : شجرٌ طيِّب الريح ، هو نخلةٌ في كل شيء من حليتها ، له طَلْعٌ يُطيَّب به الدُّهْن يقطَع قبل أن ينفلق فيُلْقى في الدهن ، ونباتُه ببلاد عُمَان .

الأنْجُذَانُ : ضَرْب من النبات قيل انّه يُقاوِم السُّموم . ويقال : هو جاذِب مُدِرٌّ للبَوْل ، جيِّد لوَجَع المفاصِل .

الهاذُ : شجر له اغصان سبطة لا ورق لها . ولعلّه «الحاذ» المتقدم الذكر .

ما يتعلّق بالنبات :

تَمْرٌ بَذٌّ : متفرِّق لا يلزق بعضه ببعض ، ويقال لهفَذٌّ ايضاً.

جَبَذَ العِنَبُ : اذا كان صغيراً مُتَقَفِّفاً متقبِّضاً .

الجَبَذَةُ : الجُمّارَةُ ، وهي شحمة النخلة فيها خشونة يُكْشَطُ عنها اللِّيفُ فتُؤْكَل ، كالجَذَبَة .

جَذاذُ النخلِ : صَرْمُه ، وكذلك الجِذاذ .

نباتٌ مُجْرَنْبِذٌ : نَبَتَ ولم يَطُل .

الجَلاذِي : صغار الشجر ، وقيل : هو صغار الطَّلْح خاصةً

الجُنْبُذُ : الوَرْد قبل أن يتفتّح ، وخُصَّ به الجُلّنار .

حَنَذَ الكَرْمُ : فُرِغَ من بعضه .

شَمَذَ النخلُ : أي أبَرَّ ، ونَخيل شَوامِذ .

المُعَوَّذُ : ما نبت في هَدَفٍ مّا ، كان من جرثومة أو صخرة أو تراب حولَ الحَوْض أو الحِباء ، لأن الهدف أعاذه ودافَعَ عنه ، وذلك أبْقى له ، يقال في العُشب وفي الشجر . وقيل : هو الكَلأُ الذي مَنَعَه الشجر من أنْ يُرْعى .

العَوَذُ : السّفير من الورق أي الساقط المُتَحاتُّ منه ، وانما قيل له عَوَذٌ لأنه يعتَصِم بكل هدف ويعوذ به .

تَمْرٌ فَذٌّ : (يراجع تركيب ب ذ ذ) .

القُنْفُذُ : الشجرة اذا كانت في وسط الرَّمْلة ، وهي القنفذة ايضاً .

نَبْتٌ مَلْجُوْذٌ : اذا لم يتمكّن السِّنُّ منه لقِصَرِه ، فلسّنْه الابل .

سرجيس الراسعيني

الدكتور يوسف حبي
عضو المجمع العلمي العراقي
ورئيس تحرير مجلة بين النهرين

سرجيس الراسعيني من ألمع علماء السريانية في القرن السادس الميلادي ، وأحد كبار من أرسوا قواعد المادة العلمية قبل الاسلام. بفضل مجوده ، ومجهود أمثاله ، تمكّن مترجمو العصر العربي الذهبي من توفير الكتب العلمية والفلسفية التي خلقت حركة ثقافية كبرى في الشرق والغرب .

لم يكتب حتى اليوم بحث مفصل عنه [١] ، لذا أجهدنا الأمر في تقصّي ما وصلنا اليه . ويطيب لنا ان نقدم حصيلة بحثنا على صفحات هذه المجلة رغم الغموض الطفيف الذي لما يزل يكتنفه ، فالشخص عظيم ، والفترة الزمنية معقدة ، والبحوث في هذا المجال نادرة .

يتناول بحثنا : حياة سرجيس ، ونشاطه الفكري ، وذكر تآليفه ونقوله .

---

(١) سنورد فيما يلي ذكر من كتب عن سرجيس ، غير انه لا بد من ذكر شخصين أجهدا النفس في كتابة شيء عنه هما : بومشترك والجر :

A. BAUMSTARK, Lucubrationes syro - graecae, cap. I : De vita et scriptis Sergii, Leipzig 1894.

Kh. GEORR, Les catégories d'Aristote dans leurs versions syro - arabes, (Institut Francais de Damas), Beyrouth 1948, pp. 17 - 23.

وكان بو مشترك قد عقد النية على اصدار عدة مجلدات تتناول(ارسطو لدى السريان من القرن الخامس وحتى الثامن للميلاد) لكنه اصدر مجلدا واحدا فقط ، لم يتطرق فيه الى سرجيس . =

حيـــاته

اسمه سرجيس أو سركيس ، وبالسريانية (سرگيس) ، بينما يأتي في المصادر العربية مختصراً (سرجس) وخطأً (سرخس) . يكنّي بالراسعيني ، او الراس عيني ، او الراسي ، وبالسريانية (ريشعينايا) ، وبشكل أقل دقة : الراسعني ، او الراشعيني [٢] .

وسرجيس (Sergius) من الأسماء اليونانية واللاتينية المعروفـــة ، وككثير من الأسماء اليونانية كان شائعاً لدى سكان بلاد ما بين النهرين ، لا سيما الواقعة مدنهم عهد ذاك ضمن حدود الامبراطورية الرومانية الشرقية ،والمسماة ببلاد الروم. اما الراسعيني او الراسي فنسبة الى (راس العين) مدينة سرجيس [٣] .

وراس العين ، وباليونانيـــة تيودوسيوبوليس (Theodosiopolis) شيّدت سنة ٦٩٠ يو / ٣٧٨ م على اسم الملك تيودوسيوس [٤] ، يصفها ياقوت الحموي في معجم البلدان بقوله :

= انظر :

A. BAUMSTARK, Aristoteles bei den Syren vom 5 . bis 8. Jahrhundert. I. Syrisch - arabische Biographien des Aristoteles. Syrische Kommentare zur (Isagoge) des Porphyrios, Leipzig 1900 (Scientia Verlag Aalen 1975) .

(٢) انظر خاصة : عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، ط د. نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٢٨١ و ٢٨٢ الخ – تاريخ الحكماء للقفطي ، ليبسيك ١٩٠٣ (ζاعادت مكتبة المثنى طبعه بالاوفست) ص ١٧٥ – رسالة حنين بن اسحق الى ابن المنجم (علي بن يحيى) ، ط برجشترا سر ، ليبسيك ١٩٢٥ ، ويعد الاستاذ ديكين طبعة نقدية جديدة . – تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ط صالحاني ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ٨٧ والخ .

(٣) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ، ص ٢٨١ – البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم ، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، ط ٣ ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ٢٣٥ .

(4) Chronica Minora, III, ed. Brooks - Guidi - Cha - bot, CSCO, SS 6, Louvain 1960, p. 224

« راس عين ، ويقال راس العين ... وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر ، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً ، وقريب من ذلك بينها وبين حران ، وهي الى دنيسر أقرب ، بينهما نحو عشرة فراسخ . وفي راس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور... وتجتمع مع هذهالعيون فتسقي بساتين المدينة وتدير رحيّها ثم تصب في الخابور... والمشهور في النسبة اليها الرسعنّي ، وقد نسب اليها الراسي »[٥] .

قيل انه كان كاهناً[٦] . وقال بعضهم انه اصبح اسقفاً على راس العين ، وهذا غير صحيح[٧] . تلقى دروســـه الاولى في مدرسة راس العين[٨] ، ثم قصـــد الاسكندرية حيث أتقن اليونانية الى جانب لغته السريانية[٩] ، وتبسط في العلوم الفلسفية والطبية حتى أصبح إمام الأطباء ومعلماً (وبالسريانية : مار واركيطروس) في مدينته رأس العين[١٠] .

يقول التاريخ السرياني العائد للسنة ٨٤٦ م ما تعريبه :

« في تلك الأزمنة ، اشتهر جدا وعرف سرجيس رئيس الأطباء (اركيطروس) الراسعيني . وهو رجل طلق اللسان ، ومتبحر ، وعارف بالكتب اليونانية والسريانية ،

---

(٥) معجم البلدان لياقوت الحموي ، ط دار احياء التراث العربي ببيروت ، المجلد ٣ ، ص ١٣ – ١٤ . الا ان الحموي لا يذكر سرجيس من جملة مشاهير رأس العين .

(6) Georr, Les Catégories . . ., n. 1, p. 17 ,
A. Baumstark, Geschichte der Surischen Literatur, Bonn 1922, P. 167
Ortiz de URBINA, Patrologia Syriaca, 2 ed., Romae 1965, p. 110 etc.

(٧) اذ ليس من اسناد لادعاء بعضهم انه اصبح اسقفا .

(٨) انظر مثلا : الفيكونت فيليب دي طرازي ، عصر السريان الذهبي ، اعاد طبعة الاب جوزيف شابو ، حلب ١٩٧٩ ، ص ١٣ .

(9) Baumstark, Geschichte der syrischn Literatur, p. 167 etc.

(١٠) يأتي ذلك في معظم المخطوطات المتبقية لنا من آثاره ، كما في مخطوطة باريس السريانية رقم ٣٥٤ ، ومخطوطة برلين التي نشرها ساخو وغيرهما . لكننا لا نعرف شيئاً عن مدرسته ولا عن مزاولته الطب . علاوة على ما ذكر اعلاه ، انظر :
الاب البير ابونا ، ادب اللغة الارامية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٣٢ –
د. الشحات السيد زغلول ، السريانوالحضارة الاسلامية ، اسكندرية ١٩٧٥ ، ص ١٤١ .

ومثقف جدا حتى في العلوم الدنيوية . اما مذهبه فارثوذكسي ، كما يشهد بذلك مقدمة وشرح ديونيسيوس (الاريوفاغي) اللذين قام بهما بشكل لائق، وكذلك بحثه في الايمان الذي أنشأه في ايام الاسقف المؤمن بطرس. وحين دعا الامبراطور الاحبار (الاساقفة) ، قدم ايضاً اغابيطس (اسقف) روما ، وصعد معه سرجيس » (١١) .

ولا بد لنا من تبسيط ذلك . فقد ورد لدى المؤرخين ان سرجيس قصد انطاكية ليشكو اسقفه آسول (Ascolius) لدى البطريرك افرام الآمدي الانطاكي (٥٢٦ – ٥٤٥ م) ، لان تلك السنوات كانت حافلة بالمشاحنات المذهبية بين الاريوسيين والقائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين والأقنوم الواحد .

يقول ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ان « يوسطينيانس قيصر الصغير ملك ثماني وثلثين سنة ، وأمر ان يجتمع جميع اساقفة اصحاب ساو يروس القائلين بالطبيعة الواحدة الى قسطنطينية . فلما اجتمعوا وعظهم وعظا كثيراً وسألهم ان يوافقوا مجمع خلقيدونية بالقول بالطبيعتين والاقنوم الواحد . فلما لم يقبلوا قوله صرفهم الى مواضعهم » (١٢) .

ولما توسم البطريرك الانطاكي تبحّر سرجيس الراسعيني في الحكمة والعلم اتخذه رسولا للوحدة بين الاطراف المتنازعة فلسفياً ولاهوتياً ، فأوفده الى بابا روما اغابيطس (٥٣٥ – ٥٣٦ م) ، فأبحر يرافقه مهندس اسمه استاثيوس ، وتمكّن من اقناع البابا بالمجيء الى القسطنطينية ، حيث وصلاها في ٢١ شباط ٥٤٦ . وتباحث البابا وامبراطور الشرق (الروم) يوسطينيانس الصغير ، واتفقا على عمل مشترك يتيح للجميع ان يقبلوا باعمال مجمع خلقيدونية (المنعقد سنة ٤٥١ م). وكان سويريووس البطريرك الانطاكي وتيودوسيوس البطريرك الاسكندري معزولين يومذاك بسبب رفضهما للمجمع الخلقيدوني وتشبثهما بمقررات مجمع افسس وحده (المنعقد

(11) Chronica Minora, II, CSCO 4,4, Louvin 1960, ed. et trad. I.B. Chabot, tex. syr. p. 224, trad. p. 170 .

(١٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٨٧ – التاريخ السرياني ، ج ٢ ، ص ٣١٥ والخ

سنة ٤٣١ م) . وكانا كلاهما ملازمين صديقهما آنتيموس بطريرك القسطنطينية الذي عزله الامبراطور ليكسب رضى البابا الروماني ، وغرضه من ذلك سياسي ، أي تقوية نفوذه في الشرق والغرب [١٣] .

توفي سرجيس بعد لقاء بابا روما وبطريرك القسطنطينية بأيام ، أي سنة ٥٣٦ م ، ولحق به البابا اغابيطس في ٢٢ نيسان ٥٣٦ [١٤] .

كانت حياة سرجيس مليئة بالمشاكل والمجادلات ، ولا عجب ، فالظروف يومذاك عسيرة ، وشخص مثقف واع كسرجيس لم يكن ليتجنّب معاناة جيلـه ، وقد كانت القضايا الدينية والمسائل اللاهوتية بارزة وحادة تقضّ ليس مضاجع رجال الدين وحدهم ، بل الحاكمين وعامة الشعب جميعاً .

نقرأ في قصة مار آبا جاثليق المشرق او بطريرك ساليق–طيسفون (٥٤٠–٥٥٢م) التي نشرها بيجان [١٥] ان هذا الاب قبل انتخابه بطريركا ، دخل بـلاد الروم ، وقصده زيارة الاماكن المقدسة ومجادلة سرجيس الراسعيني ، لان هذا الأخيـر حسب تعليل المطران أدي شير [١٦] — « كان فيـه روح الاريوسية مصبوغة بالوثنية . . . والظاهر أن هذا الفاضل (يقصد مار آبا الجاثليق) جادل الطبيـب (يقصد سرجيس الراسعيني) وحمله على نبذ المذهب الاريوسي » .

اننا نظن بان القول الأخير فيه الكثير من المبالغة . ولعلنا ننصف الرجل والتاريخ فنقول : ان كثيرين من طالبي العلم والفلسفة من أهالي بلاد ما بين النهرين كانوا

---

(١٣) يأتي ذكر شيء من هذا في تاريخ يعقوب الرهاوي :
Chronica Minora, III, CSCO 6,6, tex. syr. p. 319, trad. p.241.
وانظر :
Enciclopedia del Papato, ed. Paoline, Catania 1961, vol. I, p.431.

(١٤) بومشترك ، الجهود ، ص ٣٢ – تاريخ الادب السرياني لبومشترك ، ص ١٦٧ – اللؤلؤ المنثور ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ – أدب اللغة الارامية ، ص ٢٣٢ والخ .

(15) Histoire de Mar Jabalaha et de trois autres Patriarches, ed. P. BEDJAN, Paris 1895, Vie de Mar Aba, pp. 206 - 274.

(١٦) المطران أدي شير ، تاريخ كلدو وآثور ، ج ٢ ، بيروت ١٩١٣ ، ص ١٧٢ .

يقصدون « بلاد الروم » يومذاك لاتقان اليونانية ، لغة الفكر والحضارة عهد ذاك ، كما للاستزادة من الثقافة العالية . وكان حظ المسيحيين « الشرقيين » أي الساكنين شرقي نهر الفرات أوفر من حظ المسيحيين «الغربيين» في تنقّلهم بحرية في البلاد ، بسبب موقف السلطة المدنية المناوئ حينذاك لرافضي مجمع خلقيدونية ، كما اسلفنا لذا فنحن نرى بان السبب الحقيقي الذي دعا مار آبا الى التنقّل في بلاد الروم هو فعلا زيارة الاراضي المقدسة ، وطلب المزيد من العلم [17] . ولا بأس انه التقى بسرجيس ، وكان قد اشتهر علمه وفضله ، فجاد له . يؤكد ذلك ما جاء لـــدى عمرو وصليبا في المجدل : ان مار آبا « مشى الى بلاد اليونانيين ، وناظر العلماء في العلوم حتى تعجبوا منه ومن حذقه ومحاورته ، وعاد الى نصيبين ثم الى المداين» [18]

لكننا لا نتمكّن من تشخيص مذهب سرجيس الراسعيني بدقة ووضوح ، فهو متأرجح بين الاريوسية ، كما ورد ، وبين مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة ممّن سمّوا بمونوفيزيتيين ويعاقبة ، وبين مذهب القائلين بالطبيعتين والاقنوم الواحد ممّن سمّوا بنساطرة .

فان عبد يشوع الصوباوي يحسبه نسطورياً ، لذا نراه يدخل اسمه في عداد المؤلفين « الشرقيين » في جدوله الشهير [19] .

ويعزز هذا الرأي علاقة سرجيس بمار آبا ، كما اسلفنا ، وصداقته الحميمة لتيودورس اسقف مرو النسطوري ، وقد أهدى اليه جملة من مؤلفاتـــه ، كما سنرى [20] .

---

(17) J. LABOURT, Le Christianisme dans l'Empire Perse, Paris 1904, pp. 164 — 165.

(١٨) أخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو – صليبا ، ط جيسموندي ، روما ١٨٩٤ (أعادت مكتبة المثنى طبعه بالاوفست) ، ص ٤٠ .

(١٩) أوشكنا ان نفرغ من تعريب وتحقيق جدول عبد يشوع ، لكننا نحيل القارئ الى طبعة السمعاني وتعاليقه :

J. S. ASSEMANI, Bibliotheca Orientalis, vol. III, p. 1, n. 3, p. p. 87

(٢٠) اللؤلؤ المنثور ، ص ٢٣٥ .

لعل هذا ما دفع الدكتور الجرّ الى التصريح بان سرجيس « قس نسطوري »[٢١]. وكثيراً ما نرى كتبة السريان(الغربيين)يطعنون في سيرة سرجيس واخلاقه[٢٢].

لكننا من الجهة الاخرى، نرى ابن العبري يعتبره على مذهب « ساوري » بطريرك انطاكية[٢٣]، وعلى مذهب السريان الارثوذكس (مَن سموا سابقاً بيعاقبة) يعتبره المؤلفون المحدثون عادة[٢٤].

وحقيقة الأمر ان سرجيس الراسعيني شخص متقلّب في مذهبه الديني[٢٥]، وقد كان له ميل الى التعاليم الغامضة والحلولية[٢٦]. ورأينُا أنه أحد المستنيرين الذين لم يتمكن التعصب من تضييق أفق تفكيرهم ومبادئهم الجوهرية.

مكانتـــه ونشاطـــه

ليس من شك في ان سرجيس تلقّى مبادئ العلم الأولى في مدرسة رأس العين حيث نشأ. ومدرسة رأس العين ليست بشهرة مراكز سريانية أخرى، لكنها كسائر المراكز العلمية والدينية السريانية، التي كانت تقوم عادة في الكنائس والديارات، تضمن تعايم اللغة السريانية ومبادئ اللاهوت والعلوم الأساسية. وتفيدنا المصادر التاريخية ان الراسعيني قضى ردحا من الزمن في مدينة الاسكندرية، فأتقن اللغة اليونانية، ودرس الفلسفة والطب.

(٢١) الجر، ص ١٧.
(٢٢) اللؤلؤ المنثور، ص ٢٣٦.
(٢٣) تاريخ مختصر الدول، ص ١٤٩.
(٢٤) الدكتور ماكس مايرهوف، العلم والطب، في: تراث الاسلام، ترجمة جرجيس فتح‌الله، ج١، الموصل ١٩٥٤، ص ١٧٢ – د. لاسي واليري، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب، ترجمة د. وهيب كامل، القاهرة ١٩٦٦، ص ٨٨ – اوربينا، ص ١١٠.
(٢٥) اللؤلؤ المنثور، ص ٢٣٥.
(٢٦) ادب اللغة الارامية، ص ٢٣٣.

ومدرسة الاسكندرية من المدارس القديمة الشهيرة ، أشبه بجامعة متقدمة يقصدها طالبو العلم الكلفون بحب المعرفة [٢٧] .

بدأ سرجيس نشاطه الثقافي في مدينة الاسكندرية، فنقل الى السريانية ، لفائدته الشخصية ، أهم كتب الفلسفة والطب التي كانت تدرّس يومذاك في مدرستها ، وهو لما يزل شابا، لذا أتت ترجماته هذه ضعيفة وركيكة، كما يؤكد ذلك حنين بن اسحق في رسالته [٢٨] . أما أهم تلك الكتب المدرسية فكانت كتب المنطق لارسطو ، والمجموعة الطبية المؤلفة من ستة عشر كتابا لجالينوس في شرح ابقراط ، وشروحات الاسكندرانيين . ولان لغة الراسعيني وابناء جلدته كانت السريانية نرى سرجيس ينقل الكتب المذكورة من اليونانية الى السريانية ، فيعمل هكذا على نشر الثقافة اليونانية بشكل أوسع في أوساط الناطقين بالسريانية، ويشجع بذلك المراكز السريانية على اعتماد لغتها في التدريس وتبنّي مصطلحات فلسفية وعلمية مشتقة من اليونانية احياناً .

وقد كانت ثمه عدة مراكز ثقافية سريانية ، أشهرها مدرسة نصيبين، ومدرسة الرها (اورفه) ، ومدرسة الحيرة ، ومدرسة بصرى ، ومدرسة جنديسابور ، ومدرسة مرو ، ومدرسة حران . كما قامت عشرات الديارات والكنائس بدور ثقافي كبير ، كدير قنى ، ودير كوخي ، ودير مار متي ، ودير مار ميخائيل، ودير طور عبدين ، ودير قنسرين وغيرها . وكانت العلاقة وثيقة بين معظم هذه المراكز الثقافية وبين مدرستي انطاكية والاسكندرية بسبب قدميتهما وشهرتهما [٢٩] .

---

(٢٧) علاوة على ما جاء في الهامش ٢٤ ، انظر : من الاسكندرية الى بغداد لماكس مايرهوف ، في : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٥٣ – ١٠٠ .

(٢٨) رسالة حنين بن اسحق الى علي بن يحيى (ابن المنجم) في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وما لم يترجم ، نشرها عن مخطوطة آيا صوفيا العلامة برجشترا سر عام ١٩٢٥ مع ترجمة المانية : وانظر الهامش ٢ .

(٢٩) انظر البحوث التي تتناول انتقال علوم اليونان الى العرب عبر السريانية ، وهي كثيرة ، ولا سيما الفصول ٢ ، ٣ ، ٥ و ٦ من كتاب علوم اليونان لده لاسي اوليري .

غير اننا ما زلنا بحاجة الى الكشف عن أسماء المفكرين والعلماء والادباء الذين نشّطوا المراكز الثقافية وأداروها ، كما لا يزال الغموض يكتنف دور السريانية في نقل التراث اليوناني وتطويره ، وهو مدار بحث نعمل في تمحيصه وبلورته منذ سنوات .

ومهما يكن من أمر فانه من الصواب الاخذ باستنتاج الدكتور صالح احمد العلي ، مع شيءٍ من التحفظ ، والقول : « يتبيّن من الدراسات التفصيلية الحديثة المعتمدة ، أن الحركة الفكرية باللغة السريانية كانت قائمة بالدرجة الأولى على رجال الدين الذين كانت مراكزهم الرئيسة في الكنائس والاديرة الكثيرة المنبثّة في مختلف أرجاء البلاد في القرى والمدن الصغيرة ، وخاصة في إقليم الجزيرة الفراتية وفي العراق والأهواز » [٣٠] .

لكننا لا نوافق المؤلفين القدامى ، وعنهم أخذ معظم المحدثين بشكل حرفي ، والقائلين ان سرجيس الراسعيني هو أول من علّم أبناء وطنه فلسفة أرسطو [٣١] ، أو انه أول من أوقف السريان على مؤلفات ارسطو [٣٢] ، أو انه أول شخصية علمية شهيرة لدى الناطقين بالسريانية [٣٣] . فالحقيقة هي غير ذلك .

كان ابن ابي اصيبعة قد قال : ان سرجيس «أول من نقل كتب اليونانيين على ما قيل ، الى لغة السريانية » [٣٤] . وخفف هذا القول كل من القفطي وابن العبري .

---

(٣٠) د. صالح احمد العلي ، مراكز الحركة الفكرية في صدر الاسلام ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٣١ ، ج ٣ ، تموز ١٩٨٠ ، ص ١٢ .

(٣١) جويدي ، محاضرات ادبيات في الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ، ص ١٨٢ ، انظر : زغلول ، السريان والحضارة الاسلامية ، ص ١٤٢ .

(٣٢) د . مراد كامل – د . محمد حمدي البكري – د . زاكية محمد رشدي ، تاريخ الادب السرياني ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢١٩ .

(٣٣) مايرهوف ، العلم والطب ، ص ١٧٢ .

(٣٤) عيون الانباء ، ص ١٥٩ .

فقال الأول : ان سرجيس « نقل علوم اليونانيين الى السرياني » [٣٥] ، بينما قال الثاني : انه «الفيلسوف المترجم الكتب من اليوناني الىالسرياني ومصنفها»[٣٦] والفرق جليّ بين قول ابن ابي اصيبعة ــ وهو الأخطر بين أقوال القدامى ــ وقول المحدثين من الباحثين. فان صاحب (عيون الانباء) لا يقول عن سرجيس سوى انه أول من ترجم ارسطو الى السريانية، أي انه يتحدث عن نقول كتب ارسطو من اليونانية الى السريانية ، لا عن فكر ارسطو الذي كان منتشرا في معظم المراكز الثقافية السريانية ايضاً ، كما نوهنا اعلاه. ثم ان ابن ابي اصيبعة يُبدي تحفّظاً ازاء تصريح خطير كهذا ، فنراه يضيف عبارة « على ما قيل »، وكأنه غير مقتنع بان سرجيس هو أول ناقل من اليونانية الى السريانية ، وهو الصحيح، بينما يحسم المؤلفون المحدثون القضية ، بل يفهمونها بشكل مغاير وغير صائب. فنحن نعرف بالتأكيد ان اشخاصا آخرين سبقوا سرجيس الراسعيني في ترجمة شيْ من كتب العلوم الفلسفية والطبية من اليونانية الى السريانية. يكفي لذلك استطلاع آثار كتبة السريانية في أمهات كتب الادب السرياني للوقوف على حقيقة الأمر [٣٧] .

وعلى الرغم من هذا كله فاننا مع سرجيس الراسعيني حيال ظاهرة جديدة. فهو الذي طوّر حركة النقل بشكل ملحوظ ، فاعتبر بحق، أهم من قام بترجمات كتب الفلسفة والطب حتى ايامه . وان شئنا ضرب مثال قلنا : ان سرجيس، بالنسبة للنقول اليونانية ــ السريانية، كحنين بن اسحق (٨١٠ ــ ٨٧٣ م) بالنسبة للنقول اليونانية ــ السريانية ــ العربية. وكان أن سبق حنيناً بن اسحق اكثر من شخص نقلوا كتب التراث اليوناني الى العربية ، لكنه كان الاعظم بينهم، فنسبت اليه أضخم حركة ترجمة عرفتها البشرية في العصور الخوالي. وبما اننا في بداية الطريق، فليس من الغرابة بمكان ان تأتي نقول سرجيس غير متقنة سواء من حيث التعبير

---

(٣٥) تاريخ الحكماء ، ص ١٧٥ .

(٣٦) تاريخ مختصر الدول ، ص ٨٧ .

(٣٧) طالع كتب السمعاني ، رايت ، دفال ، شابو ، بومشترك ، برصوم ، ادى شير وغيرها .

والمصطلحات ، وسواء من حيث الدقة والبلاغة . لذا سيقول لنا حنين مراراً وتكراراً بانه أعاد ترجمة كتب عديدة كان الراسعيني قد نقلها الى السريانية ، لانها لم تكن جيدة ، ولم يكتف باصـــلاحها وحسب ، كما ظن بعض المؤلفين المحدثين [٣٨] . وكما يحدث مع كل شهير ، حدث أن نُسبت الى سرجيس ترجمات لم يقـــم بها ، بل هي مجهود آخرين ، لكنها « مع سذاجتها وتفاهتها فقد كانت كافيـــة لنشر العلوم الطبية الاغريقية واذاعتها في غربي آسيا لاكثر من قرنين » [٣٩] .

لم نسق هذا المثال اعتباطاً ، فثمة حادثة في حياة حنين بن اسحق يرددها القفطي [٤٠] وابن العبري [٤١] نقلا عن رواية ابن ابي اصيبعة التي يوردها على لســـان الطبيب يوسف بن ابراهيم ، هذا نصها :

« ثم اني دخلت يوما على جبرائيل بن بختيشوع ، وقد انحدر من معسكر المأمون قبل وفاته بمدة يسيرة ، فوجدت عنده حنيناً وقد ترجم له اقساماً قسمها بعض الروم في كتاب من كتب جالينوس في التشريح ، وهو يخاطبه بالتبجيل ويقول له يا ربن حنين ، وتفسير ربن المعلم . فأعظمت ما رأيت ، وتبيّن ذلك جبرائيل ، فقال لي : لا تستكثر ن ما ترى من تبجلي هذا الفتى ، فوالله لئن مدّ له في العمر ليفضحنّ سرجس ، وسرجس هذا الذي ذكره جبرائيل هو الرأس عيني ، وهو أول من نقل شيئاً من علوم الروم الى اللسان السرياني ، وليفضحن غيره من المترجمين » [٤٢] .

ولئن لم يشتهر سرجيس بالتآليف بقدر اشتهاره بالترجمة ، فهو أعظم شخصية علمية في زمانه [٤٣] ، وأشهر فلاسفة الحقبة الثانية من حقبات الأدب السرياني [٤٤] ،

---

(٣٨) رسالة حنين : انظر الهامش ٢٨ .
(٣٩) مايرهوف ، العلم والطب ، ص ١٧٢ .
(٤٠) تاريخ الحكماء ، ص ١٧٥ .
(٤١) تاريخ مختصر الدول ، ص ١٤٤ .
(٤٢) عيون الانباء ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .
(٤٣) لابور ، ص ١٦٥ .
(٤٤) اللؤلؤ المنثور ، ص ١٥٧ .

وطبيب شهير وفيلسوف ذائع الصيت وبارع في اليونانية (٤٥)، وأكبر كتبة السريانية ممن اهتموا بالفلسفة ، بل هو فيلسوف ، وعالم ، ومؤرخ ، وأديب ، ولغوي (٤٦) .

لا يذكر له عبديشوع الصوباوي سوى كتاب واحد هو شروح منطق ارسطو (٤٧) ، غير ان ابن ابي اصيبعة ينصفه بقوله : « وله مصنفـات كثيرة في الطب والفلسفة » (٤٨) ؛ وبوسع الباحث ان يعثر في خزانات المخطوطات السريانية في العالم على آثار عديدة تحمل اسم سرجيس الراسعيني ، منها تآليف ، ومنها شروح ، ومنها نقول . وقد تمكنا من احصاء ما سنورده أدناه ، وهو خير دليل على تمكّن سرجيس من الفلسفة والعلم واللغة (٤٩) .

تـآليفـه

نقصد بالتآليف هنا الشروح ايضاً التي وضعها سرجيس لكتب ارسطو وغيره ، وقد يحدث احياناً تشابك بينها وبين ما سيرد ذكره في باب الترجمات .

١ـ شرح مقولات ارسطو

ذكر عبد يشوع الصوباوي ان لسرجيس (بوشاقي دملياوثا) أي (شروحات في المنطق) (٥٠) . والمقصود منطق ارسطو ، وبعبارة أدق : مقولات او قاطيغورياس ارسـطو . (Categoriae) الا ان من يطّلع على الكتاب يلقاه أكثر من شرح ، على الرغم من تكرار لفظة (شرح) في الكتاب عينه ، فهو على غرار كتب ارسطو في المنطق ، لكن سرجيس سمح لنفسه ان يتصرف في العرض والبسط

(٤٥) اوليري ، علوم اليونان ، ص ١١١ .
(٤٦) الجر ، ص ٤١ .
(٤٧) المكتبة الشرقية للسمعاني ، ج ٣ ، ق ١ ؛ ص ٨٧ .
(٤٨) عيون الانباء ، ص ١٥٩ .
(٤٩) راجع خاصة فهارس مخطوطات باريس ، لندن ، برمنغهام ، الفاتيكان ، برلين ، والبطريركيات والديارات الكلدانية السريانية . وقد حاول رصد مخطوطات سرجيس كل من بومشترك والجر وسيزكين .
(٥٠) المكتبة الشرقية للسمعاني ، ص ٨٧ .

فغدا وكأنه كتاب جديد ، وأهداه الى صديقه ثيودورس اسقف مرو ، ويسمّيه (الاخ) .

هذا الكتاب اذاً شرح وتقديم للاورغانـــون (Organon) ، ويتكوّن من سبعة كتب في المقولات خاصة . الاولان بمثابة مقدمة عامة ، وفيهما يقارن سرجيس بين فلسفة ارسطو وفلسفة افلاطون والرواقيين ، ثم يتحدّث عن تصنيف آثار ارسطو . اما الخمسة الكتب الاخرى فشرح مستفيض في المقولات ، لا يتبع فيها عادة زمانه ، أي أنه لا يورد مقطعاً مقطعاً او جماة جملة من مقولات ارسطو ويعقب عليها ، انما يكتب بحرية مبرهنا بذلك على سعة مداركه واطلاعه ليس على فلسفة ارسطو وحسب ، وانما على الفلاسفة اليونانيين والاسكندرانيين الآخرين الذين يذكرهم مراراً .

ثمة مخطوطتان من الكتاب في المكتبة الوطنية بباريس ، الأهم تحت رقم ٣٥٤ (سرياني) ، والأخرى تحت رقم ٢٤٨ ، يصفهما الدكتور الجر باسهاب ، وقد اطلعنا عليهما [٥١] . وثمة مخطوطة اخرى من القرن السابع - الثامن محفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم ١٤٦٥٨ لكنها مخرومة [٥٢] ، ومخطوطة اخرى كانت محفوظة في مكتبة سعرد تحت رقم ٩١ وتعود الى سنة ١١٨٦ م [٥٣] . وكان فورلاني قد كتب عن هذا الاثر [٥٤] وكذلك الجر [٥٥] .

(51) H. ZOTENBERG, Catalogue des manuscrits syriaques et sabéens de la Bibliothéque Nationale, Paris 1874, nn. 345 et 248, Georr, p. 201-203

(52) W. WRIGHT, Catalogue of the Syriac Manuscripts in the British Museum, Add. 14658.

(53) G. FURLANI, Sul trattato di Sergio di Resh Aina circa le Categorie, Rivista Trim. di Studi Filosofici e Religiosi, III, pp. 135 - 172.

(54) A. Scher Catalogue des manuscrits syriaques et arabes conservés dans la Bibliothéque épiscopal de Séert, n. 91 .

(٥٥) يقول الجر انه باشر بترجمة الكتاب الى الفرنسية وينوي تحقيقه ونشره . انظر كتابه ص ١٩

٢- مقالة في المقولات

كتبها سرجيس الى شخص اسمه فيلوتيس ، محفوظة في مخطوطة برلين تحت رقم ٨٨ وترجع الى سنة ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م [٥٦] ، ومخطوطة في دير السيدة (حالياً في دير الكلدان بالدورة - بغداد) [٥٧] . وقد كتب عنها فورلاني [٥٨] والجر [٥٩] . وعنوانها باللاتينية :

(Tractatus in Categorias ad Philotheum)

٣- رسالة في الانالوطيقا الاولى

كتبها الى شخص مجهول وهي في الفصل الثالث من باريرمينياس (الانالوطيقا الاولى) ، محفوظة في مخطوطة برلين تحت رقم ٨٨ أيضاً ، والقسم الثالث منها محفوظ في مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٤٦٦٠ . رقد كتب عنها رنان [٦٠] والجر [٦١] .

٤- مقالة في الكل

وضعها بحسب رأي أرسطو ، وهي محفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم ١٤٦٥٨ [٦٢]

(In Totum ad mentem Aristotelis)

(56) E. SACHAU, Die Handschriften Verzeichnisse der Kgl. Verzeichniss der Syrern Handschriften, n. 88

(57) J. - M. VOSTE, Catalogue de la Bibliographie syro-chaldéenne du Couvent de Notre - Dame des Semances prés d'Alqosh, n. 49 (17e,s.)

(58) G. FURLANI, Due scoli filosofici e religiosi attribuiti a Sergio di Teodosiopoli, Aegyptus V, 2 (1926), pp. 139 - 145.

(59) Georr, p. 19, n. 6

(60) E. RENAN, Journal Asiatique, 1852, t. XIX, p. 323. Mss : Berlin, 88, 180; Add. 14660.

(61) Georr, pp. 18 - 18, n. 7

(62) Baumstark, Geschichte . . ., p. 168; Georr, p. 19, n. 4

٥ـ مقالة كمقدمة لكتاب الاريوفاغي

مقالة وضعها لترجمة الكتاب المنحول والمعروف باسم ديو نيسيوس الاريوفاغي (٦٣)

٦ـ كتاب في الحياة الروحية

وقد نشر مع ترجمة فرنسية (٦٤)

٧ـ مقالات في السلب والايجاب

محفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم ١٤٦٥٨ (٦٥)

٨ـ في علل العالم

مقالات في علل العالم واسباب المعمورة كتبها الى الاسكندر، محفوظة كذلك في المخطوطة رقم ١٤٦٥٨ ، نشرها لاكارد وترجمها ريسل (٦٦)

٩ـ اضافات على كناش اهرن

مقالتان اضافيتان على كناش أهرن القس الاسكندري، وكان الكناش هــذا موجوداً بالسريانية في أيام سرجيس ، وقوامه ثلاثون مقالة (٦٧) .

١٠ـ خطاب في الايمان

انشأه حوالي سنة ٤٨٥ ـ ٤٨٨ ، لكنه لم يصل الينا، وقد ورد ذكره فــي مقدمته لترجمة كتاب الاريوفاغي ، كما في تاريخ زكريا الفصيح (٦٨)

(٦٣) انظر الهامش ١١ ، واللؤلؤ المنثور ، ص ١١٢ ، ومجلة بين النهرين ٢ (١٩٧٤) ، ص ٤٧ – ٥٣ ؛

P. SHERWOOD, Sergius of R. and the syriac version of Pseudo-Denis, Sacris Erudiri, 4 (1952), pp. 174 — 184.

(64) P. SHERWOOD, Orient Syrien, 5 (1960) pp. 433-462 ; 6 (1961), pp. 95 — 115, 121 — 156.

(٦٥) ادب اللغة الارامية ، ص ٢٣٢ – اللؤلؤ المنثور ، ص ٢٣٦ .

(٦٦) بومشترك ، ص ١٦٨ ، رقم ٤ ، – الجر ، ص ٢٢ ، رقم ١٨ .

(٦٧) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٧ – بومشترك ، ص ١٨٩ .

(٦٨) تاريخ سنة ٨٤٦ (الهامش ١١) – كامل – البكري – رشدي ، ص ٢١٩ .

١١– حوار في النفس

حوار بين سقراط وايرسترفوس، يرجح أنه متأخر، فالاصل اليوناني غير موجود. والحوار محفوظ في مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٩٨٧، وقد نشره لاكارد(٦٩)

١٢– شرح الجدل لارسطو

وكتاب الجدل من كتب المنطق، ويشرح ذلك مدى اهتمام سرجيس بكتب ارسطو المنطقية (٧٠)

الترجمـــات

١٣– ترجمة الكتاب المنحول في الأسماء الآلهية والرتب الملائكية والكهنوت المنسوب الى ديونيسيوس الاريوفاغي، مع مقدمة ذكرناها آنفاً (رقم ٥). لنـــا منه مخطوطات عديدة، يذكرها بومشترك، أقدمها مخطوطة سيناء مـــن القرن السابع (٧١).

١٤– الكتاب المنسوب الى ارسطو في الكون، محفوظ في عدة مخطوطات، وقد نشر فورلاني ترجمة ايطالية له (٧٢).

١٥– مقالة في الجنس والنوع والشخص، ترجمها فورلاني الى الايطالية، ومنها مخطوطات بعضها مخرومة (٧٣)

(Tractatus de genere, specie et individuo)

(69) Ed. P. LAGARDE, Analecta Syriaca, pp. 134 – 158 ; trad-all - : V.RYSSEL, Rheinisches Museum für Philologie, Neue Folge, XLV111 185, II, p. 4.

(7o) J.H. WENRICH, De auctorum graecorum versionibus et commentariis syris, armenis, persicisque commentatio, Lipsiae 1842, pp. 20, 165.

(٧١) انظر مخطوطات الكتاب لدى بومشترك، ص ١٦٨، الهامش٢. وانظر الهامش٦٣ من هذا البحث.

(72) Furlani, Riv. Trim. di Studi filos, e religiosi, 4 (1923), pp. 1—22 ; Baumstark, Geschichte, p. 168, n. 4 .

(73) Baumstark, p. 168, n. 6; Furlani, Studi Ital. di Filologia Classica, N.S. III — IV (1925), pp. 303 — 333.

١٦– مقدمة فرفوريوس الصوري المعروفة بالايساغوجي (Isagoge Porphyrii) محفوظة في جملة مخطوطات ، لم ينشر النص السرياني بعد، وقد قام فريمان بترجمة ألمانية لها [٧٤] .

١٧– مقولات ارسطو (Categoriae) محفوظة في عدة مخطوطات ، وقد كتب عنها فورلاني [٧٥] .

١٨– كتاب في النفس ، منسوب الى ارسطو ، غير معروف باليونانية، ومكوّن من خمسة أقسام . غير منشور حتى اليوم [٧٦] .

١٩– جدل فاسفي في أقسام الكلام يحمل عنوان خطابات فلسفية . غير منشور [٧٧] .

(Disputatio philosophica de partibus sermonis)

٢٠– الاثبات والانكار في معنى الكينونة . غير منشور [٧٨] .

(De affirmatione et negatione et de conceptu essentiae)

٢١– مقالات صغيرة في الجوهر [٧٩] .

٢٢– أثر القمر على رأي المنجمين الى تيودورس ، نشره ساخو [٨٠] .

(De influxu lunae iuxta mentem Astrologorum)

---

(74) A. FREIMANN, Das Isagoge des Porphyrius in der syrischen Übersetzungen, Erlang. Dis., Berlin 1897.

(75) Furlani, Riv. Trim. Studi Filos. e Relig., 3 (1922), pp. 133-172; Baumstark, p. 168, n. 10.

(٧٦) بومشترك ، ص ١٦٨ ، الهامش ١١ – الجر ، ص ٢٠ ، الهامش ١٢ .

(٧٧) بومشترك ، ص ١٦٨ ، الهامش ١٢ – الجر ، ص ٢٠ ، الهامش ٨ .

(٧٨) بومشترك ، ص ١٦٨ ، الهامش ١٣ .

(٧٩) الجر ، ص ٢٠ ، الهامش ١٠ .

(80) E. SACHAU, Inedita Syriaca, Halle 1870 (Georg Olms Verlag - Hildesheim 1968), pp. 101 — 126 ; Baumstark, p. 169, n. 3.

٢٣– في حركة الشمس ، لمجهول ، نشره ساخو [٨١] .
٢٤– مقالات لبلوطرخيوس نشرها لاكارد [٨٢]
٢٥– مقالة للوقيان ، نشرها ساخو وترجمها الى الألمانية ريسل [٨٣]
٢٦– مقالة لتمستيوس ، نشرها ساخو وترجمها ريسل [٨٤]
٢٧– المقالة المنسوبة لايسوقراطس ، نشرها لاكارد وترجمها ريسل [٨٥]
٢٨– مجموعة أقوال لفيتاغور [٨٦]
٢٩– مجموعة أقوال لميناندروس [٨٧]
٣٠– تاريخ الفيلسوف سبكندس ، نشره ساخو [٨٨]

الكتب الطبيـــة

وقام سرجيس بترجمة الكتب الطبية المدرسية ، وهي المجموعة التي وضعها العلامة جالينوس معتمداً كتب الطبيب ابقراط ، واضاف اليها الاطباء الاسكندرانيون اضافات كثيرة . نوردها كما جاءت في رسالة حنين الى ابن المنجم ، طبعـــة

(81) Sachu, op. cit., pp. 125—126; F. NAU, Opuscules Maronites, Rev. Or. Chr. 4 (1899), pp. 175—226, 318—353; Baumstark, p. 169, n.4.
(82) Plutarchus adversus Coloeram, De Exercitatione, De capienda ex inimicis utilitate, ed. Lagarde, trad. Ryssel : Georr, op. cit., nn. 13, 14, et 19, pp. 21 — 22.
(83) Sachau, Inedita, pp. 1—16; trad. Ryssel, op. cit., 45—54; Baumstark, Lucubrationes pp. 453 -- 464; Georr, pp. 21—22, n. 16
(84) Sachau, Inedita, pp. 48 — 65 trad. Ryssl, op. cit., II,p, 54; Baumstark, Lucubrationes, pp. 464-468; Duval, La littérature syriaque, 3eme ed. Paris 1907 , pp. 265 — 266.
(85) Lagarde' op. cit, pp. 167 — 177; trad. Ryssel, opc. cit., pp. 29—44; Baumstark, op. cit., pp. 438 — 453.
(86) Georr, pp. 22—23, n. 20
(87) Georr, pp. 23, n. 21
(88) Sachau, Inedita, pp. 84—88; Georr, p. 23, n. 22

برجشتراسر ، بشكل مفصل ، لانها تكشف لنا وجها من أوجه ما نحن بصدده[٨٩] وذكر ذلك البحاثة سيزكين في موسوعته القيمة[٩٠]

٣١– كتاب جالينوس في الصناعة الطبية :

يقول حنين : « وقد كان ترجم هذه المقالة أعني الصناعة الطبية عدة، منهم سرجس الرأس عيني قبل ان يقوي في الترجمة . . . »[٩١].

٣٢– كتاب جالينوس الى اغلوقن في مداواة الامراض :

يقول حنين : « وقد كان سبقني الى ترجمة هذا الكتاب سرجس الىالسريانية ، وقد كان قوي بعض القوة في الترجمة ولم يبلغ غايته »[٩٢] .

٣٣– كتاب جالينوس في العظام للمتعلمين :

يقول حنين : « وقد كان ترجمه الى السريانية سرجس ترجمة رديئة ، ثم ترجمته انا »[٩٣] .

٣٤– كتاب جالينوس في الاسطقسات على رأي ابقراط :

يقول حنين : « وقد كان سبقني الى ترجمته سرجس، الا انه لم يفهمه فأفسده. ثم اني ترجمته الى السريانية لبختيشوع بن جبريل »[٩٤] .

٣٥– كتاب جالينوس في المزاج :

---

(89) G. BERGSTRAESSER, Hunain ibn Ishaq über die syrischen und arabischen Galen - Uebersetzungen, Lipzig 1925; Id, Neue Materialen zu Hunayn ibn Ishaq's Galen - Bibliographie, Leipzig 1932

وانظر الهامش ١١ من هذا البحث .

(90) F. SEZGIN, Geschichte des Arabischen Schrifttums, Leiden 1970,

(٩١) رسالة حنين ، ط برجشتراسر ، ص ٥ – ٦ ، رقم د – سيزكين ، ٣ ، ص ٨١ . وانظر : Klamroth, ZDMG, 40 (1886), p. 616

(٩٢) رسالة حنين ، ص ٦ – ٧ ، رقم و – سيزكين ، ص ٨٣ .

(٩٣) رسالة حنين ، ص ٧ ، رقم ز – سيزكين ، ص ٨٤ .

(٩٤) رسالة حنين ، ص ٩ – ١٠ ، رقم يا – سيزكين ، ص ٨٦ .

يقول حنين: « وقد كان ترجم هذا الكتاب سرجس، وترجمته الى السريانية»[٩٥]

٣٦– كتاب جالينوس في القوى الطبيعية :

يقول حنين: « وقد ترجم هذا الكتاب الى السريانية سرجس ترجمة سوء ثم ترجمته انا الى السريانية وانا غلام . . . » [٩٦]

٣٧– كتاب جالينوس في العلل والاعراض :

يقول حنين: « وقد كان ترجم هذا الكتاب سرجس الى السريانية مرتين ، مرة قبل ان يرتاض في كتاب الاسكندرية ، ومرة بعد ان ارتاض فيه » [٩٧] .

٣٨– كتاب جالينوس في تعرّف علل الاعضاء الباطنة :

يقول حنين : « وقد كان سرجس ترجم هذا الكتاب مرتين . مرة لثيادوري اسقف الكرخ ، ومرة لرجل يقال له اليسع (اليشع) » [٩٨] .

٣٩– كتاب جالينوس في النبض :

يقول حنين: « وقد كان سرجس ترجم من هذا الكتاب الى السريانية سبع مقالات من كل واحد من الثلاثة الأجزاء ، الأول مقالة مقالة، وهي المقالة الأولى من كل واحد من الأجزاء الثلاثة ، واربع مقالات للجزء الأخير . وظن كما ظن أهل الاسكندرية الذين عنهم أخذ، انه كما تحرى من الجزء الأول ان يقرأ منه المقالة الأولى ولم يقتصر عليها، كما قال جالينوس ، لانها تحيط بجميع العلم لما قصده في ذلك الجزء ، كذلك الحال في سائر الاجزاء . وقد عظم خطأهم في ذلك . الا ان اهل الاسكندرية كما اقتصروا من كل واحد من الاجزاء الثلاثة الاول على مقالة مقالة، كذلك اقتصروا من الجزء الرابع ايضاً على المقالة الاولى منه . ولذلك قد نجد مصاحف كثيرة باليونانية انما فيها هذه الاربع

(٩٥) رسالة حنين ، ص ١٠ ، رقم يب – سيزكين ، ص ٨٦ .
(٩٦) رسالة حنين ، ص ١٠ – ١١ ، رقم يج – سيزكين ، ص ٨٨ .
(٩٧) رسالة حنين ، ص ١١ – ١٢ ، رقم يد – سيزكين ، ص ٨٩ .
(٩٨) رسالة حنين ، ص ١٢ – ١٣ ، رقم يه – سيزكين ، ص ٩٠ – ٩١ .

المقالات فقط . . . فأما الراسي فكان أقرب الى الاحسان منهم ، وذلك انه انتبه من يومه واحس انه قد يحتاج حاجة ضرورية الى قراءة سائر مقالات الجزء الرابع ، فترجمها عن آخرها » [٩٩] .

٤٠ــ كتاب جالينوس في أصناف الحمّيات

يقول حنين : « وقد كان سرجس ترجم هذا الكتاب ترجمة غير محمودة ، وترجمته انا في أول الأمر لجبريل بن بختيشوع وانا غلام » [١٠٠]

٤١ــ كتاب جالينوس في البحران :

يقول حنين : « وقد كان ترجمه سرجس ، وأصلحته منذ سنوات و بالغت في تصحيحه » [١٠١]

٤٢ــ كتاب جالينوس في أيام البحران :

يقول حنين : « وقد كان ترجم هذا الكتاب الى السريانية سرجس ، وأصلحته مع اصلاحي الكتاب الذي قبله » [١٠٢]

٤٣ــ كتاب جالينوس في حيلة البرء :

يقول حنين : « وقد كان ترجم هذا الكتاب الى السريانية سرجس ، فكانت ترجمته الست المقالات الاول ، وهو بعد ضعيف لم يقو في الترجمة ، ثم انه ترجم الثماني المقالات الباقية من بعد ان تدرب فكانت ترجمته لها أصلح من ترجمته المقالات الاول » [١٠٣] .

٤٤ــ كتاب جالينوس في منافع الأعضاء :

(٩٩) رسالة حنين ، ص ١٤ ، رقم يو – سيزكين ، ص ٩٢ .

(١٠٠) رسالة حنين ، ص ١٥ ، رقم يز – سيزكين ، ص ٩٤ .

(١٠١) رسالة حنين ، ص ١٦ ، رقم يح – سيزكين ، ص ٩٥ .

(١٠٢) رسالة حنين ، ص ١٦ ، رقم يط – سيزكين ، ص ٩٦ .

(١٠٣) رسالة حنين ، ص ١٧ ، رقم ك – سيزكين ، ص ٩٧ .

يقول حنين : « وقد كان ترجم هذا الكتاب سرجس الى السريانية ترجمة رديئة» [104] .

٤٥- كتاب جالينوس في الادوية المفردة :

يقول حنين : « وقد كان ترجم الجزء الثاني من هذا الكتاب سرجس » [105]

٤٦- كتاب جالينوس في دلائل علل العين :

يقول حنين : « وترجم هذا الكتاب الى السريانية سرجس » [106] .

٤٧- كتاب جالينوس في الفصد :

يقول حنين : « ترجم هذا الكتاب الى السريانية سرجس » [107]

٤٨- كتاب جالينوس في قوى الأغذية :

يقول حنين : « وقد كان ترجمه سرجس، ثم أيوب (الرهاوي) ، وترجمته انا » [108]

٤٩- كتاب جالينوس في الكيموس :

يقول حنين : « وقد كان ترجمه سرجس ، ثم ترجمته انا » [109] .

٥٠- كتاب جالينوس في تركيب الأدوية :

يقول حنين : « وقد كان ترجم هذا الكتاب سرجس » [110] .

٥١- كتاب جالينوس في الادوية التي يسهل وجودها :

يقول حنين : وقد ترجمه سرجس، الا ان الحاصل في أيدي السريانيين في

(١٠٤) رسالة حنين ، ص ٢٨ ، رقم مط - سيزكين ، ص ١٠٧ .
(١٠٥) رسالة حنين ، ص ٢٩ ، رقم نج - سيزكين ، ص ١٠٩ .
(١٠٦) رسالة حنين ، ص ٣٠ ، رقم ند - سيزكين ، ص ١٠٢ .
(١٠٧) رسالة حنين ، ص ٣٥ ، رقم عا - سيزكين ، ص ١١٥ .
(١٠٨) رسالة حنين ، ص ٣٥ ، رقم عد - سيزكين ، ص ١١٧ .
(١٠٩) رسالة حنين ، ص ٣٦ ، رقم عو - سيزكين ، ص ١١٨ .
(١١٠) رسالة حنين ، ص ٣٧ ، رقم عط - سيزكين ، ص ١٢٠ .

هذا الوقت فاسد رديء. وقد أضيف اليه مقالة أخرى في هذا الفن نسبت الى جالينوس وما هي لجالينوس لكنها لفلغريوس » (١١١).

٥٢ـ تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في تقدمة المعرفة :

يقول حنين : « وقد كان ترجم هذا الكتاب سرجس الى السريانية، ثم ترجمته انا لسلمويه » (١١٢)

٥٣ـ تفسير كتاب جالينوس لكتاب ابقراط في طبيعة الجنين :

يقول حنين : «وقد كان ترجمه سرجس، فلما فحصناعنه علمنا انه لباليس»(١١٣)

وتذكر لسرجيس الراسعيني ترجمات اخرى ، أهمها :

٥٤ـ كتاب في الكيمياء . ولعله لتميوري اسقف الرها (١١٤).

٥٥ـ كتاب الطلاسم الاكبر لبلناس (بالسريانية : كثاوا دسيماثا : Appolonius ex Tyane) وهو في سر الخليقة ، ويسمى ايضاً كتاب العلل . ومنه مخطوطتان في باريس تحت رقم ٢٢٥٠ وفي برلين تحت رقم٥٩٠٨ ، وقد نشرنا جزءاً منه (١١٥).

٥٦ـ ينسب اليه ايضاً نقل كتاب في الحراثة ومقالات زراعية (١١٦)

بوسعنا تعداد نقول اخرى مشكوك في أمر صحتها ، يمكن الرجوع اليها في

---

(١١١) رسالة حنين ، ص ٣٧ ، رقم ف – يغفل سيزكين ذكره .

(١١٢) رسالة حنين ، ص ٤٠ ، رقم صا . يغفل ذكره سيزكين .

(١١٣) رسالة حنين ، ص ٤٤ ، رقم قا – سيزكين ، ص ١٢٣ . وكان فينريش قد ذكر بان سرجيس ترجم كتب ابقراط الى السريانية ، انظر :
Wenrich, De auctorum . . . p. 95

(١١٤) سيزكين ، ص ١٠٦ – ١٠٧ – ويقول ابن النديم في الفهرست، ط رضا تجدد، ص ٤٢٠ ما نصه : « كتاب سرخس الرأس عيني الى قويري الا سقف الرهاوي » . ويذكر كتاباً له : « كتاب سرخس في الصنعة » . وانظر سيزكين ، المجلد ٥ ، ص ٤١٩ .

(115) F. Nau, Patrologia Syriaca, I, Paris 1907, pp. 1363—1393.

(١١٦) اللؤلؤ المنثور ، ص ١٦٤ و ٢٣٦ – ادب اللغة الارامية ، ص ٢٣٢ .

المراجع التي أوردناها تكراراً. ويتضح من ذلك صعوبة الاحاطة الدقيقة بما صنف سرجيس وترجم ، وذلك بسبب شهرته ، فنُسبت اليه كتب ومقالات سريانية ليست لـــه .

ولا بد من القول ، في ختام هذا البحث، ان حنيناً كان محقّاً في اعتبار نقول سرجيس نقولا غير متقنة ، ولا بأس فهو بداية مطاف سوف يتسع مع الزمن . لذا فان قول البطريرك برصوم مبالغ فيه ، حيث انه يكتب : « واجاد سرجيس وأفاد في تأدية المعنى الاصلي بعبارة واضحة ، مراعياً الامانة في نقاه الذي يفضل على الترجمة اللاتينية »[١١٧] . ويبالغ غيره فيقولون : ان سرجيس « خير المترجمين من اليعاقبة (السريان الغربيين) ، وان اسلوبه في الترجمة فيما يقول رسل خيـــر نموذج لفن الترجمة يصلك من أضيق ناحية بالنص اليوناني الاصلي»[١١٨] . لربما كان ذلك صحيحاً اذا اعتبرنا الترجمة نقلا حرفيا عن النص الاصلي . لكننا نفضل تعبير ابن ابي اصيبعة فهو قد أوضح الامر بقوله: «نقل كتباً كثيرة ،وكان متوسطاً في النقل ، وكان حنين يصلح نقله ، فما وجد باصـــلاح حنين فهو الجيد ، وما وجد غير مصلح فهو وسط »[١١٩] .

ويبقى فضل سرجيس كبيراً ، فهو طبيب وفيلسوف ومترجم عظيم .

* * *

(١١٧) اللؤلؤ المنثور ، ص ١٥٧ .
(١١٨) كامل – البكري – رشدي ، ص ٢١٩ .
(١١٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٨١ .

اليقظة الفكرية في العراق

١٩٠٨ – ١٩٢٢

الدكتور يوسف عز الدين
عضو المجمع العلمي العراقي
استاذ بكلية الآداب – جامعة بغداد

مراحل الحياة الفكرية

قسمنا دراسة الحياة الفكرية الى ثلاثة ادوار لسهولة البحث .

فبدأ الاول عندما كان الفكر راكداً هادىء الحركة يهتم بما حوله ، وينشغل بالتراث الذي ورثه دون ان يقدر على الخروج عايه ، لعدم وجود تيار جديد يحركه او يحفزه للمقارنة .

وبدأ الدور الثاني لما دخلت عليه عوامل جديدة فتحت له آفاقاً ما كان يعرفها من قبل ، وبالرغم من اتصال الفترتين ووجود تشابه بينهما ، الا ان الاغراض الفكرية والتيارات الخارجية تغيرت مساربها ، عندما بدأت العناية بالفنون الأدبية واحتوى الفكر بعض هذه التيارات . وكان الانفعال الفكري محدودا ولم يكن متفاعلا مع هذه التيارات ، فقد عاش حذراً متوجساً رغم تأثره بالاحداث السياسية وبقي الادب حريصاً على الصنعة ، ويحترم اللفظ ، ويختار السجعة ذات الرنين والايقاع ، ولا تختلف في هذه الصنعة اللفظية بغداد عن الموصل والنجف عن الحلة ، في تكلف الغريب واظهار البراعة اللغوية ، وخير ما مثل الفترتين

الكتب التي الفت عن الادباء والمفكرين ، مثل (نزهة الدنيا فيما ورد من المدائح على الوزير يحيى) للعمري ، و (الروض النضر في ترجمة ادباء العصر) لعثمان العمري و (شمامة العنبر والزهر المعنبر) لمحمد الغلامي ، و (حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين السيد محمود) لعبد الفتاح الشواف ، و (حديقة الزوراء) لعبد الرحمن السويدي ، و (حور عيون الحور فيما لنا من منظوم ومنثور) لنعمان خير الدين الالوسي ، و (الجمان المنضد في مدح الوزير احمد) لمحمد الغلامي .

وفي الدور الثالث بدأ التيار الجديد وفيه حركة ونشاط ، فكان دور البداية الواضحة للتطور والتجديد ، اذا اثرت فيه الاحداث السياسية ، وظهر صداها في الفكر وانفعل بها وحاول ان يتمثل التجربة الجديدة .

فقد اعلن في هذه الفترة الدستور العثماني والحرب العالمية الاولى ، ودخل الانكليز العراق ، واعلنت الهدنة ، وحدثت الثورة العراقية ، ودخل فيصل العراق ، واعلنت المعاهدة مع الاحتلال البريطاني ، وظهر الحكم المزدوج بين المستعمرين وابناء البلاد ، ووجدت مؤسسات جديدة بعوامل مادية واضحة للعيان لم تكن بارزة من قبل .

فعندما اعلن الدستور العثماني واعلنت معه كلمات (الحرية والمساواة والعدالة) ، حرك هذا الاعلان الجو الهادىء الراكد ، وذهل الكثيرون ، وحسب بعضهم انهم احرار في كل ما يصنعون دون قيد او رابط او نظام ، واهتمت الصحافة بالامور الفردية وتتبع عورات الناس ، واثار ذلك المفكرين وحذروا من مغبة هذا التيار ، واندفع الشعب ، للخروج على التقاليد الاسلامية والعادات العربية ، لان الضجة كانت عالية بالقياس الى حياة المجتمع الهادىء الراكد . وكأنه كان سجيناً ضمن أعراف مهدورة وطبائع ومثل مفروضة .

وبدأت جمعية الاتحاد والترقي تدعو الناس الى الانتماء اليها واقامة الحفلات

للدعاية الى مبادئها وآرائها ، وكانت تضع شارة الجمعية على صدر المنتمين اليها [1] ، وكان الرصافي والزهاوي من دعاتها البارزين ، فقد صعد الرصافي على كرسي اعدله في وسط الجامع بعد صلاة العصر ، داعياً الى مبادىء الجمعية والانتماء اليها ، فاشاع اعداء الدعوة الجديدة ،بأن الخطيب اسكت قارىء القرآن واهانه ، وقامت مظاهرة تنادي (الدين يامحمدا) ، وطالبوا بتطبيق الشريعة والغاء الدستور ودخلت المظاهرة السراي [2] وقد جاملت الدولة هؤلاء واوقفت الرصافي وعبداللطيف ثنيان ، ولاول مرة يجد الانسان مثل هذه المظاهرة التي تكررت عندما سمع الشعب بتحويل امتياز شركة البواخر العثمانية الى بيت لنج الانكليزية وتم ارسال البرقيات [3] ولما عزل الفريق ناظم باشا سنة ١٩١١ وكان قد قام باصلاحات متنوعة فقد وسع الطرق والاسواق ومهد الطرق وانشأ سدة حول بغداد تحفظها من الغرق ونظم الجيش فثار أهل بغداد الموالون له مطالبين بابقائه واركبوه في عربته وجرّوها وهم ينادون (هذا والينا) و(الله ينصر دولتنا ناظم باشا والينا) حتى أوصلوه الى السراي في محل عمله .

واخذوا يرسلون برقيات تطالب به لكن الدولة ابرقت له بتسليم مقاليد الولاية الى الفريق يوسف باشا وطالبت باعلان الاحكام العرفية عند الضرورة عندها تفرق المتظاهرون بعدما القي القبض على بعضهم .[4]

تظاهر الناس مرة اخرى لما اراد حازم بك تسجيل النفوس ذكوراً واناثاً ، لانهم لا يريدون تسجيل اسماء النساء [5] وكانوا يخرجون بالطبول والاعلام ويسيرون في الطرقات، متظاهرين بالنقمة والاحتجاج على الاجراءات الجديدة .

---

(١) فهمي المدرس من رواد الفكر الحديث ص ٣٨ .

(٢) مختصر تاريخ بغداد ٢٥٠ .

(٣) الرقيب عدد ٢٤ جمادى الا ولى ١٣٢٨ .

(٤) مختصر تاريخ بغداد ٢٥٢ .

(٥) مختصر تاريخ بغداد ٢٤٩ .

وأحس الشعب بأن له قيمة ، وانطلق الفكر من عقاله ، واساء بعضهم هذا الفهم وبدأت المجاهرة بالمعاصي والذهاب الى المراقص والملاهي التي كان يخاف الناس الذهاب اليها بصورة علنية ، واخذ طلاب العلم يرتادون المقاهي ويقضون اوقاتهم في السهر واللعب خارج البيت ، فدهش الناس لهذا التحول الغريب ، فهاجمت الجرائد هذه الظواهر الطارئة ، ولما نشرت (الاتحاد العثماني) خبر منع طلاب العلم في الاستانة من الجلوس في (المقاهي والكازينوات وامثال هذه هذه المحلات ، ومن اللعب بالزهر (الطاولي) والدامة ...) ، أعادت الرقيب نشر الخبر وطالبت المسؤولين بالاقتداء بالعاصمة ، وايقاف زحف الملاهي والمقاهي والمسارح ومحلات الرقص ، ومنع الناس من (التفرج على الغواني والراقصات) ودخول مسرح المغنية طيرة [1] وطفقت تكتب المقالات وتقول (اجعلوا للسفاهة حدا) : —

(لم تكد تعلن الحرية في بغداد حتى تلقاها السفهاء بأنها عبارة عن نبذ الحياء والدين والمجاهرة بالمعاصي والمحرمات ، ولم يجدوا من عقلائهم او ذوي الدين منهم رادعاً ... والذي حدانا للدخول في هذا البحث ما بلغنا من أمر اقشعرت له جلودنا ، وهو دخول ثلاث من النساء المسلمات معهن طفلة الى مرسح الشط في قهوة الشط ، والمحل غاص بالجالسين بانتظار ظهور الراقصات [2] وقد جارى الشاعر معروف الرصافي هذا التيار فنظم قصيدة لم ينشرها في دواوينه ، منها :

اری بغداد تسبح في الملاهي — وتعبث بالاوامر والنواهي
رمت حملانها الارباق حتى — تناطحت الكباش مع الشياه
ايا بغداد ان الامر جد — فخلي بعض هزلك في الملاهي

---

(١) الاتحاد العثماني العدد ٤٣٢ ، الرقيب العدد ٩١ في ٢٨ صفر ١٣٢٨ وقد وقع المقال (وطني ناصح) ولعله الرصافي ، العدد ١٣٦ في ٧ رجب ١٣٢٨ .

(٢) الرقيب ١٤٠ في رجب سنة ١٣٢٨ .

واستنكرت جريدة الرقيب تدافع الناس لحضور المسارح ودفع اجرة الدخول دون ان يجدوا امكنة ، فقالت :ـ

(أما المراقص وتحشد الناس فيها وتهافتهم عليها فحدث ولا حرج ، حتى ان أوسع محل منها (وهو قهوة الشط) الذي يسع ما ينوف على ٧٠٠ شخص ، لم يزل بعض الناس يدفع رسم الدخولية ، ويدخل ثم يعود على الفور لعدم وجود محل يجلس فيه) [١] .

وتهاجم الجرائد شركة الترام لانها لا تخصص مكانا للنساء وتمنع اختلاط الرجال بالنساء وعملت به لهن حواجز خشب كسرتها النسوة [٢] .

هذه امور جديدة على الفكر وعلى المجتمع ان تختلط النساء والرجال وتخرج من دورها ، وأن يكون الرجل مساوياً للمرأة في الحقوق والواجبات وان يساوي الدستور بين المسلم والذمي ، فتظاهر الناس ضد الدستور وطالبوا بتطبيق الشريعة الاسلامية[٣] .

عوامل اليقظة :

وقد نبه الشعور العام اختيار جماعة من أهل العراق يمثلون بلادهم في الاستانة في مجلس المبعوثين ، وبالرغم من ان هؤلاء كانوا من الاسر المعروفة او كبار الموظفين والعلماء والضباط ، ولم يكن منهم عدد من ابناء الشعب ، الا ان هذا الاختيار الجديد بعث الامل في النفوس واحس الشعب بأنه يشارك الدولة في ادارة الدفة . لان المجتمع كان قد وضع هذه الطبقة في الصدارة فضلها بالتقدم ، لانها تتمتع بهالة من النسب او العلم او الوظيفة وهي مؤهلات يرضاها الشعب الذي لم يكن قد تنبه بعد . وعاش في جهل فكري وأمية مطبقة .

كانت هذه الظواهر جديدة على المجتمع الذي لم يكن يحس بها من قبل

(١) الرقيب العدد ٢٩/٥٦ رمضان ١٣٢٧ .

(٢) الرقيب ١١/١٠٨ ربيع الآخر ١٣٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ٢٠/١١١ ربيع الآخر ١٣٢٨ .

صدور الدستور وبهذه السعة ،فقد تبنت الدولة اموراً كان الناس يخافون من ذكرها، وتحدثوا بعبارات والفاظ كانت ممنوعة عنهم كالعدل والظلم والانصاف او ما يمت اليها في القرآن الكريم [١] وقد اسست عدة مدارس للبنين والبنات ونظمت دار المعلمين ، واسست مدرسة الحقوق ، واصبح للناس حرية العلـم والعمل ، وشعروا بسلطة الدولة واستتباب الامن وان لهم حرية في تشكيل الاحزاب والاندية . وكلها امور كانت محرمة قبل الدستور .

وقد جاء في تقرير ديوان المعارف ان المدارس كانت في عهد الاستبداد (٥٨) دار علم ومكتب ومدرسة ، اما في عهد الحرية فقد بلغت (١٠٣) ، ومع ذلك فلم يرض ذلك (لغة العرب) ودعت الى المزيد من المدارس، مع انها ذكرت ان المدارس وصلت الى بعض انحاء العراق ،ومنها بعقوبة والهويدر وبلد روز [٢] ولكن الاصلاحات المحدودة لا تكفي في وطن تخرب واندرست حضارته وضاعت معالمه الفكرية وشخصيتة الحضارية ، وخير دليل ما قالته جريدة الرقيب تخاطب الوالي :—

(فيا ايها الناظم المحترم ، وصلت الى الولاية واطرافها محاطة بدماء تسفك واعراض تنتهك وحقوق تغتصب وشراك تنصب) (وصلت للولاية وقد اخذ منها الفساد مأخذه ، ووصل النفاق غايته ، وصلت للولاية وهي تكاد تكون فوضى فلا يرحم الكبير الصغير ولا يوقر الصغير الكبير) .

(فان الاغلب لا يهمهم والله الا صلاح احوالهم ولو فسدت الدنيا وهلك الناس ، ولا يمنعهم من السعي بخراب الارض وان عمرت دورهم ، ولا يلتفتون

(١) حياة الشرق ، محمد لطفي جمعة ، ص ٢٤٣ .

(٢) لغة العرب ح ١٩١٣/٣/٦ ، والعدد ١٩١٣/٢/٨ يسمى الاتراك (مكتب) للمدارس الجديدة مثل مكتب الحقوق والمدرسة كانت تطلق على المدارس الدينية .

لفساد الدولة وان صلحت جيوبهم ...) [1] .

وتغيرت صيغ تعيين الولاة عما كانت عليه قبل الدستور فقد نص فيها على ضرورة الاهتمام بالشعب ، وأكد الولاة على افساح المجال للجميع بالعمل والمساهمة في الحكم وتذكير الناس بما في العراق من خيرات وقابليات وحضارة ، فقد جاء في تعيين جمال بك (بأن بغداد قابلة للترقي والعمران ولها استعداد للثراء والتجارة والمساواة والعدل والحرية ، وأن العراق ادى للانسانية قبل مبعث الرسول الكريم ايادي بيضاء) [2] .

بداية الوعي :

كانت بداية الوعي محدودة بطبقة خاصة من الضباط ورجال الدين والموظفين ، فعندما بدأ الحكم في الاستانة باصلاح الجيش بعد اصابة الدولة بخسائر كبيرة في عدة مواضع : اتجهت الدولة نحو الاساليب الغربية ، وانشأت للدولة المدارس العسكرية ومن ثم المدارس الاخرى ، وتأسست في بغداد المدارس الرشدية والاعدادية العسكرية والملكية ، فكان الطلاب يستفيدون منها وتلم شملهم في اقسامها الداخلية المجانية ، ولهذا كان اكثر الموظفين في بغداد من الضباط واقلهم من المدارس الاخرى كمدارس المبشرين وما انشأ مدحة باشا من مدارس [3] .

وعندما انتشرت التورانية كان عدد المتعلمين من العرب كثيراً ، فعدد الضباط العرب في الاستانة وحدها ، كما قال الدكتور نقولا زيادة ٤٩٠ ضابطاً ، وقد تفتحت اذهانهم على الحياة الجديدة فيها ، وانتشر الوعي بينهم ، لذلك خاف رجال الحكم منهم ، وظهر اثرهم في المطالبة العنيفة التي طالبوا فيها بمساواتهم مع الاتراك في الوظائف والقيادات السياسية .

---

(١) الرقيب ١١٤/٣ جمادى الاول ٣٢٨ (١٩١١) .
(٢) الزوراء ٢٣٢٢ رجب الآخر ١٣٢٩ ، العزاوي ٢١١ .
(٣) البلاد العربية والدولة العثمانية ٦٤ - ٧٤ .

الصحافة حرة :

وكثرة عدد الجرائد والمجلات وحرية اصدارها بعث الوعي في النفوس وفتح الاذهان ، لانها كانت تصدر (بدون رخصة او تدقيق او عرض على مفتش...) حتى قالت الرقيب : (فنحمد الله بلغنا ذلك اليوم حتى تحققت لدينا حرية الصحف والمطبوعات) [1] وعرف الصحافي واجبه بانه قائد ومفكر وموجه ، وجند نفسه لخدمة امته ووطنه ونشر الوعي الوطني والشعور بالمسؤولية ، فقد نقلت الرقيب مقالاً مطولاً من (العصر الجديد) ، واحتفت به حفاوة كبيرة ومما جاء في المقال : (الصحافة مضمار لا يجول فيه الا من كان فارساً وهانت عليه نفسه وصغرت في عينه حياته ، فاصبح يرى الموت في خدمة وطنه وقومه حياة لا تماثلها حياة) [2] .

وبدأت الصحافة تنشر شكاوى ابناء الشعب ضد الموظفين وتدعو الى الاصلاح في اجهزة الدولة ،وتذكر معايب الاعمال التي يقوم بها ارباب السلطة ، وتطالب بانشاء جسور ، واضاءة الشوارع وشقها وتوسيعها وتنظيفها ، وبالامن في البلد ، وبانشاء المدارس ، وتشكو من تأخر البرقيات وما تقوم به (الجندرمة) من تدخل في الشؤون العامة وأخذ (الخاوة) من المسافرين من قبل القبائل ، وكانت الرسائل تعنون الى (الدفتردار) و (أنظار ملجأ الولاية الجليل) ، او البلدية ، او مدير الشرطة واحياناً توجه هذه الرسائل المفتوحة الى الوالي نفسه او المتصرف او اي شخص له سلطة وسلطان ، وتهاجم الرشوة والمرتشين [3] ومن الطريف ان يقارن احد الكتاب بين جسر الكوفة وجسر بروكلن بمقالين فيهما من السخرية اللاذعة والمقارنة المضحكة ما لم يخطر على بال كاتب من هذا العصر .

---

(١) العدد الاول ٦ محرم ١٣٢٧ .

(٢) العصر الجديد ، العدد ٢٥٦ ، الرقيب العدد ٢٠/١٣٠ جمادى الاخرة ١٣٢٨ .

(٣) الرقيب ، العدد ١٠٨ و ١٣٢٨/١١١ .

وقد ساهم الشعر مساهمة جادة في الاصلاح ، فقد نشر احد الشعراء قصيدة يندد فيها بالمرتشين منها :

كم من حقوق قد اماتوا وانهم لقبح الرشا مالوا الى المكر والغدر
واموال ايتام الارامل عندهم تباح كأن النهي لم يأت بالذكر
كأن لم تك الآيات فيها صريحة بتحريمها والاكل في البطن كالجمر
وهيهات ان تخفي على خير دولة مساوى الرشا والظلم بالكتم والسر[1]

ويشارك عالم من العلماء الكبار بالشكوى شعراً ، فعندما غير الفرات مجراه ويبس القسم الذي يذهب الى الحلة الذي كان لا يمر بها غير شهر او شهرين لانهدام السد ، ابرق السيد محمد القزويني ببرقية يحفظها الادباء هي : —

قل لوالي الامر قد مات الفرات وغدت عنه اهاليه شتات
افترضى أن يموتوا عطشاً وبكفيك غدا ماء الحياة[2]

وسبّب نشرهما تناقلهما في الجرائد ، وبدأت العرائض ترسل الى الدولة تستغيث ، لان النشرشجع الناس على الشكوى وبعث الوعي فيهم حتى اضطرت الدولة الى انشاء سدة الهندية التي لا تزال حتى الآن . وقدكانت بعض الجرائد تتعرض للمحاكمة او التعطيل، فقد تعرضت الرقيب للمحاكمة لانها لمزت المسؤولين ، ولكن المحكمة برأت صاحبها عبداللطيف ثنيان . وخلال الحرب العظمى الاولى عطلت الصحف، ونفى عبدالحسين الازري وداود صليوا وانستاس الكرملي الى (قيسرى) ، كما نفي ابراهيم صالح شكر وثنيان الى الموصل، وفر سليمان الدخيل الى نجد ، ولجأ رشيد الهاشمي وكاظم الدجيلي الى البصرة[3] .

كانت المنافسة بين الصحف تدعو الى الحماسة والتطرف ، فقد انقسم أهل

---

(١) الرقيب المصدر نفسه .

(٢) الرقيب ١٠/١٣٧ رجب /١٣٢٨ ، واعيد نشرها في البابليات ج ٢ ق ٢٢ ص ٠ في ترجمة محمد القزويني .

(٣) في غمرة النضال ٨٣ .

العراق الى مؤيد للدستور ومناهض له ، فقد كان معه الرصافي والزهاوي وفهمي المدرس ، وكانت اكثر الجرائد تقف ضد الاتحاديين والدولة ، وكان الموالون للدستور يذكرون محاسنه ومفاخر اعمال جمعية الاتحاد والترقي ، وقد تولى الرصافي رئاسة تحرير جريدة (بغـــداد) الاتحادية [١] للدعاية للدستور وجمعية الاتحاد والترقي وانضم العنصر العربي المناوئ الى الإئتلاف ، وطالب في صحفه بمساواة العرب والدعوة الى الحرية ، ورددت كلمات جديدة لم يكن المفكر قادراً على ذكرها كالحرية والظلم والعدالة والطغيان والثورة .

ثم عادت الحكومة تضيق بالصحافة والمعارضة فشددت عليها الخناق ووضعت قيوداً جديدة للتنكيل بها وكم الافواه لانها خافت مغبة الامر على نفسها ، ولما دخل الانكليز بغداد لم تكن فيها غير صحف محدودة ، أهمها الزوراء وصدى الاسلام [٢] .

الفكر الغربي والتطور :

كان العراقي يخاف من ذكر الغرب ويبتعد عن كل شيء يأتي مـــن الغرب ، لانه بلد الكفر الذي يطمع في الاستيلاء عليه وتقويض الدين الاسلامي ، فلا يقلد اعمال الغرب وكانت سبة تصيب من يقلده او ان يرضى بالمخترعات التي يقدمها الغرب للشرقي : حتى امتنع بعض ابناء الشعب من اخذ الصور (الفوتوغرافية) لانها غربية ولان الصور محرمة ، بل ان احد الاطباء الغربيين لم يجد من يراجعه رغم انتشار الامراض وفتكها في الناس لانه لم يكن مسلماً او شرقياً [٣] واعتبرت المدنية الغربية مفسدة للاخلاق ومهدمة للدين ونسي الشعب بان الغرب هو الذي اخذ من العرب الحضارة وبهم انتشرت المدنية (واشرقت

---

(١) كان رئيس تحرير (بغـــداد) الرصافي ، وهي لسان حال جمعية الاتحاد والترقي ومديرها مراد سليمان (في غمرة النضال ص ٨٢ وص ١٠٢) .

(٢) الشعر العراقي الحديث ، ص ١٢١ ، ١١٢ ، وفي غمرة النضال ٨٠ ، ٨٣ ، ٧١ ، ٧٤

(٣) رحلة متنكر ، تأليف ميجرسون ، ص ٢٥٤ .

شموسها من بلادهم ... وكيف الوصول الى ما وصل اليه آباؤهم ويجرون على ما جرى عليه سلفهم ، ولا يحتاجون اكثر من ان ينقادوا الى تقليد المدنية الاوربية التي هي مفسدة للاخلاق وسائد فيها الكذب والنفاق ، واكثرها لا يلائم الدين.. لكون تلك المدنية الفاسدة مع الدين على نقيضين) [1] .

لكن هذه النظرة بدأت تخف عندما احس الشعب بفائدة المخترعات الحديثة فبدأ يأخذها بحذر وخوف ، ولما اقتنع ورأى ضرورة الاخذ بالحضارة الاوربية في تطوير حياته ، وبدأت الصحف تقارن بين الشرق والغرب وتذكر مراحل تقدم الغرب وتأخر العرب وفتحت صدرها لنشر اخبار التقدم الحضاري التي تنشر في الصحف الخارجية وتبنت نشر المقالات التي تدعو للاستفادة من حضارة الغرب وتعيد نشرها في بغداد كيلا تتهم الجريدة بحب الحضارة الغربية ، فقد نشرت الرقيب مقالة منشورة في جريدة الزمان بعنوان (نحن نقول وغيرنا يفعل) قارنت فيه بين الانسان في الغرب والشرق فقالت :—

(العقل الانساني واحد في الجميع متى تنوعت الرؤوس الموضوع فيها الذكاء واحد مهما كانت والقوالب التي يسبك فيها ، فاذا وجد من هو يفوق على الاخر في العقل والذكاء فانما من حيث الاستعمال لا من حيث عدم الوجود) ، ويضرب مثلاً بعظمة امريكا وازدهار الحضارة في اوربا وما سخرته الحضارة من مخترعات في خدمة البشرية ، ويلوم الشرق الذي بقي حيران لا يدري ما يفعل ، فهو دائم النوم ، يحجز نفسه في محيط محدود ، وكان عليه ان يقلد الغرب في ركوب البحار وغوصها ، وحفر الارض والبحث عن كنوزها ، والصعود الى الجو (متفقداً سكان القمر والمريخ) [2] والغريب ان خيال الكاتب قد صدق وها هو الغرب ذهب يكتشف الفضاء والجو وقد وصل الى القمر والمريخ بعد ان كان خيالاً قبل حوالي الثمانين سنة .

(١) ابراهيم صالح شكر وبواكير النثر في العراق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .
(٢) الزمان / العدد ٤١٧ ، الرقيب ٩٩/ ربيع الاول ١٣٢١ .

وقالت الرقيب بصراحة : ان الغرب تقدّم ، وان الشرق يعيش في جهل ، وان ابناءه بعيدون عن الجد قريبون من اللهو والمتع ، والغربي منصرف الى انشاء الشركات والمدارس والمؤسسات التي تنفعه ، . ولا يضيع وقته الا بما يعود عليه وعلى ارضه بالنفع وعلى التجارة بالتوسع فمن الضروري الانتفاع من الفراغ في العراق بانشاء الجمعيات الفكرية والعلمية للبحث والتتبع [1] .

واعترف كاتب آخر بفضل الغرب على الشرق فقال : (لا ينكر احد من الذين نوّرالله بصائرهم ان للغربيين على الشرقيين يداً بيضاء لا تقوم بشكرها الالسن[2] . وهي آراء وافكار لم نجدها في العهد العثماني بهذه الصراحة وهذا الوضوح .

الاحتلال البريطاني :

وكان للاحتلال البريطاني مظاهره الواضحة التي حركت الوعي . فقد دخل الانكليز العراق وهم يختلفون عن اهله بكل مظاهر الحياة المادية والروحية . فطراز الملابس واللغة واسلوب حياتهم الاجتماعية تختلف كل الاختلاف عن حياة الاتراك العثمانيين الذين كانت تربطهم بالعراق رابطة الدين والعادات والتقاليد والمصاهرة احياناً . الا ان المفكر العراقي بدأ يحس بالفارق الكبير بين قومه وبين هؤلاء الغربيين ، واحس بضرورة الاخذ من هذه الحضارة والاستفادة منها . وقد ادى تغير السلطة الى تبدل عميق في الحياة العامة ، وفي القيم والعادات الموروثة . وكان اختلاف الحكم ظاهراً في جميع المستويات .

وقد كان الاحتلال سبباً في ربط العراق بفلسطين ومصر ، فأخذت تصل الجرائد والمجلات العربية للمفكرين والمثقفين كالمقطم والمقتطف والهلال وغيرها من المجلات والجرائد العربية . وساهمت المطبوعات التي تصدر في العراق في

(١) الرقيب ٩١/١٠ صفر /١٣٢٨ .

(٢) لغة العرب ج ١٩١٢/٢/٦ .

بث الوعي ، وحركت الاقلام على المساهمة في الكتابة ومعالجة موضوعات شتى . وكانت الصحافة مجالاً للتنفيس عمّا يعانيه المفكر من سخط على الاستعمار والمستعمرين ، وسبباً من اسباب ابراز التناقضات الاجتماعية والسياسية والفكرية بين العراق والمستعمر الاجنبي ، ودعت الى ضرورة اللحاق بالغرب ومساواته . اذ بغير مساواته لن يقدر على التخلص منه والقضاء عليه واستقلال ارضه . [1]

الصحافة والاصلاح :

وتمتعت الجرائد بحرية لم نجدها في اي عصر من العصور المتأخرة . فقد كانت تهاجم السلطة بكل جراءة اللفظ والعبارة . ولم يعاقب المفكر الا بعد محاكمة وبعد تحقيق ونادى الاستعمار بالحكم الديمقراطي ، وبأن الشعب سوف يبت في مصيره . واجرى سنة ١٩١٨ استفتاء من قبل ولسن لاختيار طراز الحكومة التي يريدها بالرغم من الاختلافات الكثيرة في الرأي ، الا ان العراقيين اتفقوا على ضرورة وجود الحكم الديمقراطي ، وان يكون في البلاد مجلس للنواب يختار من قبل ابناء الشعب . ويظهر مدى تعلق العراقيين بالحكم الديمقراطي في مناقشات المجلس التأسيسي الذي وضع القانون الاساسي[2] وظهر الوعي الديمقراطي عندما نشر الاحتلال البريطاني مثل هذه المناقشات اذ لم يعرف العراق هذا النظام قبلاً . ومعنى وجود الحكم الديمقراطي وجود احزاب سياسية تعد لهذا الحكم اسوة بما بالامم المتحضرة ، لان مسؤولية الوزراء امام مجلس النواب معناه ان الشعب هو الذي يحكم ويسود وسيكون الملك مصونا غير مسؤول .

واخذت المناقشات في الجرائد طابع الحماسة لبث افكار الدعوة الى الحرية والاستقلال وتأسيس الجمعيات والاحزاب ، فكانت عاملاً كبيراً في بلورة الوعي الفكري . ولم يكن العراق غريباً على مثل هذه المنظمات ، التي بدأ ،

---

(١) يصف سليمان فيضي ما حدث في البصرة ص ٢٠٢ . في غمرة النضال .

(٢) مذكرات المجمع التأسيسي ، في جزأين ، مطبوع في بغداد .

بتأسيسها منذ اعلان الدستور العثماني لما احتك الاتراك بالعرب وظهرت الطورانية واسسوا لهم الجمعيات لتجمع شملهم وتذود عن كيانهم في الاستانة . وقد ذكر احمد عزة الاعظمي [1] اسماء هذه الجمعيات واثرها في الفكر العربي وبث الوعي القومي . وقد عاد اكثر العراقيين الذين ساهموا في هذه الجمعيات العربية الى وطنهم وهم اكثر حماسة واسبر عقيدة وحباً في بث الوعي الوطني والفكري بين ابناء العراق .

وكان للحرية التي تمتعت بها الجرائد بقصد او بدون قصد اثر كبير في في تفتح الاذهان عندما حاول الكتاب اثبات الذات القومي والوجود الذاتي والنفع الاقتصادي بمهاجمة المعتمد السامي وهو اعلى سلطة في البلاد . فقد قال محمود الملاح :

اهمفريز ماوجه الثرى انت واطيء	ولكن دماء احدثت في الثرى هزّا
حكى مدية عهد قطعناه بيننـا	غداة تحالفنا على شرف المغزى
ولكن اخذتم باليمين نصالها	واوداجنا بالنصل محزوزة حزّا

التطور والتجديد في الفكر والادب :

بدأت دعوة الاصلاح والتجديد تظهر جلية بعد الدستور العثماني . وساهمت الحياة السياسية والتغيرات الاجتماعية في نشرها . وبدأ الاصلاح في أول الامر في اجهزة الدولة وتعقب احوال الموظفين وارباب السلطة لكي يتجنب هؤلاء الامور الضارة بالصالح العام ولتصلح امور الولاية [2] ثم تلفتت الى الحياة العامة ، ورأت ضرورة اصلاحها بمناقشات في الجرائد دعت الى الاصلاح الكامل . وكان المفكرون يثيرون المناقشات ويدعون الى حرية الفكر والتطور والتجديد في اللغة والفن وادخال الآراء الفلسفية الغربية والدعوة الى السفور والحجاب ، فوقف

(١) القضية العربية في الاعداد المختلفة يظهر تطور الوعي والفكري والوطني والقومي .
(٢) الرقيب / العدد الاول / ٦ محرم / ١٣٢٧ .

الشباب مع الحركة الجديدة مع من كان في الاستانة من المتنورين الذين احتكوا بالحضارات الاجنبية وناوأ الحركة بعض شيوخ الدين ومن لم يحتك بالجديد أو يؤمن به . واهتمت به الجرائد والمجلات وكان للتيارات الغربية التي جاءت من مصر والوطن العربي اثر في المعركة . فقد اهتم ابناء العراق بمصر وبما يدور فيها من مناقشات فكرية واجتماعية وادبية . فالحفاوة التي يلقاها شوقي ، والنقدات التي تهاجمه تجد صداها عند الرصافي والزهاوي وانصارهما . ومعركة (الديوان) التي اثارها عباس محمود العقاد والمازني يقلدها الادباء والمفكرون في بغداد فنجد (العصرية) في الادب والفكر والالفاظ ، حتى اسماء المكتبات اصبحت (عصرية) . وقد نشرت الجرائد بعض النماذج التي تحاكي الادب الغربي ، لأنها طريقة جديدة غريبة [1] وظهر في هذه الفترة أثر دعوات الاصلاح التي ظهرت في الوطن العربي التي نادى بها جمال الدين الافغاني والكواكبي ومحمد رشيد رضا ومحمد عبده وشكيب ارسلان وشبلي شميل في الاشتراكية والنظام الجمهوري ونظرية النشوء والارتقاء والتطورو وصف المخترعات وادخال الفاظ الحضارة [2] .

ولم تكن الاقليمية التي غرسها المستعمر قد آتت ثمراتها ، فكان العراقي يتعصب للاديب المصري او السوري ، لانه يراه ابن وطنه ، وانه شاعره واديبه، فوجدنا من يقلد شوقي وحافظ والرافعي والمنفلوطي وشكيب ارسلان في اساليبهم . ويرى ضرورة الوصول الى ما وصلت اليه مصر وسورية من التقدم والتطور والادب ، ويطالب بتقليد العرب في الصراعات الفكرية السلمية التي تثور بينهم

---

(١) نشرت الرقيب قصيدة لخير الدين الزركلي وقالت عنها : (انها طريقة جديدة في النظم يقلد بها شعراء الغرب ، واحسن التقليد واجاد في النظم بهذا الاسلوب العصري) .
المفيد : العدد ١٠٧/١/١٩٢٢ .

(٢) تطور الفكر الحديث في العراق ص ٥٥ .

ولاتؤثر فيﻧﻔﻮﺳﻬﻢ ، وهاجم ادباء العراق الذين يعتدي بعضم علىبعض بالضرب والإيذاء [1] .

ان وصول الجرائد العربية الى بغداد ادخلت اسماء جديدة لم تؤلف ، وقادة فكر وادب لم يسمع بهم . فقد كثرت الاشارات الى تولستوى وذكرت القصص والعقائد الاجنبية مع فلسفة اوربا ونظرياتها عند ديكارت وداروين ومونتسكيو وبسكال ودانتي ولافونتين واناتول فرانس وتورجنيف وجيمس جويس. ودعت بعض الجرائد الى الاخذ من الغرب فكراً وعلماً لكي يتقدم العراق ويتطور [2] ، وليظهر المفكر تطوره وعصريته ، وانه متنور ، عكف على الفكر الغربي ، وعلى الادباء العرب الذين ظن انهم تأثروا بالادب الغربي او استفادوا منه في ادبهم . واصبحت الرومانتكية من مظاهر هذا التقليد . كما راجع المفكر تاريخه العربي وتراثه الاسلامي فظهرت العناية بقادة الاسلام والعرب وذكر غزواتهم لاعادة الثقة بالنفس تحدياً للاستعمار ورغبة في الاستقلال الناجز .

ومن المع الاسماء التي تثار حولها المعارك الفكرية الشاعران الزهاوي والرصافي التي كانت تدخل في صراع فردي يجر الى الطعن بالاديب وبتاريخه والبحث عن ماضيه في الزمن العثماني [3] ويتصدى آخرون يهاجمون الزهاوي وانصاره ويؤيدون الرصافي [4] في تتبع سقطاته النفسية وحبه للظهور والشهرة [5] واستفادت بعض الصحف من هذه المنارعات لكي تباع ، واستغلت حب العراقي للمنازعات واثارة العورات والشتائم فكثرت نقدات الشعراء والادباء كالشبيبي وعطا امين ويوسف غنيمة وكاظم الدجيلي [6] وغيرهم .

(١) المصدر نفسه ٥١ — ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٥

(٣) شط العرب ١٠ و١٩٢٤/١/١٣ .

(٤) الناشئة الجديدة ٧ ك ٢٣/٢ .

(٥) العراق ١٦١٨/٦/٢٥ ، والامل ٦١/١/٢٣ .

(٦) العراق اعداد سنة ١٩٢١ ، ولسان العرب ١٩٢٤ ، والاستقلال ٩٢٥ والمفيد ١٩٢٤ .

مظاهـر التجديـد :

احس المفكر بضرورة نشر افكاره بين اكبر قدر من ابناء الشعب باستعمال الالفاظ السهلة في ادبه والاسلوب الواضح في فكره بعيداً عن كل تعقيد لفظي وتجنب اختيار الكلمات الرنانة والعبارات المنتقاة والركض وراء السجع . فقد قالت جريدة الرقيب : وقد التزمنا تحريره بلغة بسيطة دون مراعاة للقوافي وغيرها لتسهيل مطالعته على عموم الاهالي . فنرجو من كل مطلع عليه الا ينقد عباراته بسبب بساطتها (٥) .

ولما تعرف المفكر على اللغة الاجنبية وجد المصطلحات والآراء الفاسفية الغربية بحاجة الى مثيل لها في اللغة العربية ، فكان التطور من اسباب وضع مصطلحات للالفاظ الاجنبية التي يستعملها الغرب او التي كانت تستعمل في الزمن العثماني فعرّب اسماء الرتب والمناصب والالفاظ المختلفة في الدواوين والدوائر الرسمية .

ولم يكتف دعاة التطور والتجديد بتطور لغتهم وادبهم ومقالاتهم بل غير التطور الازياء وطراز الملابس واسلوب الطعام فارتدى المفكر المتطور او المتنور الملابس الغربية وحمل العصا وغير زيّ الرأس دون الاستفادة الحقيقية من جوهر الحضارة واساليبها وتقاليدها .

فقال الرصافـــي :

وكم مدّع فضل التمدن ما لـه من الفضل الا اكله بالملاعق

وكانت الامور الشعبية وقضايا المجتمع والدعوة الى الوطنية والقومية من مظاهر هذا التطور والتجديد ، فاهتم الفكر في التحدث بها . وسجل لنا جميل صدقي الزهاوي ما كان يدور في رأس هؤلاء عندما اصدر مجاته الاصابة وقال: «ستكون عبارتها سهلة ما فيها تعقيد او عوج فيسهل فهم القراء اياها وتجنب الاطالة».

(٥) الرقيب / العدد الاول /١٣٢٧ نماذج من هذه النقدات في ابراهيم صالح شكر وبواكير النثر الحديث في العراق .

وهاجم الادب الذي سبق عصره وما فيه من محسنات لفظية وبخاصة الشعر فقال : « كان الشعر يومئذ صناعات بديعية من جناس وطباق واستخدام وتورية ومراعاة النظير الى غير ذلك مما هو بالالفاظ يخدع الاغرار ونزوح عن الشعور والمعاني » .

وقد اعان على الاخذ بالتطور والتجديد الخطب والمقالات التي تلقى او تكتب عن المؤسسات الجديدة مثل مجلس النواب والاعيان والوزراء ومناهج الوزارات وآراء المعارضين التي تنشر في مهاجمة الدولة فتثير النفوس وتوقظ الوعي . وقد كان المفكر مخلصاً في رغبته في تطوير العراق وتجديده والخروج به من عصر الركود والتأخر الى عصر الحضارة والرقي . واتخذ المفكر العربي الدعوة الى الاعتزاز بالتراث العربي الاسلامي والوحدة العربية سبيلاً الى هـــذا التقدم . ودعا الى استقلال العراق الكامل واخراج الاستعمار من وطنه . وهذه الآراء تلقى استجابة من ابناء الشعب . فساهم عدد كبير من الكتاب في حركة التجديد سلباً وايجاباً وبرزت زمرة كبيرة ساهمت في الحركة الفكرية مثل : محمود شكري الالوسي وجميل صدقي الزهاوي وانستاس ماري الكرملي ومعروف الرصافي ومحمد رضا الشبيبي وكاظم الدجيلي ويوسف غنيمة وشكري الفضلي وخيري الهنداوي ورزوق غنام وعبدالرحمن البناء وسليمان الدخيل وابراهيم صالح شكر ورفائيل بطي وعبدالحسين الازري وصادق الاعرجي وعبداللطيف ثنيان وكامل السامرائي ومحمد الهاشمي وحبيب العبيدي وعطا امين وعبد الغفور البدري وناجي القشطيني وهبة الدين الشهرستاني وعلي الجميل وفهمي المدرس ويوسف رجيب وغيرهم كثير . انها فترة خصبة من تاريخ الفكر وتطوره في العراق غذت نواحي الحياة الفكرية والادبية واغنته بالجديد والتبديل والتطور والتقدم .

اتجاهات الصحافة :

وقد ظهرت اتجاهات واساليب جديدة في المقالة الصحفية . فاعتمد المفكر المقالات الافتتاحية لتوجيه الرأي العام ووضع الفكرة الرئيسة فيها كما نشرت العقائد والتطور الحضاري والعلمي . وبدأت تتسرب القصة الغربية والرواية والمسرحية ، محاولة ان تزاحم الشعر في قيادته . والذي بقى في الصدارة ، واتخذت المسرحيات سبيلا لبث الوعي الوطني بتمثيل روايات تمجد الحياة العربية وتظهر ابطالها وفرسانها ، وتذكر قادتها وفتوحها . ولم تكن الرواية قادرة ، والادب القصصي بصورة عامة على شق طريقه الا بصعوبة . فلجأ المفكر الى الكتابة تحت عنوان (الرؤيا) . متأثراً بكتاب (الرؤيا) الذي كتبه نامق كمال وترجمه معروف الرصافي ، لان الفن القصصي كان اسلوباً غريباً لم يألفه الادب بشكله الغربي وعده الادب لهوا لا يليق بالكتاب الكبار ان يكتبوا فيه [1] .

وبدخول الانكليز العراق ، خطت المسرحيات خطوات واسعة اذ كثرت حفلات التمثيل وخصصت بعض هذه الحفلات لابناء الشعب . وزادت الترجمة من نشر هذا الفن بعد عناية الجرائد والمجلات به . والاقبال على الكتابة فيه وقراءته . واعتمد الكاتب على تجاربه الفردية ، واتخذ هذا الفن سبيلاً للاصلاح والتطور والاخذ بالحضارة الجديدة ورفع مستوى المجتمع العام . وبرز في هذا الفن عطا امين . وكان الرجل طموحاً اراد اصلاح العراق اجتماعياً وسياسياً وادبياً . ودعا الى اعطاء المرأة حقها ومكانتها الاجتماعية.وقد تأثر الكاتب بالفكر الغربي ، ولعله درسه او عرفه ، كما تأثر بالمنفلوطي وجبران ومي زيادة . ثم يظهر الفن القصصي بوضوح وبكثرة عندما تخصص الجرائد والمجلات مكاناً له وتحتفي بـه .

---

(١) الرواية في العراق ، تطورها واثر الفكر فيها . بحث طويل .

ومع ان الفكر السياسي هو الغالب ، الا ان الدارس يجد بعض الصفحات خصصت في الجرائد للمجتمع وقضاياه كالعراق والعالم العربي والمفيد ولسان العرب والاستقلال والوطن والنهضة وقد كانت بيوت المفكرين والموسرين والعلماء ميادين فكرية ساعدت على احتكاك الافكار مثل بيت محمود شكري الالوسي وفهمي المدرس وعطا الخطيب ودير الآباء الكرمليين التي يسكنه انستاس الكرملي . وزادت النوادي الادبية والجمعيات في تطور الحركة بالمحاضرات التي كانت تلقى ، والمناقشات التي كانت تعقبها .

واهتمت بعض المنشورات الصحفية بالادب والفكر مثل (كناس الشوارع) لميخائيل تيسي و (بغداد) لعبدالرحمن البناء و (مرآة العراق) لعبد الكريم العلاف و (الزنبقة) لعبدالله حبوش وتوفيق السمعاني و (اللسان) لاحمد عزة الاعظمي (واليقين) لمحمد الهاشمي و (المعرض) لاحمد عزة الاعظمي و (عطارد) لمحمد محمود القشطيني و (الاصلاح) لعبد الحسين الازري . الا ان هذه المجلات والجرائد لم تكن قادرة على الاستمرار لضآلة ما يباع منها ، وعدم قدرتها على الصمود لقلة المشاركين ، ولان التعليم كان محدوداً . ولعل الحياة السياسية هي الي كانت تشغل الناس عن كل شيء ، لان العراقي سياسي بالطبع ، ولان السياسة اثرت في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، كل عراقي يحلم بالسطوة والسلطان والحكم ويحسد اصحاب السلطة على سلطانهم، لانه يرى نفسه احق من الذين جاء بهم المستعمر ليسير امور البلد بهم . لذلك وجدنا قاموس الفكر يزخر بالالفاظ التي ذكرناها في العهد العثماني ، (كالثورة والضغط والحرية والاستبداد والاستقلال وحكم الفرد والسجن والنفي والنقمة والألم والظلم والذل والشنق و و . . . . » [1] .

وزاد المفكر المأ أن أبناء الشعب لما تولوا الحكم كانوا أشد قساوة من المستعرين

---

(١) القصة في العراق ، جذورها وتطورها .

عليه واكثر ايذاء لقومه ، واضيق صدراً بمطالبه ، واشدهم مطاردة للمفكرين وخنقاً للحرية الفكريـــة .

وبالرغم ان الاحزاب السياسية كانت تشد ازر المفكر ، وتبعث فيه الحماسة الا ان بعض هذه الاحزاب كان يختفي عندما كان رئيسه يحصل على ما يريد اذ لم تكن للاحزاب عقائد معينة غير بث الوعي الوطني والدعوة الى الاستقلال الناجز وهو مطلب قومي ماح يدعو له كل اهل العراق . ولان الرأي العام لم تدخله فلسفة واضحة يجتمع عليها الشعب ويعتنقها ويذود عنها .

الشـــعر :

وبقي الشعر يحتل الصدارة بين الفنون الادبية لان الشاعر اصبح ممثلا لاحاسيس الشعب ومسجلاً لرغباته وآماله وأسهم مساهمة فعالة في بلورة الفكر وتنبيه الاذهان الى الاحداث ورسم صورٍ جديدة لها وبخاصة الاحداث السياسية والاجتماعية التي كانت تلف الوطن العربي بعامة والعراق بصورة خاصة . وبعد ان كان الفكر الديني هو المسيطر على الرأي العام وكان المؤثر الرئيس في المجتمع سار معه التيار القومي والوطني ، فأخذ المفكر يمزج بين الوطنية والقومية وبين الدين ليلائم الظرف الجديد لان الاستعمار البريطاني كان بعيداً عن العراق في عاداته وتقاليده وحضارته فكان رد الفعل عميقاً في النفوس ، وشعر المفكر بثقل الوطأة على نفسه بعد ان رأى أثر هذا الاستعمار في حياته اليومية . واثرت انظمته وقوانينه التي جاء بها من الهند في حريته وآماله . لذلك كان الشعر مشحوناً بالثورة والسخط والتبرم والنقمة على الاجنبي .

وقد خاب الظن بتشكيل حكومة يرأسها الملك فيصل لان الانكليز كانوا هم اداة الحكم وبيدهم الصولجان . ولما حاول عبدالمحسن السعدون الذي اصبح رئيساً للوزارة الحصول على الاستقلال التام للعراق رفض الانكليز ذلك ، فما كان منه الا ان ينتحر ويترك وصيته التي سجلت واقع العراق في عصره فقال: (الامة

تنتظر الخدمة والانكليز لا يوافقون ، ليس لي ظهير ، العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون وبعيدون عن الاستقلال) .

والفترة السابقة امدت الفكر بفيض من الحوادث ، ففيها اعلن الدستور العثماني ففرح فيه ثم خاب أمله في جمعية الاتحاد والترقي . ثم اعلنت عدة الحرب فوقف الشاعر فيها مع الدولة ضد اعدائها وألهبت نخوته وحماسته فهاجم الغرب خوفاً من سيطرته ، وحدثت حرب طرابلس الغرب التي استولى عليها الايطاليون سنة ١٩١١ وجرت حرب البلقان سنة ٩١٢ ثم الحرب العظمى الاولى سنة (١٩١٤ – ١٩١٨) . لان الدين هو الرابطة التي تربط المفكر بالدولة وقد تطوع العرب في الجيش العثماني وقاتلوا معه واعانوه فنظم الشعراء فيضاً من الشعر للذود عن حامية الدين . وشارك في هذا الدفاع حبيب العبيدي وعبد المحسن الكاظمي ومعروف الرصافي وعلي الشرقي و محمد حسن آل كاشف الغطاء ومحمد باقر الشبيبي وخيري الهنداوي [١] وغيرهم ولما خسرت الدولة العثمانية حروبها دخل الانكليز العراق فوقف الشعر بعيداً عنهم الا بعض الشعراء الذين نشر شعرهم بتواقيع مستعارة في جريدة العرب التي اسسها الاحتلال خوفاً من الرأي العام الذي كره الانكليز ، وبقي عدد كبير من الشعب يحن الى الدولة العثمانية المسلمة [٢] .

وزاد هذا السخط والكراهية حتى اندلعت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ للتخلص من الاستعمار ، فكان الشعراء قادة الحماسة الذين الهبوا الثورة في الاحتفالات والمهرجانات وقد برز عدد من الشعراء في هذه الفترة مثل عبدالرزاق الهاشمي وعيسى عبدالقادر ومحمد حبيب العبيدي ومحمد مهدي البصير ومحمد الباقر الحلي وعثمان الموصلي وناجي القشطيني وعبدالرحمن البناء وعبدالكريم العلاف [٣] .

---

(١) الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية بصدد الامثلة .

(٢) اعداد جريدة العرب مشحونة بالقصائد يمكن مراجعة الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية بصدد الامثلة .

(٣) فصل الثورة العراقية في الشعر العراقي الحديث ص ١٣٠ .

ولم يحقق الملك فيصل طموح الشعب عندما حصل على مظاهر الحكم والمؤسسات الديمقراطية دون السلطة الحقيقية مع انه بايع الشعب على الاستقلال التام الذي كان يؤكده هو بخطبه [1] وقد اراد الاحتلال تغيير لفظ الاحتلال وعقد معاهدة مع العراق ، غير ان المعاهدة اثارت الرأي العام وهاجمتها الهيئات الوطنية والاحزاب السياسية كحزب النهضة والحزب الوطني . ولم يقنع العراق دخول عصبة الامم وحصوله على مظهر من مظاهر الاستقلال لان المفكر الشاعر احس بكل ما كان يبيت له فقد كتبت مس بل في رسائلها بانالسير برسي كوكس كان حريصاً على ابدال كلمة الاحتلال بكلمة اخرى لارضاء الشعب العراقي وتأسيس دولة عربية لانه كما كان يعتقد بان هذه الدولة ستكون واجهة لهم وسيكونون أشد أثراً في حياة العراق واكثر حرية في تصريف الامور . [2]

وان السلطة ليست بيد فيصل أو وزرائه أو مجلس الأمة فقال محمد باقر الشبيبي ساخراً :

قالوا استقلت في البلاد حكومة ... فضحكت ان قالوا ولم يتأكدوا
احكومة والاستشارة ربها ... وحكومة فيها المشاور يعبد
المستشار هو الذي شرب الطلى ... فعلام يا هذا الوزير تعربد

وزادت الجرائد والمجلات واجتماعات الاحزاب وخطب النواب في الثورة والسخط وبث الوعي الوطني والقومي في النفوس . ففي المقالات الرئيسة نجد (استضعفونا فأهرقوا دمنا – بريطانية مسؤولة عن هذا الضعف) ولم يكتف الشعر بمهاجمة الاستعمار والحكومة انما هاجم النواب والاعيان والوزراء فقال الرصافي :

هذي حكومتنا وكل شموخها ... كذب وكل صنيعها متكلف

(١) فيصل بن الحسين في خطبة وأقواله . اصدرته مديرية الدعاية ٩٤٥ ص ١٣٢ وما بعدها .
(٢) رسائل بل جـ٢ ص ٣٧٣

غشت مظاهرها ومَوّه وجهها ... فجميع ما فيها بهارج زيفّ
وجهان فيها باطن متستر ... للاجنبي وظاهر متكشف

والقت هذه المشكلات السياسية على المجتمع ظلالاً من الحزن والكآبة وخيبة الامل ، وغذت النفوس بالحيرة والقلق ، فقد اضطربت المثل العامة . وترك المناضلون والمجاهدون الساحة بعد اليأس وتغلبت المصلحة الفردية . على مصلحة الوطن والشعب ونجد جرائد هذه الفترة طافحة بمثل هذه الحالة النفسية مثل بغداد والنجف والمنبر العام والعراق والزمان والنهضة العراقية والحيرة وصدى الاستقلال والجهاد ونداء الشعب وصدى الوطن بصورة واضحة .

ومما لا جدال فيه ان الصحافة كانت تتمتع بحرية كبيرة تحسدها اكثر صحافة الوطن العربي في البلاد والتي اصبحت لها حكومات وطنية فيما بعد . فقد كان الحاكم البريطاني نفسه يلاقي المعارضة في اكثر الناس حساسية كالموظفين دون ان يؤذيهم او يحاسبهم او يسوقهم الى السجن ، فعندما نشر الحاكم البريطاني برسي كوكس بياناً واطلق اسم المجلس النيابي على المؤتمر المنوي عقده كما جاء في توصية لجنة الانتخابات رد عليه سليمان فيضي فلم يصدر غير امر بمنع الموظفين من الكتابة في الجرائد الا باذن من الدولة [1] ولجأ الشعر الى السخرية فظهر ادب جديد في صوره وحوادثه ووصفه وكثرة الزراية بالمسؤولين وبخاصة الوزراء .

فقال الرصافي في قصيدة نختار منها :

ووزير ملحق كالذ ... يل في عجز الحماره
ذنب اصبح للحكم ... به اقبح شاره
فوزير القوم لايعمل ... من غير اشاره
وهو لايملك امرا ... غير كرسي الوزاره
يأخذ الراتب اما ... بلغ الشهر سراره

(١) في غمرة النضال ص ٢٦١ وجريدة العراق ١٤٠ و ١٦٢ سنة ١٩٢٠ .

واشتهرت قصيدته الساخرة اللاذعة بين الناس وحفظها الشعب التي مطلعها :

يــا قــوم لا تتكلموا ان الــكلام محرم

ولولا الحرية التي تمتع بها المفكر والشاعر لما نشرت مثل هذه القصائد فـــي الجرائد . ولمنعت البرقيات التي تهاجم الاحتلال والوزارة والوزراء وهي مشحونة بالحماسة والثورة مثل (اخاديعهم لا تنطلي على الشعب) و (ما هذى المهازل) و (يفكرون) .

وعندما يطفح الكيل بالحكومة والانكليز وتخشى من الثورة كانت تحاكم اصحاب الجرائد علانية او تنفي الساسة الى هنجام وتصدر بياناً بما تفعله ويعودون ابطالاً . فقد القى المندوب السامي بياناً قال فيه انه القى القبض على جماعة سماهم لانها نشرت ما يثير الفتنة والعداء للدولة .

هذه الاحداث زودت الشعر زاداً جديداً لم يكن يعرفه قبل هذه الفترة بهذه السعة وبهذا التنوع والكثرة ، فبدأ يهتم اهتماماً كلياً بقضايا الشعب ومشكلاته السياسية والاجتماعية وقد اهتم بالتعليم وحركة المدارس وفتحها ، وشجعها بالاناشيد التي كان ينظمها الشاعر للطلاب يوقد روح الثورة الوطنية ، وبالمحفوظات التي كان يمد بها المدارس ليغــذي السخط على الاستعمار ، واهتم المواطنون بالتعليم ونشره بعد ان اخفقوا في توجيه السياسة العامة للبلد والحصول على الاستقلال ففتحت المدارس الابتدائية والثانوية والمهنية لان الشعب الجاهل لا يقدر على مقارعة الاستعمار المتمدن المتحضر المتعلم . الا بالعلم والحضارة والتقدم .

وقد كانت مشكلات الشعب الاجتماعية كثيرة ومتشابكة . فالشعب فقير جاهل ضعيف مريض رغم اراضيه الخصبة ومياهه الوافرة . وزاد في الطين بلة اختلاف المفكرين والساسة في اساليب الاصلاح . فقال الرصافي يخاطب امين الريحاني ويصف الوضع المتردي في العراق :

أأمين جئت الى العراق لكي ترى ما فيه من غرر العلى وحجوله
عفوا فذاك النجم اصبح آفلا والقوم محتربون بعد افولـــه
اما الحيا فيه فذياك الحيــا لكن مسيل الماء غير مسيله
وربيعه ذاك الربيع وان شكا من جهل ساكنــه اشتداد محوله

واختلف المفكرون فيما بينهم ، فمنهم من ارجع التأخر الى الاستعمار والحاكمين وارجعه آخرون الى الشعب نفسه وما عاناه طوال السنين الماضية ، فمن الضروري الاهتمام بالشعب نفسه ورفع سويته الفكرية وبث العلم بينه ، فقال محمود الملاح :

انزل الى الاسواق تلق متاجرا اربابها في رثــة الصعلـوك
العامل المسكين يبــذل جهـده ويعيش عيش البائس المنهوك
والعلم في اوطاننا متقهقر مغمورة ارجــاؤه بالنوك

واهتم الشعر بالمرأة متأثراً بالدعوة التي دعا اليها قاسم امين وطالب بسفورها وتعليمها واعطائها الحرية الطبيعية التي منحها الاسلام لها .

ووقف ضد دعاة السفور جماعة رأت في الدعوة ضربا من المجون والفسق والخروج على تعاليم الدين ، وبدأ القتال بين الفريقين ، وكان من اشد الدعاة الى السفور الرصافي والزهاوي فقال الاخير :

مزقي يا ابنة العراق الحجابا واسفرى فالحياة تبغي انقلابــا

فهاج عايه دعاة الحجاب واتهم بالزندقة وطلب من المرأة ان تصون وجهها امتثالاً للدين فقال جواد الشبيبي :

منع السفور كتابنا ونبينــا فاستنطقي الآثــار والايات
صوني جمالك بالبراقع انها ستر الحسان ومظهر الحسنات

واهتم الشعر بالفقر في المدن وكان ميداناً جديداً صور فيه مظاهر البؤس والشقاء والفقر والعوز واليتم والترمل والحرمان ، وجود في صوره الرصافي والبناء والهنداوي

ومحمد الهاشمي لانهم كانوا من الطبقة الشعبية التي تحس بالالم قبل غيرها . فقال محمد الهاشمي :

سألقي نظرة ملئت حنانا على البؤساء من طرف خشوع
يعيش الاغنياء على رخاء ونحن نعيش في بؤس وجوع

وهاجم الشعر الاغنياء الذين لا يقدمون المساعدات للفقراء متأثرين بتعاليم الدين الاسلامي وما خصصه للفقير من زكاة وصدقات ولا بد ان يتأثر الشعراء بمناظر الفقراء نساء ورجالاً وهم يتسولون على ابواب المساجد والكنائس والطرقات [1] .

ولم يغفل الشعر عن وصف حالة الفلاح البائسة وتحكم الاقطاعي في رزقه وفي حياته ، فقد صور الشعر حياة الريف المتأخرة وبخاصة الشعراء الذين كانت لهم صلات بالقرى مثل احمد الصافي النجفي ولعله من اوائل من نظم في الفلاح قصيدته :

رفقاً بنفسك ايها الفلاح تسعى وسعيك ليس فيه فلاح

ثم جاء بعد ذلك حسين كمال الدين وحسين الحاج وهج فادخلت في الشعر مفاهيم جديدة واساليب حديثة لم يكن يعرفها الشاعر قبل اليقظة الفكرية بل لم تخطر بباله مثل هذه المواضيع الجديدة والسياسية والوطنية والقومية ثم ادخلت اراء كثيرة ونظريات مختلفة وفلسفات حديثة نقلها المفكر من المقتطف والكتب العلمية التي وصلت الى العراق وانتشر الوعي وبزيادة عدد المتعلمين واتصالهم بالاراء الغربية اتسعت الحركة الفكرية فشملت نواحي الحياة العامة وآمن الناس بضرورة الاقتداء بحضارة الغرب ومدنيته للخروج من التاخر والانحطاط في حياة العراق وللحصول على الاستقلال ومجاراة الدول الكبرى في مضامير الحياة فكانت الحركة تسير مع حركات التطور في جميع نواحيها .

---

(١) لغة العرب فيها شكوى من عدد الفقراه ١٩١٣/٢/٨ .

نصوص ووثائق
عن الحركة الفكرية في العراق

آثرت نشر بعض النصوص النادرة ليأخذ القارئ فكرة عن ادوار النهضة الفكرية في العراق الثلاثة

١ – نص تاريخي	لعبد الرحمن السويدي
٢ – نص تاريخي	لعبد الوهاب الشواف
٣ – الادب الذاتي	عبد الباقي العمري
٤ – السيرة	عثمان بن سند
٥ – تقريض	نعمان خيرالدين الآلوسي
٦ – المقامات	لأبي الثناء الآلوسي
٧ – رثاء الحسين	صالح القزويني
٨ – المهدي المنتظر	صالح القزويني
٩ – المديح	صالح القزويني
١٠ – الادب السياسي	عبد الغني الجميل
١١ – وصف الترام	الطباطبائي
١٢ – تقريض شعر	صالح الموصلي
١٣ – نقد	حيدر الحلي
١٤ – النقد الحديث	جميل صدقي الزهاوي
١٥ – النقد الاجتماعي	معروف الرصافي

١- نص تاريخي

وفي هذه السنة (الثالثة والخمسين بعد المائة والالف) كملت في الوجـــود بستان الوزير المذكور ، الكائنة على غربي شاطئ دجلة ، غربي قصر الخلد ، فكمل بناؤها ، وانتجت ازهارها حتى غدت جنة الدنيا في البلاد بزخرفتها ارم ذات العماد محفوفة بمغاني عامرة ، ومباني زاهية فاخرة . مع انهار متدفقة من الزلال . وجداول منهمرة اصفى من الجريال تجري على حصباء كدرّ منثور ومنظوم ولا سيما اذا جرى على لجين السماء ذهب الاصيل الذي هو بالاشراق موسوم . وقد نثرت الصّبا عايه دنانير الاوراق . فلولا صفرتها لخلتها نجوماً ساقطة النواظر والاحداق . فاذا لعب الريح ، وتحركت عيدانها صفقت للافراح بأوراقها أغصانها ، ورقصت اشجارها ومالت عليها طربا أطيارها ، وتساقط نثار لثالي الطل المنثور على بساط حديقة هي بالافراح مشهورة . وقد حوت من اصناف الرياحين ما لا يحيط بوصفه كتاب ، ولا تطيق لضبط مدائحه كتّاب، ولله درّ الوالد حفظه الله حيث يقول في مقامته، فالورد قد برز من اكمامه ،من حرّ الغرام وأوامه . قد شق حلته الفاخرة ، وكادت تذبل من الوجد ذاته الناضرة ودمه على اثوابه مطلول وجيبه مما به محلول . فلم تفده شوكته القوية ،ولم تسعده رائحته الزكية ، والنرجس من لواعج اشواقه ، ساهر لم يستطع غمض احداقه فنكس الرأس من السهاد ، مشدود الوسط للخدمة لينال المراد . والياسمين قد علل نفسه بالوصال واطمعها جهلاً منه بالمحال . ونسي الصدود والاعراض ، فكسي لذلك حلّة البياض والبان يميل من الم الوجد ، فيظنه الجاهل اهتزاز قد . وترمّد وجهه كلون السنجاب واقشعر جلده كأنه سنانير رأت بعض الكلاب. فنفشت الاذناب ، والنسرين قد خضب بصفرة النحول بنانه ، واختار على غرّة ذلّه وهوانه ، والبنفسج من الجوى تلوح عايه زرقة كزرقة الغضبان أو كأطواق الفواخيت اذا ناحت على اهـــل الهوان ، قد احترق من الكآبات والاشجان ،

فكأن أطرف كبريت اشتعلت بأوائل النيران، والآس لم يحل بسلوان عن اسياده، بل هو باق على وفائه ووداده ، والريحان حاسر الرأس حزناً على ايام الوصال ، وشوقاً الى عَوْدِ هاتيك الليال . لم يزل رفيق مواثيق وعهود ولذا يشبه بهامات العبيد السود ، وسائر الازهار ممّا لم اعرف اسمه ، ولا اتحقق حدّه ورسمه . وفيها من اشجار الفواكه والثمار ما يدهش بنضرتها الناظر ولم يجد في وصفها الاّ المثل السائر فهي ذات ثمار مختلفة الغرابة وتربة منجبة ومآكل تربة توصف بالنجابة . ففيها المشمش الذي يسبق غيره بقدومه ، ويقذف أيدي الجانيه بنجومه فهو يسمو بطيب الفرع والنجار ولو نظم في جيد الحسناء لاشتبه بقلادة من نضار وفيها التفاح الذي رقّ جلده وتورد . . . .

حديقة الزوراء في سيرة الوزراء
لابي الخير عبدالرحمن السويدي

٢– نص تاريخي
(حادثة الطاعون)

... حدثت حادثة الطاعون ، التي اجرت من العيون العيون ، واضرمت في القلوب نار الشجون ، حيث جرد الدهر اذ ذاك خيول النوائب ، وسن مواضيه لقرع الكتائب ، وانتهب الاعمار فيا له من ناهب ، وانتشر جمع الثريا فعاد الرجال بنات نعش، وتتابعت اهوال لو داناها ابن الطود لانهش، حتى بلغ السيل الزبى ، وتفرق الكرام ايدي سبا ، وبلغ الشظاظ الوركين ، وبلغ الحزام الطبيين .

مصائب لو حلت باكناف يذبل تدكدك ، أو بالبحر أصبح غايضا

وذلك في السنة السادسة والاربعين بعد المائتين والالف من هجرة خير النبيين . عليه افضل صلوات المصلين ، واكمل سلام المسلمين ، وابتداء امره في عشر الاواخر ، من رمضان تلك السنة التي لم نعرف لها لكثرة اهوالها اولا من الاخر ، وكان الطعن خفيفاً جداً ، ثم كثر في شوال لخمس خلون منه فلم يبق للخلائق رشداً ، ولكنهم بعد بين مصدق ومكذب ، وآمن ومرتعب ، ثم انتشر وتحققه الناس آخر الشهر ، ففر غالبهم الى كل قطر ، وزادت في تلك السنة دجلة زيادة لم تقع سابقاً ، وتهدمت بسببها البيوت والجدران ، وكسرت السداد واحاط المـــاء ببغداد ، ومن كثرة المياه في جوانب البلد ، واحتضانه اياها كالوالـــد العطوف للولد ، صار الرائي لايرى غير الماء والسماء ، ولم يرج غير هجوم البلاء ، ووقع السور ، وتهدم من الجانبين نحو خمسة الاف او اكثر من الدور ، وبلغ حد من مات في كل يوم من ايام هذا الطاعون ، عشرة آلاف او اكثر ظناً وتخميناً والا َفقَد ُفقِد المحصون ، ودفن الناس الجنائز في المساجد والبيوت حتى ملأوها ، فلما كثر الموت جداً ، تركوا دفنها وملأوها (؟) ، فبقي الناس مطروحين في الاسواق والطرقات ومن بقى من الناس اذ ذاك لقى من معانات الشدائد والمصائب ، ومقاسات المحن والنوائب ، ما يشيب النواصي ويزيل الرواسي ، وبعد ان هان الامر في الجملة ، القيت الموتى في دجلة ، يجرون من ارجلهم ، ويخرجون اهون ما يكون من منازلهم ، وكثير منهم تنفصل رجله عند ذلك الجر ثم تلقى اوصاله المتفرقة في لجة ذلك البحر ، وذهبت اموال العالم بين الهدم والسرق ، والغرق والحرق ، والحاصل انه اعترى بغداد ، وساكنيها في ذلك من مزيد الانكاد والشجون مالا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

حديقـــة الورود

لعبد الوهاب الشواف

٣ـ الادب الذاتي الاجتماعي

(صورة مكتوب كتب به البحر الكامل السري مطرز تاج الادباء بطراز فضله العبقري ذو الشعر الحكمي والنثر السحري عبد الباقي افندي العمري معزياً ومهنياً الشيخ علي الطالباني القــادري

أعزّيك في المغفور والدك الذي أقامك فيما رحت فيه أهنّيكا
فاني موال يا عليّ لكل من غدا بعد ما والى أباك مواليكا

. . . بسم الله ، وانّا لله ، ولا حول ولا قوة الاّ بالله ، والصلاة والسلام على اشرف خلفــاء الله ، القائل يوم غدير خم ، والآذان غير صم : مــن كنت مولاه فعليّ مولاه ،. اللهم وال من والاه.وعاد من عاداه.المؤيد بتوله تعالى شأنه : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ، المبعوث الى كافة العوالم حاكماً ، المرسل لقطع شأفة الامراض القلبية حكيماً ، المسدد بقوله عزّ سلطانه : (فوربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) أما بعــد :

فالذي يهديه المحب ، القديم ، ويسديه المواد المستديم ، من التسليمات المقرونة بالاحزان ، والتحيات المشحونة بالاشجان ، الى حضرة عليّ الشان ، ساطع البرهان ، وقاه الله طوارق الحدثان ، وأحسن عزاه وهنّاه بعد ما عنّاه ، الوالد الماجد الذي أنجب بمثله مولوده ، تفتخر به طبقات الجدود ، تحت اطباق اللحود ، فقد ادهش والله عقولنا سماع نعيه الذي أصمّ المسامع ، وأجرى شئون المدامع ، كيف لا تذوب عليه القلوب حسرات ، وتنفث منها الحصيّات ، وتشق على فقده الطريقة ثيابها ، وتمزّق على فوته الحقيقة جلبابها ، وتبكي عليه عيون ذوي العرفان نجيعا ، ويصبح قلب اولى الايقان وجيعا ، وتندبه الفقراء والمساكين ، وتندبه الارامل وزمرة المترملين ، وتتأسف عليه قاطبة الاولياء المتقين ،

وقد كان غوثاً للاجين ، وغيثاً للرّاجين ، وبدراً منيراً في هالة الذاكرين ، وروضاً أريضاً للمجدبين من المريدين . تغمده الله برحمته الواسعة الغناء ، في دار البقاء بعد الفناء . وجعلك عنه نعم الخلف والخليفة ووظفك عنه في وظائف المبرات باحسن وظيفة ، واقامك عنه في مسند الارشاد أقوم قيام ، واستعملك فيما استعمله من الاهتمام ، في تسليك الخواص والعوام ، في السلك الذي لا يقبل الانفصام ، ولا زلت يا ساقي الكوثر للنفس الرحماني ، والسر الكيلاني ، منظراً من الشمس أظهر ، ولا برحت للاحاطة بالكمالات مركزاً ، ولجميع أطايب الطالبانية محرزاً ، ما ناحت حمائم الاقلام ، على فقد الكرام الاعلام . . . . .

هذا وقد ذكر لنا مخدوم أخينا مخلصكم وخصيصكم أحمد عزّة افندي ، حفظه المعيد المبدى ، عما جرى في ذلك اليوم المشهود ، الذي أعقب النحوس بالسعود ، والنزول بالصعود ، والصدور بالورود ، والتعزية بالتهنية ، والتصدية بالتصلية ، والحوقلة بالحمدلة ، والاستعاذة بالبسملة ، وتزحزح الترح ، وتبجّح الفرح ، والحزن عن كل قلب انقلب فقيل نزح ، بوصول جناب العم ، ذي الفضل الاعم ، لملاقاة حضرة ولي النعم ، افندينا السردار الاكرام ، والمشير الاعظم ، في المعروضات المفروضات المعلومة ، المنطوية على الاشارات والعبارات المفهومة ، كففنا واكف الدمع عن البكاء ، والسمع عن الاصغاء ، للعويل والمكاء ، وبادرنا بمعاضدة مخلصكم حضرة عضد الدولة ذي المجد العبقري ، مولانا دفتري أفندي ، أسعد الله جدّه ، وجدد سعده ، واذا سخّر الاله سعيداً لأناس فانهم سعداء الى تسويغ ما لزم من المضابط الواجبة ، والمعروضات اللازمة ، بعد عرض ما هو اللائق لحضرة أفندينا المشير المشار اليه كرارا ومراراً ، ليلاً ونهاراً ، فأظهر عظيم الاسف على فقد من مضى وقضى ، وارتضى بقيامكم مقام الوالد المرحوم ، واعلن بالرضا عن عليّ المرتضى ، وفي تعريف المحب والمخلص صدر أمره العالي باتحاف حضرتكم بفراجيّة سندميّة الطراز ، تشعر

شعارها بالامتياز ، على من هو بالنسبة اليك يا مريد الباز ، كالحاز باز ، تكون ان شاء الله تعالى لدى وصولها ملبوس الجذل والحبور ، والفرح والسرور ، فهي علامة لاظهار الرضى ، عمّا وقع في المظاهر ، تأكيداً لما اتفق في الباطن من ذوي الاسرار والسرائر ، ومن تقرير جناب عمكم ، ومزيل غمكم ، يصير لديكم معلوماً ، وعندكم مجزوماً ، اننا ما قصّرنا في تسويغ ما ذكرنا ، وخصوا انفسكم النفيسة ، وطالعتكم الانيسة ، بالتحية والسلام .

١٢٧٥ هـ

٤- (السـّـيـّـر)
داود باشـا

فلي من المديح والغزل ما هو اسحر للالباب من الكحل واجل من فوقت امتداحه وارتشفت من كرمه اقداحه حتى نظمت في سلك ثنائه من جواهر اخباره وانبائه ما تتحلى به اجياد الاوراق ويتملى به من سحرته الاحداق مما هو في الحلاوة وارتشاف الضرب وسلافة العصر بل سلافة الادب الوزير الذي اتاه الله الحكم والحكمة وسمو الجاه ومضاء العزم وعلو الهمة وناداه لسان الاقبال ان قل في ظل الجد فقال وانشد فيه من القوافي من قال :

ما كداود في المهارة والحكـ ... م وفضل الندى وفصل الخطاب
جاء بغـداد حاكماً اذ تولت ... ونضت بالمشيب برد الشباب
فاعادت شرخ الشباب اليهـا ... راحـة كم تفجرت بعباب
راحة المرتجي الوزير المروي ... من اسود الحروب حمر الحراب
هرما مصر لو هما رأياهـا ... لأقرّا لما لهـا مـن قبـاب
همّت الشام ان تطير اليها ... مقة في وزيرهـا الاوّاب
وارتياحاً لكل ما شاد فيها ... آصفيّ الآراء معـن الرحاب

ولعمري انه لحقيق من المدح بسياره واعذبه في اذواق مهرته وسماره واخفه روحاً واروعه واسيره مثالاً واجمعه وأدقه معاني وابدعه والطفه تغلغلا الى الاذهان واظرفه تسلسلا على اللسان فانه الوزير الذي كان من الوزارة الانسان الكامل ومن المهارة في العلوم بحيث لا نظير له ولا مماثل ومن الغوص على الاسرار واللطائف بحيث يقصر عنه لسان المادح والواصف ومن بعد الصيت والاشتهار دونه بوح في رابعة النهار ومن محاسن الشيم ماتتنافس به الهمم ومن الفواضل والكرم بحيث اكبره كل بحر خضم ومن الشرف والسيادة بحيث القى على زحل الوسادة ومن الشجاعة والبسالة بحيث خافت الشهب نصاله والاسد مصاعه ونزاله ومن ربط الجأش والقلب بحيث يصدم فرد الجناح والقلب .

لله مشهور الوقائع	ابداً ومشكور الصنائع
وهزبر حرب لم يزل	بطمّره وسط المعامع
يلقى الكتيبة معلماً	والموت بالاسياف لامع
بمهابة ملء البصا	ئر والنواظر والمسامع
واذا نظرت جبينه	فالبدر في سعد المطالع
ما للوفود سوى اسرّة وجهه	في الجود نافع
واكفه للطالبين	مناط اقراط المطامع
يا من يحاول ستره	منه شمائله السواطع
حاولت ستر ضياء شمس	بالاكف وبالبراقع
اني لارحم حاسديه	بما توقّد في الاضالع
اذ اخلدوا وسما الى	فلك المعالي وهو يافع
يا من يؤمن شأوه	فجرى يفاخر وهو هابع
ما مدرك شأو الضليع	وان مشى بالركض ضالع
بشرى لبغداد به	اذ زانها بالعلم نافع

ضحكت مدارسها به ... وارتاح فيها كل جامع
وقصورها فخرت على ال ... هرمين ، او رمع المدافع
يا عصر فزت بواحد ... لكمال اهل الفضل جامع
لكن وزير ضيغم ... والحرب بارقة اليلامع
وعباب جود ما جرى ... الاّ حبا ضخم الدسائع
كم جعفر من فضله ... يحيى به جدب المرابع
ابدا يرنّحه الى ... بذل الندى كرم الطبائع
يرقى الى امنى المطا ... لب بالمهندة القواطع
او منبر من فوق نسر ... طائر سام ومناطع
ملك له من عقله ... عمّا يشين الفضل وازع
ما حلّ حبوته الخطوب ... القادحات ولا الزعازع
حمال اثقال صبو ... ر أريحي الطبع بارع
مريّع دهر مصدع ... بالامر وفق الشرع صادع
مطالع السعود

٥– تقريض

(ومن ذلك تقريض شرح الاسطرلاب ، تأليف حضرة الاخ العلاّمة مولانا السيد الحاج عبد الباقي افندي حفظه الله المعيد المبدى آمين ح ح سنة ٢٧٥ وهو) :

عرج عنكبوت فكري بسلالم لعابه الى سماء هذا السفر ، وسبح فرس ذهني السبوح في غوارب هذا البحر الغمر ، وسارت سيارات امعاني في اقطار هذه المعاني ، ودارت على دوائر هذه المباني فرأيته فلك التحقيق وبدح التدقيق وقطب رحى هذا العلم الدقيق . مشترى الفضائل عار عن نحومة زحل الرذائل .

وزهرة الرياض النضرة وعطارد الخضراء الخضرة والقمر الكاحل وهالة الفواضل، عضادة الطلبة ووتد الابحاث المهذبة ، وشبكة يصطاد بها من الاشفار العيون ، وغوّاصا يستخرج من قعر الفن كل در مكنون ....

كتاب ترى الاقلام في الطرس سجدا له وترى اهل الفصاحة ركعا

ولا بدع فهو لمن ترقّى درجات مقنطرات الفنون ، ووصل مركز الدقايق اذ كان ابن لبون ، الذي لا تسع حلقة حلقومي سرد مزاياه ، وينشق لسان قلمي ويشرق بريقي ان فتح فاه ، اذ هو مفرد الزمان ، الجالس على كرسي المجد والفضل من بين الاقران ، ذو التأليفات الباهرة ، والتصنيفات التي بنشوتها للعقول خامرة .

له الكتب ما ابقت من الجهل باقيا ولا تركت أمرا من العلم مبهماً

سيدي وشقيقي ، ومن هو في الاصلاب الطاهرة والارحام المحصنة مولاي ورفيقي، الذي منه طارفي وتالدى ، ومن هو بمنزلة المبرور والدي، السيد عبد الباقي سعد الدين افندي ، لازال محفوظاً من طوارق الملوان ، ملحوظاً بعين المعبد المبدي آمين .

حور عيون الحور
لنعمان خير الدين الآلوسي

٦ـ المقامات

زجر المغرور عن رجز الغرور

زمن اذا أعطى استردّ عطاءه واذا استقام بدا له فتحرّفا

ايها المغرور بنسبه ، والمسرور بذهبه . اذ ذهب عنه غنى نسبه . والتائه في تيه التيه ، والمفتخر بملء فيه بما ليس فيه . والمتبختر برداء اغتصبه والمتحلي بعرض

بهاء اقتضبه . اربع على نفسك ، فما تدري متى يقضي على أنسك .

هي الدنيا تقول بملءُ فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
ولا يغرركم مني ابتسـام فقولي مضحك والفعـل مبكي

اما سمعت ما قيل لمثلك ، ومن فضاه المحقق لا يقاس بموهوم فضلك .

يا راقد الليل مغرورا بأوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

فدونك ، أكحل عين بصيرتك بالنظر الى حالي ، وكيف أمرّ أمر الدهر الخؤون عيشي الحالي . وملخص الحال على سبيل الاجمال ، ان الدهر سلّمني برهة قياده ، وسلّ مني مرهفا ما هزّه أحد الا استجاده . حتى يخيّل أنّ الدهر عبدى ، واني ، ولا فخر ، السيد الذي اقام السعد عندي . وكنت حوراً في أعين الاعيان ، ولعسا في شفاه الازمان ، وتوردا في وجنة الوزراء ، وتجعدا في ذوائد غادة الزوراء ، ونورا في ليالي الندماء ، ونورا في رياض مفاكهة الاحباء . باب داري مزدحم ، وركن جداري مستلم ، وفاضل ذيل ردائي ملتزم . وظهر يدي للقبل مسرح ، وعرقوب رجلي بجباه اقدام الاجلّة منطح ، وامري متبع ، وقولي مستمع .

وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

وبقيت في هذه الحال نحوا من خمسة عشر حولا ، لايمر بفكري عسى وليت ولعلّ ولولا . كأنما عاهدني الدهر الغشوم ، على انجاز كل ما أروم . او عاقدني الفلك الدوار ، على ان تكون ارادتي له المدار . فام اشعر الاّ وقد قلب لي الدهر المجن ، ورماني زماني لا درّ درّه بسهام المحن . وصيـّرني درّية ، وخصّني من بين العموم بافعال له رديـّة .

جار الزمان علينا فـي تصرّفه وأي دهر على الاحرار لم يجر
عندي من الدهر ما لو انّ ايسره يلقى على الفلك الدوّار لم يدر

وأول ما أحسست بالشر ، وبدو ما اضمره القدر وسرّ ، عند عزل نخبة الوزراء ، وروح جسد الزوراء . الوزير الذي لم تسمع بمثله في حسن الاخلاق فيما مضى ، مولاي المرحوم المبرور علي رضا . فعند ذلك تضاءل انسي ، وانشدتني في السر نفسي :

تولـت بهجـة الدنيـا　　فكل جديدها خـلق
وخان الناس كلهم فلا　　ادري بمـن أثـق
رأيت معالم الخيرات　　سدّدت نحوها الطرق
فلا حسـب ولا نسـب　　ولا دين ولا خـلق
فلست مصدق الاقوام في　　شـيء وان صدقـوا

ثم لما اقبل الوزير ، والدستور الكبير ، الحاج محمد نجيب باشا منفصلاً من وزارة دمشق الشام ، وقعد على دست الوزارة في مدينة السلام . جعل طفل ذلك الحال ، يشب كل يوم ما لا يشبه الطفل في احوال . حيث عكف على ذلك الوالي ، كل عدو لي رخيص القدر لكن في العداوة غالي . فجعلوا يغرّون سمعه بمسعط الكيد مذاق حنظل الافتراء ، ويغرون من خاصته من يعرف طبعه أن ينقلوا له عنّي أموراً تخشى عاقبتها الوزراء . فروى بما روى له شعره وبشره من كراهيتي ، حتى ثقلت على عينه رؤيتي ، وعلى سمعه روايتي . وعدت كلما ابني لديه أمراً يهدم ، وكلما اعرضت له عرضاً لا يسلم .

أرى الف بان لا يقوم بهادم　　فكيف ببان خلفه ألف هادم

وأول سهم رميت به عنده كان في دمشق الشام ، رماني به سليمان كاتب الكمرك حين عاد ذلك الحرامي من البيت الحرام .

سهم أصاب وراميه بذى سلم　　من بالعراق لقد ابعدت مرماك

ثم اتفق أن جماعة من التجار ، قد علتهم وغابتهم من المظالم الاكدار .

فذهبوا اليه في قصره على دجلة خارج البلد ، وانضمّ اليهم وهم ذاهبون مائتين ، ممن علاهم النكد.فعندما وصلوا القصر قصّروا ، فرموا عن قوس واحدة بالشكاية ، وجازوا في القصر ، وجاوزوا في الجزع والفزع النهاية . ظانين أن ذلك ينفع ، وانه رواء ينجع . فتوهم أن وراء هذا العرض شراً له طول ، وفتنة يكثر منها القاتل والمقتول . واكد هذا الوهم جمع من المنافقين جم . وقالوا : انّ مؤسس هذه النية ، ومشيد اركان تلك البنية ، فلان مفتي الحنفية ، وفلان واعظ القادرية ، وان اردت حسم جسم الفساد بالمرة ، فاعزل المفتي وانف الواعظ الى البصرة . وهوّنوا عليه الملاحظ ، فعزلني ونفى الواعظ . فحمدت الله تعالى على عزلي ، اذ رأيته أعزّ لي . الاّ ان نصف المنصب المنّ عند من له عفة ، والعزل اكثره العز . وقد كنت أرى أمر الافتاء أمرّ من مر القضاء . حيث فرقت الشورى اذ ذاك أديمه ، واسقمه أعضاء المجلس ذوو الآراء السقيمة أعضاءه السايمة . فلم يكد يختاره الاّ ذو جهالة ، قد جعل والعياذ بالله تعالى دينه لدنياه حباله . وحاشاني أن اكون كذلك، ومعاد الله تعالى ان اصطاد الدنيا بديني ولو اصطادتني المهالك . ولو أنه اكتفى بعزلي لجعلت الثناء عايه والشكر له شغلي . لكنه بعد خمسة ايام أعظم نكبتي ، برفع يدي عن اوقاف مرجان وتوليتي . مع أن ذلك كان موجها لي قبل توجيه منصب الافتاء ، لما ان شرط الواقف أن التولية والفضلة لعمدة من العلماء . فبقيت لا أعيد والا ابدي ، حتى ورد بغداد ولده النجيب احمد بك أفندي . فنظر بعين اللطف اليّ ، وأعزني جداً أعزّه الله تعالى فهان الامر بالجملة عليّ. حتى اذا انفصل ، وصار أمر الوزارة الى الوزير عبد الكريم باشا واتصل ، ولم يحصل من العيش لي ، ما يقوم بكفايتي وكفاية اهلي . صار كل من ليالي أيامي ليلة أنقد ، ارعى فيها السها والفرقد . حتى اذا عزل الوالي الجديد ، خرجت معه متوجهاً الى مراحم ظل الله تعالى السلطان عبد المجيد . فكان ما كتبته كلّه ، فيما ألفته من الرحلة . وها أنا اليوم ممن تلثم

بالسكوت ، ولازم زوايا البيوت . لا افوه لمخلوق بشكاية ، ولا أنهي الى وال أمري وان بلغ في ضيق النهاية .

وذى عجب من طول صبري على الذي ... ألاقــي من الارزاء وهــو جليل
يقول أما تشكو فقلت متى شكا ... شبا السيف عضب الشفرتين صقيل
وا ن امرءا يشكو الى غير نافـع ... ويسخو بما في نفسه لجهول
عداني أن اشكو الى الناس انني ... عليل ومن أشكو اليه عليل
ويمنعني الشكوى الى الله علمه ... بجملة ما القاه قبل أقول
سأسكت صبرا واحتساباً فانني ... أرى الصبر سيفاً ليس فيه فلول

وقد اعرضت عن عتبي دهري ، وعاملته معاملة من لا يعلم له باساءته ولا يدري علماً مني بانه قاسي القلب فلا يلين باستعطاف جائر الحكم فلا يميل الى انصاف على انه ما عليه عتب ، ولا له ذنب . فانما هي اقدار تجري كما شاء مجريها ، وتنفذ كالسهام الى مراميها . فهي تدور بالمكروه والمحبوب ، على حكم القدر المكتوب ، لا على شهوات النفوس وارادات القلوب ، بلى ربما أغفل فتهدر شقشقتي ، ثم أعقل فارجع الى ما جعلته اليوم طبيعتي . فهل أنت يا مغرور امين مما يحدث عليك مما يشبه هذه الامور .

اطــرق كــرى ... ان النعامة في القــرى
الا انمــا الايام أبنــاء واحـد ... وهذه الليـالي كلها أخوات
فلا تطلبن من عند يوم وليلة ... خلاف الذي مرّت به السنوات

وعندي بعد كلام بكر أقوله انشاء الله تعالى اذا سالمني الدهر ، وميل مني الكدر ، وسلا الشر ، وظنّي ان ذلك على طرف التمام فسيأتي الله تعالى بفضله قريباً بالخير والسلام .

المقامة الرابعة للآلوسي

رثاء الحسين

(٧) قال في وصف مقتل الحسين عليه السلام :

أتبكيه لمّا ودّعته نساؤه ... وودّعها والدمع كالمزن ساكب
أتبكيه اذ يرنو بطرف خيامه ... وطرف عداه حين صالوا وحاربوا
أتبكي له كالطود خرّ على الثرى ... وقد جرحت منه الحشا والترائب
أتبكيه اذ تدعوه ملقى سكينة ... أبي ، وهو مما نابه لا يحارب
أتبكي عليه حين يفري بسيفه ... وريديه شمر وهو ظمآن ساغب
أتبكي لِمَا تلقى الاسارى وقدهوت ... بهنّ على تلك الفيافي الركائب
أتبكي سباياك اللواتي وجوهها ... تصفحها بعد الحجاب الاجانب
أتبكي عليها في الحبال رقابها ... تقاد وتدمى بالسياط المناكب
أتبكي عليه حين تاثم ثغره ... تمانعها عنه العدا وتجاذب
أتبكي النساء الفاقدات حماتها ... وهنّ على فقد الحمات نوادب

* * *

(٨) وقال يخاطب الامام المهدي ويشكو اليه الظلم :

يا غائباً لم تغب عنا رعايته ... ولا يزال بعين اللطف يرعانا
ألا ترانا وأعدانا تعاهدنا ... بالظلم مصبحنا فيه وممسانا
دين أبيك رسول الله شيّده ... هدّ العدى لمّا غبت اركانا
اليك نشكو ويشكو الدين جورهم ... فاسمع لنا يا امام العصر شكوانا
ادرك بطلعتك الغرّاء ملته ... البيضاء اذ سامها الاعداء نقصانا
أطلت مثواك محجرباً فطال بنا ... ضيم أطلّت به بالرغم أعدانا
حاشاك ان تغضي الاجفان عن شيع ... لم تستطيع للنوى والضيم حملانا
أدرك به دينك اللهم منتصراً ... لنا وأكرم به اللهم مثوانا

* * *

(٩) ومن موشحه في مدح الشيخ طالب البلاغي ، قوله :

صبّ ستّاه الحبّ صرف الشغف　　فلم يزل من حبّه في سـكر

• • •

صبا الى نشر الصبا المبـكر　　مستنشقا به أريج العـنبر
مبدّداً بالنشر شمل الكـدر　　مجدّداً عصر الشباب النضر
مستأصلا داء المعنّى المدنف　　مبشّراً عن الغزال الاهـيف
بعـوده الى الكثيب الاعفر

أفدى رشا أفي له ويغـدر　　من لم يمت بحبّه لا يعذر
أغنّ أحـوى المقلتين أحـور　　من وجهه ماء الجمال يقطر
كم ذبّ عنه بالحسام المرهـف　　وكم حماه بالقنى المثـقف
من طرفه وعطفه المنكسر

خشف بأبراد الجمال اعتجرا　　به الدجى أسفر لمّا اسـفرا
وما نوى عنه المحبّ سـفرا　　الاّ وفي العقرب يلقى القمرا
ما باله بوصله لم يعطـف　　بعد الجفا فضلاً على المستعطف
وقلبه من الجفا في سقر

ما قابل الشمس وألقى البرقعا　　الاّ أراك الشمس والبدر معا
ولا غدائرا ثلاثاً أطلعـا　　في ليلة الاّ أراك أربعـا
فاعجب لبدر بالدجى ملتحف　　ليس سوى النجم له من شنف
طار به جنح الدجى المعتكر

صالح القزويني

١٠ – الأدب السياسي

قف بالمطي برملتي يبريـــن واحفظ فؤادك من ظبا جيرون
وانشد فؤادا ضاع في باب الهوى تلقاه رهن حواجب وعيـــون
واقرا السلام أهيل ذياك الحمى ان كان دينك في المحبة ديني
واروى احاديث الهوى يوم النوى متسلسلاً عن قلبي المحزون
فهناك لا نفق يجير من الدمى كلا ولا من لحظ حور العـــين
قد بعتهم روحي لأشرى وصلهم لكن رجعت بصفقة المغبون
ولقد علمت بانني في حبهم لا تنقضي حتى الممات ديوني
نفسي الابية القيت لهوانهـــا بيد الصبابة بالعذاب الهون
دانت لهم وهي التي من بأسها جعلت بدعواها الكواكب دوني
قلبي هناك وفي الرصافة قالبي ملقى دعـــاه الشوق كالعرجون
ثقلت على قلبي مكابـــدة الهوى من بعد ما رحلوا وخف قطيني
لا تعذليني يا اميمة في الهـــوى فالشوق شوقي والحنين حنيني
لله ما فعلت بنا ايدى النـــوى يوم الفراق بجوسق الزيتون
من كل مكحول العيون إذا رنا يدمي القلوب كلهذم مسنون
بالله رفقاً يا هذيم بوامـــق ودع المطايا حدوها يشجوني
ولقد ذكرت وما أفاد تذكري حتى استفاضت بالدموع شؤوني
واذا الركائب في الربوع تلفتت فحنينهـــا لتوجعي وانينـــي
لله ما قاسى المعنى عندمـــا نزلوا بذاك السفح من قيسون
يا ليت شعري هل لجلق عودة يوماً فألثم تربها بجفونـــي
وابيت في وادي السفرجل ليلـــة حيث النسيم يمر بالنسرين
ماذا اريد من العراق وكرخه بالعين ان شاهدته يقذيـــني

ومن البليـــة انني في بلـــدة فيها ارتقى للمجد كل رعين
ويصول فيها كل فلول الدكا لا يرعوى لمؤنب ومشـــين
ما خلت ايامي تكون كما ارى حتى بليت بغادر وخـــؤون
ويلاه من فتكات دهر جائر جعل الخيار بكف كل مهين
وترفع الانذال من اخـــلاقـــه وكذا القرين يراعي كل قرين
واذا المنازل بالكرام تغيرت فارحل بأنف شامخ العرنين
واختر لنفسك منزلاً فيه العـــلا فالحر لا يرضي بعيش دون
فالموت عندي مثل رؤية معشر قد بدلوا دنياهـــم بالديـــن
كل المصائب قد تمر وتنقضي الا شماتة حاســـد مفتـــون
واذا البلاد تغيرت عن اهلهـــا فاطو الفجاج شمالها بيمين
واركب متون الصافنات ولا تقل ان الهوى بجوانحي يعصيني
فالنفس اما للثرى او للعلى فانهض فعيش الذل للمسكين
انا من اذا ما الدهر كشرّ نابـــه كسوته بالصبر والتمكـــين
وعزائمي لا تلتويها نكبـــــة حتى اكون موســـداً بالطين

عبدالغني الجميل

سنة ١٢٦٧ ﻫ

١١ـ وصف المخترعات

وصف محجّة الحديد ومركباتها بين الكاظمية وبغداد :

كل صنع مصوّر في الوجود هو صنع المصوّر الموجود
غير ان الافرنج تعمـــل فكـــراً بمجاري التصويـــب والتصعيد
فكأن الاشكال القـــت اليها قبل كون الاشياء بالاقليـــد
فتحوا مقفلاتهـــا بعقـــول قد ترقت لعـــالم التجريـــد

قل هم لا تقس بهم من عداهم ... بفنون من مبدء ومعيـــد
المحيطون بالكواكب بيضـــا ... وأولو الزيج في الليالي السود
كل آن لهم وكل زمــان ... في الجديدين خلق فكر جديد
كيف تنقاد قلعة من حديـــد ... أو حديد ينساب فوق حديـــد
ابدلوها من الصعيد حديـــدا ... فاعتلت صهوة الحديد الحديد
سبحت في النحاس سبحاً طويلا ... كسفين جرت بمـــاء صديد
لم تخدّد وجه الثرى بخــدود ... وهي اذ ذاك آيـــة الاخدو د
قيدوا موضع الخلاخل منهـــا ... بقيو د فاطلقت بالقـــيود
وحصان تفلّحـــت كحصان ... أو كفحل عود من البدن عيد
بيد هل كيف حصّنت اذ تخلّت ... بحصانين في الموامـــي البيد
عقدوهـــا المقرّبين ولـــمّا ... يقرباها لقرب حــل العقود
اسرعت تطلب اختها بعنيق ... لعناق وضم جيد لجـــيد
لم تخن عهد تربها بوعود ... وهي اذ ذاك لم تف بالوعود
جعلوا مجمع اللقاء افتراقـــاً ... بحدود فلم تقف بحدود
فالوراء القريب غير قريـــب ... والامام البعـــيد غير بعـــيد
أين منها البريد وهـــي على ار ... بع تمشي وأين مشي البريد
والمليك الوقود هل كيف ينـــ ... قاد انسجاما كسوقة بمقود
بين ما تطرد الطريـــد حثيثا ... اذ تراخت منحازة كالطريد
بين ما عطلت بغير عديد ... اذ تعدت بعـــدّة وعديـــد
أقبلت ترعد الفرائص منها ... فاستطارت فرائص الرعديد
لا كمثل القطيع اوجع ضرباً ... في جلود بقطعه من جلود

الطباطبائي

١٢- تقريض ديوان شعر

ان احسن ما نطقت به افواه المحابر ، وافضل ما انطوت عليه بطون الكتب والدفاتر ، حمد مبدع عم البرية بالاحسان ، وخص الانسان بمعرفة البديع والبيان ، والصلاة والسلام على نبيه محمد الذي ادبه احسن تأديب ، وعلى آله واصحابه الذين اصابوا من الفصاحة والبلاغة أوفر نصيب .

اما بعد فقد وقفت على هذا الديوان ، العظيم الشأن ، الساطع البرهان ، الفائق بنظامه عقود الجمان ، فوجدته كتاباً بديع المثال ، منيع المنال ، قد فاق منثوره على المنثور ، ومنظومه على قلائد العقيان ودرر النحور ، فلو رآه سحبان لما سحب ذيل التيه والصلف ، وأقر لمنشئه باليد الطولى في الفصاحة التي هي مدار الفضل والشرف ، او عاينه زهير وقد برز زهر كمامه وفاح ، وطلع بدر كماله ولاح ، يعد مدائحه من القول هجراً ، او قال : ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا ؛ او جاراه ابن نباته لما حلا معه مكرر نباته ، او الصلاح الصفدي عد ذلك من سيئاته ، او عارضه ابن حجة ، لم يدع له حجة ، او الصفي الحلي ، لم يصف له المنهل وتكدر عليه الحال ، ولم يسعه الا الاعتراف بأنه المورد العذب والسحر الحلال ، والعز الموصلي عاد بعد العز ذليلا ، وقال له الادب : ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً ، فلله در منشئه كم اسكن بيوته العامرة من نسيب لو بلغ كعبا لاشتغل به عن ذكر سعاد ، وغزل لو وصل الى قيس لنسي ليلى وهام بذكره في البلاد ، وتشبيه لو سمعه ابن المعتز لعلها ذو القدر النبيه ، لما شك انه فرد بلا شبيه ، ومديح اعجز المتنبي عن الاتيان بمثله ، واحجمت عن ارادة الاقدام على ذلك رايات فضله ، ورثاء نقص عنه ابو تمام ، وقال : انا هلال وذاك بدر التمام ، وتورية لو شاهدها الفضل لما أورى له زند ، وهل تقاس مرارة الصبر بحلاوة القند ، واستخدام لو ادركه ابو العلاء لكان من

خدمه ، وكيف لا ومحمد الامين حامل علمه ، وايداع فاح نشر عبيره وضاع ، لو لم تتضمنه تلك البيوت لضل وضاع ، وانسجام ترقص عند سماعه البلابل على الاغصان ، وتهيج عند استماعه البلابل والاشجان ...

كتبه صالح بن يحيى الموصلي
١٢١٢ هـ

١٣- نموذج من النقد

قال ابو تمام :

إذا شئت أن تحصي فضائل كفه فكن كاتبا أو فاتخذ لك كاتبا

فلقد عيب عليه ذلك لما جاء عن الحكماء . لا خير في المعروف اذا احصي .
وقال بعضهم :

اذا احصي المعروف فقد حصر ، واذا حصر فقد وقف على غاية ولا يكون ذلك الا ّ مع القلّة . وقال (ابو بكر الصولي) على تعصبه لأبي تمام وتفضيله له : ان هذا البيت لم يقع له جيداً . أقول : وربما يعتذر له بتخريج معنى وان كان بعيداً وذلك أن يقال إنه اراد بلفظتي (كاتب) في البيت (الملك الحفيظ) مبالغة في كثرة فضائل كفه حيث جعل احصاءها غير ممكن لبشر بل لا يحصيها الا ّ الملك الحفيظ ، ومن شأن ان يتخير كاتباً بهذا المعنى . فهو يقول لمن يخاطبه : اذا اردت فضائل كفه فذلك متعذر عليك الا ّ أن تكون من الحفظة الكاتبين أو تتخذ لك كاتباً منهم لأنّ احصاءها خارج عن طوق البشر . ولعلّ هذا المعنى أليق وانسب بالبيت الذي قبله وهو :

لو اقتسمت أخلاقه الغر لم تجد معيبا ولا خلقا من الناس عائبا

لانه جعل حسن اخلاقه يفضل على جميع الناس لو اقتسمتها فكيف يجعل

واحداً منهم يحصي فضائل كفه . ومما يبعث انقداح المعنى الذي ذكرناه في الذهن قول أبي الطيب المتنبي وكأنه نظر اليه فقال :

خذ من ثناي عليك ما اسطيعه لا تلزمني من ثناك الواجبا
فلقد دهشت لما فعلت ودونه ما يدهش الملك الحفيظ الكاتبا

الا تراه كيف لمحه على انه لم يرض باحصاء الملك الكاتب لفعله بل جعله يندهش بدونه وهو بعضه فضلاً عن استطاعته كاه .

العقد المفصل
حيدر الحلي

١٤- كلمة عن الأدب في الماضي

اظلم جو الادب في القرون الوسطى حتى لم يشاهد فيها الا ذنب طويل ضئيل النور لكوكب قد غارت منه النواة في افق الماضي هو تراث قد بقي للمتأخرين ممن تقدموهم من شعراء الاحقاب البعيدة .

وكان الشعر يومئذ صناعات بديعية من جناس وطباق واستخدام وتورية ومراعاة النظير الى غير ذلك مما هو لعب بالالفاظ يخدم الاغرار ونزوح عن الشعور والمعاني الواشجة به وقشور قد فسد لبابها وسخافات قد افرغت في مدائح ومراثي لا صلة لها بالشعور واغراق في الكذب وتقليد للقدماء يسأم سماعه ذو الذوق السليم .

وقد طال هذا الليل الجاثم على صدر الادب حتى مله السمار واشرأبّت الاعناق الى الافق الشرقي آملة ان تشاهد تباشير الصبح واذا هو بعد الهزيع الاخير طالع من الغرب غير أفقه المأسوف يتنفس ويتبلج فيجلو الابصار بنوره ،

الوردي المنتشر وما طلع حتى استنكره الناظرو ن لطول ما ألفوه من حنادس ليلهم الا نفراً من الشباب الناهض قد فتح العلم عينه فاصبح لا يرتاح الا الى النور ولا يهمه الا الفجر سواء طلع من المشرق او المغرب .

لقد مقت هؤلاء الشباب الليل والغسق ، وحمدوا الصبح والفلق وتغنوا ببياضها يشاطرون العنادل في هتافها على الافنان المورقة فكانت تبتسم لهم الطبيعة حيثما ولوا وجوههم ، وقد احبتهم واحبوها وناشدتهم وناشدوها . وما شعر هؤلاء الا نبضات الطبيعة في عروق ابنائها المؤمنين بقضائها وقدرها فهو هدية الطبيعة الصامتة الى الطبيعة الناطقة وقد يكون موكب احلام لم تتحقق في الماضي ولن تتحقق في الاتي الا انها وليدة الخيال الساحر .

والامل اليوم ان يكثر عدد هؤلاء الشبان الناهضين فيقضوا على الادب القديم الرث المفعم مبالغات ومناقضات ، الخالي من الشعور الذي هو كل المراد من الشعر ويعضدوا الجديد الغض منه :

سئمت كل قديم عرفته في حياتي
ان كان عندك شيء من الجديد فهات

ولا ينخدعنّ أحد منهم بمن يطري القديم باسم الجديد او يذم الجديد باسم القديم وليكن ميزان الجديد كل ما هز النفوس وعبر عن الشعور وميزان القديم كل ما مجه السمع وعافته النفس مما لا علاقة له بالشعور .

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً ان يقال له شعر

الاصابة
جميل صدقي الزهاوي
١٧ ايلول ١٩٢٦

١٥ـ النقد الاجتماعي

اری بغداد تسبح في الملاهي   وتعبث بالاوامر والنواهي
رمت حملاتها الارباق حتى   تناطحت الكباش مع الشياه
أيا بغداد ان الامر جد   فخلي بعض هزلك في الملاهي
وفيك معاهد الدستور تشقى   بغفلة غافل وسهو ساهي
تناهت في مراقصك الرزايا   ولم يأخذ جنونك بالتناهي
مراقص ان بدت فيه فتاة   تلمظت العيون مع الشفاه
وكم لعبت باحلام الكسالى   عيون في لواحظها سواهي
اخاف عليك يا بغداد من ان   تدور عليك دائرة الدواهي
تسير الناس في طرق المعالي   ونحن نهيم في طرق السفاه
وتاهوا في مفاخرهم وباهوا   وتهنا في مفاقرنا نباهي
عليكم بالمدارس فابتنوها   فركن العلم في بغداد واهي

معروف الرصافي

* * *

مصادر البحث

المخطوطات :

الجمان المنضد	محمد الغلامي
حديقة الزوراء	عبدالرحمن السويدي
حور عيون الحور	نعمان خير الدين الالوسي
حديقة الورود	عبدالفتاح الشواف
ديوان العمري	احمد عزة الفاروقي
ديوان	محمد امين المفتي
مجموعة	صالح افندي الموصلي
مخطوطة	الحاليات

الكتب :

ابراهيم صالح شكر وبواكير النثر الحديث في العراق	يوسف عزالدين
اعيان البصرة عبدالله باش اعيان	(ت) جلال الحنفي
البابليات	محمد علي اليعقوبي
البلاد العربية والدولة العثمانية	ساطع الحصري
تطور الفكر الحديث في العراق	يوسف عز الدين
تاريخ علم الفلك في العراق	عباس العزاوي
تاريخ الشرق الادنى الحديث	خالد الهاشمي واحمد بديع المغربي
تاريخ المماليك في بغداد	سليمان فائق
تاريخ الادب العربي في العراق	عباس العزاوي
تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي	داود سلوم

حياة الشرق	محمد لطفي جمعة
الحلقة المفقودة في تاريخ العرب	جميل بيهم
داود باشا ونهاية المماليك في العراق	يوسف عز الدين
ديوان	صالح التميمي
ديوان حسين العشاري	تحقيق عماد عبدالسلام ووليد الاعظمي
ديوان ابراهيم الطباطبائي	
ديوان معروف الرصافي	
ديوان عبدالغفار الاخرس	
ديوان عبدالباقي العمري	
ديوان الزهاوي	
الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده	سليمان البستاني
الدر المنثور	علي علاء الدين الالوسي
الروض النضر في ترجمة شعراء العصر	عثمان العمري
رحلة متنكر	ميجرسون ترجمة فؤاد جميل
الرواية في العراق تطورها والفكر فيها	يوسف عز الدين
زبدة الاثار الجلية	ياسين العمري (ت) عماد عبدالسلام
شعراء بغداد وكتابها	للشهرباني (ت) الكرملي
الشعر العراقي في القرن التاسع عشر	يوسف عز الدين
الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية	يوسف عز الدين
العراق بين احتلالين	عباس العزاوي
عنوان المجد	ابراهيم فصيح الحيدري
غرائب الاغتراب	لابي الثناء الالوسي
في غمرة النضال	سليمان فيضي
فهمي المدرس من رواد الفكر الحديث	يوسف عز الدين

الكتاب	المؤلف
فيصل بن الحسين في خطبة واقواله	مديرية الدعاية العامة
القصة في العراق جذورها وتطورها	يوسف عز الدين
القضية العربية	احمد عزة الاعظمي
كشف الطرة عن الغرة	ابو الثناء الالوسي
المسك الأذفر	محمود شكري الالوسي
مقامات الالوسي	ابو الثناء الالوسي
مجموعة شعر الاخرس	(ت) عباس العزاوي
مباحث عراقية	يعقوب سركيس
مدحت باشا	صديق الدملوجي
مذكرات المجلس التأسيسي	الحكومة العراقية
مختصر تاريخ بغداد	علي ظريف الاعظمي
النصرة في اخبار البصرة للانصاري	(ت) يوسف عز الدين
نشوة المدام	ابو الثناء الالوسي

الدوريات :

الدورية	صاحبها
بغــــداد	للرصافي
الاستقلال	عبدالغفور البدري
الامــل	الرصافي
الزوراء	ولاية بغداد
الزمان	ابراهيم صالح شكر
الرقيب	عبداللطيف ثنيان
المعرض	احمد عزة الاعظمي
العراق	رزوق غنام
المفيد	ابراهيم حلمي العمر
الناشئة الجديدة	ابراهيم صالح شكر

مساعدات التنمية والتعاون

بين الدول النامية

الدكتور

عبد العال الصكبان

عضو المجمع العلمي العراقي

١ — شهد العمل الدولي تركيزاً على قضايا التنمية مع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وقد بلغ هذا الاهتمام مداه مع بداية الستينات .

من الاسباب العديدة لهذا التطور تزايد اصوات الدول النامية في الامم المتحدة مع بداية مرحلة الاستقلال السياسي ومحاولة هذه الدول اكتشاف ذاتها ودورها في بناء عالم جديد تسوده العدالة ويعمه الرخاء .

مؤتمر باندونغ يشكل البداية التنظيمية لحركة عدم الانحياز ومجموعة الـ ٧٧ كوسائل يعبر من خلالها عن مصالح الدول النامية .

٢ — لعب التخلف والنقل المتعسف لموارد الدول النامية وعجز النظام الاقتصادي الدولي في الحد من ذلك دوراً كبيراً في بلورة جهود الدول النامية . من اجل البحث عن اسلوب جديد لتحديد ستراتيجيات التنمية ومصادر تمويلها في المجال الدولي .

يمثل قرار الامم المتحدة رقم « ١٧١٠/١٦ » في ١٩٦١/٩/١٩ بداية فكرة عقود التنمية التي تحدد فيها ادوار لكل من الدول النامية والمتقدمة من اجل تسريع معدلات التنمية وتضييق الفجوة بين الدول النامية والدول المتقدمة .

وفي ضوء تواضع هدف العقد الاول بالارتفاع بمعدل النمو من واقعه البالغ ٤ر٤٪ في الخمسينات الى ٥٪ في الستينات ، جاء تحديد حجم مساعدات

التنمية المتوقع تقديمها من الدول المتقدمة الى الدول النامية بنسبة ١٪ من الناتج القومي الاجمالي للدول المتقدمة .

٣ – على اية حال فان هذه النسبة من المساعدات لم تتحقق اكثر من ذلك فان ما فقدته ، وتفقده ، الدول النامية من حصيلة صادراتها بسبب انخفاض القوة الشرائية وتدني شروط التبادل التجاري يزيد عن مبالغ مساعدات التنمية .

٤ – في هذه الفترة قامت منظمة الامم المتحدة للتجارة والتنمية . كمنتدى ذى نكهة سياسية يعلو فيه صوت الدول النامية وتشمل عضويته جميع الدول ولكل دولة فيه صوت واحد خلافاً لما عليه الامر في كل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي حيث تقصر عضويتهما عن شمول كل الدول من جهة وعن وجود اوزان تصويتية لصالح الدول الصناعية فيهما الامر الذي يجعل منهما منتديات ذات نكهة سياسية لصالح الدول المتقدمة وتعبر قراراتها عن مصالح القوى المسيطرة على النظام الاقتصادي الدولي القائم .

٥ – في هذه الفترة تنامت المقولات المترتبة على افكار راول بريش حول المركز والاطراف واعتبرت اساساً فلسفياً لتبرير التزام الدول المتقدمة بتقديم مساعدات التنمية للدول النامية كتعويض عما لحق هذه الدول من ضرر .

٦ – مع ذلك ، وبرغم ان العقد الثاني للتنمية في السبعينات ، قد جاء أكثر طموحاً من حيث :

ان معدلات النمو المستهدفة منه قد اقترح لها ان تكون ٦٪ بدلاً من الـ ٥٪ التي اقترحت لعقد الستينات وجزىء هذا المعدل السنوي المركب على مختلف الانشطة الاقتصادية على نحو يوحي بالثقة والدقة [١] .

---

(١) من البداية شكك الكثير من الاقتصاديين في الدول المتقدمة والنامية معا في امكانية تحقيق ارقام ستراتيجية العقد الثاني في ضوء تركيبه اقتصاديات مختلف الدول النامية .

ان هناك اجراءات وتوجهات في مجالات السياسات المالية والنقدية والاجتماعية لا بد من الالتزام بها لانجاز مهام العقد سواء تعلق الامر بالدول المتقدمة او بالدول النامية مع اعطاء وزن خاص للمتابعة والتقييم ، فان مساعدات التنمية حدد لها ان تقع في حدود ٧ر٠٪ بدلاً من ١٪ .

وكشف الواقع ان هذا الحد لم يتم التوصل حتى الى نصفه بل ان معدل الـ ٣٥ر٠٪ للمساعدات الصادرة من الدول المتقدمة الى الدول النامية الذي تحقق سنة ١٩٧٥ قد انخفض الى نسبة ٣١ر٠٪ سنة ١٩٧٧ .

تضيف توقعات البنك الدولي الى ان حجم هذه المساعدات سينمو سنوياً بنسبة ٥٪ من قيمتها الحقيقية في سنة ١٩٧٧ لتصل الى نسبة ٣٥ر٠٪ سنة ١٩٨٥ وستبقى كذلك حتى سنة ١٩٩٠ .

٧ — كان طبيعياً ان ينتهي العقد الثاني الى الفشل ، ومن المتوقع ان لا يتجاوز معدل النمو المتوقع انجازه خلال سنة ١٩٧٨ نسبة ٢ر٥٪ ، ويخفي هذا المعدل حقيقة اكثر مرارة مؤداها انه معدل يخفي معدل نمو مقـــدار ٥ر٩ ٪ حققته الدول النامية النفطية بينما حققت الدول متوسطة الدخل معدل نمو قدره ٢ر٦٪ والدول الأشد فقراً معدل نمو قدره ٤ ٪ .

يزيد في المرارة ان دراسات البنك الدولي لا تتوقع ان يزيد هذا المعدل عن ٦ر٥٪ في الثمانينات وهي سنوات العقد الثالث .

٨ — لقد استمرت دوائر التنمية في التنظيم الاقتصادي الدولي المعاصر على التفاؤل في نظرتها الى التنمية . في هذا الخصوص قارن المستر ماكنمارا رئيس البنك الدولي في خطابه السنوي في خريف ١٩٧٧ بين معـــدل النمو في الدول النامية الذي حققته الـــدول النامية في حـــدود ٥٪ في فترة الستينات والسبعينات وبين معدلات النمو التي حققتها الدول الصناعية اليوم في القرن التاسع عشر عندما كانت في مثل مرحلة الدول النامية في القرن العشرين ، فأشار الى ان :

معدل النمو في انكلترا كان ٢٪ في السنوات ١٧٩٠ — ١٨٢٠
معدل النمو في المانيا كان ٢ر٧٪ في السنوات ١٨٥٠ — ١٨٨٠
معدل النمو في امريكا كان ٤٪ في السنوات ١٨٢٠ — ١٨٨٠
عدل النمو في اليابان كان ٤٪ في السنوات ١٨٧٦ — ١٩٠٠

لكن المستر ماكنمارا يخبرنا في خريف ١٩٧٩ في بلغراد ان متوسط دخل الفرد في اشد الدول فقراً يبلغ ١/٧ متوسط دخل الفرد في الدول متوسطة الدخل وجاءت توقعات البنك الدولي للتنمية اكثر تشاؤما .

٩ — اشارت نتائج اجتماعات اللجنة المؤقتة لصندوق النقد الدولي في هامبورغ قبل ايام الى ما يلي : —

أ — ان فائضا متزايداً سيتحقق للدول النفطية في حدود « ١١٥ » مليار دولار سنة ١٩٨٠ وسيتزايد سنة ١٩٨١ مقابل عجز متزايد تعاني منه الدول النامية غير النفطية يقترب من ٧٠ مليار دولار مع احتمال بزيادته سنة ١٩٨١ . وان الدول الصناعية ستعاني من عجز يقترب من ٤٥ مليار دولار قد ينخفض سنة ١٩٨١ .

ب— استمرار خطر التضخم وتزايده وارتباطه بظاهرة الكساد التضخمي التي شهدتها الاقتصاديات المتقدمة في النصف الاول من السبعينات بكل ما يعنيه ذلك من انخفاض في الحجم والقوة الشرائية لصادرات الدول النامية من المواد الاولية وسياسات الحماية ضد مصنوعات الدول النامية بحجة تجنب المزيد من المشكلات الاجتماعية في الدول المتقدمة .

وكالعادة ، فان اللجنة المؤقتة ، لم تجـد امامها غير الحث على استخدام افضل السياسات النقدية والمالية للحد من التضخم دون الوقوع في هوة ركود كذلك الذي شهده العالم في الثلاثينات . فضلاً عن ذلك اكدت اللجنة المؤقتة على ضرورة اعادة تدوير الدولارات البترولية دون اعتبار لمتطلبات الدول

النفطية في انجاز مهام تنميتها الاقتصادية والاجتماعية الشاملة «Comprehensive» ودون اعتبار لاستنزاف ثرواتها النامية او التزاماتها القومية والاقليمية [1] .

---

(١) كانت هنالك محاولة لدراسة امكانية حصول التنمية الطويلة الامد في المنطقة العربية اولا .

لنقم الآن بافتراض عدم وجود النفط . فانه يفترض بأن يكون النمو في معدل دخل الفرد بنسب معدلات النمو السابقة للوصول الى ٣٢٠٠ دولار في عام ١٩٩٠ . أكثر من ذلك ، بافتراض نمو السكان بالمعدلات التاريخية، فان الدخل في الدول العربية غير النفطية سيرتفع ليتماشى مع المعدل العالمي .

في حين ان الدخل للدول غير النفطية سابقاً والنفطية حالياً سيعادل المستوى المتحقق في عام ١٩٧٢ للدول الصناعية الحالية البالغ ٣٥٠٠ دولار . وقد تم الحصول على التقديرات المدرجة ادنـاه :-

	١٩٧٢			١٩٩٠		
الاقطار :	السكان	الناتج القومي الاجمالي للدول غير النفطية .	دخل الفرد	السكان	الناتج القومي الاجمالي للدول غير النفطية .	دخل الفرد
نفطية :	٣٥٨٥٧	١١٣٦٠	٣٢٠	٧٣٦٩٠	٢٦٥٢٨٥	٦٠٠
غير نفطية :	٩٦٦٧٥	٢٢٨٢٠	٢٤٠	١٧٥٦٤٠	٥٦٢٠٥٠	٢٠٠
الجميع :	١٣٢٥٣٢	٣٤١٨٠	٥٦٠	٢٤٩٣٣٠	٨٢٧٣٣٥	٨٠٠

اذا قامت الدول العربية بتحديد براجها في التنمية فقط بفرض مضاعفة معدل دخل الفرد لديها باستعمال مؤشر النسبة ٤٪ للناتج الرأسماني فان كلفة رأس المال لمضاعفة معدل الفرد المذكور عبر فترة العشرين سنة ، ستبلغ حوالي ٢٠٠ بليون دولار (بافتراض زيادة عدد السكان بـ ٦٠٪ خلال الفترة المذكورة) ان التقديرات السابقة بنيت بافتراض بأن رأس المال الاجتماعي المقبل من الممكن توفره بمبالغ ملائمة ، كما ان الموقف في الدول العربية يختلف اختلافاً كبيراً عن هذا الموقف ، وعلى سبيل المثال فان كيلومتر واحد من طول (ارض) الطرق في الولايات المتحدة تخدم ثلاثين شخصاً في حين يخدم نفس الطول ١٢٠٠ شخصاً في مصر ، هنالك حاجات سياسية واقتصادية استراتيجية حيوية بغية ربط العديد من اجزاء العالم العربي . يتطلب ذلك الكثير من المال ، الذي يصعب تقديره لعدم توفر البيانات .

هنالك ايضاً حاجة الى الاستثمارات لغرض اعادة بناء الاضرار في المناطق التي خلفتها الحرب في مصر وسوريا بشكل خاص وفي الاردن ، لبنان وفلسطين بشكل عام . ان المبالغ التي يتطلب تخصيصها ممكن ان تصل من ١٨ الى ٢٥ بليون دولا ر امريكي . =

١٠- في اقتصاد دولي كهذا فان المبالغ المتاحة لمساعدة الدول النامية المتضررة من التضخم المصدر اليها من الدول المتقدمة ومن تعديل اسعار النفط ستتجه الى التناقص بالضرورة . ان وضعاً كهذا يتطلب البحث في مصادر اخرى لمساعدات التنمية .

في هذا المجال يمكن ان نشير الى ان هناك مصدرين آخرين لمساعدات التنمية هما الدول النامية النفطية والدول الاشتراكية .

١١- على صعيد الدول النفطية فان صافي مساعدات التنمية من هـــذه الاقطار قد تجاوز متوسطها ٧ مليار دولار في النصف الثاني من السبعينات ومثلت حوالي ٢ من الناتج القومي للدول النفطية رغم ان هذا الناتج يقل في مجموعة عن نسبة ٥٪ من ناتج الدول الصناعية . وسيتزايد متوسط هذه المساعدات في سنة ١٩٨٠ بالتأكيد في ضـــوء التعديل الاخير للأسعار والزيادة الملحوظة في تدفق معونات الدول النفطية الى الدول النامية خلال النصف الثاني من سنة ١٩٧٩ والنصف الاول من سنة ١٩٨٠ .

١٢- فضلاً عن ذلك فان الدول النفطية تسهم في توفير الموارد للتنمية عن طريق رفد اسواق التمويل الدولية بالسيولة التي تسمح لها باقراض المزيد للدول النامية .

= وبالنسبة للغذاء ، وهي مشكلة في البلدان العربية ، هنالك اراضي في السودان والعراق وسوريا يتطلب استصلاحها حسب تقديرات منظمة الغذاء والزراعة الدولية بكلفة قدرها ٤٤ بليون دولار امريكي . هنالك فرص هائلة التنمية لبعض الصناعات الاساسية في البلدان العربية مثل صناعات الأسمدة . والصناعات البتروكيمياوية التي يبلغ رأس المال فيها مبلغاً عالياً جداً .

ان هذه القائمة الوجيزة ، على الرغم من ظهورها بشكل غير شامل ، فانها تعطينا بعض الافكار عن احتياجات العالم العربي للاموال التي تخصص للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها .

في الحقيقة ، ان الاستثمار السنوي لـ ١١٩ بليون دولار امريكي لا يعني اكثر من ١٠٠٠ دولار امريكي من اساس الاستثمار الفردي .

الدكتور عبد العال الصكبان : العلاقات الاقتصادية بين البلدان العربية والاوربية الغربية ، نشرة مجلس الوحدة الاقتصادية ، السنة الاولى ، العدد ، القاهرة ، تشرين الاول ١٩٧٥ صفحة من ٥ الى ٢٢ .

عن طريق الاستثمار في الدول النامية وعن طريق زيادة الطلب الفعال على منتجات العالم الصناعي لسد حاجات التنمية والاستهلاك في الدول النفطية الامر الذي يسهم بدوره في موقف افضل لصادرات الدول النامية من الموارد الاوليـــة .

١٣ـ على صعيد الدول الاشتراكية ، وباستثناء المساعدات المقدمة الى كوبا وفيتنام ، فقد شهدت هذه المساعدات سنة ١٩٧٧ زيادة ملحوظة وصلت بها الى ٥ر٣ بليون دولار ، معظمها من الاتحاد السوفيتي ، بعد ركود نسبي خلال الفترة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٦ .

١٤ـ ان الحكم على جدوى مساعدات التنمية يتوقف على مدى كفايتهما لمتطلبات التنمية لا بالمعدلات التي تضعها ستراتيجيات عقود التنمية وانما على اساس متطلبات التضييق الفعال للفجوة بين الدول النامية والمتقدمة .

في هذا الصدد اظهرت توقعات تقديرات البنك الدولي سنة ١٩٧٩ ان المساعدات الميسرة ستغطي ثلثي متطلبات التمويل الخارجي في بلدان الدخـــل المنخفض في حين يغطي الاقراض بشروط السوق اربع اخماس متطلبات التمويل الخارجي لبلاد الدخل المتوسط .

واضح انه اذا كانت المساعدات لا تغطي الا بعض متطلبات تنمية غير حاسمة ، فمن المؤكد انها لن تغطي متطلبات تنمية يمكن ان يترتب عليهاتضييق ملموس في الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية .

اكثر من ذلك فان هذه المساعدات مهما بولغ في مقاديرها فانها لا تسهم اسهاماً جادا في علاج العجز المتفاقم سنة بعد اخرى في موازين المدفوعات باعتبارها تعبيراً نهائياً عن عمليات التنمية .

١٥ـ لا يقف الحكم على جدوى مساعدات التنمية فيما يتعلق بحجمها فقط وانما يمتد الى نواح اخرى اهمها :

* مـــدى الالتزام بهذه المساعدات والتلقائيـــة في انسيابها على نحو يسمح بالتنبوء بها وببناء خطط تمويلية على اساسها ، وهو امر لم يتحقـــق حتى الآن ولو بقدر ضئيل ، فلا زالت هذه المساعدات موضوعاً سياسياً اكثر منها التزاماً تنموياً .

* طبيعة الشروط التي تقترن بها هذه المساعدات على مستوى الدول المانحة وعلى مستوى المنظمات التنموية الدولية ؛ وفي هذا الخصوص يمكن القول ان الاشتراطات الفنيـــة وضآلة عنصر المعونة تحول دون استفادة جادة من هذه المساعدات .

* استهلاك المبالغ المخصصة لخدمة الديون ومبالغ التحويلات الى الخارج اكثر من نصف حصيلة مساعدات التنمية في كثير من الامثلة .

١٦– برغم كل ما تقدم فان دوراً هاماً يبقى لمساعدات التنمية فـــي التخفيف من ازمة الدول النامية ولا بد من التظافر بين الدول النامية من اجـــل تعظيم هذا الدور ووضعه على اسس ثابتة .

لكن الملاحظ في الاونة الاخيرة ان وحدة الدول النامية القائمة على اساس ان مساعدات التنمية هي تعويض عن اضرار سابقة الحقتها اقتصاديات الدول المتقدمة باقتصاديات الدول النامية ، قد بدأ التصدع يلحقها [١] .

ويفشل حوار الشمال والجنوب ومع تعنت الدول المتقدمة بدأت الدول النامية تحاور بعضها في حوار الجنوب – الجنوب مع تركيز خاص على الدول النفطية ومع انتقال واضح لدور الدول الاشتراكية ، رغم ان كلا من الدول الاشتراكية والدول النفطية يستويان في انهما لم يلحقا اي اذى تاريخي باقتصاديات البلدان النامية . ان المستفيد الوحيد من ذلك هو الدول الصناعية المتقدمة .

---

(١) حيث شهدت الدول النامية تصنيفات توزعها بين دول نفطية واخرى غير نفطية . غير النفطية هذه تنقسم الى مجموعة اقل نمواً وثانية جزئية ومغلقة وثالثة متوسط الدخل .

١٧- لقد طرح العراق ، وهو من البلدان النفطية النامية ، منذ حزيران ١٩٧٩- مقترحاً من مرحلتين :

المرحلة الأولى : التزام الدول المصدرة للنفط بدفع فروقات الاسعار بعد ١٩٧٩/٦/١ للدول النامية المستوردة للنفط في شكل قرض ميسر يكاد يكون كله منحة .

المرحلة الثانية : اقامة صندوق دولي تسهم فيه الدول المتقدمة الغربيـــة والاشتراكية ، كل بقدر التضخم الذي تصدره الى الدول النامية، والدول النامية، بقدر تعلق الامر بتعديل اسعار النفط ، لغرض دعم اقتصاديات الدول النامية .

١٨- لكن الملاحظ ان الحل الذي جاءت به المرحلة الاولى لم يلق القبول من بقية الدول النفطية ، ولا زال حل المقترح للمرحلة الثانية بحاجة الى دعم متكامل ودؤوب من الدول النامية من اجل فرضه بالقدر الذي تسمح به الشرعية الدولية المعاصرة .

ويغير ذلك فان أية مناقشة عن دور لدول النفط دون انتظار لإسهام الدول المتقدمة سيكون وسيلة فعالة لشق وحدة الدول النامية واعاقة لمسيرتها الشاملة صوب النظام الجديد وصوب التخلص من المأزق القائم في الاقتصاد الدولي .

ان فكرة الصندوق جديرة بالمناقشة في هذا الاجتماع لإلقاء المزيد من الاضواء على صيغتها التطبيقية والاسلوب الافضل لتنظيمها على نحو يحقق الهدف منهـــا .

١٩- بغض النظر عن مقترحات لجنة براندت وبرنامج البقاء وما اقترحه تقرير اللجنة من تنظيمات جديدة ، فان المرحلة قد تتطلب اعادة النظر في تنظيم مصادر مساعدات التنمية وتدفقات رأس المال الى الدول النامية بالاتجاه التالي :-

• اعادة صياغة اسس تنظيم البنك الدولي لتشمل عضويته جميع الدول وعلى اساس التساوي في التصويت ولتدمج في رأسماله وجهوده رؤوس اموال وجهود جميع صناديق التنمية ، القطاعية منها والشمولية ، ليتصدى البنك بصورته الجديدة لكل مهام التنمية .

• اعادة صياغة اسس تنظيم صندوق النقد الدولي لتشمل عضويته جميع الدول وعلى اساس التساوي في التصويت ولتدمج فيه كل الصناديق الخاصة باستقرار الاسعار ويتعوض اضرار الدول النامية جراء التضخم وتدني شروط التجارة .

• تحديد التزامات الدول من اجل تنمية الدول النامية على اسس محددة ومعلومة المقادير خلال سنوات العقد الثالث وتحريرها من الشروط الفنية والسياسية والعهد بادارتها الى كل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي من خلال علاقة محددة مع التجمعات الاقتصادية الاقليمية والبنوك والصناديق الاقليمية للتنمية ، القائمة الآن والتي ستقوم ، ان اقامة مثل هذه التجمعات والبنوك والصناديق الاقليمية قضية اساسية في التوجه الفعال نحو التنمية واقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد .

• تبقى العلاقات الثنائية مجالاً مفتوحاً لانسياب مساعدات التنمية بين مختلف الدول خارج الاطار الجماعي المتقدم وفقاً للمصالح الحيوية المتبادلة للدول اطراف التعاون الثنائي .

• يبقى الاقراض الخاص في السوق المالية الدولية مصدراً اضافياً لتمويل متطلبات الدول النامية فوق ضوابط محددة وبموجب تنظيم دولي يضمن لاموال هذه السوق الحماية ضد مخاطر التضخم والمخاطر غير التجارية .

٢٠– ان هذه الافكار الاولية المطروحة للنقاش امام هـــذا الاجتماع ستوفر المزيد من الكوادر التي تتطلبها ادارة الحشد القائم الآن في مجال تمويل التنمية الدولية . توفر هذه المقترحات من جهة اخرى جهودا كبيرة تبذلها الدول النامية في مناقشة هذا الصندوق قبل ذاك او كلا منهما على انفراد من اجـــل الحصول على مساعدات متفرقة تتضاءل فاعليتها جراء تجزئتها . كما ان المقترحات

المتقدمة تخلص الدول النامية من ضغوط الاشتراطات السياسية دون ان تلغي دور الدول المانحة في حماية مصالحها الحيوية من خلال المساعدات الثنائية المباشرة .

٢١- على اية حال ، وبغض النظر عن المقترحات المتقدمة على صعيد التنظيم فان حجم مساعدات التنمية ستبقى اقل من المتطلبات الحقيقية للتنمية الشاملة التي يترتب عليها وحدها اعادة تقسيم العمل الدولي الذي يفرضه النظام الدولي المعاصر . لعل في مقدمة ما يمكن التأكيد عليه في مجال اعادة النظر الشاملة في العلاقات الاقتصادية الدولية باتجاه النظام الجديد هو ان تتوصل الدول المختلفة ، متقدمة ونامية ، الى الاعتراف بحتمية السعي نحو توازن دولي في ممارسة واستخدام القوة الاقتصادية ، وذلك بأن يكون للبلدان النامية صوت ووزن أكبر في صنع القرارات التي تهم الاسرة الدولية. وعندئذ فان من الضروري ان نؤكد على اهمية الغاء وتصفية العلاقات الاقتصادية الدولية غير المتكافئة .

٢٢- ويمكن ان تسير عملية الغاء وتصفية العلاقات الاقتصادية الدولية غير المتكافئة في اتجاهين :

(أ) اتجاه اول يرمي الى تعديل الاطار التنظيمي للعلاقات الاقتصادية الدولية .

(ب) واتجاه ثان يرمي الى تعديل هيكل هذه العلاقات .

هذا الاتجاه الاخير هو بطبيعة الحال الاكثر اهمية ، باعتبار انه يتصدى لتطوير العلاقات الاقتصادية الدولية نفسها من اجل التغلب على نواقص الهيكل الحالي، وبخاصة ما يتعلق منها بتطوير التنمية المعجلة وتصفية التبعية الاقتصادية .

ومع ذلك فان الاتجاه الاول هو الاكثر عملية والاشد الحاحاً ، اذ انه يتصدى لتعديل الاطار التنظيمي الذي انهار بفعل نشوء علاقات دولية جديدة ، فرضتها الدول النامية بفضل قدرتها على تعديل العلاقات السعرية لبعض السلع الاساسية داخل السوق العالمية . ولهذا تتجه الجهود اكثر فأكثر ، نحو تبني هذه العملية الطويلة الأجل ، والطويلة النفس ، التي تتمثل في اجراءات وترتيبات

ترمي لاعادة تنظيم الهيكل القائم للعلاقات الاقتصادية الدولية ، من اجل ان تصبح السوق العالمية اقل عرضة للتقلب ، وتكون آلياتها على العكس آليات للنمو المنتظم للانتاج والتجارة في العالـــم .

٢٣ـ ان تبني هذه الستراتيجية التي يمكن اعتبارها ستراتيجية للمواجهة والحوار معا ، يتطلب في الاساس ان تعتمد البلدان النامية على نفسها في المقام الاول . غير انه ينبغي توسيع صور هذا الاعتماد الذاتي القطري الى آفاق اقليمية ودولية . وبصفة خاصة ، فانه ينبغي ان يتسع لكل صور التعاون الجدي فيما بين البلدان النامية نفسها ، سواء كان ذلك من اجل الغاء القيود على التجارة المتبادلة ، او من اجل التخطيط المشترك للاستثمارات المشتركة . وعندئذ فمن الضروري ان ندرك ان مثل هذا التعاون الاقتصادي لا يمكن ان يتحقق بالقفز فوق الفروق الموضوعية ، والتفاوت الواقعي فيما بين البلدان النامية . ان مراعاة معالجة التناقضات داخل جبهة البلدان النامية لا بد ، في هذه الظروف ، ان يكتسب اهميـــة حاسمة ، وذلك بهدف تعزيز قدرتها جميعاً على المواجهة والحوار ازاء الدول المتقدمة .

٢٤ـ واذا كان التعاون الاقتصادي فيما بين البلدان النامية حقيقة لا شك فيها الان ، فأن من المرغوب فيه ان نجعل منه اداة حاسمة لا من اجل القضاء على العلاقات الاقتصادية الدولية غير المتكافئة والتوصل الى نظام اقتصادي دولي جديد اكثر انصافاً للبلدان النامية فقط وانما من اجل ان يكون هذا التعاون هو ذاته مساعدات التنمية . ومن اجل ذلك ينبغي التركيز في المستقبل على امرين : الامر الاول ان يجري التعاون فيما بين منظمات او تجمعات اقتصادية اقليمية ، ولهذا ينبغي دعم التجمعات الاقتصادية الاقليمية القائمة حالياً فيما بين البلدان النامية ، كما ينبغي التوجه نحو إقامة مثل هذه التجمعات حيث لا توجـــد . فمن غير المجـــدي ان يقـــوم التعاون عـــلى مستوى ثنائي فيما بين دولتين فأكثر ، وقد لا يفيد كثيراً ان يقوم التعاون بين دولة

نامية وتجمع اقتصادي اقليمي . ان خلق التجمعات الاقتصادية الاقليمية وقيام التعاون فيما بين هذه التجمعات نفسها افضل بكثير من تنسيق الجهود مع كل دولة نامية على حدة او مع تجمع طارىء او محدود بموضوع معين بمجموعة من الدول النامية .

من الضروري ان يكون لكل تجمع اقليمي مؤسساته التنموية ، التمويلية والنقدية . وان يكون لكل تجمع خطة مشتركة ذات طابع الزامي بكل ما يعنيه ذلك من تفويض لقدر من السيادة يسمح بانجاز مهام التخطيط لصالح التجمع.

والامر الثاني ان يسلك التعاون الاقتصادي فيما بين البلدان النامية شتى المداخل التي تتاح له ، سواء بالتركيز على التجارة ، او التركيز على تبادل بعض السلع ، او التركيز على حركات عوامل الانتاج ، او التركيز على المشروعات الانتاجية المشتركة ، او باتخاذ المدخل القطاعي للتنمية او بالسعي الى التنسيق فيما بين السياسات والبرامج والخطط الاقتصادية . وفي جميع الاحوال ، يجب ان يرمي التعاون الى تنمية الموارد المشتركة للبلدان المتعاونة .

ان افكاراً مثل اقامة صناديق لتمويل مخزون احتياطي من بعض الخامات الهامة ، ومثل تكوين صناديق لموازنة اسعار بعض السلع الاساسية بهدف تحقيق حد معقول لقيمة صادراتها . ومثل اقامة مشروعات انتاجية مشتركة محددة او واسعة النطاق . حتى وان تمت على مستوى اقليمي ، هي افكار جديرة بالعناية البالغة وجديرة بأن تشكل بعض وظائف المؤسسات التنموية للتجمع .

٢٥ــ من جهة اخرى فان زيادة التضامن والتماسك وتكثيف الجهود المشتركة بين الدول النامية يشكل العوامل الاساسية لدعم قدرتها الذاتية الجماعية الهادفة الى اعادة بناء هياكلها الاقتصادية ، لأن استمرار المطالبة بتحرير التبادل التجاري من كل القيود امام منتجات الدول النامية في اسواق الدول المتقدمة كوسيلة لحل المشاكل الاقتصادية امر غير مرغوب فيه . هذا الاتجاه يعمق في

الواقع التبعية الاقتصادية اذا لم يصحبه احداث تغييرات هيكاية في اقتصاديات الدول النامية . ان المطلوب هو ضرورة الاعتماد على زيادة القدرات الذاتية الجماعية لدول العالم الثالث ، مع دعم هذه القدرات بتوسيع تعاونها فيما بينها

٢٦– لقد اكدت قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة التي اتخذتها في دورتها الاستثنائيتين السادسة والسابعة . وكذلك ميثاق الحقوق والواجبات الاقتصادية للدول ، على ضرورة قيام نظام اقتصادي عالمي جديد يؤكد من بين امور اخرى على « التعاون بين جميع الدول بصرف النظر عن انظمتها الاقتصادية والاجتماعية » كما اكدت على هذا الاتجاه ، وباهتمام ، مؤتمرات الاونكتاد ونشاطه في مجال التعاون بين الدول النامية .

٢٧– لقد كانت المبادرة العربية في هذا الصدد سباقة في ادخال مبدأ التعاون الاقتصادي الى معارج التجربة والممارسة بين مجموعة من الدول ذات انظمة اقتصادية واجتماعية وسياسية مختلفة ، لقد قطعت الأقطار العربية شوطاً لا بأس به في تعاونها الثنائي والمتعدد الأطراف في مختلف مجالات التنسيق والتعاون الاقتصادي ، متخطية بذلك تباين انظمتها الاقتصادية والاجتماعية وعقائدها الايدلوجية ، ولا شك في ان الشعور القومي العربي وخلفيته المتجسدة في وحدة التاريخ واللغة والصلات الطبيعية والدين قد ساعدت على خلق هذا التعاون . ومع ذلك فأن التجربة العربية في اطارها العام جديرة بالنظر والاعتبار لأنها أكدت بالممارسة ان خلفية التكتلات الاقتصادية ، ومنها السوق الاوربية المشتركة ومجلس التعاون المتبادل ، القائمة على وحدة النظر الفلسفية الايدلوجية والانظمة الاقتصادية الاجتماعية والسياسية ، هي خلفية يمكن تخطيها واقامة تعاون وتنسيق اقتصادي بين دول ذات انظمة اقتصادية وسياسية مختلفة .

وليس هناك من حاجة امس من حاجة الدول النامية في الظروف الاقتصادية العالمية الراهنة الى اقامة مثل هذا التعاون .

الاسلام والحرب الاجماعية

اللواء الركن محمود شيت خطاب

الحرب الاجماعية الحديثة

— ١ —

الحرب الاجماعيّة ، أو الحرب الاعتصابيّة ؛ أو الحرب الشّاملة ، مصطلحات عسكرية معروفة ، تدل على معنى عسكريّ واحد .

ومعنى الحرب الاجماعيّة هو حشد الطاقات الماديّة والطاقات المعنوية كافة للأمة ، لا للجيش النظاميّ وحده ، أو للقوات العسكرية النظاميّة وحدها ، من أجل المجهود الحربي .

وهذا يعني أنّ الطاقات الماديّة كلّها : بشرية وطبيعيّة ، وسلاحاً وعتاداً ، ومعامل ومصانع ، ومزارع وحقولاً ، ووسائل نقل ووسائل تنقّل ، ومستشفيات وأطباء ، وأدوية وعقارات ، وألبسة وتجهيزات ، ومخازن ومستودعات ، وغيرها من الطاقات المادية الأخرى التي تفيد المجهود الحربي قليلاً أو كثيراً ، تحشد كلّها لهذا المجهود من أجل إحراز النصر

وهذا يعني أيضاً ، أنّ الطاقات المعنوية كلّها : التوجيه المعنوي ، خطباء المساجد ، رجال الدين ، أساتذة ومدرسين ، أجهزة إعلام مكتوبة ومسموعة ومرئية ، حرباً نفسية ، مكافحة التجسس ، قضايا الترفيه ، وغيرها من الطاقات المعنوية الأخرى التي تؤثر في المجهود الحربي ، تحشد كلّها لاحراز النصر .

وقد كانت القوّات المسلحة النظامية مسئولة وحدها عن إحراز النّصر ، فأصبح كلّ قادر على حمل السّلاح مسئولاً عن هذا النصر

وكانت أموال الدولة ومصانعها الحربية مسئولة عن تمويل الجيش النظاميّ وتسليحه وتجهيزه ، فأصبحت في الحرب الاجماعيّة كلّ أموال الدولة أفراداً وجماعات ، وكلّ مصانع البلاد الخاصة والحكوميّة ، وكلّ إنتاج الأمة زراعياً وصناعياً ، مسئولة عن تمويل المحاربين وتسليحهم وتجهيزهم .

وحين صدر كتاب : (الأمة في الحرب) الذي ألّفه المشير لودندروف رئيس هيئة أركان حرب المشير هندنبرغ أبرز قادة ألمانيا القيصرية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩٨) ، وأصدره بعد الحرب العالمية الأولى ، ظنّ الناس أنّ لودندروف أوّل من وضع أُسس الحرب الاجماعية في التاريخ العسكري ، وسرى هذا الظنّ في الشرق والغرب قضيّةً مسلم بها ، وكان من الذين صدّقوا هذا الظن الآثم العسكريون العرب والمسلمون ، فدرسوا هذا الكتاب القيِّم ودرّسوه في المدارس والمعاهد والكليات والجامعات العسكرية : في مدارس ضباط الصف والضبّاط ، وفي معاهد إعداد الفنيين العسكريين ، وفي كليات إعداد الضباط وكليات الأركان والقيادة ، وفي جامعات الدراسات العسكرية العليا .

وكان من حقِّ الجيوش النظاميّة الحديثة أن تدرس هذا الكتاب وتدرّسه في الدول غير الاسلامية ، أما في الدول الاسلامية فالحرب الاجماعية معروفة نصاً في الكتاب العزيز وتطبيقاً في عهد الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام وفي أيام الفتح الاسلامي العظيم (١١ هـ — ١٠٠ هـ) ، حين كان المسلمون يطبِّقون فريضة الجهاد ويلتزمون بمبادئ الاسلام .

والمهم : أنّ الحربالاجماعية لم تطبق . الا خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) تطبيقاً كاملاً كما جرى في بعض دول الحلفاء كبريطانيا

والاتحاد السوفياتي ، وبعض دول المحور كألمانيا الهتلرية واليابان ، كما طبِّقت هذه الحرب تطبيقاً جزئياً في إيطاليا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية .

أما قبل الحرب العالمية الثانية فلم تطبق هذه الحرب في أية دولة غير إسلامية من دول العالم .

الحرب الاجماعية الاسلامية في القرآن

— ٢ —

إنّ الاعتقاد السّائد بين المعنيين بالدراسات العسكرية من عسكريين ومدنيين ، بأنّ المشير لودندروف هو الذي وضع أسس الحرب الاجماعيّة لأول مرة في التاريخ ، لايمت إلى الحقيقة بصلة قريبة أو بعيدة ، وهو محض افتراء على حقائق التاريخ العسكريّ .

كما أنّ الفكرة السائدة ، بأنّ ألمانيا الهتلرية وبريطانيا والاتحاد السوفياتي واليابان ، هي التي طبّقت الحرب الاجماعية تطبيقاً كاملاً في خلال الحرب العالمية الثانية لأول مرة في تاريخ الحرب ، خطأ فاحش لا يمتّ إلى الحقيقة التاريخيّة بصلة ، ويدخل في عداد الجهل المطبق بالواقع التاريخي أو في التزييف المتعمّد لحقائق التاريخ .

إنّ الاسلام هو الذي وضع أُسس الحرب الاجماعيّة بنص القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمسلمين هم الذين طبّقوا هذه الحرب عملياً في عهد الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام وفي أيام الفتح الاسلامي العظيم في القرن الأول الهجري الذي كان خير القرون .

قال تعالى في كتابه العزيز : (انفِروا خِفافاً وثِقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأَنْفُسِكُم في سَبيلِ الله ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لكم إنْ كنتم تَعْلمون) [١] ، وهذه الآية وغيرها من سورة (التوبة) ومن الآيات الأخرى في السُّور الأخرى،

(١) الآية الكريمة في سورة التوبة (٩ : ٤١) .

تقرِّر أسس الحرب الاجماعية باحكام رائع وإيجاز غير مُخِل .

ذكر المفسِّرون ، ومنهم الامام الزمخشري في تفسير (الكشاف) تفسيراً لهذه الآية الكريمة في معنى : (خفافاً وثقالا) [٢] : « خفافاً في النفور لنشاطكم له ، وثقالاً عنه لمشقّته عليكم ؛ أو خفافاً لِقِلّة عيالكم وأذيالكم ، وثقالاً لكثرتها ؛ أو خفافاً من السِّلاح ، وثقالاً منه ؛ أو ركباناً أو مشاة ، أو شباباً أو شيوخاً ، أو مهازيل وسماناً ، أو صِحَاحاً ومِراضا .

المحبّون للنفير وهم خفاف ، والكارهون له وهم ثقال .

وغير المعيلين وهم خفاف ، والمعيلون وهم ثقال .

وغير المسلّحين وهم خفاف ، والمسلّحون وهم ثقال .

والركبان وهم خفاف ، والمشاة وهم ثقال .

والشباب وهم خفاف ، والشيوخ وهم ثقال .

والمهازيل وهم خفاف ، والسمان وهم ثقال .

والصِحاح وهم خفاف ، والمرضى وهم ثقال .

والفقراء وهم خفاف ، والأغنياء وهم ثقال .

فمن يبقى من الأمة ، إذا شهد الحرب الشباب والشيوخ ، والركبان والمشاة ، والفقراء والأغنياء ، والأصحّاء والمرضى ، والمعيلون وغير المعيلين ؟!

ومعنى ذلك ، أنّ النفير العام للجهاد الاسلامي ، الذي يطلق عليه الفقهاء مصطلح : (فرض عَيْن) ، ويطلق عليه العسكريون المحدثون : (النفير العام) ، يشمل جميع القادرين على حمل السِّلاح من المسلمين ، الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، ولا يتخلّف مسلم عن الجهاد إلاّ إذا سلك سبيل غير المؤمنين ، فينبذه المجتمع الاسلاميّ ، وينظر إليه نظرة لا تشرّفه ولا يقبل بها مسلم حق .

(٢) الزمخشري (محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي – الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (خ/٣٤) مطبعة بولاق – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٣١٨ هـ .

(وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) ، إيضاح لما سبقها في الآية الكريمة : (انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) ، فكلّ قادر على حمل السّلاح يجاهد بنفسه ، وكلّ قادر على الجهاد بالمال يجاهد بماله ، وكلّ قادر على الجهاد بماله ونفسه يجاهد بهما معاً .

وهذا هو حشد الطاقات المادية والمعنوية كلّها للمجهود الحربي ، وهو ما نطلق عليه اليوم : الحرب الاجماعيّة .

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة في الجهاد بالأموال والأنفس ، وفي كلّ آية من تلك الآيات تسبق كلمة (الأموال) كلمة (الأنفس) ، لأنّ المال عصب الحرب ، وبالامكان الاستفادة منه تموينا وتسايحاً وتجهيزاً وتنقّلاً في أيام الحرب ، وإعداداً للجيش وتأسيساً للمصانع الحربية وإعالة لعوائل المجاهدين وعوائل الشهداء في أيام السّلام والحرب .

الحرب الاجماعية الأسلامية في الحديث

— ٣ —

أما الأحاديث النبويّة التي وردت في الجهاد والحثّ عليه ، فكثيرة جداً .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم[1] » ، والجهاد باللسان هو الحرب الدعائية أو الحرب الاعلاميّة .

وقال صلىّ الله عليه وسلّم : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة[2] » ، حثّاً على إعداد الخيل للجهاد ، وهو جزء من إعداد القوّة .

وقال عليه الصّلاة والسّلام : « إنّ الله يُدخل بالسّهم الواحد ثلاثة نفر

(١) حديث صحيح ، رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داوود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه ، وانظر : مختصر الجامع الصغير للمناوى (١/٢٤٥) .

(٢) رواه الأمام البخاري ومسلم والترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجة والطبراني ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوى (٢/٢٠) .

الجنّة : صانعه يحتسب في صنعه الخير ، والرامي به ، ومُنَبِّلَه ... وارموا واركبوا ، وإن ترموا أحبّ إليّ من أن تركبوا ، ومَنْ ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه ، فانها نعمة تركها ، أو قال : نعمة كفرها [1] » ، حثاً على التسليح والتدريب واستمراريّة التدريب .

وعن أبي أُمامَة البَاهِلِيّ [2] رضي الله عنه ، أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم قال : « مَنْ لم يَغْزُ ولم يجهِّز غازياً ، أو يخلف غازياً في أهله بخير ، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة [3] » ؛ حثٌ على الجهاد .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلم قال : « مَنْ ماتَ ولم يَغْزُ ولم يحدِّث نفسه بغزوٍ ، مات على شعبة من النفاق [4] » ، حثاً على الجهاد في سبيل الله .

وقال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم : « والذي نفسي بيده ، لوَدِدْتُ أني أُقتلُ في سبيل الله فأحيَا ، ثمّ أُقتَلُ فأُحيا ، ثم أُقتَل فأُحيا ، ثمّ أُقتل [5] » .

وقال عليه الصّلاة والسّلا م : « لغَدْوَة أو رَوْحَة في سبيل الله ، خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب [6] » ، وهذان الحديثان يبرزان أهميّة الجهاد في سبيل الله .

---

(١) رواه الامام البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد ، وانظر مختصر الجامع الصغير للمناوى (١٢٩/١) .

(٢) انظر تفاصيل سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (١٦٤ – ١٦٨) .

(٣) رواه الدارمي بسنده ، انظر سنن الدارمي – (٢٠٩/٢) – بيروت – بلا تاريخ .

(٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائي ، انظر التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (٣٢٩/٤) – القاهرة – ١٩٦٢ – الطبعة الثالثة .

(٥) رواه الشيخان واللفظ للبخاري ، انظر التاج (٣٢٧/٤) .

(٦) رواه الخمسة إلا أبا داود ، انظر التاج (٣٢٧/٤) والغدوة من أول النهار إلى الزوال ، والروحة من الزوال إلى آخر النهار . وفي رواية : « الروحة والغدوة في سبيل الله ، أفضل من الدنيا وما فيها » .

وسئل النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم : « أيُّ الناس أفضل ؟ » ، فقال : « مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله » ، قالوا : « ثمّ مَنْ ؟ » ، قال : مؤمن في شِعْبٍ [1] من الشّعاب يتقي الله ويدع الناس من شرّه[2] » .

وقال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم : « ما اغبرّت قَدَما عبدٍ في سبيل الله ، فتمسّهُ النار [3] » .

وقال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم : « واعلموا أنّ الجنّة تحت ظِلال السيوف [4] » .

ومالت نفس رجل إلى العُزْلة ، فسأل النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم عنها ، فقال : « لا تفعل ، فانّ مَقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً . ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ويدخلَكُمْ الجنّة ؟ أُغزوا في سبيل الله ، مَن قاتل في سبيل الله فَواقَ ناقة [5] وجبت له الجنّة [6] » .

التطبيق العملي للحرب الاجماعية الاسلامية بالأنفس

— ٤ —

وكان التطبيق العمليّ للحرب الاجماعيّة في الاسلام على عهد النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، في قرنه الذي كان خير القرون رائعاً حقاً .

شهد القتال في هذا القرن شباب صغار السن ، فقد ردّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم أُسامة بن زيد بن حارثة الكلبي [7] يوم (أُحُد) لصغر سنّه ، وأجاز يومئذ سَمُرَة بن جُنْدَب الفَزَارِي[8] ورافع بن خَدِيْج [9] من

(١) الشعب : الوادي بين جبلين ، ويدع الناس من شره : يمنعه عنهم .
(٢) رواه الخمسة ، انظر التاج (٣٢٨/٤) .
(٣) رواه البخاري والنسائي والترمذي ، انظر التاج (٣٢٩/٤) .
(٤) رواه الشيخان والترمذي ، انظر التاج (٣٢٩/٤) .
(٥) فواق ناقة : قدر حلبها .
(٦) رواه الترمذي بسند حسن ، انظر التاج (٣٣٠/٤ - ٣٣١) .
(٧) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٣٣ - ٥١) .
(٨) انظر سيرته في الاصابة (١٣٠/٣- ١٣١) وانظر جمهرة انساب العرب (٢٥٩)
(٩) انظر سيرته في الاستيعاب (٤٧٩/٢ - ٤٨٠) وانظر جمهرة أنساب العرب (٣٤٠) .

بني حارثة ولهما خمسة عشر سنة ، وردَّ أسامة وعبدالله بن عمر بن الخطّاب وغيرهما لصغر سنّهم ، ولكنه عاد فأجازهم عام (الخندق) بعد ذلك بسنة ، وكان لعبدالله بن عمر يوم (أُحد) أربعة عشر عاماً ، وكان سائر مَن ردَّ معه في هذه السنّ أيضاً [1] .

وشهد عُمَيْر بن أبي وقّاص [2] غزوة (بدر) ، وهو أخو سعد بن أبي وقاص [3] ، قال سعد : « رأيت أخي عُمَيْر قبل أن يعرض رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم للخروج إلى (بدر) يتوارى ! فقلت : ما لك يا أخي ؟! فقال : إني أخاف أن يراني رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم ، فيستصغرني ، ويردّني ، وأنا أحبّ الخروج ، لعلّ الله يرزقني الشّهادة . قال : فعرض رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم فاستصغره ، فقال : ارجع ! فبكى عمير ! فأجازه رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم ، فكنتُ أعقد حمائل سيفه من صغره » ، وقد استُشْهِد يوم (بدر) وهو ابن ست عشرة سنة [4] .

وشهد القتال في هذا القرن كبار وشيوخ ، وأصحاب عاهات مستدامة كالعرج وضعف البصر والشيخوخة .

فقد خرج النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم إلى (أُحد) ، فرفع حِسْل بن جابر والد حُذَيْفَة بن اليمان[5] وثابت بن وقْش[6] إلى الآكام مع النساء والصبيان ، وكانا شيخين كبيرين ، فقال أحدهما للآخر : « لا أبا لك !

(١) طبقات ابن سعد (٤/٦٢) والاصابة (٣/١٣٠) والاستيعاب (٢/٤٧٩) .
(٢) انظر سيرته في أسد الغابة (٤/١٤٨) .
(٣) أنظر سيرته في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٤٨ – ٢٩٦) – الطبعة الثانية .
(٤) طبقات ابن سعد (٢/١٤٩) وأسد الغابة (٤/١٤٨) .
(٥) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (١٠٨ – ١١٧) ، وانظر سيرة حسل ، وقيل : حسيل بالتصغير في الاصابة (٢/١٣) .
(٦) ينظر سيرته في الاصابة ٢٠٤/١

ما ننتظر ؟! إنّا نحن هامة[1] اليوم أو غدٍ » ، فلحقا بالمسلمين ليرزقا الشّهادة ، فلما دخلا في الناس قتل المشركون ثابت بن وَقْش ، والتقت أسياف المسلمين على حِسْل والد حُذَيْفَة بن اليمان ، فنادى حذيفة : « أبي .... أبي .... » ، فقتلوه وهم لا يعرفونه ، فقال حذيفة : « يغفر الله لكم » ، وتصدّق بديته على المسلمين [2] .

وقُتِل عمّار بن ياسر [3] يوم (صِفّين) [4] مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان عمره يومئذٍ أربعاً تسعين سنة ، وقيل : ثلاث وتسعون سنة ، وقيل : إحدى وتسعون سنة [5] .

وعن صَفوان بن عمرو أنه قال : « كنت والياً على (حِمْص) ، فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من أهل (دِمَشْق) على راحلته يريد الغزو ، فقلت : يا عم لقد أعذر الله إليك ، فرفع حاجبيه وقال : يا ابن أخي ! استنفرنا الله خفافاً وثقالا ، ألا إنه مَن يحبّه الله يبتله [6] » .

وخرج سعيد بن المُسَيّب[7] إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه ، فقيل له : إنّك عليل صاحب ضرر ، فقال : « استنفرنا الله الخفيف والثقيل ، فان لم يمكنى الحرب كثّرت السواد وحفظت المتاع [8] » .

وشهد القتال في هذا القرن نساء أيضاً ، قاتلن في صفوف المسلمين ، ونهضن بواجبات إدارية في الميدان لا تقلّ أهمية عن الواجبات القتاليّة .

---

(١) هامة : جثة هامدة

(٢) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٩٩) وجوامع السيرة (١٦٤) والاصابة (١/٢٢١) .

(٣) انظر سيرته في : الاصابة (٤/١٧٣ – ١٧٤) وأسد الغابة (٤/٤٣ – ٤٧) .

(٤) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٧٠) وآثار البلاد وأخبار العباد (٢١٤) .

(٥) أسد الغابة (٤/٤٧) .

(٦) تفسير الكشاف (٢/٣٤) .

(٧) انظر سيرته في البداية والنهاية (٩/٩٩ – ١٠١) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٢١٩ – ٢٢١) وانظر مفصل سيرته في . فقه الامام سعيد بن المسيب (١/١٣ – ١٥٠) .

(٨) تفسير الكشاف (٢/٣٤) .

فقد شهدت نَسيبَة بنت كَعْب أم عمارة المازنيّة الأنصارية [١] غزوة (أُحد) مع النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، قالت نسيبة : « خرجت يوم (أُحد) ومعي سِقَاء وفيه ماء ، فانتهينا إلى رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم ، فكنت أباشر القتال وأذبّ عنهم بالسيف وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليّ » ، وكان على عاتقها جرح أجوف له غـور [٢]

وشهدت نسيبة معركة (اليمامة) [٣] مع خالد بن الوليد ، وعاهدت الله أن تموت دون مسيلمة الكذاب أو تُقتل ، فقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثني عشر جرحاً [٤] ، ومعركة (اليمامة) كانت من معارك حروب الرِدّة الفاصلة في عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه كما هو معروف ، وكانت هذه المعركة الحاسمة سنة إحدى عشرة الهجريّة [٥] .

وركبت أُمّ حرام بنت ملحان[٦] زوج عُبَادة بن الصّامت[٧] البحر مع زوجها ، سنة سبع وعشرين الهجرية [٨] في غزوة (قُبْرُس) [٩] بقيادة معاوية بن أبي سفيان [١٠] في عهد عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، فلما

(١) انظر سيرتها في الاصابة (١٩٨/٨ - ١٩٩) وأسد الغابة (٥٥٥/٥) .
(٢) سيرة ابن هشام (٢٩/٣ - ٣٠) والاصابة (١٩٨/٨ - ١٩٩) .
(٣) اليمامة : كان اسمها قديماً : جوا والعروض ، وهي معدودة من نجد ، قاعدتها : حجر ، بينها وبين البحرين عشرة أيام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥١٥/٨ - ٥١٢) .
(٤) الاصابة (١٩٨/٨ - ١٩٩) وانظر سيرة ابن هشام (٧٤/٢- ٧٥) .
(٥) الطبري (٢٨١/٣) وابن الأثير (٣٦٠/٣) والعبر (١٣/١ - ١٤) .
(٦) الاصابة (٢٢٢/٨ - ٢٢٣) وأسد الغابة (٥٧٤/٥ - ٥٧٥) .
(٧) أنظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٢٥٣ - ٢٦٣) .
(٨) الاصابة (٢٢٣/٨) والعبر (٢٩/١) .
(٩) قبرس : جزيرة في بحر الروم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٦/٧) ، وبحر الروم هو البحر الأبيض المتوسط .
(١٠) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (١٧٤ - ١٩٤) .

وصلت إلى أرض الجزيرة قرِّبت لها بغلة ، فركبتها ، فصرعتها ، فماتت [1] .

وركبت في تلك الغزوة أيضاً زوج معاوية فاختة بنت قرَطبة من بني نوفل ابن عبد مناف ، وقيل : كنود بنت قرظـَة البحر مع زوجها [2] .

وأراد حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرِي [3] ، أن يبيِّت (المُوْرِيَان) [4] ، فسمعته امرأته أم عبدالله بنت يزيد الكَلْبِيّة [5] يذكر ذلك ، فقالت له : « وأين موعدك ؟ » ، فقال : « سُرادق (المَوْرِيان) أو الجنّة» . ثمّ بيّتهم ، فقتل مَنْ أشرف له ، وأتى السُّرادق ، فوجد امرأته قد سبقت [6] .

وفي صحيح الأمام البخاري : باب جهاد النّساء ، وباب غزو المرأة في في البحر ، وباب حمل الرّجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه ، وباب غزو النِّساء وقتالهنّ مع الرجال ، وباب حمل النساء القِراب إلى الناس في الغزو ، وباب مداواة النساء الجرحى في الغزو ، وباب ردّ النساء الجرحى والقتلى [7] .

التطبيق العملي للحرب الاجماعية الاسلامية بالاموال

— ٥ —

(١) الاصابة (٢٢٣/٨) وانظر الحديث الذي روته أم حرام في : التاج (٣٢٩/٤ — ٣٣٠) ، وقد رواه الخمسة ، وانظر تفاصيل الحديث في : فتح الباري بشرح البخاري (٦/

(٢) انظر سيرة فاختة في الاصابة (١٥٤/٨) وسيرة كنود في الاصابة (١٧٧/٨) ، وانظر ركوبها البحر في الاصابة (١٥٤/٨) و (٢٢٣/٨) ، وانظر فتح الباري بشرح البخاري (٥٧/٦) وفيه فاختة بنت قرظة ، وفي الاصابة ، فاختة بنت قرطة ، والأول أصح ، لأنه ورد في الصحيح .

(٣) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي .

(٤) ألموريان : صاحب أرفياقس (البلاذري ٢٧٣) ، رجل من ارمنياقس (البلاذري) ، بطريق أرمنياقس (البلاذري ٢٧٨) ، والبطريق رتبة عسكرية تعادل رتبة اللواء في الجيوش العربية الحديثة ومنصب قائد فرقة فيها ، والموريان : حاكم (إرمينية) ، انظر ما جاء عنها في معجم البلدان (٢٠٣/١ — ٢٠٦) .

(٥) أم عبدالله بنت يزيد الكلبية : زوج حبيب بن مسلمة ، مات عنها فخلف عليها الضحاك بن قيس الفهري ، فهي أم ولده ، وهي أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق ، انظر الطبري (٢٤٨/٤ — ٢٤٩) .

(٦) الطبري (٢٤٨/٤) وانظر البلاذري (٢٧٨) .

(٧) انظر التفاصيل في : فتح الباري بشرح البخاري (٥٨/٦ — ٦٠) .

لقد قرن الاسلام دائماً الجهاد بالأرواح بالجهاد بالأموال : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظمُ درجةً عند الله ، وأولئك هم الفائزون) [1] ، (مَثَلُ الذين يُنْفِقُون أموالَهم في سبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ، في كلِّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حَبّةٍ ، واللهُ يُضَاعِفُ لمن يَشاء ، واللهُ واسِعٌ عليم) [2] ، (وما لكم ألاّ تُنْفِقوا في سَبِيلِ اللهِ ، وللهِ مِيرْاثُ السمواتِ والأرض) [3] ، (تؤمنون باللهِ ورسوله ، وتجاهدون في سَبِيْلِ اللهِ بأَموالِكم وأنفسِكم [4]) ، (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضَّرَرِ والمجاهدون في سبيلِ اللهِ بأموالهم وأنفسهم ، فَضَّلَ اللهُ المجاهدين بأموالهم وأنفسِهم على القاعدين درجةً) [5] .

بل يلاحظ في تلك الآيات الكريمة ، أنّ (الأموال) تُقَدَّم على (الأنفس) دائماً ، مما يدلّ على أهمية الجهاد بالأموال .

إنّ الأموال هي عصب الحرب ، وبدونها لا تدور رحى الحرب ولا تؤدي إلى النصر .

وقد كان أغنياء المسلمين ، لا يكتفون بالجهاد بأنفسهم ، بل يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله : يجهّزون أنفسهم بما يحتاجون إليه من سلاح ودوّاب وأرزاق ، ويجهّزون إخوانهم المجاهدين بما يحتاجون إليه من سلاح ودوّاب وأرزاق ، ويخلفون المجاهدين من إخوانهم بالخير في عوائلهم وذويهم وينفقون عليهم كما ينفقون على مَن يعولون من عوائلهم وذويهم ، ويواسونهم ويسهرون على مصالحهم .

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٢٠) .
(٢) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٦١) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الحديد (٥٧ : ١٠) .
(٤) الآية الكريمة من سورة الصف (٦١ : ١١) .
(٥) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٩٥) .

كانت غنائم يوم (حُنَيْن) [١] أربعة وعشرين ألف بعير ، وأربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقيّة من الفضّة [٢] .

فهل أبقى رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم لنفسه ولأهله شيئاً من هذا المال أو من غيره من الأموال ؟؟ .

بل هل أبقى لنفسه ولأهله شيئاً من ماله الخاص ؟

إنه لم يفكرّ أبداً بنفسه ، كما لم يفكّر أبداً بأهله ، فعاش فقيراً ، ومات فقيراً ، وأنفق كلّ ما يملك في سبيل الله[٣] .

وأنفق أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه جميع ماله ، وكان له أربعون ألفاً أنفقها كلّها على رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم وفي سبيل الله ، وقد أعتق سبعة كانوا يعذّبون في الله منهم بِلال بن رَباح [٤] ، فمات متخلّلاً بعباءته .

وأنفق عمر بن الخطّاب رضى الله عنه نصف ماله [٥] في سبيل الله .

وأنفق عثمان بن عفّان أموالاً طائلة : جهّز جيش العُسْرَة [٦] بتسعمائة وخمسين بعيراً ، وأتمّ بخمسين فرساً [٧] ، ولما قدم المهاجرون المدينة استذكروا الماء ، وكان لرجل من بني غِفار عين يقال لها : (رُومَة) [٨] ، وكان يبيع منها القربة بِمدّ، فاشتراها عثمان بخمسين وثلاثين ألف درهم وجعلها للمسلمين[٩]

(١) حنين : واد قبل مدينة (الطائف) ، بينه وبين مكة المكرمة ثلاث ليال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٥٤) .
(٢) سيرة ابن هشام (٤/١٣٨ - ١٣٩) .
(٣) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٢٩٦ - ٣٠٠) .
(٤) الرياض النضرة (١/١١٦) .
(٥) الرسول القائد (٣٢٢) - ط٢ .
(٦) جيش العسرة : جيش غزوة (تبوك) في السنة التاسعة الهجرية .
(٧) الرياض النضرة (٢/١١٨) .
(٨) رومة : أرض بالمدينة المنورة بين الجرف وزغابة ، نزلها المشركون عام الخندق ، وفيها بئر رومة : بئر رومة ، ابتاعها عثمان بن عفان رضي الله عنه وتصدق بها ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤) و (٤/٣٣٦) .
(٩) الرياض النضرة (٢/١٢٢) ، والمد : مكيال قديم ، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ، ورطلان عند أهل العراق .

وكان للزبير بن العوّام رضى الله عنه ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فما كان يدخل منها بيته درهمٌ واحد ، كان يتصدّق بذلك كلّه . وباع داراً له بستمائة ألف ؛ فقيل له : « يا أبا عبدالله ! غُبِنْتَ ! » ، فقال : « كلا ! والله لتعلمنّ لم أُغبن ... هي في سبيل الله [1] » .

وباع عبدالرحمن بن عَوْف أرضاً من عثمان بن عفان رضي الله عنهما بأربعين ألف دينار ، فقسّم ذلك المال في بني زُهرة وأمهات المؤمنين وفقراء المسلمين . وتصدّق على عهد رسول الله صلىّ الله عليه وسلم بشطر ماله : أربعة آلاف ، ثمّ تصدّق بأربعين ألف دينار ، ثمّ حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ، ثمّ حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله ، وقد وردت له قافلة من تجارة الشام فحملها إلى رسول الله صلىّ الله عليه وسلم [2] .

وتصدق سعد بن أبي وقّاص بثلث ماله على عهد رسول الله صلىّ الله عليه وسلم [3] .

وحين سار المسلمون لفتح الشّام ، خرج أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه يودّع المجاهدين ، فبصر بخباء عِكْرِمة بن أبي جَهْل رضى الله عنه [4] ، يضمّ ثمانية أفراس ورماحاً وعُدّة ظاهرة ، فسلّم عليه أبو بكر وجزاه خيراً وعرض عليه المعونة فقال : « لا حاجة لي فيها ، معى ألفا دينار » فدعا له بخير [5] .

ولما مات خالد بن الوليد رضى الله عنه ، لم يترك إلاّ سلاحه وفرسه وغلامه[6] ، وهو القائد الفاتح الذي خاض خلال اثنتي عشرة سنة إحدى وأربعين معركة

(١) الرياض النضرة (٢/٣٦٤).
(٢) الرياض النضرة (٢/٣٨٥) .
(٣) الرياض النضرة (٢/٤٠٦)
(٤) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٨٥ – ٩٥) .
(٥) أسد الغابة (٤/٦)
(٦) طبقات ابن سعد (٧/٣٩٨) .

في اليمن والحجاز ونجد والعراق والشّام لم ترتد له راية أبداً[1] ،وما تركه حَبَسَه في سبيل الله [2] ! .

ولما قدم عمر بن الخطّاب رضى الله عنه الشّام ، تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض ، فقال عمر : « أين أخي ؟! » ، فقالوا مَنْ ؟! فقال : « أبو عبيدة » ، قالوا : يأتيك الآن ! فجاء أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه القائد العام في أرض الشام والرجل الثاني بعد عمر أمير المؤمنين على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه ، فقال عمر للناس «انصرفوا عنّا !» . وسار عمر مع أبي عبيدة حتى أتى منزله عليه فلم ير في بيته إلاّ سيفه وترسه ، فقال عمر : «لو اتّخذت متاعاً—أو قال : شيئاً» ، فقال أبو عبيدة «يا أمير المؤمنين ! إنّ هذا سيبلغنا المقيل[3]» ، فقال عمر : « غيرتنا الدنيا كلّنا غيرك يا أبا عبيدة [4] » .

وكان عُمَيْر بن سعد الأنصاري [5] على (حمص) لعمر بن الخطّاب رضى الله عنهما فكتب إلى أهل (حمص) : « اكتبوا لي فقراءكم » ، فكتبوا إليه أسماء فقرائهم ، وذكروا فيهم عمير بن سعد . فلما قرأ عمر اسمه قال : « مَنْ عمير بن سعد !! » ، فقالوا : أميرنا ! فقال : « أوَ فقيرٌ هو !! » ، فقالوا : ليس أهل بيت أفقر منه ! فقال عمر : فأين عطاؤه !! » ، فقالوا : يخرجه كلّه لا يُمسك منه شيئاً !! فوجّهَ إليه بمائة دينار فأخرجها كلّها للفقراء ، فقالت له امرأته : « لو كنتَ حبستَ لنا منها ديناراً واحداً » ، فقال لها : « لو ذكّرتني فعلت [6] » .

(١) انظر كتابنا : خالد بن الوليد المخزومي (٢٥٢) .
(٢) الاصابة (٢/١٠٠) .
(٣) المقيل : النوم عند الظهيرة . يريد : أن مالديه من طعام يكفيه الى الظهر .
(٤) الاصابة (٤/١٢) وأسد الغابة (٣/٨٦) .
(٥) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٥١٣ – ٥١٩) – ط٢ .
(٦) الف باء للبلوي (١/٤٤٣) .

ولقد اقتصرت على ذكر أمثلة من جهاد القادة بأموالهم في سبيل الله ، في عهد النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم وفي أيام ،مد ّ الفتح الاسلاميّ حين انهمرت الغنائم على المسلمين انهماراً ، وكان بامكان أولئك القادة أن يثروا بالحلال لا بالحرام ، ولكنهم عفّوا فعفّ رجالهم ، ونسوا مصالحهم الذاتيّة لأنهم شغلوا ؛ بمصالح المسلمين العليا ، فكانوا خير سلف للأجيال المتعاقبة ، وبقوا أسوة حسنة لتلك الأجيال .

ذلك هو أحد أسرار الفتوح ، التي كانت ولا تزال وستبقى من أعاجيب الدهر ، فقد كانت الأسوة الحسنة عاملاً من أهم عوامل انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة باذن الله .

مقارنة بين الحرب الاجماعية الحديثة والحرب الاجماعية الاسلامية

— ٦ —

تلك هي الحرب الاجماعيّة التي طبّقها المسلمون الأولون في الصدر الأول للاسلام ، فوحّد الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام خلال عشر سنوات (١ هـ — ١١ هـ) لأول مرّة في التاريخ ، شبه الجزيرة العربيّة تحت لواء الاسلام

وامتد الفتح الاسلامي العظيم بعد التحاق النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم خلال تسعين سنة (١١ هـ — ١٠٠ هـ) حتى شمل دولاً كثيرة لا تغرب عنها الشمس ، هي أوسع من أيِّ مملكة في التاريخ القديم والحديث .

ولكن شتان بين الحرب الاجماعية الاسلامية التي طبقها المسلمون قبل خمسة عشر قرناً ، وبين الحرب الاجماعية التي طبقتها الدول الحديثة في القرن العشرين الميلادي .

الحرب الاجماعية في الاسلام ، حرب وقائية ، هدفها حماية حرية نشر الدعوة الاسلامية ، والدفاع عن بلاد المسلمين ، وإقرار السّلام القوى — سلام الأقوياء .

والحرب الاجماعية في الدول الحديثة حرب عدوانية ، هدفها استعباد الشعوب واستغلال الطّاقات والسيطرة على الموارد الاقتصادية والخامات .

والحرب الاجماعية في الاسلام حرب عادلة ، هدفها هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وصدق الله العظيم : (وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الذين إنْ مَكَّنَّاهُمْ في الأرضِ ، أقاموا الصّلاة وآتَوُا الزَّكاةَ ، وأمَروا بالمَعْروفِ ، ونَهَوْا عن المُنكَر ، ولله عاقِبَةُ الأمور)[1] ، وصدق غوستاف لوبون : « لم يعرف العالم فاتحاً أعدل وأرحم من العرب » .

والحرب الاجماعيّة في الدول الحديثة حرب غير عادلة ، هدفها التوّسع والقهر والتضليل والاستغلال والاستبعاد .

والحرب الاجماعيّة في الاسلام متفوّقة فواقاً كاسحاً على الحرب الاجماعية في الأمم الحديثة كمّاً ونوعاً .

أما تفوّقها من ناحية (الكَمّ) ، فانّ قاعدة النفير العام في الحرب الاجماعية الحديثة تنصّ على حشد عشرة بالمئة فقط من تعداد السكّان للحرب ، إذ تبدأ الجنديّة من سنّ ثمانية عشر عاماً غالباً ، وتنتهي خدمة الاحتياط في سن تسع وثلاثين سنة للرجل وأربع وثلاثين سنة للمرأة[2] . أما المسلمون في حربهم الاجماعيّة فقد استطاعوا حشد أربعين بالمئة من تعداد نفوسهم ، إذ تبدأ الجندية في سنّ السادسة عشر أو الخامسة عشر عاماً ، وتشمل كلّ قادر على الجهاد بماله أو نفسه أو بهما معاً ، ولا تنتهي في سنٍّ معيّنة ، ويبقى المسلم مجاهداً ما دام قادراً على حمل السِّلاح .

وكلّ قادر على حمل السِّلاح من المسلمين جنديٌّ أو قائدٌ في جيش

---

(١) الآيتان الكريمتان من سورة الحج (٢٢ : ٤٠ – ٤١) .

(٢) انظر التفاصيل في كتابنا : الوجيز في العسكرية الاسرائيلية (٧٣ – ٧٤) – ط ٣ .

المسلمين ، ولا أعلم مسلماً حقاً تخلّف عن الجهاد في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلّم إلاّ بأمرٍ منه أو لعذر مشروع ، غير الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة (تَبوُك) ، فقاطعهم المسلمون وهجرهم أهلهم الأقربون حتى زوجاتهم ، فلما تابوا تاب الله عليهم ، بعد أن تحمّلوا الأهوال من مقاطعتهم .

فاذا قارنا نسبة الطّاقة البشريّة في الحرب الاجماعية الاسلاميّة وهي أربعون بالمئة بالنسبة لتعداد المسلمين ، بنسبة الطّاقة البشرية في الحرب الاجماعية الحديثة وهي عشرة بالمئة ، وجدنا البون شاسعاً ، واين الثرى من الثريّا ؟! .

أما تفوّقها من ناحية (النّوع) ، فانّ المسلمين الأولين جنوداً وقادة يؤمنون بعقيدة راسخة ، يسترخصون في سبيلها أموالهم وأنفسهم حمايةً لها ودفاعاً عن حرية نشرها ، يعملون تحت إمرة قيادات تمثل أفضل القادرين منهم تقوى وكفاية ، يشكّلون بأنفسهم لرجالهم أسوة حسنة شجاعة وإقداماً وبذلاً وإنفاقاً .

هؤلاء المجاهدون الصادقون ، بقياداتهم القادرة ، قدّموا الشهداء الذين تساقطوا في ميدان الجهاد ، فبلغت نسبة الشهداء – وبخاصة من الصحابة رضى الله عنهم ، ثمانين بالمئة ، وهي نسبة عالية جداً لا مثيل لها في تاريخ الحرب قديماً وحديثاً .

لقد شهد معركة (اليمامة) في حروب الردّة ثلاثة عشر الفاً [1] بقيادة خالد بن الوليد ، وكانت خسائر المسلمين الفاً ومائتى شهيد [2] ، أي عشرة بالمائة من مجموع المجاهدين .

فاذا أحصينا عدد المعارك التي خاضها المسلمون في الغزوات والسرايا على عهد النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم وفي أيام الفتح الاسلامي العظيم ، استطعنا أن نقدِّر مبلغ جسامة عدد الشهداء من المجاهدين .

وكمثال على ذلك ، فان الحارث بن هشام خرج في سبعين من أهل بيته ،

(١) فضائل القرآن لابن كثير (١٢) – ملحق بالجزء التاسع من تفسير ابن كثير .
(٢) الطبري (٣/٣٠٠) .

فرجع منهم أربعة فقط ، ومات سائرهم بالطاعون ، والشهيد يكون في الطعن والطاعون .

وكان شهداء المهاجرين والأنصار أكثر من نصف الشّهداء في معركة (اليمامة) ، فقد استشهد منهم من سكّان المدينة المنورة يومئذٍ ثلاثمائة وستون ، ومن المهاجرين من غير أهل المدينة ثلاثمائة [١] .

وكان شهداء المهاجرين والأنصار وشهداء التابعين باحسان الذين كانوا ثلاثمائة شهيد من التابعين[٢] في تلك المعركة ثمانين بالمائة من مجموع الشهداء، إذ يبلغ عدد شهداء المهاجرين والأنصار والتابعين تسعمائة وستين شهيداً من مجموع ألف ومائتي شهيد .

وهذا يدلّ على أثر الايمان في تصاعد عدد الشهداء ، ويكفي أن نذكر أنّ عدد الشهداء من القراء في معركة (اليمامة) ثلاثمائة شهيد في رواية وخمسمائة شهيد في رواية أخرى .

والقرّاء هم حاملو القرآن الكريم، وهم علماء المسلمين حينذاك ، أي أنّ نسبة الشهداء من القرّاء في معركة واحدة فقط خمسة وعشرون بالمائة في رواية، وخمسة وأربعون بالمائة في رواية أخرى ، وهي نسبة عالية جداً على أي حال .

هذه القدوة الحسنة متمثلة بالقادة الذين يقودون رجالهم من الأمام، وبالعلماء الذين يعملون أكثر مما يقولون ، ألهبت مشاعر المجاهدين وحرّضتهم على القتال ، وصدق رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم : « صنفان من الناس إذا صلَحا صلَحَ الناس ، وإذا فسَدا فسَدَ الناس : العلماء والأمراء » [٣] .

(١) الطبري (٣/٢٩٦ – ٢٩٧) وابن كثير (٢/٣٦٥) .
(٢) الطبري (٣/٢٩٧) .
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ، ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوى (٢/٧٥) .

ذلك لأنّ شعار المجاهدين كان يرمذاك : (قُلْ : هل تَرَبَّصون بنا إلاّ إحْدى الحُسْنَيَيْن !؟)[1] : الشهادة أو النصر .

وقد تطوّرت الأسلحة الحديثة في الجيوش الحديثة التي طبقت الحرب الاجماعية في القرن العشرين ، ولم تبق أسلحة بدائية كالسيف والرمح والسّهم كما كانت قبل خمسة عشر قرناً ، ومع هذا لم يبلغ عدد القتلى في الجيوش الحديثة ثمانين بالمائة من مجموع المقاتلين .

والذين يبحثون في مصادر الصحابة عليهم رضوان الله ، يجد واحداً من كل خمسة منهم مات على فراشه ، وأربعةً استُشهدوا في ميادين الجهاد !

فلا تعجب من سرعة الفتوح المذهلة في القرنَ الأول الاسلامي الذي كان خير القرون، ومن دوام تلك الفتوح وثباتها ، فقد كان السلف الصالح يحرصون على الموت كحرص الخلف الصالح على الحياة

وصدق الله العظيم : (انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتمْ تعلمون) .

والخير الذي بشّر به سبحانه وتعالى ، في هذه الآية الكريمة ، هو خير الدنيا وخير الآخرة .

وخير الدنيا ، هو إحراز النّصر ، والحياة الكريمة في هذه الحياة : أفراداً وجماعات وشعوباً وأمّة واحدة ، فلا كرامة لضعيف ، ولا مكانة لضعيف ، والمسلمون حين تخلّوا عن الجهاد ذلّوا وهانوا واستُعبدوا .

عن عبدالله بن عمر بن الخطّاب رضى الله عنهما ، أنّ النبي صلىّ الله عليه وسلّم قال : .... وإذا تركتم الجهاد ، سلّط الله عليكم ذلاّ ، لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » ، صدق رسول الله عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام .

ولن يعود المسلمون إلى سالف عزّهم ومجدهم ، ما لم ينهضوا بفريضة

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٥٢) .

الجهاد بما فيها من تكاليف البذل والتضحية والفداء .

أما خير الآخرة ، فجنّة عرضها السموات والأرض ، ونعيم خالد مقيم فيها للمجاهدين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

تلك هي الحرب الاجماعية في الاسلام ، طبّقها المسلمون قبل خمسة عشر قرناً خلت ، فلا يقولنّ قائل بعد اليوم : إنها من صنع الأجانب نظريةً وتطبيقاً ، فقد شرّعها الاسلام يوم كان الأجانب يغطّون في سبات عميق ، فسادوا العالم فكريّاً وعسكريّاً ، وقادوا الحضارة العالية قروناً طويلة .

فلمّا تخلّوا عنها فكراً وتطبيقاً ، تخلّى عنهم النصر ، وتكاثرت هزائمهم، وأصبحت بلادهم مستعمرة ، وخيراتهم لغيرهم ، فما غُزي قوم في عقر دارهم إلاّ ذلّوا .

أعاد الله المسلمين إلى دينهم عوداً حميداً ، وإلى الجهاد عوداً مجيدا ، ولا غالب إلاّ الله ، وصلّى الله على إمام المجاهدين وخاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

* * *

النصوص الظاهرة
في إجلاء اليهود الفاجرة

تأليف : أحمد بن أبي الرجال
(١٠٢٩ ــ ١٠٩٢ هـ / ١٦٦٠ ــ ١٦٨١ م)

تحقيق : الدكتور عبد الهادي التازي

بسم الله الرحمن الرحيم

عرفت اليهودية طريقها الى المغرب منذ المئة الثالثة قبل المسيح ، وخاصةً حين تزايد الشعور ضدّهم بعد غزوهم فلسطين في الألف الثاني (ق.م) . وقد لوحظت هجرات أخرى سنة ٦٢٨ م (السنة السادسة للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) حين غادر يهود خيبر الجزيرة العربية من طريق اليمن في اتجاه بلاد المغرب متخذين من الجبال مقراً لهم بعيداً عن الناس .

وقد سمعنا عن الوجود اليهودي في قلب عدد من القواعد المغربية ، ومنها مدينة فاس ، ممّا يفسِّر روح التسامح ، ويعبر عن فكرة التعايش التي ظلت سائدة ، واستجابة لطلب اليهود ، أنفسهم قام السلطان أبو يوسف المريني (٦٦٧ ــ ٦٨٤هـ / ١٢٦٨ ــ ١٢٨٥ م) بتخطيط حارة المغربي خاصةً ، حملت في الاصطلاح لليهود اسم « الملاح » (بتشديد اللام) .

ولم يتغير موقف المغاربة – على العموم – من اليهود الا عندما ثبت أن هؤلاء – أو بعضهم في الأصح – أخذوا يستفسدون الشعب ، أو يتملصون من واجبات المواطنة ، الأمر الذي قرأنا أثره فيما نقله « صبح الأعشى » [1] .

وهكذا ظهر أن الجالية اليهودية ، كانت تنعم بحياة هادئة وكريمة أيضاً في ظل الدولة الاسلامية في المغرب ، فيما عدا الأزمنة التي كان بعض اليهود فيها يتطاولون ، فعندئذ تستيقظ جروح الماضي .

وأعتقد أن الرسائل التي ألّفها الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي في « أنه لا ذمّة لليهود» ، مما يدخل في إطار هذه الاحتكاكات والاصطدامات .

لقد قوبلت آراء المغيلي بردود مختلفة من العلماء، كالشيخ محمد بن زكري الذي كان يحتج بأن السلف الصالح عايش اليهود في التاريخ ، وأنه لا معنى لأخذ البريء منهم بجناية المذنب، ومن علماء آخرين فيهم من كان يقيس أرض المغرب على الحجاز في ضرورة إجلاء اليهود عنها .

ولاختلاف كلمة الفقهاء في مقالة الشيخ المغيلي ، اجتمع العاهل المغربي أبو زكرياء يحيى بن أبي‌عبدالله الوطّاسي بالشيخ المغيلي ، حيث تطور اللقاء الى توتّر اضطر معه المغيلي الى الاعتزال في الصحراء حتى أدركه أجله فيها بإقليم توات . وانقسم الرأي العام في هذا الموضوع طائفتين ، أولاهما المتسامحون وأخراهما الحذرون ، وكان من هؤلاء أبو القاسم بن خجّو الشفشاوني المتوفى سنة ٩٥٦ هـ .

ودخل في دائرة هذا النّزاع رفض الشيخ زروق الفاسي للصلاة بإمامة الشيخ الورياكلي الذي كان حرك الناس للثورة على اليهود ، واعتقد أن هجرة زروق

---

(١) ذكر القلقشندي : «أن مبعوث أبي يعقوب يوسف بن يعقوب الى ابن قلاوون أخبر هذا الأخير أن اليهود لا يستعملون في الدواوين السلطانية بالمغرب، فمن الأولى ايضاً أن لا يستعملوا في المشرق». التازي : « تاريخ المغرب الدبلوماسي » – (علاقات بني مرين بالدولة في المشرق) .

الى تلمسان ، ثم الى مصراتة ، كانت نتيجة لصدى الصراع بين العلماء حول قضية اليهـــود !

وقد عايش اليهود أيام الدولة السعدية (٩١٨ ــ ١٠٦٩ هـ / ١٥١٢ ــ ١٦٥٨ م) كسائر المواطنين ، وكانوا يقدّرون ــ ولا سيما الفارين منهم من محارق الأسبان في الأندلس ــ مدى النعيم الذي كانوا ينعمون به في المغرب ، ويفسره أداؤهم صلاة الشكر لله حين انتصر الجيش المغربي على الجيش البرتغالي في الموقعـة الشهيرة المعروفة بمعركة وادي المخازن (٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م) .

وقد اقترنت مدة انهيار الحكم في الدولة السعدية بظهور شخص يهودي ، يذكر في الأسطورة باسم ابن مشعل ، حاول أن ينشيء حكومة يهودية في شمال المغرب ، معتمداً على المال والسلاح الذي توفر عليه في أثناء هذه المدة المضطربة .

وقد هزّ هذا الحدث رجال الفكر ، وعاد بهم الى تذكر رسالة المغيلي ومن سار على دربه ، ولم يهدأ رُوع المغاربة الا عندما تمكن شاب شريف شهم من أبناء الصحراء ، هو الأمير مولاي الرشيد بن الشريف (١٠٧٥ هـ / ١٦٦٤ م) ، من القضاء على ابن مشعل وأحلامه ؛ وقد كان للأمير مولاي الرشيد الدور الأكبـر في تأسيس الدولة العلوية الحاكمة .

ولم يلبث اليهود بعد هذا أن حاولوا التخلّص من أداء الجزية للخزينة المغربية. وكما سمعنا عن واقعيّة رئيس الرؤساء وزير القائم بأمر الله العباسي ، مع اليهــود ببغداد ــ حينما أظهروا رسماً مزوراً يتضمن : أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بإسقاط الجزية عن يهود خيبر ــ ظهر كذلك في حدود صدر المئة الحادية عشرة نحو هذا الكتاب المزوّر بمعناه ، وكان يحمل تاريخ سنة سبع وعشرين وسـبع مئة للهجرة ، ثم عاد الى الظهور سنة ست وثمان مئة ؛ ثم تجدد ظهوره سـنة اثنتين وأربعين وألف ، وكان آخر المرات في حدود سنة عشر ومئة وألف حيـث أدلى اليهود بظهير (مرسوم) يتضمن : أن النبي أعفى اليهود من الجزية ، وهو

الادعاء الذي كشفه الشيخ أحمد بن ناجي ، وكان سبب العقاب الذي أنزله باليهود السلطانُ مولاي اسماعيل بن الشريف جد الأسرة العلوية المذكورة سالفاً .

قد يقول قائل : لماذا هذا الحديث عن يهود المغرب ، ونحن بصدد نشر مخطوطة في «يهود اليمن» ؟

الواقع انني ، وأنا أستعرض هذا الموضوع في المشرق ، كنت أشعر بأنني أعيش معه بنفسه في المغرب ، فالظروف هي الظروف نفسها ، والمطامع هي المطامع نفسها ، وذلك يؤيد الفكرة القائلة بأن « النّخاع اليهودي » كان يبيّت تآمراً على السيادة الإسلامية ، إنْ في الجزيرة العربية أو في الديار المغربية ! .

قصة المخطوطة :

لما كنت في واحة الجغبوب بغرب مدينة طبرق ، أستعرض مخطوطات زاوية السادة السنوسيين أيام سفارتي لبلادي في ليبيا ، لم يكن قصدي قط أن أبحث عن مخطوطة : « النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود الفاجرة » ، وانما كنت أبحث عن مخطوطة لصحيح الإمام البخاري بخط الحافظ الصّدفيّ كان لها تاريخ حافل سواء في ديار الأندلس أو في المغرب أو استانبول أو طرابُلس ، على ما تحدثت عنه في بعض الدوريات المغربية والمشرقية[1] ، وكذلك في ذكرى مرور ألف ومئتي سنة على وفاة الإمام البخاري في سمرقند صيف عام ١٩٧٤هـ[2].

وكان عثوري على (النصوص الظاهرة) هذه بمحض المصادفة . لقد أثار عنوان الكتاب انتباهي ، لا سيما ونحن نعاني من جروح نكسة يونيو ١٩٦٧ م التي فتحت عيوننا أكثر من أيّ وقت مضى على الخطر الذي يحدق بالعالم الإسلامي من جانب الاستعمار الجديد والصهيونية العالمية شرقاً وغرباً .

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ١٩/ج١ (ربيع الثاني ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م)
دعوة الحق جزء مارس ١٩٧٣ م .

(٢) ملحق العلم الثقافي / ١٨ أكتوبر ١٩٧٤ م .

لقد كانت مخطوطة (النصوص) من قياس ١٩ × ١٥ سنتيماً ، وهي من تأليف أحد العلماء اليمنيين الكبار : القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال الذي ما تزال له ذرية في الديار اليمنية ، وهي بخط يمني ، وموضوعها يمس تاريخ اليمن ، وهو موضوع الوجود اليهودي ، ولكن المخطوطة غريبة هنا في صحراء ليبيا تفصلها آلاف الأميال عن مهدها الأصلي .

لقد أخذت صورة للمخطوطة حملتها معي الى بغداد ، حين عدت الى العـراق ثانية في مهمتي الدبلوماسية ، وهناك في (الكرخ) عملت على نسخها وطبعها على الآلة الكاتبة ، تمهيداً لدراستها والتعليق على أسرارها ، مستعيناً في ذلك بزملائي الذين يهتمون بمثل هذه الهوايات ، وكان في صدرهم سعادة الأخ الأستاذ السيد أحمد حسن المروني سفير الجمهورية العربية اليمنية لدى الجمهورية العراقية ، وقد ساعدني على استجلاء بعض الحروف التي استعصت عليّ قراءتها . كمـا كان فيهم الأخ المعنيّ بالحديث الشريف الحاج صبحي السامرائي (مقدّم شرطة المرور) الذي ساعدني في تخريج بعض الأحاديث الشريفة في (النصوص الظاهرة). وبقي عليَّ بعدَ هذا أن أقع على نسخة ثانية من المخطوطة للقيام بالمقارنات والمفارقات ، فانه ما تزال في الرسالة كلمات تحتاج مني الى تحقيق .

مؤلفات مماثلة :

وقد تحدثت الينا مجلة (البيان) الكويتية (جزء مايو ١٩٧٤ م) عن وثيقـة تاريخية في يهود اليمن الذين كانوا « يتظاهرون بالدعوة الى الصهيونية منذ ثلاث مئة سنة ، وقد كان البحث لأحد العلماء اليمنيين ممن ضربوا بسهم في تقديم التراث اليمني لقراء اللغة العربية » ويتعلق الأمر بالأستاذ الجليل السيد عبدالله الحبشي .

وقد وضع المقال أصابعنا على عدد من المخطوطات التي تناولت «التراث الحافل» الذي خلفه أهل اليمن مما يتعلق بالموقف في التساهل مع اليهود أو عدمه في البقـاء في تلك الديار ، وخاصةً في أعقاب تعنتهم وتشغيبهم .

وقد تمكنا بفضل هذا المقال من الوقوف على الرسائل الآتية في هذا الموضوع :

١ـ رسالة في إبقاء اليهود ، تأليف حسين بن محمد بن سعيد المغربي اليمني المتوفّى سنة ١١١٩ هـ .

٢ـ طبق الحلوى وصحاف المَنّ والسَّلْوَى ، للمؤرخ الأديب عبدالله بن علي ابن الوزير المتوفّى سنة ١١٤٧ هـ .

٣ـ السَّلْوَى والمنّ في عدم إخراج اليهود من اليمن ، تأليف عبدالله الكوكباني المتوفّى سنة ١٢٢٤ هـ (١) .

٤ـ إرسال المقال على إزالة الإشكال في إجبار اليهود على الْتِقاط الأذيال ، تأليف عبدالله الكوكياني السالف ذِكره .

٥ـ توضيح وجوه الاختلال في إزالة الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأذيال. تأليف علي بن عبدالله الجلال المتوفّى سنة ١٢٢٥ هـ .

٦ـ الإبطال لدعوى الاختلال في رسالة إجبار اليهود على التقاط الأذيال ، تأليف عبدالله الجلال ، السالف ذِكرُه .

٧ـ تحقيق المقال ورفع الجدال على حل الإشكال وارسال المقال ، تأليف عبدالله المالكي .

٨ـ حل الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأذيال ، تأليف العلامة محمد ابن علي الشّوكاني المتوفّى سنة ١٢٥٠ هـ .

٩ـ تفريق النبال في إرسال المقال ، تأليف العلامة محمد بن علي الشوكاني أيضاً .

١٠ـ الإخلال لتعليق المقال ، للشوكاني أيضاً .

(١) يتساءل عن علاقة عبدالله الكوكباني هذا ـ وقد توفي عام ١٢٢٤هـ كما يذكر الأستاذ عبدالله الحبشي ـ بابراهيم بن عبدالقادر الكوكباني المتوفى عام ١٢٢٣هـ كما يذكر الدكتور محمد حسين الزبيدي في مجلة (المورد) البغدادية (المجلد الثالث ، الجزء الرابع ، ١٩٧٤م) فلقد تحدث هذا الأخير عن مخطوطتين عن اليمن : احداهما لابن سعيد المغربي ، والأخرى لابراهيم الكوكباني الذي وفاته وفاة عبدالله .

وهكذا لم نجد للقاضي ابن أبي الرجال ذكراً بين المؤلفين في هذا الموضوع ، ولو أن ابن الوزير أشار في مؤلفه عند ذكر أحداث سنة ١٠٨٨ ﻫ على ما يفيــده الأستاذ الحبشي ــ الى أن القاضي ابن أبي الرجال كان في جملة علماء صنعاء الذين جنح الى رأيهم الأمير محمد بن الإمام اسماعيل المتوكل على الله ، وقــد كان صدر إليه الأمر من والده المتوكل على الله في ذلك التاريخ (١٠٨٨ ﻫ) في أمر إجلاء اليهود وتعطيل بِيَعِهم .

لقد ظل رأي ابن أبي الرجال مجهولاً لَدَيْنا حتى ظهرت رسالته (النصوص الظاهــرة) . فاذا كانت (رسالة ابن الوزير) « : طبق الحلوى . . .» قد نالت حظها من الأستاذ الحبشي في مجلة (البيان) الكويتية ، وكانت رسالة ابن سعيد المغربي . . . ورسالة ابراهيم الكوكباني قد نالتا نصيبيهما من الدكتور محمد حسين الزبيدي في (مجلة المورد البغدادية) ، فان مخطوطة ابن أبي الرجال قد ظلت الى الآن بعيدة عن أيدي القراء .

وقد كنت محظوظاً أن أقدم اليوم هذه المخطوطة ، لا لأنها تكمل الأعمال التي قام بها قبلي زملائي ، لكن لأنها تحتوي على عناصر جديدة تلقي بعض الضوء على الظروف التي كانت تعيشها اليمن آنذاك .

هل هي وحيدة :

وقد حاولت أن أجد نسخة ثانية للمخطوطة اليمنية ، لأتمكن من ضبط بعض الألفاظ ، إلا أنني لـــم أُفلحِ في مساعيَّ . . . وجواباً عـــن استفسار منّي وجّهته الى سعادة الأستاذ أحمد الشجني الذي كان زميلاً لي في طهران ، كتب به الى مدير مركز الدراسات البحوث اليمني يستجلي منه الأمر ، فأجابه قائلاً : « . . لقد بحثت عن رسالة القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال حول إجلاء اليهود ، ووجدنا رسالة في الجامع الكبير بعنوان « فتح المعبود في حديث إجــلاء اليهود » للقاضي علي بن داوود . . ؟ في القرن الحادي عشر الهجري ، ونسخة

من شرح حديث « أخرجوا اليهود من جزيرة العرب » للقاضي المغربي في القرن الحادي عشر . . . أما نسخة ابن أبي الرجال : « الأدلة الظاهرة في ذكر اجلاء اليهود الفاجرة» ، ففي مكتبة الأمير وزيان بميلانو /إيطاليا نسخة مصورة . وكذلك توجد نسخة مصورة لدى الدكتور عبدالله الحبيد ؟ في جامعة مكة حسبما بلغني ، هذا وسأبحث في مكتبتي الجامع الكبير عن أصل المخطوطة التي يبحث عنها الأستاذ السفير عبدالهادي التازي وأَرُدُّ عليه إن شاء الله . . . » .

كذا كان جواب الأخ المروني للأخ الشجني . وقد كان أبرز مشاغلي ،وأنا أقوم بزيارتي الأولى لصنعاء ،أن أهتم بمفاتحة العلماء ، وأقوم بزيارة لمكتبتي الجامع الأعظم سواء منها الشرقية أو الغربية ، ولشدّ ما كان استغرابي أن أقف على عدد من مخطوطات القاضي ابن أبي الرجال ،مثل كتابه : (مطلع البدور ومجمع البحور) في أعيان علماء الزيدية من أهل البيت الطاهرين بالمكتبة الشرقية للجامع الأعظم في صنعاء ، ومثل كتابه (تفسير الشريعة لوارد الشريعة) على نحو ما هو مدوّن في الكشاف المحفوظ بالمكتبة الغربية من الجامع المذكور .

وبهذا يتأكد أن النسخة التي بين أيدينا نسخة ثمينة ، إن لم تكن نسخة فريدة من نوعها .

محتوى المخطوط :

لقد قدم ابن أبي الرجال رسالته الى الأمير الحسين بن الحسن بن أمير المؤمنين ، وعلّل تأليفها بما روي في الأثر الشريف في فضائل اليمن التي تفوق العدّ مما نقله الدّيْبَع وغيره ، مؤكداً أن تأليف الكتاب كان استجابة لرغبة الإمام الذي غدا يؤمن بأن الطائفة الموجودة من اليهود لا ذمة لها ، وأنها لم تعد متقيدة بما التزمته ، فلم يبق هناك محل لوجودها بين ظهراني المسلمين . ولكن هذه الفكرة من الإمام قوبلت بوجهة نظر أخرى من بعض زعماء المسلمين الذين

أصدروا توصيتهم بالتأنّي والتروّي ! وهنا تحركت همة القاضي ابن أبي الرجال ليدلي بدلوه في الموضوع .

فهل الأمر النبوي بإجلاء اليهود مقتصر على الحجاز ؟ وهل الحجاز يعني جزيرة العرب ؟ وهل اليمن ونجران تدخل ضمن الحجاز ؟ .

هنا يتصدى ابن أبي الرجال لما ينقله المحدثون والشراح والمعلقون ، كما يتصدى لتبيين فعل الصحابة ، وبخاصة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد برهن القاضي ابن أبي الرجال على أنه علامة أصوليّ فَحْل ، بما كان يحتج به من مدارك ومسالك ، وما كان يقدمه من قياس وتنظير .

ومن الطريف أن نستمع إلى القاضي ، وهو يتحدث عن مفهوم مقاتلة اليهود إلاّ أن يعطوا الجزية وهل ، إعطاء الجزية كافٍ دون أخذ الإمام بما تمليه المصلحة ورضاه بقبول الجزية منهم ؟

وينخلص ابن أبي الرجال الى التساؤل عن كون هؤلاء اليهود معدودين من أهل الكتاب ، وأن الكتابي هو المنسوب الى كتاب الله ، وقد شهد القرآن بتبديل هؤلاء وتحريفهم . . ! ولم يقتصر ابن أبي الرجال على التنصيص على هذه المخالفة ، ولكنه تجاوزها الى فضح ما أخذ المواطن اليهودي يتوق اليه ، ألا وهو الهيمنة والتسلط وإذلال المسلمين . يقول ابن أبي الرجال : «إن هؤلاء اليهود الموجودين ، قد صح لنا أنه اتفق رأيهم في هذه المدة القريبة على نبذ عهودهم ، وزعموا أنهم يكون لهم السلطان على المسلمين ، ويهدمون المنارات ، ويتحكمون في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويستخدمون بأولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . » .

وقد استدل ابن أبي الرجال بأحداث عايشها تبرهن على أن اليهود أخذوا يتجاسرون على ما لم يتجاسر عليه المسلمون . . . عارضاً لأمير المؤمنين بعض مظاهر تحديهم ، وبعض تصرفاتهم للعمل على إفلاس بيت مال المسلمين .

لقد كان موقف القاضي ابن أبي الرجال من القضية المطروحة يتلخص في أمرين اثنين : أولهما أن الإجلاء عن تلك البقاع هو ما تقضية الأحوال الجارية . ثانيهما أن الكلمة الفاصلة بالرغم من ذلك تبقى لأمير المؤمنين الذي ينظر الى مصلحة البلاد بما أوتيه من اطلاع وتبصر بعد نظر .

* * *

وبعد ، فقد ظللت على صلة بالرسالة، أتقَصّى ما يتعلق بمضمونها وشكلها كما نرى. وكنت أشعر مع ذلك بأن زيارة لليمن ضرورية لتوفير الصحة التامة لتحقيقها . وقد كان يجرى على لساني دائماً قول القائل : « لا بُدّ من صَنْعا وإنْ طال السّفَرْ » .

ولما واتت الفرصة بترحيب الجمهورية العربية اليمنية بالمؤتمر التاسع للآثار ، الذي دعت اليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أواخر فبراير « شباط » ١٩٨٠م كنت سعيداً أن ألبي النداء ، لأتعرف شخصياً الى زملاء لي أفادوني ، وأن أقف على معالم جعلتني في الجو . . . وهكذا تحقق ما كنت أصبو أليه ، وأمكن تقديم الرسالة لاول مرة الى قراء اللغة العربية ، والأمل أن يجدوا فيها ما يرضي استطلاعهم ، والأمل أيضاً أن يعملوا على تلافي ما يمكن أن يتلافى من تعايقات ، وعلى سدّ الثغرات التي قد تبدو لهم ، فما كان لي أن أدعي أنني قلت كلمة الفصل في رسالة ابن ابي الرجال .

د . عبدالهادي التازي

تقديم لناسخ الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قلّد الأعناق بعزائم التكليف ، وأوجب الرجوع الى الأئمة في مصالح المسلمين لحسن نظرهم الشريف . والصّلاة والسّلام على نبيّه (مُحَمَّد) الّذي عرّف شرائع الإسلام ، وبيّن الأدلّة والأحكام ، وعلى آله ورثة علمه وحكمه إلى يوم القيامة .

وبعد ، فهذه نبذة من الخوض في إجلاء اليهود ، ممّا نصّ عليه العلماء الحافظون للحدود ، أحببت إظهار بيانها ليعلم السامع والمطلع بوجوب الأمر على خليفة العصر بالعمل بمقتضاها والاعتناء بشأنها ، ثم ليّ النظر بعد ما أمرت به من إجلائهم ، وسلكت مسلك سلفي من الأئمة في تنفيذ الكفّار (؟) وإبقائهم بعد ذلك ، فلكلّ إمام نظره بما يتوجّه عليه ويراه من مصالح المسلمين وصلاح الدّين . فما قاله القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال رحمه الله [1] ، حاكي ما أمر به الإمام المتوكل على الله ، عادت بركاته ، والإمام المهدي عليه السلام ، وغيرهما في ذلك ، وتكلّم فيه العلماء من أوائل (؟) المذهب وغيرهم ، فقال :

---

(١) أحمد بن صالح بن أبي الرجال شمس الدين شمس الإسلام (ولا صلة لأبي الرجال هذا بأبي الرجال دفين مراكش . الاستقصا ٢ / ٦٩) : هو القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال اليمني صفي الدين ، مؤرخ ، أديب ، وافر الاطلاع ، من علماء الزيدية . ولد في (الأهنوم) « باليمن » ونشأ في صنعاء وتوفي بها ، من كتبه : «مطلع البدور ومجمع البحور ـ خ» ذكره ابن المحبي ، ووصفه بأنه تاريخ حافل في سبع مجلدات ، ذكر فيه معظم علماء اليمن وأئمتها ورؤسائها ، و«إتلام الموالي بكلام ساداته الأعلام الموالي ـ خ» ، وتفسير الشريعة ـ خ » ، «والرياض الندية ـ خ » والزركلي : ١٣٥/١ : وخلاصة الأثر ٢٢٠/١ ، والبدر الطالع ٥٩/١ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٧٥/١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله، وصلواته وسلامه على سيدنا (مُحَمَّد) وآله .

قال القاضي العلامة شمس الإسلام أحمد بن صالح بن أبي الرجال ، ما لفظُه بعد البسملة والحَمْدَلَة :

وبعد ، فهذه المطالعة الى حضرة السيد النجيب الحسين بن الحسن بن أمير المؤمنين ، حفظه الله وعليه السلام ورحمة الله ، وجّهتها اليه على حقارة الحال ، ووفارة الاشتغال ، إذْ سلك بي مسلك أمثاله ، فكتبت ما جرى به عُرف المناصحين من أهل الخير ، وإنْ كانت البِضاعة مُزْجاة ، وذلك أنه قضى نظر مولانا أمير المؤمنين المهدي لدين الله ربّ العالمين : أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين ،[1] بإجلاء اليهود عن الأفُق اليمانيّ الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : « إني لأجِدُ نَفَس الرَّحمنْ من جهة اليمن »[2] ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا يمان والحكمة يمانيّة » رواه البخاري فيما نقله الدَّيْبَع في جزء جمعه في فضائل اليمن ،[3] ولفظه عن أبي هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أتاكم

---

(١) الامام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين، ابن أخي اسماعيل أحمد بن الحسن بن القاسم (١٠٢٩ - ١٠٩٢ هـ) كان من أشجع الناس، وأسدهم رأياً ، وأعظمهم تدبيراً ، قاد الجيوش الى جهات كثيرة حتى سموه «سيل الليل »،وفي أيامه عمرت البلاد ، وكان مهيباً(الواسعي : فرجة الهموم / ٢٢٢) .

(٢) عن شبيب : أن رجلاً أتى أبا هريرة فقال: يا أبا هريرة ، حدثنا حديثاً عن النبي، صلى الله عليه وسلم ، قال : فذكر الحديث قال : فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : «ألا إن الايمان يمان والحكمة يمانية ، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن » . رواه الإمام أحمد في مسنده . أنظر (مجمع الزوائد ١٠/٥٦)، وقال، ابن حجر الهيتمي: ورجاله رجال الصحيح ، غير شبيب ، وهو ثقة (مجمع الزوائد ١٠/٥٦) .

(٣) عن عتبة بن عبد السلمي أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذا مروا بكم يسقون نساءهم ويحملون أبناءهم على عواتقهم ، فهم مني ، وأنا منهم» .رواه الامام أحمد في مسنده ١٨٤/٤ ، وحسن إسناده ابن حجر الهيثمي (مجمع الزوائد ١٠/٥٦) وهذا بمعنى حديث « أنا يمان والحكمة يمانية » ويذكر الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي انه لم يقف =

أهل اليمن أرق أفئدةً وألْيَنُ قلوباً . الإيمانُ يمانٍ ، والحكمةُ يمانيّةٌ ، ورأس الكفر قِبَلَ المشرق ، والفخرُ والخُيَلاء في أصحابِ الإبل ؛ والسكينة والوقار في أهل الغنم.» رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية للبخاري : « أتاكم أهل اليمن أرقّ أفئدةً ، وأضعف قلوباً ، الإيمان يَمانٍ ، والحكمة يمانية [٤] » .

قال الدَّيْبَع : وروى ابن مسعود أن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « الإيمانُ ها هنا » ، وأشار بيده الكريمة الى اليمن [٥] . قال الدَّيْبَعُ بعد جملة أحاديث : فان الكتاب الذي صنفتُه اشتمل على أربعين حديثاً في فضائل اليمن ، وإنما نقلت ما يدلّ على أنّه لا ينبغي أن يهتضم اليمن ، وأنه بمثابة الجُزء من الحرم . وعن خيثمة بن عبدالرحمن ، قال : سُئِل النّبي ، صلى الله عليه وآلــه وسلم : أيُّ النّاس خير ؟ قال : «أهل اليمن » أخرجه الأصبهاني . وروى الدَّيْبَع عن عبدالله بن عمر ، قال : « قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : الإيمـــان يماني ، وهم منّي وإليَّ ، وانْ بَعْدَ المربع ، ويوشك أن يأتوكم أنصاراً واعواناً ، فآمُرُكم بهم خيراً » أخرجه الطّبَراني. [٦] ولولا الإطالة ، لنقلت جميع ما نقلــه الدَّيْبَع ، وما نقله شيخ الإسلام القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام الزيدي [٧] ،

= على كتاب الديبع حول اليمن ، ولكنه يعرف لابن أبي الصيف الحميري الوصابي مخطوطا في فضائل اليمن .

(٤) عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : « قال رسول الله صلى الله ، عليه وسلم : جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » .

(٥) حديث رواه البخاري (المغازي – باب قدوم الأشعريين / ٥/٢١٩ – ٢٢٠) عن أبي هريرة وأبي مسعود البدري ، ورواه مسلم عن أبي هريرة (١/٧١) ، والإمام أحمد في مسنده ٤/١٨) عن أبي مسعود البدري .

(٦) عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الايمان يماني ، وهم في وإلي ، وإن بعد المربع ، ويوشك أن يأتوكم أنصاراً وأعواناً ، فآمركم بهم خيراً » . أخرجــه الطبراني (كنز العمال . ٢٤٣/١٣٢ ، ومجمع الزوائد ١٠/٢٥٤) ؛ وقال : إسناده حسن .

(٧) جعفر بن أحمد بن عبد السلام الصنعاني الزيدي الأبناوي ، نسبة الى أبناء فارس الذين قدموا اليمن مع الملك سيف بن ذي يزن لطرد الأحباش : كان عالماً ضليعاً من سائر الفنون. رحل=

الا أني اقتصرت على هذا ، فالمقصد التنبيه على فضل أهل اليمن . وقد صرح الدَّيْبع في كلامه على بعض الأحاديث : أن اليمن جناح الحرم ، وقد اتفق الناس على أن المهوّدة الذين حكى الله عداوتهم للاسلام لا يقربون المسجد الحرام . فلما أمر الإما حفظه الله أهل العقد والحل بأمر أول يقتضي إجلاء أهل الذِّمّة ، أقمأهم الله عن اليمن ، أعزه الله ، كما كان الإمام الأعظم المتوكل على الله[1] أمر بذلك ، وكتب بخط يده الكريمة في مرض وفاته. ومن جملة كلامه ما معناه : إن هذه الطائفة الموجودة لا ذِمّة لهم ، وإنّه يجب إجلاؤهم من اليمن ، لصحة الأحاديث بذلك ، قال : ولا عبرة بكلام فقيه من الفقهاء كائناً من كان ، لمخالفته الحديث الصحيح . ثم جاء اليه زعماء المسلمين من آل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بما أظنّ أن حاصله التوصية بالتأنّي ، لركة الزمان ، وموانع أُخَرَ . فذكر الإمام بعد ذلك لهم أن الكنائس المعمورة في اليمن تهدم ، فتراجع الأصحاب وأهل التكليف من سلاطين الدولة المهدوية ، فذاكرت سيدي الحسين ،[2] لسعة حبي وقديم عهدي ، فذكرت على جهة الارتجال مع تزاحم جيوش الاشتغال أن في نفسي الخوض في هذه المسألة كما يقال بأصولها ، فهي مهمة ، سيما وقد تحدث الإمام بهذا الحديث ، والمسألة واضحة المسالك في كتب الأئمة والفقهاء .

= الى العراق ، وأخذ العلم عن أعلامها . وهو الذي أخرج كتب المعتزلة الى اليمن . وكانت وفاته في الثلث الرابع من المئة السادسة في قرية (سناع) جنوب (صنعاء) التي تبعد عنها نحو خمسة كيلوميترات ، أو ستة .

(١) المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم بن محمد : مولده في شعبان سنة ١٠١٩ هـ . دعا بالامامة سنة ١٠٥٤ هـ بحصن ضوران ، وفي عصره توحدت اليمن الطبيعية : اليمن الأعلى واليمن الأسفل ، وكاتبه الملوك من شتى أنحاء المعمورة ، توفي سنة ١٠٧٣ هـ . زيارة اتحاف المهتدين ص ٨٤ ، والواسعي : فرجة الهموم ٢٢٠ ، ومجلة البيان الكويتية ج ٩٢ مايو ١٩٧٤ » .

(٢) الحسين بن الحسن بن أمير المؤمنين : لعل الصواب كما رسم الأستاذ الأكوع : الحسن بن الحسين بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد الصنعاني المولد والدار . برز في فنون عديدة ، ولا سيما المعقول منها . وله تصانيف في الفقه ، وأشعار حسان . مولده بضوران سنة ١٠٤٤ هـ ، ووفاته في تاسع شهر ربيع الأول ١١١٤ هـ .

وأما مسألة الإجلاء ، فما رأينا في الذي وقفنا عليه من كتب الجميع اختلافاً في الحجاز وإن الأمر استقرّ على اجلائهم عنه ، لأحاديثَ لم يختلف نُقّادُ الحديث في صحّتها ، من ذلك : حديث البيهقي عن أبي عبيدة : آخر ما تكلم به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا اليهــود عن الحجاز[1] » ، وخبر الصحيحين : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب [2] » ، وحديث ابن عباس ، رضي الله عنهما : أوصى النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بثلاثة أشياء : أخرجوا اليهود من جزيره العرب ، وأجيزوا الوفد مما كنت أجيزهم . قال ابن عباس : « وأنسيت الثالثة » (متفق عليه) ،[3] وكخبر مسلم : « أخرجوا اليهود والنّصارى من جزيرة العرب [4] » ، وطرق الحديث واسعة ، وقد عمل به عمر بن الخطاب في وفارة (؟) الصحابة ، وأخرجهم من الحجاز ، وعمل بفهمه في مسمى الحجاز ، فلم يُجلهم عن اليمن ونجران .

---

(١) حديث البيهقي عن أبي عبيدة : « آخر ما تكلم به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا اليهود عن الحجاز» (السنن الكبرى للبيهقي ٩٢٠ / ص ٢٠٨) بلفظ «أخرجوا يهود الحجاز» .

(٢) وخبر الصحيحين : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » (البخاري : كتاب الجهاد — الجزية ١٢١/٤) ، الامام أحمد في مسنده (٢٢٢/١) .

(٣) حديث ابن عباس : « أوصى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بثلا ثة أشياء : اخرجوا اليهود من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد كما كنت أجيزهم » . متفق عليه . (رواه البخاري ١٢١/٤) .

(٤) وكخبر مسلم : « أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب » عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن عمر ، رضي الله عنه ، أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز . رواه البخاري (١١٦/٤)، ومسلم (١٣٨٨/٣) عن جابر يقول : أخبرني عمر أنه سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب » ، وروى مسلم وأبو داوود عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال : بينما نحن في المسجد إذ خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : « انطلقوا الى يهود » ، فخرجنا معه حتى جئناهم ، فقام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، فناداهم،فقال : « يا معشر يهود؛ أسلموا تسلموا ، اعلموا أنما الأرض لله ورسوله ، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله » مسلم (١٣٨٧/٣) ، أبو داوود (٢١٢/٣) .

وهكذا صرح الكثير من العلماء : أنه رجع الى فهمه في مسمّى الحجاز ، كابن أبي شريف ، [1] وغيره من الشافعية ، والإمام في الغيث . قلت : ويحتمل أن عمر لم يجلهم عن اليمن ونجران ، لمانع آخر ، فانها حكاية ترك ، وكيف يسوغ ترك الاسم العلم المختص بمطلقِ فهمٍ من دون قرينة ، وهو قطعيّ في مدلوله ؟ فان الحجاز اسم لغوي ، لا مجال للأنظار فيه الا بالتجوّز ، والتجوّز يحتاج الى القرينة . وإذا قوي في فهم أصحابنا أنّ المراد بالعامّ الخصوص، لم يكن لنا أن نخصص العامّ بذلك الفهم ما لم يتم الإجماع من أهل القرن جميعهم، أو يظهر لنا ما ظهر له .

ومسمى (الحجاز) عند أهل اللغة ظاهر ، لم يقل أحد من اللغويين إنه مكة والمدينة واليمامة ووَجّ والطائف ، بل فسر الحجاز بعضهم بأشياء نقلها في « معجم البلدان » لا حاجة لتطويل بذكرها .

ونقل شارح السنة البَغَوِيّ : أن صنعاء من الحِجاز ، ونقله شارح الفتح عن الأصمعي ، كما نقله عن شارح السُّنّة . [2] وعن سعيد بن المسيّب : أنّ الله لمّا خلق الأرض مادت ، فضربها بهذا الجبل ، يعني (جبل السّراة) ، وهو أعظم جبال العرب ، وسمته العرب حِجازاً ، لأنه حجز بين الغَوْر وهو هابط ، وبين نجد وهو ظاهر ، ومبدؤه من اليمن حتى يبلغ الشام [3] . والكلام في مسمى الحجاز كثير .

---

(١) ابن أبي شريف : من علماء الشافعية ، وهما اثنان ، كلاهما مترجم في الأعلام للزركلي .

(٢) هو أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء الفقيه المحدث المفسر ، المتوفى بمرو سنة ٥١٦ هـ الأعلام (٢/٢٨٤) . وكتابه شرح السنة مخطوط ، منه نسخة في «مكتبة فاتح » في اسطنبول . أما أثره : « أن صنعاء من الحجاز » فنقله من السنن الكبرى للبيهقي (٢/٢٠٨ ، ٢٠٩)، وكذلك بقية الآثار عن الأصمعي ، نقله من المصدر نفسه .

(٣) يظل (جبل السراة) ملا زماً للذي يقوم بجولة من مدينة (الحديدة) الى مدينة (تعز) عبر ميناء (المخا) .

ولم يقل أحد من أهل اللغة إنه ما فهمه عمر من تلك المواضع المخصوصة ، مع احتمال أن عمر إنما بدأ بإجلاء اليهود عن أدنى البقاع اليه وسكوته عن ما وراء ذلك لا يدل على أن لهم حكماً مغايراً ، فان حكاية التّرك لحكاية الأفعال لابسة ثوب الاجمال ، مع أنه لا ينبغي لنا ان نشتغل بمسمّى الحجاز فان الأحاديث قد صحت بإجلائهم عن (جزيرة العرب) .

و (جزيرة العرب) مُسَمّاها معروف ، وحاصل كلام المتكلمين في مُسَمّاها ما قاله الشيخ صلاح الدين الصَّفَدي شعراً :

جزيرةُ هذه الأعرابِ حُـدَّتْ — بحد علمُهُ للحَشْرِ باقي
فأمّا الطُّول عند مُحقّقيه — فمن (عَدَنٍ) الى (ريف العراق)
فساحل (جُدَّةٍ) إن جئتَ عرضاً — فأطراف (الشّام) على اتّفاق

ولم يقع في (جزيرة العرب) ما وقع في (الحجاز) من الخلاف ، بل الخلاف متقارب في تحقيقها ، فاذا صَحَّ حديثُ « أخرجوهم من جزيرة العرب» ، فقوله صلّى الله عليه وسلم : « أخرجوهم من الحجاز » لا يقصر جزيرة العرب على الحجاز ، لأنّ النّصّ على بعض العامّ لا يقتضي تخصيصه ، كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم ، لمّا قال في شاةِ (ميمونة) : « دباغها طهورها [1] » ، لم يقتض تخصيص عمومِ : « أيّما إهابٍ دُبغَ فقد طَهُر »[2] . وهذا من الواضحات . فترك كلام الّذي لا ينطِقُ عن الهوى مع وضوحه وجلائه ، لا يَحِلُّ . وقد زاد الأحاديث فعلُ (عُمَرَ) قوةً ، فإنّه أجلاهم عن الحجاز الذي اقتصر عليه ، إمّا لعذر ، أو لغيره ، استناداً إلى هذه الأحاديث .

---

(١) رواه الترمذي ، كتاب اللباس (٤/٢٢٠) ،والإمام أحمد فيمسنده (٤/٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦).

(٢) رواه الإمام احمد في مسنده (١/٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٦٢) ، و مسلم (١/٢٧٧) ، والترمذي واللفظ له (لباس ٤/٢٢١) ولفظ مسلم : « عن ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : اذا دبغ الإهاب فقد طهر » .

وأصل بقائهم ، أخزاهم الله ، في (جزيرة العرب) من القبح ، بل بقاؤهم في جميع ديار الإسلام ، بل بقاؤهم في الدنيا ، لولا إذنْ الشرع بذلك ، والله أعلمُ العالمين وأحكم الحاكمين .

وبيان كون أصل بقاهم القبح. أمّا عقلاً ، فلأنه قد قام دليلُ صدقِ رسول الله ، صلّى الله عليه وآله وسلم ، وصدقِ ما جاء به ، وأنه صفوة الله من خلقه ، وأنه حبيب الله الشافع المُشَفّع ، فمن اقتعد في دار السلام منزلاً يَسُبُّ فيه هذا الذي كملت صفاته ، ويباهت بتكذيبه ونسبته الى السحر ، على جانب من القُبْح عند العقول عظيم . وأمّا شرعاً ، فنحو قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضُهم أولياءُ بعضُ ،ومن يَتَوَلّهُمْ منكم فانّه منهم ، وإن الله لا يَهْدي القوم الظالمين[1]) ، وقوله تعالى : (يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزْواً ولَعِباً من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياءَ واتّقوا الله إن كنتم مؤمنين ، واذا ناديتم الى الصَّلاة اتخذوها هزواً ولعباً ، ذلك بأنّهم قومٌ لا يعقلون)[2] ، وغير هذه الأدلة . فيكون أصل بقائهم القبح عقلاً وشرعاً ، يزيد أحاديثَ إجلائهم قوةً ، ولا يعارض الأحاديث المذكورة معارِض . فإنْ خالج ذهن الناظر في المسألة أنه يعارض الأحاديث قوله تعالى : (قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخِر ، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسولُهُ ، ولا يَدِينون دينَ الحق ، من الّذين أُوتوا الكتاب ، حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عن يدٍ وهم صاغرون)[3] . فإن هذه الآية فيهم ، ومعنى (لا يؤمنون بالله) أي. بكتابه أو رسوله ، كما ذكره الماوردي . ومعنى قوله (واليوم الآخِر) أي لا يخافون وعيده .

فهذه التي يتوهمها الناظر معارضة ، لا تعارض شيئاً ، بل تقوّي وتثبت معنى الأحاديث ، فإنّ منطوقها مصرّح بالقتال ، إلا أن يعطوا الجزية . وهذه غاية

(١) المائدة /٥١ . (٢) المائدة /٥٧ . (٣) التوبة /٢٩ .

مفهومها إذا أعطوا الجزية فلا تقاتلوهم . وهذا مفهوم غاية ظني ، يعارضه أقلّ من تلك الأحاديث الصحيحة ، وقد نفى مفهومَ الغاية أبو رشيد [1] وعالم كثير من العلماء . على أنْ معناه حتى يعطوا الجزية التي يتراضى عليها إمام المسلمين وكبراؤهم ، للاتفاق المحقق من المسلمين أنّه لو جاء بالجزية يهوديّ الى باب الإمام بغير مراضاة ، لم تكن جزية . فاذا رضي الإمام ، شرط في ذلك ، فمعنى الآية قاتلوهم الى أن يرضوا معاشرةَ المسلمين بالجِزية و يؤدّوها ، وهذا واضح ، لا إشكال فيه . فاذا كان الإمام لم يقبل ، فلا حكم لها .

والذي في كتب المذهب أن للأئمة عقد الهدنة هذه . ومعنى العَقْد الإيجاب والقبـول ، وان لم يصرح به اصحابنا ، ولكنّهم قـد صرّحوا بالعقـد ، وهذا معناه .

وأما أصحاب الشّافعي ، فصرحوا بذلك . قال ابن أبي شريف عند ذكر أركان هذا العقد : وهي خمسة شارحاً لقول الإرشاد بقبول وانقياد ، فلا بد من قبول المعقود له صريحاً ، كَقبِلْتُ ، أو كنايةً كرَضيت ، وتنعقد بإشارة الأخرس المُفْهمة ، والظاهر كما قال الأذرعي [2] انعقادها بالمكاتبة الى آخر كلامه .

قلت : وقال الأذرعي بانعقادها بالمكاتبة ، إشارة الى كلام صاحب المحرر منهم ، فانه قال : لا تنعقد إلا باللفظ . قال في روضة النّوَوي : لابد من العقـد ، وكيفيتُهُ أن يقول الإمام أو نائبه : أقررتكم ، أو أذنت لكم . ويشترط مـن الذّمّي لفظ كقبلت أو رضيت بذلك . وهكذا نصوص كتبهم متظاهرة ، فانه لا بد من إيجاب وقبول .

واذا تحقق الناظر أمر متهوّدة الزمان ، لم يجد لهم ذِمّة ، فانا ما نعلم بعقد

---

(١) من علماء الشافعية الذين لا يقولون بمفهوم الغاية .

(٢) الأذرعي : لقب لأربعة رجال ، أحدهم عامر بن قيس ، والثاني سليمان بن أبي العز ، والثالث علي بن سليم ، والرابع أحمد بن حمدان ، وكلهم ذكر في أعلام الزركلي .

حتى نستصحب ؛ بل تجرم الإمام يحيى عليه السلام[1] غير مرة ، وغيره من أئمتنا ، وتمنّوا الاستطاعة والقوة على إجلائهم . ولو فرضنا أنّه عقد لهم في زمان لا نعرفه، فقد توسطت دول لهم أحكام عند الأئمة لا. تثبت على أن الامام يحيى (عليه السلام) وجمهوراً من فقهاء العامة صرحوا : أنهم لا يكونون كتابيّين بعقد الهدنة المؤيدة ، الا إذا كانوا وقت العقد أهلَ كتابٍ لا تحريف فيه ولا تبديل . ومن عقد له هذه الهدنة بعد التحريف والتبديل. فلا يصح العقد ، لأنه ليس بكتابي ، لأن الكتابي هو المنسوب الى كتاب الله المَصُون ، وقد شهد القرآن بتبديل هؤلاء وتحريفهم ، مع أن هؤلاء الموجودين قد صح لنا أنه اتفق رأيهم في هذه المدة القريبة على نبذ عهدهم ، وزعموا أنهم يخرجون من اليمن الى جهة أخرى ، ويكون السلطان لهم على المسلمين ، ويهدمون المنارات ، ويتحكمون في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويستخدمون بأولاد رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ، ولم يؤمنوا أخزاهم الله تعالى – بقوله تعالى : (ضُرِبت عليهم الذلـة أينما ثُقِفُوا)[2] ، وأنه لا سلطان لهم الى يوم القيامة .

وقد صرح إمامنا المتوكل على الله أنه لا ذمة لهم ، ومنع من تسميتهم ذميين ، وكتب بخط يده الكريمة : أنه لا يحل بقاؤهم، ولا يعتبر بقول فقيه من الفقهاء، لصحة الأحاديث الموجبة لإجلائهم ، وخطبه عليه السلام موجودة ، فهذه نبذة لطيفة تدل على أن للإمام إجلاءهم ، ويجب على الفقيه أن يصرح بفقهه كمـا قال سعد بن معاذ ، رضي الله عنه: «قد آنَ لسعدٍ أن لا تأخذه في الله لومةُ لائمٍ.

وهذه النبذة في أهل الكنائس الملتزمين لأحكام الذِّمة. وأما ما رأيناه اليوم، فقد جهلوا الذِّمّة، وصَغُرَ الإسلام وأهله في عيونهم، وتحدثوا بشرائعهم وتفضيلها عند العوامّ ، وتجاسروا على ما لم يتجاسر عليه المسلم . ولقد بلغني في آخـر

(١) الامام يحيى بن حمزة ينتهي نسبه الى الحسين بن علي بن أبي طالب ،ولد بصنعاء. وتبحر في العلوم، وصنف التصانيف الكثيرة المفيدة .

(٢) آل عمران / ١١٢ .

أسبوع من شهر رمضان سنة ثمانين وألف الذي أعتقنا الله فيه من النار : أن يهودياً من (الحشيشة) [1] منعه مسلم من استطراق أرضه ، وقال له : إمّا امتنعت ، او قاتلتَني شرعا . فحلف بالله ما يمتنع ولو سقط القتل . وبلغني في ثاني شهر رمضان هذا تحدُّثهم أن هذه الأزْمَة الشديدة نالت المسلمين لعدوانهم بقتل كبيرهم الذي قتله الإمام المتوكل على الله بصنعاء . وبلغنا أن بعض كبرائهم حلف ليأخذنّ عِوَضَ ما أخذه أمير المؤمنين من أموالهم من مال المسلمين ، وفعل هذا المكر في السكة الذي أهلك به الأموال ، وضعف به الحَواضر والبوادي .

فينبغي معرفة هؤلاء القوم ، وما هم عليه من بغض سيدنا حبيب الله وأمينه بشارة سيّد الأنبياء وختامهم صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، فان حاصل ما هم عليه لعنه وتكذيبه وسبُّه . فلولا أنه صلّى الله عليه وآله وسلم ، أذن ببقائهم في أول الأمر ، ما استجاز المتديّن إبقاءهم على وجه الأرض . وناهيك بأنّ الله تعالى يقول : (لَتَجِدَنَّ أشدَّ النّاس عداوةً للذين آمنوا اليهود ، والذين أشركوا) [2]. فهذا ما نَدِينُ به فقهاً ومذاكرة .

وأما ترجيح الإجلاء على الإبقاء ، أو الإبقاء على الإجلاء ، فهو مفوض الى إمام المسلمين . فاذا رأى تقريرهم ، وجب عليه إلزامهم الصَّغارَ والذِّلّة ، على وفق ما وضعه عمر بن الخطاب ، فهو مرجع هذه المسألة . فإنّ هؤلاء لا يعرفون شيئاً من ذلك ، بل قد صاروا يحملون موتاهم على الأعناق جهاراً . وموضع لعن نبينا ودينا في الأماكن المسماة بالكنائس مزخرف مستّر كالحجالة ؟ ، موقوف عليه الأوقاف أكثر من المساجد الفاضلة ! وقد اشتمل العقد من سلفنا وسلفهم أنهم لا يتظاهرون بشيءٍ دون هذا ، فينبغي إذلالهم بهدم الكنائس ، فإن الله سبحانه وتعالى نهى عن مسجد الضِّرار . وأمّا كنيسة يلعن فيها سيد البشر ، فالأصل

---

(١) الحشيشية : هي بالذات بنو حشيش في الشمال الشرقي من « صنعاء » .

(٢) المائدة / ٨٢ .

التحريم، ولا نتركها إلا في خططهم . ومن أدّعى أنّ أحداً يروي عن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم : أنه أذِنَ لهم ببناء الكنائس في بلاد الاسلام ، فهو مفتر كذّاب ، وعليه بيان الحجة على ما ادّعى ، وعلى هذا تظاهرات دفاتر الإسلام . هذا الهادي الى الحقّ ، عليه السلام ، هدم الكنائس المحدثة بصعدة[1]، وقد بنيت بيعه فأمر بهدمها ، قال : وأرادوا أن يُحْدِثوا بيعة في بعض نواحي اليمن ، فمُنعوا من ذلك . وحكى ذلك في تعاليق (اللّمع)[2] ، قال في الزهور[3] ــ بعد أن حكى كلام ابن سليمان في (الروضة) : إنّهُ يجوز للامام أن يأمر اليهود ببيع ما شروه في اليمن واجلائهم ــ ما لفظه : « وأما كنائس صنعاء وغيرها من من أرض اليمن، فللإمام هدمها » انتهى. وهذا الإمام المؤيد بالله بحر العلوم يحيى ابن حمزة عليه السلام هدم في صنعاء كنيسة العياض[4] بمشهد من العلماء الكبار . وجميع علمائنا مصرحون بهدا ، لولا قلة عناية الأصحاب بكتب الأسلاف رحمهم الله . وقد صرحت الشافعية» بما صرحت به الأصحاب. قال الشيرازي في(التنبيه): « وتمنعون من إحداث بِيَع وكنائس في درا الاسلام ، وما علمنا اليهود راضَوا المسلمين في بناء شيْ من الكنائس ، الا أنهم جعلوا ذلك بلاغاً للأَمان ، فيجوز السكوت عنهم إذا سكت أهل الولايات لسكوتهم عن تطهير اليمن من نجاستهم بالإجلاء . ولو فرضنا أن مع اليهود من المسلمين إذناً في البناء ، فللإمام نظره » . قال في (الإسعاد) : « البلاد في حكم المسلمين أحدثها المسلمون ، كبغداد والكوفة والبصرة ، أو أسلم أهلها طوعاً كاليمن ، أو فُتحت عنوة كالمغرب[5]،

(١) صعدة : مدينة شمال صنعاء .
(٢) كتاب اللمع في فقه الزيدية .
(٣) كتاب الزهور ، للقاضي يوسف بن أحمد بن عثمان في الفقه الزيدي .
(٤) كنيسة العياض : لعلها كانت هي (القليس) من بقايا الغزو الحبشي بعد مجيْ أبرهة .
(٥) يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك أن أرض المغرب فتحت عنوة ، لا صلحاً ؛ لأنه جعل النظر في المعادن المغربية للإمام ، فلا يجوز بناء، على ذلك، التصرف فيها لأحد ، لكن هناك نظرية مرنة تتجنب مثل هذه التصنيفات ، وهي نظرية التادلي الحافظ الذي يقول: «لا صلح ولا عنوة،»=

وفارس ، فلا تحدث فيها كنيسة ولا بيعة ولا صومعة راهب ونحوها . والأصـــل في ذلك أن عـُمـَر وابن عباس منعا منه ، قلت: ولقد هم الوائلي من علماء الشافعية في اليمن أن يتولى هدم الكنيسة التي عظمها اليهود في (التّعكـُر)[1] بنفسه ، ولها قصة . وعلى الجملة فانهم لا يستحقون ذلك من رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا ينبغي ولا يليق ، لأن المعلوم أنه لم يأذن ، وأنه كان حريصاً على إذلالهم ، سلام الله عليه ، كما يشهد بذلك الكتاب والسنة . وسكوت من سكت عن هذه المسألة ترك لا يدلّ عـــلى شيْ ، لاحتمال عدة وجـــوه . وما مدار هذه المسألة الا على الأئمة وعلماء الاسلام ، كثرهم الله تعالى ، ووجه قولنا : إن مدارنا على رأي المسلمين مع النص على الإجلاء ، هو أنه يجوز عند عدم الاستطاعة ترك كثير من المنصوصات القرآنية وتواترات السنة النبوية . وهذه وظيفة المجتهدين ، زادهم الله كمالا . ومما ينبغي إذا رجّح الإمام تقريرهم في اليمن ، تجديد الأحكام التي وضعها السلف، وإلزامهم بها ، وجعل الجزية عليهم أوفرَ مما صاروا يؤدّونه ، لأنها عليهم فضة خالصة . والذي يسلمونه اليوم من نقدهم الذي قد مكروا بالمسلمين فيه ، لا يعد نقداً . وأصحاب الشافعي جعلوا الجزية محدودة في أقلها ، وهـــي دينار ، غير محدودة في أكثرها ، وأوجبوا على الإمام المماكسة بهذا اللفظ ، ليزيد ما أمكنه . والحنفية وافقونا في الفرق بين الغنيّ والفقير. وغير الفريقين ، لم يجعل لها حداً في الزيادة ولا النقص . والله الهادي الى الصواب.

بقلم الفقير خادم امير المؤمنين محمد[2] بن أحمد

=وإنما أسلم عليها أهلها». وهو الجواب الذي خلص به الشيخ سيدي بوجيدة أهل فاس عندما وضع عليهم المنصور بن أبي عامر السؤال في أثناء تغلبه على المدينة . الجزنائي : جنى زهرة الآس ، طبعة تلمسان ص ٥-٢١- ابن العباس: أعلام مراكش طبعة الرباط اول ص ١٤٠) .

(١) التعكر : حصن مشهور يطل على مدينة (ذي جبلة) شمالا ، وعلى مدينة (ذي سفال) في الجنوب

(٢) يؤكد صديقنا الشيخ محمد الأكوع أن محمداً هذا هوابن للمؤلف أحمدبن صالح بن أبي الرجال .

البطشة الكبرى

من أبي القاسم القاضي الى أبي القاسم المعتمد
وبين ابن زيدون وابن عمار

الاستاذ عبدالرحمن الفاسيّ

رحم الله شيخ مؤرخي الأندلس أبا مروان عبد الملك بن حيان ، فلطالما اقتبس وقبس ، وهز النفوس ،وشد اليه الأنفاس ،واستطال بيانه ، مثلما طال لسانه . وهذا كتاب : « البطشة الكبرى » الذي أرخ به الكائنة في قرطبة على الجهاورة (شعبان ٤٦٢ هـ — ١٠٧٠ م) ، وأفاد ابن الخطيب [١] أنه اطلع عليه ، قد طوى فقهه — كما نرى في كلمتين ، جلى بهما صورة ما حصل ، ودل بهما على ما سخره العباديون في هذه الواقعة الفاجعة من ضروب القساوة ، وما أبانوا عنه من فظاظة ، وبذلك أتاح للسامع من وراء العصور أن يستجلي صورة انهيار دولة في لحظات مصعورات ، وانتشار شمل أسرة في دقائق نكدات .

وسواء كان صنيعه هذا عن قصد قاصد ، أو إنما جرى على لسانه من وعيه الباطن ، فهو بادرة خشية ، ومبادرة لدرء عادية ، فقد عز عليه أن تبطش بكتابه في الحال أو في المآل يد انسان ، فلا تبقى منه غير أضغاث أوراق ، أو لا يتهامس الناس الا باسمه في الآذان ، أو أن تأخذه يد الحدثان أخذاً ، وهي الصناع فيما

(١) أعمال الأعلام ، الجزء الخاص بالأندلس ، ص : ١٥١ ، ط : بيروت .

قدمت وأخرت من أفاعيل ببنات الأفكار ، وآثار بني الانسان . وحقاً ، فقد أشار ابن بسام الى اسم هذا الكتاب وكأنه يتحدث عن الكبريت الأحمر ، حين أعلن أنه لم يقع اليه ، وصح عنده (أنه في مجلد كبير وصف فيه كيفية خلعهم وإخراجهم من قرطبة [٢]) ، مسوقين الى نهايتهم المحتومة .

وإن هذا العنوان المعبر المصور ، ليبين من جهة أخرى عن صولة ذلك اللسان، الذي ما تلعثم ، ولا أقوى، أمام جبروت سلطان بني عباد ، وهو يومئذ في الريعان، يلهبه شباب المعتمد : (٤٦١ – ٤٨٤ هـ) المشبوب، وتؤججه جوامح أهل شوراه ، وتستثيره سياسة تقليدية للأسرة ، تتقلب ظهراً لبطن في أتون الامتحان ، عقب إدبار المعتضد عبـاد (٤٣٣ – ٤٦١ هـ) ، فكانت تداور ظروفـاً لا تفصم عنها حرب النفسيات ، ولا يني العدو عن التطاول عليها بالاستعلاء والإعنات ، وضرب معنوياتها بروادف الجزى والإتاوات ؛ والمفهوم أيضاً والمنتظر من شـبل المعتضد أسد الجزيرة ، أنه كان في مطلع ولايته يتحفز في غيبة حركة الاسـترداد المنهمكة في القتال الدائر بين أبناء الهالك ، «فردلند» ليتابع السير على خط الأسرة العبادية في الامتداد والاحتواء والذياد عن زعامتها الأندلسية المعقود بها تخليـص الجزيرة من استغلاظ الأعداء ، والانتصاف لما أصاب الإسلام فيها من اصطلام .

ولكن ابن حيان قد لا ينظر الى الحادث من هذه الزاوية ، ولا يزكي هذه المقاصد بحال، وقد يبتسم لها، لما يكتنهه من أحوال وأسرار أهل الزمان، فأكبر همه ازاء الحادث الجلل الذي أشجى وفجع ، أن يستجيب لما يعصف في خلده ، ويثير استعداد رغباته ، فاذا هو ينبري وكأنه الشاعر يسجل ما جال في خاطره ، وجرى على لسانه ، ثم هو بعد يؤدي بهذا التأليف حقاً يجب له الوفاء ، وهو حق التكريم الذي ناله بالكتابة [٣] لأبي الوليـد ابن جهـور ، والحظـوة التي كانت لـه عند هؤلاء الجهاورة النبلاء ، الذين بكاهم الأقرباء والبعداء ، على أن ابن حيان

(٢) الذخيرة لابن بسام ، القسم الأول ، المجلد : الثاني ، ص : ١٢٩ أعمال الأعـلام .
(٣) الذخيرة، القسم : ١ المجلد ٢ ص : ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٥٧ .

لم يشذ عن عادته في الجمع بين النقائض ، تجاه ما يسجله عن حادثة بعينها كواقعة قرطبة ، أو عن الشخص الواحد كما نرى مثلا في الترجمة المتهافتة التي عقدها لابن السقا [٤] وزير الجهاورة ، وكما صدرت عنه في هذا المقام نفسه تهنئة [٥] الى المعتمد بن عباد بما سماه فتحاً ونصراً، فبدا وكأنه يمتح من عاطفتين، ويصدر عن ضميرين ، على أنه يلاحظ أن التهنئة تركزت على توفق ابن عبّاد ويمنه ، وعلى كشف خساسات ابن ذي النون ، فتنقض حجاه ، واستفال رأيه ، على نحو مما نقرره في الفصل الذي نقلـه عنه ابن بسام في المجلد الثاني من القسم الأول من الذخيرة ، وفي الفصل الذي عقده في المجلد الأول من القسم الرابـع لجملـة أخبار بني ذي النـون ، ملوك طليطلة ، وبهـذا التركيز على المأمون المهزوم، استطاع أن يتحامى مَسّ جانب الجهاورة. حتى لكأن قضية الفتح لا تعني غير ابن ذي النون وابن عباد ، وليس هناك طرف ثالث سواهما في الميدان [٥] وهذا مصداق قول ابن بسام : «كان ابن حيان بقرطبة خاتمة المتكلمين ونخبـة المحسنين ، على ما تراه ركب من إثم ، واحتقب من ظلم ، ولكنه سلم من لسانه أمير بلده ، وأكبر أهل زمانه ، أبو الحزم بن جهور ، وابنه بعـده ، فجرى لهما بأيمن طيـر » .

---

(٤) الذخيرة، القسم : ٤ المجلد ، ١ ص ١٨٨ .

(٥) الذخيرة، القسم : ١ المجلد ٢ ص ، ٨٩ — ٩١ .

(٦) أما بالنسبة لترجمة ابن السقا ، فقد كانت واضحة أيضاً في هذا الاتجاه ، فهي بالغة الاطراء والتقدير والاكبار في البداية ، والتحقير والتصغير ، والاقذاع في النهاية ، حتى انه لم يبق لها الوزير أي وجه يحمل عليه ، ولكن قلم ابن حيان كان أسرع من ارتسام الدهشة على وجه القراء ، لسرعان ما قال : « ووسع أهل السلامة الدخول تحت التقية ، فسرنا ممن اخذ بذلك في ذكره ، فهما كتبنا له من ظاهر أخباره ، مدة ستر الله عليه ، الى أن ارتفعت بزوال سلطانه ، وأمان عدوانه ، ففارقنا الحذر في ذكره ، ولزمنا العذر عنه، بل نقضي لما أسلفناه من تقريظه » .
— انظر الذخيرة القسم ٤ — المجلد ١١ ص ، ١٨٨ .

وكيفما كانت رؤية ابن حيان كما تصورها ذخيرة ابن بسام بهذه التهنئة، فان عنوان كتابه « البطشة الكبرى» قد كشف عما هنالك، واذا نحن أمام التقية والنوازع التاريخية تصطرعان على شق قلمه، فيسيل بوحي طبيعة هذا الصراع، ووفق غلبتهما الدائرة بين إقبال وإدبار .

وقد تبدو حادثة فتح قرطبة على عهد المعتمد بن عباد وفي مطلع ولايته وتحت سورة مبادرة من المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة الذي أجلب على قرطبة بجيشه ، وبلهفة من يرى في امتلاكها أمنية عمره [7] أن عزمة المعتمد على فتح قرطبة قد كانت أولى عزمات العباديين للظفر بها ، والاستظهار بمعنوياتها ، ولكن الواقع أن قرطبة كانت مهوى أفئدتهم منذ عهد يعسوبهم القاضي أبي القاسم ، فكان انتزاء المعتمد عليها اليوم تحقيقاً لعزمات سالفات ، منيت في خضم أحداث الطوائف بانتكاس إثر انتكاس ، فجذور الحادث عالقة بما يمكن أن يسمى بمسألة قرطبة وما اضطرب حولها من سياسات .

تسابق ملوك الجزيرة للاستئثار بقرطبة إثر انهيار الخلافة

وهكذا تعودبنا قصة (البطشة الكبرى) القهقرى ، لنستجلي ملامح قرطبة التي خطبها المعتمد وأضفى عليها وصف الحسناء في قصيدته المشهورة ، فلقد كانت تمثل لناظر المؤرخ في أعقاب انطواء بساط الخلافة على غير هذه الصورة التي استغرقت نظرة الملك الشاعر ، وكانت له فيها مآرب ، فهي عقبى لتعاقب الفتن ، وترادف العاديات ، تبدو ضامرة الحجم ، عارية عن جنة الأسر والأيد ، ولو أن حصونها ومعاقلها قد طالت على من رامها واستعلت ، ومظاهر العمران على عهد الجهاورة قد استنارت ، وعلى نحو من هذا النُّحول شهدها الشريف الإدريسي ، وعن هذه الصورة الشاحبة صدر الإمام ابن حزم قبل ذلك يوم قال :

---

(٧) أعمال الأعلام ، جزء الأندلس ، ص ٢٣٨ ، ط : بيروت .

تراها كأن لم تغن بالأمس بلقعـاً ولا عمرت من أهلها قبلنا دهـــرا

ولكنها مع هذا ظلت على الدوام مهوى أفئدة جميع أولئك الذين نهدوا الى الزعامة ، وأهطعوا للانتزاء على إرث الخلافة ، فقد كان شبح أمجادها قائما ماثلا في أرجائها ، ورسوم خلافتها اللألاءة منطبعة في سويداء أهلها ، وهي بكل حساب وفي كل حسبان ، المعبر الطبيعي لمن يحاول الوصول الى ساحة الرياسة ، وسلم الصعود الى قُنّة الزعامة ، وما أيسر أن يقال : تلك هي معالم الحسن التيتغنى بها المعتمد يوم قال :

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت من جاء يخطبها بالبيض والأسل

لقد تشبث الجهاورة بقرطبة متربصين في إطار حكم جماعي شُوَرَوِيّ ، ريثما تحين ساعة وضع اليد ، والاستئثار بالحكم من غير ما حد ولاقيد ، واستندوا في تشبثهم الى المبدإ الاسلامي في نظام الحكم : والى سيرة أبي الحزم ابن جهور العادلة،والى نزعته الدينية السائرة ، والى توفقه في تدبير شؤون قرطبة ، ودفع الدمار الذي كان يتهددها بتعاقب عاديات الفتن عليها ، كما استندوا إلى (شرف أثيل) ان لم يكن في الذؤابة من عدنان أو قحطان ، فقد نوه شيخ مؤرخى الأندلس ابن حيان بأنهم من آل أبي عبدة[8] الداخل الى الجزيرة الأندلسية ، فهم على

---

(٨) المؤرخ ابن حيان – انظر نصه الذي تبسط في أوليتهم عند ابن بسام في الذخيرة (القسم الاول الجزء الثاني ابتداء من الصحفة ١٤١) وأبو عبدة المذكور في نص بن حيان – وفي نص ابن بشكوال هو حسان بن مالك وهو الداخل الى الاندلس سنة ثلاث عشرة و مئة ،أي قبل دخول عبدالرحمن ابن معاوية بخمس وعشرين سنة ، وجدهم الأقرب هو جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن حسان بن مالك بن عبدالله بن جابر ، وكان عبدالله هذا مملوكا لمروانبن الحكم واعتقه اثر بلائه في واقعة مرج راهط ، فهم من موالي الأمويين .

وهناك أسرة أخرى أندلسية تعرف ببني جهور ،وهؤلاء ينسبون الى جهور بن يوسف بن بخت الفارسي (لا الى جهور بن عبيدالله بن محمد بن الغمر) وكانت لهم كالأسرة الأخرى أولية مجيدة وسابقة في الدولة الأموية ، وتعاقب اجدادهم أيضاً على الخطط السنية ، وقد وهم ابن عذارى في (البيان المغرب) ج ٣ ص ١٨٥ ، فنسب ملوك قرطبة الى بني بخت، إذ أدرج اسم يوسف –

ارث من نبل ، ومن مروءة وفضل ، وقد توارثت أسرتهم الجاه بالحجابة والكتابة والوزارة والأمانات والقيادات، منذ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل ، الى أن سعت اليهم اليوم هذه الرياسة .

وهم* بقرطبة النكداء الشرفاء الحموديون – وهم الذين جرى بعض المؤرخين على تسميتهم بالبرابرة – وارتكزوا منذ قيام أمرهم على مقومات شرف النسب، وعلى سواد البربر الذين اعصوصبوا من حولهم، وعبروا من المغرب في شبه موجات الى ساحاتهم في قرطبة ومالقة ، وفي الجزيرة الخضراء وفي طنجة وسبتة ، ينتجعون في ثراها الثراء ، ويحدوهم أمل مشبوب لإحياء العرش الإدريسي على أنقاض هذه الخلافة الأموية الدابرة .

أما العباديون ، فقد جمعوا العدة من أطرافها، فهم الذين ابتدعوا الحكم الجماعي لنفس الغاية الجمهورية من ذر الرماد في العيون ، واليهم انتهت الزعامة الدينية والأدبية في الجزيرة ، بعد النازلة بقرطبة ، وذلك لامتداد مملكتهم الاشبيلية شرقاً وجنوباً وغرباً ، ولتوافر الإمارات العامرية بشرق الجزيرة والبربرية بغربها ، وكلها أصبحت تدور في فلكهم ، ثم لهذه العصبية الأندلسية الحافة بهم ، ولتركيز العدو أنظاره من أجل ذلك على حركاتهم وسكناتهم .

وهكذا سارت عجلة الأحداث في الرقعة الاسلامية منذ بداية القرن الخامس حتى تاريخ معركة الزلاقة وكلها مشدودة الى ما يدور حول هذه الحسناء البائسة .

انتصاب حركة الاسترداد لردع الملوك الطامعين في قرطبة لئلا يعود اليها نفوذها الروحي

وبالمنظار نفسه، كانت حركة الاسترداد تنظر الى قرطبة ، وترعاها ، وتعد أنفاس المتطلعين اليها ، وقد كان « فردلند » زعيم حركة الاسترداد ، ومعاصر

* ابن بخت بين أبي عبدة وابنه عبدالغافر في عمود نسب الجهاورة ملوك قرطبة ، أنظر الحلة السيراء الجزء الأول ص ٢٤٦ وص ١٦١ – ٢٠٩ – ٢٥٠ – ٢٥١ – . ج ٢ ص ٣٠ – ٣٤ – ١٧٦ – ١٧٧ .

المعتضد عباد حريصاً كل الحرص (منذ الوقت الذي شمر فيه للبـدء بتطويق التراب الاسلامي وانهاك معنويات ملوكه بضرب الجزى وموالاة المحاصرات) على أن تظل قرطبة كما هي بنجوة من تطلعات هؤلاء المترعمة ، حتى لا يصبح نفوذها الروحي في يوم ما بيد أحد الزعماء ، فيقوى بالضم على اجتياز مرحلـة الانتكاس ، ويعيدها جذعة كاشفة عن ساق، فتعصف بمكاسب حركة الاسترداد وتطفىء مشاعل اليقظة المسيحية التي ينعكس ضياؤها على نهر التاجُه، ويزهر قريباً من تلك الضفاف ، فما يراد بالاستيلاء على قرطبة ، وتوحيد الإمارات التي ينهمك المعتضد عباد في احتوائها شرقاً وغرباً ، غير إلجام أعنة فرسان قشتالة ، وردهم على أعقابهم نحو السهوب الجُرْد في جليقية .

وعلى وفق هذه النظرة التي تؤكدها للباحث بعض التدخـلات في الأحـداث الاسلامية التي كان « فردلند » يفتعلها ، ويحتال بتحركات موقوتة لتحقيقها ، تحول دون انطلاقهم ، وتفُل من عزماتهم ... يتاح للباحث أن يستأنس بمـا أوردته الكنيسة ، ولو أن مروياتها غير معتمدة عند المؤرخين المنصفين لا في الجملة ولا في التفاصيل ، فمن المعروف أن أبا الحزم بن جهور (٤٢٢ ــ ٤٣٥ ﻫ) قد حاول فرض سيادته المعنوية على باقي الامارات الكبيرة والصغيرة باعتبار الجهاورة سدنة دار الخلافة، وقد طير كتبه بذلك ، الى آفاق الجزيرة ، فأوقعه هذا الصنيع في تشغيب ، وأحال أمره الى سخرية ، وأثار في وجهه إباء وعنجهية ، فأولئك الكبار كانوا يعزمون التمسك بمملكاتهم مستقلة ، وقد برزت التكتلات بالمواجهات الحربية ، فولّى أبو الحزم وجهه الى الإمارات الصغيرة بعد دعوته المرفوضة ، واستولى على سهلة « بني رزين».ولكن صاحبها « هذيلاً » استنجد بطليطلة التي سرعان ما هبت واستعادت « السهلة » وردتها الى صاحبها الحليف ، وعندها أخذت قرطبة أبي الحزم توالي غاراتها الانتقامية على تراب مملكة طليطلة ، وشاءت الأقدار أن توافي المنون أبا الحزم ، وهو متورط في مواجهة غزو انتقامي عجز خلفه أبو الوليد

(٤٣٥ – ٤٥٧ هـ) عن مواجهته أو عن التوصل الى هدنة تدرأ عنه مغباته ، وهنا تذكر الرواية القشتالية أن حرباً طاحنة (أثخنت مدى أعوام في المنطقة الواقعة بين قرطبة وطليطلة ، وكانت الهزيمة ستغدو فيما يظهر مصير ابن جهور لو لم يقم « فردلند » الأول ملك قشتالة وليون بغزو أراضي طليطلة غير ما مرة ، ويرغم ابن ذي النون بهذا على الهدنة مراراً مع قرطبة(*)) .

فهذه التفاصيل تفصح عن غزو نصراني كان تدخلاً مقصوداً لشل حركة ابن ذي النون ، وتوهين عزمه بفرض الهدنة ، بل وبضرب الجزية ، والتوصل الى إبعاد الهزيمة الجهورية، ولا يعني هذا غير ما أشير اليه من سهر حركة الاسترداد على تثبيت ميزان القوى، حتى تظل وضعية قرطبة على ما هي عليه ، ويبقى ما كان لنفس الهدف المشار اليه .

وهكذا أصيب ابن ذي النون في تراب مملكته وفي معنوياته ، وأفاء الله بذلك السلام على أبي الوليد بن جهور من حيث لا يدري ؛ ودرأ عنه على غير انتظار هول حرب لا طاقة له بها .

وقد كانت اشبيلية في طليعة الممالك التي سخرت من دعوة أبي الحزم ، وهو موقف منتظر ،لأن بني عباد ينطوون على نفس هدف بني جهور في الاستئثار ، وتثبيت الزعامة والنفوذ الروحي على الكبار والصغار ؛ ومن ثم أعلن القاضي أبـو القاسم بن عباد (٤١٤ – ٤٣٣هـ) رجعة هشام ، وقد ابتدع هذه الأسطورة – كما هو معروف– ليقطع بذلك أماني الحموديين والجهاورة وأحلامهم في إرث الخلافة ، وهكذا أعلن أن هشاماً استقر بالقصبة ، واسماعيل [٩] بن القاضي أبي القاسم

(٩) ابن القطان ، بواسطة البيان المغرب ٣ / ٢٠٠ ، أعمال الأعمال جزء الأندلس ط بيروت ص : ١٥٤ .

(*) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ج : ٢ ص : ٤٥ ، لصاحبه يوسف أشباخ ، وترجمة الأستاذ محمد عبدالله عنان ، وتشيع في هذا الكتاب كثير من الأغلاط التاريخية ، كما يشيع تحريف الأعلام بالرغم من الجهد الجهيد الذي يبدو أن مترجمه قد بذله في التعليق والتصويب، وأهم محتوياته الافادات المترجمة عن تاريخ الفونسو العاشر المعروف بالحكيم .

القاسم حاجبه ، والخلافة صرفت من قرطبة الى اشبيلية ، وليشكر الناس ربهم على ما أنعم ؛ فإشبيلية هي سادنة بيت الخلافة اليوم .

ويقول ابن حيان (١٠) :

« ومالت نفوس أهل قرطبة في نصبه إماماً للجماعة ، وإشخاص الرسل للوقوف على عينه ، وتثبيت الشهادة فيه ، وزور ابن جهور وَغيَّرَ في ذلك شهادات على علم منهم ابتغاء عرض الدنيا ، وإذعاناً من ابن جهور أيضاً لما رآه من دفع ابن حمود الفاغر فاه على قرطبة ، فرجع عنه سريعاً الى الاعتراف بالخطأ بقية عمره بعد عظيم ما انبعث في ذلك من الفتن ، وجرى من المحن ، وصرع من الجبابرة ، ونقل من الدول » .

ويفيد نص ابن حيان هذا أن أبا الحزم بن جهور سارع بالتصديق والإذعان في بادئ الأمر ، ذهاباً مع نفوس أهل قرطبة ، ودفعاً لابن حمود الذي أعلن لنفسه الخلافة ، كما يفيد أنه سرعان ما رجع عن إذعانه ، وارتد عن تصديقه ، والمعروف من القصة التاريخية أنه ما إن تسلم كتاب اسماعيل بن القاضي أبي القاسم بن عباد « حتى تبرأ من ذلك الرجل (هشام) وسبه ، وسب من سببه (١١)» .

وقد كانت هذه الردة من أبي الحزم كاشفة للجماعة عن نية الجهاورة ، وأبانت أنهم إنما كانوا يبطنون غير ما يظهرون ، وبذلك كان هذا مثار نقمة الكثيرين الذين هاجروا من قرطبة ، كما كان عند جملة الباحثين من دواعي قيام احتمال الحلف مقام الائتلاف بين ابن زيدون وأبي الحزم ، ذلك الائتلاف الذي وصفه صاحب المطرب(*) بأنه كان « ائتلاف الفرقدين ، واتصال الأذن بالعين » .

---

(١٠) جلب نصه صاحب البيان المغرب ١٩٨/٣ .

(١١) ابن القطان بواسطة البيان المغرب ٢٠١/٣ .

(*) المطرب لابن دحية ١٦٧ .

بداية عزمات العباديين لغزو قرطبة

وقد أسلمت هذه الرجعة الجنهورية مع ما صحبها من بوائق اللسان التي لدت عن أبي الحزم في لحظات متوترات غاب عنه فيها الحزم ، الى إثارة أعصاب ابن عباد ، فكانت عزمته الأولى التي تلتها عزمات عبادية لغزو قرطبة ، وكانت هذه المسيرة بداية الاندفاع الذي توّج بعد أكثر من ثلاثين سنة بالفتح النهائي صدر عهد المعتمد بن عباد ، وذلك لتسع بقين من شعبان عام ٤٦٢ هـ ، وهو الفتح الذي أطلق عليه اسم « البطشة الكبرى » شيخ المؤرخين ابن حيان .

وهكذا يقول ابن القطان (١٢) بأثر تسجيله رجعة أبي الحزم وسبابه : « فخرج ابن عباد (القاضي أبو القاسم) بجيشه مع هذا الرجل الى قرطبة ، ووقف على بابها هادراً طبوله ، ناشراً أعلامه ، فأمر أبو الحزم صاحبها بسد أبوابها ، وأن لا يصعد أحد سورها ، ولا يخاطبه أحد ، وسب هذا الرجل وأنكره ، وسبب من سببه ، فأقام ابن عباد على قرطبة بقية يومه ، وانصرف في غده الى اشبيلية » .

وحسب صنيع ابن القطان فإن هذه كانت غزوة أولى لم تسفر عن اشتباك ، ولكن ابن عباد لم يرض من الغنيمة بالإياب ، فابن القطان يذكر بعد هذا مباشرة عودته الى غزو قرطبة ، بعدما مهد لذلك بمناوشات وضغوط ، ومضايقات بالأذى والعيث والفساد في أرباضها ، فنازل حصونها حتى أطاعه بعضها ، وضاقت قرطبة ، وارتفع بها السعر ، ووقف على بابها اسماعيل بن عباد قائد الحملة ، وأخيراً انتهى الأمر الى الاشتباك ، فاستحرت حرب عظيمة نزلت فيها بالعباديين شر هزيمة ، وقد كان الحسم في هذا الانتصار للعناصر البربرية التابعة لباديس صاحب غرناطة الذي دفعته الحمية لإنجاد قرطبة بها ، فأكلت سيوفها جميع عسكر اسماعيل ، ولا سيما بعد فرار العناصر البربرية التي كانت من جملة كتائبه (١٣) ، وانجلت المعركة عن تردي اسماعيل بن عباد في هوة ، ووقوع فرسه عليه .

---

(١٢) بواسطة البيان المغرب ، ٣ / ٢٠١ .

(١٣) المعروف أن العناصر البربرية كانت منبثة في مختلف أرجاء الجزيرة ، وفي معسكرات كل مملكة وإمارة ، حسبما أفاد ذلك نص ابن حيان المشهور في هذا الباب .

وأخيراً انتهى الى القاضي أبي القاسم بن عباد مصرع ولده اسماعيل ، وأن برابرة صنهاجة قد انتزعوا خاتمه واحتزوا رأسه ودحرجوه بين قدمي باديس ، وقد كانت هذه من جملة الدواعي النفسية التي ظلت تلح عليه ليعيد الكرة نحو قرطبة ، فعهد بمهام ولده الهالك الى ابنه عباد (المعتضد) الى أن وافى القاضي حمامه في جمادى الأولى عام ٤٣٣ ، أي بعد سنتين ونصف من هذه الهزيمة التي أوقعها بهم باديس صدر عام ٤٣١ حسبما حدده ابن عذارى نقلاً عن ابن مزين .

وهذه الواقعة هي التي تتصل بسفارة اضطلع بها ابن زيدون وبمعيته ولي العهد أبو الوليد بن جهور لدى بلاط باديس في غرناطة ، وقد خلدت هذه السفارة قصيدته الميمية التي يقول في مطلعها :

سل المعشر الأعداء إن رمت صرفهم ... عن القصد إن أعياك منه مرام

وفيها يقول :

فداء لباديس النفوس ، وجاده ... من الشكر في أفق الوفاء غمام [١٤]

وما من شك في أن أخذ أبي عمرو عباد (المعتضد) بزمام المملكة قد دخل بالمسيرة العبادية نحو قرطبة في مرحلة جديدة ، تختلف عن سابقتها اختلاف هذا الرجل بعقليته واستعداداته عن أسلافه في الأسرة ، وعن جميع معاصريه من ملوك الجزيرة ورؤسائها ، فلقد تجلى منذ أول عهده على غير ما يعهد ويلتمس من خير عند أمثاله من حسان الوجوه في الناس ، وانما وقعوا فيه على آدمي ناضب العاطفة ، محروم من بواعث المحبة ، تدفع به استعداداته الى تمزيق اللحوم والولوغ في الدماء ، فقد قتل ولده ولي عهده اسماعيل بيد نفسه ، وكاد يقترف مثلها بالنسبة الى ولده

---

(١٤) أنظر القصيدة في ديوان ابن زيدون شرح كامل كيلاني، وعبدالرحمن خليفة ، الطبعة الاولى ص : ٢٤١ ، ويلاحظ أن اضطلاع ابن زيدون بهذه السفارة ، ومدحه باديس في القصيدة ، مما يساعد على القول برفع الاحتمال الذي يقول إن قضية هشام كانت سبب الخلاف بين ابن زيدون وابن جهور .

محمد الذي عرف بعد بالمعتمد ، وقتل وزير أبيه حبيباً ، ونكب شريكي جده في رياسة اشبيلية ، وقد تعجب الناس من وزيره أبي الوليد بن زيدون كيف انفرد بالسلامة ، فقال : «كنت كمن يمسك بأذني الأسد، يتقي سطوته ، تركه أو أمسكه». وفي القصة السائرة عنه أنه كان يتسلى بالنظر الى شجرة علق فيها رؤوس الأعداء ، وكأنها الثمار اليانعة يرنو اليها جذلان طروباً حين يجول فيها الهواء ، ومن المعروف أيضاً أنه استولى على عدة إمارات بربرية صغيرة في الجنوب بطريقة قصة الحمّام المعروفة ، وذلك أنه تظاهر باستدعاء أولئك الرؤساء في ضيافة إكرام ، ومن تمام احتفائه بهم انه أعدّ لهم حمّامه ، وما إن استقروا به حتى أطبق بابه عليهم ، ولاقاهم في حمأة ذلك الحمّام بمصيرهم ، وانقلب الى ولاياتهم ، فاستساغها بغير اشتباك أو احتدام ، كما شاء الهوى والدهاء .

وقد كان لجهارة شذوذ أحواله أثر واضح على أقلام الذين ترجموا له ، فلم تغنهم جملة أوصاف يَصبُّونها عليه صباً للتعبير عن أحواله الغريبة وتصرفاته المثيرة ، وانما كانت الكلمة تخرج عندهم مخرج الاستعارة والتمثيل لزيادة البيان والتوضيح ، فابن بسام [١٥] يقول : « إنه أسد الملوك وشهاب الفتنة وداحض العار ، ومدرك الأوتار » وابن خاقان يقول فيه في المطمح : « الذي صاد الطير تحت أجنحة العقبان ، وأخذ الفريسة من يد الثعبان» ، ومرة أخرى يقول فيه : « الذي يختطف أعداءه اختطاف الطائر من الوكر ، وينتصف منهم بالدهاء والمكر » ، ومن كانت جيوشه كما يقول ابن خاقان أيضاً : « تفتك فتكات الآساد ، وتنتزع الأرواح من الأجساد ، وتثمر بالجماجم ذوابله ، وتقتنص العرب والعجم حبائله » .

---

(١٥) أورد ابن بسام في ترجمة المعتضد نصاً جامعاً لاستعداداته المثيرة كما أورد نصاً جامعاً مثله لابن حيان، وكلاهما في ترجمة المعتضد بالقسم الثاني من تجزئة مخطوطة الذخيرة بالخزانة الملكية العامرة بالرباط تحت رقم : ٧٧٥٣ ، وقد جلبهما معا الأستاذ عبدالله عنان في كتابه (ملوك الطوائف).

وإن الباحث ليبتسم لذكر العجم الذين جاءت بهم ضرورة الصناعة في جملة ابن خاقان ، كضرورة سجعة الصاحب ابن عباد ، ولاسيما في تلك الحقبة التي كانت فيها حركة الاسترداد تستعلي وتستغلظ يوماً بعد يوم على ملوك الجزيرة وأمرائها، الكبير منهم والصغير بلا استثناء. أما ذكر العرب وربما لو أضفنا اليهم حتى البربر والصقالبة فيعد من صادق القول الذي عززته مختلف الروايات ، فقد استطاع المعتضد بدهائه ومكره وبمساعدة الحظ[16] أن يدفع بحدود مملكته غرباً حتى شلب، وقضى على الإمارات البربرية شرقاً ، الى أن صارت مملكة اشبيلية تشمل المثلث الجنوبي من شبه الجزيرة شمالاً الى شواطئ الوادي الكبير ، وتنساح من منحناه غرباً حتى جنوب البرتغال وشاطئ المحيط .

وباعتماده على الغدر والختل والخداع، وممارسته نصب شراك الحيل والمكايدات، وظهور العائدة له بهذه الوسائل والأسباب ، حتى كأنها طاقة لا توازيها أو تغني غناءها أو تجدي جدواها طاقة العساكر والأجناد ، كان لهذا ضنيناً كل الضن بدفع الجند الكافي للمواجهات ، ولا ينزع للمكاثرة بالرجال ، وتسخير المعدات ، إلا في حالات نفسية خاصة، وفي منازلة الصغار الذين لا حول لهم بهذه المصاولات، كما نرى بالنسبة للهجوم البري والبحري ، الذي شنه على القاسم بن حمود صاحب الجزيرة الخضراء ، وعلى أكثر من واحد من الأمراء الصغار ، وقد لجأ الى هذا في أخريات أيامه عندما أصيب في جبروته ونفسيته بضرب الجزية عليه ، ودخوله تحت طاعة « فردلند » ملك قشتالة الذي قلم أظفاره ، وكسر جناحه بهذا الاستعلاء ، فاندفع كالثور الهائج يجندل تلك الامارات البربرية الصغيرة التي كان أطبق على رؤسائها من قبل في الحمام ، وهي قصة سائرة ، فلا داعي لبسطها في هذا المقام (*) .

---

(16) أعمال الأعلام ، الجزء الخاص بالأندلس ، ط : بيروت ، ص : 155 .

(*) أنظر تاريخ ابن خلدون ، القسم الأول، المجلد الرابع ص : 339 ، ط : دار الكتاب اللبناني ، والبيان المغرب ، ج : 3 ، ص 267 .

وهكذا ، كان المعتضد معتداً بمذهبه في الختل والخديعة ، بعدما جنى ثماره في أكثر من حملة أراغ فيها أعداءه بالحيلة [١٧] وبالاستمالة والصلات ، وبشراء الضمائر ، وكاذب الوعود والمودات ، وربما كان هذا أصل عزوفه عن شهود المعارك ، ونزوعه الى الاعتكاف بعريسته في بستان قصره ، وكان يطل منها — فيما أتصور — على تلك الشجرة التي دجنها وأينعها قسراً بجماجم الأعداء ، وقيل إنه ما مشى لعدو أو مغلوب غير مرة أو مرتين ، فمن فوق أريكته في جوف العريسة كان يتلقى وحي حياته، ويدير المعارك، وينفذ العظائم بحسب تعبير ابن الخطيب[١٨].

وقد لمح الى هذا ابن بسام في نصه المشار سالفاً اليه فقال : « جبار أبرم الأمر وهو متناقض ، وأسد فرس الطلى وهو رابض» ، وفي فقرة بعدها مباشرة يقول : « متهور تتحاماه الدهاة ، وجبان لا تأمنه الكماة » .[١٩]

---

(١٧) أعمال الأعلام ، جزء الأندلس ، ص : ٢٣٩ .

(١٨) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(١٩) من الواضح أن وصفه بالجبن في نص ابن بسام انما هو من وحي التقاليد التي تعد التخلف عن خوض ساحة النزال جبناً صراحا، ليس من شيم الرجال والأبطال بقطع النظر عما يكون هنالك من أعذار ، أو مذهب في التدبير أو الاحتراس ، على أن لابن بسام ملحظا دقيقا في هـذا التعبير ، فكأنه يريد أن يقول ان هذا الذي يطلق عليه عرفاً جبان هو نفسه الذي تتحاماه الدهاة ولا تأمنه الكماة ، فهو نوع من تأكيد المدح بما يشبه الذم، ومثل هذا المعنى انما يدرك بالسليقة. والمستشرق الكبير دوزي ، انما اختطف من نص ابن بسام كلمة الجبان فأخذها كما تؤخذ الكلمة من قاموس المفردات ، من غير اعتبار دلالتها في نظم الكلام ، ثم عمد فعقد عليها في كتابه « ملوك الطوائف » فصلا للمقارنة بين جبن المعتضد عباد العربي ، وشجاعة باديس صاحب غرناطة البربري ، مع أن أكثر من واحد من المؤرخين قد وصف المعتضد بالشجاعة التي لم يقصد ابن بسام قطعاً أن ينفيها عنه حسبما أشير اليه ، والغريب أن الاستاذ دوزي لم يخطر بباله أن يصف «فرد لند» بالجبن، بل وصفه بالشجاعة ، وهو الذي كان يتحامى المواجهة في حرب المسلمين كما هو معروف من موقفه عند حصار بلنسية ، وهو الذي أخلى المنطقة الواقعة بين نهري « دويرة » « ومنيو » (منديجو) فرقاً من التحامه بالسكان الذين كان يعلم حق العلم أنهم لن يعرضوا سلاحهم بحال ، وكم لهذه من مثيل عند هذا المستشرق العظيم ، ولكنها السليقة العربية قد امتنعت على جميعهم بشمم وإباء ، ومن غير استثناء .

ويبدو من استقراء أحداث السنين أن المعتضد الذي كان في ريعان شبابه عند جلوسه على عرش اشبيلية لم يكن في عجلة من أمره لإعادة الكرة على قرطبة انتصافاً من الهزيمة ، وثأراً لمصاب الأسرة ، وما من شك في أن الأحداث التي عرفتها الرقعة الاسلامية يومئذ ، قد كان لها أثرها في خطته المتريثة نحو حملة جديدة على قرطبة ، فقد شهدت تلك المدة عينها مرحلةً فاصلة في تطوُّر حركة الاسترداد ، وظهرت بدايتها المزعجة في حرب وادي الحجارة التي استعر أوارها طوال ثلاث سنوات نكدات (٤٣٥ — ٤٣٨) بين سليمان بن هود صاحب سرقسطة والمأمون بن ذى النون صاحب طليطلة ، وقد واجهت هذه الحرب صدر عهد المعتضد عباد بنذر استشراء الخطر النصراني واستعلاء فردلند بضرب الجزية ، وفرض الطاعة على الثغور الاسلامية ، وأخذه في هذه الحرب بمقادة الملكين المتحاربين ، فكان يصرفهما على هواه ، ويديرهما كاللعبة يمنة ويسرة كما يشاء .

وقد كان ابن عذاري موفقاً كل التوفيق حين عبر في أحد موضعين من كتابه « البيان المغرب » [٢٠] عن هذه الفتنة فقال : « وفي سنة سبع وثلاثين كان عيث النصارى بالثغر الأعلى والأدنى بأشلاء ابن هود وابن ذي النون » [٢١] .

---

(٢٠) الجزء الثالث ، ص ٢٢٠ — ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٢١) يقول ابن حيان : « ان أصل الفتنة في هذه السنة والتي قبلها من أحمد بن سليمان بن هود ويحيى بن ذي النون (المأمون) ومن تميز في حرب كل واحد منهما من أمراء الأندلس وأن رعيتهما كانت في أمر عظيم » وقد كان الخلاف شجر بينهما حول مدينة وادي الحجارة(تعرف أيضاً بمدينة الفرج) وما اليها من مراكز وحصون ، وكلها يرجع لعمل طليطلة ، ويبدو أن سكان منطقة النزاع هذه قد كان هواهم مع سليمان بن هود صاحب سرقسطة ، فخاض المأمون حرباً عواناً ضد سليمان مدى ثلاثة أعوام (٤٣٥ — ٤٣٨ هـ) وكانت طوالا نكدات على مناطق حدود الثغرين ، لذهاب المأمون في الاصرار على أخذ الثأر للهزيمة التي ألحقها به ابن هود على يد ولده المقتدر (فيما بعد) الذي استطاع أن يضم وادي الحجارة وأن يحصر المأمون في (طلبيرة) أسيراً : (المقصود بها طلبيرة التي تقع على نهر التاجه ، غرب طليطلة ، وليست (طلبيرة) الواقعة في غرب الجزيرة ، أي في منطقة البرتغال الحالية) ، ولم يفصم عنه الا بايعاز من والده سليمان الذي يبدو أنه آثر أن يقف عند هذا الحد تعففاً ورعاية ، ولكن عناد المأمون قد جمح =

وفي التعبير باللعب بالأشلاء ما يعطي صورة واضحة عن مبلغ تردي الأحوال الأندلسية في تلك الأثناء .

وسارت عجلة الأحداث بعدهـا في الجزيرة على وفق هوى « فردلند » وعلى دفع عاصفات الهواء اللافح من الشمال ، فأوحى الى المعتضد دهاؤه أن ينبري للجلى بإقامة العماد للتحدي والمواجهة والمصابرة في مستقبل الأيام ، فانصرف يلم الشتات بالاحتواء والامتداد ، وبتوسيع حجم المملكة ، ومد حدودها على الوجه الذي عرفناه ، حتى يجعل منها واجهته التي تتقطع على حدودها أنفاس الأعداء ، وكانت وسائله وأسبابه من جنس طبيعة عملية التوحيد التي أصبح تحقيقها من رابع المستحيلات في بنية مجتمع اصطرعت فيه النحل والأجناس ، وزقا على رأس كل فئة منها ديكها الصياح ، منادياً بحظه في الرياسة ، وبمجاله الحيوي في باحة الدار الموروثة عن الخلافة .

وهكذا ، ظهر عباد رهيباً من أول يوم ، مدرعاً لامتداده ، وانسياحه شرقاً وغرباً بالأسنة الحداد ، وبشباك الختل والحيلة والدهاء ، وتبرجت لهذه «المعتضدية»

= به الى آخر المطاف ، فلم يتحرج – وهو المجرب الذي لا يخفى عليه ما في الاتكاء على هؤلاء النصارى من محظور – من أن يندبهم للانتصاف له وأخذ الثأر ، فلاذ بالطاغية « فردلند » الذي دفع بكتائبه فانهمكت مخربة مدمرة في أراضي سرقسطة، وكأنه يخدم بذلك حركة الاسترداد عن طواعية ورضا من المسلمين بالجزيرة ، وإذا بصاحبها سليمان بن هود ينزع الى المزايدة عند الطاغية نفسه ، فانقلب هذا على المأمون ، ولوى أعنة خيله في اليوم التالي ليخرب أراضي طليطلة بموجب الأجر المضاعف من ابن هود ، وظل الطاغية يلعب على الحبلين ، ويخرب لمصلحة تراب المملكتين ، وأمعن المأمون في اللجاجة ، غير راكن الى أناة أو روية ، فسارع للجنوح الى « غارسيا » صاحب « نبرة » (نافار) والاستعداء به على أخيه « فردلند » ، ومن ثم أصبح الأخوان النصرانيان يتقاذفان – على ما بينهما من تنافس – الملكين المشتبكين في ساحات النزال، كما يتقاذف اللاعبون الكرة في ميادين الألعاب ، وفي غمار ذلك فتح « غارسيا » حصن « قلهرة » في أرض صاحب سرقسطة وضمه الى غنائمه وأسلابه ، وكأنه رزق ساقه الله اليه في طريقه لقطة في صحراء لا مالك لها ، ولا في أرجائها ساكن .

وما همدت حمى المأمون إلا بوفاة صاحب سرقسطة سليمان بن هود، وبتدخل المتدخلين لايقاف وقائع يندى لها الجبين لمجرد السماع ، فضلا عن الغرق في حمأتها الى الأذقان .

سماتها وقسماتها في فظاعة السطوة ، وشدة القسوة ، وسوء الاتهام على الطاعة ، والأخذ بالظنة ،والإخفار للذمة ، وكياد الملوك والعامة ، الى غيرها من تلك المهولات التي حمل عليها المعتضد عباد ، وتلعثم أمامها لسان المؤرخ ابن حيان وهو يعددها مؤكداً تارة ،ومتشككاً أخرى ، و التي سجلتها فقرات أخرى عند غيره من المؤرخين ، وأضفت عليها رنات الأسجاع جهارة وهولاً ، ومن خلال هذه الفقرات أصبحنا اليوم نتراءاه أسد الجزيرة كما لقبوه حقاً ،وكما شاهده معاصروه في لبدته وأظافيره ، ورهبوا طلعته المهيبة من قريب ومن بعيد ، وكما خبر فيه الأعداء الحصن المنيع ، الذي راموه فعز وطال ، وتأبى بشهامته وبأصالته العربية عن الاستخذاء والاتضاع .

محاولة عزمة عبادية

ولعل من المواجهات في الصراع الصامت ، والحرب الباردة الدائرة بينه وبين حركة الاسترداد أو من المصادفات الباطنية للزمان ، أن عرف عام ٤٤٩ هـ عزم المعتضد على غزو قرطبة ، وذلك بقيادة ولده اسماعيل ، ولكنه أحجم عما عزم ، لأن نفس العام عرف خطوة « فردلند » الفارعة لاحتلال التراب الاسلامي بانتزاعه من المظفر (٤٣٧ – ٤٦١ هـ) ابن الافطس (صاحب بطليوس) مدينتي « بازو » و « لميقة » (وهما في منطقة « لوزيتانيا » على نهر التاجه شمال بلاد البرتغال) وقد كان ذلك من « فردلند » بداية تنفيذه لمخطط مرحلي ، يهدف الى تطويق التراب الاسلامي ، حسبما تجلى للعيان عندما أعلن المعتمد بن عباد الصريخ ، فقد كان ابنه « الفونش » محاصراً سرقسطة في شرق الجزيرة ، ومقسماً على افتتاحها بأغلظ يمين عندما أدركته خيل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

وستعوضنا أخرى مماثلة ، ولكن يبدو أنها مجرد مصادفة ، وليست مشدودة بخيط من وراء الى مقاصد حركة الاسترداد ، ومع ذلك خدم الحظ فيها مرمى « فردلند » . وهكذا جاءت خيانة ولي عهد المعتضد وقائد جيشه اسماعيل عام ٤٥٠ هـ ، لتطفيء شعلة العزمة العبادية على غير انتظار ، وكأنما لفحها هبوب

من الشمال . وقصة هذا أن المعتضد ــ وهدفه تجاه قرطبة معروف المبدأ والمنتهى ، وملح على الأسرة العبادية في الليل اذا يغشى وفي النهار اذا تجلى ، قد أنهض اليها في العام المذكور ولده ولي عهده اسماعيل ، ولكن الذي حدث أن الولد القائد استصعب مهمة الهجوم على قرطبة كما تفيد احدى روايتين ساقهما صاحب البيان المغرب [٢٢] ، وذلك تأكداً منه أن باديس بن حبوس صاحب غرناطة جاهز للنجدة ، وبمثل الحمية التي اندفع بها من قبل لكسر الحملة العبادية ، وقد عمد قائد الحملة المعتضدية ، فعرض على أبيه تخوفاته فاستجبنه ، وكان ما كان من عصيانه وثورته التي انتهت بنهايته خنقاً بيد نفس والده (*) وتفيد رواية ثانية يسوقها ابن عذاري [٢٣] أيضاً أن الابن القائد كان يضمر في نفسه قبل ذلك غدر والده والثورة عليه ، للاستقلال والاستبداد ، وأن قرناء السوء ومن بينهم أحد الوزراء زينوا له العقوق ، لينفردوا معه بالجزيرة الخضراء وما يليها في أقاصي المملكة ، حتى لا تكون لأحد عليهم يد بعدها .

وهذا نفس ما أعلنه المعتضد في الكتاب الذي وجهه الى صاحب سرقسطة من بين الكتب التي وجهها الى رؤساء الأندلس لاطلاعهم على جلية الواقع في الحادثة ، ولم ترد بالطبع في الفصل الذي نقله ابن عذاري من هذه الرسالة قصة جبن ولده تجاه ما كان يتوقعه من مكاثرة تأتي على جنده الذي يرى أنه لايكفي لملاقاة باديس.

وإن الباحث ليستجلي في قصة التخوف من مهاجمة قرطبة ، أن المعتضد ــ وهو أعرف بقصة المكاثرة ، وأدرى بأن التاريخ قد يعيد نفسه ــ قد أعد ولا ريب عدته وفق خطته في الاستناد الى أساليب حيله ومخادعاته التي تتيح لتسللاته أكثر من مسلك لكسب الرجال ، وشراء الضمائر ، والتراكن مع من بيدهم وإليهم الحل والعقد في لحظات الحسم ، وعند اضطراب الأحوال .

(٢٢) الجزء الثالث ، ص : ٢٤٨ .
(*) المعجب للمراكشي ص ٥٥ ، ط ــ سلا .
(٢٣) البيان المغرب ، الجزء الثالث ، ص : ٢٤٤ وما بعدها .

وبعدها ، أقصر المعتضد صاغراً ، وسد على الذيول ، والتعاليق ، والتقولات والهمسات في الآذان ،سبيل الذيوع أوالانتشار بهذه الكتب التي وجهها الى الرؤساء لتملأ رؤوسهم بما شاء ، ولتشغل فضول الناس ، ثم انصرف عن القيل والقال ليصرف جده الى قرطبة من غير تريث ، لايعتدها عليه الملأ رجعة نهائية ، وارتداداً عن العزمة العبادية .

ولقد استجدت في ذهنه مزعجات من شأنها أن تلوي بتخمينه عن مجراه ، وتنقله من حال الى حال ، فهو يرى في ابن السقاء وزير الجهاورة حاجزاً دون أيّ انطلاق الى قرطبة أو الى قلوب جهاورتها الذين ما زالوا متطلعين الى اليد العليا ، والتمسك بالانفراد، وحقاً ما يراه المعتضد، فهذا الوزير «آخذ بخطط الملك أجمعها» كما يقول ابن بسام ، ويقول فيه ابن القطان [٢٤] : « قد كان أبو الوليد بن جهور قدمه على أموره كلها ، فضبطها أحسن ضبط ، وساسها أحسن سياسة ، فغصّ به ابن عبّاد صاحب إشبيلية ، وضعف طمعه بسببه في قرطبة » . كما أن المد النصراني كان آخذاً غرباً وشرقاً في الانسياح والاكتساح . فبعد ظاهرة شروع النصارى في احتلال التراب ، ومنذ استيلاء « فردلند » على « بازو » و « لميقة » عام ٤٤٩ في آخر الثغر الجوفي غرب المنطقة الاسلامية ، انبرى عام ٤٥٢ هـ لغزو الحدود الجنوبية الغربية لسرقسطة ، وأكد فرض الجزية على صاحبها المقتدر بن هود ، ثم اذا هو يكر مرة أخرى على ناحية الغرب ويفرض على ابن الأفطس الجزية والطاعة ، في مقابل رفع حصاره عن مدينة « شنترين » الهادئة ، ثم ولى وجهه عام ٤٥٤ — كما سنعرف بعد — للعيث والسبي في المدن والبسائط الواقعة في الشمال الشرقي للثغر الأدنى ، ويفرض على صاحبه ابن ذي النون الطاعة والجزية ، والمزعج في هذا أن فردلند كان في جولاته هذه معنياً بالاستيلاء على المعاقل والحصون يمنة ويسرة ، مما ينادي بأهدافهم في شل دفاع المسلمين واجتياح جزيرتهم لقمة سائغة في جولة صباح أو أمسية .

(٢٤) بواسطة البيان المغرب ، جزء : ٣ ، ص ٢٥١ .

تشوّف صاحب طليطلة المأمون بن ذي النون الى قرطبة

ثم هذا المأمون بن ذى النون لم يعد يتحرج من إظهار هواه لحو قرطبة ، ويقول ابن بسام[٢٥] : « قد خامر نفس يحيى بن ذى النون (المـأمون) من الشغف بقرطبة ما هوّن عليه إنفاق المال ، واحتمال الأثقال ، وتكلف الحل والترحال ، فهي مضمار خيله ، ومدرج سيله ، وحديث نفسه ، وهمّ يومه وأمسه » .

ويبدو أن المأمون كان يتعمد في أي مناسبة الهمس في أذن المعتضد بهواه في قرطبة ، لافتاً نظره من طرف خفي الى دالّته في الاعتراف بالدعوة لهشام ، وأخذِ البيعة له في طليطلة ، وذلك بعد سابق امتناع ورفض من المملكة الذنونيـة ، وإنها في الحقيقة لدالّة ،اذا جعلنا نصب العين أن سياسة العباديين العليا قائمة على هذه الأسطورة ، وزعامتهم معقودة بالاعتراف بعهد هشام الى المعتضد عباد ، فليس بالكثير بإزاء هذا أن ينتظر المأمون صاحب طليطلة من ابن عباد إثابته بالتنازل عن غرضه في قرطبة ، وبمساعدته أيضاً على أخذها من يد الجهاورة ، ولقد كان المعتضد غير متحرج من اعطاء الوعد بالتنازل والمساعدة ، مثلما كان أعطاه الوعد من قبل بمظاهرته في محاربته سليمان بن هود صاحب سرقسطة ، وقد كان الصدق في وعود المعتضد غير معهود ؛ مثلما قيل إن سلمه شر غير مأمون ، والغالب على الظن أن كلاً منهما كان يعرف صاحبه ، والمقارضة بينهما سائرة بين التماس هذا ، ووعدِ ذاك ، إذِ الصراع الخفي بين الرجلـين قائم ثابت وسط لجج هذه المراوغات والمكايدات .

ولقد زاد من حدة هذا الصراع أن الأحوال في قرطبة أصبحت مواتية لانتهاز الفرصة ، فأبو الوليد بن جهور قد قعدت به الزمانة ، وعجز عن متابعة اقتفاء سيرة والده أبي الحزم[٢٦] حتى النهاية ، فخانه الحزم ، وقسم مهام دولته بين ولديه ،

---

(٢٥) الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني ، ص : ١٢٤ .

(٢٦) أعمال الأعلام ، الجزء الخاص بالاندلس ، ص : ١٤٨ ، ط بيروت .

عهد الملك وعبد الرحمان ، وضعف أمام فرط محبة كان يؤثر بها عبد الملك أصغر ولديه ، (فخصه بحظ رغيب من أمره) ، وبذلك نشب صراع [٢٧] بين الولـــد والوزير ابن السقاء الذي كان مدبر شؤون الدولة والضـــام لأطرافها بكـــل يقظة واحتراس من أصحاب الأطماع فيها .

وقد كان ابن عباد يرقب من عريسته الأحوال بعين لا تنام ، وينسج بدهائه شبكة الحيلة للاطاحة بهذا الوزير الذي كان شجاً في حلقه بحسب تعبير ابن الخطيب ، ويقول ابن القطان بحسب ما ينقله عنه ابن عذاري [٢٨] : «فحرّض (المعتضــــد) عليه عبد الملك بن أبي الوليد ، وأغراه بقتله لينفرد بالحال مكانه ، وكان عبد الملك ضعيف العقل ، سيء الرأي ، فعلم ابن عباد أنه إن قتل ابن السقاء واستولى عبدالملك كانت قرطبة في يده » .

وقد أعرب ابن الخطيب عن طريقة هذا الإغراء ، فقال : «فدس المعتضد الى الوزير ابن السقاء مَن أغراه بحب الملك ، وأغرى أميره عبد الملك بعملية الفتك» ونجحت الحيلة ، وقتل ابن السقاء عام ٤٥٥ هـ وأصبح عبد الملك محاطاً بطائفة من المفسدين ، وسفال الناس ، فنحى أخاه واستبد ، وطغى ، وفسق ، وعسف في الرعية ، وتكره الى الناس ، وبذلك أثار في أهل قرطبة نوازعهم التقليدية في تغيير الحكام كلما جد جديد في الأحوال .

وبهرت عبد الملك عظمة سلطان المعتضد ، فاستنام الى صداقته وضيافته ، مثلما غفل عن مداخلات المأمون بأمواله وألطافه ، وبذلك كان يجهز بيده هذه الحسناء لهؤلاء الخطاب الأشداء .

---

(٢٧) راجع تفاصيل هذا الصراع في الذخيرة لابن بسام–القسم ٤ ، الجزء الأول ابتداء من الصفحة ١٨٩ .

(٢٨) البيان المغرب، الجزء الثالث، ص : ٢٥١ .

زعيم حركة الاسترداد ينهد لشل نيّات إشبيلية وطليطلة تجاه قرطبة

وكان من المنتظر بحكم هذا السياق أن تسير القصة الى نهايتها في السنةنفسها ، أو التي تليها ، وذلك بمبادرة من المعتضد أو المأمون للنزول على قرطبة ،ولكن الذي حدث كان إذ ذاك فوق إرادتهما ، ويمكن للباحث اذا ما التفت في نفس الظروف الى نشاط حركة الاسترداد ، وتابع خطواتها المحكمة ، أن يلاحظ أن رقـابة « فردلند » ساهرة من بعيد ومن قريب على قرطبة ، واهتمامه بوضعيتها على الوجه الذي أشير اليه في احدى الصفحات السالفة ، قائم ماثل ، فما يُبيّت لها اليوم قد أزعجه وأقَضّ مضجعه كالسابق ، فانبرى لردع المأمون والمعتضد بشل عزمتهما ، وإطفاء شعلة الأمل في نفوسهما ، بمثل وسيلته السابقة ، فليس من المصادفة أن يتصدى عام ٤٥٤ هـ – أي في الوقت الذي ضعفت فيـه قرطبـة ، واشرأبت اليها أنظار الطامعين – للعيث والفساد والسبي في الشمال الشرقي لمملكة طليطلة، وذلك ما أطار صواب صاحبها المأمون بن ذي النون ، وأثار جزعه وهلعه ، فخرج عن كنوز ذهبه،وفاخر أعلاقه ، وقدمها الى الطاغية ، معلناً اليه الولاء والطاعة . ثم ماعتم « فردلند » أن نزل على أرباض إشبيلية بالذات ، وأخذ يحرق حقولهـا وبسائطها ، وأخيراً أجلب بخيله ورجله محاصراً العاصمة نفسها ليفرض على أسد الجزيرة الجزية ، ويقضي على آخر مصباح كان يزهر بالآمال ، في ردّ العادية النصرانية عن تلك الأرجاء .

وقد كان لهذا أثره في صحة عباد وفي نفسيته ، وتشاء الرواية النصرانية أن تزعم أنه حبا على قدميه الى معسكر « فردلند » ومن ورائه الزاملات محملات بالهدايا والألطاف ، كما تعرضه في حالة ضعف نفساني وجسماني بعث الرقة في قلب « فردلند » فرثى لحاله ، واكتفى منه بالجزية ، ثم أقلع عن أرضه ، ومنذ ذلك الحين بدا أسد الجزيرة مهدّم الكيان قبل الأوان ، وتهجم عليه الشيب ، ودّب اليه الهرم ولما يزل في الريعان ، وذلك ما كان يخطط له « فردلند » منذ بعيد حتى يقتل في

ذلك الجبار كل تطلع الى الأمام ، ويطيح باشبيلية التي ظلت قلعة شماء في عهد الفَرَق والفرقة ، الى أن نزلت بها هذه النازلة ، وهي التي خلفت أسد الجزيرة حتى آخر حياته مخالطاً أو شبه مخالط ، فلا تنتفض فيه غير همة تناوشتها العقد ، فأخذ يظهر من حين الى حين قوته في نطاق مشروع الأسرة العبادية للامتداد ، وكأنه يستعيد في يقظته حلماً بما فيه المشع بالعزة والكرامة ، والمدوي بإصداء انتصار إثر انتصار .

المنية تدهم (فردلند) زعيم حركة الاسترداد وترد الى المعتضد عباد أنفاسه

وهكذا أتيح له عندما دهمت المنية « فردلند » عام ٤٥٨ ھ أن يتنفس الصعداء ، ويضرب ضرباته الأخيرة بانتفاضة دهائه ، وبسيف ختله وحيلته ، وبحشود أجناده ، ففي غيبة حركة الاسترداد حيث كان الإخوة أبناء « فردلند » في الحرب الطاحنة التي تناحروا فيها على الزعامة من سنة ١٠٦٧ ، الى ١٠٧٢ اندفع المعتضد يجندل الإمارات البربرية في شرق المملكة حتى قضى عليها ، وبدا بذلك وكأنه يقتص بهذه الخبطات اعظمته المكلومة وزعامته المثلومة .

وقد استشرف في هذه الانتفاضة الى « مالقة » وهي يومئذ على ملك باديس كبير البرابرة ، فمني ابنه أبو القاسم (المعتمد) بهزيمة نكراء سجلتها على مدى الدهر رائيته التي اعتذر فيها لوالده ، وسكن بها بث فؤاده .

المنية تعاجل المعتضد عباد صاحب اشبيلية

ثم حاول أن يداري خيبته بمكسب الاستيلاء على قرطبة ، وكأنها كانت منه ضربة مستميت في آخر لحظة ، فقد عاجلته منيته عام ٤٦١ ھ ، وأدبر عن دنياه ولما يحقق من العزمات العبادية للظفر بها غير تمهيد الطريق بشبكة حيلته التي جندلت الوزير ابن السقاء ، وأراغت عبد الملك بن جهور قنيصةً وتابعاً يدور في

فَلَكَ نفوذ اشبيلية على عهد مقطوع بالدفاع عن الحسناء،وما وفى هذا الداهية بعهد من عهوده التي كان يطلقها ختلاً ومكراً بغير حساب .

وقضى الله أن يكون المعتمد وارث الأريكة،ووارث أمل الأسرة العبادية في المسيرة الحاسمة الى قرطبة .

أما المأمون بن ذى النون،فما كاد ينفصم عنه وقع الهول الذي أصاب الجزيرة بحملة « فردلند » القاهرة ، وما كاد يسترد أنفاسه بإدبار العظيمين عباد و « فردلند » حتى انتصب متطلعاً الى الانتزاء على الزعامة الأندلسية ، وبدا له الطريق لاحباً بعد موت عباد ، الذي كان يحرس زعامته بعين لا تنام ، وسيتاح له – فيما يرى – بالنكول عن أداء الجزية أن يؤمن لشخصيته الشفوف والاعتبار في آفاق الجزيرة ، وسترى فيه ذلك الأبي الذي اختارته العناية الالاهية لتحطيم الربقة النصرانية ، ولربما كان يعتقد الى جانب هذا أن لم يبق للعباديين حق ولا نصيب في هذه الزعامة بعد أن استخذى عباد بدفع الجزية في حياة « فردلند » واتضع باعطائها حتى لابنه « غارسيا » أصغر الأمراء ، فليس بين المأمون وزعامته المنشودة غير الخطوة التالية نحو قرطبة ولا مراء .

المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ينتهز الفرصة ويحرك كتائبه نحو قرطبة

وحرك كتائب جيشه اليها عام ٤٦٢ هـ ، وتلك هي المبادرة الذنونية التي شاءت الأقدار ان تصرفها لمصلحة الأسرة العبادية،فعقدت بمسيرة المأمون تحقيق أمل بني عباد الذي انبهرت في طريق الوصول اليه الأنفاس ، وسقطت أنفس ، وحزت رؤوس ، وفلّت عزمات ، وأخيراً شاخ عندها عباد وهزم ولما يزل فيشرخ الشباب كما عرفنا منذ لحظات .

ولنستمع الى ابن بسام [٢٩] متحدثاً عن الواقعة (*) التي انتهت بالوقيعة

(٢٩) الذخيرة : القسم الأول ، المجلد الثاني ، ص : ١٢٤ .

(*) أنظر تفاصيل القصة أيضاً في أعمال الأعلام،جزء الأندلس،ص ١٧٣ وما بعدها،ط–الرباط =

ببني جهور، وأطلق عليها المؤرخ ابن حيان « البطشة الكبرى » ، فعبر عن حقيقتها وواقع الحال فيها .

وسنصغي الى الشيخ، حتى اذا أخذ يساوره التعب ، ملنا بعض لحظات على صاحب كتاب « الأنباء في سياسة الرؤساء » ريثما يسترد الشيخ أنفاسه ويعود الينا بجهارته التي ابتدأ بها حين قال : « فلما كانت سنة اثنتين بعدها ، أي بعد سنة إحدى وستين وأربع مئة ، دلف ابن ذى النون الى قرطبة وكان لا يغبها شره ، ولا ينام عنها مكره ، فاحتاج عبد الملك بن جهور الى استمداد المعتمد لانفضاض من لديه ، وعجزه عما كان أسند من تدبير قرطبة اليه ، فأمده المعتمد بجمهور أجناده، على أكابر قواده ، وقد تقدم اليهم بمراده ، ونهج لهم سبيل إصداره وإيراده . فوافوا قرطبة، ونزلوا بربضها الشرقي ، وأقاموا بها أياماً يحمون حماها ، وأعينهم تزدحم عليه ، ويذبون عن جناها ، وأفواههم تنجذب اليه . فلما كمل ابن ذى النون سفره واحتواه ، وقضى من غزو قرطبة وطره وما قضاه ، أخذ في الرحيل عنها ، فما انقشعت سدفة ليله ، ولا تمزق غبار سنابك خيله ، حتى هتك العباديون الحريم ، وركبوا الأمر العظيم ، وباتوا متحدثين بالقفول ، ثم غلّسوا مظهرين للرحيل، وعبدالملك متأهب لتشييعهم ، عازم على البكرة الى توديعهم ، وشكرهم على حسن صنيعهم ، فلم يرعه الا إحداقهم بقصره ، وارتفاع أصواتهم بالبراءة من أمره ، وقد تمخضت له ليلته عن يوم عقيم ، وافترناجذ صبحها عن ليل له بهيم ، ومشى من أنصاره هنالك بين أسود مسموم ، وأسد شتيم :

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه تصيده الضرغام فيمن تصيدا » .

ويتابع القصة صاحب كتاب [30] « الأنباء في سياسة الرؤساء » فيقول :

= وراجع تاريخ ابن خلدون ق الأول ، ج الرابع ، ص : ٣٤٤ دار الكتاب اللبناني – ويلاحظ أن في طبعات ابن خلدون خصاصا لم يترك لموضعه بياض كما هو المعتاد في الطبعتين، وبذلك اختلطت في السياق قصة دخول ابن المعتمد قرطبة أثر الاستيلاء عليها عام ٤٦٢ هـ بقصة دخول المأمون بن ذى النون اليها عام ٤٦٧ هـ/١٠٧٥ م .

(٣٠) بواسطة البيان المغرب ، الجزء الثالث ، ص : ٢٦٠ .

« ثم قدّم القائدان على الباب من ضبطه ، وأسرعا التقدم في الجند والعامة الى دار عبدالملك بن جهور ، فاستوى هو وخويصته فوق داره ، وتكاثر الجند عليهم ، فأتوه من كل جهة ، وتواصلوا الى داره من السقف المتصل به ، ونزلوا منه الى قعرها ، وغشيها جموع من الناس أعلاها وأسفلها كالجراد المنتشر ، فتقدمت العامة على النهب فصيروا جميع ما احتوى عليه قصره كحريق سريع ، وفضوا أقاصي مخازنه على نفيس أعلاقها ، وأما الشيخ أبو الوليد والده رب القصر فأوى الى المقصورة ببناته وكرائمه ، فاقتحمها عليه قوم من النصارى ، فجردوهم ونهبوا ما عندهم ، فأصبح أميراً ، وأضحى أسيراً » .

ويزيد ابن بسام توضيحاً لحالة أبي الوليد يومئذ فيقول : « وكان اذ ذاك مائل الشق ، مفلوج الشدق ، مغلوب الباطل والحق ، لم تحفظ له حرمة ، ولا رعي فيه إلّ ولا ذمة . بلغني أنه لما وسط به قنطرة قرطبة خارجاً منها على مركب هجين ، وحاله تقر عيون الحاسدين ، رفع يديه الى السماء ، وأخذ يبتهل في الدعاء ، فكان مما حفظ عنه قوله : اللهم كما أجبت فينا الدعاء علينا ، فأجبه لنا ، ثم مات بعد أربعين يوماً من نكبته بجزيرة « شلطيش » (*) مزال النعمة ، مدال الحرمة ، وأمرت ساقته بها ، أقاموا هنالك بقية أيام المعتمد ، يأخذهم الحدثان ويدعهم ، ويخفضهم الزمان أكثر مما يرفعهم » .

هذه قصة البطشة الكبرى ، وقد اصطلح الغدر والخيانة والقساوة والسلب والنهب كما ترى على امدادها بعناصر المأساة ، حتى ليبدو أن روح المعتضد كانت مسيطرة على الساحة ، وأن الزبانية الاشبيليين قد استوحوا أساليب المعتضد بعجرها ، وكأنهم كانوا يسيرون خطوة خطوة على وفق توجيهاته الصادرة منه الى ميدان المداورة وهو رابض في عريسته بحدائق قصر اشبيلية .

(*) لم يعد اليوم لهذه الجزيرة موقع في خريطة اسبانيا لطغيان الماء عليها .

وليس معروفاً أن المعتمد ولده ، ومتولي الأمر بعده ، قد كان على إرث من خلائقه التي جاء منها بمهولات ، على حد تعبير سابق لابن حيان ، والحقيقة التاريخية تقول على لسان ابن الأبار في الحلة [٣١] السيراء إن المعتمد كان مخالفاً لأبيه في القهر والسفك والأخذ بأدنى سعاية ، بل إنه كان حتى فيما شارك فيه أباه من الولع بالخمر ، والانغماس في اللذات،على غير مذهبه وحاله ، فالوالد سار على حد قوله :

قسمت زماني بين كدّ وراحة ... فللرأي أسمار وللطيب آصال

وأمسي على اللذات واللهو عاكفاً ... وأضحي بساحات الرئاسة أختال

في حين كان مذهب الولد الاستغراق في لذاته ، والاناخة الى الروض والنسيم بين ندماه وقيانه ، حسبما سجع الفتح في قلائده ، وبعبارة ابن الابار [٣٢] : « كان منغمساً في اللذات،عاكفاً على البطانة،مخلداً الى الراحة،فكان ذلك سبب عطبه » .

من كان وراء البطشة الكبرى ؟

وعند هذا ينشأ في نفس الباحث هذا السؤال :

من كان وراء كبر هذه البطشة الكبرى بالمجاورة التي لا تنسجم مع خلق المعتمد بن عباد ، وانسانيته [٣٣] وسماحته وسجاحته ، وكلها محامد مشهود بها ؟

وإن إلحاح السؤال ليطغى ولا سيما حين تثب الى الذهن وتعلق به صورة إجلاء أبي الوليد بن جهور وكرائمه عن مقصورة المسجد ، ثم الإلقاء بالشيخ الواهي

(٣١) الجزء الثاني،الصفحة : ٥٤ ، تحقيق حسين مؤنس .

(٣٢) الحلة السيراء،الجزء الثاني الصفحة : ٥٤ ، تحقيق الأستاذ حسين مؤنس .

(٣٣) انظر المعجب ط،سلا،ص : ٥٩ – الاحاطة ج ٢ ، ص ١٠٩ ،تحقيق الأستاذ محمد عبدالله عنان – أعمال الاعلام جزء الاندلس،ط بيروت،ص : ١٥٧ ، وراجع بعض كتب ومنشورات صدرت عن المعتمد الى عماله – مخطوط القسم الثاني لابن بسام لدى ترجمة المعتمد .

المفلوج (بين عدلي تبن على ظهر زاملة) تسير الهوينى فوق قنطرة قرطبة العظيمة التي خنست لها ظلال الركب المطرق الحزين ، حين انتصبت لها عظمة أبي الوليد المفلوجة ، وزجت في وشل ريقه المنسكب على لحيته وصدره بذلك الدعاء الصامت الجهير .

وتلك هي الصورة التي تزيد في معنى كلمة البطش التي عبر بها شيخ المؤرخين، وأزعجت ولا ريب الباحثين للتساؤل عن هوية من كان وراء ذلك الحادث المبير .

والأصل أيضاً في هذا التساؤل أن المؤرخين القدامى ، ومن بينهم المعاصرون للحادث كابن حيان ومن كان قريباً للعصر كابن بسام ، قد سكتوا عن كل اسم من الأسماء باستثناء اسمي قائدي كتائب اشبيلية،وهما خلف بن نجاح ومحمد بن مارتين اللذان جاء ذكرهما في رواية ابن الخطيب عند ترجمة عبد الملك بن جهور من كتاب « اعمال الاعلام » ، وهكذا سلكوا في ذلك المسلك العام ، بسرد الأحداث في نطاق عهد الملك المتولي ، من غير جنوح الى نبش الأسرار بعزو التصرفات الى من كان صاحبها الفعلي أو مدبرها من وزير ، أو مشير ، أو محظية أو قائد ، أو نديم ، ولكن الافادات التي سجلوها عن عهد المعتضد عباد الغنية بمهولات الأحداث ، قد أمدت المؤرخين (غير المعاصرين) والباحثين المحدثين بما فسح لهم في طريق الاجتهاد والتخمين .

وفي طليعة هؤلاء الأستاذ النابه علي عبد العظيم الذي يُعَدّ كتابه : (ابن زيدون ، عصره ـ حياته ـ وادبه) أوسع البحوث فيموضوعه، لما امتاز به من شمول واحاطة بجميع أطرافه ، وتحقيق المناط في كل ما يشكل من سيرة مترجمه .

وهذا ما يحدو الباحث على قصر المواجهة بالمناقشة على ما جاء في كتاب الأستاذ علي عبد العظيم دون سواه ،من حيث انه جمع ووعى كل ما جاء به المتقدمون والمتأخرون في المقام ، وسد مسد الجميع ، فما يعمه في هذه المناقشة يعم سواه .

وكان اعتماده ، أولاً : على جملة نصوص تاريخية استنطقها واستنزف مدلولاتها للتوصل الى الجواب ، بأن ابن زيدون هو الذي كان وراء تلك المأساة .

وثانياً : على تعزيزه لهذه النصوص بالرجوع الى الملابسات التي تحف بالمقامات وبالرجال، فسرح بنظراته — ابتداء من جو سيرة المعتضد التي تعدُّ من المرهصات بما جرى وكان ، الى المعتمد ولده وخلفه الذي نزلت الحاقــة بالجهاورة في عهده ، فاستوحى الأحداث والمصالح وكل الدواعي النفسية عند كل من المعتضد وابنه المعتمد ، وشاعرهما ابن زيدون ، واستقصى كل الحركات والسكنات .

وهكذا قال ، وهو يتحــدث عن أبي الوليد بن جهور [٣٤] : « كان المعتضد يتشوف الى قرطبة ومن خلفه ابن زيدون ، يؤجج فيه هذه الرغبة ، فدس المعتضد الى عبد الملك (ولد أبي الوليد بن جهور) من أغراه بالفتك بابن السـقاء وزير الجهاورة ، ففعل » .

وعند استعراض أسباب تغير الشاعر ابن زيدون — مترجمه — على بني جهور وهجرته عن بلده وانتجاعه اشبيلية المعتضد، قال : [٣٥] « أما حنينه الى قرطبة فقد حمله على أن يذكي في المعتضد شهوة فتحها ، ويسهل عليه أمر اقتحامها ، ويدبر له وسائل نيلها ، ونرجح أنه هو الذي حرضه على إرسال ابنه اسماعيل لمهاجمتها . فلما خاب أمله فيه ، عاود تذكير المعتضد بها ، فشرع يدبر لها الوسائل ، ويحوك الدسائس » .

وفي الترجمة التي عقدها للمعتضد [٣٦]، ولدى تعرضه لوزيره وشاعر بلاطه أبي الوليد بن زيدون قال : « ونحن نعتقد أنه (أي المعتضد) كان يدخره لفتح قرطبة فضلاً عن أنه كان ينهض له بأعباء لا ينهض بها غيره » .

---

(٣٤) ابن زيدون: عصره وحياته وأدبه ، ص : ٣٧ .

(٣٥) ص ٢٧٥ ، من كتاب ابن زيدون ، حياته وأدبه .

(٣٦) ص ٤٤ ، من كتاب ابن زيدون ، حياته وأدبه .

وفي النبذة الخاصة بالمعتمد [٣٧] يقول : « وقد وثق بعمال أبيه (المعتضد) ، فاستعان بهم ، وخاصة بابن زيدون حيث أصم أذنيه عن سماع الوشايات ، كما استعان به في فتح قرطبة وتحقيق حلم أبيه » .

وتحت عنوان : فتح قرطبة [٣٨]، قال : « والواقع أن الأمير الجديد (المعتمد) كان بحاجة قوية الى الشاعر ليستفيد بخبرته وحنكته وتجاربه ؛ وليتم التدبير الذي بدأه لفتح قرطبة » .

وقد لخص في هذا الفصل قصة ما راج على عهد المعتضد استعداداً لفتح قرطبة، وابتداء من الكلام على الجهاورة ، وقضية وزيرهم ابن السقاء ، وانتهاء بالسباق نحو قرطبة بين المعتمد وبين المأمون بن ذي النون الى أن أرسل هذا جيشه عليها ، والى أن خفّ اليها المعتمد منافحاً مدافعاً ، ثم سرعان ما انقلب عليها فاتحاً مالكاً، وبأثر هذا عاد الى إعلان ترجيحه بأوسع ممـا سبق، فقال : [٣٩] « ونريد هنا أن نرجح أن ابن زيدون كان من خلف هذه التدبيرات جميعها، لأنه كان يتوق الى قرطبة ، مدرج صباه وموطن هواه ، ويحن اليها أعنف الحنين ، ولم يفارقها إلا مرغماً بعد عدة محاولات ؛ فمن الطبيعي أنه يتمنى العودة اليها ، ويذكي نهم ابن عباد الى التهامها حيناً بعد حين ، وكان ابن زيدون ينفس على ابن السقاء أنه أصبح الوزير الأكبر لابن جهور ، وكان يتمنى هذا المنصب لنفسه . فلما يئس من بلوغه، هاجر عن قرطبة الى اشبيلية ؛ فمن المألوف أن يشترك هو والمعتضد في تحريض عبد الملك بن جهور على الفتك بابن السقاء » .

ثم يضيف الى هذا : « وإن الشاعر ليعلم مقدار بغض أهل قرطبة للبربر ومقتهم لهم ، وابن ذي النون زعيم من كبار زعمائهم ، فمن المألوف أن يحرض

---

(٣٧) ص ٤٥ ، من كتاب ابن زيدون ، حياته وأدبه .
(٣٨) ص ٢٨٣ ، من كتاب ابن زيدون ، حياته وأدبه .
(٣٩) ص ٢٨٥ ، من كتاب ابن زيدون ، حياته وأدبه .

المعتضد على الاتفاق مع ابن ذي النون ليلتهم، الأول «قرمونة» على أن يعين الثاني على فتح قرطبة ، ثم يغدر به بعد هذا ، واثقاً من أن ابن ذي النون سيندفع لتنفيذ رغبته ، وأنه سيجد مقاومة عنيفة من أهل قرطبة ، موقناً من أن بغضهم للبربر سيحملهم على الاستغاثة بابن عباد. وقد تم هذا فعلاً ، وابن زيدون هو أخبر الناس بميول مواطنيه ، وهو المستشار الأمين لابن عباد » .

وزاد الأستاذ علي عبد العظيم معللاً تدخل أبي الوليد بن زيدون ومقحماً شاعر المصر حتى في عملية الغدر والخيانة والبطش التي ألبست الاحتلال والانتزاء بالمفاجأة لبوس الحماية والدفاع والمظاهرة ، فقال : « ولقد كان ابن زيدون يبلغه ما يؤلمه في نفسه وقرابته بقرطبة على يد بني جهور ، فمن المألوف أن يدبر الوسائل للانتقام منهم بما يملك من تأثير على بني عباد ، وكان للشاعر أنصار عديدون بقرطبة حتى في بلاط بني جهور ، وقد أسفوا على فراقه لهم ، أو كما يقول ابن حيان إنه « خلا بالحضرة مكانه ، وكثر الأسف عليه » ، فمن الطبيعي أن يراسلهم الشاعر سراً وبخاصة في وقت أزماتهم الشديدة وتعرض مدينتهم للأخطار . وقد حدث أنهم « اجتمعوا في السر على أن يخلعوا ابن جهور ويولوا ابن عباد ، فأبرموا أمرهم وأحكموه وقاموا بأجمعهم، وثاروا في صبيحة اليوم الذي اتفقوا فيه مع قواد ابن عباد ، وقام أصحاب ابن جهور دونه ، وكانوا طائفة قليلة، فغلب عليهم أهل قرطبة » .

وبعد هذا يتساءل الأستاذ علي عبد العظيم قائلاً : « فمن الذي كان يستطيع التأثير فيهم مثل ابن زيدون ؟ » ثم يضيف الأستاذ تأكيداً لتساؤله : « وقد أجمع المؤرخون على أن ابن زيدون كان المستشار الأول للمعتضد ، وأن ابنه أقره على منصبه ، وقد غالى بعض الرواة فنسب لابن زيدون كل أثر قام به المعتضد حتى في فتكاته بأوليائه ونصرائه ، فمن الطبيعي ألا يقدم المعتضد وابنه المعتمد على أمر خطير كفتح قرطبة الا بتدبير من ابنها ابن زيدون » .

ويختتم الأستاذ هذا الفصل(*) معتداً بقول الدكتور « فيليب حتي » في كتابه تاريخ العـــرب : « وكان باشارة ابن زيدون وتأثيره أن أرسل المعتمـــد جيشاً على قرطبة ، فانتزعها من بني جهور » .

تلك هي جملة الاعتبارات المرجحات التي وافتنا بصريح الجواب عن السؤال، وغني عن البيان أن طريقة الفرض والتقدير،والأخذ بمجرد الاعتبار؛ مستهدفـــة بطبيعتها للمراجعة والجدال .

وذلك أيضاً شأن الافادات والنصوص التاريخية التي لم يرد فيها الجواب نصاً بمنطوقها أو مفهومها الخاص، وانما استنطقها الأستاذ آخذاً بالمفهوم العام،والتخريج والاستنتاج ، فليس فيها حجية النص الصراح .

وأبرز ما يطالعنا من تلك النصوص نص الفتح بن خاقان في القلائد الذي جلبه الأستاذ في غير ما سياق ، وجاء فيه لدى ترجمة المعتمد :[40] أن ابن زيدون « كان وزير أبيه الذي أظهر صولته ، ودبر دولته ، وأدجى ضحاها ، وأدار بالمكاره رحاها ، وأغراه بأعدائه ، وزين له الإيقـــاع بعماله ووزرائه ، فغدا شجا في صدورهم ونكداً في سرورهم » .

وهناك نص آخر للفتح في قلائد العقيان يمكن أن يعتد به الأستاذ علي عبدالعظيم بالنظر لأنه يكمل نص القلائد الذي جلبه ، وذلك حين قال الفتح في ترجمة أبي الوليد[41] بن زيدون : « وحصل – أي ابن زيدون – عند المعتضد بالله كالسويداء من الفؤاد ، واستخلصه استخلاص المعتصم لابن أبي دواد ، وألقى بيده مقاد ملكه وزمامه ، واستكفى به نقضه وابرامه ، فأشرقت شمسه وأنارت ، وأنجدت محاسنه وغارت ، وما زال يلتحف بحظوته،ويقف بربوته ، حتى أدركه حمامه » .

(*) أنظر الصفحة : ٢٨٦ – من كتاب ابن زيدون للاستاذ علي عبدالعظيم . وراجع أيضاً نص الدكتور فيليب حتي ومن معه في كتاب تاريخ العرب (المطول) ج : ٣ ، ص : ٦٦٤ .

(٤٠) قلائد العيان صحيح : سليمان الحرائري ، ص : ١٥ .

(٤١) الصفحة : ٨٠ .

وأمامنا — عدا هذا الذي جابه الأستاذ علي عبد العظيم من نصوص ، وسجله من اعتبارات وتعليلات — نصان أيضاً لابن حيان ، أحدهما يقول عند ذكر هجرة ابن زيدون عن وطنه الى المعتضد :

« ونزل في كنفه وصار من خواصه وصحابته ، يجالسه في خلواته،ويسفر له في مهم رسائله على حال من الترسعة » .

وثانيهما يفيد فوز ابن زيدون بمنصب كتابة الانشاء ، بعد صرف أبي محمد عبد الله بن عبد البر من بلاط عباد [٤٢] .

وتعترضنا نصوص أخرى مغربية ومشرقية ، وكلها إما مقتبسة من نص ابن حيان ،وإمّا من نص ابن خاقان .

فهذا ابن الأبار يقتبس نص ابن حيـــان بألفـــاظه فيقول [٤٣] : « اجتذبه المعتضد عباد بن محمد،فهاجر عن وطنه اليه ، ونزل في كنفه ، وصار من خواصه ، يجالسه في خلواته ، ويسفر في مهم رسائله ،لفضل ما أوتيه من اللسن والعارضة » .

وبنفس طريقة الاقتباس من كل من ابن حيان وابن خاقان ومن نصيهما يقول الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات[٤٤] : « وجعله من خواصه ، يجالسه في خلوته ، ويركن الى اشارته في صورة وزير » .

وينظر ابن دحية الى ابن خاقان مستوحياً من نصيه معاً حين يقول : « وألقى مقاليد وزارته اليه ، وأفاض الخلع والسوابغ عليه » [٤٥] .

---

(٤٢) أنظر النصين معاً بواسطة الذخيرة لابن بسام،القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ٢٩٠ — ٢٩١ ط الأولى .

(٤٣) اعتاب الكتاب : ٢١٣ ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٤٤) ويصرح أيضاً في مقدمة شرحه لرسالة ابن زيدون المعروف : « تمام المتون » بأن الذخيرة لابن بسام والقلائد من مصادره ، ويجلب نص ابن حيان بحرفه ،أنظر مقدمة الشرح ، ص ٦ .

(٤٥) المطرب لابن دحية،ص : ٦٨ ، وما أدرج بين هلالين هو نص ما نقله الأستاذ عليعبدالعظيم ، وفي المطرب ط : دار العلم للجميع زيادة قوله « وجميع أمور دولته » .

وعلى غراره استوحى ابن نباتة من ابن خاقان حين قال [٤٦] : « فتلقاه المعتضد بالقبول والاكرام ، وولاه وزارته ،وفوض اليه أمر مملكته ،وكان حسن التدبير » .

وتدخل عند الأستاذ علي عبد العظيم في التركيز على أن ابن زيدون قد كان بمنصبه الكبير منفرداً بالتأثير ، تَحلياتُ ابن زيدون عند بعض المؤرخين ، كذي الرياستين عند المراكشي في العجب [٤٧] ، و (الصاحب) عند الذهبي [٤٨] في سير النبلاء .

وهكذا فان النصوص المتقدمة ابتداء من نص ابن الأبار كلها صادرة كما رأيت إما عن ابن خاقان ، وإما عن ابن حيان ، وقد جلبها الأستاذ محتجاً بها لإفاداته تحت عنوان : (مناصب خطيرة) .

ويعترضنا بإزاء هذه النصوص ، ما يروى عن تصرف ابن زيدون بالوشاية وبالدس تجاه المنافسين له في بلاط المعتضد ، مما يدخل تحت عموم قول ابن خاقان : « فزين له الايقاع بوزرائه وعماله ، وأدجى ضحى دولته ، وأدار بالمكاره رحاها » على حد قوله .

وهناك أيضاً نفسية ينضح بها شعر أبي الوليد ونثره ، وتشي بطبع حاد ، وسريرة ليست بالبيضاء ، ومن أيْسر ما يلاحظ في هذا قصائده التي جرح بها حبه لولادة في العهد الأخير من قصة صبابته ، حيث كان يكتوي بنار الهجران ، ويتلظى فوق رمضاء حرقة الغيرة في اليقظة والمنام .

ومن ذلك شعره ونثره في ابن عبدوس الذي نافسه في هواه ، فقد أبان فيه عن توعد أهوج وسخرية رعناء ، وجماع هذا ما نقله ابن سعيد إنه : « كان سامحه الله ممن لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره » .

---

(٤٦) مقدمة (سرح العيون) .
(٤٧) المعجب ، ص : ٦١ ، ط : سلا .
(٤٨) جزء : ١١ ، سفر : ٢ ، ص : ٢٠١ ، بواسطة الأستاذ علي عبدالعظيم .

وهذا أيضاً مما ينزع بعرق إلى إفادات ابن خاقان .

وأمام الباحث أيضاً اضافة الى ما أورده الأستاذ علي عبد العظيم مرويات مما قرفه به خصومه أو تقولوا به عليه ، وخصومه كثير ، وما زال لهم صدى يرعد ويبرق في أشعاره منذ عهده الأول في كنف بني جهور ، الى عهده الأخيرفي بلاط العباديين ، وذكروا من هذا التعريف أنه المحرض المعتضد على قتل ولده وليّ عهده اسماعيل ، وانه لم يتحرج من محاولة مثلها بالنسبة الى ولده المعتمد ، وذلك عندما انكسر جيشه متبدداً على سفوح قلعة مالقة أمام نجدة صاحب غرناطة باديس العظيم ، وكانت هزيمته عقبى لتهاونه وانصرافه الى لهوه ولذاته ، حسبما هو مذكور في سيرة الوالد وولده .

وبإزاء هذا يلاحظ أيضاً في نطاق مسايره الأستاذ علي عبدالعظيم أن نص ابن خاقان الأول له دلالة عامة الى جانب الدلالة الخاصة للألفاظ ، واذا ما ترسع الباحث في الأخذ بأقصى ما تفيده من احتمال ، فقد تشمل هذه الدلالة العامة حادثة قرطبة ، كما تشمل تلك البوائق والكبائر التي رمي بها من قبل الأعداء ، كالتحريض على الفتك بالأبناء ، والمنافسين والخاصة . وأعني بالدلالة العامة في النص ، تلك التي توحي بها عباراته كلها من أن من كانت له تلك الهيمنة التي يتحكم بها في مصاير كبار رجال المعتضد عباد ، فسيكون قبل غيره وراء حادثة قرطبة ، وقد يسهل عليه حتى التحريض على الفتك بالخاصة والأبناء .

ويلاحظ أيضاً ما ذكر عن ابن زيدون من أنه أنشد بيتين في هجاء المعتضد تنم على سوء طويته تجاه من ألقى اليه بإدارة رحى دولته . (٤٩)

وهكذا—أعني بالاشارة الى هذه الملحوظة—الملحقات بالدلالات السالفات ، إنها تدل بجملتها وباضافتها الى جميع ما ذكر على أن عند الشاعر استعدادات

(٤٩) الحلة السيراء (تحقيق وتعليق : الدكتور مؤنس) الجزء الثاني ، ص : ٤٣ .

تتلاقى مع ما نسب اليه في حق أصدقائه وفي حق الجهاورة أولياء نعمته ، وفي المعتضد والد المعتمد الذي اعتمده أيضاً في دولته .

وعلى كل حال فهذه هي جملة الينابيع التي رادها الأستاذ،وأقام عليها لفصول موضوعه العماد،وهي أقصى ما يمكن أن يظفر به البـــاحث للتزود بما يقيم عليه استنتاجه واجتهاده بحثاً عمن كان وراء البطشة الكبرى في قرطبة موضوع السؤال ما دامت النصوص التاريخية لم تسجل الأسماء .

ويسلمنا هذا الى مناقشة جواب الأستاذ علي عبد العظيم ، والى موقفه من هذه المصادر ،وذلك سنعود إليه بحول الله في الجزء التالي .

الرباط — عبد الرحمن الفاسي

سِيَرُ أعلامِ النُبلاءِ لِلذَّهَبيّ

– منهجه وأهميته –

الدكتور
بشار عواد معروف

كلية الآداب – جامعة بغداد

أولاً – عنوان الكتاب وتأليفه :

سماه صلاح الدين الصفدي [1] وابن دقماق [2] « تاريخ النبلاء » ، وابن شاكر الكتبي [3] « تاريخ العلماء النبلاء » ، وتاج الدين السبكي [4] « كتاب النبلاء » ، وسبط ابن حجر [5] « أعيان النبلاء » . وسماه كل من الحسيني [6] ، وابن ناصر الدين [7] ، وابن حجر [8] ، والسخاوي [9] : « سير النبلاء » . أما « سير أعلام النبلاء » فقد جاء مخطوطاً على طرر المجلدات الموجودة في مكتبة السلطان أحمد الثالث ذات الرقم A/٢٩١٠ ، وهي النسخة الأولى التي نسخت عن نسخة المؤلف التي بخطه وكتبت في حياته في السنوات ٧٣٩ – ٧٤٣ ، وهو العنوان الأكثر دقة وكمالاً لذلك اعتمده محققو الكتاب .

وقد ألف الذهبي كتابه هذا بعد كتابه « تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام » الذي انتهى من تأليفه أول مرة سنة ٧١٤ هـ ثم أعاد النظر فيه وبيّض

---

(١) الوافي : ١٦٣/٢ (٢) ترجمان الزمان ، الورقة : ٩٨
(٣) فوات الوفيات : ١٨٣/٢ ، وعيون التواريخ ، الورقة ٨٦ (كيمبرج ٢٩٢٣)
(٤) طبقات الشافعية : ١٠٤/٩ (٥) رونق الألفاظ ، الورقة : ١٨٠
(٦) الذيل على ذيل العبر : ٢٦٨ (٧) الرد الوافر : ٣١
(٨) الدرر الكامنة : ٤٢٦/٣ (٩) الإعلان بالتوبيخ : ٦٧٤

قسماً منه سنة ٧٢٦ هـ [١] . وقد أشار المؤلف إلى بعض كتبه الأخرى وأحال عليها في كتابه « السير » . وحينما ذكر تلميذه الصلاح الصفدي بعض كتب الذهبي الخاصة بتراجم الأعيان مثل « نفض الجعبة في أخبار شعبة » و « قض نهارك بأخبار ابن المبارك » وغيرهما قال : « وله في تراجم الأعيان لكل واحد مصنف قائم الذات، مثل الأئمة الأربع ومن جرى مجراهم ، لكنه أدخل الكل في«تاريخ النبلاء » [٢] . وهذا النص يوضح أنه ألف « سير أعلام النبلاء » بعد تأليفه لكل تلك التراجم المفردة الكثيرة . ويُلاحظ أن ناسخ أول نسخة من الكتاب قد بدأ بنسخها في سنة ٧٣٩ وانتهى من المجلد الثالث عشر في أوائل سنة ٧٤٣ ، وهذا يعني أن المؤلف كان قد انتهى من تأليف كتابه سنة ٧٣٩ هـ أو قبلها . وقد جزم الدكتور صلاح الدين المنجد بتأليف الكتاب سنة ٧٣٩ هـ من غير دليل [٣] سوى أن الناسخ ابن طوغان قد بدأ بنسخ نسخته في هذه السنة . أما نحن فنعتقد أنه بدأ في تأليف الكتاب سنة ٧٣٢ هـ أو قبيلها بقليل ، ودليلنا على ذلك قول المؤلف الذهبي في ترجمة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم : « وقد صار الملك في ذرية العباس ، واستمر ذلك ، وتداوله تسعة وثلاثون خليفة إلى وقتنا هذا ، وذلك ست مئة عام ، أولهم السفاح . وخليفة زماننا المستكفي له الاسم المنبري ، والعقد والحل بيد السلطان الملك الناصر ، أيدهما الله » [٤] . ولما كان العباسيون قد تقلدوا الحكم سنة ١٣٢ هـ كما هو مشهور فيكون زمانه الذي أشار إليه هو سنة ٧٣٢ هـ ، والمستكفي بالله هذا هو أبو الربيع سليمان بن أحمد ، ولد سنة ٦٨٣ هـ وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١ هـ ؛ وقد ساءت حاله مع السلطان الناصر في آخر أيامه ، فأخرجه السلطان الى قوص من صعيد مصر سنة ٧٣٨ هـ فأقام

(١) انظر التفاصيل في كتابي : الذهبي ، ٢٥ فما بعد

(٢) الوافي بالوفيات : ٢/١٦٤

(٣) أنظر مقدمته للجزء الأول الذي نشره من السير ، ص ٣٨

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/الترجمة ١١ (طبعة مؤسسة الرسالة المحققة) .

بها إلى حين وفاته سنة ٧٤٠ هـ [١] . وليس من المعقول أن يستغرق تأليف الكتاب سبع سنوات ومعظم مادته كانت جاهزة عند مؤلفه بسبب أنه ألفه بعد تاريخه الكبير « تاريخ الاسلام » .

ثانياً ـ نطاق الكتاب وعدد مجلداته :

جعل الذهبي كتابه « سير أعلام النبلاء » في أربعة عشر مجلداً راعى فيها التناسق من حيث عدد الأوراق ولم يراع في الأغلب ناحية تنظيمية أخرى ، لذلك وجدنا النساخ ـ فيما بعد ـ لم يلزموا أنفسهم بتقسيم المؤلف [٢] .

وقد أفرد الذهبي المجلدين الأول والثاني للسيرة النبوية الشريفة وسير الخلفاء الراشدين ، لكنه لم يُعِد صياغتهما ، وإنما أحال على كتابه العظيم « تاريخ الإسلام » ليؤخذا منه ويُضمّا إلى « السير » ، فقد جاء في طرة المجلد الثالث من نسخة أحمد الثالث الأولى تعليق بخط الذهبي كتب على الجهة اليسرى منها نصه : « في المجلد الأول والثاني سِيَر النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة تُكتب من تاريخ الإسلام » . ويلاحظ أن الذهبي قد أشار في حاشية الورقة (٩٨) من المجلد الثاني من تاريخ الاسلام ـ وهو المجلد الذي يبدأ بالسيرة النبوية ـ وعند الفصل الخاص بمعجزاته صلى الله عليه وسلم إلى مكونات « السيرة النبوية» بقوله : « من شاء من الإخوان أن يفرد الترجمة النبوية فليكتب إذا وصل إلى هنا جميع ما تقدم من كتابنا في السفر الأول بلا بد ، فليفعل فإن ذلك حسن ، لم يكتب بعد ذلك «فصل في معجزاته » إلى آخر الترجمة النبوية» . وهذا يعني ان « السيرة النبوية » التي أرادها الذهبي تشمل جميع المجلد الأ ل ـ وهو المجلد الخاص بالمغازي ـ ثم جميع « الترجمة النبوية » وهي المئة والثلاثون ورقة من

(١) البداية لابن كثير : ١٨٧/١٤ ، والسلوك للمقريزي : ٥٠٤/٢ ، والدرر لابن حجر : ٣٣٦/٢ وغيرها .

(٢) انظر وصف النسخ في مقدمة هذا الجزء الأول من السير . وقد أشار ناسخ المجلد السابع عشر من النسخة المصورة في المجمع العلمي العربي بدمشق إلى أن نسخته تتكون من عشرين مجلداً .

المجلد الثاني الذي بخطه . وهذا ــ في رأينا هو المجلد الأول من « سير أعلام النبلاء » . أما سير الخلفاء الأربعة فهي التي تستغرق بقية المجلد الثاني ــ من نسخة المؤلف التي بخطه ــ وتتضمن الأوراق : ١٣١ ــ ٢٤١ ، وقسماً من المجلد الثالث ــ من نسخة المؤلف ــ وهذا هو المجلد الثاني من « السير » في رأينا .

والظاهر ان ابن طوغان صاحب النسخة لم يقم باستنساخ المجلدين : الأول والثاني ، من (تاريخ الاسلام) كما طلب المؤلف ، فظن كاتب الوقفية على المدرسة المحمودية أن هذين المجلدين مفقودان ، فتابعه الناس على هذا الوهم .

وكان من المظنون أن المجلد الثالث عشر [1] من نسخة ابن طوغان ــ وهو المجلد الذي يبتدئ بترجمة المحدث الكبير أبي طاهر السِّلَفِي المتوفى سنة ٥٧٦ وينتهي بترجمة السلطان الملك المنصور نور الدين علي ابن السلطان الملك المعز أيبك التركماني الصالحي المعزول من السلطنة سنة سبع وخمسين وست مئة والذي تأخرت وفاته إلى حدود سنة سبع مئة ــ أقول : كان من المظنون أن هذا هو المجلد الأخير من الكتاب ، لكنني اعتقد ــ بل أكاد أجزم ــ أن هناك مجلداً آخر يتمم الكتاب هو المجلد الرابع عشر ، وهو المجلد الذي ظنه الدكتور صلاح الدين المنجد ذيلاً لسير أعلام النبلاء وتابعه الناس عليه ، وإليك آيات ذلك ودلالاته :

١ــ من المعلوم أن الذهبي ألف سير أعلام النبلاء » بعد تأليف « تاريخ الإسلام » وتابع فيه النطاق الزمني للكتاب المذكور ، والذي نعرفه أن « تاريخ الإسلام » يمتد من أول الهجرة النبوية إلى آخر سنة (٧٠٠) هـ ، بينما تبين دراستنا لتراجم الطبقة الخامسة والثلاثين ــ وهي آخر المجلد الثالث عشر ــ أن أصحابها توفوا في المدة المحصورة بين السنوات ٦٥١ ــ ٦٦٠ هـ ، فأين هي تراجم مَن توفي بين ٦٦١ ــ ٧٠٠ هـ ؟ وهي مدة طويلة عاصر المؤلف كثيراً من أحداثها

(١) كان هذا المجلد هو حصتي من تحقيق الكتاب . وقد حققته بمشاركة زميلي السيد محيي هلال السرحان

واتصل بالعديد من المترجمين فيها ، وكان الكثير منهم شيوخه والباقون من شيوخ شيوخه وفيهم أعلام الدُّنيا من مثل أبي شامة ، وابن الساعي ، والنووي ، وفخر الدين ابن البخاري ، وابن الظاهري ومئات غيرهم بحيث لا يعقل أن يتركهم الذهبي ولا يترجم لهم وقد ترجم في كتابه هذا لمن هم أدنى منهم بكثير ، فهذه المدة المذكورة البالغة قرابة الأربعين سنة تحتمل من غير شك أن تكوّن المجلد الرابع عشر من « السير » .

٢ـ ولكن كيف ظن الفضلاء أن هذا هو المجلد الأخير من « السير » وكيف ذكروا أن تراجمه تصل إلى سنة ٧٠٠ هـ ؟

والذي عندي أن الذي أوقع الناس [١] في هذه المزلقة أمران : أولهما عدم دراسة المجلد الثالث عشر دراسة جيدة والنظر إلى المترجمين فيه نظرة فاحصة منقبة.

وثانيهما هو ترجمة السلطان الملك المنصور نور الدين علي ابن السلطان الملك المعز أيبك التركماني الذي ذكر المؤلف الذهبي أنه تأخر إلى قريب سنة (٧٠٠)هـ لكن الدارسين لم ينتبهوا إلى أن الذهبي إنما ذكره بسبب توليه الحكم بعد مقتل والده المعز أيبك سنة ٦٥٥ هـ وأنه لم يبق في السلطنة غير سنتين ونصف إذ عزل في أواخر سنة ٦٥٧ هـ حينما تولى سيف الدين قطز السلطنة ؛ فالذي ذكره الذهبي عن بقائه فيما بعد إنما هو من باب الاستطراد لا غير ، وقد كان من منهج الذهبي في هذا الكتاب أن يجمع الأقرباء في مكان واحد كما سيأتي بيانه لاحقاً.

٣ـ قلنا أن الذهبي ألف كتابه هذا في أربعة عشر مجلداً ، وطلب من النساخ أن يستخرجوا المجلدين الأول والثاني من « تاريخ الإسلام » وهما اللذان يتضمنان السيرة النبوية وسير الخلفاء الأربعة ، كما هو مثبت بخطه في طرة المجلد

(١) أول من قال بذلك هو الدكتور صلاح الدين المنجد ، وتابعته في وهمه أنا في كتابي « الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ؛ ١٧٠ من طبعة القاهرة » وعذري أنني كنت آنذاك معنياً « بتاريخ الاسلام » ، وكان كلامي على السير عارضاً ، أما هو فقد كان من المفروض أنه خبر الكتاب وسبر غوره .

الثالث من الكتاب . وقد نصت وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية بالقاهرة – وهي الوقفية المثبت نصها على جميع المجلدات – أن الموقوف منه إثنا عشر مجلداً ، وقد جاء في نص الوقفية المدونة على المجلد الثالث – وهو أول المجلدات التي وصلت إلينا – ما نصه :

« وقف وحبّس وسبّل المقر الأشرف العالي الجمالي محمود استادار العالية الملكي الظاهري . . . جميع هذا المجلد وما بعده من المجلدات إلى آخر الكتاب ، وعدة ذلك إثنا عشر مجلداً متوالية من هذا المجلد إلى آخر الرابع عشر . . . »

فانظر إلى قوله « إلى آخر الكتاب » وقوله « إلى آخر الرابع عشر » . والواضح البيّن أن الوقفية لم تشر إلى أن المجلد الرابع عشر هو ذيل سير أعلام النبلاء كما ظن الفاضل الدكتور صلاح الدين المنجد .

٤– وقد جرت عادة النسّاخ ، أو المؤلفين ، أو كليهما على الإشارة والنص على انتهاء الكتاب ، إلا أننا حينما نقرأ آخر المجلد الثالث عشر لا نجد أية إشارة من المؤلف ، أو الناسخ إلى انتهاء الكتاب ، وقد وجدت الذهبي – رحمه الله – ينص دائماً عند انتهاء كتبه فلماذا يشذ في هذا الكتاب ! ؟ . أما الناسخ فإن عباراته التي استعملها في نهاية المجلد الثالث عشر لا تنبئ بأي حال على أن هذا هو آخر الكتاب ، وهي لا تختلف عن ما جاء في بقية المجلدات .

ثالثاً – ترتيب الكتاب :

نظم الذهبي كتاب « السير » على الطبقات ، فجعله في أربعين طبقة تقريباً ، وآخر ما في المجلد الثالث عشر من نسخة ابن طوغان هي آخر الطبقة الخامسة والثلاثين ولا استبعد أن يتضمن المجلد الرابع عشر خمس طبقات إذا قايسنا ذلك ببقية المجلدات .

وقد استعمل المؤلفون المسلمون هذا الأسلوب في عرض التراجم منذ فترة مبكرة من تاريخ الحركة التأليفية ، وهو – فيما يرى روزنتال – تقسيم إسلامي أصيل

قد يبدو أقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الاسلامي ، ولم يكن نتيجة مؤثرات خارجية بل هو نتيجة طبيعية لفكرة : صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالتابعون . . . الخ [1] ، ومما يؤيد هذا حديث أورده البخاري ونصه : « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » [2] وقد أشار العيني في شرحه بأنه خير القرون الصحابة ثم التابعون ثم أتباع التابعين [3] . وهذا المفهوم يظهر واضحاً في كتب الإمام ابن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤ حيث قسم الرواة في كتابيه « الثقات » و «مشاهير علماء الأمصار » إلى ثلاث طبقات هم : الصحابة ، والتابعون ، واتباع التابعين ، فجعلت الطبقة هنا تعني الجيل .

وقد حاول بعض العلماء أن يجعل للطبقة تحديداً زمنياً واضحاً ، فجعلها بعضهم عشرين سنة[4] وجعلها آخرون أربعين سنة [5] ، وهلم جراً .

لكن الدراسات الحديثة [6] أظهرت ان كثيراً من المؤلفين المتقدمين كابن سعد وخليفة بن خياط ومسلم بن الحجاج وغيرهم لم يستعملوا « الطبقة » باعتبارها وحدة زمنية ثابتة كما لم يستعملوها بمعنى «الجيل » أيضاً ففي الوقت الذي اعتبر فيه خليفة بن خياط الصحابة طبقة واحدة اعتبرهم ابن سعد عدة طبقات استناداً الى سابقتهم في الأسلام . أما طبقات التابعين ومَن بعدهم فقائم عند خليفة وابن سعد على اعتبار اللقيا بين الصحابة والتابعين ، فكبار التابعين هم الذين رووا عن كبار الصحابة ذوي السابقة والفضل ، وهم الطبقة الأولى من التابعين ، أما التابعون الذين رووا عن صغار الصحابة ولم يلتقوا بكبارهم لعدم لحاقهم بهم

---

(١) علم التاريخ عند المسلمين : ١٣٣ – ١٣٤

(٢) الصحيح : ٥/٢ – ٣ (ط . الشعب) .

(٣) عمدة القاري : ١٧٠/١٦

(٤) انظر « طبق » من لسان العرب

(٥) استناداً إلى حديث « أمتي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عاماً» (سنن ابن ماجة : ١٣٤٩/٢) ولا يصح ، بل أورده ابن الجوزي في « الموضوعات »

(٦) انظر دراسة الدكتور أكرم العمري لأسس تنظيم طبقات خليفة وابن سعد في كتابه الماتع «بحوث في تاريخ السنة المشرفة » ص ١٨٤ فما بعد (الطبعة الثانية)

فيكونون طبقة ثالثة أو رابعة ، وكذلك فإن من روى عن سعيد بن المسيب مثلاً وغيره من كبار التابعين فإنهم يكونون الطبقة الأولى من أتباع التابعين .

رابعاً : مفهوم الطبقة في « السير » وغيره من مؤلفات الذهبي :

نظم الإمام الذهبي مجموعة من كتبه على الطبقات إضافة إلى « السير » منها : « تذكرة الحفاظ [1] » ، و «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار [2]» و « المعين في طبقات المحدثين[3] » ، و « المجرد في أسماء رجال كتاب سنن الإمام أبي عبدالله ابن ماجة سوى من أخرج له منهم في أحد الصحيحين[4] » ، و « طبقات الشيوخ [5] » ، وقد وصلت إلينا جميع هذه الكتب خلا الكتاب الأخير . وتشير دراستنا لهذه الكتب أن الذهبي لم يراع إيجاد تقسيم واحد في عدد الطبقات بين هذه الكتب ، ولا راعى التناسق في عدد المترجمين بين طبقة وأخرى في الكتاب الواحد ، كما لم يلتزم بوحدة زمنية ثابتة للطبقة في جميع كتبه فيما عدا تاريخ الإسلام » الذي لا يدخل في هذا التنظيم كما سيأتي بيانه .

١ــ **عدد الطبقات** : فقد قسم الذهبي كتابه « تذكرة الحفاظ » على إحدى وعشرين طبقة [6] ، وقسم « معرفة القراء » على سبع عشرة طبقة ؛ بينما جعل « سير أعلام النبلاء» في أربعين طبقة تقريباً مع أن الكتب الثلاثة المذكورة تناولت نطاقاً زمنياً واحداً يمتد من الصحابة إلى عصره الذي عاش فيه .

٢ ــ **عدد المترجمين** : ونجد اختلافاً كبيراً جداً في أعداد المذكورين في الطبقات في الكتاب الواحد ، ففي « تذكرة الحفاظ » مثلاً نجد أن أعداد المترجمين في

---

(١) مطبوع منتشر مشهور

(٢) نشرته دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٦٩ باعتناء سيد جاد الحق ، وهي نشرة رديئة وعندي منه نسخة مصورة نفيسة .

(٣) عندي من الكتاب نسخة مصورة عن فيض الله .

(٤) عندي منه نسخة مصورة عن الظاهرية

(٥) ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ : ٨٧٦/٣ ولا أعرف له نسخة

(٦) وقال في الطبقة الثالثة عشرة : « وقد سميت منهم بضعة وسبعين إماماً وقسمت الطبقة طبقتين أولاهما ثمانية وأربعون والثانية خمسة وعشرون نفساً » (٩٩٧/٣)

الإحدى والعشرين طبقة تتضمن الاعداد الآتية حسب تسلسل الطبقات :
٢٣ ، ٤٢ ، ٣٠ ، ٥٨ ، ٧٨ ، ٨١ ، ١٠٦ ، ١٣٠ ، ١٠٦ ، ١١٧ ، ٧٧ ، ٧٤ ، ٣١ ، ٤٦ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ١٢ ، ١٠ ، ٨ ، وهكذا نجدها تتراوح بين ثمانية أشخاص ومئة وسبعة عشر شخصاً . وهذا الذي ذكرته عن « التذكرة » ينطبق على « السير » أيضاً فإن عدد تراجم الطبقة الثلاثين مثلاً بلغ (٧٧) ترجمة بينما بلغ عدد تراجم الطبقة التي تليها (١٣٠) ترجمة ، وهلم جراً .

٣ ـ **الوحدة الزمنية** : ولم يراع الذهبي وحدة زمنية ثابتة في كتبه التي نظمها على الطبقات ، وهو بذلك لم يدخل سني وفيات المترجمين باعتباره بشكل دقيق حيث نجدها متداخلة بين طبقة وأخرى من جهة ، كما نلاحظ في الوقت نفسه تبايناً كبيراً جداً في المدة الزمنية التي تستغرقها كل طبقة من الطبقات .

ففي تذكرة الحفاظ « مثلاً » نجد أن وفيات المترجمين في الطبقة الأولى تمتد من سنة ١٣ هـ ـ وهي سنة وفاة الصديق ـ إلى سنة ٩٣ هـ ـ هي السنة التي توفي فيها أنس بن مالك ، وهذا يعني أن مدتها استغرقت ثمانين سنة . أما التابعون فقد جعلهم في « التذكرة » ثلاث طبقات : كبار التابعين وتمتد وفيات أصحابها من سنة ٦٢ هـ وهي سنة وفاة علقمة بن قيس النخعي إلى سنة ١٠٧ هـ وهي سنة وفاة رجاء العطاردي في ترجيح الذهبي ، فتكون مدتها (٤٥) سنة .
ثم الطبقة الوسطى منهم وتمتد وفيات المترجمين فيها من سنة ٩٣ هـ إلى سنة ١١٧ هـ ، فتكون مدتها (٢٤) سنة . ثم طبقة ثالثة من التابعين تمتد وفيات أصحابها من سنة ١١٣ هـ إلى سنة ١٥١ ، فمدتها (٣٨) سنة أما الطبقة الخامسة فتمتد من سنة ١٤٤ هـ إلى سنة ١٨٠ هـ ، فهي (٣٦) سنة وهلم جراً . وهذا الذي ذكرته عن التباين في مدد الطبقات الأولى من « التذكرة » ينطبق على الطبقات المتأخرة أيضاً ، فالطبقة العشرون تمتد من سنة ٦٦٧ إلى سنة ٧٠٨ ، فتكون مدتها (٤١) سنة ، أما الحادية والعشرون ـ وهي آخر الطبقات ـ فتمتد من سنة ٦٧٢ هـ إلى سنة ٧٤٢ هـ ـ سنة وفاة الحافظ المزي ـ فتكون مدتها (٧٠) سنة .

وهذا الذي أبنته من الخلاف في مدة الطبقات في « التذكرة » والتباين الشديد نجده أيضاً في « سير أعلام النبلاء » ، فقد بلغت مدة الطبقة الثلاثين من السير (١٩) سنة تمتد من سنة ٥٦٨ هـ سنة وفاة خوارزمشاه – إلى سنة ٥٨٧ هـ – سنة وفاة ابن مغاور الشاطبي – وامتدت وفيات المترجمين في الطبقة الحادية والثلاثين من سنة ٥٧٥ هـ – سنة وفاة ابن عيّاد الأندلسي – إلى سنة ٦٠١ هـ – وهي سنة وفاة الأرتاحي ، فتكون مدتها (٢٦) سنة . أما الطبقة الخامسة والثلاثون فلم تتجاوز تسع سنوات حيث أن جميع وفيات المذكورين فيها تمتد من سنة ٦٥١ إلى سنة ٦٦٠ [١] .

أما كتابه « المعين في طبقات المحدثين » فقد جعل الذهبي الطبقات الأولى فيه تتخذ أسماء المشهورين فيها نحو قوله مثلاً « طبقة الزهري وقتادة » [٢] و « طبقة الأعشى وأبي حنيفة » [٣] و « طبقة ابن المديني وأحمد [٤] » ونحو ذلك ثم غير هذه الطريقة حينما وصل إلى مطلع المئة الثالثة الهجرية فصار يستعمل السنوات التقريبية في الطبقة نحو قوله : « الطبقة الذين بقوا بعد الثلاث مئة وإلى حدود العشرين والثلاث مئة [٥] و « طبقة من الثلاثين وإلى ما بعد الخمسين وخمس مئة »[٦] ، وهلم جراً . وقد تبين لنا من دراسة هذه الوحدات الزمنية التي ذكرها أن الطبقة قد تكون – في هذا الكتاب – في حدود عشرين سنة [٧] ، أو خمس وعشرين [٨] ، أو ثلاثين سنة [٩] .

أما كتابه «المجرد في أسماء رجال كتاب سنن الإمام أبي عبدالله بن ماجة» فقد جعله في ثماني طبقات اتخذت كل طبقة أسماء أعلام فيما عدا طبقة

---

(١) استثنينا من ذلك ما ذكره الذهبي من تأخر وفاة المنصور ابن المعز أيبك الى سنة (٧٠٠) تقريباً وقد بينا انه انما ذكره بسبب توليه السلطنة بين ٦٥٥ – ٦٥٧ حسب (نسختي المصورة) .

(٢) المعين ، الورقة : ٧

(٣) نفسه . الورقة : ٨

(٤) نفسه ، الورقة : ١٤

(٥) نفسه ، الورقة : ١٩

(٦) نفسه ، الورقة : ٣٢

(٧) نفسه ، الورقة : ٢١ ، ٢٢

(٨) نفسه ، الورقة : ٢٢ ، ٢٤

(٩) نفسه ، الورقة : ٢٠ ، ٢١

الصحابة [١] ، فالطبقات السبع الباقية هي : طبقة زمن الأعشى وابن عون [٢] وطبقة الزهري وأيوب [٣] ، وطبقة ابن المسيب ومسروق [٤] ، وطبقة الحسن وعطاء [٥] ، وطبقة عفان وعبدالرزاق [٦] ، وطبقة علي ابن المديني وأحمد بن حنبل [٧] ، وطبقة البخاري ومن تبقى [٨] ، ويلاحظ أن هذه الطبقات لم تراع التناسق الزمني أيضاً .

ولكن الذهبي جعل الطبقة عشر سنوات في كتابه « تاريخ الإسلام » فتألف كتابه من سبعين طبقة ، فهل يعني هذا أنه وضع تحديداً زمنياً واضحاً للطبقة مخالفاً طريقته في كتبه الأخرى؟ علماً أن عمله هذا لم يسبقه فيه أحد فيما نعلم . وقد أدى عمل الذهبي هذا إلى دفع بعض الباحثين المعنيين بعلم التاريخ إلى القول بأنه خالف الأقدمين ، بل خالف نهجه هو في كتبه الأخرى [٩] . على أن دراستنا الموسعة لكتاب « تاريخ الإسلام ، قد أبانت أنه لم يقصد بالطبقة هنا غير « العقد » ، وهو مفهوم يدل على وحدة زمنية محددة قدرها عشر سنوات ، وأنه إنما استخدم هذا المفهوم لحاجات تنظيمية صرفة جاءت في الأغلب من عدم توافر تواريخ وفيات المترجمين بصورة كاملة وكثرة الاختلاف فيها لا سيما في المئات الثلاث الأولى . وقد أبانت دراستي أن هذا التنظيم لا علاقة له بأدب الطبقات بل من الأفضل أن يربط بأدب التنظيم على السنين [١٠] .

من كل الذي مر يتضح أن الذهبي استعمل الطبقة للدلالة على القوم المتشابهين من حيث اللقاء أي في الشيوخ الذين أخذوا عنهم ، ثم تقاربهم في السن من حيث المولد والوفاة تقارباً لا يتناقض مع اللقيا ، وهو أمر يتيح تفاوتاً في وفيات المترجمين من جهة وتفاوتاً في عدد الطبقات أيضاً .

(١) المجرد ، الورقة : ١ - ٦
(٢) المجرد ، الورقة : ٨ - ١٢
(٣) المجرد ، الورقة : ٨ - ١٢
(٤) نفسه ، الورقة : ١٢ - ١٣
(٥) نفسه ، الورقة : ١٣ - ١٤
(٦) نفسه ، الورقة : ١٤ - ١٥
(٧) نفسه ، الورقة : ١٥ - ١٦
(٨) نفسه ، الورقة ١٦ - ٢٠
(٩) انظر روزنثال : علم التاريخ : ١٢١ ، والعمري : بحوث : ١٩١ .
(١٠) انظر كتابنا : الذهبي ومنهجه : ٣٨٢-٣٩٥

ولكن كيف نفسر هذا الاختلاف الكبير في تقسيم الطبقات عند مؤلف واحد مثل الذهبي بحيث جعل « معرفة القراء » في سبع عشرة طبقة بينما قسم السير إلى أربعين طبقة تقريباً ؟

وجواب ذلك فيما نرى يعتمد بالدرجة الأولى على نوعية المذكورين في الكتاب الواحد ، فإن كتاباً من مثل « التذكرة » ليس فيه غير كبار الحفاظ من الممكن أن ينظم بطبقات أقل من غيره نظراً لنوعية المذكورين فيه وكلهم أو معظمهم من ذوي الإسناد العالي بحيث تتباعد المدة الزمنية بين طبقة وأخرى فيقل عدد الطبقات ، وهو أمر لا يناقض مبدأ اللقيا ، أما « سير أعلام النبلاء » فنوعية المترجمين فيه تشمل كل رجال « التذكرة » تقريباً مضافاً إليهم مَن هم أقل منهم مرتبة بحيث يضطر إلى زيادة عدد الطبقات ، وطبيعي أنه ليس من المفروض أن يكون كل أحد من طبقة ما قد التقى بجميع رجال الطبقة السابقة مع إمكان التقائهم .

ومن أجل توضيح هذا الذي ذكرته عن نوعية المترجمين أشير إلى أنه من الممكن نظم جميع الرواة من الصحابة في طبقة واحدة ، ولكن من الممكن تقسيم الصحابة إلى أكثر من طبقة حسب الرواية أيضاً لأن الصحابي قد يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يروي عن الصحابي أيضاً . ومن الممكن إذا ذكرنا كبار التابعين أن نجعلهم طبقة واحدة ، ولكن اذا توسعنا في ذكر التابعين يقضي – من أجل الدقة – تقسيمهم الى أكثر من طبقة ، فكبار التابعين إنما هم الذين رووا عن كبار الصحابة ، وصغار التابعين هم الذين رووا عن صغار الصحابة لعدم لحاقهم بكبار الصحابة ، فضلاً عن أن بعض التابعين لم يرو عن غير التابعين ، وهو أمر يعرفه أهل العناية بهذا الفن الجليل . وعليه فإن الذهبي لو أراد مثلاً أن يؤلف كتاباً في جميع القراء وليس في « الكبار » لاضطره الأمر إلى زيادة عدد الطبقات ، وهلم جراً . وبهذا يتضح أن كل مترجم انما تتحدد

طبقته حسب الكتاب المذكور فيه، وأننا لا يمكن أن نجد توزيعاً موحداً للمترجمين في جميع كتب الذهبي المرتبة على الطبقات، فلا نستطيع القول إن فلاناً من أهل الطبقة الفلانية عند الذهبي ، بل يصح القول إنه من أهل الطبقة الفلانية في الكتاب الفلاني . فاذا كان الأمر كذلك فمن البداهة أن لا نجد تقسيماً موحداً للطبقات عند المؤلفين المسلمين فمكحول مثلاً في الطبقة الثالثة من أهل الشام عند ابن سعد [1] ، بينما هو في الطبقة الثانيـة عند خليفة [2] ، وفي الطبقة الرابعـة عند الذهبي في « التذكرة » [3] ، وهو من أهل الطبقة الخامسة عند ابن حجر في « التقريب » [4] .

لقد اخترع المحدثون التنظيم على الطبقات لخدمة دراسة الحديث النبوي الشريف ومعرفة إسناد الحديث ونقده ، فهو الذي يؤدي إلى معرفة فيما إذا كان الإسناد متصلاً ، أو ما في السند من إرســال [5] أو انقطــاع [6] أو عضل [7] أو تدليس [8] ، أو اتفاق في الأسماء مع اختــلاف في الطبقة [9] . وكان نظام الطبقات على غاية من الأهمية في العصور الأولى التي لم يعتن المؤلفون فيها بضبط مواليد الرواة ووفياتهم إنما كانت تحدد طبقاتهم بمعرفة شيوخهم والرواة عنهم .

على أن من أكبر عيوب التنظيم على الطبقات صعوبة العثور على الترجمة لغير المتمرسين بهذا الفن تمرساً جيداً ، فضلاً عن عدم وجود تقسيم موحد للطبقة عند المؤلفين . وحينما توفرت للمؤلفين مادة كافية لضبط تاريخ المواليد والوفيات ازداد

(١) الطبقات : ٤٥٣/٧

(٢) طبقات خليفة : ٣١٠ (ط . العمري)

(٣) التذكرة : ١٠٧/١

(٤) التقريب : ٢٧٣/٢ .

(٥) المرسل : ما سقط من اسناده اسم الصحابي .

(٦) المنقطع : أن يسقط من السند رجل ليس بصحابي .

(٧) المعضل : ما سقط من اسناده اثنان أو أكثر .

(٨) المدلس : هو الذي يروي عمن لقيه أحاديث لم يسمعها منه، أو عمن عاصره ولم يلقه موهماً أنه سمعه منه .

(٩) وذلك كثير فيعرف الشخص من طبقته وشيوخه .

عدد المؤلفين الذين ينظّمون كتبهم الرجالية على الوفيات أو على حروف المعجم .

وقد كان من جملة انتقادات أبي الحجاج المزي للحافظ عبدالغني المقدسي في تنظيمه لكتابه « الكمال في أسماء الرجال » أنه أفرد تراجم الصحابة عن بقية التراجم المذكورة في كتابه ، قال : « وقد كان صاحب الكتاب رحمه الله ابتدأ بذكر الصحابة ، أولاً الرجال منهم والنساء على حدة ثم ذكر مَن بعدهم على حدة ، فرأينا ذكر الجميع على نسق واحد أولى ؛ لأن الصحابي ربما روى عن صحابي آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيظنه من لا خبرة له تابعياً فيطلبه في أسماء التابعين فلا يجده ، وربما روى التابعي حديثاً مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيظنه من لا خبرة له صحابياً فيطلبه في أسماء الصحابة فلا يجده ، وربما تكرر ذكر الصحابي في أسماء الصحابة وفيمن بعدهم وربما ذكر الصحابي الراوي عن غير النبي صلى الله عليه وسلم في غير الصحابة وربما ذكر التابعي المرسِل عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحابة ، فإذا ذكر الجميع على نسق واحدٍ زال ذلك المحذور وذكر في ترجمة كل إنسان منهم ما يكشف عن حاله إن كان صحابياً أو غير صحابي »(١) ، لذلك رتب المزي الرجال في كتابه على حروف المعجم وصعد في الترتيب إلى آبائهم وأجدادهم ثم رتب النساء على ذلك النسق أيضاً . (٢) .

وفائدة التنظيم على الطبقات إنما تظهر في العصور الإسلامية الأولى كما ذكرت ، وكلما مضى الزمن بالكتاب صرنا لا نشعر بوجود الطبقة شعوراً واضحاً ، لذلك وجدنا في « سير أعلام النبلاء » نوعاً من التسلسل الزمني في الأقسام التي تلت تلك الأعصر الأولى ، فضلاً عن وجود عدد ليس بالقليل من التراجم التي لا علاقة

(١) انظر المجلد الأول من تهذيب الكمال بتحقيقنا (منشورات مؤسسة الرسالة) .

(٢) وقد وجدنا العلماء المتأخرين يعنون باعادة تنظيم كتب الطبقات على حروف المعجم كما فعل نورالدين الهيثمي في اعادة ترتيب « ثقات » العجلي و « ثقات » ابن حبان ، وغيره .

لأصحابها بالرواية أو العلم فضلاً عن اللقيا مثل الملوك والوزراء والخلفاء والسلاطين والأطباء والشعراء ونحوهم ، ولكن مفهوم الذهبي للتاريخ وتكوينه الفكري المتصل بالحديث والمحدثين جعله يتمسك بهذا التنظيم إلى آخر الكتاب بالرغم من عدم جدواه في القرون المتأخرة ودخول غير أهل الرواية في الكتاب .

إن نظرة واحدة للتراجم المذكورة في المجلد الثالث عشر مثلاً تشير إلى نوع من التسلسل في ذكر المترجمين حسب وفياتهم وإن لم يكن ذلك بالدقة التي رتبت فيها الكتب المؤلفة على السنين .

وقد وجدنا الذهبي في « السير » كثيراً ما يجمع تراجم الأقرباء في مكان واحد ولا سيما الإخوة والآباء والابناء ، وهو بعمله هذا إنما راعى الوحدة التاريخية ، لكنه في الوقت نفسه كان على حساب « الطبقة » والزمان . فحينما ترجم الذهبي لعاقل بن البكير – أحد شهداء بدر – أتبعه بتراجم إخوته الثلاثة : خالد بن البكير الذي استشهد يوم الرجيع سنة أربع ، وإياس بن البكير المتوفى سنة ٣٤ هـ ، وعامر الذي استشهد يوم اليمامة . وحينما ترجم لأبي جندل بن سهيل ترجم بعد ذلك لأخيه عبدالله بن سهيل ثم لأبيهما سهيل بن عمرو . وحيندا ترجم لأبي الحارث نوفل بن الحارث ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترجم أيضاً لابنه الحارث بن نوفل ، ثم لابن ابنه : عبدالله بن الحارث بن نوفل ، ثم لابن ابن ابنه : عبدالله بن عبدالله بن الحارث بن نوفل ، واتبعهم بعد ذلك بأخويه : سعيد بن الحارث وأبي سفيان بن الحارث ، ثم ولد الأخير جعفر بن أبي سفيان بن الحارث .

وهذا الذي ذكرته عن الجمع بين الأقرباء وتجاوز الطبقة منهج سار عليه الذهبي في جميع الكتاب وإن لم يلتزم به دائماً ، وقد وجدناه في الأقسام الأخيرة من كتابه يتبع هذا النهج ، ففي الطبقة الثلاثين ترجم لأبي العلاء الهمذاني المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ثم اتبعه بابنه محمد بن الحسن المتوفى سنة ٦٠٥هـمع انه من

أهل الطبقة التي بعدها . وترجم لكمال الدين ابن الشهرزوري المتوفى سنة ٥٧٢ هـ وذكر والده الملقب بالمرتضى المتوفى سنة ٥١١ هـ وهو من أهل طبقة سابقة . وترجم في الطبقة الثلاثين لقوام الدين أبي المحامد حـمّـاد بن إبراهيم الصفّـاري المتوفى سنة ٥٧٦ هـ ، ثم ذكر والده ركن الدين الذي بقي إلى سنة ٥٣٢ هـ ، كما ذكر جده إسماعيل بن اسحاق الذي بقي إلى حدود سنة ٥٠٠ هـ . وترجم لأبي المواهب ابن صَصْرى المتوفى سنة ٥٨٦ هـ ، وأتبعة بترجمة أبيه أبي البركات ابن صصرى المتوفى سنة ٥٧٣ هـ ثم ترجمه جده محفوظ المتوفى سنة ٥٤٥ هـ . وحينما ترجم للسلطان الهُمام صلاح الدين يوسف المتوفى سنة ٥٨٩ هـ ترجم معه لأبنائه : العزيز المتوفى سنة ٥٩٥هـ والظاهر المتوفى سنة ٦١٣هـ ، والأفضل المتوفى سنة ٦٢٢هـ وهلم جراً .

خامساً ــ طبيعة تراجم «السير» وأسس انتقائها :

عرفنا من دراستنا لسيرة الذهبي أنه كان عالماً واسع الإطلاع غزير المعارف ، ولا سيما في التراجم ، وهو الحقل الذي ألف فيه مجموعة من الكتب وبرع فيه البراعة التي جعلت العلماء يجمعون على أنه « مؤرخ الإسلام » ، وألف كتابه العظيم « تاريخ الإسلام » الذي احتوى على قرابة أربعين ألف ترجمة ، وبذلك كانت لديه حصيلة ضخمة من التراجم كان عليه أن ينتقي منها ما يراه مناسباً لكتابه « السير » ، فهل كانت لديه خطة معينة سار عليها في ذلك ؟

والجواب : إن دراستنا للكتاب تبين أنه سار وفق خطة مرسومة في الانتقاء ، سواء أكان ذلك في انتقاء التراجم أم في انتقاء المادة المذكورة في كل ترجمة ، وقد انطلق في كل ذلك من ميزانه الذي وزن به المترجم من جهة والأخبار التي تجمعت لديه عنه من جهة أخرى ، وهو في كل ذلك إنما يصدر عن مفهومه المعين لفائدة كتاب من مثل « السير » . ولعلنا نستطيع فيما يأتي أن نتبين أسس انتقاء التراجم :

١ـ العالمية :

كان الذهبي قد أورد في « تاريخ الاسلام » جميع المشاهير والأعلام ، ولم يورد المغمورين والمجهولين ، بعرف أهل الفن في كل عصر لا بعرفنا نحن ، إذ لا ريب في أن هناك آلافاً من التراجم التي ذكرها لم يسمع بها كثير من المتخصصين في عصرنا . أما في « السير » فإنه اقتصر فيه على ذكر « الأعلام » وأسقط المشهورين . وقد استعمل الذهبي لفظ « الأعلام »[1] ليدل على المشهورين جداً بعرفه هو لا بعرف غيره ، ذلك أن مفهوم « العالم » يختلف عند مؤلف وآخر استناداً إلى عمق ثقافته ونظرته إلى البراعة في علم من العلوم أو فن من الفنون أو عمل من الأعمال أو أي شيء آخر . لذلك وجدنا أن سعة ثقافة الذهبي وعظيم اطلاعه وكثرة معاناته ودربته بهذا الفن قد أدت إلى توسيع هذا المفهوم . بحيث صرنا نجد تراجم في « السير» مما لا نجده في كتب تناولت المشهورين مثل « المنتظم » لابن الجوزي ، و « الكامل » لابن الأثير ، و« البداية» لابن كثير ، و « عقد الجمان » لبدر الدين العيني ، وغيرها .

٢ ـ الشمول النوعي :

ولم يقتصر الذهبي في « السير » على نوع معين من « الأعلام » بل تنوعت تراجمه فشملت كثيراً من فئات الناس ، من الخلفاء ، والملوك ، والامراء والسلاطين والوزراء ، والنقباء ، والقضاة ، والقراء ، والمحدثين ، والفقهاء ، والأدباء ، واللغويين والنحاة ، والشعراء ، وأرباب الملك والنحل والمتكلمين والفلاسفة ، ومجموعة من المعنيين بالعلوم الصرفة .

ومع أن المؤلف قصد أن يكون « السير » شاملاً جميع « أعلام » الناس ، إلا أننا وجدناه يؤثر المحدثين على غيرهم ، لذلك جاءت الغالبية العظمى من المترجمين من أهل العناية بالحديث النبوي الشريف رواية ودراية ، وهي — فيما نرى —

(١) كانت تراجم الأعلام في تاريخ الاسلام أوسع من تراجم المشهورين ، وقد أشار الذهبي في تراجمهم من هذا التاريخ بلفظة « أحد الأعلام » .

ظاهرة طبيعية لِما عرفنا من تربية الذهبي ونشأته الحديثية ، وحبه لرواية الحديث ، وشغفه به ، ذلك الشغف العظيم الذي ملك عليه قلبه ، فهو من صنفهم واسع المعرفة بهم عظيم الإكبار لهم شديد الكلف بهم ، فضلاً عن أن المحدثين هم من أكثر الفئات التي عنيت بالرواية نظراً للأهمية البالغة التي يحتلها الحديث الشريف في الحياة الإسلامية ، ولذلك فإن دراسة أحوال نقلة الحديث وبيان مواليدهم ووفياتهم وآراء العلماء فيهم وشيوخهم والرواة عنهم ونحو ذلك من الأمور التي تقوم عليها دراسة الأسانيد ثم معرفة صحيح الحديث من سقيمه .

٣ ـ الشمول المكاني :

وقد عمل المؤلف أن يكون كتابه شاملاً لتراجم الأعلام من كافة أنحاء العالم الإسلامي من الأندلس غرباً إلى أقصى المشرق ، وهو شمول قل وجوده في كثير من الكتب العامة التي تناولت تراجم المسلمين ، إذ كثيراً ما كانت مثل تلك الكتب تعنى بإيراد تراجم أعلام بلدها أو منطقتها ، فابن الجوزي في «المنتظم» مثلاً عني بتراجم البغداديين عناية فاقت غيرهم من علماء واعلام البلدان الأخرى مع أنه أراد لكتابه أن يكون عاماً شاملاً ، ولم يعن كثير من المؤلفين المشارقة الذين ألفوا في التراجم العامة بتراجم المغاربة والأندلسيين [١] ، كما لم يعن كثير من المؤلفين المغاربة والأندلسيين بتراجم المشارقة عنايتهم بتراجم أهل بلدهم ، بينما نجد نوعاً جيداً من التوازن في كتاب « السير » يقل نظيره في الكتب التي من بابته ، وهو منهج سار عليه الذهبي في كثير من كتبه ولا سيما في كتابه الكبير «تاريخ الإسلام » ، مما يشير إلى شمول نظرته واتساع اطلاعه على المؤلفات في هذا الفن في كل منطقة من مناطق العالم الإسلامي وصلته بها .

٤ ـ التوازن الزماني :

حاول الذهبي في هذا الكتاب أن يوازن في عدد الاعلام الذين يذكرهم على

(١) ألف زكي الدين المنذري « التكملة لوفيات النقلة » ليكون كتاباً عاماً في « النقلة » لكل العالم الإسلامي ، لكننا وجدناه يقصر تقصيراً كبيراً في تراجم الأندلسيين

امتداد المدة الزمنية الطويلة التي استغرقها الكتاب والبالغة سبعة قرون ، فلم نجد عنده تفضيلاً لعصر على آخر في هذا المجال . ومع أننا نجد تفاوتاً في عدد المترجمين بين طبقة واخرى ، لكننا لو نظمنا الكتاب على وفيات المترجمين ، ونظرنا الى عدد المذكورين في كل سنة لوجدنا نوعاً من التناسق في عدد المذكورين في كل سنة . نعم ، قد نجد كثيراً من السنوات مما يخرج عن هذا القول لكن هذا لا يناقض المسار العام الذي أشرنا إليه بسبب وفاة عدد من الأعـلام في بعض هذه السنوات لعوامل كثيرة منها الأوبئة والحروب وغيرها .

٥ ـ طول التراجم وقصرها :

وجد الذهبي ، بسبب سعة اطلاعه وتمكنه العظيم في الرجال ، مادة وفيرة احتوتها مئات الموارد التراجمية ، يساعده على ذلك سعة النطاق الزماني لكتابه الذي يمتد من أول تاريخ الإسلام حتى نهاية المئة السابعة ، والنطاق المكاني الذي يشمل العالم الإسلامي كله . وقد رأينا قبل قليل كيف استطاع أن يحدد نوعية المترجمين باختيار الأعلام منهم ، إلا أن ما يبدو أكثر أهمية هو أن هؤلاء الأعلام تتوفر عنهم عند مثل هذا المؤلف الواسع الاطلاع كمية عظيمة من المادة التاريخية التي لا بد أن ينتقي منها ما يتفق وخطته في صياغة الترجمة من أجل أن لا يتضخم الكتاب أزيد من هذا التضخم الكبير الذي قدره له .

من هذا الذي ذكرت اجتهد الذهبي أن يقدم ترجمة كاملة ومختصرة في الوقت نفسه لا تؤثر فيها كمية المعلومات التي تتوافر لديه فتخرجه عن خطته العامة . وقد تمكن الذهبي أن يتخلص من مثل تلك المادة الضخمة التي تحصلت لديه عن بعض كبار الأعلام بإحالة القارىء إلى مصادر أوسع تناولت ذلك العَلَم بتفصيل أكثر مما ذكره هو في بعض جوانب الترجمة نحو قوله في ترجمة عكرمة بن أبي جهل : « استوعب أخباره أبو القاسم بن عساكر » ، وقوله في ترجمة يزيد بن أبي سفيان : « له ترجمة طويلة في تاريخ الحافظ أبي القاسم » ، وقوله في

ترجمة بلال بن رباح : « ومناقبه جمة استوفاها الحافظ ابن عساكر » ، وقوله في ترجمة الكمال ابن الأنباري بعد أن ذكر عدداً من تصانيفه : « وسرد له ابن النجار تصانيف جمة » . والأمثلة كثيرة .

ومع هذا الذي ذكرت فإن طول التراجم وقصرها في « السير » من الأمور الواضحة لمطالع الكتاب ، فقد نجد ترجمة لاتزيد على بضعة اسطر ، بينما نجد ترجمة أخرى قد تبلغ صفحات عديدة . وقد انتقده تلميذه التاج السبكي المتوفى سنة ٧٧١ على خطته في تطويل التراجم وتقصيرها في كتبه التاريخية واعتبر ذلك من باب التعصب والهوى العقائدي [١]. إلا أن دراساتنا لهذه المسألة تبين أن السبكي قد بالغ في نقده بسبب من تعصبه الشديد للأشاعرة ، وتبين لنا أن الذهبي راعى في أكثر الأحايين قيمة الإنسان وشهرته بين أهل علمه أو مكانته بين الذين من بابته سواء أكان متفقاً معه في العقيدة أم مخالفاً فنراه مثلاً يطول في تراجم الشعراء البارزين ، أو كبار النحويين ، أو أعلام الصوفية ، أو كبار الخلفاء والملوك والسلاطين ، وقد ترجم للشهاب السهروردي المقتول سنة ٥٨٧ ترجمة طويلة باعتباره « العلامة الفيلسوف السماوي المنطقي . . . من كان يتوقد ذكاءً » مع قوله « إنه قليل الدين » وأن مصنفاته « سائرها ليست من علوم الإسلام » وأن الذين افتوا بقتله « أحسنوا وأصابوا » [٢] وترجم ترجمة حافلة لراشد الدين سنان « كبير الإسماعيلية وطاغوتهم. . . الباطني صاحب الدعوة النزارية » الذي كان في رأيه : « سخطة وبلاء » [٣] ، وأمثلة ذلك في « السير » كثيرة لا نرى كبير فائدة في إيراد المزيد منها . ومع أن الذهبي كان عظيم الاهتمام بالمحدثين مكبراً لهم شديد الكلف بهم ، إلا اننا وجدناه يترجم لهم تراجم قصيرة عموماً إذا استثنينا بعض كبار أعلامهم مقارنة بكثير من التراجم الطويلة التي خص بها بعض الشعراء والصوفية والمتكلمين والفلاسفة .

(١) انظر الطبقات الكبرى : ٢/٢٣ - ٢٤ .
(٢) سير أعلام النبلاء : ٢١/ الترجمة ٩٩ (بتحقيقنا)
(٣) المصدر نفسه : ٢١/الترجمة ٩٠

على أن هذا الذي قلته لا يعني أنه لم يتأثر إطلاقاً بعقيدته وآرائه ونظرته إلى العلوم في فهم المترجمين وتطويل تراجمهم أو تقصيرها ، فهذا أمر يجانب الطبيعة البشرية ، وهو موجود عند جميع المؤرخين ، لكننا نشير إلى محاولاته الجدية في الموازنة ، وإلى أنه لم يفعل ذلك عن هوى وتقصد إنما انطلق من تكوينه الفكري الذي كان يحدد أهمية « العَلَم » في خدمة الإسلام ، أو الإضرار به ، فكان ينطلق ليبين هذا أو ذاك فتطول التراجم .

إن تقدير الإمام الذهبي للعَلَم الذي يترجم له ويطول في ترجمته بسبب المكانة التي يحتلها هي ، التي دفعت به الى تخصيص مجلد كامل للسيرة النبوية الشريفة ، فسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي المثل الأعلى الذي يحتذيه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها فضلاً عن الأحكام المستفادة منها . وهذا الأمر هو الذي أدى به إلى تخصيص مجلد كامل عن سير الخلفاء الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي — رضي الله تعالى عنهم — لما تمثله من قدوة للمسلمين ولمايستفادمن دراستها في شتى مناحي الحياةالسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ولما تحتله من المكانة في بناء الإنسان .

سادساً — صياغة تراجم (السِّيَر) وعناصرها :

تختلف المادة الموجودة في ترجمة ما عن الأخرى حسب طبيعة المترجم له وقيمته العلمية أو الأدبية أو مكانته السياسية من جهة ، وتتوحد في الأسس العامة لمكونات الترجمة من جهة أخرى ولا نجد تناقضاً في ذلك ، فالذهبي يعنى في معظم التراجم بذكر اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته ، ثم مولده أو ما يدل على عمره [1] ، ونشأته ودراسته وأخذه عن الشيوخ الذين التقى بهم وروى

---

(١) لقد اعتنى الذهبي بذكر الولادات جهد طاقته فذكرها دائماً حينما توفرت له لما لذلك من أهمية كبيرة في الأطمئنان على لقاء المترجم لمشايخه وسماعاته عليهم أو إجازاته منهم . وكان المحدثون يعنون بتتبع المواليد ويسألون الشيخ عن مولده قبل السماع منه أو الأخذ عنه ،فاذا ما وجدوا له رواية قبل هذا التاريخ أو في سن لا تحتمل السماع حكموا بكذبه في هذه الرواية .

عنهم ، وأفاد منهم ، ثم تلامذته الذين أخذوا عنه وانتفعوا بعلمه ، وتخرجوا به ، وما خلّف من آثار علمية أو أدبية أو اجتماعية ، ويبين بعد ذلك منزلته العلمية وعقيدته من خلال أقاويل العلماء الثقات فيه جرحاً وتعديلاً ممن كان وثيق الصلة به ، ثم غالباً ما ينهي الترجمة بتحديد تاريخ وفاة المترجم ويدقق في ذلك تدقيقاً بارعاً . والمؤلف في الوقت نفسه يذكر في كل ترجمة أموراً متفرقة تتصل بطبيعتها ، فهو يعنى مثلاً بإيراد أعمال الخلفاء والملوك والأمراء والمتولين في تراجمهم ،ويركز عنايته على ما قاموا به من نشر عدل أو بث ظلم وسفك دماء . وهو يعنى بايراد نماذج من شعر الشعراء ومختارات من نثر الأدباء ، وأقوال للمتفلسفين وأرباب المقالات بما ينبىءُ عن حسن عقيدتهم أو سوئها ونحو ذلك .

والذهبي فنّان تراجمي له أسلوبه المتميز في صياغة التراجم وأساليب عرضها يختلف عن الموارد التي ينقل منها . وقد دفعه هذا الأمر في أغلب الأحيان إلى إعادة صياغة المادة التاريخية المنقولة عن المؤلفات السابقة بأسلوبه الخاص ، ولم ير في ذلك ضيراً ما زال ملزماً نفسه بالدقة والأمانة في نقل معاني الأقوال ، ولا سيما تلك التي لا تؤثر في قيمتها إعادة الصياغة مثل تاريخ وفاة أو ميلاد أو قيام بعمل ما أو اختصار في أسماء الشيوخ ونحو ذلك ، وقد بلغ الأمر به حداً أنه أعاد تركيب الترجمة في كثير من المواضع التي اعتمد فيها مصدراً واحداً . ولكنه ألزم نفسه في الوقت نفسه بنقل النصوص بألفاظها في الحالات التي تستحق ذلك وتتطلبها مثل أقوال العلماء في الجرح والتعديل ، ونصوص الكتب والتوقيعات التي أوردها في « السير » ، والقطع النثرية ، والقصائد الشعرية ، والمناقشات بين العلماء ، فضلاً عن الروايات المسندة ، ونصوص الأحاديث النبوية الشريفة . أما اذا انتقى من النص أو لخصه فإنه يشير إلى ذلك بما يدفع عنه تهمة التلاعب به.

أما أسلوبه الأدبي في عرض الترجمة فقد تميز بالطراوة والحلك ولم يعن بالصنعة البيانية وتزويق الألفاظ مثل غيره من معاصريه وتلامذته كابن سيد الناس اليَعْمري،

وتاج الدين السبكي وصلاح الدين الصفدي وغيرهم . وهذا أمر طبيعي فيما نرى لأن للكلمة مكانتها عند الذهبي ، وهو الناقد الذي يختار العبارة المناسبة للتعبير عما يريد بدقة وأمانة ويصف المترجم بالعبارة التي تزنه جرحاً أو تعديلاً ، فهو أسلوب علمي قبل كل شيء . ومن الواضح أنه لا يمكن تقويم المترجمين بشكل متقن عند اتباع أسلوب الصنعة البلاغية الذي يتجلى فيه العناية بالأسلوب على حساب دقة المعاني ودلالات الألفاظ .

وقد عرفنا من سيرة الذهبي ومكانته العلمية أنه قد حَصّل طرفاً صالحاً من العربية في نحوها وصرفها وآدابها ، كما أنه عُني عناية كبيرة في مطلع حياته بالقراءآت التي تقوم في أساسها على علم تام بالعربية ، وقد تعاطى الشعر فنظم اليسير منه ، وأورد من شعر غيره جملة كبيرة في هذا الكتاب وغيره من كتبه ولذلك أصبحت لغته قوية جداً يصعب أن نجد في كتابه لحناً أو غلطاً لغوياً أو استعمالاً عامياً ، فاذا كان النادر من ذلك فإنه من سهو القلم والذهول أو بعض ما يغلط فيه الخواص وليس ذاك بشيء . وقد أدت دراساته لعدد ضخم من المؤلفات التاريخية والأدبية والحديثية واشتهاره بقوة الحافظة إلى وقوفه على أساليب عدد كبير من الكتاب والمؤلفين على مدى عصور طويلة تنوعت أساليب الكتابة فيها ، فأكسبه كل ذلك خبرة أدبية قوية .

إن معرفة اللغة العربية معرفة جيدة والتمتع بالأسلوب الرصين من العوامل المهمة التي تخرج ترجمة جيدة ينتفع بها ، والقول بأن المَعْنِيَّ بعلم التراجم لا يحتاج كل هذه المعرفة قول فاسد ، وقد أشار شيخ الذهبي ورفيقه الحافظ أبو الحجاج المزي في نهاية تقديمه لكتابه العظيم « تهذيب الكمال » إلى هذه الضرورة فقال : « وينبغي للناظر في كتابنا هذا أن يكون قد حَصّل طرفاً صالحاً من علم العربية نحوها ولغتها وتصريفها ، ومن علم الأصول والفروع ، ومن علم الحديث

والتواريخ وأيام الناس فإنه إذا كان كذلك كثر انتفاعه به وتمكن من معرفة صحيح الحديث وضعيفه وذلك خصوصية المحدث التي من نالها وقام بشرائطها ساد أهل زمانه في هذا العلم وحشر يوم القيامة تحت اللواء المحمدي إن شاء الله تعالى [1].

سابعا ــ المنهج النقدي

كان الإمام الذهبي من المعنيين بالنقد كل العناية بحيث صار يحتل مكاناً بارزاً في كتبه ، وألف الكتب النافعة الخاصة به ، ولذلك وجدناه عظيم الاهتمام به في كتبه ومنها كتابه النفيس « سير أعلام النبلاء » مارسة في كل مادته واعتبره جزءاً أساسياً من منهجه في تأليف الكتاب .

والذهبي إنما ينطلق في هذه العناية وذاك الاهتمام من تكوينه الفكري المتصل بدراسة الحديث النبوي الشريف وروايته ودرايته الذي يؤكد ضرورة تبيين أحوال الرواة ودرجة الوثوق بهم بتمييز الكاذبين منهم عن الصادقين ، فسحبه بعد ذلك على جميع كتابه سواء أكان ذلك في تراجم المحدثين أم في تراجم غيرهم وسواء أكانوا من المتقدمين أم من المتأخرين . والحق أن المحدثين اخترعوا مناهج للبحث العلمي تعد من أرقى المناهج العلمية التي لم يعرفها الأوربيون إلا في عصور متأخرة جداً . وقد انتفع بها المؤلفون في الفنون والعلوم الأخرى منهم المؤرخون واللغويون والادباء والفقهاء وغيرهم [2] .

وقد اعتنى الذهبي في « السير » بكل أنواع النقد فلم يقتصر على مجال واحد من مجالاته ، فقد عني بنقد المترجمين وتبيان أحوالهم ، وأصدر أحكاماً وتقويمات تاريخية ، وانتقد الموارد التي نقل منها ونبه إلى أوهام مؤلفيها ، وبرع في إصدار الأحكام على الأحاديث إسناداً ومتناً وسحب ذلك على الروايات التاريخية .

---

(١) أنظر مقدمة تهذيب الكمال (بيروت ١٩٨٠) .

(٢) انظر ما كتبناه عن « أثر دراسة الحديث في تطور الفكر العربي » في كتاب « رحلة في الفكر والتراث (بغداد : ١٩٨٠) .

١ ـ نقد المترجمين :

يقوم نقد المترجم عند الذهبي عادة على إصدار حكم في الرجل وتبيان حاله جرحاً أو تعديلاً ، ويكون ذلك في الأغلب بايراد آراء الثقات المعاصرين فيه واحكامهم عليه وانطباعاتهم الشخصية عنه مما تحصل لديهم نتيجة لصلتهم به ومعرفتهم بعلمه وسيرته . وفي مثل هذه الحال قد يكتفي بآرائهم أو يرد عليها أو يرجح رأياً منها ، وتكون نتيجة التعديل أو التجريح إصدار أحكام بعبارات فنية لها دلالاتها الدقيقة جداً نحو « ثقة » ، و« صدوق » و« صويلح » ، و«دجال» ، و « متروك » ، و « كذاب » و « مجهول » وما إلى ذلك مما فصلة في مقدمة كتابه النفيس « ميزان الاعتدال » .

وكانت الغاية الأساسية من نشوء هذا النقد هو تبيان أحوال رجال الحديث لمعرفة صحيح الحديث من سقيمه ، ولكننا وجدنا الذهبي يسحبه على معظم المترجمين في كتابه هذا وغيره من الكتب وإن لم يكونوا من المحدثين بل سحبه الى مترجمين لا علاقة لهم بالرواية أياً كانت .

وقد أدى هذا الأمر الى اعتراض بعض معاصريه عليه في عنايته الكبيرة باعتبار أن الدواعي التي دعت إلى قيام النقد عند المتقدمين هي الوصول إلى تصحيح الحديث النبوي الشريف ، وأن الحديث قد استقر في الكتب الرئيسة فما عادت هناك من حاجة إليه ، وأن فائدته قد انقطعت منذ مطلع القرن الرابع الهجري[١] ، كما أخذ عليه بعضهم نقده لغير الرواة واعتبروا أن ذلك لا فائدة فيه وأنه غيبة[٢] .

وقد أثارت هذه القضية نقاشاً بين العلماء فيما بعد ، ولاحظنا أن العلماء المسلمين ، ومنهم السخاوي ، قد برروا استعمال النقد في غير مجال الرواة بالفائدة المتوخاة

---

(١) ممن صرح بهذا أبو عمرو محمد بن عثمان الغرناطي المعروف بابن المرابط المتوفى سنة ٧٥٢ هـ (انظر الإعلان للسخاوي ؛ ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤) .

(٢) السبكي ؛ طبقات الشافعية : ١٤/٢ .

منه للنصيحة ودفــع الضرر[1] . لكننا لاحظنا في هذا التفسير سذاجة ، وآية ذلك أنه قد يصح في حالة نقد المعاصرين من غير الرواة ، فكيف نفسر نقده الرواة المتأخرين . وكيف نفسر استمرار الذهبي وغيره في نقد السابقين وتأليف الكتب الخاصة بالجرح والتعديل إن كانوا يعتقدون بانقطاع الفائدة ؟

الحق إن مثل هذا الأمر لا يفسر بالبساطة التي ناقشوها ، فإن هناك عوامــل أكثر عمقاً دفعت الإمام الذهبي إلى مثل هذه العناية لعل من أبرزها :

أ ــ استمرار العناية بالرواية في العصور التالية لظهور دواوين الإسلام في الحديث وبعض المجاميع الحديثية الأخرى ، بل ازدادوا عناية بها تقليداً للسابقين من جهة وتديناً وحباً بالحديث من جهة أخرى ، ولانها صارت جزءاً من الحركة التعليمية والفكرية عند المسلمين من جهة ثالثة . وهذا يعني استمرار الإسناد ومن ثم ضرورة استمرار النقد في كل عصر لتبيان أحوال الرواة ومع أن الإمام الذهبي ركز في كتابه « الميزان » على الرواة القدماء واعتبر مطلع القرن الرابع الهجري هو الحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر ، وأنــه لو فتح على نفسه تناول المتأخرين لما سلم معه إلا القليل[2] ، إلا أنــه فتح هذا الباب في كتبه الأخرى ومنها « معجم الشيوخ » و«تاريخ الاسلام» و « سير أعلام النبلاء » وغيرها .

ب ــ إن الذهبي ــ وهو الناقد البارع ــ لم يتقبل آراء النقاد السابقين باعتبارهــا مسلمات لا يمكن ردها أو الطعن فيها دائماً بالرغم من احترامه الشديــد للثقات منهم ومدحه الكثير لهم ، وهو بهذا اعتبر باب الاجتهاد في النقد ما زال مفتوحاً فعني به كل هذه العناية ، يدل على ذلك رده لآراء كثير من كبار النقاد وعدم قبولها مثل أحمد بن صالح المصري المتوفى سنة ٢٤٨هـ وأحمد بن عبدالله العجلي المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، وإبراهيم بن يعقوب

(١) الإعلان : ٤٦١ - ٤٦٢

(٢) أنظر مقدمة الميزان .

الجوزجاني السعدي المتوفى سنة ٢٥٩ هـ ، والبرذعي المتوفى سنة ٢٩٢هـ، والنسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، والعقيلي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، وابن عدي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٥ هـ ، وابن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، وأبو الفتح الأزدي المتوفى سنة ٣٦٧ ، وابن مندة المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، والخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ ، وابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ، وابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، وغيرهم مما يطول ذكرهم وتعدادهم .

ج ـ إن النقد أصبح جزءاً من مفهومه التاريخي لذلك حاول تطبيقه في كل كتبه. وقد أخطأ كثير ممن فسّر نقده لكبار العلماء من غير الرواة أو الملوك أو أرباب الولايات أو نحوهم بأنه من صنف « نقد الرجال » بل هو حكم تاريخي كانت الغاية منه تقويم المترجم .

والحق أن الذهبي لم ينظر إلى أمثال هؤلاء بالمنظار الذي نظر به إلى الرواة وأشباههم في الأغلب ، بل نظر إلى كل طائفة منهم بمنظار يختلف عن الآخر ، وهي مسألة قلما انتبه إليها الباحثون فوقعوا بآفة التعميم وخرجوا بما ظنوا أنه حقيقة فذكروا أن المؤرخين المسلمين المتأثرين بالحديث الشريف وعلومه نظروا إلى جميع الناس بمنظار واحد هو منظار الحديث والمحدثين . وقد أبانت دراستنا« للسير » وغيره أن الذهبي استطاع أن ينظر إلى كل طائفة منهم بمنظار آخر كوّن في الأغلب صورة لجمّاع رأيه في المترجم .

إن تعدد المناظير هذا جعل آراء الذهبي في المترجمين تبدو لأول وهلة متناقضة مضطربة نحو قوله في ترجمة صدقة بن الحسين الحداد المتوفى سنة ٥٧٣ هـ « العلامة . . . الفرضي المتكلم المتهم في دينه »[1] ، فهو هنا قد فرق بين علم الرجل ودينه ، واعطى لكل ناحية تقويماً خاصاً . ومن ذلك قوله في ترجمة الشهاب السهروردي المقتول سنة ٥٨٧ : « العلامة الفيلسوف . . . من كان يتوقد ذكاءً ،

(١) سير أعلام النبلاء ؛ ٢١/الترجمة : ٢١ .

إلا أنه قليل الدين » ثم علق الذهبي على افتاء علماء حلب بقتله ، بقوله : «أحسنوا وأصابوا » ، وأنه « كان أحمق طياشاً منحلاً » [1] ، ومثل هذا كثير .

وهذا الاختلاف في المناظير وتعددها عند الذهبي جعله يراعي في كل طائفة صفات معينة بصرف النظر عن اتفاقه أو اختلافه معهم ، فكان ينظر إلى الخلفاء والملوك والوزراء وأرباب الولايات مثلاً من زاوية الحزم والدهاء، والقوة والضعف ، والسياسة ، والظلم والعدل ، وحب العلم والعلماء ونحوها ، مثل قوله في ترجمة قايماز مولى المستنجد « كان سمحاً كريماً . . . قليل الظلم [2] » ، وقوله في ابن غانية : « الأمير المجاهد » [3] ، وقوله في مجد الدين ابن الصاحب : « وكان قد تمرد وسفك الدماء وسب الصحابة وعزم على قاب الدولة فقصمه الله » [4] ، وقوله في الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة : « كان بطلاً شجاعاً مقداماً جواداً ممدحاً له مواقف مشهودة مع عمه السلطان صلاح الدين [5] ، وغير ذلك كثير [6] .

أما العلماء فكان يراعي فيهم البراعة والمعرفة في العلم الذي تخصصوا فيه ، ومن ذلك مثلاً الشعراء فإنه نظر إلى إبداعهم وجودة شعرهم فقومهم استناداً إلى ذلك . ثم كثيراً ما نجده يقوّم بعض المترجمين بعد دراسة بعض كتبهم ويبين قيمتها العلمية بين الكتب التي من بابتها .

٢ ــ نقد الأحاديث والروايات :

أكثرَ الإمامُ الذهبيُّ من إيراد الأحاديث النبوية الشريفة في كتبه التاريخية وغيرها ومنها كتابه « سير أعلام النبلاء » . وقد عني دائماً بالتعليق على هذه

---

(١) نفسه ؛ ٢١/الترجمة ؛ ٩٩ .

(٢) نفسه ؛ ٢١/الترجمة : ٢٠

(٣) نفسه ؛ ٢١/الترجمة : ٢٣ .

(٤) نفسه ؛ ٢١/الترجمة : ٧٩

(٥) نفسه : ٢١/الترجمة : ٩٧

(٦) انظر مثلا لا حصراً بعض تراجم المجلد الحادي والعشرين من سير أعلام النبلاء ؛ ١١ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٨٠ ، ١٠٠ ، ١١٩ . . . الخ .

الأحاديث من حيث الإسناد والمتن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، قال تلميذه الصلاح الصفدي : « « وأعجبني منه ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن أو ظلام إسناد أو طعن في رواته ، وهذا لم أر غيره يراعي هذه الفائدة فيما يورده » [1] . وقد انتقد الإمام الذهبي الحافظين : أبا نعيم الأصبهاني والخطيب البغدادي وذَنّبَهما بروايتهما الموضوعات في كتبهما وسكوتهما عنها [2] . ثم وجدنا الذهبي بعد ذلك يسحب هذا النقد الحديثي ويطبقه على الروايات التاريخية والأدبية ونحوها ، وبذلك تحصلت في هذا الكتاب ثروة نقدية على غاية من الضخامة ، يلمسها كل من يطالع الكتاب أو يتصفحه لا سيما في مجلداته الأولى . وقد وجدنا الذهبي بعد ذلك لا يقتصر على أسلوب واحد في النقد ، بل توسل بكل ممكن يوصله إلى الحقيقة فنقد السند والمتن واستعمل عقله في رد كثير من الروايات .

أ ــ نقد السند

ويكون هذا النقد عادة بتضعيف السند بسبب الكلام في أحد من رواته أو أكثر أو تقويته استناداً إلى مقاييس المحدثين ، ويحكم عليه استناداً إلى ذلك ويستعمل التعبيرات الفنية الدالة على قوة الإسناد أو تقويته نحو قوله [4] : « إسناده صالح » ، و « إسناده جيد » ، و « رواته ثقات » ، و « له علة غير مؤثرة » ، أو العبارات الدالة على ضعف الإسناد أو تضعيفه نحو قوله : « اسناده ليس بقوي » ، و « في إسناده لين » ، و « فيه انقطاع » ، و « إسناده ضعيف » ، و « إسناده واهٍ » ، و « إسناده مظلم » وهلم جراً . أو يبين سبب ضعف السند بتعيين أحد رواته أو ما يشبه ذلك نحو قوله في إسناد فيه داود بن عطاء « وداود ضعيف [4] » ، وقوله

(١) الوافي ٢/١٦٤ (٢) ميزان الإعتدال : ١/١١١

(٣) أمثلة ذلك مبثوثة في جميع الكتاب ولم نر فائدة في إيراد أماكن وجودها حيث يستطيع القارئ الوقوف على مئات من ذلك بمجرد تصفحه للكتاب .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٢/الترجمة : ١١

عن سند فيه صهيب مولى العباس : « صهيب لا أعرفه »[١] ، وقوله : «الحسن مدلس لم يسمع من المغيرة »[٢] .

ويؤدي هذا النقد إلى إصدار أحكام دقيقة تبين مرتبة الحديث يشير إليها الذهبي من مثل قوله : « صحيح » ، او « متفق عليه» ، أو «هو في الصحيحين» ، أو « صحيح غريب » ، أو « حسن » ، أو « غريب » أو « غريب جداً » ، أو « منكر » ، أو « موضوع » ونحو ذلك مما يعرفه أهل العناية بهذا الفن الجليل .

ومن أجل توثيق الأحاديث والروايات عني الذهبي بنقل الأسانيد التي وردت في المصادر التي نقل عنها ، ولم يكتف بايراد المصدر حسب ، وهي طريقة تعينه على تقديم المصادر الأصلية التي اعتمدها المصدر الذي ينقل منه وتتيح له ، وللقارئ ، الفرصة لتقويم الحديث أو الخبر استناداً إلى ذلك الإسناد . ولعل المثال الآتي يوضح هذه المسألة ، قال في ترجمة الزبير بن العوام[٣] : « وقال الزبير ابن بكار : حدثني أبو غزية محمد بن موسى ، حدثنا عبدالله بن مصعب ، عن هشام بن عروة ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن جدتها أسماء بنت أبي بكر ، قالت : . . . » ، وقوله : « الدولابي في « الذرية الطّاهرة » : حدثنا الدقيقي ، حدثنا يزيد ، سمعت شريكاً ، عن الأسود بن قيس . . . » ، فهو كان يستطيع أن يكتفي بالقول « وقال الزبير بن بكار » أو « الدولابي في الذرية الطاهرة» . وهذا منهج انتهجه في معظم أقسام كتابه وهو يدل على دقة ومنهج متميز وعقلية نقدية في غاية الرقي .

ثم وجدنا الذهبي بعد ذلك لا يكتفي بنقد السند في كثير من الأحاديث والروايات التي يوردها ويضعفها استناداً إلى ضعف في سندها ، بل يحاول جاهداً

---

(١) نفســه .

(٢) نفسه ؛ ١/الترجمة : ٤ (بتحقيق الاستاذ شعيب الأرناؤوط)

(٣) سير أعلام النبلاء : ١/الترجمة ؛ ٣

إيراد ما يقوي هذا التضعيف من الأدلة التاريخية التي تتوافر له ، من ذلك مثلاً ما جاء في ترجمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها [١] : « أبو الحسن المدائني ، عن يزيد بن عياض ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : دخل عيينة بن حصن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده عائشة وذلك قبل أن يضرب الحجاب فقال : من هذه الحميراء يا رسول الله . . . الحديثَ » حيث علق الذهبي بقوله : « هذا حديث مرسل ، ويزيد متروك،وما أسلم عيينة إلا بعد نزول الحجاب ثم أفاض في نقد الحديث وكان يكفيه بعضاً من هذا لرد الحديث .

ب- نقد المتن :

وهو الذي يقوم على نقد متن الرواية وتحليلها وعرضها على الوقائع التي هي أقوى منها ومعارضتها بها ، ودراسة لغة الخبر وغيرها واستخدام جميع الوسائل المتاحة للناقد التي تثبت دعواه . وقد عني الإمام الذهبي في هذا النوع من النقد عناية بالغة في هذا الكتاب ، فرد مئات الروايات وأبطلها بنقده المتين وأسلوبه العلمي المتزن الذي ينبيءُ عن غزارة علمٍ ونبالة قصد ، وقدرة فائقة ، وسعة اطلاع . فمن ذلك مثلاً تعليقه على الخبر الذي يشير إلى أن العباس بن عبدالمطاب أسلم قبل بدر وأنه طلب القدوم إلى المدينة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم طاب منه البقاء فأقام بأمره ، بقوله : « ولو جرى هذا لما طلب من العباس فداء يوم بدر »[٢] ومن ذلك حكاية عن عائشة : « فخرت بمال أبي في الجاهلية وكان ألف ألف أوقية . . . الحكاية » ، قال : « وإسنادها فيه لين . واعتقد لفظة ألف الواحدة باطلة ، فإنه يكون أربعين ألف درهم ، وفي ذلك مفخر لرجل تاجر ، وقد أنفق ماله في ذات الله . ولما هاجر كان قد بقي معه ستة آلاف درهم فأخذها صحبته ، أما ألف ألف أوقية فلا تجتمع إلا لسلطان كبير [٣] » . ومثل هذا كثير في كتابه

---

(١) نفسه : ٢/الترجمة : ١٩ .

(٢) نفسه : ٢/الترجمة : ١١ .

(٣) نفسه : ٢/الترجمة ؛ ١٩

ثامناً ـ أهمية كتاب السير :

السير ليس مختصراً لتاريخ الإسلام :

ذكرنا عند الكلام على منهج « السير » أن الذهبي عني بذكر « الأعلام » وأسقط المشهورين ، ولكن هذا لا يعني أن المؤلف استل جميع تراجم الأعلام من « تاريخ الإسلام » فذكرهم في هذا الكتاب وان كان كل عَلَم مذكور في هذا الكتاب قد تناوله المؤلف في « تاريخ الاسلام » تقريباً ، فقد وجدنا بعد دراستنا للكتابين جملة فروق أساسية بينهما ، إضافة لما ذكرنا ، من أبرزها :

١ـ إن المؤلف كتب تراجم الصدر الأول من « السير » بشكل يختلف اختلافاً تاماً عما كتبه في « تاريخ الإسلام » ، فمعظم تراجم الصدر الأول هذه تراجم حافلة لا يمكن مقارنتها من حيث غزارة الأخبار وجودة التنظيم بمثيلاتها في « تاريخ الاسلام » ، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً يلمسها الباحث عند دراسته للكتابين المذكورين ، واكتفي هنا بمثل واحد يدعم هذا الذي أذهب إليه ؛ فقد ترجم الذهبي في « السير » لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته تراجم حافلة استغرقت عشرات الصفحات [١] مما لا نجد له مثيلاً من حيث غزارة المادة والسعة في تاريخه حيث لم يذكر عنهن هناك إلا النزر اليسير .

٢ـ ألف الذهبي مجموعة كبيرة من السير الخاصة بالرجال البارزين في تاريخ الإسلام وأفردها بمؤلفات مستقلة [٢] ، فلما ألف « سير أعلام النبلاء » أدخل معظم هذه المادة الواسعة في الكتاب الجديد ، وقد أشار تلميذه الصلاح

---

(١) انظر المجلد الثاني من « سير أعلام النبلاء » ، وقارن تاريخ الاسلام ؛ ٢/٤١٤ – ٤١٩ (ط . القدسي الثانية) .

(٢) انظر كتابي ؛ الذهبي ومنهجه : ٢٠٢ – ٢١١ .

الصفدي إلى هذا الأمر حينما قال : « وله في تراجم الأعيان لكل واحد مصنف قائم الذات . . . ولكنه أدخل الكل في تاريخ النبلاء »[1] ، وهذه المادة لا نجد لها مثيلا من حيث السعة والدقة في تاريخه الكبير ، والتراجم الموجودة في « السير » تشهد بذلك مثل تراجم : أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وعائشة ، وسعيد بن المسيب ، وابن حزم ، وغيرها .

٣ـ وقد لاحظنا في الوقت نفسه أن إضافات الذهبي إلى تراجم «الأعلام» في الأقسام الوسطى والأخيرة من الكتاب قليلة عما ذكره في « تاريخ الإسلام»لكننا وجدنا أيضاً استدراكات وتصحيحات وتصويبات ونقدات ، فضلاً عن إعادة صياغة الترجمة والانتقاء .

٤ـ ووجدنا الذهبي يضيف عناصر جديدة للترجمة في « السير» مما لم يذكره في « تاريخ الإسلام » ، من ذلك مثلاً عنايته بذكر عدد الأحاديث التي رواها أصحاب الكتب المشهورة في الحديث للمترجم ، كالصحيحين والسنن الأربع ومسند بقي بن مخلد وغيرها نحو قوله في ترجمة أبي عبيدة ابن الجراح : « له في صحيح مسلم حديث واحد ، وله في جامع أبي عيسى حديث ، وفي مسند بقي له خمسة عشر حديثاً » ، وقوله في ترجمة سعد بن أبي وقاص : « وله في الصحيحين خمسة عشر حديثاً ، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث ، ومسلم بثمانية عشر حديثاً . . . وقع له في مسند بقي بن مخلد مئتان وسبعون حديثاً » ، وقوله في ترجمة عبدالله بن مسعود : اتفقا له في الصحيحين على أربعة وستين ، وانفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثاً ، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثاً ، وله عند بقي بالمكرر ثمان مئة وأربعون حديثاً » ، وهلم جراً ، وقلما ترك أحداً من رواه الحديث من غير الإشارة إلى ذلك ، وهذه الإضافات ، فضلاً عن عدم ورودها في « تاريخ الإسلام » ، فإنها ثروة كبيرة مضافة يعرف حق قدرها

الفضلاء المتخصصون ، وهي تدل على اطلاع عظيم وتدقيق كبير [1] .

٥- يضاف إلى كل الذي ذكرت أن الذهبي قد ألف « السير » بعد « تاريخ الإسلام » ، بل بعد تأليف عدد من كتبه الأخرى ، وهو أمر يؤدي إلى ميزتين رئيستين : أولاهما الاضافات الجديدة وإعادة التنظيم ، وثانيتهما تشير إلى أنه أعاد النظر في المادة المقدمة طيلة تلك المدة فذكرها بعد أن زادها تحقيقاً وتمحيصاً وأنها تمثل الشكل الذي ارتضاه في أواخر حياته العلمية الحافلة بجلائل المؤلفات .

أهميته في تاريخ الحركة الفكرية :

وكتاب « السير » من أضخم مؤلفات الإمام الذهبي بعد كتابه العظيم « تاريخ الاسلام » ، وقد حصر مادة ضخمة في تراجم الأعلام لمدة امتدت قرابة السبع مئة سنة فضلاً عن التوازن في نطاقه المكاني الذي شمل جميع الرقعة الواسعة التي امتد إليها الإسلام من الأندلس غرباً إلى أقصى المشرق ، وفي الشمول النوعي للمترجمين في كل ناحية من نواحي الحياة وعدم اقتصاره على فئة أو فئات معينة بحيث صار واحداً من الكتب التي يقل نظيرها ويعز وجودها في تاريخ الحركة الفكرية العربية الإسلامية . ونتيجة لذلك أصبح الكتـاب مصـوراً لجوانب كثيرة من الحركة الفكرية وتطورها عبر سبع مئة سنة ، لأن الإنسان هو العنصر الحاسم في هذه الحركة وبه تتحدد مميزاتها وسماتها ، ويؤثر تكوينه الفكري على تطورها سلباً أو إيجاباً .

أهميته في دراسة المجتمع

ولما كان الكتاب قد اقتصر على التراجم فإنه أشار إلى اتجاه الذهبي وجملة كبيرة من المؤرخين المسلمين نحو تخليد المبرزين في المجتمع ، ولذا فهو في غاية الأهمية لدراسة أحوال المجتمع الاسلامي ، ومنها الأصول الاجتماعية

(١) انظر أمثلة من ذلك في « سير أعلام النبلاء » : ٢/التراجم : ١ ، ٢ ، ٤ ، ١١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ . . . الخ .

والاقتصادية لمن عرفوا في التاريخ الاسلامي باسم « العلماء » . ودراسة مثل هذه الكتب تشير إلى إنعدام الطبقية بين المتعلمين ، وأن تقدير الإنسان إنما يكون وفق مقاييس راقية أبرزها علمه ومعرفته ودرايته التي تجعله في مكانة بارزة بين الناس ، وهي موازين على غاية من الرقي الإنساني . وقد جربنا المؤلف وهو يمدح فقيراً ويذم غنياً ، ويثني على عبد أسود ، ويتكلم في سيد كبير . وقد أبانت دراستنا لهذا الكتاب أن الغالبية العظمى من هؤلاء « العلماء » قد ظهرت من بين عوائل الحرفيين البسطاء تدل على ذلك انتساباتهم التي ذكرها المؤلف ، وهو أمر أتاحه الإسلام لكل متعلم حينما جعل طلب العلم من الضرورات وحض عليه في غير ما مناسبة ، كما تميزت الدراسات بحرية التفكير والإبداع ، وكانت متوفرة لكل واحد يطلبها متى أراد ومن غير كلفة ، لأنها كانت في الأغلب في بيوت الله من مساجد وجوامع مما يستطيع كل مسلم دخولها والإفادة من الدروس التي تلقى فيها . نقول هذا في الوقت الذي اقتصرت فيه النواحي العلمية ومحتويات كتب التراجم عند كثير من الأمم – ومنهم الأوربيون – في هذه الأعصر على فئات معينة من الناس .

* * *

الكَلِمُ الشَّوارِد (١)

في الشعر المستشهد به في مجمع البيان

عبد الرزاق الهلالي

درجت منذ اكثر من عشر سنين على ان اقرأ القران الكريم ، في شهر رمضان من كل عام ، متخذاً تفسير [مجمع البيان في تفسير القران] لمؤلفه المغفور له ، ابي علي ، الفضل بن الحسن الطبرسي (٢) ، الكتاب الذي استند اليه في هذه القراءة .

وكنت وانا أقرأ تفسير الآيات الكريمات في هذا الكتاب الكبير ، ألحظ كثرة استشهاد المؤلف بالشعر العربي ، شأنه في ذلك شأن غيره من المفسرين العظام الذين سبقوه بذلك .

وحيث اني في هذه القراءة لم اكن ألقي انتباهاً كثيراً لهذا الشعر فقد كنت أمرُّ عليه مراً سريعاً ، جاعلاً اهتمامي ينصب على تفسير بعض كلمات تلك الآيات مما انا بحاجة الى الوقوف عليه .

نعم هكذا كان دأبي في كل سنة ، الا أني في رمضان هذه السنة ، وأعني بها سنة ١٤٠٠هـ ، قد أوليت هذا الشعر اهتمامي وعنايتي ، إذ رحت اقرأه ، واقرأ ما كتبه المؤلف من معان لبعض الكلمات الواردة فيه فوقفت بعد هذه

---

(١) الكلم الشوارد في اللغة : الكلمات الغريبة النادرة .

(٢) من اكابر علماء الامامية . توفي سنة ٥٤٨ هـ الموافق لسنة ١١٥٣ م

القراءة لاجـــزاء الكتاب العشرة [٣] ، على كثير من المعاني الغريبة النـــادرة لكلمات كنت اعرف لها معنى غير هذا المعنى المقصود في البيت المستشهد به .

وقد أحصيت الابيات التي استشهد بهـــا فاذا هي (٢٦٠٠) بيت من الشعر العربي في جاهليته واسلامه .

واستخرجت من بين هذا العدد الكبير (٩٥) بيتاً وجدت فيها تلك الكلمات الغريبة المعنى (بالنسبة لي على الاقل) فكان هذا العدد حافزاً لي على ان اكتب بها مقالاً أنشره على صفحات هذه المجلة الزاهرة اعتقاداً مني بأن كثيرين غيري لا يعرفون هذه المعاني اللهم الا اولئك العلماء المتبحرون بعلوم اللغة وآدابها .

ونظرا لما في معاني هذه الكلمات من غرابة فقد جعلت عنوان هذا المقال : [الكلمُ الشوارد في الشعر المستشهد به في مجمع البيان] ليأتي منطبقاً على مـــا اريد بيانه للقارىء الكريم .

ورغبة في توضيح المعنى (القاموسي) لهذه الكلمات فقد استعنت بـ (معجم متن اللغـــة) لمؤلفه المغفور له احمد رضا لاستخراج معانيها منه مثبتاً كل ذلك في هوامش صفحات هذا المقال .

وتسهيلاً للباحث الراغب في الوقوف على صلة هذه الابيات بآي القرآن الكريم ، وضعت ارقام الصفحات والاجزاء التي وردت فيهـــا في هامش الصفحات ايضاً .

لقد بذلت جهداً كبيراً في سبيل اعداد هـــذا المقال بصورته هذه ولعل القارىء المنصف يدرك ذلك . ارجو ان اكون بما قدمت في هذه الصفحات قد أسهمت إسهاماً يسيرا في خدمة لغتنا الجميلة ومن الله التوفيق .

---

(٣) اعتمدت في هذه القراءة على طبعة (دار احياء التراث الاسلامي) في بيروت المطبوعة سنة ١٣٧٩هـ وهي عشرة اجزاء بخمس مجلدات .

ثبت بالكلم الشوارد

* * *

١ ـ الآجِلُ بمعنى الجاني [١] قال خوات بن جبير

واهل خِباء صالحٍ ذات بينهم [٢]
قد احتربوا في عاجلٍ انا آجِلُه

أستشهد به لبيان ان المراد بـ (الآجل) الجاني .

٢ ـ الآكالُ بمعنى السادة [٣] قال الاعشى

جَـدك التالد الطريف من الـ
سادات اهل القباب والآكالِ [٤]

استشهد به لبيان ان (الاكال) هم سادة الاحياء .

٣ ـ الإثْمُ بمعنى الخمر [٥] قال الشاعر

شربت الإثم حتى ضلَّ عقلي
كذاك الاثم يَذهب بالعقول [٦]

٤ ـ أحاطَ به بمعنى قدر عليه [٧] قال الشاعر

---

(١) جاء في متن اللغة : آجله : داواه من وجع العنق . وعليهم شراً : منعه : جناه وحبسه .

(٢) ورد هذا البيت في صفحة ١٨٦ ج ٣ .

(٣) جاء في متن اللغة : الأكال او ذو الأكال : سادة الأحياء .
الأخذون للمرباع – ارباع الغنائم ج أكل .

(٤) ورد هذا البيت في صفحة ٣٧٧ ج ٢ .

(٥) جاء في متن اللغة : الاثم : الذنب او ما دون الحد منه . والاثم : الخمر : القمار . الكذب.

(٦) ورد هذا البيت في صفحة ٣١٦ ج ٢

(٧) جاء في متن اللغة : احاط به : طوقه من جميع جهاته . وكل من بلغ أقصى شيء واحصى علمه فقد أحاط به .

أحطنـــا بهـــم حتى اذا مـــا تيقنوا
بما قد رأوا مالوا جميعاً الى السلم[٨]

استشهد به لبيان ان (احاط به) بمعنى قدر عليه .

٥ ـ أحكموا بمعنى امنعوا قال جرير [٩]

ابني حنيفـــة احكمـــوا ســـفهاءكم
انـــي اخاف عليكم أن أغضباً [١٠]

استشهد به لبيان ان المراد بـ (احكموا) امنعوا .

٦ ـ أسأرَ بمعنى ابقى بقية [١١] قال الاعشى

فبانت وقـــد أسأرتْ في الفـــؤا
د صدعـــا عـــلى نأيهـــا مستطيرا [١٢]

استشهد به لبيان ان (أسأرت) بمعنى أبقت فيه بقية .
واسأرت في الاناء ق أبقيت فيه .

٧ ـ الإصْرُ بمعنى الثقل [١٣] قال النابغة

يا مانع الضيم أن يغشى ســَـراتهم
والحامل الاصر عنهم بعدما غرقوا [١٤]

استشهد به لبيان ان (الإصر) الثقل .

---

(٨) ورد هذا البيت في صفحة ٥٨ ج ١ .
(٩) جاء في متن اللغة : حكمه حكماً : منعه عما يريد . منعه من الفساد .
(١٠) ورد هذا البيت في صفحة ٧٨ ج ١ .
(١١) جاء في متن اللغة : أسأر : ابقى شيئاً من طعام او شراب في قعر الاناء .
(١٢) ورد هذا البيت في صفحة ٦١ ج ١
(١٣) جاء في متن اللغة : الاصر : العهد الثقيل. كل امر ثقيل عليك والاصل فيه الثقل والشدةوالحبس.
(١٤) ورد هذا البيت في صفحة ٤٠٣ ج ٢ .

٨ – الإلُّ بمعنى القرابة [١٥] قال حسان

لعمرك ان إلّكَ من قريـــــش
كإلِّ السّقْب من رَأْلِ النعام [١٦]

واستشهد به لبيان ان (الإل) بمعنى القرابة .

٩ – الأُمَمُ بمعنى الخلقة [١٧] قال الاعشى

وان معــاويــة الاكـــرمـــين
حسان الوجــوه طوال الأمم [١٨]

استشهد به لبيان ان (الامم) الخلقة

١٠– الإنْيُ بمعنى الساعة [١٩] قال الشاعر

حلو ومرّ كعطف القِدح مــرّتــه
بكل إِنيٍ قضاه الليــل ينتعل [٢٠]

استشهد به لبيان ان (الإني) بمعنى الساعة

١١– الأَوزارُ بمعنى السلاح [٢١] قال الاعشى

واعــددت للحــرب اوزارهــــا
رماحاً طوالاً وخيلا ذكورا [٢٢]

استشهد به لبيان ان (الاوزار) هو السلاح

---

(١٥) جاء في متن اللغة : الال : الله : شدة القنوط : القرابة : الذمة والعهد .
(١٦) ورد البيت في صفحة ١٤٤ ج ١ .
(١٧) جاء في متن اللغة : الأمة : الحال والشأن . الشرعة والدين والسنة : الجيل من كل حي .
(١٨) ورد هذا البيت في صفحة ٤٨٨ ج ٢
(١٩) جاء في متن اللغة : الاني : الساعة من الليل ج آناء .
(٢٠) ورد هذا البيت في صفحة ٣٥ ج ٧ .
(٢١) جاء في متن اللغة : الوزر : الذنب . الثقل . الاثم واحد الاوزار وهي السلاح وآلات الحرب .
(٢٢) ورد هذا البيت في صفحة ٩٦ ج ٩

١٢ـ بَاصَ بمعنى تأخر [٢٣] قـال امرؤ القيس .

أمن ذكـر ليـلى إن نأَتْكَ تَنوص
فتُقصر عنهـا خطـوة وتبوصُ [٢٤]

استشهد به لبيـان ان (باص) بمعنى تأخر .

١٣ـ البَصيرِةُ بمعنى الثأر [٢٥] قال الشاعر

جاؤا بصائرهـم على اكتافهـم
وبصيرتي يعدو بها عَتَدٌ وأي [٢٦]

استشهد به لبيان (بصائر) بمعنى الثأر والدية .

وفرس عَتَد شديد تام الخلق معد للجري ليس فيه اضطراب ولا رخاوة.

والوأيُ : الفـرس السريع المقتدر .

١٤ـ البِتَكُ بمعنى القِطع [٢٧] قال زهير

حتى اذا ما هوت كف الغلام لـه
طارت وفي كفه من ريشها بِتَكُ [٢٨]

استشهد به لبيان ان (البتك) بمعنى القطع وأحدتها بتكة .

١٥ـ البَلاءُ بمعنى الانعام [٢٩] قال زهير

جزى الله بالاحسان مـا فعلا بكم
وأبلاهما خير البلاء الـذي يبلو [٣٠]

---

(٢٣) جاء في متن اللغة : باص بوصاً فاستباص : سبقه وفاته : تأخر

(٢٤) ورد هذا البيت في صفحة ٤٦٤ ج ٨ .

(٢٥) جاء في متن اللغة : البصيرة : قوة القلب المدركة . الفطنة . الدية والثأر

(٢٦) ورد هذا البيت في صفحة ٣٤٥ ج ٤ .

(٢٧) جاء في متن اللغة : بتكه بتكا فانبتك : قطعه فانقطع

(٢٨) ورد هذا البيت في صفحة ١١١ ج ٣ .

(٢٩) جاء في متن اللغة : بلاه بلوا : اختبره وامتحنه وجربه .

(٣٠) ورد هذا البيت في صفحة ١٠٥ ج ١ .

استشهد به لبيان ان (البلاء) هنا بمعنى الانعام .

١٦- بُورٌ بمعنى هالك [٣١] قال ابن الزبعرى .

يا رسـول المليـك ان لسانـي
راتق مـا فتقت إذ انا بُـورُ [٣٢]

١٧- تَقَتَّلَ بمعنى خضع [٣٣] قال العجاج

تَقَتّلتِ لي حتى اذا ما قَتَلتِنِـي
تنسّكتِ ما هذا بفعل النواسكِ [٣٤]

استشهد به لبيان ان (تقتل) بمعنى خضع

١٨- تَمَزَّزَ بمعنى شرب قليلا قليـلا [٣٥] قال النابغة الجعدي

تمززتها والديك يدعـو صياحـه
اذا ما بنو نعشٍ دنوا فتصوبوا [٣٦]

استشهد به لبيان ان (تمزز) بمعنى شرب الشراب قليلاً قليلا .

١٩- الجابئُ بمعنى الجراد [٣٧] قال احد الهذليين.

صابوا بستة ابيات وواحـدة
حتى كأن عليهم جابيا لبـدا [٣٨]

---

(٣١) جاء في متن اللغة : البور : الهلاك . الارض التي لم تزرع
البور : الرجل الفاسد والهلاك لا خير فيه .

(٣٢) ورد هذا البيت في صفحة ٣١٣ ج ٥ .

(٣٣) جاء في متن اللغة : تقتلت المرأة : ختالت في مشيها وتدللت .
وتقتل فلان للمرأة : خضع لها .

(٣٤) ورد هذا البيت في صفحة ١١٤ ج ١ .

(٣٥) جاء في متن اللغة : تمزز : أكل المز . شرب والشراب تمصصه . والمـز والمزاء : من اسماء الخمر او هي الخمر ذات المزوزة .

(٣٦) ورد هذا البيت في صفحة ٤٦ ج ٧

(٣٧) جاء في متن اللغة : الجابي الذي يجمع الماء للابل : محصل الخراج : الجراد الذي يجبى كل شيء أي يأكله .

(٣٨) ورد هذا البيت في صفحة ٣٧٠ ج ١٠

استشهد به لبيان ان (الجابيء) الجراد .

٢٠ــ الجُحْمَةُ بمعنى العين [٣٩] قال الشاعر وقيل لشاعر اهل اليمن .

ايا جحمتي بكّي عــلى أمّ واهب
قتيلة قِلّوبٍ باحدى المذانــب [٤٠]

استشهد به لبيان ان (جحمة) بمعنى العين بلغة حمير. والقِلّوب بمعنى الذئب .

والمذانب جمع المِذنب وهو سيل ماء في الحضيض .

٢١ــ جَديدُ الارض بمعنى وجه الارض [٤١] قال أوس

ينفى الحصى عن جديد الارض مبترك
كــأنه فاحص أو لاعب داحِ [٤٢]

استشهد به لبيان ان (جديد الارض) بمعنى وجه الارض .

والفاحص : الذي يفحص الارض وينبشها فيحتفرها .

٢٢ــ الجَرْمُ بمعنى القطع [٤٣] . قال الشاعر

ولقد طعنت أبا عيينة طعنــــــة
جَرَمَتْ فزارة بعدهــا أن يغضبوا [٤٤]

استشهد به لبيان ان (جَرَمَ) بمعنى قَطَعَ .

٢٣ــ الجُلْبُ بمعنى السحاب [٤٥] قال تأبط شرّاً .

---

(٣٩) جاء في متن اللغة : الجحمة من النار : توقدها . وهي الجحمة جمع جحم : والعين (يمانية) .
(٤٠) ورد هذا البيت في صفحة ١٩٦ ج١ .
(٤١) جاء في متن اللغة : جديد الارض : وجهها .
(٤٢) ورد هذا البيت في صفحة ٤٣٣ ج ١٠
(٤٣) جاء في متن اللغة : جرم جرماً الشيء : قطعه .
(٤٤) ورد هذا البيت في صفحة ٢٤٥ ج ٥ .
(٤٥) جاء في متن اللغة : الجلب : السحاب لا ماء فيه .

ولست بجُلْبٍ جُلْبِ ريحٍ وقِرَةَ
ولا بصفا صلد عن الخير مُعْزِلِ [٤٦]

استشهد به لبيان ان (الجلب) سحاب ليس فيه ماء .

٢٥- الجِنَابَةُ بمعنى البعد [٤٧] قال الاعشى.

أتيت حُرَيثا زائرا عن جنابة
فكان حريث عن عطائي جامدا [٤٨]

استشهد به لبيان ان (الجنابة) بمعنى البعد .

٢٦- الجُمَّلُ بمعنى الحبل [٤٩] قال ذو الرمة

كأنها جُمَّلٌ وَهْمٌ وما بقيت
الا النّحيزة والالواح والعصب [٥٠]

استشهد به لبيان ان (الجُمّل) بمعنى الحبل .

٢٧- الحاصِبُ بمعنى الريح بها حصباء [٥١] قال الفرزدق

مستقبلين رياح الشام تضربنا
بحاصبٍ كنديف القطن منثور [٥٢]

استشهد به لبيان ان (الحاصب) الريح العاصفة بها الحصباء .

٢٨- الحَدّادُ بمعنى الحافل [٥٣] قال الاعشى

(٤٦) ورد هذا البيت في صفحة ٣٧٦ ج ٢

(٤٧) جاء في متن اللغة : الجنابة : ضد القرابة وهي بمعنى البعد والغربة .

(٤٨) ورد هذا البيت في صفحة ٣٨ ج ٣ .

(٤٩) جاء في متن اللغة . الجمل : حساب مبناه على حروف أبجد كل حرف يدل على رقم من الأعداد .

(٥٠) ورد هذا البيت في صفحة ٨٩ من ج ٩ .

(٥١) جاء في متن اللغة : الحاصب : ريح تحمل التراب والحصى او ما تناثر من دقاق الثلج والبرد :

(٥٢) ورد هذا البيت في صفحة ٢٤٧ ج ٦ .

(٥٣) جاء في متن اللغة : الحداد : البواب . الخمار . معالج الحديد.

فقمنـــا ولمّـــا يصـــح ديكنـــا
الى جونـــة عنـــد حدادهـــا [٥٤]

استشهد به لبيان ان (الحداد) بمعنى الحافظ المانع .

٢٩ـ الحَصُورُ بمعنى البخيل [٥٥] قال الأخطل

وشـــارب مُربح بالكأس نادمنـــي
لا بالحصور ولا فيها بسَـــوّارِ [٥٦]

استشهد به لبيان ان المراد بالحصور هنا الممتنع عن ان يُخرج مع ندمانه شيئاً من النفقة .

والمربح الذي يعطى الخمر ربحاً بان يشربها باكثر ممـــا يساوى .

والسّوار الوثاب المعربد .

٣٠ـ الحَضَارَةُ بمعنى الاقامة في الحضر [٥٧] قال القطامى

ومن تكـــن الحضارة أعجبتـــه
فـــأي اناس باديـــة ترانـــا [٥٨]

استشهد به لبيان ان (الحضارة) بمعنى الاقامة في الحَضَر .

٣١ـ الحَفَدُ بمعنى الاسراع [٥٩] قال جميل

---

(٥٤) ورد البيت في صفحة ٢٢٠ ج ١ .

(٥٥) جاء في متن اللغة : حصير حصرا : صدر فـــلان : ضاق بأمر فهو حصير ومحصور : وبخل وبالسر : كتمه فهو حصر وحصير .

(٥٦) ورد هذا البيت في صفحة ٣٤٦ ج ٧ .

(٥٧) جاء في متن اللغة : الحضارة ضد البداوة : الاقامة في الحضر . واطلق مجمع مصر اسم الحضارة عـــلى ما يســـمى بالفرنسية Civilisation مراسم التحضير والتمـــدن لما يسمى بالانكليزية Urbanistion .

(٥٨) ورد هذا البيت في صفحة ٤٣٧ ج ٣ .

(٥٩) جاء في متن اللغة : حفد حفدا وحفدانا : خف وأسرع في العمل : وحفد حفداً وحفداناً : مشى دون الخبب وحفد : خدم .

حَفَدَ الولائد حولها واستسلمت
بأكفهن ازمة الأجمال [٦٠]

استشهد به لبيان ان (حَفَدَ) بمعنى اسرع

٣٢ـ الخَرْصُ بمعنى القَطْع [٦١] قال قيس بن الحطيم .

ترى قِصَدَ المران فيهم كأنهم
تَذَرُّعُ خرصان بأيدي الشواطب [٦٢]

استشهد به لبيان ان (الخرص) بمعنى القطع

والتذرع : تقدير الشيء بذراع اليد . والشواطب جمع شاطبة وهي المرأة التي تشق الجريد لتعمل منه الحصير .

٣٣ـ الخُرطُوم بمعنى الخمر [٦٣] قال الشاعر .

ابا حاضرٍ من يَزنِ يُعرفْ زناؤه
ومن يشرب الخرطوم يُصبحْ مسكرا [٦٤]

استشهد به لبيان ان (الخرطوم) بمعنى الخمر .

٣٤ـ الخَرُوفُ بمعنى ولد الفرس [٦٥] قال الشاعر

ومستنة كاستنان الخروف قد قطع الحبل بالمِروَد [٦٦]

---

(٦٠) ورد هذا البيت في صفحة ٣٣٠ ج ١ .

(٦١) جاء في متن اللغة : خرص خرصاً : العدد والنخل والكرم وغيرهما : حزره : واصل الخرص القطع .

(٦٢) ورد هذا البيت في صفحة ٣٥٥ ج ٤

(٦٣) جاء في متن اللغة : الخرطوم : الأنف أو مقدمه : الخمر السريعة الاسكار او السلاف الذي سال من غير عصر من العنب قبل ان يداس : من القوم : سيدهم وشريفهم .

(٦٤) ورد هذا البيت في صفحة ٣٣٥ ج ١٠

(٦٥) جاء في متن اللغة : الخروف : الذكر من اولاد الضأن اذا رعي وقوي قبل ان يجذع . ومن الخيل ما نتج في الخريف او هو مهر الفرس الى ستة اشهر او سبعة او حول .

(٦٦) ورد هذا البيت في صفحة ٢١٧ ج ٣

استشهد به لبيان ان (الحروف) هنا ولد الفرس اذا بلغ ستة اشهر او سبعة والمِرود حديدة ، توتد في الارض يشد فيها حبل الدابة .

٣٥ـ الخَفْيُ بمعنى الاظهار (٦٧) قال امرؤ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه

وان تبعثوا الحرب لا نقعد (٦٨)

استشهد به لبيان ان (الخفي) بمعنى الاظهار .

٣٦ـ خَيْلٌ صيام بمعنى (٦٩) واقفة قال النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة

تحت العجاج وأخرى تعلك اللُّجُما (٧٠)

استشهد به لبيان ان (خيل صيام) بمعنى واقفة ساكنة بلا اعتلاف .

٣٧ـ الدَّمْيُ بمعنى الدَّم (٧١) قال الشاعر.

فلو أنا على حجر ذبحنا

جرى الدَّميان بالخبر اليقين (٧٢)

استشهد به لبيان ان (الدَّميَ) هو الدم ويثنى بالدميين .

٣٨ـ ذَبَحَ بمعنى فتق (٧٣) قال رؤبة

---

(٦٧) جاء في متن اللغة : خفى خفياً : البرق : لمع . خفاه خفيا وخفيا : أظهره واستخرجه .

(٦٨) ورد هذا البيت في صفحة ٣٨٤ ج ٢ .

(٦٩) جاء في متن اللغة : فرس صائم : قائم على ارية على أربع ساكنا بلا اعتلاف .

(٧٠) ورد هذا البيت في صفحة ٢٧١ ج ١

(٧١) جاء في متن اللغة : الدم : ذلك السائل الأحمر الذي يجري في عروق جميع الحيوانات وعليه تقوم الحياة . اصله (دمي او دمو او دمي ومثناه دمان (على الأشهر) ودميان .

(٧٢) ورد هذا البيت في صفحة ١٥١ ج ١ .

(٧٣) جاء في متن اللغة : ذبح ذبحاً وذباحاً : الكبش وغيره : فرى ودجيه وقطع حلقومه . والشيء شقه . وفأرة المسك : فتقها

كأن بين فكّها والفك
فأرة مسك ذُبحت في سَكِ [٧٤]

استشهد به لبيان ان (ذبح) بمعنى فتق .

٣٩- الرُّبُّ بمعنى ما يطبخ من التمر وغيره [٧٥] قال الشاعر .

كأنّ رُبّاً او كحيلا مُعقّداً
حشّ الوقود به جوانب قمقم [٧٦]

استشهد به لبيان ان (الرُّبّ) هو ما يطبخ من الثمر اوسواه .

والكحيل : الذي تطلى به الابل للجرب .

٤٠- الرِبَابَةُ بمعنى الجعبة [٧٧] قال الشاعر ابو ذؤيب الهذلي .

وكأنهن ربابةٌ وكأنه
يَسَرٌ يفيض على القِداح ويَصْدَع [٧٨]

استشهد به لبيان ان (الربابة) بمعنى الجعبة التي يجعل فيها القداح .

واليَسَرُ بمعنى الياسر اي اللاعب بالقداح .

٤١- الرَّجَاءُ بمعنى الخوف [٧٩] قال ابو ذؤيب الهذلي

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها
وخالفها في بيت نوب عواسل [٨٠]

---

(٧٤) ورد هذا البيت في صفحة ١٠٥ ج ١ .
(٧٥) جاء في متن اللغة : الرب : دبس كل ثمرة بعد اعتصارها وطبخها .
(٧٦) ورد هذا البيت في صفحة ١٥١ ج ٣
(٧٧) جاء في متن اللغة : الرباب : الأصحاب : العشور : وجماعة السهام او جلدة دقيقة تلف على يد مخرج القداح في الميسر كي لا يعرف بالمس فيتخيرها لصاحبه .
(٧٨) ورد هذا البيت في صفحة ٣٤٦ ج ٦
(٧٩) جاء في متن اللغة : قالوا : ما رجاه ولا ارتجاه أي ما خافه ولا أكترث له .
(٨٠) ورد هذا البيت في صفحة ٣١٣ ج ٢ .

٤٢– الرَسُولُ بمعنى الرسالة [٨١] قال كثير

فقد كذب الواشون ما بحت عندهم
بليلى وما ارسلتهم برسول [٨٢]

استشهد به لبيان ان (الرسول) بمعنى الرسالة .

٤٣– الرُّوحُ بمعنى النفخ [٨٣] قال الشاعر ذو الرمة .

فقلت له ارفعها اليك وأحيهـــا
بروحك واقتته له قيتةً قدرا [٨٤]

استشهد به لبيان ان (الروح) هنا بمعنى النفخ .

٤٤– الرِّيحُ بمعنى الدولة والقوة [٨٥] قال عبيد بن الابرص

كما حميناك يوم النصف من شـــطب
والفضل للقوم من ريح ومن عَدَد [٨٦]

استشهد به لبيان ان (الريح) هنا بمعنى الدولة والقرة .

٤٥– الزَّلَمُ بمعنى السهم لا ريش فيه [٨٧] قال الراجز

بات يقاسيها غـــلام كالـــزَّلَم
خَدلّجُ الساقـــين ممسوح القـــدم [٨٨]

---

(٨١) جاء في متن اللغة : الرسول ما يكون بمعنى المرسل ويكون بمعنى الرسالة .

(٨٢) ورد هذا البيت في صفحة ٢٢٣ ج ٣ .

(٨٣) جاء في متن اللغة : الروح : النفس الذي يقوم به الجسد وتكون به الحياة والنفخ : الوحي .

(٨٤) ورد هذا البيت في صفحة ١٤٥ ج ٣

(٨٥) جاء في متن اللغة : الريح : الهواء المسخر بين السماء والأرض : القوة والغلبة .

(٨٦) ورد هذا البيت في صفحة ٥٤٨ ج ٤

٨٧ جاء في متن اللغة : الزلم والزلم : الظلف او هو الغلام الخفيف الشديد .

(٨٨) ورد هذا البيت في صفحة ١٥٤ ج ٣ .

استشهد به لبيان ان (الزلم) هو السهم الذي لا ريش عليه .

والخَدَلّج : السمين الممتلىء .

٤٦- السّاهِرةُ بمعنى الفلاة [٨٩] .

قال امية بن ابي الصلت

وفيها لحم ساهرة وبر

وما فاهوا به لهم لثيم [٩٠]

استشهد به لبيان ان (الساهرة) الفلاة او وجه الارض . وسميت بالساهرة لانها ذات سهر اي يسهر فيها خوفاً .

٤٧- السّحْرُ بمعنى الغذاء [٩١] قال امرؤ القيس

أرانا موضعين لحتم غيب

ونُسْحَرُ بالطعام وبالشراب [٩٢]

استشهد به لبيان ان (السّحَرَ) بمعنى الغذاء .

٤٨- السّحْقُ بمعنى الثوب البالي [٩٣] قال الشاعر

فما زودوني غير سَحْقِ عمامة

وخمس ميٍء منها قِسيٌّ مزيف [٩٤]

استشهد به لبيان ان (السَحق) البالي . الخَلِق .

---

(٨٩) جاء في متن اللغة : الساهرة : الارض او وجهها . او وجه الارض العريضة . الفلاة . العين الجارية ليلا ونهاراً

(٩٠) ورد هذا البيت في صفحة ٤٢٩ ج ١٠

(٩١) جاء في متن اللغة : السحر والسحر : الرئة . وربما يطلق على القلب والكبد : والسحر : صرف الشيء عن حقيقته الى غيره والسحر : الغذاء

(٩٢) ورد هذا البيت في صفحة ١٧٠ ج ١

(٩٣) جاء في متن اللغة : سحق سحوقة : الثوب : خلق فهو سحق .

(٩٤) ورد هذا البيت في صفحة ٤٦٢ ج ٦

٤٩ـ السِّرُّ بمعنى الجَماع [٩٥] قال امرؤ القيس

ألا زعمـــت بسباســـة اليوم أنني

كبرت وان لا يشهد السرّ امثالي [٩٦]

استشهد به لبيان ان (السر) هنا بمعنى الجماع .

٥٠ـ سَعَى بمعنى اخذ الصدقة [٩٧] قال عمرو بن عذاء الكلبي

سعى عقالاً فلـــم يترك له ســـبداً

فكيف لو قد سعى عمرو عِقاليها [٩٨]

استشهد به لبيان ان (سعى) بمعنى مشى لأخذ صدقة عام واحد .

والعقال هنا صدقة عام واحد .

٥١ـ السُّنَةُ بمعنى الطريقة [٩٩] قال لبيـد

مـــن معشر سنّت لهم آبـــاؤهـــم

ولكل قـــوم ســـنةٌ وامامهـــا [١٠٠]

استشهد به لبيان ان السنة بمعنى الطريقة المجعولة ليقتدى بها .

٥٢ـ السَفَارَةُ بمعنى الاصلاح [١٠١] قال الشاعر.

---

(٩٥) جاء في متن اللغة : السر : ما يكتم في النفس : النكاح : الذكر : الفرج

(٩٦) ورد هذا البيت في صفحة ٣٣٨ ج ١

(٩٧) جاء في متن اللغة: سعى سعاية : عمل على الصدقات فاخذها من مالكي النصاب واعطاها للمستحقين . سعى سعياً : هرول : مشى .

(٩٨) ورد هذا البيت في صفحة ٢١٩ ج ٣ .

(٩٩) جاء في متن اللغة : السنة : الطريق سنه اوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم جمعه سنن . والسنة من الشيْ : صورته ووجهه . الطريق والسيرة .

(١٠٠) ورد هذا البيت في صفحة ٥٠٧ ج ٢

(١٠١) جاء في متن اللغة : السفير : بياض ما قبل الليل : المصلح بين القوم

ومــا أدع السفارة بــين قومــي
ومــا امشي بغش ان مشــــيت (١٠٢)

استشهد به لبيان ان (السفارة) هنا اصلاح ذات البين .

٥٣ـ السّواء بمعنى العدل (١٠٣) قال زهير

أرونــي خطــة لا عســف فيها
يسوّي بيننــا فيهــا الســواء (١٠٤)

استشهد به لبيان ان (السواء) بمعنى العدل .

٥٤ـ شَدَّ النهار بمعنى ارتفع (١٠٥) قال عنترة

عهدي به شــدّ النهار كأنمـــــا
خضب البنــان ورأسه بالعِظلم (١٠٦)

استشهد به لبيان ان (شد النهار) بمعنى ارتفع .

٥٥ـ شَرَّدَ به بمعنى سمع به (١٠٧) قال الشاعر

اطوّف في النواطح كــل يــــوم
مخافــة ان يشرّد بــي حكيــم (١٠٨)

استشهد به لبيان ان (شرد بي) بمعنى سمع بي .

---

(١٠٢) ورد هذا البيت في صفحة ٤٣٦ ج ١٠
(١٠٣) جاء في متن اللغة : السواء : العدل والنصفة : الوسط : الغير
(١٠٤) ورد هذا البيت في صفحة ٤١ ج ١
(١٠٥) جاء في متن اللغة : شد شدا : العقدة وغيرها : احكمها وقواها .
وفلانا : أو ثقة ، والنهار : ارتفع .
(١٠٦) ورد هذا البيت في صفحة ٣٨٣ ج ٤
(١٠٧) جاء في متن اللغة : شرده و ـ به : طرده : سمع بعيوبه
(١٠٨) ورد هذا البيت في صفحة ٥٥٣ ج ٤

٥٦ـ الشّعائر بمعنى المعالم [١٠٩] قال الكميت

يقتلهـــم جيـــلا فجيـــلا تراهـــم

شعـــائر قربان بهم يتقـــرب [١١٠]

استشهد به لبيان ان (الشعائر) هي المعالم للاعمال . وشعائر الله معالمه جعلها مواطن للعبادة .

٥٧ـ صَامَ النهارُ بمعنى انتصف [١١١] قال امرؤ القيس .

فَدَعْها وسَلِّ الهم عنـــك بجسرة

ذمولٍ اذا صـــام النهار وهجّرا [١١٢]

استشهد به لبيان ان (صام النهار) بمعنى انتصف .

٥٨ـ الصَدِيعُ بمعنى الصبح [١١٣] قال عمرو بن معد يكرب

تـــرى الســـرحان مفترســـاً يديـــه

كأن بيـــاض غرته صديـــع [١١٤]

استشهد به لبيان ان الصديع هو (الصبح) او الفجر .

والسرحان الذئب او الأسد .

٥٩ـ الصَفَدُ بمعنى العطية [١١٥] قال النابغة

---

(١٠٩) جاء في متن اللغة : الشعيرة : البدنة : المعلمة للجمع . وشعائر الحج مناسكه ومتعبداته .

(١١٠) ورد هذا البيت في صفحة ٢٣٩ ج ١

(١١١) جاء في متن اللغة : صام صوماً : امسك عن الطعام والشراب والنكاح .
وصام النهار : اعتدل : قام قائم الظهيرة .

(١١٢) ورد هذا البيت في صفحة ٢٧١ ج ٢

(١١٣) جاء في متن اللغة : الصديع : الفجر : الرقعة الجديدة في الثوب الخلق .

(١١٤) ورد هذا البيت في صفحة ٣٤٦ ج ٦ .

(١١٥) جاء في متن اللغة : الصفد والصفد : العطاء . الوثاق . القيد . الغل .

هذا الثناء فان تسمع لقائلـــه
فما عرضت أبيت اللعن للصَّفَدِ [116]

استشهد به لبيان ان (الصفد) هنا بمعنى العطية .

٦٠ـ الضَحْكُ بمعنى الحيض [117] قال الشاعر

وضحك الارانب فوق الصفـــا
كمثل دم الجوف يوم اللقـــا [118]

استشهد به لبيان ان (الضحك) بمعنى الحيض .

٦١ـ الطَبَقُ بمعنى الحال [119] قال الشاعر خلف الاحمر .

الصبر احمـــد والدنيـــا مفجعـــة
من ذا الذي لم يذق من عيشه رنقا [120]
اذا صفا لك مـــن مسرورها طبـــق
اهدى لك الدهر من مكروهها طبقا

استشهد به لبيان ان (الطبق) بمعنى الحال .

٦٢ـ الطِّوَلُ بمعنى الحبل [121] قال طرفة

---

(١١٦) ورد هذا البيت في صفحة ٤٠٦ ج ٧ .

(١١٧) جاء في متن اللغة : ضحك ضحكا : الارنب حاضت . انبسط وجهه وبدت اسنانه سروراً فهو ضاحك .

(١١٨) ورد هذا البيت في صفحة ١٨١ ج ٥ .

(١١٩) جاء في متن اللغة : الطبق : غطاء كل شيء لازم عليه . ووضعه مجمع مصر مع كلمة الصحن ، وهو الحال على اختلافها

(١٢٠) ورد هذا البيت في صفحة ٤٥٩ ج ١٠

(١٢١) جاء في متن اللغة : الطول : الحبل الطويل جدا .

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتـــى

لكا لطِوَل المرخى وثِنياه باليـــد [١٢٢]

استشهد به لبيان ان (الطِوَل) بمعنى الحبل .

٦٣ـ انطِيَلُ بمعنى المدة [١٢٣] قال الشاعر.

انا محيـــوك فاســلم ايها الطلــل

وان بليت وان طالت بك الطِيَلُ [١٢٤]

استشهد به لبيان ان (الطِيَل) بمعنى المدة .

٦٤ـ عَالَ بمعنى افتقر [١٢٥] قال الشاعر أحيحه بن الجُلاح .

فمـــا يدري الفقير متـــى غِنـــاه

وما يدري الغني مـــتى يعيـــل [١٢٦]

٦٥ـ العَافِيَةُ بمعنى السمينة [١٢٧] قال لبيد .

ولكنـــا نُعِضُ الســـيف منهـــا

بأسْوُق عافيـــات اللحـــم كُوم [١٢٨]

استشهد به لبيان ان (عافيات اللحم) أي السمينات الكثيرات اللحم .

والكوم : جمع الكوماء العظيمة السنام من النوق .

---

(١٢٢) ورد هذا البيت في صفحة ٣٣ ج ٣ .

(١٢٣) جاء في متن اللغة : الطيل: طال بك الطول والطيل والطول والطيال : اي المكث او التمادي في الأمر .

(١٢٤) ورد هذا البيت في صفحة ٣٣ ج ٣ .

(١٢٥) جاء في متن اللغة : أعال عياله : قام بالانفاق عليهم . فلان افتقر صار ذا عيال .

(١٢٦) ورد هذا البيت في صفحة ٤ ج ٣

(١٢٧) جاء في متن اللغة : عافية اللحم : كثيرته ج عافيات .

(١٢٨) ورد هذا البيت في صفحة ٣١٥ ج ٢

٦٦- العامِهُ بمعنى المتحير [١٢٩] قال رؤبة

ومهمــهٍ اطرافــه فــي مهمــه

اعمى الهــدى بالحائرين العُمَّهِ [١٣٠]

استشهد به لبيان ان (العامه) هو المتحير المتردد .

٦٧- العُرْضَةُ بمعنى ما يصلح للشيء [١٣١] قال الشاعر .

فهذي لايــام الحــروب وهــذه

لِلَهوي وهذي عرضة لارتحالنا [١٣٢]

استشهد به لبيان ان (العرضة) بمعنى ما يصلح للشيء . فالمرأة عرضة للنكاح . والدابة المعدة للسفر ، عرضة له .

٦٨- عَزْهَاةٌ بمعنى منقبض عن النساء [١٣٣] قال الاحوص

اذا كنت عزهاةً عــن اللهــو والصبى

فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا [١٣٤]

استشهد به لبيان ان (عزهاة) بمعنى المنقبض عن النساء وعن اللهو معهن .

٦٩- العَصْرَان بمعنى الليل والنهار [١٣٥] قال الشاعر

---

(١٢٩) جاء في متن اللغة : العمه : التردد في الضلال والمتحير في منازعه او طريقه .

(١٣٠) ورد هذا البيت في صفحة ٥١ ج ١ .

(١٣١) جاء في متن اللغة : هو عرضة للشيءُ : معرض له هي عرضة للزواج .

(١٣٢) ورد هذا البيت في صفحة ٣٢١ ج ٢ .

(١٣٣) جاء في متن اللغة : عزهاة وعزهاء . معنى ذلك كله عازف عن اللهو والنساء . لئيم لا يكتم بغض صاحبه .

(١٣٤) ورد هذا البيت في صفحة ٣٥٧ ج ٤

(١٣٥) جاء في متن اللغة : العصران : الليل والنهار . الغداة والعشي .

ولن يلبــث العصران ، يوم وليلة

اذا طلبا ان يدركا ما تيممــا [١٣٦]

استشهد به لبيان ان (العصرين) هما الليل والنهار .

٧٠ـ العِيدُ بمعنى ما يعود من الحزن [١٧٣] قال الاعشى

فواكبدي من لاعج الهم والهــــوى

اذا اعتاد قلبي من أميمة عيدَها [١٣٨]

استشهد به لبيان ان (العيد) بمعنى ما يعود على النفس من الحزن

٧١ـ فاحِشٌ بمعنى بخيل [١٣٦] قال طرفة .

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى

عقيلة مــال الفاحش المتشدّد [١٤٠]

استشهد به لبيان ان (الفاحش) بمعنى البخيل .

٧٢ـ الفِتْنَةُ بمعنى الاختبار [١٤١] قال اعشى همدان .

لقــد فتنتني وهــي بالامس أفتنــت

فأمست قــد قــلا كل مسلم [١٤٢]

استشهد به لبيان ان (الفتنة) هي الامتحان والاختبار .

---

(١٣٦) ورد هذا البيت في صفحة ٥٣٥ ج ١٠ .

(١٣٧) جاء في متن اللغة : العيد عند العرب : اليوم الذي يعود كل سنة بفرح مجدد . كل يوم فيه جمع ، ما اعتادك من الشوق والهم او الحزن .

(١٣٨) ورد هذا البيت في صفحة ٢٦٥ ج ٣ .

(١٣٩) جاء في متن اللغة : الفحش والفاحش والفاحشة ج فواحش : القبيح من الفعل والقول ، الفاحش : البخيل الشديد البخل .

(١٤٠) ورد هذا البيت في صفحة ٣٨١ ج ٢ .

(١٢١) جاء في متن اللغة : الفتنة : البلاء والامتحان والاختبار : الاثم والمعصية .

(١٤٢) ورد هذا البيت في صفحة ١٨٤ ج ٤

٧٣- الفَـرْجُ بمعنى الثغر [١٤٣] قال زهير

هم ضربوا عن فرجهـا بكتيبـة
كبيضاء حـرس في جوانبها الرَّجْلُ [١٤٤]

استشهد به لبيان ان (الفرج) هنا بمعنى (الثغر) .

٧٤- الفَـلْجُ بمعنى النهر الصغير [١٤٥] قال الراجز

من يلك ذا شـك فـهذا فَـلْـجُ
مـاء رواء وطـريق نهـج [١٤٦]

استشهد به لبيان ان (الفلج) بمعنى النهر الصغير .

٧٥- الكِـرْسُ بمعنى البول والبعر [١٤٧] قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مُكرَسَـا
قـال نعم اعرفـه وأبلَسـا [١٤٨]

استشهد به لبيان ان (الكِـرس) هو الابوال والابعار .

٧٦- الكُـرْسِـيُّ بمعنى العالم بالامور [١٤٩] قال الشاعر

تحف بهم بيض الوجـوه وعصبـة
كراسيُّ بالاحدا ث حين تنـوب [١٥٠]

---

(١٤٣) جاء في متن اللغة : الفرج : الفتق . الثغر المخوف .

(١٤٤) ورد هذا البيت في صفحة ٢٥٠ ج ٤ .

(١٤٥) جاء في متن اللغة : الفلج : الشق . الجدول . العين الجارية

(١٤٦) ورد هذا البيت في صفحة ٤٠٢ ج ٣ .

(١٤٧) جاء في متن اللغة : الكرس : البعر والبول من الابل والغنم الخ

(١٤٨) ورد هذا البيت في صفحة ٢٩٨ ج ٨

(١٤٩) جاء في متن اللغة : الكرسي : هذا الذي يعتمد عليه ويجلس عليه : العلم والمقدرة

(١٥٠) ورد هذا البيت في صفحة ٣٦١ ج ١ .

استشهد به لبيان ان (الكراسي) هم العلماء بالامور .

٧٧ـ اللّهْوُ بمعنى الجماع [١٥١] قال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم انني
كبرت وان لا يحسن اللهو أمثالي [١٥٢]

استشهد به لبيان ان (اللهو) بمعنى الجماع .

٧٨ـ المَأْلَكُ بمعنى الرسالة [١٥٣] قال عدي بن زيد

ابلغا النعمان عني مأنكاً
انه قد طال في السجن انتظاري [١٥٤]

استشهد به لبيان ان (المألك) الرسالة .

٧٩ـ المِصاعُ بمعنى المجالدة [١٥٥] قال الاعشى

اذا هن نازلن اقرانهن
كانَ المِصاعُ بما في الجؤن [١٥٦]

استشهد به لبيان ان (المصاع) بمعنى المجالدة .

٨٠ـ المَقيتُ بمعنى المقتدر [١٥٧] قال الزبير بن عبدالمطلب

وذي ضِغن كففت النفس عنه
وكنت على مساءته مقيتا [١٥٨]

---

(١٥١) جاء في متن اللغة : اللهو اللعب . ما لعبت به ومشغلك من طرب ولهو : ويكنى به عن الجماع

(١٥٢) ورد هذا البيت في صفحة ٤٢ ج ٧ .

(١٥٣) جاء في متن اللغة : المألك والألوك والمألكة : الرسالة

(١٥٤) ورد هذا البيت في صفحة ٧٢ ج ١ .

(١٥٥) جاء في متن اللغة : المصاع : الجلاد والضراب .

(١٥٦) ورد هذا البيت في صفحة ٥٧ ج ١٠

(١٥٧) (لم اجده في متن اللغة) .

(١٥٨) ورد هذا البيت في صفحة ٨٤ ج ٣ .

استشهد به لبيان ان (مقيت) بمعنى مقتدر .

٨١ـ نَاصَ بمعنى تقدم [١٥٩] قال امرؤ القيس

امن ذكر ليـلى ان نأتك تنـوص
فتقصر عنها خطـوة وتبوص [١٦٠]

استشهد به لبيان ان (ناص) بمعنى تقدم .

٨٢ـ النَّحْبُ بمعنى النذر [١٦١] قال بشر بن ابي حازم

وانـي والهجـاء لآل لامٍ
كـذات النحب توفي بالنـذور [١٦٢]

استشهد به لبيان ان (نحب) بمعنى النذر .

٨٣ـ النُسُكُ بمعنى الذبائح [١٦٣] قال الاعشى

وذا النصب المنصـوب لا تنسـكنه
ولا تعبـد الشيطان والله فاعبـدا [١٦٤]

استشهد به لبيان ان (النسك) بمعنى الذبائح وكانت تذبح في الجاهلية .
والنسيكة : الشاة كانوا يذبحونها في المحرم ثم نسخ ذلك بالاضاحي .

٨٤ـ النَظَرُ بمعنى الانتظار [١٦٥] قال الشاعر مرداس بن حصين

فبينا نحـن ننظره أتـانـا
معلـق شكـوه وزنـاد راع [١٦٦]

---

(١٥٩) جاء في متن اللغة : ناص نوصاً : فروراغ : فات وسبق .
(١٦٠) ورد هذا البيت في صفحة ٤٦٤ ج ٨ .
(١٦١) جاء في متن اللغة : النحب : رفع الصوت بالبكاء . الحاجة . النذر المحكوم بوجوبه .
(١٦٢) ورد هذا البيت في صفحة ٣٤٩ ج ٨ .
(١٦٣) جاء في متن اللغة : النسك والنسيكة : الذبيحة .
(١٦٤) ورد هذا البيت في صفحة ٣٨٥ ج ١٠
(١٦٥) جاء في متن اللغة : النظر : الفكر في شيٌ تقدره وتقيسه .
(١٦٦) ورد هذا البيت في صفحة ٣٤٩ ج ٨ .

استشهد به لبيان ان (النظر) بمعنى الانتظار .

٨٥ــ النّفْيُ بمعنى ما يتطاير من الماء [١٦٧] قال الراجز

كــأن متنيــه مـــن النّـــفيّ
مواقــع الطير عــلى الصُّفيّ [١٦٨]

استشهد به لبيان ان (النفي) هو ما تطاير من الماء على الدلو .

٨٦ــ النُّقُبُ بمعنى الجرب [١٦٩] قال دريد بن الصمة

متبذلاً تــبــدو محاســـنــه
يضع الهِناء مواضــع النُقُب [١٧٠]

استشهد به لبيان ان (النقب) هو الجرب .

الهِناء :ــ القطِران يطلى به الجرب .

٨٧ــ نَقَم بمعنى أنكر [١٧١] قال الشاعر

ما نقمــوا مـــن بنـــي اميــة الا
انهـــم يحلمـــون ان غضبـــوا [١٧٢]

استشهد به لبيان ان (نقم) بمعنى انكر .

٨٨ــ النّوافِذُ بمعنى الجيوب [١٧٣] قال الهذلي

---

(١٦٧) جاء في متن اللغة : النفي : الولد يجحده ابوه وينفيه : ما تطاير من الماء عن الرشاء عند الاستسقاء .

(١٦٨) ورد هذا البيت في صفحة ١٨٧ ج ٣ .

(١٦٩) جاء في متن اللغة : النقب والنقب : القطع المتفرقة من الجرب . او هي الجرب عامة .

(١٧٠) ورد هذا البيت في صفحة ١٧٠ ج ٣

(١٧١) جاء في متن اللغة : نقم نقماً وتنقاماً عليه : فهو ناقم : عاقبه

(١٧٢) ورد هذا البيت في صفحة ٥١ ج ٥ .

(١٧٣) جاء في متن اللغة : النافذ : الماضي في جميع الأمور : والطعنة النافذة المنتظمة الشقين . والطعنات نوافذ .

فتخــانســا نفسيهمــا بنوافــذ
كنوافذ العُبُطِ التي لا ترقــع (١٧٤)

استشهد به لبيان ان (النوافذ) هنا بمعنى الجيوب او الجروح .
والعُبُطُ جمع العُبْط وهو الشق .

٨٩ـ الوَبَدُ بمعنى سوء الحال (١٧٥) قال الشاعر

لأصبح القوم أوباداً ولــم يجــدوا
عند التفرق في الهيجا جِمالين (١٧٦)

استشهد به لبيان ان (الوبد) هوسيء الحال من كثرة العيال وقلة المال .
والأوباد جمع وبد .

٩٠ـ وَجْهُ النهار بمعنى اوله (١٧٧) قال الربيع بن زياد العبسي.

من كان مسروراً بمقتــل مــالك
فليأت نسوتنا بوجــه نهــار (١٧٨)

استشهد به لبيان ان وجه النهار بمعنى اوله .

٩١ـ الوَسَطُ بمعنى العدل (١٧٩) قال زهير

هم وسط يرضى الانــام بحكمهم
اذا طرقت احدى الليالي بمُعظم (١٨٠)

استشهد به لبيان ان (الوسط) بمعنى العدل .

---

(١٧٤) ورد هذا البيت في صفحة ١٩١ ج ٣ .
(١٧٥) جاء في متن اللغة : الوبد : شدة العيش . البؤس والفقر . ويجمع على اوباد .
(١٧٦) ورد هذا البيت في صفحة ٢١٩ ج ٣ .
(١٧٧) جاء في متن اللغة : الوجه : الجارحة ، المعروفة وهي المحيا : ووجه النهار اوله .
(١٧٨) ورد هذا البيت في صفحة ٤٦٠ ج ٢ .
(١٧٩) جاء في متن اللغة : الوسط من الشيء خياره : وأعدله الخ .
(١٨٠) ورد هذا البيت في صفحة ٢٢٤ ج ١ .

٩٢- وَقَذَ بمعنى ضرب بشدة [١٨١] قال الفرزدق

شَغّارة تَقِذُ الفصيل برجلها

فطّارة لقوادم الابكار [١٨٢]

استشهد به لبيان ان (وقذ) بمعنى ضرب بشدة .

٩٣- وَسْوَسَ بمعنى الجرس [١٨٣] قال الاعشى

تسمع للحلي وسواساً اذا انصرفت

كما استعان بريح عشرقٍ زَجِلُ [١٨٤]

استشهد به لبيان ان (الوسواس) بمعنى جرس الحلي

والعشرق : شجرة قدر ذراع لها اكمام فيها حب صغار اذا جفت صوتت بمرّ الريح .

ونبات زَجِلٌ : اي للريح صوت في خلاله .

٩٤- الوَهْمُ بمعنى الضخم [١٨٥] قال ذو الرمة

كأنها جُمّلٌ وَهْمٌ وما بقيت

الا النحيزة والالواح والعصب [١٨٦]

استشهد به لبيان ان (الوَهْم) هو الحبل العظيم .

---

(١٨١) جاء في متن اللغة : وقذ الشيءْ : كسره ودمغه : شدة الضرب والكسر .

(١٨٢) ورد هذا البيت في صفحة ١٥٦ ج ٣ .

(١٨٣) جاء في متن اللغة : وسوس وسوسة : الحلي : كان له صوت، اليه : حدثه ، في صدره الشيطان حدثه في نفسه والرجل : كلمه كلاماً خفياً .

(١٨٤) ورد هذا البيت في صفحة ٤٠٤ ج ٤ .

(١٨٥) جاء في متن اللغة : الوهم من خطرات القلب الرجل العظيم : الحبل العظيم .

(١٨٦) ورد هذا البيت في صفحة ٨٩ ج ٩

٩٥ـ اليَمينُ بمعنى القوة [١٨٧] قال الشماخ

اذا ما رايــة رفعت لمجـــــــد
تلقاهـــا عرابة باليمـــين [١٨٨]

استشهد به لبيان ان (اليمين) بمعنى القوة :

* * *

وبعــد :

فهذه هي الابيات التي استشهد بها صاحب كتاب [مجمع البيان فــي تفسير القران] وهذه هي الكلمات الغريبة ، جئت بها في مقالي هذا ، آملاً ان يجد فيها القارىء ، نفعاً وفائدة ومن الله التوفيق .

---

(١٨٧) جاء في متن اللغة : اليمين : الحلف والقسم : القوة والقدرة .

(١٨٨) ورد هذا البيت في صفحة ٤١ ج ٣ .

المسائل السَّفَرِيَّة في النحو

لابن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١ هـ

تحقيـــق

الدكتور هشام طه شلاش

كلية التربية ــ جامعة بغداد

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده وأستعينه

وبعد فقد وقعت في يدي نسختان مخطوطتان من المسائل السفريّة لابن هشام الأنصاري المتوفى سنة إحدى وستين وسبعمائة هجرية وهما من المخطوطات المحفوظة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة في تونس . وكنت أعرف سلفاً أن «المسائل السفرية » لابن هشام الأنصاري منشورة برمّتها في كتاب الأشباه والنظائر النحوية لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة هجرية . وقد قمتُ بمقابلة النص المنشور في الأشباه والنظائر بما هو موجود في المخطوطتين فوجدت ما يأتي :

١ــ وجود سقط ظاهر في ما هو منشور في الأشباه والنظائر في عدة مواضع من الرسالة .

٢ــ وجود تصحيف كثير في ألفاظ مختلفة منها .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة قدوة المحققين
جمال الدين أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري
رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه آمين

سألني بعض الإخوان وأنا مع جماعة من الأعيان عن توجيه النصب
في نحو قول القائل فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار وقوله الإعراب
لغة البيان والإعراب اصطلاحا تغيير أواخر الكلم والدليل لغة
المرشد والإجماع لغة العزم والسنة لغة الطريقة وقوله يجوز كذا
خلافا لفلان وقوله وقال أيضا وقوله وهلم جرا وكل هذه ...
التراكيب مشكلة وليس منها في ذهني شيء أعتمد عليه وإن كانت
مشهورة بأيدي الناس وبعضها لم أقف له على تفسير ووقفت
على تفسير بعضها بما لا يشفي غليلا ولا يبرد غليلا وها أنا أورد
في هذه الأوراق ما تيسر لي معتذرا بضيق الوقت ووقوع الخاطر
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب أما قوله فلان
لا يملك درهما فضلا عن دينار فمعناه أنه لا يملك درهما ولا دينارا
وأن عدم ملكه للدينار أولى من عدم ملكه للدرهم وكأنه قال لا يملك
درهما فكيف يملك دينارا وهذا التركيب زعم بعضهم أنه
مسموع وأنشد عليه قول الشاعر.
ثم قلما يوجد هذا اللفظ في حجة ما فضلا عن وصف في
ورمز بعثه الخليل ولا يستعمل فضلا على هذا إلا في النفي وهو
مستفاد في البيت من قلما قال بعضهم حرف لقل حين كفت بما
إرادة النفي كما ذكرنا أن المكسورة المشددة حين كفت عن العمل

الاقتضاء

الصفحة الأولى من النسخة (ف)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ [illegible] الإمام جمال الدين بن هشام الأنصاري رحمه الله سألني بعض الإخوان أمتعني الله به عن توجيه
النصب في نحو قول الفقهاء إن كان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار وعن معنى هذا الكلام وفضلاً في لغة البيان واصطلاحاً [illegible]
والدليل لغة المرشد [illegible] لغة [illegible] بعده وقوله [illegible] العلامة وقوله فقال أيضاً
ونحو ذلك كل هذه التراكيب مشكلة ولست على ثقة من أنها عربية وإن كانت مشهورة في عرف الناس وبعضهم
أفرد الكلام بتفسيره وقد وقفت لبعضهم على تفسير لا يشفي عليلاً ولا يبرد غليلاً وها أنا موضح في هذه الحروف ما ينبغي
أن يعتمد بحسب الوقت ومبلغ العلم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب أما قوله فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار
فمعناه أنه لا يملك درهماً ولا ديناراً وأن عدم ملكه للدينار أولى من عدم ملكه الدرهم وكأنه قال لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً
وهذا التركيب زعم بعضهم أنه مسموع وأنشد عليه قول ما يعني [illegible] هذا اللفظ [illegible] فضلاً عن [illegible] بغية الحياة
لا يستطيع [illegible] هذا البيت وهو مستبعد [illegible] البيت [illegible] قال بعضهم [illegible] إرادة [illegible] الحروف
[illegible] المكسورة المشددة [illegible] إرادة الاختصاص قلت وهذا خطأ [illegible] استعمال [illegible] قبل التركيب [illegible]
[illegible] هذا [illegible] هذا الا [illegible] استعمال [illegible] المستثنى وهو [illegible] من [illegible] البلية
للمعنى [illegible] قوله تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق والخطاب
وظاهر [illegible] كثير [illegible] الفارسي أ أن يكون مصدراً للفعل المحذوف [illegible] الفعل نعتاً للنكرة ب أن يكون حالاً من معمول الفعل
المذكور [illegible] عنه ويحتاج [illegible] ما أوضحه اعلم أنه يقال فضل عنه وعليه بمعنى زاد [illegible] وزنه ومصدره
فقوله لا يملك درهماً يفضل فضلاً عن دينار [illegible] الفعل المحذوف صفة لدرهماً كذا حكي عن الفارسي [illegible] كون الفعل صفة [illegible]
أن يكون حالاً كما جاء [illegible] أن يكون حالاً [illegible] تعريف ثم وجه الصفة أقوى [illegible] النكرة [illegible] فيستقيم
مجيء الحال [illegible] وزنه حالاً [illegible] ج أن يكون حيث المصدر [illegible] أي لا يملك [illegible] قوله
[illegible] أي [illegible] للقرآن [illegible] اللام متعلقة [illegible] الأصل [illegible] جميعاً
[illegible] تقرير [illegible] على الأصح [illegible] قوله سار وأسرع [illegible] أي سار [illegible]
[illegible] المصدر [illegible] الصفة مختصة
بجنسه كما [illegible] مختصة بجنس الإنسان [illegible] وفي هذا الموضع [illegible]
هذا موضع [illegible] أن يكون [illegible] فإن قلت كيف جاز مجيء الحال من النكرة [illegible] أشكل الأمر
يجوز [illegible] مجيء الحال من النكرة [illegible] الابتداء بها [illegible] وثبوت [illegible]
[illegible] المشهور أن الحال [illegible] الحال [illegible] النفي والنفي
النكرة [illegible] الوصف [illegible]
أنه [illegible] النكرة [illegible] وهذا [illegible] الناس [illegible]

الصفحة الأولى من النسخة (م)

٣ــ عدم ضبط النص المنشور في الاشباه والنظائر بالحركات مما جعل قراءة النص عسيرة على الدارسين .

هذه الأمور دفعتني الى اعادة نشر هذه الرسالة المهمة مرة ثانية .

وقد اجتهدت في ضبط النص على أكمل وجه ، وقمتُ بمراجعة ما يقتضي التحقيق مراجعته وإثبات ما وجدته نافعاً في الهامش ولم أدّخر وسعاً في كل ذلك، فإن وفِّقْتُ في عملي فمن الله التوفيق، وله الحمدُ ، وإن تكن الأخرى فحسبي أنّي بذلتُ الوسع في ذلك ، والحمدُ لله في الأولى والآخرة .

المحقــق

ترجمة ابن هشام :

إنّ أكثر المعلومات التي بين أيدينا عن حياة ابن هشام منقولة من كتاب الدُّرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لشيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ ، لذا كان أكثر المترجمين الذين ترجموا لابن هشام معتمدين على ابن حجر في ذلك نذكر منهم على سبيل التمثيل:

١ــ السيوطي في كتابيه « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » و « بغية الوعاة » [١] فقد نقل ما ذكره عن ابن هشام من الدرر الكامنة لابن حجر .

٢ــ محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ صاحب كتاب « البدر الطالع بمحاسن مَن بَعد القرن السابع » [٢] ، إذ نقل ترجمته عن ابن حجر صاحب الدرر الكامنة ، ولكنه أضاف إلى ترجمته سبب انحراف ابن هشام عن استاذه أبي حيان .

٣ــ الخوانساري في « روضات الجنات » [٣] إذ نقل ترجمته عن ابن حجر في الدرر الكامنة وعن السيوطي في البغية . ولكنّ الخوانساري أضاف إلى هذه

(١) انظر حسن المحاضرة ٣٠٩/١ وبغية الوعاة ٢٩٣ – ٢٩٤ .
(٢) انظر البدر الطالع ٤٠٠/١ – ٤٠٢ .
(٣) انظر روضات الجنات ٤٥٥ – ٤٥٧ .

الترجمة أسماء الذين اشتهروا باسم « ابن هشام » وأسماء الذين لهم مصنفات باسم « المغني » إلاّ انّ ابن هشام وكتابة المغني برّزا على الجميع .

٤ــ جرجي زيدان في كتابه « آداب اللغة العربية » إذ نقل مادة ترجمته من حسن المحاضرة للسيوطي والدرر الكامنة لابن حجر .

٥ــ الزركلي في كتابه « الأعلام » إذ نقل مادة ترجمته لابن هشام عن ابن حجر أيضاً .

وقد أغنانا الفضلاء الذين كتبوا عن ابن هشام عن اعادة ترجمة حياته المفصّلة وبخاصة الذين حققوا كتبه ، إذ قدّموا لتحقيقاتهم ترجمات مفصّلة تتحدث عن المؤلف وشيوخه وتلامذته ومصنفاته نذكر منهم على سبيل التمثيل :

١ــ محمد محيي الدين عبدالحميد في مقدّمات كتب ابن هشام التي نشرها له وهي :

أ ــ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب .

ب ــ شرح قطر الندى وبل الصدى .

ج ــ شرح شذور الذهب .

د ــ شرح أوضح المسالك .

٢ــ مازن المبارك في مقدّمة تحقيقه لـ (مغني اللبيب) .

٣ــ الدكتور أحمد مطلوب في مقدّمة تحقيقه لـ (فوح الشذا في مسألة كذا) سنة ١٩٦٣ .

٤ــ الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي في مقدّمة تحقيقه لـ (الاعراب عن قواعد الاعراب) . سنة ١٩٧٠ .

٥ــ الدكتور صاحب أبو جناح في مقدّمة تحقيقه لـ (مسائل في اعراب القرآن) المنشورة في العدد الثالث من المجلد الثالث من مجلة المورد العراقية ص ١٤٣ ــ ١٦٦ .

٦ـ الدكتور هادي نهر في مقدّمة تحقيقه لـ (شرح اللمحة البدرية في علم اللغه العربية) سنة ١٩٧٧ .

٧ـ محقق هذه الرسالة في مقدّمة تحقيقه لـ « إقامة الدليل على صحة التمثيل وفساد التأويل » المنشورة في مجلة كلية الآداب العدد ١٦ .

المصنف [١] :

هو عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري جمال الدين أبو محمد النحوي المشهور .

ولد في ذي القعدة سنة ٧٠٨ هـ وازم الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف بن المُرَحّل وتلا على ابن السّراج وسمع من أبي حيان ديوان زهير بن أبي سلمى ولم يلازمه ولا قرأ عليه ، وكان كثير المخالفة لأبي حيّان شديد الانحراف عنه ، وقد ذكر الشوكاني في البدر الطالع سبب ذلك بقوله : « ولعلّ ذلك والله أعلم لكون أبي حيّان كان منفرداً بهذا الفن في ذلك العصر غير مدافع عن السبق فيه ثم كان المنفرد بعده هو صاحب الترجمة وكثيراً ما ينافس الرجل من كان قبله في رتبته التي صار اليها إظهاراً لفضل نفسه بالاقتدار على مزاحمته لمن كان قبله أو بالتمكن من البلوغ إلى ما لم يبلغ إليه» وقد حضر ابن هشام دروس الشيخ تاج الدين التبريزي وقرأ على الشيخ تاج الدين الفاكهاني شرح الاشارة جميعه إلاّ الورقة الأخيرة . وتفقه للشافعي على تقي الدين السبكي ثم تحنبل فحفظ مختصر الخرقي في دون أربعة أشهر وذلك قبل موته بخمس سنين وأتقن العربية ففاق الأقران بل الشيوخ .

وتصدّر لنفع الطالبين وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البالغ والاطلاع المفرط والاقتدار على التصرّف في الكلام والملكة

(١) الترجمة مأخوذة بتصرف من الدرر الكامنة لابن حجر ص ٣٠٨ ومقدمة ابن خلدون ٣/٢٨٢-٨٣ والبدر الطالع للشوكاني ص ٤٠٠ - ٤٠٢ ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ١٠ حوادث سنة ٧٦١ هـ ص ٣٣٦ .

التي كان يتمكن بها من التعبيرعن مقصوده بما يريد مسهباً مع التواضع والبرّ والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب .

قال عنه ابن خلدون : « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمعُ أنّه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه .

وذكر ابن خلدون انّ ابن هشام كان « كأنّه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جنّي واتبعوا مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشيء عجيب دالٍّ على قوّة ملكته واطّلاعه »[1] .

وقد توفي الشيخ الإمام جمال الدين بن هشام في ليلة الجمعة الخامس من ذي القعدة عام ٧٦١ ه ودُفن بعد صلاة الجمعة بمقابر الصوفية خارج باب النصر في القاهرة .

وقد رثاه كثيرون لمكانته العلمية ولما له من تأثير في نفوس الكثيرين في عصره لعلمه وورعه وخلقه . وممن رثاه ابن نباتة المصري بقوله :

سقى ابن هشام في الثّرى نور رحمةٍ
يجرّ على مثّواه ذيل غمام
سأروي له من سيرة المدح مسندا
فما زلتُ أروي سيرة ابن هشام

ورثاه ابن الصاحب بدر الدين بقوله :

تَهَنَّ جمالَ الدين بالخلد انني
لفقدِك عيشي ترحةٌ ونكالُ
فما لدروسٍ غبتَ عنها طلاوةٌ
ولا لزمانٍ لست فيه جمالُ

رحم الله ابن هشام رحمة واسعة لما قدّمه للعلم من جليل الأعمال

(١) مقدمة ابن خلدون – المطبعة الخيرية بالقاهرة – ص ٣١٤ .

قسم من مؤلفاته :

لابن هشام كتب عديدة تدلّ على علم كثير في مسائل النحو واللغة وتدلُّ على إخلاص كبير في تقديم الفائدة لطلاّب العلم والمعرفة فاكثرُ كتبه ظهر نتيجة لسؤال صَعُبَ فهمُه أو اعتراضٍ لمعترض على مسألة من المسائل ، أو التماسٍ في شرح كتاب كثرت ألغازه فأسهب في شرحه وحلّ مشكلاته . وفي هذا المقام نذكر قسماً من كتبه محيلين القارئ — في القسم الآخر — على مقدّمات كتبه الأخرى التي استوفت مؤلفاته في مختلف علوم العربية .

١— مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : وقد صنّف ابن هشام قبل هذا الكتاب كتاباً آخر عندما كان في مكة عام ٧٤٩ هـ ولكنه فقده في طريقه إلى مصر ، وفي رحلة ثانية له إلى مكة كتب مصنّفه « مغني اللبيب » وقد سمّاه في الرسالة التي ننشرها الآن قواعد الإعراب. وقد شُرِح وطبعَ مِراراً .

٢— شوارد الملح وموارد المنح وهو رسالة في سعادة النفس . توجد منها نسخة مخطوطة في برلين رقمها ٢٠٩٧ .

٣— إقامة الدليل على صحة التمثيل وفساد التأويل . وهو رسالة صغيرة في الصرف أشار إليها ابن حجر في الدرر الكامنة ونقل الزبيدي منها في تاج العروس. وقد حققنا هذه الرسالة عن نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي ، ونشرناها في العدد السادس عشر من مجلة كلية الآداب التابعة لجامعة بغداد .

٤— تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد . وهو كتاب في شرح شواهد الألفية . توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي بخط عبدالوهاب السبكي صاحب طبقات الشافعية . ويقـوم الآن الأخ الدكتور عباس الصالحي بتحقيقه على عدة نسخ .

٥— شرح التسهيل لابن مالك ، ذكر ذلك ابن حجر في الدرر الكامنة وذكر أيضاً أنّه بقي مسوّداً . وأشار الشوكاني في البدر الطالع إلى ذلك أيضاً . ويظهر أنه نقل ذلك عن ابن حجر لنقله ترجمة ابن هشام كاملة من كتابه .

المسائل السفرية في النحو :

لم يشر أحدٌ ممن ترجم لابن هشام إلى هذه التسمية إلا السيوطي في كتابه بغية الوعاة [1] . والظاهر أنّ السيوطي اعتمد في هذه التسمية على ما ذكره ابن هشام في مقدّمة الرسالة إذ قال : « قال الشيخ جمال الدين بن هشام الأنصاري رحمه الله : سألني بعض الأخوان وأنا على جناح السفر ... الخ » [2] .

أما المترجمون الآخرون فقد ذكروا لابن هشام « رسالة في انتصاب لغةً وفضلاً وإعراب خلافاً وأيضاً والكلام على هلم جرّاً » .

والغريب أن النسخ المخطوطة لهذه الرسالة تحمل اسم « المسائل السفرية في النحو » ، ولا ندري أهي تسمية موروثة عن ابن هشام أم هي تسمية متأخّرة أفادها النساخ من السيوطي في كتابه بغية الوعاة .

موضوع الرسالة — كما بينه ابن هشام في مقدمتها — حديث عن توجيه النصب في « فضلاً ولغةً وخلافاً وهلمّ جرّاً وأيضاً» في نحو قول القائل : « فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار » و « الاعرابُ لغةً البيانُ »و «يجوز كذا خلافاً لفلان » و « قال أيضاً » و « هلمّ جرّاً » . والدافع إلى ذلك ان ابن هشام يرى أنّ هذه التراكيب ليست عربية ، وإن كانت مشهورة في عرف الناس . يضاف إلى ذلك انه وقف على تفسيرات لها لا تشفي عليلاً ولا تبردُ غليلاً . ولذلك أورد في رسالته هذه ما تيسّر له معتذراً بضيق الوقت وسقم الخاطر .

وقد سار ابن هشام في توضيح ذلك على منهج مرتّب بدأه بعرض أقوال علماء اللغة في كل مسألة من هذه المسائل ثم ثنّاه بتوضيح أقوالهم توضيحاً مبسوطاً ختمه بعد ذلك بنقد تلك الأقوال وبيان خللها ثم أنهى كلامه في كلّ مسألة بالقول الفصل ، وهو ما ظهر له في توجيه ذلك بعد الدراسة والنقد والتمحيص . وقد دعم أقواله بالشواهد المستقاة من القرآن الكريم والشعر العربيّ .

---

(١) ص ٢٩٣ .
(٢) انظر الصفحة الأولى من الرسالة .

وابن هشام في رسالته هذه يصوّر جانباً من الإيغال في المناقشات العقلية التي سار عليها علماء النحو في العصر الذي عاش فيه ، فهو يعتمد على التقدير الكثير وعلى التأويل المعقّد الذي لم يكن مألوفاً عند النحاة المتقدّمين . وقد أشار ابن هشام إلى هذه المسألة بقوله لسائله : «قلتَ: قد اشتملت هذه التوجيهات التي وُجِّهت بها هذه المسائل على تقديرات كثيرة وتأويلات متعقّدة ولم يُعْهد في كلام النحويين مثل ذلك . قلتُ : ذلك لانّك لم تقف لهم على كلام على مسائل متعقّدة مشكلة اجتمعت في مكان واحد ، ولو وقفت لهم على ذلك لوجدت في كلامهم مثل ذلك وأمثاله كثيرة »[1] .

وقد استقى ابن هشام مادة رسالته من مصادر متعددة مع كونها صغيرة الحجم . ويقتضي المقام هنا أن نورد أسماء العلماء الذين نقل مادة رسالته منهم مرتبة بحسب تسلسل وفياتهم :

١ — سيبويه : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المتوفى سنة ١٨٠ هـ .
٢ — الأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة المتوفى سنة ٢١٥ هـ .
٣ — ابن السِّكِّيت : يعقوب بن اسحاق المتوفى سنة ٢٢٤ هـ .
٤ — الزجّاج : أبو أسحاق ابراهيم بن السريّ بن سهل المتوفى سنة ٣١١ هـ .
٥ — ابن الانباريّ : أبو بكر محمّد بن القاسم المتوفّى سنة ٣٢٨ هـ . وقد صرّح بالنقل من كتابه « الزاهر » .
٦ — الزجّاجي : أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد صرّح بالنقل من كتابه « مختصر الزاهر » .
٧ — أبو عليٍ الفارسي : الحسن بن أحمد المتوفى سنة ٣٧٧ هـ .
٨ — ابن جنّي : أبو الفتح عثمان المتوفى سنة ٣٩٢ هـ .
٩ — الجوهري : اسماعيل بن حمّاد المتوفى في حدود سنة ٤٠٠ هـ . وقد صرّح بالنقل من كتابه « الصحاح » .

---

(١) انظر خاتمة المسائل السفرية .

١٠ــ ابن سيده: علي بن اسماعيل ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ . وقد صرّح بالنقل من كتابه المحكم .

١١ــ الزمخشري : جارالله محمود بن عمر المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

١٢ــ الشاطبي :القاسم بن فيرة ابن أبي القاسم الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ .

١٣ــ ابن الصلاح : أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن بن الصلاح الشهرزوري المتوفّى سنة ٦٤٣ هـ . وقد صرّح بالنقل من كتابه شرح مشكلاتالوسيط.

١٤ــ ابن الحاجب : أبو عمرو الكردي المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ وقد صرّح بالنقل من كتابه الأمالي .

١٥ــ الصغاني : الحسن بن محمد المتوفى سنة ٦٥٠ هـ . وقد صرّح بالنقل من كتابه العُباب .

١٦ــ أبو شامة : شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥ هـ .

١٧ــ ابن عصفور : علي بن مؤمن المتوفى سنة ٦٦٩ هـ .

١٨ــ ابن مالك : جمال الدين المتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

١٩ــ أبو حيان : أثير الدين محمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٤٥ هـ . وقد صرّح بالنقل من كتابه ارتشاف الضَرَب .

المطبوعة والمخطوطتان :

١ ــ المطبوعة :

طُبع كتاب الأشباه والنظائر النحوية للامام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ طبعته الثانية في مطبعة الجمعية العلمية الشهيرة بدائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية حيدر آباد الدّكن في الفترة المحصورة بين عامي ١٣٦٠ و ١٣٦١ هـ . وقد اعتُمد في طبعته الأولى على ثلاث نسخ مخطوطة عتيقة وزيد عليها في الطبعة الثانية نسخة أخرى يمانية مقابلة على

نسخة المؤلف التي بخط يده . وقد أشرف على التصحيح اساتذة فضلاء . ومع ذلك امتلأت المطبوعة بالتصحيف والتحريف الكثير [1] .

وقد كانت رسالة المسائل السفرية لابن هشام الأنصاري جزءاً من هذا الكتاب إذ احتلت منه تسع عشرة صفحة تقع في الجزء الثالث منه بين الصفحة المرقمة بالرقم ١٨٧ والصفحة المرقمة بالرقم ٢٠٥ . وهذا يعني أن المسائل السفرية لابن هشام الانصاري حُقِّقت في هذا الكتاب على أربع نسخ خطية .

٢ ــ المخطوطتان :

أ ــ المخطوطة الأولى : تحمل رقمين الأول ٤٠٦٩ أحمدية والثاني ١٥٤٨٦ دار الكتب الوطنية . والرقم الثاني رقم جديد حملته المخطوطة بعد نقل مخطوطات المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة الى دار الكتب الوطنية بتونس . وقد رمزنا إلى هذه المخطوطة بالحرف (م) وهي جزء من مجموع فيه عدة رسائل في علوم مختلفة . وقد كتب المجموع كله بخط مغربي غير واضح أحياناً ، ولكنه يتميز بالدقة . والواضح تماماً أن اكثر من ناسخ واحد اشتركوا في كتابته .

والمسائل السفرية تقع في أربع ورقات وهذه الورقات تقع بين الورقة ٥٢ والورقة ٥٧ من المجموع . وقياس الصفحة الواحدة منه ٢١×١٦ . وتشتمل الصفحة الواحدة على ٢٧ سطراً .

أما الرسائل الأخرى التي ضمّها المجموع فهي على التوالي :

١ ــ إتحاف ذوي الاستحقاق للمكناسي .

وقد احتلت هذه الرسالة احدى وخمسين ورقة من المجموع .

٢ ــ المسائل السفرية لابن هشام الانصاري .

٣ ــ مسألة في بناء الاسم لشبهه بالحرف .

(١) نشر الكتاب نشرة أخرى في مصر عام ١٩٧٥ م بتحقيق (؟) طه عبدالرؤوف سعد والظاهر ان المحقق (؟) اعتمد في نشره على مطبوعة دائرة المعارف العثمانية فظهرت المطبوعة الجديدة على ما كانت عليه من تصحيف وتحريف وسقط .

لم نعرف مؤلّفها .وقد احتلت هذه المسألة أربع صفحات ابتداءً من الورقة ٥٥ وانتهاء بالورقة ٥٦ .

٤ – رسالة في تفسير الألفاظ الغريبة الواقعة في كتاب الأمثال لأبي عُبيد ، مؤلف مجهول . وتقع هذه الرسالة في صفحة واحدة من الورقة السابعة والخمسين .

٥ – مختصر في علل الأعاريض الأربع والثلاثين لأبي عبدالله محمد بن ابراهيم الاندلسي الشريشي .

ويقع هذا المختصر في ورقتين هما الورقتان ٥٨ و ٥٩ من المجموع .

ب – المخطوطة الثانية :

رقمها ٥٦٦٧ أحمدية و ١٠١٠٥ دار الكتب الوطنية وقد رمزنا إليها بالحرف (ف) . وتقع في ١٠ ورقات .

وقياس الصفحة الواحدة ٢٠ × ١٥ ، وتشتمل كل صفحة على ٢٤ سطراً ، وقد كتبت هذه المخطوطة بخط مغربي جميل وواضح ،ولكن وقعت فيه أخطاء املائية لا يقع فيها الكاتب المحقق. والناسخ يكتب التاء المربوطة تاء طويلة في عدة مواضع من الرسالة ويكتب الألف المقصورة المنقلبة عن الياء ألفاً قائمة دائماً .

ولم نقف على اسم ناسخ المخطوطة ولا على تأريخ نسخها .

عملنا في التحقيق :

لم تخل المطبوعة [١] من التصحيف والتحريف ولم تخل المخطوطتان من ذلك أيضاً ، ولكننا وجدنا المطبوعة أكثر سلامة من المخطوطتين، لكن ذلك لا يعني الاستغناء بالمطبوعة عن المخطوطتين، اذ سدّت المخطوطتان ثغرات كثيرة من السقط والتصحيف اللذين وقعا في المطبوعة . ولذلك جعلنا المطبوعة أصلاً وقابلناها بالمخطوطتين واستخلصنا نسخة جيدة من هذه الرسالة ، ولذلك كان عملنا في التحقيق كالآتي :

(١) مطبوعة دائرة المعارف العثمانية .

١ - استدركنا ما سقط من الأصل وجعلناه بين معقوفتين .
٢ - أثبتنا في المتن ما رأيناه صحيحاً في المخطوطتين ،ونبّهنا في الهوامش على ما هو موجود في الأصل .
٣ - ضبطنا النصّ بالحركات ضبطاً جيداً .
٤ - استخدمنا النقاط والفواصل حتى تكون عبارات النصّ واضحة عند القارئ .
٥ - خرّجنا أقوال علماء اللغة قدر المستطاع في ما توافر لدينا من مصادر في ذلك
٦ - عرّفنا القارئ بعلماء اللغة الواردة اسماؤهم في المتن وأشرنا إلى مواضع ترجماتهم في كتب الطبقات .
٧ - خرّجنا الشواهد القرآنية وشواهد الشعر العربي ونسبنا الاشعار إلى قائليها قدر المستطاع .

المسائل السفرية في النحو

[بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا ونبيّنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما] [١] .

قال الشيخ جمال الدين بن هشام الأنصاريّ رحمه الله : سألني بعض الأخوان وأنا على جناح السَفَر [٢] عن توجيه النصب في نحو قول القائل : فلانٌ لا يملكُ درهماً فضلا عن دينار، وقولهِ : الإعرابُ لغةً البيانُ ، واصطلاحاً [٣] تغيّرُ [٤] الآخر لعامل، والدليلُ لغةً المرشدُ ، والإجماعُ لغةً العزمُ ، والسُنّةُ لغةً الطريقةُ ، وقوله : يجوز كذا خلافاً لفلان ، وقوله : وقال أيضاً ، وقوله : هلُمّ جرّاً [٥] .

(١) من قوله « بسم الله الرحمن الرحيم » إلى قوله« وسلم تسليماً»زيادة من (م) وقد وردت هذه الزيادة في (ف) مقتضبة ، إذ حذف منها قوله : « نبينا » وقوله « وعلى آله وصحبه » وقوله : « تسليما »
(٢) في (ف) : سفر .
(٣) في (ف) : والأعراب اصطلاحاً .
(٤) في (م) و (ف) : تغيير .
(٥) في (ف) : وهلم جراً .

وكل هذه التراكيب مشكلةٌ ، ولستُ[1] على ثقة من أنّها عربيّةَ ، وإن كانت مشهورة في عُرْف[2] الناس ، وبعضُها لم أقف لأحد على تفسير له[3] ، ووقفتُ لبعضها على تفسير لا يشفي عليلا ، ولا يِبْرُدُ غليلاً . وها أنا موردٌ في هذه الأوراق ما تيسّرَ لي معتذراً بضيق الوقت وسقم الخاطر وما توفيقي الا بالله ، وعليه توكّلت وإليه أنيبُ .

[اعراب فضلاً][4]

أمّا قوله : فلانٌ لا يملكُ درهماً فضلاً عن دينار ، فمعناه أنّه لا يملكُ درهماً ولا ديناراً ، وأنَّ عدمَ ملكهِ الدينار[5] أولى من عدم ملكه الدرهم[6] ، وكأنّه قال: لا يملكُ دِرهماً فكيفَ يملكُ ديناراً . وهذا التركيبُ، زعم بعضُهم[7] أنّه مسموعٌ ، وأنشد عليه[8] :

قلّما يَبقى على هـذا القلـقْ
صخرةٌ صمّـاءُ فضـلاً عن رمق[9]

الرمق[10] : بقيةُ الحياة . ولا تستعملُ[11] (فضلاً) [عن][12] هذه الاّ في النفي[13] ،

---

(١) في (م) و (ف) : وليست . وقد نبه الناسخ في (م) على خطأ ذلك بقوله : (كذا) . وذكر الصواب وهو المثبت في النص .

(٢) في (ف) : بأعرف .

(٣) في (ف) : تفسيره .

(٤) زيادة من المحقق ارتآها لتسهيل مراجعة هذه المسألة والمسائل الأخرى في مواضعها

(٥) في (ف) : للدينار .

(٦) في (ف) : للدرهم .

(٧) لم أقف على هذا البعض .

(٨) في (ف) : عليه قولهم .

(٩) لم نقف على قائله .

(١٠) في (ف) : ورمق .

(١١) في (م) و (ف) : ولا يستعمل .

(١٢) زيادة من (م) . وفي (ف) : فضلا على وأظنه تصحيفاً .

(١٣) جاء في التاج (فضل): « وفي شرح المفتاح للقطب الشيرازي: اعلم أن فضلا يستعمل في=

وهو مستفاد في[1] البيت من : قلّما . قالَ بعضهم[2]: حدث لقلّ حين كُفّتْ بـ « ما » إفادَةُ النفي، كما حدث لـ « إنَّ » المكسورة المشدّدة ، حين كُفّت [عدم] [3] إفادة الاختصاص .

قلتُ : وهذا خطأ، فإنّ « قلّ » [4] تستعملُ [5] للنفي قبل الكفّ ، يقال : قلَّ أحدٌ يعرفُ هذا إلا زيدٌ ، بمعنى لا يعرف هذا الازيدٌ، ولهذا تستعملُ مع أحدٍ [6] ، وصحَّ إبدالُ المستثنى ، وهو بدلٌ إمّا من أحدٍ أو من ضميره ، وعلى في هذا البيت للمعيّة، مثلها في قوله تعالى : « وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمِهم» [7] [وقوله][8] « الحمدُ لله الذي وهب لي على الكبَرِ اسماعيل واسحاق » [9] .

وانتصابُ [10] فضلاً على وجهين محكيّين عن الفارسي [11] :

= موضع يستبعد فيه الأدنى ويراد به استحالة ما فوقه، ولهذا يقع بين كلامين متغايري المعنى وأكثر استعماله مجيئه بعد نفي » .

(١) في الأصل : من البيت . والمثبت مستفاد من (م) و (ف) .

(٢) لم نقف على هذا البعض .

(٣) زيادة من (ف) . ونبه الناسخ في (م) على احتمال ذلك . وسقطت من (ف) لفظة « إفادة»

(٤) في (م) : قلما .

(٥) في (ف) : يستعمل .

(٦) في (م) و (ف) : ولهذا يستعمل أحد .

(٧) سورة الرعد ١٣

(٨) زيادة من (ف) .

(٩) سورة ابراهيم ١٤ .

(١٠) في (م) وأيضاً فـ . . .

(١١) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن سليمان الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧هـ . كان من أكابر أئمة النحويين . أنظر ترجمته في انباه الرواة ٢٧٣/١ وبغية الوعاة ٢١٦ . وتاريخ بغداد ٢٧٥/٧ وتاريخ أبي الفداء ١٢٤/٢ وتاريخ ابن كثير ٣٠٦/١١ وابن خلكان ١٣١/١ وشذرات الذهب ٨٨/٣ ، وطبقات الزبيدي ١٣٠ والفهرست ٦٤ ولسان الميزان ١٩٥/٢ ، ومعجم الأدباء ٢٣٢/٧ والنجوم الزاهرة ١٥١/٤ .

الأول [1] : أن يكون مصدراً لفعل محذوف ، وذلك الفعلُ نعت للنكرة [2] .
الثاني [3] : أن يكون حالاً من معمول الفعل المذكور .
هذا خلاصة ما نُقِلَ عنه ويحتاج إلى بسط [4] يُوضِّحُه .

إعلم أنّه يقال فَضَلَ عنه وعليه بمعنى زاد ، فإنْ قدّرتَه مصدراً بتقدير [5] : لا يملك درهماً يفضل فضلاً عن دينار ، فذلك [6] الفعلُ المحذوف صفة لـ (درهماً) [7] ، كذا حُكِيَ عن الفارسيّ . ولا يتعيّن كونُ الفعلِ صفةً بل يجوز أن يكون حالاً كما جاز في (فضلاً) [8] أن يكون حالاً على ما سيأتي تقريرُه . نعم وجه الصفة أقوى ، لأنّ نعتَ النكرة كيف كانت [9] أقيسُ من مجيء الحال منها . وإنْ قدّرتَهُ حالاً فصاحبُها يحتملُ وجهين :

أحدُهما [10] : أن يكون ضميرُ المصدر محذوفاً ، أي : لا يملكُه ، أي : لا يملِكُ المُلْكَ على حدّ قوله :

هذا سُراقَةُ للقرآن يَدْرُسُه [11]

أي : [هذا] [12] يدرسُ الدرس ، إذ ليس الضمير للقرآن لأنّ اللام متعلّقة بـ(يدرسُ) ، ولا يتعدّى الفعلُ إلى ضمير اسم وإلى ظاهره جميعاً . ولهذا السبب [13] وجَبَ

---

(١) في (م) : أ ، وفي (ف) : أحدهما .
(٢) في (ف) : لنكرة .
(٣) في (م) : ب ، وفي (ف) : والثاني .
(٤) في (م) : سبب
(٥) في (ف) : فالتقدير ، وفي (م) : فتقديره .
(٦) في (م) و (ف) : وذلك .
(٧) في (ف) : لدرهم .
(٨) في (ف) : فضل.
(٩) في الأصل : كان والتصحيح من (م) و (ف) .
(١٠) في (م) : أ .
(١١) لم أقف على قائله .
(١٢) زيادة من (ف) .
(١٣) لفظة « السبب » ساقطة من (م) ومن (ف) .

في « زيداً ضربتُه » تقديرُ عاملٍ على الأصحّ . وعلى هذا خَرَّجَ سيبويه [1] والمحققون نحو قوله : ساروا سريعاً ، أي : [ساروه أي] [2] ساروا السَّيرَ سريعاً ، وليس سريعاً عندهم نعتاً لمصدر محذوف ، لالتزام العرب تنكيره ، ولأنَّ الموصوف لا يُحذَفُ إلاّ إنْ [3] كانت الصفةُ مختصةً [4] بجنسه كما في رأيتُ كاتباً أو حاسباً او مهندساً ، فإنّها مختصة بجنس الإنسان ، ولا يجوز رأيتُ طويلاً ، و [لا] [5] رأيتُ أحمرَ [6] ، وفي هذا [الموضع] [7] بحث ليس هذا موضِعَهُ [8] .

الثاني [9] : أن يكون قولُه [10] درهماً حالاً .

فإنْ [11] قلتَ كيف جاز مجيءُ الحال من النكرة ، قلتُ : أمّا على قول سيبويه فلا إشكال لأنّه يجوز عنده مجيءُ الحال من النكرة [12] . ، وإنْ لم يمكن الابتداءُ بها [13]. ومن أمثلته : فيها رجلٌ قائماً [14]. ومن كلامهم : عليه

---

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر انظر ترجمته في(أخبار النحويين البصريين ٤٨ وانباه الرواة ٢٤٦/٣ وبغية الوعاة ٣١٦ وابن خلكان ٣٨٥/١ وروضات الجنات ٥٠٣ وتاريخ بغداد ١٩٥/١٢ وطبقات النحويين للزبيدي ٦٦ والفهرست ٥١ ومراتب النحويين ١٠٥)
ولم نقف على تخريج سيبويه في الكتاب بعد البحث والتفتيش .

(٢) زيادة من (ف) .

(٣) في (ف) : إذا .

(٤) في (ف) : خاصة .

(٥) زيادة من (ف) .

(٦) في (م) : « ولا يجوز رأيت طويلا أحمر » .

(٧) زيادة من (م) و (ف) .

(٨) في (ف) : محله .

(٩) في (م) : ب وفي (ف) : والثاني .

(١٠) في (ف) : إن قوله .

(١١) قوله : « فان » ساقط من (ف) .

(١٢) انظر كتاب سيبويه ١١٢/٢ .

(١٣) في (م) : ومن الممكن الابتداء بها . وفي (ف) : وان يكثر الابتداء بها .

(١٤) في (ف) : قائم .

مائةٌ بيضاً . وفي الحديث : « وصلّى وراءه قومٌ قياماً » . وأمّا على المشهور من أنّ الحال لا تأتي من النكرة الا بمسوِّغ فلها هنا مسوّغان :

الأول [١] : كونُها في سياق النفي ، والنفيُ يُخرجُ النكرة من حيّز الإبهام إلى حيّز العموم فيجوز حينئذٍ [٢] الاخبارُ عنها ومجيءُ الحال منها .

الثاني [٣] : ضعفُ الوصف ، ومتى امتنع الوصفُ بالحال أو ضَعُفَ ساغَ مجيئها من النكرة .

فالأول كقوله تعالى : « أو كالذي مرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عروشِها »[٤] وقول الشاعر :

مضى زمنٌ والناسُ يستشفعون بي
فهل لي إلى ليلى الغداةَ شفيعُ[٥]

فإنّ الجملةَ المقرونة بالواو لا تكون صفة خلافاً للزمخشري [٦] . وكقولك [٧] :

---

(١) في (م) : أ

(٢) قوله : « حينئذ » ساقط من (ف) . وفي (م) : حسن .

(٣) في (م) : ب وفي (ف) : والثاني .

(٤) البقرة ٢٥٩ . وقد انتهت الآية في الأصل وفي (م) بقوله تعالى « وهي خاوية » . وانتهت في (ف) بقوله تعالى « على عروشها » .

(٥) في (م) وفي (ف) ذكر الشطر الأول فقط . والبيت لقيس بن ذريح كما في شرح شواهد المغني ٨٤١/٢ من قصيدة منها :

سقى طلل الدار التي انتم بهـــا حيا ثم وبل صيف وربيع

ونبه المحقق على أن القصيدة مختلف في نسبتها فقد نسبت الى ابن ذريح والمجنون وجميل وعمرو بن حكيم التميمي والضحاك بن عمارة .

(٦) هو جارالله محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشري صاحب القدم في الأدب واللغة والنحو والتفسير . وتفسيره الكشاف من أشهر الكتب . توفي سنة ٥٣٨ هـ انظر ترجمته في (إنباه الرواة ٢٦٥/٣ وبغية الوعاة ٣٨٨ هـ ومعجم الأدباء ١٢٦/١٩ والنجوم الزاهرة ٢٧٤/٥) .

قال الزمخشري في الكشاف٣٨٧/٢ في اعراب « ولها كتاب معلوم » في قوله تعالى « وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم » : جملة واقعة صفة لقرية والقياس لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى : « وما أهلكنا منقرية الا لها منذرون » وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفـــة بالموصوف كما يقال في الحال : (جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب) .

(٧) في (م) و (ف) : وكقوله .

هذا خاتمٌ حديداً ، عند من أعربه حالاً لأنّ [1] الجامدَ المحض لا يوصف به .

والثاني كقولهم : مررتُ بماءِ قِعدةَ رَجُلٍ ، فإنّ الوصف بالمصدر خارج عن القياس .

فإنْ قلتَ : هلّاَ [2] أجاز الفارسيُّ في (فضلاً) [3] كونه صفة لدرهماً [4].

قلت : زعم أبو حيّان أنّ ذلك [لا يجوز] [5] لأنّه لا يوصف بالمصدر إلاّ إذا [6] أُريدت المبالغة ، لكثرة [وقوع] [7] ذلك الحدث من صاحبه [8] وليس ذلك بمراد هنا . قال« وأمّا القولُ بأنّه يوصف بالمصدر على تأويله بالمشتق أو على تقدير المضاف فليس قولَ المحقّقين » .

قلتُ : هذا كلامٌ عجيبٌ فإنّ القائل بالتأويل الكوفيون ، ويؤوّلون عدلاً بعادل ورِضىً بمرضيّ ، وهكذا [9] . يقولون في نظائرهما [10] . والقائل بالتقدير البصريون ، يقولون التقدير : ذو عَدْلٍ وذو رِضىً . وإذا [11] كان كذلك فَمَنِ المحققون [12] ؟ .

ثم [13] اختلف النقلُ عن الفريقين والمشهور أن الخلافَ مطلقٌ [قال ابن

(١) في (ف) : فان .
(٢) في (ف) : هل .
(٣) في (ف) : فضلا من دون « في » .
(٤) في (ف) : لدرهم .
(٥) زيادة من (م) و (ف) .
(٦) في الأصل « إن » والمثبت من (م) و (ف) .
(٧) زيادة من (م) و (ف) .
(٨) في (ف) : لصاحبه .
(٩) في (م) و (ف) : وكذا .
(١٠) في الأصل نظائرها والمثبت من (م) و (ف) .
(١١) في (م) : وان . وهي ساقطة من (ف) مع لفظة « كان » .
(١٢) في (ف) : المحققين .
(١٣) في (م) : بل .

ابن عصفور [1] : وهو الظاهر إنمّا الخلافُ حيثُ لا يُقصدُ المبالغة وإن قُصِدتْ فبالاتفاق على أنّه لا تأويل ولا تقدير . وهذا] [2] الذي [3] قاله [4] ابن عصفور هو [5] الذي في ذهن أبي حيّان، ولكنّه نسِـي فتوهـّم أنّ ابن عصفور قال : إنّه لا تأويل مطلقاً ، فمن هنا والله أعلم دخَلَ عليه الوهمُ . والذي ظهر لي أنّ الفارسيّ إنمّا لم يُجِزِ في « فضلاً » الصفة لأنّه رآه [6] منصوباً أبداً، سواء كان ما قبله منصوباً كما في المثال أم [7] مرفوعاً كما في البيت أم [8] مخفوضاً ، كما في قولك : فلانٌ لا يهتدي إلى ظواهر النحو فضلاً عن دقائق البيان . فهذا منتهى القول في توجيه إعراب الفارسيّ، وأمّا تنزيلُه على المعنى [المراد] [9] فعسير [10] ،وقد خُرِّجَ على أنّه من باب قوله :

على لاحبٍ لا يهتدى بمنارِه [11]

(١) هو علي بن مؤمن بن محمد بن علي المعروف بأبي الحسن بنعصفور النحوي الأشبيلي حامل لواء العربية في زمانه بالاندلس وصاحب كتاب الممتع في التصريف والمقرب وشارح أشعار الستة الجاهليين وغيرها توفي سنة ٦٦٣ هـ (انظر بغية الوعاة ٣٥٧). ولم أقف على قوله فيما توافر لدينا من مصادر .

(٢) زيادة من (م) و (ف) .

(٣) في الأصل (لكن) والمثبت من (م) و (ف) .

(٤) في الأصل (قال) والمثبت من (م) و (ف) .

(٥) في (ف) : وهو .

(٦) في (ف) : رآها .

(٧) في (م) : أو .

(٨) في (م) و (ف) : أو .

(٩) زيادة من (م) و (ف) .

(١٠) في الأصل : (فعسر) والمثبت من (م) و (ف) .

(١١) الشعر لأمرئ القيس في ديوانه ٦٦ وتمامه :

اذا سافه العود النباطي جرجرا

واللاحب : الطريق البين الذي لحبته الحوافر أي أثرت فيه فصارت فيه طرائق وآثار بينة . هذا أصله ثم يستعمل لكل طريق بين وخفي.لا يهتدى بمناره : أي ليس فيه علم ولا منار فيهتدى به. يصف أنه طريق غير مسلوك ، فلم يجعل فيه علم . وقوله : اذا سافه العود أي: إذا شمه المسن من الأبل صوت ورغا لبعده وما يلقى من مشقته. والنباطي منسوب الى النبط أشد الأبل واصبرها ، وقيل هو الضخم .

ولم يذكر أبو حيان[1] سوى ذلك . وقال : قدْ يسلِّطون النفي على المحكوم عليه بانتفاء صفته ، فيقولون : ما قام[2] رجلٌ عاقل أي : لا رجل عاقل فيقومُ[3] ، ثم أنشد بيت امرئ القيس المذكور فقال[4] : ألا ترى أنّه لا يريد إثبات منار للطريق وينفي الاهتداء عنه ، إنّما[5] يريد نفيَ المنارِ فتنتفي الهدايةُ به ، أي : لا منار لهذا الطريق فيُهتَدى به . وقال الأفوه الأودي :

بمهمه ما لا أنيس بـــه حسٌ فما فيه له من رسيسٌ[6]

لا يريد[7] أنّ بهذا القفر أنيساً لا حِسّ له ، إنّما يريدُ[8] لا أنيس به فيكون له حِسٌّ وعلى هذا خرِّج « فما تنفعهم شفاعة الشافعين »[9] أي : لا شافع لهم فتنفعُهم شفاعته و« لا يسألون الناس إلحافاً »[10] أي : لا سؤال [لهم][11] فيكون[12] إلحافاً قال : وعلى هذا يتخرّج[13] المثال المذكور ، أي : لا يملك درهماً فيفضل عن دينار له[14] ، وإذا انتفى ملكه لدرهمٍ[15] كان انتفاء ملكه للدينار[16] أولى .

---

(١) لم يذكر اسم كتابة الذي ينقل منه وأغلب الظن أنه ارتشاف الضرب وهو كتاب ما زال مخطوطاً ولم نقف عليه .
(٢) في (ف) : ما جاء
(٣) في (م) و (ف) : أي رجل فيبنونه .
(٤) قوله (فقال) ساقط من (م) .
(٥) في (ف) : بل .
(٦) البيت في شعر الافوه الأودي وهو من قصيدة أولها :
أما ترى رأسي أزرى بـــه مأس زمان ذي انتكاس مؤوس
انظر الطرائف الأدبية ١٦ – ١٨ .
(٧،٨) في (م) : « يريدون » .
(٩) سورة المدثر ٤٨
(١٠) البقرة ٢٧٣ .
(١١) زيادة من (ف) .
(١٢) في (م) : فيه .
(١٣) في (م) (يخرج)
(١٤) « له » ساقطة من (م) .
(١٥) في (م) : الدرهم .
(١٦) في (م) : الدينار .

قلتُ : وهـذا الكلام الذي ذكره لا تحرير[1] فيه ، فإنّ الأمثلـة المذكورة من بابين مختلفـين وقاعدتين متباينتين ، أثرُ كلٍّ منهما غيرُ الأخرى[2] ثم أذكر أنّ [3] التخريج المذكور لا يتأتّى [4] على شيءٍ[5] منهما .

القاعدة الأولى : أنّ القضيّةَ السـالبة لا تستلزمُ [6] وجـود [7] الموضوع بل كما [8] تصدقُ مع وجوده تصدُقُ مع عدمه ، فإذا قيل ما جاءني قاضي مكةَ ولا ابنُ الخليفة صدقتِ القضيةُ ، وإنْ لم يكنْ بمكة قاضٍ ولا للخليفة ابنٌ . وهذه القاعدة هي التي يتخرّج عليها « فما تنفعُهم شفاعةُ الشافعين » وبيت امرئ القيس ، فإنّ شـفاعةَ الشافعين بالنسبة إلى الكافرين غيرُ موجودة يوم القيامة لأنّ الله تعالى لا يأذنُ لأحدٍ في أن يشفع لهم لأنّه لا يأذنُ في ما لا ينفعُ ، لتعاليه عن العبث ، ولا يشفعُ أحدٌ عند الله إذا لم يأذن الله له [9] « من ذا الذي يشفعُ عنده إلاّ باذنه »[10] وكذلك المنار غيرُ موجود[11] في اللاحب المذكور لأنّ المرادَ التمدُّحُ بأنّه [12] يقطعُ الأرضَ المجهولةَ [13] من غيرِها ويُهتدى به ، فغرضُه إنّما تعلّق بنفي وجود ما يُهتدى به في تلك[14] الطريق التي سلكها لا بنفي وجود الهداية عن شيءٍ [نُصِبَ] [15] فيها للاهتداء به .

(١) في الأصل : لا تحريف ، والمثبت من (م) و (ف) .
(٢) في الأصل أميز كلا منهما عن الأخرى ، والمثبت من (م). وفي (ف) : الآخر بدل الإخرى
(٣) في (ف) : ثم تكرار .
(٤) في (م) : لا يأتي .
(٥) في (ف) : بشر .
(٦) في (ف) : لا تقتضي .
(٧) في (م) : وقوع .
(٨) في (م) : كل .
(٩) « له » ساقطة من (م) ومن (ف) .
(١٠) البقرة ٢٥٥ .
(١١) في (ف) : موجودة .
(١٢) في (م) : لأنه .
(١٣) في (م) : المذكورة .
(١٤) في (م) : ذلك .
(١٥) زيادة من (م) و (ف) .

وأمّا قول أبي حيّان وغيره : المراد لا شافعَ لهم فتنفعهم شفاعتُه[1] ولا منار فيُهتدى [به][2] فليس بشيءٍ لأنّ النفيَ إنّما يتسلّط على المسند لا على المسند إليه ، ولكنّهم لما رأوا الشفاعةَ والمنارَ غير موجودين توهّموا أنّ ذلك من اللفظ فزعموا ما زعموا، وفرّق بين قولنا: الكلام صادق مع عدمِ المسند إليه: وقولِنا: إنّ الكلام اقتضى عَدَمَه .

القاعدةُ الثانية : أنّ القضية السالبة المشتملة على مقيّد[3] ، نحو : ما جاءني رجلٌ شاعرٌ تحتمل وجهين :

أحدُهما[4] : ان يكون نفيُ المسند باعتبار[5] القيد[6] فيقتضي المفهومُ في المثال المذكور وجودَ مجيء رجل ما غيرِ شاعر وهذا هو الاحتمال الراجحُ المتبادرُ ألا ترى أنّه لو كان المرادُ نفيُه عن الرجل مطلقاً لكان ذكرُ الوصفِ ضائعاً، ولكان زيادةً في اللفظ ونقصاً في المعنى المراد .

الثاني : أن يكون نفيُه باعتبار المقيّد وهو الرجل ، وهذا احتمال، مرجوحٌ لايُصار إليه إلاّ بدليل[7] فلا مفهومَ حينئذٍ للقيد[8] لأنّه لم يَذْكره للتقييد بل ذُكرَ لغرض آخر كأنْ يكونَ المراد مناقضة من أثبت ذلك الوصفَ فقال : جاءك رجلٌ شاعرٌ ، فأردتَ التنصيص[9] على نفي ما أثبتَه وكانَ[10] يرادُ التعريضُ[11] كما أردتَ في المثال المذكور ان تعرّضَ بمن جاءه رجلٌ شاعر.

---

(١) في (م) : شفاعة الشافعين .
(٢) زيادة من (م) .
(٣) في (م) مبتدأ .
(٤) في (م) : الأول .
(٥) في (م) : لاعتبار .
(٦) في الأصل : المقيد ، والمثبت من (م) .
(٧) في الأصل : لدليل . والمثبت من (م) و (ف)
(٨) في الأصل : للتقييد . والمثبت من (م) و (ف) .
(٩) في (م) : التبطيل .
(١٠) في (ف) : أوكان .
(١١) « التعريض » ساقطة من (ف) .

وهذه هي [١]القاعدة التي يتخرّجُ [٢] عليها « لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إلحافاً » فإنّ الإلحاف قيدٌ في السؤال المنفيّ ، والمراد من الآية والله أعلمُ نفي السؤال البتّةَ بدليل « يَحْسَبُهُمُ الجاهلُ أغنياءَ مِنَ التعفُّفِ » [٣] . والتعفُّف لا يُجامعُ المسألة ، ولكن أُريدَ بذكر الإلحاف ، والله اعلم ، التعريضُ بقومٍ ملحفين توبيخاً لهم على مسألتهم [٤] ، أو التعريض بجنس الملحفين وذمِّهم على الإلحاف ، لأنّ نقيض الوصف [٥] الممدوح مذموم . والمثال المبحوث فيه متخرِّج على هذه القاعدة فيما زعموا ، فإنّ فضلاً مقيِّد للدرهم ، فلو قُدِّر النفي مسلطاً على القيد اقتضى مفهومُه خلاف المراد ، وهو أنّه يملكُ الدرهم ولكنّه لا يملكُ الدينار ، ولمّا امتنع هذا تعيّن الحملُ على الوجه المرجوح [٦] ، وهو تسليط[٧] النفي على المقيدَ وهو الدرهم ، فينتفي الدينار ، لأنّ الذي لا يملكُ الأقلَ لا يملكُ الأكثر ، فإنّ المُرادَ بالدرهم ليس الدرهمَ العرفي ؛ لأنّه يجوز أنْ يملكَ الدينارَ من لا يملكه ، بل المرادُ ما يساوي من النقود درهماً فهذا توجيه التخريج .

وأمّا الاعتراض عليه فمن جهة أنّ القيد ليس نفسَ [٨] الدينار ، حتى يصير المعنى لا يملكُ درهماً فكيف [يملكُ] [٩] ديناراً وانّما القيد قوله فضلاً عن دينار ، والكلام لم يُسَقْ لنفي ملك الزائد على[١٠] الدينار بل لنفي ملكِ الدينارِ نفسِه ،

---

(١) في الأصل (من) والمثبت من (م) و (ف) .
(٢) في (ف) : يخرج .
(٣) البقرة ٢٧٣ .
(٤) في الأصل : صنيعهم . وفي (م) : مستفهم . والمثبت من (ف) .
(٥) في الأصل : لأن النقيض للوصف ، والمثبت من (م) و (ف) .
(٦) في (ف) : الوجه الأول والمرجوح .
(٧) في (م) : تسلط .
(٨) في (ف) : نفي .
(٩) زيادة من (ف) .
(١٠) في الأصل : عن والمثبت من (م) و (ف) .

ثم يلزمُ من [1] ذلك انتفاء ملكِ ما زاد عليه . والذي يظهرُ [2] لي في توجيه هذا الكلام أن يُقال انّه في الأصلَ جملتان مستقلتان ولكنّ الجملةَ الثانيةَ دخلها حذفٌ كثيرٌ ، تغييرٌ حصلَ الإشكالُ بسببه . وتوجيه[3] ذلك أن يكونَ هذا الكلامُ في اللفظ أو في التقدير جواباً لمستخبرٍ ، قال : أيملكُ فلانٌ ديناراً ؟ أو ردّاً على مخبرٍ ، قال : فلانٌ يملكُ ديناراً، فقيل في الجواب: فلان لا يملك درهماً . ثم استؤنف كلامٌ [4] آخر ، ولك في تقديره وجهان :

الأول [5] : أنْ يقالَ [6] : أخبرتُك بهذا زيادة على [7] الإخبار عن دينار استفهمت عنه زيادة عن دينار [8] ، أو أخبرتُك بملكه له [9] ، ثم حُذفت جملة أخبرتُك بهذا وبقي معمولُها وهو فضلاً ، كما قالوا حينئذٍ الآن ، بتقدير كان ذلك حينئذٍ [10] واسمع الآن، فحذفوا الجملتين، وأبقوا من كلّ منهما معمولها [11]، ثم حذف مجرور (عن) وجار (دينار) [12] ، وأدخلت عن الأولى على الدينار ، كما قالوا : ما رأيتُ رجلاً أحسن في عينه الكحلُ من زيد ، والأصل منه في عين زيد ، ثم حُذف مجرورُ من ، وهو الضمير ، وجارُّ العين وهو (في) ، ودخلت (من) على العين .

---

(١) في الأصل : عن ، والمثبت من (م) ، و (ف) .
(٢) في الأصل : ظهر ، والمثبت من (م) و (ف) .
(٣) في (ف) : ووجه .
(٤) في الا صل : استأنف كلاماً ، والمثبت من (م) و (ف) .
(٥) في (ف) : أحدهما .
(٦) في (ف): يقدر .
(٧) في الأصل : عن ، والمثبت من (م) .
(٨) قوله « زيادة عن دينار » غير موجود في (م) و (ف) ولعله من زيادات الناسخ .
(٩) في الأصل : وأخبرت بملك له . والمثبت من (م) و (ف) .
(١٠) قوله « حينئذ » ساقط من (م) .
(١١) في الأصل : معمولهما والمثبت من (م) و (ف) .
(١٢) في (ف) : الدينار .

الثاني : أنْ يقدّر [١] فضل [٢] انتفاء الدرهم عن فلان عن انتفاء الـدينار عنه ، ومعنى ذلك أن يكون حالٌ [٣] هذا المذكور في النفي معروفة عند الناس ، والفقيرُ إنّما يُنفى عنه في العادة ملكُ الأشياء الحقيرة لا ملكُ الأموال الكثيرة ، فوقوع نفي ملكِ الدِرهم عنه في الوجود فاضلٌ عن وقوع نفيِ الدينار عنه ، أي : أكثر منه . وفضلاً على التقدير الأول حالٌ وعلى الثاني مصدرٌ وهما الوجهان اللذان ذكرهما الفارسيّ ، لكنّ توجيه الاعرابين مخالف لما ذكر [٤] ، وتوجيه المعنى مخالف لما ذكروا ، لأنّه [٥] انّما يتّضح تطابق اللفظ والمعنى على ما وجّهتُ لا على ما وجّهوا ، ولعلّ مَنْ لم يَقْوَ أنسُه [٦] بتجوزات العرب في كلامها [٧] يقدحُ فيما ذكرتْ بكثرة الحذف ، وهو كما قيل :

إذا لم يكنْ إلاّ الأسنّةَ مركبٌ [٨] فلا رأي للمحتاج إلا ركوبُها

وقد بيّنتُ في التوجيه الأول أنّ مثل هذا الحذف والتجوّز واقع في كلامهم . قال أبو الفتح [٩] : قال لي [١٠] أبو علي : من عرَفَ أَلِفَ ومن جهِلَ استوحش [١١]

---

(١) في (ف) : أن تقدر .
(٢) في (م) و (ف) : فضلا .
(٣) في (ف) : حالة .
(٤) في (ف) : ذكروا .
(٥) في (ف): وانه .
(٦) قوله « يقو أنسه » ساقط من (ف) .
(٧) في (ف) : كلامهم .
(٨) في (ف) : مركباً . وقد أضاف الناسخ في صدر البيت قبل قوله « إذا » لفظة « فهو » ولا ندري ما هي .
(٩) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي المتوفى سنة ٣٩٢ هـ .
انظر ترجمته في (انباه الرواة ٣٣٥/٢ وبغية الوعاة ٣٢٢ وتاريخ بغداد ٣١١/١١ وتاريخ ابن الأثير ٢١٩/٧ وابن خلكان ٣١٣/١ ودمية القصر ٢٩٧ وروضات الجنات ٤٦٦ وشذرات الذهب ١٤٠/٣ ومعجم الأدباء ٨١/١٢ ومرآة الجنان ٤٤٥/٢ ويتيمة الدهر ٨٩/١.
وقوله المذكور لم أقف عليه في كتب ابن جني المطبوعة .
(١٠) في (ف) : الاستاذ .
(١١) في (ف) : وحش .

[إعراب لغةً]

وأمّا الإعراب لغةً البيانُ[1] ونحوُه فيتبادر إلى الذهن فيه أوجه :

أحدها [2] : وهو [3] أقربُها تبادراً أن يكونَ على نزع الخافض ، والأصل الاعراب في اللغة البيانُ ، ويَشْهدُ لهذا أنهّم قد يصرّحون بذلك أعني بأن يقولوا: [إنّ][4] الاعرابَ في اللغة البيانُ . وفي هذا الوجه نظر من وجهين .

الأول [5] : أن إسقاط الخافض من هذا[6] ونحوه ليس بقياس ، واستعمالُ مثل هذا التركيب مستمرٌ في كلام العَرب [7] .

الثاني : أنهّم قد التزموا في هذه الألفاظ التنكيرَ ، ولو كانت على اسقاطِ الخافضِ لبقيتْ على تعريفها الذي كان عند وجود الخافض كما بقي التعريفُ في قوله :

تمرّون الديار ولم تعوجوا [8]

وأصله تمرّون [9] على الديار وبالديار . وقد يزاد على هذين الوجهين وجهان آخران :

الأول [10] : أنّه ليس في الكلام ما يتعلّق به هذا الخافضُ .

الثاني [11] : أنّ سقوطَ الخافضِ لا يقتضي النصبَ من حيث هو سقوطُ خافض ، بل من حيث أنّ العامل الذي كان الجار متعلقاً [12] به لمّا زال من اللفظ

---

(١) قوله « البيان » ساقط من (م) .
(٢) في (م) و (ف) : الأول .
(٣) قوله « وهو » ساقط من (ف) .
(٤) زيادة من (م) و (ف) .
(٥) في (م) و (ف) : أحدهما .
(٦) في (ف — بعد قوله « من هذا » — عبارة « ومن غيره » .
(٧) في (ف) « العلماء » بدل (العرب » .
(٨) الشعر لجرير في ديوانه ٥١٢/٢ برواية أخرى هي : أتمضون الرسوم ولا نحيا
وتمامه :سلامكم علي إذن حرام
(٩) قوله : « تمرون » ساقط من (ف) .
(١٠) في الأصل : (أ) والمثبت من (م) و (ف) .
(١١) في الأصل (ب) والمثبت من (م) و (ف) .
(١٢) في (م) : متصلا .

ظهورُ[1] أثرهِ لزوال ما كان الخافض يعارضه[2] [نصبَ][3] ، فإذا لم يكن في الكلام ما يقتضي النصبَ من فعلٍ أو شبهِهِ لم يَجُز النصبُ . ومن هنا كان خطأً قول الكوفيين في ما زيدٌ قائماً : إنّ ما النافية لم ترفعِ الاسم ولم تنصبِ الخبر بل ارتفاعُ زيدٍ على أنّه مبتدأ ، ونَصْبُ « قائماً » على إسقاط الباء ، وهذان الوجهان لو صحّا لاقتضيا أن لا يجوز : الاعرابُ في اللغة البيانُ ، ولكن يُجيزُه على التعليق بأعني مضمرةً معترضةً بين المبتدأ والخبر . والفصل بالجملة الاعتراضية جائز اتفاقاً .

فإنْ قُلتَ فهلاّ[4] قدّرتَ الجار المحذوفَ أو المذكورَ متعلقاً بالخبرِ[5] المؤخّر عنه فإنّ فيه معنى الفعل .

قلتُ : لفساده معنى وصناعة ، أمّا معنى فلأنّه[6] يصيرُ المعنى : الإعراب[7] البيانُ الحاصلُ في اللغة لا[8] البيانُ الحاصل في غير اللغة ، وليس المراد هذا .

وأمّا صناعة[9] ؛ فلأنّ[10] البيانَ ، ونحوَه مصادرُ[11] ، ولا يتقدّمُ على المصدر معمولُه ، ولو كان ظرفاً ، ولهذا قالوا في قول[12] الحماسي[13] :

---

(١) في الأصل : « ظهر » والمثبت من (م) و (ف) .
(٢) لفظة « الخافض » ساقطة من (م) .
(٣) زيادة من (م) و (ف) .
(٤) في الأصل : « هلا » والمثبت من (م) و (ف) .
(٥) في الأصل : الجزء ، والمثبت من (م) و (ف) .
(٦) في الأصل وفي (م) : لأنه والمثبت من (ف) وهو الصحيح .
(٧) في (م) : اعراب .
(٨) من هنا الى قوله « وأما صناعة » ساقط من (م) ومنه الى قوله « وليس المراد هذا » ساقط من (ف)
(٩) في (ف) وأما الصناعة فلأن الصناعة » .
(١٠) في الأصل : لأن . وزيادة الفاء اقتضاها القياس .
(١١) في (ف) : من المصادر .
(١٢) في (ف) : في بيت الحماسي .
(١٣) هو شهل بن شيبان بن ربيعة الملقب بـ (الفند الزماني) . والبيت من قصيدة في حرب البسوس مطلعها :

صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم اخوان

انظر شرح ديوان الحماسة : للمرزوقي ٣٨/١ .

وبعض الحِلمِ عند[1] الجهل للذلّة اذعانُ

إنَّ اللام متعلقةٌ باذعانٍ محذوف أبدلَ منه [2] الاذعان المذكور وليست متعلقةً بالاذعانِ المذكور. فإذاً امتنعوا من ذلك حيث لم يظهر تأثيرُ [3] المصدرِ للنصبِ ولم يتجوّزوا [4] في الجار بالحذف فهم عن[5] تجويز التقديم عند وجود هذين [6] أبعد .

فإنْ قُلتَ هَبْ أنَّ هذا امتنعَ حيثُ العاملُ [7] مصدرٌ لكنّه لا يمتنعُ[8] حيث هو وصف كقوله : الدليلُ لغةً المرشدُ .

قلتُ : بل يمتنعُ لأنَّ اسم الفاعل [هنا][9] صلة الألفِ واللام أي : الدليلُ الذي يُرشدُ ، ولا يتقدَّمُ معمولُ الصلةِ على الموصول ولو كان ظرفاً ، ولهذا يؤوّل قول الله — سبحانه وتعالى [10] : « وكانُوا فيه من الزّاهِدينَ » ، « إنّي لكما من الناصِحين » ، « إنّي لعملِكم من القالين » [11] ولو قدّرنا « أل » في ذلك [12] لمحض التعريف كما يقول الأخفش [13] لم نخلص من الإشكال الثاني وهو فساد

(١) في (ف) : من .
(٢) في (م) : من .
(٣) في (م) : لم تظهر آثار .
(٤) في الأصل : ولم يجوزوا والمثبت من (م) و (ف) .
(٥) في (م) : عند .
(٦) في (م) : هاتين .
(٧) في الأصل : حيث الخبر والمثبت من (م) و (ف) .
(٨) في (م) : يمنع .
(٩) زيادة من (ف) .
(١٠) في (ف) : ولهذا تأولوا قوله تعالى .
(١١) سورة يوسف ٢٠ .
(١٢) في (ف) : ولو قدرنا ذلك .
(١٣) هو ابو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٥ هـ .
انظر ترجمته في (أخبار النحويين البصريين ٥٠ وبغية الوعاة ٥٨٥ وتاريخ أبي الفداء ٢٩/٢ وابن خلكان ٢٠٨/١ وشذرات الذهب ٣٦/٢ وطبقات الزبيدي ٧٤ والفهرست ٥٢ ، ومراتب النحويين ٦٨ وإنباه الرواة ٣٦/٢) .

المعنى ، إذ المعنى حينئذٍ : الدليل الذي يُرشد في اللغة لا الذي يُرشد في غير اللغة . وأيضاً فإذا امتنع التعليقُ بالخبر حيث يكونُ الخبرُ مصدراً امتنع في الباقي لأنّ هذه الأمثلة باب واحد .

فإن قلت قُدِّر التعليقُ بمضافٍ محذوف أي : تفسيرُ الإعراب في اللغة البيانُ كما قالوا : أنت منِّي فرسخان . على تقدير : بعدُك منِّي فرسخان [١] . وقُدِّر مثلها[٢] في قولهم : الاسم ما دلّ على معنى في نفسه ، أي ما دلّ على معنى باعتبار نفسه لا باعتبار أمرٍ خارج عنه ، فإنّه إذا لم يحمل على هذا اقتضى أن يكون معنى الاسم ، وهو المسمى [٣] موجوداً في لفظ الاسم وهو محال ، ولهذا [٤] يكون المعنى : شرحُ الإعراب باعتبار اللغة البيانُ .

قلتُ : هذا تقديرٌ صحيحٌ ولكن يبقى الإشكالان الأولان وهما أنّ إسقاط الجار ليس بقياس ، وأنّ التزام التنكير حينئذٍ لا وجه له .

الوجه الثاني : ان يكون تمييزاً وحينئذ فلا إشكال في التزام [٥] تنكيره[٦] ، ولكنه ممتنعٌ [٧] من جهة أنّ التمييز إمّا [٨] تفسير للمفرد كرطل زيتاً ، أو تفسير للنسبة كطاب زيدٌ نفساً ، وهنا لم يتقدّمْ نسبة البتة ، ولا اسم [٩] مبهمٌ [١٠] وضعاً .

---

(١) قوله : « على تقدير بعدك مني فرسخان » ساقط من (م) .
(٢) في الأصل وفي (م) : في مثلها . والمثبت من (ف)
(٣) قوله : « المسمى » ساقط من (م) .
(٤) في (م) و (ف) : ولذا .
(٥) في الأصل : « فلا يشكل التزام » والمثبت من (م) و (ف) .
(٦) في (ف) : تفسيره .
(٧) في (م) : يمتنع .
(٨) في (م) و (ف): هو .
(٩) في الأصل : والاسم ، والمثبت من (م) و (ف) .
(١٠) في (ف) : مبهماً .

فإنْ قلت : أليس الإعرابُ في الحدّ المذكور يحتملُ اللغويَّ والاصطلاحيَّ، فهو مبهم .

قلت[1] : الألفاظ المشتركة لا يجيء التمييز [2] باعتبارها ، لا تقول رأيتُ عيناً ذهباً [3] على التمييز . وسرُّ ذلك أنّ المشتركَ موضوع للدلالة على ذاتِ المسمّى باعتبار حقيقته ، وإنّما يجيء الإلباسُ لعدمِ القرينة أو للجهلِ [4] بها ، واسماءُ العدد ونحوُها مما يُميّزُ ولم توضعْ [5] للذاتِ باعتبار حقيقتها التي تحصل بالتمييز فإنّه لا يُفهمُ من عشرين إلا عشرتان [6] من أيّ معدود كان ، فهو موضوعٌ على الابهام فافتقر إلى التمييز . والمشتَركُ [7] إنّما وُضع لمعيّن [8] ، والاشتراك إنما حصل [9] عند السامع .

فإن قلت : يمكنُ أن يكونَ من تمييز النسبة بأنْ يُقدَّرَ قبله مضاف ، أيّ : شرحُ الاعرابِ ، فيكونُ من باب أعجبني طيبُه أباً ، فإنّ كونَ أباً تمييزٌ إنمّا هو باعتبار قولك : طيبُه لا [10] باعتبار الجملة كُلِّها .

قلتُ : تمييز النسبة الواقع بعد[11] المتضايفين لا يكونُ إلا فاعلاً في المعنى ، ثم قد يكونُ مع ذلك فاعلاً في الصناعة باعتبار الأصلِ فيكونُ محوّلاً عن المضاف[12]

(١) في الأصل : قلنا والمثبت من (م) و (ف) .
(٢) في (م) : لا يجيء اعراب التمييز .
(٣) في (م) : درهماً .
(٤) في (م) : وللجهل . وفي (ف) : أو الجهل .
(٥) في (م) و (ف) : لم يوضع .
(٦) في (ف) : عشرتين .
(٧) في (م) : والاشتراك .
(٨) في (م) : لمعنى .
(٩) في (م) : إنما وضع .
(١٠) في الأصل وفي (م) : ولا . والمثبت من (ف) .
(١١) في (ف : بين .
(١٢) في الأصل : المضاف اليه . والمثبت من (م) و (ف) .

نحو أعجبني طيبُ زيدٍ أباً ، إذا كان المرادُ الثناءَ على أبي [1] زيد ، فإنّ أصله أعجبني طيب أبي [2] زيد. وقد لا يكون كذلك فيكون صالحاً لدخول من نحو : لله درُّه فارساً ، وويحه رجلاً ، وويلَه إنساناً ، فإنّ الدَّرّ بمعنى الخير . والويحُ والويلُ [3] ، بمعنى : الهلاك ، ونسبتهما إلى الرجل نسبة الفعل إلى فاعِله . ومنه : أعجبني طيبُ زيد أباً ؛ إذا كان الأبُ نفسَ زيد ، وتعلُّق الشرح بالاعراب ونحوه ، إنمّا هو تعلّق الفعل بالمفعول لا بالفاعل . ثم إنّا لا نعلم تمييزاً جاء باعتبار متضايفين حذف المضاف منهما .

الوجه الثالث : أن يكون مفعولاً مطلقاً ، والأصلُ [4] : الأعرابُ تغيير [5] الآخر لعامل اصطلحوا على ذلك اصطلاحاً ، ثم حُذفَ العاملُ واعتُرِضَ بالمصدر بين المبتدأ والخبر ، وهذا الوجه مردود أيضاً ، لأنّه ممتنعٌ في قولك : الإعرابُ — لغةً — البيانُ ، فإنّ اللغة ليست مصدراً ؛ لأنها ليست اسماً للحدث [6] ، ولهذا توصف [7] بما توصَفُ به الألفاظُ المسموعةُ ، فيقال : لغةٌ فصيحة ،كما يقال : كلمةٌ فصيحة إسماً [8] للفظ [9] المسموع .

وزعم ابوعمرو بن الحاجب [10] رحمه الله في أماليه أنّ ذلك على المفعول المطلق وأنّه من [11] المصدر المؤكِّد لغيره؛ قال ذلك لأنّ معنى قولنا [12]: الاجماعُ لغةً

(١ ، ٢) في غير (ف) : أب .
(٣) « الويل » ساقطة من (ف) .
(٤) في الأصل : وأصل ، والمثبت من (م) و (ف) .
(٥) في الأصل : تغير ، والمثبت من (م) و (ف) .
(٦) في الأصل : لحدث ، والمثبت من (م) و (ف) .
(٧) في (م) : يوصف .
(٨) في الأصل وفي (م) : اسم والمثبت من (ف) .
(٩) في (م) : اللفظ .
(١٠) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو الكردي المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ (انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤١٣/٢ وبغية الوعاة ٣٢٣) .
ولم نقف على كتابه الأمالي لنطلع على قوله
(١١) في الأصل (في) والمثبت من (م) و (ف) .
(١٢) في (ف) : قولك .

العزمُ : مدلولُ الاجماع – لغةً – العزم . والدلالة تنقسم إلى دلالةِ شرعٍ وإلى دلالةِ لغةٍ وإلى دلالةِ عُرفٍ. فلمّا كانت محتملة وذلك أحـــدُ المحتملات كان مصدراً من باب المصدر المؤكد لغيره .

وفيما قاله نظر من وجهين :

الأول[1] : ما ذكرنا من أنّ اللغة ليست مصدراً ؛ لأنّها ليست اسماً للحدث[2].

الثاني[3] : أنّ ذلك لو كان مصدراً مؤكّداً لغيره، لكان[4] إنّما يأتي بعد الجملة، فإنّه لا يجوزُ ان يتوسّط ولا أن يتقدّم ؛ لأنّه[5] لا يقال زيدٌ حقاً ابني[6]، ولا حقاً زيدٌ ابني[7] ، وإنْ كان الزّجّاج[8] يجيزُ ذلك ، ولكنّ الجمهورَ على خلافه .

الوجه الرابع : أن يكون مفعولاً لاجله ، والتقدير تفسيرُ الاعراب لأجل الاصطلاح ، أي : لأجل بيان الاصطلاح . وهذا الوجه أيضاً لا يستقيم لأنّ المُنْتصِبَ[9] على المفعول له[10] لا يكون إلاّ مصدراً، كقمتُ إِجلالاً له . ولا يجوز[11] : جئتك الماءَ والعشبَ ، بتقدير مضاف أي : ابتغاءَ الماء والعشب.

---

(1) في الأصل : ١ والمثبت من (م) و (ف) .
(2) في الأصل : لحدث ، والمثبت من (م) و (ف) .
(3) في الأصل : ٢ والمثبت من (م) و (ف) .
(4) قوله : (لكان) ساقط من (ف) .
(5) « لأنه » ساقطة من (م) و (ف) .
(6) في (م) : زيد حقاً ابني .
(7) قوله : « ولاحقاً زيد ابني » ساقط من (م) .
(8) هو ابراهيم بن السري بن سهل ابو اسحاق الزجاج النحوي المتوفى سنة ٣١١هـ . انظر ترجمته في (انباه الرواة ١٥٩/١ وأخبار النحويين البصريين ١٠٨ وبغية الوعاة ١٧٩ وتاريخ بغداد ٨٩/٦ وتاريخ أبي الفدا ٧٢/٢ وابن خلكان ١١/١ وروضات الجنات ٤٤ وشذرات الذهب ٢٥٩/٢ وطبقات الزبيدي ١٢١ والفهرست ٦٠ ومراتب النحويين ٨٣ .
(9) في (ف) : المنصوب .
(10) في (ف) : لاجله .
(11) في (ف) : ولا يقال

الوجه الخامس : وهو الظاهر [1] أن يكون حالاً على تقدير مضاف إليه من المجرور ومضافين من المنصوب . والأصلُ تفسيرُ الاعرابِ موضوعُ أهل اللغة أو موضوعُ [2] أهلِ الاصطلاح ثم حُذِفَ المتضايفان على حدّ حذفهما في [3] قوله تعالى « فَقَبَضْتُ قَبْضَةً من أَثَرِ الرَّسولِ » [4] أي : من أثر حافرِ فرسِ الرسولِ . ولمّا أُنيبَ الثالثُ عما هو الحال بالحقيقة التزم تنكيرُه لنيابته عن لازم التنكير كما في قولهم [5] : « قضيّةٌ ولا أبا حسن لها » ، والأصلُ : ولا مثلَ أبي الحسن [6] لها . فلما أُنيبَ أبو الحسن عن « مِثْل » جُرِّدَ عن أداة التعريف. ولك أن تقول الأصلُ موضوعُ اللغة أو موضوعُ الاصطلاح على نسبة الوضع إلى اللغة وإلى [7] الاصطلاح مجازاً ، وحينئذ فلا يكون [8] فيه إلا حذفُ مضاف واحدٍ ، ويصير نظيرَ قول العرب : « كنت أظنُّ العقربَ [9] أشدّ لسعة من الزنبور فإذا هو إياها [10] » على تأويل ابن الحاجب [11] فإنّه أعربَ إيّاها حالاً على أنّ الأصلَ [12] : فإذا هو موجود مثلها ،

(١) في الأصل : النظر والمثبت من (م) و (ف) .
(٢) في (م) : و .
(٣) في (ف) : من .
(٤) سورة طه ٩٦ .
(٥) في (ف) : كقولهم .
(٦) في (ف) : حسن .
(٧) في (م) : أو .
(٨) في (ف) : لا يكون .
(٩) في (ف) : أن العقرب .
(١٠) هذه العبارة جزء من المسألة الزنبورية التي تناظر فيها الكسائي وسيبويه وموضوعها هذه الجملة « قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعاً من الزنبور فاذا هو هي أو فاذا هو إياها ». انظر المسألة بكاملها في الانصاف ٣٧٢/٢ .
وقد بسط ابن هشام الحديث في هذه المسألة في كتابه مغني اللبيب ٨٠/١ – ٨٤ وفيها قال : .. وأما فاذا هو اياها ان ثبت فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء، كالجزم بلن والنصب بلم والجر بلعل ، وسيبويه وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك وان تكلم بعض العرب به .
(١١) انظر المغني ١ / ٩١ ، ٩٢ اذ بسط ابن هشام الحديث في نصب الضمير المنفصل في قولهم (فاذا هو إياها) وذكر توجيهات علماء النحو في ذلك وأشار الى رأي ابن الحاجب في أماليه وهو اعراب (اياها) حالا كما هو مثبت هنا .
(١٢) في (م) : على الأصل .

فحُذفَ الخبرُ كما حُذِفَ في : خرجتُ فإذا الأسدُ ،ثم حُذِفَ المضافُ وهو مِثْل ، وقام المضاف إليه مقامه فتَحوّلَ [1] الضميرُ المجرور ضميراً منصوباً ، بل تخريج ما نحن فيه على ذلك أسهلُ ، لأنّ لفظَ الضميرِ معرفة [2] ، فانتصابُه [3] على الحال بعيد .

والظاهر [4] في المثال المذكور أنّه مفعول لفعل محذوف هوالخبرُ والتقدير فإذا هو يشبهها [5] ، ولـمّا حُذفَ الفعلُ انفصل الضميرُ أو أنّه الضمير [6] أو أنه هو الخبر كما في قول الأكثرين : فإذا هو هي ، ولكن أُنيبَ ضمير النصب عن ضمير الرفع [7] .

[اعراب خلافاً]

وأمّا قولُه يجوز كذا خلافاً لفلان ، فقد يقال :إنّه يجوز فيه وجهان :

الوجه الأول [8] : أن يكون مصدراً ، كما أنّ قولك : يجوز كذا اتفاقاً وإجماعاً بتقدير : اتفقوا على ذلك اتفاقاً وأجمعوا عليه اجماعاً .ويشكل على هذا أنّ فعله المقدّر إمّا اختلفوا أو خالفوا أو خالفت ، فإنْ كان اختلفوا أشكل عليه أمران :

الأول [9] : آنّ مصدرَ اختلف إنمّا هو الاختلاف لا الخلاف .

الثاني [10] : أنّ ذلك يأبى أن يُقال [11] بعده لفلان . وإن كان خالفوا أو خالفتُ

---

(١) في (ف) : فحول .
(٢) في الأصل : اللفظ الضمير وفي (م) : اللفظ معرفة والمثبت من (ف).
(٣) في (ف) : فانتباهه .
(٤) في الأصل : والنظر والمثبت من (م) و (ف) .
(٥) في (م) : شبهه ، وفي (ف) : يشبهه .
(٦) قوله : « أو أنه الضمير » ساقط من (ف) .
(٧) في (ف) : ولكن أنيب ضمير غير الرفع .
(٨) في (م) و (ف) : الأول .
(٩) في الأصل : ١ والمثبت من (م) و (ف) .
(١٠) في الأصل : ٢ والمثبت من (م) و (ف) .
(١١) في الأصل : يقول ، والمثبت من (م) و (ف) .

أشكلَ عليه أنَّ خالفَ لا يتعدّى باللام بل بنفسه.وقد يُختارُ هذا القسمُ ويُجاب عن هذا الاعتراض بأنْ يقال : تُقَدَّرُ[1] اللامُ مثلها في:سَقياً له أي : متعلقاً[2] بمحذوف تقديره أعنى له أو إرادتي له . ألا ترى أنّها لا تتعلقُ بسقياً لأنّ سقياً[3] يتعدّى بنفسه .

الوجه الثاني : أن يكون حالاً والتقدير أقول [ذلك][4] خلافاً لفلان أي : مخالفاً[5] له . وحَذْفُ القولِ كثير جداً حتى قال أبو علي[6] : « هو من حديث البحر قل ولا حرج » ودَلَّ على هذا العامل أنّ كلَّ[7] حُكمٍ ذكرَه المصنفون فهم قائلون به ، وكأنّ القولَ مُقَدَّرٌ قبل كلِّ مسألةٍ . وهذه العِلةُ قريبةٌ من العِلّة التي ذكروها[8] لاختصاصهم الظروفَ بالتوسعِ فيها ، وذلك أنّهم[9] قالوا : إنّ الظروف منزَّلةٌ من الأشياء منزلةَ أنفسها، لوقوعها فيها ، وإنّها لا تنفكُّ عنها ، والله سبحانه وتعالى — أعلم .

[اعراب أيضاً]

وأمّا قوله : قال أيضاً ، فاعلمْ أنَّ : أيضاً ، مصدر آض،وآضَ فعلٌ مستعملٌ له[10] معنيان :

---

(١) في الأصل : هذه ، والمثبت من (م) و (ف) .

(٢) في الأصل : متعلقة ، والمثبت من (م) و (ف) .

(٣) في الأصل : سقى ، والمثبت من (م) و (ف) .

(٤) زيادة من (ف) .

(٥) في (م) : مخالفة .

(٦) لم أقف على قول أبي علي مع كثرة بحثي عنه .

(٧) « كل » ساقطة من (ف) .

(٨) في (ف) : ذكرناها .

(٩) في (م) : أن .

(١٠) في الأصل : يستعمل وله ، والمثبت من (م) و (ف).

احدُهما [1] : رَجَعَ فيكون تاماً . قال صاحبُ المحكم[2] : وآض إلى أهله رَجَع إليهم انتهى . وكذا قال ابنُ السِّكِّيت[3] وغيرهما وهذا هو المستعملُ مصدره هنا .

الثاني [4] : صار ، فيكون ناقصاً عاملاً عملَ[5] (كان) ذكره[6] ابن مالك[7] وغيرُه[8] وأنشدوا قول الراجز[9] :

رَبيّتُه حتّى إذا تمعددا

وآضَ نهداً كالحصان أجردا

كان جزائي[10] بالعصا أن أُجلَدا

ورواه الجوهري[11]: وصار نهداً . يُقال : تَمعْدَدَ الغلامُ : إذا شبَّ وغلُظ.

---

(١) في الأصل : ١ والمثبت من (م) و (ف) .

(٢) هو ابن سيده علي بن اسماعيل الأندلسي الضرير صاحب المحكم والمخصص ولد سنة ٣٩٨ هـ وتوفي سنة ٤٥٨ هـ انظر ترجمته في (الصلة ٢/٣٩١ – ٣٩٣ وطبقات الأمم ٧٧ وجذوة المقتبس ٢٩٣ – ٢٩٤ والديباج المذهب ٢٠٤–٢٠٥ ووفيات الأعيان ١/٤٣١ وانباه الرواة ٢/٢٢٥–٢٢٧ ومطمح الأنفس ٦٠ ونكت الهميان ٢٠٤ – ٢٠٥ وبغية الوعاة ٣٢٧ وغيرها .

(٣) جاء في الصحاح (أيض) : قال ابن السكيت : آض يئيض أيضاً أي عاد، يقال آض فلان الى أهله أي رجع .

(٤) في الأصل : ٢ ، والمثبت من (م) و (ف) .

(٥) قوله (عمل) ساقط من (ف) . (٦) في (ف) : ذكر .

(٧) هوابوعبدالله جمال الدين محمد بنعبدالله بن محمد بن عبدالله بنمالك الطائي الجياني الشافعي النحوي نزيل دمشق المتوفى سنة ٦٧٢ هـ . صاحب الخلاصة الألفية ولامية الأفعال واكمال الأعلام بتثليث الكلام وغيرها من كتب النحو واللغة . انظر ترجمته في (نفح الطيب ٧/٢٨٠ وطبقات الشافعية ٥/٢٥٧ وبروكلمان ١/٢٩٨ ودائرة المعارف الاسلامية م١ العدد ٥ ص ٢٧٢ وما بعدها) .

قال ابن مالك في التسهيل ٥٣ « ويلحق بها – أي بـ « صار » – ما رادفها من آض وعاد وآل ورجع وحار واستحال وتحول وارتد » .

(٨) أنظر الصحاح واللسان « أيض » .

(٩) هو العجاج الراجز المعروف . ورد ذلك في التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ٣٤٥. والاشطار في ملحق ديوانه (طبعة لا يبزك) ص ٧٦ .

(١٠) في (ف) : جزار .

(١١) لم نقف على رواية الجوهري في الصحاح في المواد « معد » و «جرد» و « عدد » و « جلد » ، ولعل الراوي شخص آخر .

والنَّهدُ : عظيم[1] الجسم من الخيل ، وانّما يُوصفُ به الإنسانُ على وجه التشبيه . والأجردُ : الذي لا شعر عليه . وانتصابُ ـ أيضاً ـ في المثال [2] المذكور ليس على الحال من ضميرِ قال ، كما توهّمه ، جماعةٌ من الناس ، فزعموا أنّ التقدير : وقال ـ أيضاً ـ ، أي : راجعاً إلى القول . وهذا لا يَحْسُنُ تقديرُه الاّ إذا كان هذا القولُ إنّما صدرَ من القائلِ بعد صدور القولِ السابقِ ، حتى يصحَّ أن يُقالَ إنّه قال راجعاً إلى القول بعد ما فرغ منه ، وليس ذلك بشرط في استعمال أيضاً ، ألا ترى أنّك تقول : قلتُ اليوم كذا[3] ، وقلتُ أمسِ أيضاً ؛ وكذلك تقول : كتبتُ اليومَ ، وكتبتُ أمسِ أيضاً [4] .

والذي يظهر لي أنّه مفعولٌ مطلقٌ حُذِفَ عامله ، أو حالُ حُذِفَ عاملُها وصاحبُها ، وذلك أنّك قلت : قال فلانٌ ، ثمّ استأنفتَ جملةً ، فقلت : أرجعُ إلى الإخبار رجوعاً ولا أقتصرُ على ما قدّمتُ ، فيكون مفعولاً مطلقاً . أو التقدير[5] : أُخبرُ ـ أيضاً ـ أو أحكي أيضاً ، فيكون حالاً من ضمير المتكلِّم . فهذا هو الذي يستمرُّ في جميع المواضع .

ومما يؤنسك بما ذكرتُه [6] من أن العاملَ محذوفٌ أنّك تقول : عنده مالٌ

---

(١) في (ف) : العظيم .

(٢) قوله « المثال » ساقط من (ف) .

(٣) في (ف) : كذلك .

(٤) من قوله : « وكذلك تقول » إلى قوله « أيضاً » ساقط من (ف) .

(٥) في (ف) : والتقدير .

(٦) في (م) : ذكرت . وفي (ف) : « ومما يشهد لما ذكرته » .

وأيضاً عِلْمٌ ، فلا يكون قبلها ما يَصْلُحُ [١] للعمل فيها، فلا بُدَّ حينئذٍ من التقدير . وعلى ذلك قال الشاطبي[٢] رضي الله عنه وقد ذكر أنّه لا يُدغَمُ الحرف إذا كان تاء متكلّم أو مخاطب أو منوناً أو مشدّداً .

ككُنتَ تُراباً أنت تكرَهُ واسعٌ   عليمٌ وأيضاً تمَّ ميقات مثّلا

قال ابو[٣] شامة [٤] رحمه الله تعالى: قولُه وأيضاً أي: أمثّلُ النوعَ الرابعَ ولا اقتصرُ على تمثيل الأنواع الثلاثة ، وهو مصدر آض : إذا رَجَع . انتهى كلامُه .

فأيضاً على تقدير[٥] حال . من ضمير أمثّل الذي قدّره .

واعلم أنّ هذه الكلمة انمّا تستعملُ مع ذكر شيئين بينهما [٦] توافقٌ ويُمكنُ استغناءُ كلٍّ منهما عن الآخر ، فلا يجوز : جاء زيدٌ أيضاً إلا أنْ يتقدّم ذكر شخصٍ آخر ، أو تدلُّ عليه قرينةٌ ، ولا جاء زيدٌ ومضى عمرو أيضاً : لعدم التوافق ، ولا اختصم زيدٌ وعمر أيضاً لأنّ أحدهما لا يستغني عن الآخر .

[إعراب هَلُمَّ جرّاً]

وأمّا قوله هَلُمَّ جرّاً فكلامٌ مستعملٌ في العُرف كثيراً ، وذكره الجوهري في صحاحه فقال في (فصل الجيم من باب الراء) : وتقول كان ذلك عامَ كذا وهَلُمَّ

(١) في (م) و (ف) : يصح .

(٢) هو القاسم بن فيرة بن أبي القاسم الشاطبي المقرى النحوي الضرير كان عالماً إماماً فاضلا بالنحو والقراءات والتفسير والحديث . انظر ترجمته في بغية الوعاة ٣٧٩ والديباج المذهب ٢٨٤ وروضات الجنات ٥٢٨ ونفح الطيب ٣٣٤/١ وشذرات الذهب ٣٠١/٤ ونكت الهميان ٣٤٩ ووفيات الأعيان ٤٢٢/١ ومعجم الأدباء ٢٩٣/٦ . وغيرها .

(٣) في (ف) : ابن .

(٤) هو عبدالرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم بن عثمان شهاب الدين الدمشقي الشافعي المشهور بأبي شامة لشامة كبيرة كانت على حاجبه الايسر . اعتنى بالحديث واتقن الفقه ودرس وافتى وبرع في العربية . له مصنفات كثيرة في فنون مختلفة ، توفي سنة ٦٦٥ هـ .
انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢٩٧ .

(٥) قوله « على تقدير » ساقط من (م) .

(٦) في (م) : فيهما .

جرّاً إلى اليوم . هذا جميع ما ذكر . وذكر الصغاني [1] في عبابه [2] . ما ذكره صاحب الصحاح ولم يزد عليه . وذكر [ابو بكر] [3] ابن الأنباري [4] هَلُمَّ جرّاً في كتاب الزاهر وبسط القول فيه وقال : معناه : سيروا على هينتكم ، أيّ : تثبتوا في سيركم ولا تُجهدوا أنفسكم [ولا تشقّوا عليها] [5]، قال : وهو مأخوذ من الجرّ وهو أن تُتْركَ الابلُ والغنم ترعى في السير [6] . قال الراجز [7]

لطالما جَرَرْتُكُنَّ [8] جــرّا   حتى نوى الأعجفُ واستمرّا

فاليومَ لا آلــو الرِّكابَ شــــرّا [9]

قلت : الأعجفُ الهزيل، ونوى : صار له نَيٌّ بفتح النون وتشديد الياء وهو الشحمُ ، وأمّا النِيءُ بكسر النون وبالهمزة بعد الياء الساكنة [10] فهو اللحمُ الذي الذي لم ينضج [11] . واستمرَّ . كأنّه استفعل من المِرّة بكسر الميم: وهو القوّة ، ومنه قوله تعالى : « ذو مِرَّة » [12] .

قال : وفي انتصاب جرّاً ثلاثة أوجه .

---

(١) هو الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ صاحب العباب والتكملة وهما من المعجمات المشهورة وقد حقق الشيخ محمد حسن آل ياسين العباب وصدر منه الى الآن جزءان هما باب الهمزة وباب الطاء . صدر الجزء الأول عن مطبعة المعارف العراقية وصدر الجزء الثاني عن وزارة الثقافة والاعلام .

(٢) قوله « في عبابه » ساقط من (ف) .

(٣) زيادة من (ف) .

(٤) هو محمد بن القاسم ولد سنة ٢٧١ هـ وتوفي سنة ٣٢٨ هـ ، وهو عالم له معرفة بعلوم القرآن والحديث واللغة والنحو والشعر . انظر ترجمته في أنباه الرواة ٢٠٣/٣ ومعجم الأدباء ٣٠٧/١٨ وطبقات النحويين واللغويين ١٥٣ ونزهة الألباء ٣٦٧ وغيرها .

(٥) زيادة من الزاهر لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ٤٧٦/١ .

(٦) انظر الزاهر ٤٧٦/١ فقد جاء فيه : «أخذ من الجر في السوق وهو أن تترك الابل والغنم ترعى في السير»

(٧) لم نقف على اسم الراجز .

(٨) في (ف) : « جور يكون » .

(٩) في الأصل « سبرا » وأشار الناشر إلى أن الكلمة وردت كذلك في النسختين اللتين نقل منهما . وفي (ف) « سيرا » والمثبت من الزاهر ٤٧٦/١ . وكذا في لسان العرب لابن منظور مادة (جرر)

(١٠) في (ف) : بعد ياء ساكنة .

(١١) في (ف) : لم يطبخ .

(١٢) سورة النجم ٦ .

الأول [1] : أن يكون مصدراً وُضِع موضع الحال ، والتقدير هَلُم جارّين أي : متثبتين .

الثاني [2] : أن يكون على المصدر لأنّ في هَلُمّ معنى جرّ فكأنّه قيل جرّوا جرّاً ، وهذا على قياس قولك : جاء زيدٌ مشياً ، فإنّ البصريين يقولون تقديره ماشياً ، والكوفيون يقولون : المعنى مشى [3] مشياً .

وقال بعض النحويين [4] : جرّاً نصبٌ على التفسير [5] انتهى كلامُ أبي بكر [6] ملخصاً .

وقال أبو حيان في « الارتشاف » [7] : وهلمّ جرّاً معناه : تعال على هينتك متثبّتاً [8] ، وانتصاب جرّاً على أنّه مصدر في موضع الحال أيّ: جارّين قاله البصريون .

وقال الكوفيون : مصدر لأنّ معنى هَلُمّ : جرّ ، وقيل انتصب [9] على التمييز ، وأوّل من قاله عابد بن يزيد :

فإن جاوزتُ مقفرةً رمتْ بي ... إلى أخرى كتلك هلمّ جرّا

وقال آخر من تغلب :

المطعمين لدى الشتا ... ء سدائفاً مل نيب [10] غُرّا

---

(1) في الأصل : ١ ، والمثبت من (م) و (ف) .
(2) في الأصل : ٢ ، والمثبت من (م) و (ف) .
(3) في (ف) : يمشي .
(4) في (ف) : النحاة :
(5) في (ف) التمييز .
(6) انظر الزاهر ٤٧٦/١ .
(7) هو ارتشاف الضرب من لسان العرب وهو مختصر شرح أبي حيان الكبير على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لأبي عبدالله محمد بن مالك الطائي الذي سماه : التذييل والتكميل . والارتشاف ما يزال مخطوطاً .
(8) قوله « متثبتاً » ساقط من (ف) .
(9) في (ف) : انتصابه .
(10) قوله « مل نيب » ساقط من (ف) .

في الجاهليــة كــان ســؤ ددُ وائلٍ (1) فهلمَّ جَــرّاً
انتهــى .

وبعد فعندي توقف في كون هذا التركيب عربياً محضاً والذي رابني منه[2] أمور .

الأول[3] : أنّ إجماع النحويين منعقد[4] على[5] أنّ لهلُمَّ معنيين : أحدهما[6] : تعال ، فتكون قاصرة كقوله تعالى : « هَلُمَّ إلينا [7] » أي : تعالوا الينا ، الثاني[8] : أحْضِرْ ، فتكون متعدية ، كقوله تعالى « هَلُمَّ شُهداءَكم[9] » أي : أحضروهم . ولا امتناع لأحدِ المعنيين هنا[10] .

الثاني [11] : أنّ اجماعهم منعقد على [12] أنّ فيها لغتين حجازية وهي التزام استتار ضميرها فتكون اسم فعل ، وتميمية : وهي أن يتّصل بها ضمائر الرفع البارزة فيقال : هلمّا وهلمّي وهلمّوا ، فتكون[حينئذٍ [13]] فعلاً ولا نعرف لها موضعاً أجمعوا فيه على التزام كونها اسم فعل[14] ولم يقل أحدٌ : إنّه سمع[15] هلمّا جرّاً ولا هلمّي جرّاً ، ولا هلموا جرّاً .

---

(1) قوله « وائل » ساقط من (ف) .
(2) في (ف) : فيه .
(3) في (ف) : احدها .
(4) في (ف) : « ان جماعة من النحويين واللغويين اجماعهم منعقد » .
(5) قوله (على) ساقط من (ف) .
(6) في الأصل : ١ والمثبت من (م) و (ف) .
(7) سورة الأحزاب ١٨ .
(8) في الأصل : ٢ والمثبت من (م) و (ف) .
(9) سورة الأنعام ١٥٠ .
(10) قوله (هنا) ساقط من (ف) .
(11) في الأصل : ٢ ، والمثبت من (م) و (ف) .
(12) قوله (على) ساقط من (ف) .
(13) زيادة من (ف) .
(14) في (ف) : انها اسم فعل .
(15) قوله (الثاني) ساقط من (ف) .

الثالث: أنّ تَخالفَ الجملتين المتعاطفتين بالطلب والخبر، ممتنع أوضعيفٌ [1]، وهو لازم هنا، إذا قلت: كان ذلك عام كذا وهلمَّ جرّاً.

الرابع: أنّ أئمة اللغة المعتمد عليهم لم يتعرّضوا لهذا التركيب، حتى صاحب المحكم مع كثرة استيعابه وتتبعه، وإنمّا ذكره صاحب الصحاح[2]، وقد قال أبو عمرو ابن الصلاح في شرح مشكلات الوسيط[3]: إنّه لا يقبل ما تفرّد به، وكان علّةُ ذلك[4] ما ذكره في أول كتابه من أنّه ينقل عن العرب الذين سَمِع منهم فإنّ زمانَه كانت اللغة [5] فيه قد فسدت. وأما صاحب العُباب[6] فإنّه قلّد صاحب الصحاح فنسخ كلامه. وأمّا ابن الانباري فليس كتابُه موضوعاً لتفسير الألفاظ المسموعة من العرب، بَل وضعه أنْ يتكلّمَ على ما يجري في [7] محاورات الناس، وقد يكونُ تفسيره له على تقدير، أن يكون عربياً، فإنّه لم يصرّحْ بأنه عربيّ. وكذلك لا أعلمُ أحداً [8] من النحاة تكلّم عليها غيره.

(1) في (ف) : وضعيف .

(2) انظر مادة (جرر) فقد جاء فيها : «وتقول كان ذلك عام كذا وهلم جرا إلى اليوم» .

(3) هو أبو عمرو بن عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح الشهرزوري المتوفى سنة ٦٤٣ هـ وكتابه شرح على الربع الأول من كتاب الوسيط في الفروع للامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ انظر كشف الظنون ٢/٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ .

(4) في الأصل : على ذلك ، والمثبت من (ف) .

(5) في (ف) : اللغات .

(6) في (ف) اللباب . وصاحب العباب محمد بن الحسن الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ .

(7) في الأصل : من والمثبت من (ف) .

(8) ابن هشام يشكك في عربية « هلم جرا » ويعده من المولدات وهو هنا يستأنس بقول أبي عمرو بن الصلاح في كتابه شرح مشكلات الوسيط الذي يرد فيه على الجوهري ، فأبو عمرو يرى أن الجوهري تفرد بهذا القول في معجمه وهو ينقل عن العرب الذين سمع منهم في زمانه الذي فسدت اللغة فيه ، ويرى أيضاً أن الصغاني في العباب نقل التعبير مقلداً الجوهري في ذلك . وقد أشار الزبيدي في التاج الى أن الصحاح والقاموس وأكثر مصنفات اللغة ذكرت التعبير على أنه من كلام العرب وذكر أيضاً أنه جاء في الحديث في غير موضع ،ونقل عن شيخه ابن الطيب الفاسي تردد ابن هشام فيه وتعقب أبي عبدالله الراعي له في بعض كتبه التي وضعها لرد كلامه وأشار ابن الطيب الى أنه ألف رسالة مستقلة فيه .
(أنظر مادة (جرر) من التاج) .

ولخص أبو حيان في الارتشاف [1] أشياء من كلامه ووهم فيها [2] . فإنه ذكر أن الكوفيين قالوا: إن جراً مصدر . والبصريون قالوا: إنه حال وهذا يقتضي أن الفريقين تكلموا في إعراب ذلك وليس كذلك، وإنما قال أبو بكر: إن قياس إعرابه[3] على قواعد البصريين أن يقال: إنه حال، وعلى قواعد الكوفيين أن يقال: إنه مصدر ، هذا معنى كلامه. وهذا هو الذي فهمه [عنه][4] ابو القاسم الزجاجي[5] ورد عليه فقال البصريون لا يوجبون في نحو ركضاً من قولك: «جاء زيد ركضاً»، أن يكون مفعولاً مطلقاً بل يجيزون أن يكون التقدير : جاء زيد يركض ركضاً ، فكذلك يجوز على قياس قولهم : أن يكون التقدير : هلم تجر جراً ، انتهى .

ثم قول[6] أبي بكر : معناه سيروا على هينتكم أي: اثبتوا في سيركم فلا[7] تجهدوا أنفسكم معترض من وجهين .

احدهما [8] : أن فيه[9] إثبات معنى لم يثبته لها أحد .

الثاني[10] : أن هذا التفسير لا ينطبق على المراد بهذا التركيب، فإنه إنما يراد به استمرار ما[11] ذكر قبله من الحكم . فلهذا قال صاحب الصحاح[12]: وهلم جراً إلى الآن .

---

(١) ارتشاف الضرب من لسان العرب .

(٢) في الأصل : فيه ، والمثبت من (ف) .

(٣) في (ف) : قياسه .

(٤) زيادة من (ف) .

(٥) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق نحوي مشهور له مؤلفات كثيرة منها الجمل والايضاح توفي سنة ٣٣٧ هـ انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢٩٧ وانباه الرواة ٢/١٦٠ ووفيات الأعيان ١/٣٤٩ وتاريخ ابن عساكر ٩/٤٣٢ وطبقات اللغويين والنحاة ١٢٩ والنجوم الزاهرة ٣/٣٠٢ وشذرات الذهب ٢/٣٥٧ وروضات الجنات ٤٢٥ ونزهة الالباء ٣٧٩ وغيرها.
انظر قائمة مصادر ترجمته في كتاب الزجاجي لمازن المبارك ص ٧٦ .

(٦) في (ف) : قال .

(٧) في (ف) : ولا .

(٨) في الأصل : ١ ، والمثبت من (م) و (ف) .

(٩) في (ف) : فيها .

(١٠) في الأصل : ٢ والمثبت من (م) و (ف) .

(١١) في الأصل : استمر أو ما ذكر . والمثبت من (ف) .

(١٢) مادة (جرر) .

وقول أبي حيّان: معناه تعالَ على هيّنَتِكم عليه أيضاً اعتراضان :

أحدُهما[1] : انّه تفسير لا ينطبق على المراد .

الثاني[2] : في إفراده[3] تعالَ مع أنّه خطاب للجماعة ، وكأنّه توهّمَ تعال[4] اسمَ فعل . واسم الفعل لا تلحقُه ضمائر الرفع البارزة . وقد توهّمَ ذلك بعضُ النحويين[5] فيها وفي هات ، والصوابُ أنّهما فعلان بدليل الآية و[هو][6] قوله تعالى : « قل هاتوا برهانكم »[7] وقول الشاعر[8] :

إذا قلتُ هاتي نوّليني[9] تمايلتْ

وقوله : لأنّ[10] هلُمَّ في معنى جرّوا منقول من كلام ابن الانباري هوخطأٌ منه انتقده عليه الزجاجي في مختصره[11]، وقال: لم يقلْ أحدٌ أنَّ هَلُمَّ في معنى جرّوا . وفيه دليل على ما قدّمته من أنَّ الاعرابين المذكورين لم يقلْهما البصريون و[لا][12] الكوفيون، وإنّما قالهما ابن الأنباري قياساً على قولهما في جاء زيدٌ ركضاً.

وتقديرُ البيت الأول : فإنْ تجاوزتُ أرضاً[13] مقفرةً أي ليس بها أنيس رمتْ بي تلك الأرضُ المقفرةُ إلى [أرض][14] أخرى مقفرة كتلك الأرض المقفرة .

---

(١) في الأصل : ١ ، والمثبت من (م) و (ف) .
(٢) في الأصل : ٢ ، والمثبت من (م) و (ف) .
(٣) في (ف) : افراده .
(٤) قوله : « وكأنه توهم تعال » تصحف في (ف) على الصورة الآتية : « وانما يقال » .
(٥) في (ف) : النحاة .
(٦) زيادة من (ف) .
(٧) البقرة ١١١ والانبياء ٢٤ والنمل ٦٤ .
(٨) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي . والشطر في ديوانه ١٥ وهو من معلقته المشهورة ، وتمامه :
علي هضيم الكشح ريا المخلخل
(٩) في (ف) : ناوليني .
(١٠) قوله « لأن » ساقط من (ف) .
(١١) مختصر الزاهر مخطوط لحد الآن .
(١٢) زيادة من (ف) .
(١٣) في (ف) : أيضاً .
(١٤) زيادة من (ف) .

وجواب الشرط إمّا «رمت بي» ، أو في البيت بعده إنْ كانت رمت صفة لمقفرة[1] .

وأمّا البيتان الآخران فمعناهما[2] الثناء على قوم بالكرم والسيادة . والعربُ تمدحُ بالاطعام في الشتاء لأنّه[3] زَمَنٌ يقلُّ فيه الطعامُ ويكثرُ الأكلُ لاحتباسِ الحرارة في الباطن .

والسداتفُ : جمعُ سديفة وهي مفعول للمطعمين[4] ، ومعناها [5] : شرائح سنام البعير المقطّع وغيره مما غلب[6] عليه السمن .

وقوله : مل[7] نيب ، أصله من النِّيب جمع ناب وهي الناقةُ سُمِّيتْ بذلك لأنّه[8] يُستَدَلُّ على عمرها بنابها ، وحُذِفَ نونُ [9]مِنْ ، لأنّه أراد التخفيف حين التقى المتقاربان وهما النون واللام ، وتعذَّرَ الادغامُ لأنّ اللام ساكنة . ونظيره وقولهم في بني الحارث : بَلحارث ، وهو شاذ . والذي في البيت أشذُّ منه لأنّ شرط هذا الحذف أن لاتكون اللامُ مُدغمةً فيما بعدها ،فلا يُقال في بني النجار وبني النّضير بنجّار وبنّضير .[10] وعلّل ابن [11]جنِّي[12] ذلك بكراهة توالي الاعلالين فاناللام قد أُعلّت بادغامهافيما بعدها فمتى أُعلّت النُّونُ التي قبلها بالحذف توالى الإعلالان[13] . وقد يُرَدُّ بأنّ ذلك إنّما يُتَجنّبُ في الكلمة الوحدة .

(١) من قوله « وجواب الشرط » إلى قوله « لمقفرة » ساقط من (ف) .
(٢) في (ف) : فمعناهم .
(٣) في (ف) : فانه .
(٤) في (ف) : المطعمين .
(٥) في (ف) : وهي .
(٦) في (ف) : يغلب .
(٧) قوله « مل » ساقط من (ف) .
(٨) في (ف) : لأنها .
(٩) في (ف) : مجرور .
(١٠) في (ف) زيادة « لا » قبل قوله بنضير .
(١١) في (ف) : وقال .
(١٢) لم أقف على قول ابن جني في كتبه المختلفة .
(١٣) في (ف) : الإعلال .

ويُجَاب بأنّ كُلاً من المتضايفين والجار والمجرور كالكلمة الواحدة وأُعطيا[1] حكمها .

وقوله : غُرّا حال من النّيب ، وهو جمع غرّاء كحمراء وسوداء وسود . وفي الجاهلية خبر كان إنْ قُدِّرتْ ناقصة ، اومُتَعَلِّقٌ[2] بها إنْ قُدرتْ تامة بمعنى وجد .

وقوله فهلُمَّ جرّاً متعلّقٌ[3] المعنى بقوله «في الجاهلية» ، إنْ كان سؤددُ وائلٍ في الجاهلية فما بعدها .

وإذ قد أتينا على حكاية كلام الناس وشرحه وبيان ما فيه من [الإشكال][4] والنقل[5] فلنذكرْ ما ظهر لنا في توجيه هذا الكلام بتقدير كونه عربيّاً فنقول : هَلُمّ هذه هي القاصرة التي بمعنى إئتِ وتعال إلاّ أنّ فيها تجوُّزين[6] .

الأول: أنّه ليس المراد بالإتيان هنا المجيء الحِسّي بل الاستمرار على الشيء والمداومة عليه كما تقول : إمشِ على هذا الأمر وسِر على هذا المنوال[7] ومنه قوله تعالى: « وانطلق الملأُ منهم أنِ امشوا واصبروا على آلهتِكم »[8] المراد بالانطلاق ليس الذهاب الحسي بل الألسنة بالكلام، ولهذا أعربوا أن تفسيرية وهي إنمّا تأتي بعد جملة فيها معنى القول [دون حروفه][9] كقوله تعالى : « فأوحينا إليه أنِ اصنعِ الفلكَ»[10] . والمراد بالمشي ليس المشي بالاقدام بل الاستمرار والدوام، أي : داوموا على عبادة

---

(١) في الأصل « أعطي » والمثبت من (ف) .
(٢) في (ف) : تعلق .
(٣) في (ف) : متعلق بالمعنى .
(٤) زيادة من (ف) .
(٥) في الأصل : نقل والمثبت من ف .
(٦) في (ف) : مجازين .
(٧) في (ف) : المثال .
(٨) سورة ص ٦ .
(٩) زيادة من (ف) .
(١٠) المؤمنون ٢٧ .

أصنامكم واحبسوا أنفسكم على ذلك .

الثاني : أنّه ليس المرادُ الطلبَ حقيقةً ، وإنّما المراد الخبرُ وعبّر عنه بصيغة[1] الطلب كما في قوله تعالى: « ولنحملْ خطاياكم فليمددْ له الرحمن مدّا »[2] .وجرّاً مصدر جرّه يجرّه إذا سحبه ، ولكن ليس المرادُ الجرّ الحسّي بل المراد التعميم ، كما استعمل السحب بهذا المعنى ،لأنّه [3] يُقال: هذا الحكمُ منسحِبٌ على كذا أي: شامل له ، فإذا قيل : كان ذلك عام كذا وهَلُمَّ جرّاً ، فكأنّه قيل واستمرّ ذلك[4] في بقية الأعوام استمراراً ، فهو مصدر ، أو استمرّ مستمرّاً فهي[5] حال مؤكّدة ، وذلك ماشٍ [6] في جميع الصور ، وهذا هو الذي يفهمه الناس من هذا الكلام [7] .

وبهذا التأويل ارتفع إشكال العطف فإنّ هَلُمَّ حينئذٍ خبرٌ ، وإشكالُ التزام إفراد الضمير ، إذ فاعلُ هَلُمَّ هذه مفردٌ أبداً كما تقولُ : واستمرَّ ذلك أيّ : واستمرّ ما ذكرتُه .

فإن قلتَ ، قد اشتملت هذه التوجيهاتُ التي وُجِّهتْ بها هذه المسائل على تقديرات كثيرة وتأويلات متعقّدة ولم يُعهد في كلام النحويين[8] مثل ذلك .

قلت : ذلك لأنّك لم تقف لهم على كلام على مسائل متعقّدة[9] مشكلة اجتمعت في مكان واحد ، ولو وقفت لهم على ذلك لوجدت في كلامهم مثل ذلك ، وأمثاله [كثيرة][10] والله تعالى أعلم ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

---

(١) في (ف) : بصفة .
(٢) مريم ٧٥ .
(٣) في الأصل « إلا أنه » والمثبت من (ف) .
(٤) في (م) واستمر الأمر على ذلك .
(٥) في (م) : فهو .
(٦) في (ف) : وهذا جار .
(٧) في (ف) : التركيب .
(٨) في (ف) : النحاة .
(٩) في (ف) : متعددة .
(١٠) زيادة من (ف) .

وجاء في آخر النسخة (ف) بعد قوله « والله تعالى أعلم » وهو حسبنا ونعم الوكيل انتهى بحمد الله وحسن عونه ولا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم .

وجاء في آخر النسخة (م) : انتهت أجوبة المسائل بحمد الله تعالى وحسن عونه والصلاة والسلام على سيدنا ونبيّنا ومولانا محمد نبيّه وعبده وعلى آله وأصحابه وازواجه وذريته .



التفاسير اللغوية والنحوية
للقرآن الكريم

محيي هلال السرحان

كلية الآداب – جامعة بغداد

لا شك أن اللغة وعلومها مادة المفسر التي يستمد منها ، وعدّته التي يفزع اليها في فهم كتاب الله تعالى وشرح معاني آياته في كل عصر ، منذ أن وجدت الحاجة الى التفسير ، ولهذا كانت ألفاظ القرآن – إفراداً وتركيباً ، ومعانيه استخراجاً وتقريباً – موضعَ اهتمام المفسرين منذ زمن مبكر ، إلاّ أنّه – بدخول عصر التدوين ، وابتداء العلوم بانفراد بعضها عن بعض شيئاً فشيئاً ، ومن ثَمّ الاستقلال عن غيرها بنموها وازدهارها ، وصيرورة العلوم اللسانية صناعة ، لها قوانينُها ، وكتُبها ، وأهلها المختصون – أخذ علماء اللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان – كغيرهم من علماء العلوم الأخرى – ينشدون ضالّتهم في كتاب الله ، ويلتمسون جوانب اختصاصهم فيه مما لوّن علم التفسير بهذا النوع من الدراسات بصورة ظاهرة ومتميزة .

فقد أخذ اللغويون ، وأهل التصريف وعلم الأصوات والقراءات يبحثون في لغته وتجويده ، وقراءاته ، والمشترك ، والمتشابه ، والعام ، والخاص ، والمجمل ، والمبين ، والمطلق ، والمقيد ، والمنطوق ، والمفهوم ، وما فيه من الأسماء والصيغ الاشتقاقية ، وبُنَى الكلمات ... وغير ذلك .

وأخذ النحويون يدرسون القرآن في ضوء الصنعة الإعرابية وأصولها ، فيحكمونها في معانيه ، ويحتكمون اليها في تحديد مدلولاته ، ويوجهون ما خرج على قواعدهم ومذاهبهم النحوية .

وأخذ أهل البلاغة يتوفرون على دراسة معانيه وإعجازه ، وحقيقته ، ومجازه ، وإطنابه ، وإيجازه ، وتشبيهاته وكناياته ، واستعاراته ، ومحسناته ، ونظمه وكل ما يتصل ببديعه وبيانه .

ومن هنا ظهرت علوم كثيرة وفنون واسعة تُعْنَى بهذه الجوانب ، أُلِّفت فيها مجاميع ضخمة جداً من الكتب لا تحصى لكثرتها :

ففي علم غريب القرآن [١] نجد مؤلفات كثيرة جداً ، حتى قال السيوطي إنه: « أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون » [٢] .

وأقدم ما وصل الينا من تآليف في غريب القرآن ما يعزى الى ابن عباس ، فقد أثر عنه شرح لغريب القرآن الكريم على ترتيب سوره ، أورده السيوطي في « الإتقان »[٣] ، وهو غير التفسير المنسوب اليه الذي طبع طبعات كثيرة باسم « تنوير المقباس » .

وقد قيل : إن أوّل من ألّف في غريب القرآن هو أبو سعيد إبّان بن تغلب البكري (المتوفّى سنة ١٤١ هـ) ، فقد صنف فيه كتاباً عُني فيه بذكر الشواهد من الشعر على معنى الكلمة التي يذكرها [٤] . وقيل : إنّ أول من صنف فيه هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى (المتوفى سنة ٢١٠ هـ) [٥] .

---

(١) يقصد بالغريب ما لا تعرفه العامة .

(٢) الاتقان في علوم القرآن ؛ ١/١١٥ .

(٣) الاتقان : ١/١١٥ – ١٢١ .

(٤) مقدمة تفسير غريب القرآن بقلم أحمد صقر .

(٥) كشف الظنون : ٢/١٢٠٧ ، وانظر مقدمة كتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي ١/١٠ .

ثم تتابعت المصنفات بعد ذلك :

فكان منها غريب القرآن ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (المتوفّى سنة ٢٢٣ هـ)(١) .

وتفسير غريب القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم المعروف بابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ)(٢) .

وغريب القرآن لابي بكر محمد بن عبدالعزيز السجستاني العزيزي (المتوفى سنة ٣٣٠ هـ) وهو مطبوع (٭) .

والمفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢ هـ)(٣) .

وغريب القرآن لأحمد بن محمد بن محمد المعروف بأبي عبيد الهروي (المتوفى سنة ٤٠١ هـ)(٤) .

وقد ذكر المهتمون بذلك أسماء كثير من المؤلفين في هذا الباب ، فلتنظر الكتب المدونة في التعليق(٥) .

---

(١) معجم الادباء مرجليوث ١٦٣/٦ وفيه انه منتزع من كتاب ابي عبيدة وفيه انه كتاب ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله ، ومقدمة كتاب الأجناس لهبقلم امتياز على عرشي (بمباي ١٩٣٨م) ص ١٤ .

(٢) طبع طبعات عديدة منها طبعة بتحقيق السيد أحمد صقر بدار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٨.

(٭) طبع مفرداً بمطبعة السعادة ١٣٢٥ وعلى هامش تبصير الرحمن وتيسير المنان ١٢٩٥. أنظر معجم المطبوعات ١٠٠٨/١ .

(٣) طبع طبعات عديدة آخرها بتحقيق الدكتور محمد أحمد خلف الله – القاهرة ١٩٧٠، وانظر معجم المطبوعات ٩٢٣/١ .

(٤) طبع هو وغريب الحديث له باسم كتاب الغريبين ، بتحقيق محمود محمد الطناحي، وصدر منه الجزء الأول بالقاهرة ١٩٧٠ م .

(٥) انظر الفهرست لابن النديم ص ٥٢، فهرست ابن خير الأشبيلي ص ٦٧، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٩٢/١ ، الاتقان: ١١٥/١ ، كشف الظنون ١٢٠٧/٢ – ١٢٠٨ ،وقابل ذلك بما ذكره قبله في مادة غريب القرآن والحديث في ١٢٠٣/٢ – ١٢٠٧، وكتاب المعجم العربي للدكتور حسين نصار ٤١/١ .

وفي علم ما يسمى « مشكل القرآن » [١] أفرده بالتأليف جماعة منهم محمد بن المستنير المعروف بقطرب (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ) ، وابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه : تأويل مشكل القرآن[٢] ، والعزّ بن عبدالسلام (المتوفى سنة ٦٦٠هـ) في كتابه الفوائد في مشكل القرآن [٣] .

وفي علم التجويد [٤]: نجد كثيراً من الكتب[٥]، وأول من صنف فيه موسى بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان الخاقاني البغدادي المقرئ (المتوفى سنة ٣٢٥ هـ) [٦]

وفي علم القراءات [٧] : كثرة لا تحصى ، ذكر ابن الجزري طبقاتهم [٨] . وأول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب هو أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفّى سنة ٢٢٣ هـ) [٩] .

وفي ما وقع فيه من المعرّب ، قد اختلفوا . فمن مؤيد ، ومن مانع ، وكانت النتيجة أن أغنوا المكتبة بتآليف ، منها : المهذب في ما وقع في القرآن من المعرّب للسيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) [١٠] .

---

(١) وهو علم يبحث في ما يوهم التعارض بين الآيات، مأخوذ من دخول الشيء في اشكاله على وجه لا يعرف المراد منه .

(٢) طبع بتحقيق السيد أحمد صقر بالقاهرة ١٩٥٥ م . وقد جمع ابن مطرف الكناني بين كتابي غريب القرآن ومشكل القرآن في كتاب (القرطين) وطبع بالقاهرة .

(٣) طبع بتحقيق الدكتور سيد رضوان علي الندوي، من مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمطبعة العصرية بالكويت ، ١٩٦٧/١٣٨٧ .

(٤) وهو علم يبحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم من جهة مخارج الحروف وصفاتها وترتيل النظم المبين باعطاء حقها من الوصل والوقف والامالة والتضخيم والترقيق والتشديد والتخفيف والقلب والتسهيل وغير ذلك . كشف الظنون ٣٥٣/١ .

(٥) أنظر الاتقان ١٠٢/١ ، وكشف الظنون ٣٥٤/١ .

(٦) أنظر كشف الظنون ٣٥٤/١ .

(٧) وهو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة والمشهورة فيـه .

(٨) أنظر غاية النهاية في طبقات القراء ، طبعة ج برجستراسر (مطبعة الخانجي بمصر ١٩٣٢)

(٩) كشف الظنون ١٣١٧/٢ .

(١٠) الاتقان ١٣٦/١ ، وقد نشر في مجلة المورد العراقية ، في الجزءين الأول والثاني من المجلد الأول ١٩٧١ م ، ص ٩٧ – ١٢٦.

وفي معاني القرآن ، وضعت تآليف عديدة بهذه التسمية ، لجماعات كثيرة ، منهم :

محمد بن المستنير المعروف بقطرب النحوي (المتوفّى سنة ٢٠٦ هـ) ، وكتابه لم يسبق الى مثله ، وعليه اعتماد القراء كما يقول حاجى خليفة [١] .

وأبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) .

وأبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٣ هـ) .

وأبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (المتوفى سنة ٢٩١ هـ) .

وابن الخياط أبو عبدالله محمد بن أحمد النحوي (المتوفى سنة ٣٢٠ هـ) .

وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) ، وكتابه مطبوع[٢] .

وأبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢١٠ هـ) .

وأبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش البلخي (المتوفى سنة ٢٢١ هـ) .

وابن درستويه عبدالله بن جعفر النحوي (المتوفى سنة ٢٩٩ هـ) .

وأبو محمد سلمة بن عاصم النحوي (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) .

وابو اسحاق ابراهيم السري المعروف بالزجاج النحوي (المتوفى ٣١١ هـ) .

وغيرهم كثيرون [٣] .

وفي علم مجاز القرآن ، ألف جماعة ، منهم :

محمد بن المستنير المعروف بقطرب (المتوفى ستنة ٢٠٦ هـ) [٤] .

وابو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى ٢١٠ هـ) وكتابه مطبوع [٥] .

---

(١) كشف الظنون ١٧٣٠/٢ .

(٢) طبع بدار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥ .

(٣) انظر كشف الظنون ١٧٣٠/٢ .

(٤) انظر ايضاح المكتون : ٤٢٨/٢

(٥) طبع بتحقيق فؤاد سزكين بمطبعة الخانجي بالقاهرة ١٩٥٤ ، وانظر ايضاح المكنون ٤٢٨/٢ .

وابو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٣ ﻫ) .

والعز بن عبدالسلام المصري الشافعي المعروف بسلطان العلماء (المتوفى سنة ٦٦٠ ﻫ) .

وكتاب ابن عبدالسلام ، اختصره السيوطي ، وسماه (مجاز الفرسان الى مجاز القرآن) (١) .

وفي تشبيهات القرآن : أفردها بالتأليف أبو القاسم عبدالله ، وقيل عبدالباقي بن محمد بن حسين المعروف بابن ناقيا البغدادي (المتوفى سنة ٤٨٥ ﻫ) ، وسمى كتابه فيها : (الجمان في تشبيهات القرآن) (٢) . وهو مطبوع (٣) .

وفي إعجاز القرآن : ألّف كثيرون ، منهم :

أبو سليمان حَمْد بن محمد بن ابراهيم الخطابي البستي (المتوفى سنة ٣٨٨ﻫ)، ورسالته المسماة : (بيان إعجاز القرآن) مطبوعة (٤) .

وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (المتوفى سنة ٣٨٦ ﻫ) ، ورسالته المسماة : (النكت في إعجاز القرآن) مطبوعة أيضاً (٥) .

وأبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (المتوفى سنه ٤٧١ ﻫ) صاحب (دلائل الاعجاز واسرار البلاغة) وغيرها ، ورسالته المسماة (الرسالة الشافية) في إعجاز القرآن مطبوعة أيضاً (٦) .

---

(١) كشف الظنون ١٥٩٠/٢ والاتقان ٣٦/٢ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٦٦/١ ، وبغية الوعاة ٦٧/٢ رقم ١٤٥٤، والاتقان ٤٢/٢، وكشف الظنون : ٥٩٤/١ .

(٣) طبع كتاب الجمان بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب في بغداد ١٩٦٨ م، وطبع في الكويت بتحقيق غيره

(٤) طبعت رسالة الخطابي في إعجاز القرآن طبعات عديدة، رأيت منها اثنتين ، إحداهما بعناية السيد عبدالله الصديق بمطبعة دار التأليف بالقاهرة ١٩٥٣م ، والأخرى ضمن (كتاب ثلاث رسائل في أعجاز القرآن) الذي طبع طبعته الثانية بتحقيق محمد خلف‌الله والدكتورمحمد زغلول‌سلام، من مطبوعات دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

(٥) طبعت ضمن كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن الذي مر الآن .

(٦) طبعت ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .

وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (المتوفى سنة ٤٠٣ هـ) صاحب كتاب (اعجاز القرآن) وهو مطبوع [١] .

والإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ) ، وكتابه نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز ، مطبوع أيضاً [٢] .

وغيرهم كثيرون [٣] .

وفي علم إعراب القرآن : نجدهم يعنون به كثيراً ؛ لأن الإعراب يميز المعاني ، ولا يستغني عنه المفسر لمعرفة الاحكام ومعرفة اغراض القرآن ومقاصده ، كما لا يستغني عنه القارئ ليقيم به قراءته ، وليحسن به منطقه ، فيكون مفهوماً لسامعه ، ولذلك بقي في عداد فروع علم التفسير ، وان كان في الحقيقة من علم النحو ، فكان عُدَّةَ المفسرين ومن مستلزماتهم كما هو شأن العلوم الأخرى التي ذكرناها آنفا ، الا أن بعضهم أفرده بالتصنيف ، مقتصراً على الإعراب والاوجه الاعرابية ، كالذي فعله أبو حاتم السجستاني (المتوفى ٢٥٥ هـ) في كتاب إعراب القران [٤] ثم جـاء من بعده أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبـرد النحوي (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) في كتابه إعراب القرآن [٥] . وتوالت التآليف على هذا النمط ، فألف أبو العباس أحمد بن يحيى الشـهير بثعلب النحوي (المتوفى سنة ٢٩١ هـ) كتابه اعراب القرآن [٦] .

---

(١) طبع كتاب اعجاز القرآن طبعات عديدة ، رأيت منها طبعتين : احداهما على هامش الاتقان (المطبعة الحجازية المصرية ١٣٦٨ هـ) والأخرى مستقلة مطبوعة بدار المعارف بمصر ١٩٦٢ ، وانظر معجم المطبوعات ١/ ٥٢١ .

(٢) طبع في القاهرة ١٣١٧ هـ .

(٣) الاتقان ١١٦/٢ ، كشف الظنون ١٢٠/١ وانظر : « تطور دراسات اعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية » للدكتور عمر ملا حويش (مطبعة الامة بغداد ١٩٧٢)، واعجاز القرآن – الاعجاز في دراسات السابقين لعبدالكريم الخطيب (دار المعرفة ١٩٧٥) .

(٤) إنباه الرواة ٦٢/٢ رقم الترجمة : ٢٨٢ ، وكشف الظنون ١٢٣/١ .

(٥) إنباه الرواة ٢٥١/٣ رقم الترجمة ٧٣٥ ، وكشف الظنون ١٢٣/١ .

(٦) إنباه الرواة ١٥١/١ الترجمة رقم ٨٦ ، وكشف الظنون ١٢٣/١ .

وابو اسحق ابراهم بن السري المعروف بالزجاج (المتوفى سنة ٣١١ هـ) في اعراب القرآن (*) وهو مطبوع (**) .

واحمد بن محمد بن اسماعيل المعروف بابي جعفر النحاس النحوي (المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) وسمى كتابه إعراب القرآن أيضاً [١] .

وأبو عبدالله الحسين بن محمد المعروف بابن خالويه (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) ، وكتابه إعراب ثلاثين سورة من القرآن [٢] مطبوع [٣] .

وأبو الحسن علي بن ابراهيم الحوفي النحويّ (المتوفى سنة ٤٣٠ هـ) وقد سمى كتابه اعراب القرآن . وكتابه أوضحها ، ويقع في عشر مجلدات كان العلماء في مصر يتنافسون في تحصيله [٤] .

وابو محمد مكي بن ابي طالب القيسي (المتوفى ٤٣٧ هـ) وقد سمى كتابه مشكل اعراب القرآن [٥] ، لأنه اقتصر على المشكل خاصة ، وهو مطبوع [٦] .

(*) انظر بغية الوعاة : ٤١١/١ - ٤١٣ رقم ٨٢٥ ، انباه الرواة: ١٥٩/١ - ١٦٦ رقم ٩٦ وتاريخ بغداد ٨٩/٦ - ٩٥ ، معجم الأدباء ١٣٠/١ - ١٥١ ، النجوم الزاهرة ٢٠٨/٣، البلغة ٥ - ٦ رقم ٩.

(**) طبع بتحقيق الأبياري القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٥ .

(١) إنباه الرواة ١٠٢/١ ، الترجمة رقم ٥٠ ، وكشف الظنون ١٢٣/١ .

(٢) الفهرست ١٣٠ ، إنباه الرواة ٣٢٥/١ رقم ٢١٦ ، كشف الظنون ١٢٣/١ ، بغية الوعاة ٥٣٠/١ الترجمة رقم ١٠٩٩ ، وفيه انه اسم المؤلف الحسين بن أحمد كما في المطبوع .

(٣) طبع في دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤١

(٤) بغية الوعاة ١٤٠/٢ رقم ١٦٤٨ ، كشف الظنون ١٢٢/١ ، الاتقان ١٨/١ ، إنباه الرواة ٢١٩/٢ - ٢٢٠ رقم ٤٢٣ .

(٥) وسماه المقري تفسير اعراب القرآن (نفح الطيب ١٧٩/٣) ، وسماه طاش كبرى زادة إعراب القرآن (مفتاح السعادة ٨٤/٢) وكذا عند السيوطي في الاتقان ١٨٠/١ وفي البغية: ٢٩٨/٢ رقم ٢٠١٨ ، وما أثبتناه عن البلغة في تاريخ ائمة اللغة ص ٢٦٣ رقم ٣٧٥ وعما رجحه الدكتور حاتم صالح الضامن في مقدمة تحقيق للكتاب جـ ١ ص ٢٦ .

(٦) حقق الكتاب الدكتور حاتم صالح الضامن ، وطبعته وزارة الاعلام ببغداد ١٩٧٥ م، في جزءين

وأبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن ابي سعيد الانباريّ (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) وكتابه البيان في غريب إعراب القرآن [١] مطبوع [٢] .

وأبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري النحوي (المتوفى ٦١٦ هـ) وكتابه إعراب القرآن[٣] أشهرها [٤] ، وهو مطبوع [٥] .

وأبو حيان محمد بن يوسف الغرناطى الاندلسي (المتوفى سنة ٧٥٤ هـ) في كتابه (البحر المحيط) [٦] الذي جمع فيه الى الإعراب اللغة والأدب والتفسير والأحكام . وكتابه مطبوع .

وشهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى سنة ٧٥٦هـ)،

---

(١) الوافي بالوفيات ج ٦ مجلد ١ ص ٧٠ – ٧٥ ، وفوات الوفيات ٣٣٥/١، والبغية ٨٧/٢ رقم ١٥٠٦ ، وفيها : اسمه غريب اعراب القرآن ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ١٠٨ رقم ١٧٥، وفيها : أن اسمه إعراب القرآن، وما أثبتناه عن كشف الظنون ١٢٣/١ وعن عنوان الكتاب المطبوع. وانظر ما كتبه الدكتور فاضل صالح السامرائي عن هذا الكتاب في كتابه (ابو البركات ابن الا نباري ودراساته اللغوية) ط ١ ، مطبعة اليرموك بغداد ١٩٧٥ ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) طبع بتحقيق د . طه عبدالحميد طه ، بمطابع دار الكتاب العربي ١٩٦٩ (جزءان) .

(٣) بغية الوعاة ٣٩/٢ ، وفي إنباه الرواة ١١٧/٢ : اعراب القرآن والقراءات، وفي ذيل طبقات الحنابلة ١١١/٢ : البيان ، وفي المطبوعة: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن .

(٤) الاتقان ١٨٠/٢ ، كشف الظنون ١٢٢/١ .

(٥) مطبوع طبعات عديدة ، أنظر : حاشية إنباه الرواة ١١٧/٢، معجم المطبوعات ٢٩٤/١ – ٢٩٥

(٦) انظر طبقات المفسرين للداودي ٢٨٦/٢ – ٢٩١ رقم ٦٠٨، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٧٦/٩ – ٣٠٧ رقم ١٣٣٦ ، طبقات الشافعية للأسنوي ٤٥٧/١ – ٤٥٩ رقم ٤١٤، وفيهما مصادر ، الدرر الكامنة (دار الكتب الحديثة) ٧٠/٥ – ٧٦ رقم ٤٦٩٣ ، بغية الوعاة ٢٨٠/١ – ٢٨٥ رقم ٥١٦ البدر الطالع ٢٨٨/٢ – ٢٩١ رقم ٥٣٤، الوافي بالوفيات ٢٦٧/٥ – ٢٨٣ رقم ٢٣٤٥ ، نفح الطيب ٥٣٥/٢ – ٥٨٤ رقم ٢١٦ ،وقد طبع كتاب البحر المحيط بمطبعة السعادة ١٣٢٨ وبهادشه النهر الماد من البحر، له أيضاً ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذه ابن مكتوم(المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) ، وانظر كتاب (ابو حيان النحوي) للدكتورة خديجة الحديثي ، ط دار التضامن من بغداد ١٩٦٦ م) .

وكتابه اعراب القرآن [1] من أجل الكتب ؛ جمـــع العلوم الخمسة : الإعراب والتصريف و اللغة والمعاني والبيان [2] ، وقد ألفه في حياة شيخه ابي حيان وناقشه فيه كثيراً .

وأبو اسحق ابراهيم بن محمد السفاقسيّ (المتوفى سنة ٧٤٢ هـ) ، وكتابه في إعراب القرآن لخص فيه كتاب أبي حيان وكتاب ابي البقاء ، وسماه : المجيد في اعراب القـــرآن المجيد [3] ، وهو في مجلدات ، وقد لخصه الشيخ محمد بن سليمان الصَّرْخَديّ الشافعي (المتوفى سنة ٧٩٢ هـ) واعترض عليه [4] .

وغيرهم كثيرون كثرة مفرطة [5] .

وهذه الكثرة والتشعب تدل على أن هذه الفنون أخذت تنحو منحى التخصيص الضيق ، فانصرفوا الى ما رسموه ، وتباعدوا عن التفسير بمعناه الواسع ، اذ أخذت هذه العلوم تستقل عن التفسير ، حتى عابوا على ابي حيان في البحر المحيط أنه « سلك سبيل المفسرين في الجمع بين التفسير والاعراب ، فتفرق فيه المقصود »[6].

وتحقيقا لذلك التخصيص أخذ بعضهم يؤلف كتابه لمن هو في مستوى علمي خاص :

قال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (المتوفى سنة ٤٣٧هـ) في مقدمة كتابه (مشكل إعراب القرآن) :

---

(١) بغية الوعاة ٢/١ – ٤ رقم ٧٩٧ ، الدرر الكامنة ٣٦١/١ رقم ٨٤٦ ، وفيها أنه سماه الدر المصون ، وهو في ثلاثة أسفار ، طبقات الأسنوي ٥١٣/٢ ، رقم ١٢١٢ ، حسن المحاضرة ٣٠٩/١ .

(٢) كشف الظنون : ١٢٢/١ .

(٣) انظر : الدرر الكامنة ٥٧/١ رقم ١٤٦ ، بغية الوعاة ٤٢٥/١ ، رقم ٨٦٠ ، وفيهما أن اسم الكتاب : اعراب القرآن ، وما أثبتناه عن كشف الظنون ١٢٢/١ ، وانظر الاتقان ١٨٠/١ ولم يذكر اسمه .

(٤) كشف الظنون ١٢٢/١ .

(٥) كشف الظنون ١٢١/١ – ١٢٤ .

(٦) كشف الظنون ١٢٢/١ .

« ولم أؤلف كتابنا هذا لمن لا يعلم من النحو الا الخافض والمخفوض ، والفاعل والمفعول ، والمضاف والمضاف اليه ، والنعت والمنعوت في أشباه لهذا ، إنما ألّفْناه لمن شدا طرفاً منه ، وعلم ظواهره ، وجملا من عوامله ، وتعلق بطرف من أصوله .... » [1] .

على أن هذا التخصيص أدى الى نضج الدراسات اللغوية والنحوية ، وتبين الآراء والمذاهب فيها ، فقد أصبحت للنحو مثلاً مذاهب مختلفة في الشرق وفي الغرب ، وتفرعت عليها قضايا خلافية كانت ميدانا للنقاش والجدل ظهرت آثاره فيما كانوا يؤلفون .

ولم يخل هذا النضج والخلاف من آثار سيئة في التفسير :

فنجد أن بعضهم أخذ يغالي في آرائه التي يتبناها ، فيحاول أن يطبق ما يؤمن به من نظريات لغوية ، او نحوية ، أو ما شابه ذلك على كتاب الله ، فحكّمها فيه ، ووجّه آياته على وفق ما يذهب .

بل نجد آخرين ينكرون لأجل مذاهبهم النحوية أو اللغوية ما ثبت من القرآءات المتواترة ، أو المعاني اللغوية [2] الثابتة . وهذا باب من القول لسنا بسبيله في هذا البحث ، وله موضع آخر ، وهو يحتاج الى مزيد من التفصيل .

والى جانب هذا الاتجاه التخصصي ، نجد أن كثيراً من المفسرين جمعوا بين التفسير وهذه الفنون ومازجوا بينها فتركوا لنا تراثاً فكرياً ضخماً ، كالذي فعله أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) في تفسيره : (جامع البيان في تفسير القرآن) .

---

(١) مشكل اعراب القرآن ٦٤/١ .

(٢) كشف الظنون : ٢٤٥/١ ، معجم الأدباء (مرغليوث) ٩٧/٥ طبقات المفسرين للسيوطي : ٣٢ طبقات الشافعية الكبرى : ٢٤٠/٥ رقم الترجمة ٤٩٤ وفي هامشها مصادر ، الأعلام : ٥٩/٥ وفيه مصادر ، ومعجم المؤلفين : ٢٦/٧ وفيه مصادر ، وعن مخطوطات الكتاب انظر :
Brockelmann : G. 1 411, 412. S. 1 : 730 , 731

وأبو الحسن علي بن احمد بن محمد المعروف بالواحدين (المتوفى سنة ٤٦٨ هـ) في تفسيره البسيط الذي ما يزال مخطوطاً [١] .

وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) في تفسيره (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) .

وأبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل المشهدي الطبرسي (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) في تفسيره (مجمع البيان لعلوم القرآن) .

وأبو محمد عبدالحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي (المتوفى سنة ٥٤٠ هـ) في تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)[٢].

وأبو عبدالله محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي (المتوفى سنة ٦٠٦هـ) في تفسيره (مفاتيح الغيب) أو (التفسير الكبير) .

وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن ابي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي المعروف بالقرطبي (المتوفى سنة ٦٧١هـ) في تفسيره (الجامع لاحكام القرآن) [١].

وسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (المتوفى ١٢٠٤ هـ) في تفسيره : (الفتوحات الآلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية)[٣].

ومحمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ) في تفسيره (فتح القدير) .

---

(١) وهو كتاب جليل أثنى عليه أبو حيان كثيراً ، وقال : هو أجل من صنف في علم التفسير ، وافضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير (البحر المحيط ٩/١) وقيل كتاب ابن عطية اقل واجمع ، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص (كشف الظنون : ٢ / ١٦١٣) . وقد طبع الجزء الأول منه في القاهرة ١٣٩٤/١٩٧٤ م .

(٢) طبع في عشرين جزءا بدارالكتب المصرية ١٩٣٥ – ١٩٥٠ ومن هذه الطبعة طبعت طبعات احداها بدار الكتب ١٩٥٢ ، والثانية بدار القلم ١٩٦٦ والثالثة بدار الكاتب العربي : ١٩٦٦ .

(٣) مرت الاشارة الى طبعاته في الكلام على كتاب العكبري في اعراب القرآن .

وأبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ) في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني) وغيرهم .

إلا أن أكثر هؤلاء المفسرين قد غلبت عليه صفة ما جعلته ينضم الى نوع من أنواع التفاسير ، كأنْ تغلب عليه صفة الفقه ، او الفلسفة وعلم الكلام ، او المسحة الصوفية ، وغير ذلك مما يخرجها عن عداد التفاسير اللغوية والنحوية .

* * *

مَنابِعُ الإلهامِ والثقافةِ
في الأدبِ العربيّ

الدكتور
عادل جاسم البياتي
كلية الآداب

« هذه دراسة اعدتُ بعد ضمّ طائفة من الملاحظات كنت قد دونتها في اثناء عملي الطويل ، وأنا اكتب سلسلة من الأبحاث العلمية في حقل المعرفة والأدب . وقد جاءت هذه الملاحظات في شكل اضافات جوهرية الى ما سبق أن أعلنته عن ثقافة الأديب العربي قبل الاسلام ، والمكوّنات الأولى لصرح بنيانه المتكامل ، وذلك في محاضرة كانت قد اعدت لهذا الغرض قبل ما يقرب من عشرة اعوام [١] . ولا يخفى ما ينطوي بين التاريخين ، الأمس واليوم ، من تفاوت في الشقة تجعل المرء يراجع استنتاجاته ، ويعيد النظر في بعض مواقفه الفكرية من التراث ، وقد يضيف أو يحذف . ولا يتسع مجال النشر هنا لاستعراض كافة النتائج السابقة ، ومقارنتها بما استجد في اليد من محصّلة اكثر حداثة وفق منظور المعاصرة المتطور ، لكنني عملت جهدي لكي أنقل أجزاء حيّة من الكائن القديم صمدت في وجه رياح التغيير والتطور ، وزرعها في جسد الكائن الجديد الذي أحاول الآن أن أحدد معالمه ووجوده وأبعاده أمام نظر القارئ ».

إن مفهوم « الثقافة » الذي بنيت عليه أسس البحث لم يتغير لديّ بل سررت حين اكتشفت أن مصطلح Culture الانكليزي يوازي مصطلح « ثقافة »

(١) تليت المحاضرة في اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ، ونشرت في مجلة الكتاب التي كانت تصدر عن الاتحاد ببغداد في العدد الرابع لعام ١٩٧٥ بعنوان المنابع الثقافية للشاعر الجاهلي .

العربي في مدلوله القديم ، فيما يتعلق بالأرض وحراثتها وزراعتها . اشار الى ذلك البكري في معجمه حيث قال [1] : « وغرس قسيّ . وهو الأب الأعلى لقبيلة ثقيف ، القضبان فأنبتت ، فقالوا : قاتله الله ما أثقفه ، فسمي ثقيفاً يومئذ » وهي قضبان الكروم . فكلمة ثقافة العربية أصلها ثقافة زراعية ، وكلمة Culture الانكليزية أصلها ثقافة زراعية [2] ايضاً وفي الكلمتين اشارة الى بدء انتقال البشرية من المجتمعات الرعوية المتحركة وبدء ظهور الاقطاعيات الزراعية الثابتة . فالكلمة تعني في اصطلاح العصر الحديث ، كل ما يمتلكه الانسان من وسائل الحضارة في عهوده الأولى ، يدخل ضمن ذلك وسائل استيطانه وادوات عمله ومواد مهنته وخامات التصنيع المعروفة يومئذ . وبذلك يضيق مصطلح البداوة السائد خطأ وينعدم ، فتصبح معرفة الاعرابي في ضرب اطناب سرادقه او خيمته وتأسيس حوض الماء له ولحيوانه واتقان مهنة الرعي والتدجين والتكثير والانتاج في مختلف وجوهه ضرباً من الثقافة . ويمتد ذلك الى الحواضر المختلفة في الوطن العربي حتى تشمل فنون الصناعات الحربية والسلمية ، والزراعة والعمران والمعارف الانسانية الأخرى على صعيدها الديني والاجتماعي كالكهانة والحيازة والعرافة والتزلف للآلهة والعيافة والقيافة والمعتقدات والفلك والطبابة والصيدلة والحجامة ، وعلى مستواها القومي كاللغة ولهجاتها والتاريخ وفروعه والمثل وضروبه والسير الشعبية وانواعها ، وفي حقلها الانساني كالتجارة والأسفار واللقاءات الأخرى . وقد نظر ابن قتيبة الى هذه المناشط الثقافية ومعالمها في الشعر فقال عندما أراد أن يعرف القراء بكتابه الذائع [4] : « وكان حق هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره ، وعمن وضعه بالهجاء ، وعما أودعته العرب من الأخبار النافعة والأنساب الصحاح والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة ، والعلوم في الخيل ،

---

(١) يراجع معجم ما استعجم ١/٦٦ .

(2) Webster'S New World Dictionary By David B. Guralink New York 1961 See (Culture) P. 175.

(٣) الشعر والشعراء ١/٦٣ ، ٨٢ تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .

والنجوم وانوائها والاهتداء ، والرياح وما كان منها مبشراً أو جاثلاً ، والبروق وما كان منها خلباً أو صادقاً ، والسحاب وما كان منها جهاماً أو ماطراً » ويقول في موضع آخر من الكتاب : وكل علم محتاج الى السماح ، واحوجه الى ذلك علم الدين ثم الشعر لما فيه من الألفاظ الغريبة واللغات المختلفة والكلام الوحشي واسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه » .

واطلاق مصطلح العلم على الشعر توجيه صحيح ، فقد كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، وهو مما ذكره الرواة من أقوال الخليفة عمر بن الخطاب (رض) [1] وكان الشاعر عالم القوم كما كان كاهنهم ، ويدخل في مكونات ثقافته ، السحر ايضاً . لذلك لا نستغرب ما روى من أن لبيد بن ربيعة الشاعر ارتدى حلة السحرة وبرز في مظهر « المشعوذين » والقى ارجوزته العينية أمام الملك النعمان ابن المنذر في مهاجاته المعروفة للربيع بن زياد العبسي [2] . ويدخل في عداد المنابع الثقافية ارتباط الشاعر برئي او صاحب من الجن ، وما رافق هذا المعتقد من ارتباط بالعوالم الغيبية والمنطلقات الماورائية سواء ما وراء الغيب او ما وراء الموت أو ما وراء الطبيعة . وقد كان الناس قبل عصر الجاحظ مولعين باغراض الشعر وفنونه وأعاريضه ، مؤثرين ميادينه على سائر الميادين . لكن الجاحظ بما كتبه ، جعل للدراسات النقدية التحليلية وللنثر الفني مكانة في نفوس الناس لم تكن مألوفة ، فأعاد للآداب عامة فاعليتها وللشعر خاصة مكوناته وثقافته . إذ هذا الموروث العظيم ينعكس في عمل الأديب في شكل ثقافة زاخرة تجد صداها في الرؤية الذاتية للشاعر او الكاتب او الروائي او القاص وغيرهم . فنحن بصدد تحجيم المعالم الثقافية المتعددة من خلال الشعر .

---

(١) العمدة ١/٢٧ .

(٢) غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بالامالي للشريف المرتضى ١/١٣٦ تحقيق ابو الفضل ابراهيم – مصر ١٩٥٤ .

وقد تكون للشاعر خصوصية في التعامل مع هذه الخامات ، واعادة بنائها بعد هضمها وتمثيلها ، ثم تقديمها للأمة صيغة جديدة تعبر عن معنى مجرد ، لكنه يرتبط بالقضية ارتباط الجوهر بمعناه ونفاسته وعرقه . أما المعنى المجرد ، فمثاله أن (السيف) لم يعد لدى الفنان سيفاً في صورته الاعتيادية باعتباره آلة للطعن أو القتل ، بل تحول الى رمز شعري يعبر عن قضية . وكذلك الموجودات الأخرى في حجمها المادي او ابعادها المعنوية . وهذه الخصوصية في الشعر تنعدم في غيره، لأن أية ظاهرة اجتماعية او اقتصادية يمكن أن تدرس في ضوء التحديات المتعددة والضغوط المختلفة من بيئة وطبيعة ومناخ وتحولات قسرية ، فتعمل في خلقها وتطويرها وابداعها ، وقد تعمل في اخمالها واضعافها واخفائها ، الا الشعر ، فليس لأنواء الطبيعة ولا ضغوطها المتباينة ولا شمسها المحرقة ، وحتى شمس المناطق الجليدية النادرة ، ولا غناها ولا فقرها ، أية فاعلية في قدرته الالهامية أو نمطه أو مقداره أو قوة أسره . إن أمراً واحداً يظل عاملاً في زخم وفاعلية يغني الشعر ويثري عطاءه المادي . . إنه الانسان العربي عبر تاريخه البعيد وحاضره ومستقبله، هو الصانع الوحيد، يمتزج بأرضه ومناخه و بالطبيعة المتلونة الممتدة من قلب صحارى شبه الجزيرة وسيناء ذات المزاج الثقيل الى اطراف اليمن السعيد ، وحتى البساط الأخضر الممتد من ارض السواد واشجار الأرز فوق جبل لبنان الى دلتا النيل المخصبة الممرعة . لقد لاقت هذه الفرضية صدوداً من بعض المعنيين في حقل المعرفة والثقافة . والناس — كما قيل — اذا وجدوا في البديهيات خروجاً على مألوفهم، وربما تهديداً لما في أيديهم ، قاوموها وحاربوها ، فكيف بالفرضيات ؟ ! ! . . ولدى رجوعي الى فريضتي بالمدارسة والنقد ، وجدت أنني لم أكن واضحاً بالشكل المعقول ، لذلك اضيف هنا بأن المقصود بالانسان العربي عبر تاريخه البعيد وحاضره ومستقبله هو الشاعر وقدرته الإلهامية التي هي من تركيب الخالق في أعماقه يوم ركب اهواءه وأمزجته وطباعه . فالموهبة الالهامية اذ تتفجر ، لا تنظر

الى بيئة بعينها ولا حضارة بذاتها ولا بداوة ايضاً . فحجم العملية الشعرية لا يتأثر ببيئة ولا يتفاوت في حدود الجودة والاتقان بوحي من زمان أو مكان . فالحضارة قد تضيق والشعر يتسع ، وقد تتسع الحضارة والشعر يضيق . مبدأ أقره علماؤنا من قبل . وهذا نص ما قاله ابن قتيبة في مقدمته لكتابه « الشعر والشعراء »[1] (ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصّ به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره ، وكل شرف خارجية في اوله » وقد اثبتت الدراسات الحديثة صحة ما ذهب اليه ابن قتيبة . وكان الجاحظ قد حاول مثل ذلك ، حين أورد ، كأن الجاحظ (٢٥٥ هـ) يرد على ابن سلام (٢٣١ هـ) في نظريته التي لم تستقم له في توزيع الشعر على بيئات ، فقال الجاحظ : « وليس ذلك لمكان الخصب ، وانهم أهل مدر ، وأكالو تمر ، لأن الأوس والخزرج كذلك ، وهم من الشعر كما قد علمتم » ثم يجري الجاحظ المقارنة بثقيف فيقول « وثقيف سكان الطائف ، ناهيك بها خصباً وطيباً ، وهم وان كان شعرهم أقل فان ذلك القليل يدل على طبع في الشعر عجيب »[2] .

لقد ارتبطت قضية الالهام الفني في عصر ما قبل الكتابة بالغيب عن طريق قرين من الجن أو صاحب او رئيّ او شيطان ، وزعموا أن ما يأتي به الشاعر انما هو املاء يملى عليه ، خارج ارادته ، ولا فضل للشاعر فيه سوى أنه واسطة للبشر ، بينهم وبين الغيوب . وتقدم لنا بهذه المناسبة فاتحة كتاب الجمهرة لأبي زيد القرشي معلومات غنية بهذا الصدد[3] . وهي تحدرات ثقافية عرفها الساميون منذ القدم ، حين قرر شاعر منهم بأن الاسطورة المعروفة باسطورة « ايرّا » اي

---

(١) الشعر والشعراء ص ٦٣ .

(٢) مدخل الى الأدب الجاهلي ص ٢٥٠ وتراجع مناقشاته أيضاً .

(٣) تراجع مقدمة كتاب الجمهرة لأبي زيد القرشي التي تعد من المقدمات النفيسة في الدراسات الكلاسيكية والفكر الغيبي .

« إله الطاعون » لم يكتب قصيدتها من نفسه وانما ظهر له الآله في الرؤيا وأملى عليه نص القصيدة ، فلما استيقظ استذكرها ودوّنها دون أن يضيف اليها او ينقص منها شيئاً مما أمــلاه الإله [١] . وقد تسببت هذه الموضوعة الغيبية في اشكال كبير عند نزول معجزة القرآن الكريم ، وذلك حين قرنوا وحيه وتنزيله بما يوحى للشاعر وينزل عليه ، وقد جاء هذا الاختلاط بسبب الالهام الغيبي الآلهي للرسول (ص) والزعم الالهامي للشاعر أيضاً وبسبب لغة القرآن التي حيرت الجمهور بين أن تكون نثراً فنياً أو شعراً دينياً غامض المأخذ ، لم يجدوا له شبهاً في كتاب سماوي أو صحيفة دينية . وقد اوضح القرآن مسألة الوحي الآلهي ، كما اوضح مسألة القرين الشعري حيث ورد قوله تعالى « هل أنبّئكم على من تنزّل الشياطين ، تنزّل على كل أفاك أثيم . . » وهي من سورة الشعراء ، فعرف الناس ـ لأول مرة بعد مضيّ ما يزيد على ستمائة عام من مولد المسيح عليه السلام ـ بان ما ينزل على الانبياء ، انما هو وحي من الله عن طريق ملك كريم وما هو بشيطان رجيم مما ينزل على الشعراء . ثم تظهر قضية (الملائكة والجن والشياطين) وهل كانت من ضمــن موروثات العربي الدينية قبل الاسلام . ولدى الرجوع الى مادة (ملك) في المعجمات ، وجدنا انها لا تسعف بشيء ، لكن مادتي « ألك » و (لأك) تلقيان ببعض الضوء على كلمة ملك (بالفتح) التي تشتق منها (الالوكة) وهي الرسالة ، مما تفيد ببعض الصلة الوظيفية بين الملك وما يحمل من رسالة سماوية . وهذا هو الذي دفع ببعض علماء اللغة أن يعزو كلمة (مألك) الى (ملك) بالفتح ، وانها كانت تعني مخلوقاً اثيرياً من غير الإنس ، ومثلوا لذلك يقول الشاعر الجاهلي [٢] :

ولستَ لإنسيّ ولكن لمألكٍ　　تنزّل من جوّ السماء يصوّبُ

وعند عزو البيت الى الطرماح بن حكيم ـ في رواية ـ يبطل الاستشهاد به .

---

(١) ملحمة كلكامش ص ٢٤ بعناية طه باقر طبعة رابعة ١٩٨٠ .

(٢) اللسان لابن منظور مادة (ألك) و (لأك) . ولفظة الملائكة وردت في شعر أمية والاعشى .

وقد ارتبطت كلمة ملك (بالفتح) مع كلمة (ملك) بالكسر ارتباطاً وظيفياً ايضاً، لأن الثاني يتمتع بتفويض آلهي نعود اليه بعد قليل . ولا عجب في معرفة العرب لكلمة (مألك) التي هي : ملك كريم ، لأن العرب أمة موحدة أصلاً ، داهمها الشرك والوثنية فيما بعد ، وبالأخص معرفة عرب الشمال لها ، فقد كانوا موحدين احنافاً خلاف ما كان الجنوب عليه من التعدد والشرك بحكم تكوينهم الثقافي والجغرافي وصلاتهم الحضارية عطاءً واخذاً مع العالم الخارجي . ويبدو لي ان النزاع التاريخي التقليدي الذي تطرحه كتب التراث، وكانت نهايته على يد كليب ابن ربيعة ثم عملية الانتقام اليمنية بالنيل من (إلّه) كليب المنتصر وذلك بتسليط ناقة البسوس على حمى الإلّه وتلويث قدسيته مما جر حرباً طويلة الأمد ، كان مبعثه هذا التعدد في عبادة اهل اليمن ، والميل الى التوحد في عبادة عرب الشمال الذين كان الصراع فيما بينهم وبالأخص من جانب الأحناف دموياً للقضاء على ظاهرة التعدد التي تطرح التجزئة بوضوح ، والأخذ بالتفريد على الأقل او بالتوحيد أصلاً لأنه يطرح المفهوم الصحيح للأمة ووحدتها . وستنعكس آثار هذه العقائدية (الايديولوجية) على نظامهم السياسي . ومن هنا كان لأبي عبيدة أن يقرر بأنه لم يتوّج معدّي قط [1] أي لم ينصبوا عرشاً وملكاً ، وانما اقتصرت النظم الملكية على القبائل العربية الجنوبية ، فكان ملوك الشمال قحطانيين جنوبيين ، لأنهم من نسل الآلهة أو أنه يستمد سلطته من الآلهة ، فقد كان الملوك ارباباً في عقيدة العرب ، وكان الناس يقدسونهم ، وقد ورد في معتقدات السومريين أن الآلهة كانت تحكم الارض قبيل الملوك ، فاما تبوأت عرش السماء خلفت الملوك بعدها على الأرض ، وفوضتهم سلطة الربوبية في ادارة أمر الناس . وكان الملوك في نظر بعض الاقوام آلهة تعبد ، وقد حاول الملوك في الاصقاع

(١) العقد الفريد ٢/٢٤٤ قال ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء : لم يتتوج معدى قط ، وانما كانت التيجان لليمن ، فسألته عن هوذة بن علي الحنفي فقال : انما كانت خرزات تنظم له . وكان الرسول قد كتب الي هوذة كما كتب الى الملوك .

الشمالية والوسطى أن يحملوا الناس على هذا المعتقد ففشاوا . فكان الملوك يلقون القتل على ايدي الفرسان الثائرين دون رهبة ، حتى ان التاريخ ليروي لنا مقتل طائفة كبيرة منهم على ايدي الشجعان العرب . وان احدهم ليشير بصراحة الى مبدأ التحريم السائد في قتل الملوك ، ثم يعرض جرأته وبسالته في مقارعة الظالمين منهم [1] :

نعاطي الملوك السلم ما قصدوا بنا ... وليس علينا قبلهم بمحـرّم
وكائن ازرنا الموت من ذي تحية ... اذا ما ازدرانا أو اسفّ لمأثـم
وقد زعمت بهراء أن رماحنـا ... رماح نصارى لا تخوض الى الدم

ثم يستطرد في ذكر اسماء الملوك الجنوبيين الذين قتلوا بسيوف قيسية . وكان الالهام الشعري منسوباً لعبقر ، وادٍ في بلاد العرب تسرح فيه الجن ، فعرف الوادي باسمهم « وادي جن‌عبقر » ثم « وادي عبقر » فنسبوا الجنون والعبقرية أو جنون العبقرية الى هذا الوادي ، وكذلك الشعراء فقد نسبوا قرناءهم الى هذا الوادي ، فكان لكل شاعر جني عبقري يتقمصه ويلقى الشعر على لسانه ، حتى رويت لبعضهم في ذلك حكايات ونقلت اخبار ولقاءات غريبة بين الشاعر وقرينه ، حتى اعتقد الناس الى ما بعد الاسلام بأمد طويل أن الشعراء لا يلفظون الا ما يلقى عليهم من قبل عباقرة الجن المتطلعين الى الغيب المستشرفين لأسراره ، وان الشعراء كانوا ينعتون قرناءهم من الجن بنعوت تعزوهم الى البلاغة والفصاحة ، ويشتقونها من طبيعة العملية الايصالية والالقائية للشعر العربي القديم الذي كان يعتمد الرواية في النقل ، فعرف بعضهم باسم قرين فلان من الشعراء مثل (قرين مهلهل) في شعر لسراقة البارقي :

ولقد اصبت من القريض قصيدة ... أعيت مصادرها قرين مهلهل

(١) المفضليات ص ٢١١ (مفضلية ٤٢) تحقيق : احمد شاكر وعبدالسلام هارون – دار المعارف . طبعة رابعة وتراجع قضية قتل الملوك في مقدمة كتاب أيام العرب لأبي عبيدة .

وقال لبيد بن ربيعة في جن عبقر :

ومن فاد من اخوانهم وبنيهم   كهول وشبان كجنة عبقر

ووردت اشارات اخرى الى جن عبقر في شعر زهير وحاتم وغيرهما . وكان اسم الجني الذي اقترن بامرئ القيس يقال له (لافظ بن لاحظ) وصاحب عبيد بن الابرص يقال له (هبيد) ورئي النابغة يقال له (هاذر بن ماهر) وراوية الأعشى يقال له (مسحل) [١] .

وكان ، عند ظهور الاسلام ، لا بد من تغيير لنظرية الالهام الشعري ، بعد أن تلقّى الرسول الوان التهم بصدد ما يوحى اليه ، فأصبح شيطان الشاعر العربي المسلم ملاكاً ، وارتبط الهام بعضهم بالملاك الحامل للرسالة كما في حالة حسان ابن ثابت وقول الرسول (ص) يخاطبه ويحضه على هجاء المشركين «اهجهم وجبريل (روح القدس) : معك » [٢] فألغيت بذلك موضوعة الجن في الاسلام بالنسبة للشاعر الملتزم، وهذا الحديث صحيح ثابت رواه شعبة واورده البخاري وكذلك أحمد في مسنده .

هذا هو العالم الغيبي للالهام الشعري الذي حاولت الثقافات العربية الأولى أن تسمو به لتميزه وتمنحه خصوصيته العقائدية . وقد استمر هذا العالم الاسطوري الشعري (الميثوبي) الساحر الخلاق ممتداً بفضائه الرحب وسمائه الواسعة مغطياً العملية الشعرية طيلة المرحلة التاريخية الحتمية التي مرت بها الثقافة العربية حينذاك، قبل أن تدخل مرحلة جديدة متطورة . ومن هذا المنطلق يأتي حكم الجاحظ سليماً فيما يخص الالهام الفني للأديب العربي ، ناثراً كان ام شاعراً حيث قال « وكل شيئ للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام ، وليست هناك معاناة

(١) تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ص ٨٠ نشر وزارة التعليم العالي العراقية ١٩٧٩ .
(٢) طبقات فحول الشعراء ٢١٧/١ .

ولا مكابدة ولا إجالة فكرة . وانما هو أن يصرف همه الى الكلام ، والى جملة المذهب ، والى العمود الذي اليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالاً ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً . وكان الكلام الجيد عندهم أظهر ، وهم عليه أقدر وأقهر ، وكل واحد في نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر » ورد هذا في البيان والتبيين في الصفحة الحادية والعشرين من المجلد الثالث للطبعة الثانية . وليس القصد من كلام الجاحظ أن الأديب العربي فارغ لايستعين بثقافة ولا يجيل ذهنه بفكرة . وانما ذهب الى ما ذهب اليه المتقدمون في نظرية الالهام الفني ، الا انه خفّف جانبها الاسطوري بقوله أن ما يأتي به الأديب العربي « كأنه الهام » لا يحتاج الى افتعال الألفاظ والعبارات والى جهد الفكرة ، يشير بذلك الى ما نسميه اليوم بالأدب الانشائي ، الا أن الجاحظ ادخل فيه كل جانب من جوانب العمل الأدبي ، فجاوز اموراً نحن اليوم اكثر التفاتاً اليها .

وأفادت مشاهدات بعض المستشرقين، بأن الشعر قد يزدهر في مناطق ذات صيغ حضارية محدودة أو بيئات ذات معطيات جغرافية حادة مثل بقاع الاسكيمو بدو الجليد . لذلك تكون نظرة ابن قتيبة أوسع من نظرة ابن سلام في طبقات فحول الشعراء عندما قرر بأن اقواماً من العرب لم يُعرفوا بالشعر ولا اشتهر بينهم ، لأنهم لم تكن بينهم « نائرة » ، أي فتن ومشاحنات وحروب وثارات تهيج الحماسات والمشاعر . فاذا صح مثل هذا الاستنتاج فهو يشير الى انعدام ضرب من الشعر محصور في هذا المجال من النشاط الذهني ، أما المجالات الأخرى التي يقال فيها الشعر أو يكتب ، فالمناخ يبقى مفتوحاً لها .

اذن كان القصد مما افترضته هو أن أعيد الى الموهبة الشعرية اعتبارها المهدد من قِبَل مَنْ يرى للزمان أو المكان او الجنس فضلاً على الموهبة ، فكان في توجيهه الغاء لدور الإنسان ومكوناته ، وعلى وجه التحديد ، الانسان العربي ،

وبذلك أخفقت ازهى الحدائق وأغنى الرياض والبساتين في أن تجعل عصافير الدوحة أجمل غناءً من تغريد العنادل ، كما لم تمنع الفلوات والقفار اسراب الحمام أن تسجع بأعذب الألحان في العودة الى الأهل والحنين الى الأوطان ، لأن الموهبة خُلقت في اعماقها . إن انتفاء الشاعر عن وطنه يخلق منه حمامةً مسجعةً وان عودته اليه تجعل منه عندليباً مغرداً ، فهو في الحالتين شاعر ، لكن موضوع فنه يأخذ أبعاداً تناسب حالاته ، وهي « حالات » تتحكم فيها مختلف الضغوط . فاختناق الموهبة الشعرية ليس في داخل البيئات الجغرافية المتغيرة وانما يشعر الأديب بالاختناق اذا تغيرت البيئة الثقافية فجأة بعد استقرار ، وقد تكون المتغيرات قاتلة ، فقد خمد صوت الشاعر الجاهلي تميم بن مقبل ، وجعل شعره موقوفاً على بكاء الجاهلية في الاسلام عند شعوره بالغربة الروحية بعد انتهاء مجده الدنيوي في عهد الوثنية ، فهو يذكر « تلبيات الوثنيين في الحج قبل الاسلام ، وزيارات بني عك وحمير وغيرهما للاوثان قبل أن يحل بالديار « قطا الأجباب » يرمز بها للمسلمين ، وهي قطا تحطّ على حافات الآبار المعشبة ، فتنهش العشب وتسبب في ثلم حواشيها :

ومالي لا أبكي الديار وأهلها ... وقد زارها زاور عك وحميرا

أتاها قطا الأجباب من كل جانب ... فنقرّ في اطرافها ثم طيّرا

وزاد من عذابه حين فرق الاسلام بينه وبين امرأة ابيه التي تزوجها على عادة اهل الجاهلية ، اذ يتزوج امرأة الأب اكبر ولده بعد وفاته . وأعقبت ابن مقبل اصوات شعرية متعددة خمدت بعد أن استسلمت جدران مكة وانهارت قلاعها الراسخة امام استبسال العرب الموحدين ، فلاذ شعراء عديدون بالفرار حتى هلكوا ولم يحسس لهم على أثر [1] .

---

(١) المحبر ص ٣٢٥ وديوانه ص ١٢ وكان العرب يسمون الرجل الذي يخلف أباه على امرأته : الضيزن . قال أوس بن حجر :

والفارسية فيكم غير منكرة ... فكلكم لأبيه ضيزن سلف

فهي شعيرة مجوسية . واورد ابن حبيب اسم زوجة ابيه من قول ابن مقبل نفسه ، وكانت تدعى دهماء :

وبهذا ، تصبح جميع موجودات البيئة ، خامات اولية في مكونات الثقافة ، أما الموهبة والسليقة والبديهة ، وكل ما تمنحه يد الخالق للمخلوق فهي الهام للنفس البشرية خارج حدود ارادتها ، يؤكد ذلك قوله تعالى [1] : « ونفس وما سواها فألهمهما فجورها وتقواها » أما الجبال والبوادي والبراري والمدن والحيوان من ناقة وفرس وجمل ، فانها تتحول الى اشارات ورموز ذات دلالات ، يستنشق منها الشاعر ملءَ رئتيه ثم يتمثله في دمه ويمرره عبر قنوات حسه المرهف ووجدانه النابض وخياله الواسع . وان النظر في العوالم الشعرية يكون في درجة من البعد واختراق السجف بحيث يتجاوز الباحث حدود العالم الواقعي الملتصق بالشاعر ، والذي يتناول منه الشاعر خاماته واوليات عمله ليحقق العالم الشعري المنشود ، كما يصنع علماء الفضاء اليوم ، وهم يجمعون من باطن الأرض وظاهرها مواد مركبتهم الفضائية لتنطلق عبر الأثير الى عوالم جديدة . فالشاعر القديم صانع قدير ، فمن هذه المواد الأولية التي يعمل على تجميعها وتصنيفها تخرج من بين يديه صورة وفكرة وحياة . . وها هنا موضع الاعجاز في الشعر الجاهلي إذ تصبح الناقة والجمل والفرس وحجارة الطلل وخيمة القبيلة ودرعها وسيفها ورمحها وكل جرم صغير او كبير من اجرام السماء والأرض حياة وثقافة وفكرة تعبر عن هموم الانسان في الميلاد والموت والخلود والفناء . فلو لم تكن هذه الخامات هي «الحيثيات» التي منها يشيد الشاعر قصوره وقلاعه واسوار مدنه الكبيرة ، فمن اين يأتي بالمواد الأولية المطلوبة . وهذا هو عين الالتزام الذي ننادي به اليوم ، وهو ايضاً الاعجاز الذي نفتخر به . ألم نقل عن القرآن الكريم ، إن من وجوه إعجازه نزوله بلغة العرب ومن عين معانيهم واخيلتهم ومكونات ثقافتهم وتاريخهم وما يحيط بهم ،

= هل عاشق نال من دهماء حاجته ... في الجاهلية قبل الدين مرجوم

وذكر مثلا آخر لمنظور بن سيار الفزاري الذي تزوج امرأة ابيه مليكة وقال فيها :

الا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر ... وقد ذهبت مني مليكة والخمر

(1) سورة الشمس ٤٧/١١

ثم تحداهم أن يأتوا بمثله ، فوقفوا مندهشين الى اليوم ، وهم مَنْ هم لغةً وبلاغة وبياناً ، وقفوا تتوزعهم عوامل الضعف والهوان تجاه هذا الكلام الجليل المعجز ، ولو فتشت في اوليات مواده لوجدتها حديثاً عن حياتهم وحياة حيوانهم : بقرة أو ناقة أو فرس ، ونباتهم وارضهم وتاريخهم وقصصهم واساطيرهم ، وكانوا يعرفونها ويسمعون عنها من ابائهم ، ثم في الشرائع الاسلامية الجديدة التي هي قلب الدين الجديد وسر عظمته وسيرورته .

والشعر الجاهلي يتناول بلغته وموسيقاه هذه الخامات ، وكذلك شرائعه الوثنية وشعائره الرمزية وطقوسه الاحتفالية في المروءة والكرم والشجاعة والخمرة والثأر . ومن هنا ظهرت نظرية البلاغيين والباحثين الاسلاميين في الأساليب والافكار السهلة الممتنعة . فجميع ما في العالم الخارجي من مظاهر الكون والطبيعة والجماد والبشر في امتزاج غريب مع الابعاد الزمنية الثلاثة والمكان وثقافة الأمة ، يتكامل في العقل البناء المثالي للشعر ، وتتوفر في اليد المحصلة العملية له .

ومما يلاحظ على الشعر الجاهلي شدة التصاقه بمظاهر الكون والطبيعة ، وبالجماد أيضاً . أما الطبيعة ، فمنها المتحرك ومنها الساكن الصامت . وأقرب مظاهر الحياة اليه هو الحيوان : الناقة والجمل والفرس والكلب والظبية والطير وحيوان الوحش . ومنها مخلوقات اسطورية كالسعلاة والغول وعنقاء مُغرب ، ومنها أثيرية كالأرواح والجن والشياطين . أما الجماد فتكاد كل ظاهرة طبيعية أو كونية تجد لها موضعاً في الشعر الجاهلي . ففي الطبيعة مسايل المياه ومجاريها ومساقطها والنهران والبحار والوديان والجبال والسهول والهضاب والرمال والحصى والحجارة ، حتى الحجارة المنصوبة في اعماق الصحارى (الصوى) وبقايا الطلول وآثار المدن الراحلة . وفي الكون تتجلى الرؤية العينية له عن طريق البصر ، فاذا توقفت حدود الرؤية البصرية بدأت الرؤية الشعرية للكون ، وقد يستعين الشاعر بالرؤية الدينية الوثنية كالتعبير

(١٨) يراجع كتاب تايلور للدكتور احمد ابو زيد (دار المعارف ١٩٥٨) .

بالبلية ، وهي ناقة ترافق الميت في رحلته الطويلة الى العالم الثاني البعيد بعد أن يبعث وينفض التراب عن اكفانه .

قال جريبة بن أشيم الفقعسي[1] :

يا سعد إما أهلكن فـانـنـي	أوصيك إن أخا الوصاة الأقرب
لا تتركن أباك يعثر راجـلاً	في الحشر يصرع لليدين وينكب
واحمل أباك على بعيـر صالح	وتَقِ الخطيئة إن ذلك أصوب
ولعل لي مما جمعـت مطيـة	في الهارِ اركبها اذا قيـل اركبوا

والهار : الحشر . وقد ورد في البلية شعر كثير ، قال ابو زبيد الطائي يصف نسوة مسلّبات في مأتم فشبههن بالبلايا :

كالبلايا رؤوسها في الولايـا	ما نحات السموم حرّ الخدود

وقد تكون الرؤية دينية لكن غير وثنية كما صورها أمية بن أبي الصلت في النشاط الكوني وحركة النور والظلمة ، ويأتي السؤال : لماذا هذا الاندماج والامتزاج؟ إنه العالم القديم يتعاون كله من أجل الوصول الى اكتشاف السر في حقيقته الغامضة إنه يبحث عن نفسه الغائبة ، وهو يبحث عنها في كل زاوية من زوايا الحياة والطبيعة والكون . فالمدن التاريخية والحصون الأثرية مثلاً والتي وردت في الشعر عكست ثقافة الأديب العربي قبل الإسلام وصوّرت الجوانب العمرانية العربية التي اصبحت بالنسبة للشاعر الجاهلي نفسه تراثاً يستخدمه الشاعر بما يملك من مقوّمات الذكاء والقدرة التعبيرية على الايحاء من خلال قصص التاريخ والعمران[2] فضلاً عن كثير من النصوص التي ابرزت الشاعر العربي قبل الاسلام مناضلاً

(١) مجلة كلية الاداب – جامعة بغداد – عدد خاص بتكريم الاستاذ طه باقر ١٩٧٨ مقالة (بعنوان : المدن التاريخية والحصون الأثرية في الشعر قبل الاسلام) للدكتور عادل البياتي .

(٢) مجلة الجامعة – اصدار جامعة الموصل – العدد الرابع لسنة ١٩٧٩ مقالة بعنوان : نضال الوحدة واثره في الشعر قبل الاسلام ص ١٠ للدكتور عادل البياتي .

ومثقفاً في قضاياه المصيرية ، طموحاً نحو وحدة العرب التي وجدت طموحها الحقيقي في مسيرة العرب الاسلامية [١] ، ثم ثقافة الشاعر العريقة بصلات امته الحضارية بالعالم القديم وبروزها في شعره [٢] .

والانسان بابعاده العميقة أعز منابع الالهام الفني لدى الأديب والشاعر والفنان وبالنسبة للعربي القديم ، كان الانسان ، منفرداً ومجتمعاً ، رجلاً وامرأة ، أشد مصادر الالهام والثقافة التصاقاً بالأديب والشاعر والفنان ، حتى الطفولة بوجوهها المتغيرة وتنوعها بين طفولة الانسان وطفولة الحيوان ، كل هؤلاء يلهمونه في انتصاراته كما يلهمونه في هزائمه وكذلك في حبه وعشقه . وكان الانسان يحرك لواعج الشاعر في الغربة والحنين الى الاوطان . واذا اجملت معاني الالهام الانساني (البشري) للشعراء والادباء والفنانين القدماء العرب ، فان الحـــب أنبل هذه المنابع بما يحمله من معان متعددة وصور متنوعة ومدلولات متباينة . وتفسر ظاهرة الحب بحسب منطلقاتها ، لكنها ، مع ذلك ، تبقى مصدر الهام عنيف للعملية الفنية .
وكما الهمت (الحبيبة) شاعرها ، الهم (الفارس) معجبيه وعشاق نموذجه الفذ ، وألهم (الأمير) ممدوحيه وطلاب رفده وعطائه و (الشيخ) مريديه وطلاب علمه . وبوجه عام تعد الانسانية اروع لوحة موحية للالهام الفني في تاريخ الثقافة العربية الأولى .

وان ما يتصل بالتاريخ الغيبي للأمة ، فان الشاعر يتناول نقطة صغيرة يكثفها في صورة رمز موح خاطف من تاريخ البشر الذين سكنوا بلاد العرب » . . وجودهم الروحي داخل شبه الجزيرة ، وتحركهم في ارجائها ، وتعاطيهم وتعاملهم معها ومع انفسهم ، وانقسامهم وانقسام شعبهم وقبائلهم ثم حروبهم وعباداتهم ، واندثار

---

(١) مجلة كلية الاداب – جامعة بغداد العدد ٢٤ لسنة ٧٩ مقالة بعنوان : صلات العرب الحضارية واثرها في الشعر قبل الاسلام للدكتور عادل البياتي .
(٢) يراجع ديوان النابغة والأعشى والحطيئة .

أمة منهم وظهور أخرى ، وارتقاؤهم في الحضارة ، وهبوطهم في سلم الحياة على اثر نكسة او انهيار او دمار . وهذه اخبار اصطلح المؤرخون الأوائل على تسميتها بقصص العرب البائدة ، وما بقي من الشعر يعطي الماماً بسيطاً بها وبشخوصها ومواقعها أو اسماء الوقعات والأماكن . ولا يعدم الشاعر فكرة ينتزعها او موعظة تتردد في ثنايا الاسطورة ، لكنها في واقعها ذات طابع ديني جديد لأنها مكتوبة بمؤثرات اسلامية ، وانها افتقدت الأصل الوضعي اي اللغوي ، ثم انحلّت في اساوب القصاصين ومصنفي الكتب في العصور الوسطى حيث لم ترد عن العلماء الأوائل الا اشارات واهية حولها ، على عكس قصص « أيام العرب » المروية بلغة علمائها ورواتها الأوائل الذين امتدت اسانيدهم الى ما قبل الاسلام . ومع ذلك ، أصاب الأيام التحريف والتغيير في لغتها ومحتواها ، وهي مسأله طبيعية ، حيث يصيب التغيير كل مظاهر الحياة الانسانية لتناسب شكل الحياة الجديدة . وحتى الأعمال الفصيحة (المثقفة) تتطور (أي تنتقل من طور الى طور) وتتغير الى مأثورات شعبية بسبب ما تتعرض له الأمة من عوامل القهر والقسر والسلب . وقد جرى مثل ذلك على الآداب الاجنبية فتعرضت روايات شكسبير أو حياة جان دارك للتغيير عندما أخذت بعداً شعبياً . وان سيرة عنترة ، وهي وثنية لا جدال ، سُحبت عليها غلالة زاهية من الافكار الاسلامية مع ما يكتنفها من اضافات شعوبية متأخرة .

واستطاع الشاعر الجاهلي ان يعكس لنا من معطيات هذه الأساطير اشكالاً ملحمية مفقودة كالذي فعله الأعشى في قصة زرقاء اليمامة وقصة وفاء السموأل أو ما حاوله الحطيئة في قصة الكرم وما تعمقتها من التحدرات الدينية القديمة لشعيرة الكرم الوثنية قبل أن تأخذ وجهها الاسلامي الجديد ، أو ما فعله النابغة الذبياني وهو يسترجع المأثور (الفلكلور) في حكاية الراعي والأفعى [١] .

(١) الاساطير في بلاد ما بين النهرين ص ٦ ، ٢٨ طبع وزارة الثقافة – بغداد سنة ١٩٦٨

لكن الشكل الفني المتطور ، وهو الوجه الشعري الأصيل ، قد سقط وبقي الجذر الاسطوري ، خلاف ما في ايدينا من الملاحم العربية القديمة (السامية) التي ضاعت كعوبها الاسطورية وبقيت اهراماتها الملحمية الشعرية .

وقد التفت الباحث الاستاذ صمويل هنري هوك في كتابه : « الاساطير في بلاد ما بين النهرين » [1] الى هذه الظاهرة ، فأخذ يصنّف الأعمال الشعرية تصنيفاً علمياً باجراء عماية فرز دقيقة لها ، فردّ الأصول الملحمية الشعرية الى جذورها الاسطورية العراقية (السومرية) ناظراً في الواح الملاحم والاساطير الأولى ، مما ظهر لي فيما بعد أن هذه الجذور الاسطورية هي طقوس دينية تحولت إلى أصول ملحمية كانت في عصرها موسمية احتفالية . واذن فقد اندثرت اساطير العرب الأولى ، وغاب عنها وجهها الملحمي ايضاً ، ولم يحفظ المأثور الشعبي (الفلكلور) الا بقايا أو جذور القصة ، وهو اصلها الاسطوري ، وضاع وجهها الشعري المنشود . ولا نعرف الاسباب المختفية وراء هذا الفقدان ، وان كنا نقرر ، وليس ظناً أو تخميناً ، انها الكتابة ومن ثم الاسلام . فانعدام التدوين أو ندرته وراء اختفاء المدونات ، فاو كانت كثيرة لوصل ، ولو جزء يسير منها . وما ذكره ابن سلام في طبقات الفحول من انشغال المسلمين بالجهاد وبمدارسة القرآن والحديث والسنة وما يشاع من منــع مقاطــع واقسام من الشعر الوثــني ، وما استنتجته دراسات المستشرقين وبوجه خاص، البروفسور يجيس بلاشير ، من تحرج رواية الشعر الوثني ، هي عوامل فاعلة بقوة في اختفاء المرويات .

لقد نفذت على الآداب العربية القديمة ، وبالاخص الشعر ، عملية تصفية أو فرز قاسية جداً ، يلاحظ آثارها في مطالع الدعوة الاسلامية وفي كتاب ابن سلام المذكور ، وكتاب ابن قتيبة (الشعر والشعراء) وكتابات الجاحظ وغيرهم ،

(١) يراجع ايام العرب لأبي عبدة – المقدمة ص ١٦٦ .

يضاف اليها اصلاحات لغوية وعروضية ومعنوية شملت المتون ، تبدو آثارها في كتاب الحماسة لأبي تمام وفي روايات العلماء الرواة وفق منهجهم الجديد للشعر وأعاريضه .

وهكذا لم يبق لدينا من مكونات الثقافة البدائية الا ترجمات رديئة جداً من لغات عربية قديمة في عهود وثنية الى لهجات شعبية في عصور اسلامية . وكان اجدادنا الأقدمون اسعد حظاً منا في وقوفهم على الاساطير السومرية ، أصول ملاحمهم ، ثم خلود ادبهم الى يومنا هذا . أما أجدادنا العرب قبيل الاسلام ، وحتى بعده ، فقد ضيعنا ملاحمهم الأولى ، وكذلك الأخـــيرة ، وضيعنا معها اساطيرها ، وظلّت تتردد في الشـــعر الجاهلي مهزوزة الصـــورة وغامضة ، وتلوح من خلال كلمات الشاعر كأنها اصداء في داخل ذهنه ، كالذي يعيه عن عاد وثمود وطسم وجديس . وبالمناسبة فان قصة طسم وجديس أو(يوم اليمامة) تكاد الواحها تكون شبه متكاملة لدينا ، وتبدأ بنفس الحديث الذي تبدأ به ملحمة كلكامش . وبالامكان وضع جدول مقارنات لتوضيح الدورة الملحمية الثانية لهذه الملاحم العربية ، مع التنبيه الى أن « يوم اليمامـــة » Sycles يكاد يعد مفقوداً بالقياس الى ملحمة كلكامش ، اذ ليس لدينا منه سوى شذرات في بطون الكتب وفي المخطوطات [١] .

ولا أريد أن اطيل فأتحدث عن كل منابع الثقافة التاريخية في الشعر قبـــل الاسلام وارتباطها جميعاً بآدابنا العربية القديمة (السامية) ، فهذا ما لا يتسع الموضع له هنا ، لكنني المّح تلميحاً سريعاً الى ما ذكره هيرودتس مثلاً في تاريخه عن ثورة حدثت في بابل ، تشبه تفصيلاتها قصة الزباء المذكورة وانتقام الوزير « قصير » الذي جدع أنفه ودخل المدينة بجيش أخفاه في جواليق على ظهور الابل ، موهماً انها تجارة ، فاحتل المدينة (تدمر) ، مما يُعدُّ ربطاً لهذه

(١) المنابع الثقافية الأولى – مجلة الكتاب - العدد ٤ لسنة ١٩٧٥ بغداد .

القصة بقصة بابل القديمة التي تسبق قصة (حصان طروادة) بزمن غير يسير . فليست قصة « الجواليق » متأثرة بحصان طروادة ، بل بما سبق . .

وأما الظاهرة الثانية البارزة في المكونات البدائية للشعر الجاهلي ، فهي تنبعث من عبادة هذه الرموز المتجلية في الشعائر الوثنيـــة المتمثلة في المروءة والكرم والوفاء والشجاعة ونصرة الجار والحليف والضعيف والعفو عند الظفر والمقدرة واتلاف المال في النحر والعقر والعتر والخمر ، وما يترتب على كل شعيرة من هذه الشعائر التي انتهت الى الشاعر العربي قبل الاسلام رموزاً دخلت شعره معنى سامياً رفع به قوماً وحط آخـــرين [1] . وفي امكان البحث العلمي الحديث أن يجمع بدقة كل هذه المظاهر ويعيد بناءها متصلة ببعضها ، فيكون بذلك قد اعطى الصورة الكاملة للبناء الاجتماعي ومنطلقاته العقائدية قبل الاسلام ، بالاستعانة التامة بالفكر الاسلامي الجديد وفق مقارنات علمية ثابتة بين العقيدتين . ولم أقف الى الآن على اي وجود مادي لهذه الشعائر ، ولا عثرت لها على اثر صريح في النقوش والكتابات والمخربشات القديمة ، ولا استطعت أن أقف على أصنام تُعزى اليها ، ولست مبتئساً من هذا ولا يائساً لأن آفاق العلم تنفرج كل يوم عن جديد يحمل البشرى لارباب الدراسات الجديدة ، لكن طائفة كبيرة من اصنام القبائل والجماعات وما يرافقها من الطقوس والتلبيات الشعرية تعكس بوضوح ارتباط الجانب الديني العقائدي بالشعر [2] . على أن الموضوعة الدينية في قائمة الثقافات القديمة العديدة للشاعر تعد اشمل هذه الموضوعات الداخلة في اطار المنابع الالهامية . فمن الضروري التنبيه الى طبيعة فاعليتها في تحريك الالهام الثقافي ضمن العمليـــة الفنية ، وذلك لتوَزّع الهاجس الديني في ضمير الفرد العربي قبيل الاسلام بين نوازع وثنية واضحة ، وبين احساسات توحيدية غامضة . فكان العربي القديم

(١) المحبر ص ٣٠٩ .
(٢) الأبيات ضمن معلقة طرفة بن العبد . تراجع المعلقات السبع للزوزني ، والعشر للتبريزي .

وثنياً وموحداً في آن معاً ، تشده الى واقعه طائفة من موروثات العقائد المتروكة في الأرض العربية عن تحدرات توحيدية مغلوبة ، غطت عليها معتقدات وافدة من ديانات وثنية غالبة أو منتصرة ، تتمثل في هذا الصراع الخفي بين الوثني ونفسه ، بما غلب عليه من ثقافة طارئة وما ورث من بقايا (الحنيفية) المطموسة ، فكان ما استقر في أعماقه وما استقبل من رياح الثقافات الدينية الوافدة قد مازج وجدانه الديني واحساسه العقائدي ، وانعكس في صورة من صور التعبير الفني لدى الأديب او الشاعر ، حيث تأخذ الظاهرة شكل عبادة رمزية تتجلى في شعائر وثنية ظاهراً توحيدية باطناً ، تتمثل في المروءة والكرم وما ذكرناه قبل قليل من هذه الشعائر ، أو ما يترتب على كل شعيرة من هذه الشعائر التي انتهت الى الشاعر العربي في موضوعة اجتماعية متوارثة يستخدمها في صيغة من صيغ المديح أوالهجاء وفي مثل هذا التوجيه يمكن أن تدرس حالة الشاعر طرفة بن العبد وفلسفته الغامضة في اتلاف النفس والمال معاً ؛ النفس في الحرب ، والمال في الكرم والخمرة [٢٨] .

الا ايهذا اللائمي احضر الوغـى ... وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
فإن أنت لا تسطيع دفع منيتي ... فدعني أبادرها بما ملكت يـدي
أرى قبر نحّام بخيل بمـاله ... كقبر غويّ في البطالـة مفسـد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشـدد

ويأخذ الصراع الديني شكله الواضح في الشعر ، وبوجه خاص شكل التمرد على الآلهة المنتصرة كما فعل كليب بن ربيعة حين أزاح عنه آلهة العرب الجنوبيين متخذاً لنفسه حمى يحمي فيه إلآه قبيلته (وائل) حتى كان اليوم الذي أقبلت فيه امرأة يمانية استحلّت حرمة الحمى الإلاهي بأن أرسلت ناقتها فتسببت في اهانة إلآه كليب حين داست على بيضات حمامة آمنة لاذت بالحمى ، والحمامة حتى اليوم مقدسة في هذه الأماكن فاعتبر كليب عمل البسوس عملاً ثأرياً لإلآه اليمن

(٢٨) تراجع ايام العرب لجاد المولى وجماعته .

المغلوب ، فثارت حرب محلية بسببها [١] . ومثل ذلك أيضاً وقع لبني عطفان حين تمردوا على آلهة مكة ، فاضطر ظالم بن سعد بن غطفان بن قيس بن عيلان أن يخرج بآلهة الغطفانيين (العزّى) من الحرم المكي وان يستقل بها في حرم غطفاني يقال له (البس) ويعني البيت ، شيده بارض يقال لها (حراض) فاندلعت الحرب بسببه، فقتل ظالم بن سعد في هذا اليوم ، وهدم الحرم الغطفاني على يد زهير بن جناب الكلبي ، وبقي الحارث بن ظالم المري ابنه ينتظر اليوم الذي يستعيد فيه مجد أبيه ، فلم يستطع الا بالعودة الى احضان المكيين انفسهم ، واتخاذ آلهتهم آلهةً لقبيلته، لذلك كان عمر بن الخطاب يقول : « لو كنت مدعياً احداً من العرب لادعيت بني مرة » أي قبيلة الحارث الغطفانية لنسب قديم بين القريشيين وبين المريين ، يذكره الرواة والنسابون في كتبهم ، وهذا النسب هو ما ذكرناه ، قال الحارث يمدح بني لؤي بن غالب حين دخل مكة لائذاً بحرمها وآلهتها

لعمرك انني لأحب كعباً ... وسامة اخوتي ، حبي الشرابا
فما غطفان لي بأب ولكن ... لؤي والدي قولاً صوابا
فلما ان رأيت بني لؤي ... عرفت الود والنسب القرابا
رفعت الرمح اذ قالوا قريش ... وشبهت الشمائل والقبابا
صحبت شظية منهم بنجد ... تكون لمن يحاربهم عذابا
وحشَّ رواحة القرشي رحلي ... بناقته ولم ينظر ثوابا
كأن السيف والانساع منها ... وميثرتي كُسينَ أقبَّ جابا
فيا للهِ لم اكسب أثاماً ... ولم اهتك لذي رحم حجابا

والقصيدة طويلة ، ويلاحظ النفس الديني بالمؤثرات المكية واضحاً فيها ، وذلك كله يعد من صميم المنابع الالهامية والثقافة الشعرية الأولى .

(١) يراجع : الحارث بن ظالم المري لعادل البياتي بمجلة كلية الاداب - بغداد - العدد ١٥ ومجلة الأبحاث - اصدار الجامعة الاميركية في بيروت السنة ٢٦ عام ١٩٧٣ - ١٩٧٧ مقالة بعنوان : نصان جديدان عن الدين في الجاهلية ص ٢٧ للدكتور احسان عباس .

الإمام الغزالي : دراسة في المنهج

الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح

استاذ الفلسفة الإسلامية

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الامام ابو حامد الغزالي ، حجّة الاسلام وزين الدين . أشهر من ان يعرف . فهو فقيه وأصولي ، صوفي وأخلاقي ، متكلم وفيلسوف . خاض غمار العلوم والمعارف الاسلامية : باحثاً ومنقّباً ، مؤلفاً وموضحاً ، ناقداً وموجهاً ، شارحاً ومفسراً ، ترك في بنْية الفكر الديني والفلسفي في الاسلام أثراً استمر حتى اليوم ، وذلك بما عرف عنه من : « أسلوب يتدفق أبـّهة ، ويعكس امكانات : خطيب ورسول وعالم نفس [١] وما اشتهر به من قدرة على المحاكمة العقلية والمحاورة المنطقية التي تؤذن : « بتمكن تام وسيطرة شاملة واصالة وابتكار وفطنة واختيار وهضم وتمثيل »[٢] . وكتابه « الاحياء » وهو اعظم ما ألف ودوّن : « أثر من آثار عبقري ذي عقل متعمق في مجال الفلسفة وعلم النفس وعام الدين على السواء » [٣] .

١– كرادفو (البارون) ؛ الغزالي ، ، الترجمة العربية : عادل زعيتر دار حياء الكتاب العربية ١٩٥٩ / ص : ٦٥ .

٢– مذكور (الدكتور ابراهيم بيومي) : الغزالي الفيلسوف » ص ؛ ٢١٥ (مقالة ضمن كتاب : ابو حامد الغزالي في الذكرى المثوية التاسعة لميلاده – مهرجان الغزالي في دمشق / ١٩٦١ .

٣– عن اهمية فكر الغزالي ، انظر : =

(a) A. S. Wensinck : " La Pensee de Ghazali ", Paris, 1940.

(b) D. B. Macdonald : " Development of Muslim Theology, Jurisprudence, and Congtitutional theory ", London, & New Yourk, 1903.

وفيما ترك من تراث يلمس الباحث ملامح منهج فلسفي رصين ، تشكل في جملتها ومجموعها قواعد هادية للعقل البشري، تقرب كل القرب من قواعد المنهج العلمي والفلسفي الذي ارتبط باسماء فلاسفة الغرب امثال بيكون وديكارت وجون ستيوارت ملّ . وهذا البحث الوجيز محاولة لرصد خصائص المنهج عند الامام الغزالي اولا ، وما انتهى اليه من تصوف وتقرير للكشف والالهام والحدس الباطني طريقاً الى المعرفة – ثانياً .

خصائص المنهج العام :

١ – يؤكد الغزالي على وجوب تجاوز المناهج التقليدية الاتباعية التي مستندها النهائي : الايمان والتسليم بالانقياد لمسلّمات مشهورة وأحكام مسبّقة من غير حجة من منطق أو دليل من عقل وبرهان . ولأ ن : « التقليد قبول قول بلا حجة ، فهو ليس طريقاً الى العلم لا في الاصول ولا في الفروع »[٤] . ويعلل الامام رفضه القاطع للعلم المبنى على التقليد بقوله : « ان الشك ينزرع في

٤– الغزالي (ابو حامد) « المستصفى في علم الا صول » ص / ٥٥ ميز الا مام بين اربع مستويات للمعرفة ؛ الشك والظن والا عتقاد واليقين . اما الشك فهو ان يعتدل التصديق والتكذيب كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله تعالى يعاقبه ام لا . وهو مجهول الحال عندك فنفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ولا نفي بل يستوى عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا . والثاني « ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ، ولكونه امكاناً لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لومات على هذه الحال هل يعاقبه ؟ فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب أكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه ، فهذه الحالة تسمى ظنا . والثالث ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ، ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ، ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة ، اذ لو احسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز ، وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها ، اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع . والرابع ؛ المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان ، الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع الشك وامكانه يسمى ؛ يقينا (احياء علوم الدين ، الجزء الاول ص ؛ ٧٢ – ٧٣) .

طلبه بأدنى عارض من شبهة » [٥] . ولهذا ينعى على المقلد المستسلم للرأي لمجرد السماع او الخبر – فيقــول : « فأية رتبة في عالم الله أخس من رتبة من يتجمل بترك الحق المعتقد تقليداً ، بالتسارع الى قبول الباطل تصديقاً ، دون ان يقبله خبراً وتحقيقاً » [٦] .

ويبدو من كلام الغزالي ان هذا الموقف النقدي كان فيه جبلّة وفطرة منذ صباه وايام نشأته الاولى ، فيقول عن نفسه : « وقد كان التعطش الى درك الحقائق دأبي وديدني من أول امري وريعان شبابي غريزة وفطرة من الله حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة [٧] » .

• وفي هذا التمرد على التبعية والتقليد والمألوف القارّ من الآراء والاحكام التي لا مستند لها سوى الإلف والسماع ، دعوة الى التجديد والابتكار ، وان انتهى ذلك الى مخالفة المشهور الراسخ في النفس بحكم النشأة والعادة . يقول الغزالي: «لعلك تقول: كلامك في هذا الكتاب انقسم الى ما يطابق مذهب الصوفية والى ما يطابق مذهب الاشعرية وبعض المتكلمين ، ولا يفهم الكلام الاّ على مذهب واحد ، فما الحق من هذه المذاهب ... فجانب الالتفات الى المذاهب ، واطلب الحق بطريق النظر : لتكون صاحب مذهب » [٨] .

• ان هذا الرفض القاطع للاحكام المسبقة والآراء المألوفة والمذاهب الشائعة ، قاعدة منهجية هي من اصول المنهج العلمي الذي لا يقر الاّ ما ثبت بالحجة والمنطق والبرهان او بالملاحظة والمشاهدة والاختبار [٩] ومن هــذا المنطلق ايضاً

٥– الغزالي : احياء علوم الدين . ٦٣/١ .

٦– الغزالي : « تهافت الفلاسفة » ؛ تحقيق الدكتور سليمان دنيا ؛ القاهرة / ١٩٦٦ / ص : ٧٤ .

٧– الغزالي : المنقذ من الضلال ؛ مع ابحاث في التصوف ودراسات عن الامام الغزالي / الدكتور عبدالحليم محمود دار الكتب الحديثة القاهرة ؛ ١٣٨٥ / ص / ٧١ .

٨– الغزالي : ميزان العمل ؛ ص / .

٩– راجع في خصائص المنهج العلمي والفلسفي ؛ الدكتور محمد توفيق الطويل : « أسس الفلسفة » دار النهضة العربية ؛ القاهرة الطبعة الرابعة / ١٩٦٤/ص/٢٠٤ وما بعدها .

تصدّى الغزالي لأصحاب المذاهب وأصناف الطالبين للحق ، موضّحاً ومشيراً الى ما في معتقداتهم من مسائل لم تثبت «اعتمدوا على مقدمات تسلـّموها من خصومهم وأضطرهم الى تسليمها إمّا التقليد او اجماع الأمة او مجرد القبول من القرآن والأخبار . وكان اكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلـّماتهم ، وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلاً . ولهذا فليس في علم الكلام : « ما يعين على كشف الحقائق المجردة ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف [١٠] . ويقول عن معارف الفلاسفة في الاسلام انها تحصيلة « تقليد سماعي إلنفي وبحث نظري صادر عن التعثر بأذيال الشُبَه الصارفة عن صوب الصواب وانما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كسقراط وبقراط وافلاطون وارسطو طاليس ، وامثالهم » [١١] .

٢ — إنّ الارتقاء من حضيض التقليد الى ذرى الإبداع مبعثه وداعيته أصالة : الشاك في صدق ما ذاع وانتشر من الآراء والمعتقدات ، ومن ثم فالشك المنهجي وداعيته : الفكر والنظر ، قصد التعرّف على حقيقة الأمر وخالصته ، طريق لمعرفة الحق والوصول الى اليقين وهذه قاعدة منهجية اخرى دعا اليها في أوربا في العصور الحديثة « رينيه ديكارت » حيث جعلها منطلق منهجه العقلي والاستدلالي . يقول الغزالي « الشكوك هي الموصلة الى اليقين : فانّ من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر كان في العمى والضلال»[١٢].

ويقول في المنقذ من الضلال : « ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل العشرين والى الان ، وقد اناف السن على الخمسين اقتحم لجة هذا

١٠— الغزالي : المنقذ من الضلال ؛ ص / ٨٣ .

١١— الغزالي : « مقاصد الفلاسفة » / تحقيق الدكتور سليمان دنيا سلسلة ذخائر العرب القاهرة ١٩٦١ ص / ١١٠ وما بعدها وايضاً ، « تهافت الفلاسفة » ص /٧٤ .

١٢— الغزالي ؛ ميزان العمل ؛ ص /

البحر العميق ، واخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور ، أتوغّل في كل مظلمة ، واتهجم على كل مشكلة واتقحم كل ورطة ، واتفحص عن كل فرقة ، واستكشف أسرار كلّ طائفة ، لأميز بين محق ومبطل ومتسنن ، ومبتدع »[١٣]

• والشك في المألوف القارّ قصد تجاوزه وردّه ، او اقراره وتوكيده ، يفترض دراسة تحليلية وواعية لأصول الفكر موضوع الشاك وجزئياته ، ومعرفة حدوده ، وما يلزم عنه من قضايا وينتج عنه من امور ، دراسة تعتمد المحاورة والمناقشة العلمية الجادة والهادئة معاً ، حتى يتبيّن وجه الحق في المسألة فيثبت ما ثبت عن بيّنة ، ويترك ما يترك عن علم. يقول الامام : «فعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى أعلمهم في اصل ذلك العام ، ثم يزيد علـه ويجاوز درجته فيطّلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة . واذ ذاك يمكن ما يدّعيه من فساده حقاً»[١٤] ويقول في « الاحياء » : ان الحق مرّ ، والوقوف عليه صعب ، وادراكه شديد وطريقه مستوعر »[١٥] .

• ومعروف ان الاحاطة بمدارك الخصوم ومذاهب المخالفين تتطلب صبراً وأناة وتحليلا دقيقاً لعناصر الرأي وأبنيته والتزاماً بالموضوعية التامة Objectivity والنزاهة المطلقة Disinterestedness والحياد التام Impartiality وعدم التهور Precipiation وسوى ذلك من مستلزمات الموقف العلمي . وقد يضطر الناقد ان يستوعب طرفاً من الرأي المخالف ، بل يقيد منه من وجوه . وقـد يضطر الى تثبيت ما فيه من حق ، بصرف النظر عن قائله ومصدره ، ولهذا فلا ينبغي ردّ الرأي بدعوى صدوره عن مخالف بسبب من التعصب " Prejeduce "

١٣– الغزالي : « المنقذ من الضلال » ؛ ص / ٧٠ .

١٤–الغزالي : « تهافت الفلاسفة » ص / ٦٠ .

١٥– الغزالي : الاحياء ص /٦٩ .

او المحاباة Partiality " . لهذا يقرر الامام الغزالي قاعـــدة منهجية رائعة اذ يقول : « الكلام المعقول في نفسه ، المؤيـّد بالبرهان ، ينبغي انْ يقبل ولا يُهْجر بدعوى انه صادر عن المخالف » ، ثم يستطرد في ايراد حجة المتعصبين الذين يزعمون أن الكلام اذا كان مدوّناً في كتبهم (المخالفين) وممزوجاً بباطلهم ، ينبغي ان يهجر فلا يذكر ... لان قائله مبطل فيقول « والعاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول ، فان كان حقاً قبله سواء أكان قائله مبطلا او محقاً . بل ربما يحرص على انتزاع الحق من اقاويل اهل الضلال ، عالماً بأن معدن الذهب الرغام ... فاذا كان الكلام معقولاً في نفسه مؤيداً بالبرهان . ولم يكن على مخالفة الكتاب والسّنة ، فلم ينبغي ان يهجر او ينكر » . فلو فتحنا هذا الباب وتطرقنا الى أن نهجر كل حق سبق اليه خاطر مبطل ، لزمنا ان نهجر كثيراً من الحق ... واقل درجات العالم ان يتميز عن العامّي الغمر ، فلا يعاف العسل وان وجده في محجمة الحجام ، ويتحقق ان المحجمة لا تغير ذات العسل (١٦) . وقد حمل هذا المنهج الموضوعي في ايراد معتقد المخالفين بعض خصومه من «اصحاب الطيلسان وأرباب الهذيان » من أدعياء العلم والمعرفة والدين على التهجم عليه ومعاداته . يقول الامام « أنكر بعض أهل الحق مبالغتي في تقرير حجتهم (الخصم) . وقال : هذا سعي لهم انهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هـــذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إياها (١٧) . وقد بلغت الموضوعية في ايراد حجج المخالفين عنده ان خصومه اخذوا عليـــه ايضاً انه « يورد آراء الخصوم نقداً ويبطلها نسيئة » .

١٦- المنقذ من الضلال ؛ ص / ١٠٩ - ١١٠ وانطلاقاً من هذه الروح العلمية المتزنة لم يشتغل الامام بالرد على مباحث الفلاسفة المنطقية والرياضية باعتبارها موضوعات برهانية على خلاف فلسفتهم الالهية التي جاء الكلام في اكثرها تخميناً ، ولهذا ايضاً اسمى هجومه القادح على فلسفتهم « بالتهافت » اي الكلام المتناقض الذي لا يصدر عن فكر واضح وروية ولهذا يجيء متفاوتا متناقضا ؛ راجع هامش الدكتور محمد عبدالهادي ابو ريده على صفحة (٢١٥) من ترجمته لكتاب دي بور « تاريخ الفلسفة في الاسلام . الطبعة الثانية /١٩٤٩ » .

١٧- المصدر السابق ص / ١١٢ .

٣ - ان للادراك الانساني مستويات متفاوتة ولكل واحد : أداته ووسيلته المتخصصة : « فالتحقق بالبرهان علم ، وملابسته تلك الحالة ذوق ، والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان ، ... فالعلم فوق الايمان والذوق فوق العلم . فالذوق : وجدان ؛ والعلم : قياس، والايمان : قبول مجرّد بالتقليد [١٨]

* وكأني بالغزالي يلخّص دعاوى أصحاب نظريات المعـرفة ويقول : ان بعض المعارف الانسانية حسيّة ووسيلة إداركها الحواس التي تنقل الانطباعات الادراكات الحسية عن عالم الظواهر المادية المتغيرة وهي في نظر الإمام معرفة لا ثقة فيها وإبها ، لانّها لا تكون الا : متغيرة ، متفاوتة ونسبية . وبعض المعارف عقلية ، يدركها العقل بوسائله وادواته ومقولاته ، وهي امّا مبادىء نظرية أولية ، سابقة على التجربة مركوزة في طبيعة العقل الانساني ، واما يحصلها العقل عن طريق الاستدلال والقياس ، بالارتفاع من تلك المبادىء الأولية الى ما يلزم على وجه الضرورة .

ويرى الغزالي انّ وراء العقل وعالم الحسّ والمادة عالم آخر وهو عالم «الحقيقة المطلقة مما لا يمكن الوصول اليه عن طريق الادراكات الحسية او بدليل العقل وطريق البرهان ، بل يكون ادراكه عن طريق : الكشف والالهام « Illumination and Mysticalvision » .

* فالحقيقة الكونية في نظر الغزالي ، أعلى من أن تدركها الحواس، واعمق من ان يحيط بها العقل الانساني المقيد بمقولاته ، ومن ثمّ فان السبيل الوحيـد والممكن للاحاطة بها ومعرفتها على وجه اليقين هو الكشف : « الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الخطأ والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك . بل الأمان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارناً لليقـين ...

١٨- الغزالي ؛ « مشكاة الانوار » تحقيق ابو العلا عفيفي الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٦٤ ص / ٧٨ .

فكل علم غيره ، فهو علم لا ثقة فيه ، ولا أمان معه ، و كل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني [١٩] .

• وهكذا وبعد ان يستعرض الغزالي في كتابه « المنقذ من الضلال » أصناف الطالبين للحق ينتهي الى الاعتقاد بأن الحقيقة التي تتميز بالصدق واليقين والاطلاق هي الحقيقة الصوفية التي طريقها المجاهدة الروحية . فلا العقل ولا الحس ادوات كافية لادراك اليقين إلا انْ يهتديابنور البديهة " Lumen Naturale "[٢٠] ترسم أمامها الطريق وبغير هذا النور يكون الضلال . وهذا النور أمر يقذفه الباري تعالى في سرّ من سلك طريق التطهر " The way of Purgation " وهو ما ستوضحه الصفحات الآتية

خصائص التجربة الصوفية

١ — ان الكشف الصوفي حالة شعورية معاشة " A psychological State " وليست حكماً في قضيه عقلية " A Rational Proposition " تستلزم اصدار حكم عليه سلباً او ايجاباً .

• ويرى الصوفية في كل عصر ومكان ، ان هذه الحالة ممكنة في ذاتها ، غير مستحيلة في طبيعتها ، ومن ثم أمكن الوصول اليها والتحقق بها لمن شاء ، وسلك طريق التألّه ، وتمرس في الفقر والزهد ، واشتغل بالخلوة والعزلة ، الى التأمل الباطني وأدمن التفكير واستغرق فيه . نعم انها نادرة الوقوع ولكنها غير مستحيلة الحصول .

• يقول الغزالي « فمن ظن ان الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة .... فأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هـــذا الطريق وإمكانه وافضائه الى هذا المقصد على الندور ، فانه اكثر حالات الانبياء والاولياء . ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطأوا ثمرته واستبعدوا استجماع

١٩– المنقذ من الضلال ص / ٧٢ .

٢٠– نور البديهة و الضياء الفطري عند ديكارت راجع :

Russell. B : " History of Western Philosophy ", p : 549 ; Eighth Impression, London, 1962.

شروطه . وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذّر وان حصل في حالة فثباته أبعد منه اذ أدنى وسواس وخاطر يشوب القلب » [٢١] . ويقول ايضاً « فإياك ان يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حدّ قصورك ، ففيه هلك المتحذلقون من العلماء ، الزاعمون أنهم احاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو الى إنكار مثل هذه الامور » [٢٢] والى هذه الخصوصية والحكمة المنتخبة اشار من الفلاسفة المحدثين هنري برجسون ان يقول « ولو كان كل الناس او كثير من الناس يستطيعون ان يرقوا الى هذه المرتبة العالية التي يعرج اليها هذا الانسان لما كانت الطبيعة قد توقفت عند هذا النوع الانساني لان هذا الانسان هو في الواقع فوق الانسان . وهذا ما يقال في سائر صور العبقرية ، فهي جميعاً نادرة . واذن فلئن كان التصوف الحقيقي نادرا فليس عن عرض واتفاق ، وانما هو ناتج عن جوهر ذاته » [٢٣] .

٢ — ان هذه الحكمة المؤسسة على التجربة " Experiential Wisdom " والتي هي ثمرة المجاهدة والمعاناة الدائبة والموصولة ، معرفة يقينية " Cirtitude " وادراك مباشر " Immediate Apprehension " وطور وراء العقل Extra Rational وعلم بلا وساطة من عقل او تجريب " Direct " ، وخبرة متعالية « " Extra - Empirical " » بكل ما تحمل هذه المصطلحات من معنى ومضمون ، فهي على حدّ قول الغزالي « معرفة مخصوصة متعلقة المعلومات » [٢٤] ، ومعنى ذلك كله ، انها حالات

٢١— احياء علوم الدين ؛ ١٧/٣ ، (باب الفرق بين الالهام والتعلم) .

٢٢— المصدر السابق ، ٧٢/١ وقارن ابن عربي ؛ الفتوحات المكية /٣٠٣/٢ الباب /٣٧٣ . حيث يفسر قوله تعالى « يجعل لكم نورا تمشون به » النور هو العلم حيث يحصل لصاحب في الخلوة مع ربه ، جلت هيبته ، وعظمت منته ، من العلوم ما يغيب عند كل متكلم على وجه البسيطة لانها من وراء احكام العقل وليست في متناوله ولا طاقته لانها منة الوهاب العليم.

٢٣— برجسون (هنري) منبعا الدين والأخلاق ؛ الترجمة العربية الدكتور سامي الدروبي ومراجعة الدكتور عبدالله عبدالدايم الهيئة المصرية للتأليف والنشر ؛ ص / ٢٢٩ .

٢٤— الغزالي : الاحياء ص / ٦٦ .

شعورية يعانيها ذات مخصوصة ، فهي مدارك وجدانية و ليست من قبيل المتعارف عليه من العلوم والصنائع المكتسبة عن التجربة الحسية أو بحيلة الدليل والبرهان ، انها ليست قضية عقلية او مسألة نظرية يقال فيها انها صادقة او كاذبة ويطالب صاحبها بالدليل على صدقها وسلامتها من التناقض ، بل فهم وذوق ومعرفة لا يعرفها الا من نازل تلك الاحوال ، وحلّ تلك المقامات ولهذا فلا يمكن التحقق من صدقها عقلياً « " Not Capable of Verification " » [٢٥] .

25) Runes. D. Dagobert : " Dietionary of Philiosophy", "Mystieism".

وفرق ان نقول مع الغزالي بان المعرفة الذوقية حالة معرفية خاصة وراء طور العقل ، وبين ان تنتهي هذه المعرفة الى نتائج يأباهاالعقل ويرفضها المنطق ويصطدم بأوليات العقيدة . ذلك ان ثمرة هذه الحالة المعرفية ، برغم انها في غير متناول العقل ، ينبغي ان تخضع في النهاية للعقل ومنطقه . يقول برتراند رسل (المصدر اعلاه ص / ١٣٩) ؛ أن ثمرة البصيرة الباطنة قد تكون مضللة ، لذا لزم ان تخضع للاختبار الدقيق ، بعد ان يزول أثر السكر الصوفي » . وفي هذا يتميز الامام الغزالي عن غلاة الصوفية الذين صرحوا بالحلول والاتحاد ، ودانوا بطرح الشريعة وتكاليفها ، يقول الغزالي ؛ « فان قلت ؛ فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول ! فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى : المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام . . . اما نور البصيرة التي يعرف بها الله تعالى ويعرف بها صدق رسله فكيف يتصور ذمه! انا نريد بالعقل ما يريده (الصوفي) : بين اليقين ونور الايمان؛ وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الادمي عن البهائم حتى ادرك بها حقائق الامور «انظر: الاحياء : ١/٧٨».
والى قريب من هذا ذهب الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ، حيث يقول : « ورغم ان الحدس يتجاوز العقل ، فانه من العقل جاءت يقظته التي رفعته الى هذه المرتبة التي هو فيها ، فبدون العقل كان الحدس سيبقى في صورة الغريزة – والحدس بهذا الاعتبار قوة داركة ، أي للمعرفة ، وبخاصة المعرفة الميتافيزيقية ، « منبعا الدين والأخلاق » ، الترجمة العربية ، ص/٢٤٩ .
ان المعرفة العلمية برغم انها معرفة من الطراز المميز ، الا أن شأنها : التحليل والوصف والتجزئة ، فهي معرفة عن الموضوع تدور حولها وصفاً وتدقيقاً, " we know about the object, we move - all round it. اما المعرفة الحدسية، والتي هي ثمـرة نوع من التـأحد بين الذات والموضوع ، فهي معرفة مباشرة وحضورية :

" We know the object, we inter into it "

وقد استخدم وليم جيمس للدلالة على نوعي المعرفة هاتين مصطلحي :

Knowledge about & Knowledge by Acquaintance.

واستعمل للدلالة عليهما برتراند رسل :

Knowledge by Discription & Knowledge by Acquaintance =

• ولهذا فرق الصوفية وميزوا بين معرفتهم وعلوم غيرهم من اصحاب المناهج النظرية .فسموا الاول:فهماً مباشراً : " Immediate Apprehension " وذوقاً . وقصدوا به : الوقوف على حقيقة الامر وكنهه ، ولا يكون ذلك الا بإلقاء رباني ، واعلام إلَهي " Divine Inspiration " ؛ وسموا الثانية علماً استدلالياً " Deduetive Knowledge " وعرّفوه بقولهم : هو الاحاطة بالمعلوم عن طريق البحث النظري : « فالمعرفة تجربة تعانيها النفس ، والعلم حكم ينطق به العقل » [٢٦] .

يقول الغزالي « واعلم ان بعض مسائلك التي سألتني عنها لا يستقيم جوابها بالكتابة والقول . انْ تبلغ تلك الحالة تعلم ما هي ، والا فعلمها من المستحيلات لأنّها ذوقية وكل ما يكون ذوقياً لا يستقيم وصفه بالقول : كحلاوة الحلو ، ومرارة المرّ لا تعرف الا بالذوق » [٢٧] ويقول في الاحياء : « واما الكتب

= وقد استخدم فلاسفة القرون الوسطى لهما مصطلحي
" Natural knowledge & Connatural "

انظر لمزيد من التفصيل والشرح :

1) Bergson, H : " Introduction to Metaphysics ", rev. ed ; T. E. Hulme, Eng ; Trans ; p : 1 (1963).
" Creative Evolution ", A. Mitchell, Eng ; Trans, p : 176 (1911).

2) Brennan ; J. G. " The Meaning of Philosophy ", pp ; 167 - 169 (Happer & Brothers, N. Y ; 1953.

3) Ency ; of philosophy, The Article : " Intuition", Vol. 4/pp : 204 - 212.

٢٦– انظر الجرجاني ؛ التعريفات مادة «الا لهام » ، وكذلك الكاشاني ؛ « اصطلا حات الصوفية» ؛ « الالهام » . وقد ميز ابن عباد النفري الرندي بين العلم والمعرفة بقوله (وان شئت قلت هما ولايتان ؛ ولاية دليل وبرهان وولاية شهود وعيان ؛ فولاية الدليل والبرهان لأهل الاعتبار ؛ وولاية الشهود والعيان لأهل الاستبصار (انظر المناجاة العطائية بآخر شرح الرندي على الحكم ١٤/٢ ، بولاق ١٢٧٨ . وهو ما يسميه السهروردي الحلبي (مجموعة في الحكمة المشرقية – تحقيق هنري كوربان ؛ اسطنبول – مطبعة المعارف ١٩٤٥) . بالحكمة البحثية النظرية والحكمة الاشراقية الحضورية الكشفية ص ٣٠٧ وما بعدها ، وراجع ابو العلا عفيفي « التصوف الثورة الروحية في الاسلام ص / ٢١٣ .

٢٧– الغزالي : « رسالة ايها الوليد » النص العربي مع الترجمة الفرنسية لتوفيق الصباغ . الطبعة الثانية بيروت / ١٩٥٩ ، ص / ٢٧ ، ويضيف الغزالي في « مشكاة الانوار » الى ذلك قوله : « والى « ولو اجتمع العقلاء كهم من ارباب الذوق على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه ». =

والتعليم فلا تَفي بذلك ، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والحد انما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة " Constant Awarness of God " ، ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة ، والجلوس مع الله عزوجل في الخلوة ، مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع الى الله تعالى عما سواه ، فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف » [٢٨] . ويقول في « المنقذ من الضلال » : « فابتدأت بتحصيل عامهم (الصوفية) من كتبهم مثل قوت القلوب لابي طالب المكي وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي حتّى اطلعت على كُنْه مقاصدهم العلمية ، وحصلت ما يمكن تحصيله عن طريقهم بالسماع . وظهر لي أن أخصّ خصائصهم : ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدّل الصفات » [٢٩] .

* ومن ثم ، اذا اريد التحقق من صدق هذه التجربة الروحية فليس أمام الصوفية إلاّ ان يشيروا الى الطبيعة الذاتية لهذه المعرفة ، وانها ثمرة مجاهدة فردية تخوضها ذات مخصوصة بعينها . ومن هنا ورد على لسانهم في الاستشهاد على صحة مشاهداتهم : « من ذاق عرف » . ويسوق الصوفية احياناً دليلاً تأريخياً يستشهدون به على صدق التجربة الصوفية وانها ممكنة وحاصلة فعلاً وذلك بالاشارة الى « عالمية الظاهرة » [٣٠] وانها من الأمور التي عرفتها الدوائر

= هذا المعنى يشير ابن خلدون (المقدمة – الفصل الخاص بالتصوف /ص/٣٧٣) اذ يقول « ليس البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق ردا او قبولا اذ هي من قبيل « الوجدانيات » ولمزيد من الايضاح ، انظر كتابنا ؛ «نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها في الاسلام» ص/١١٥ وما بعدها .

٢٨– الاحياء : ٧١/١ والالهام هو ما يلقى في الروع بطريق الفيض ، وقيل الالهام ؛ ما وقع في القلب من علم ، وهو يدعو الى العلم من غير استدلال بأية ولا نظر في حجة ؛ انظر الجرجاني : « التعريفات مادة الالهام » .

٢٩– المنقذ من الضلال ص ٦٠ .

٣٠– وهذا التشابه والتماثل في المذاقات والفهم خلق بدوره مشكلة تاريخية معقدة امام الباحثين عن الاصول التاريخية للتصوفات المختلفة فانساق كثيرون – في تجاهل تام لهذه الحقيقة يربطون اصول تجربة صوفية معينة في دائرة دينية مخصوصة باخرى سابقة عليها زمنيا بدعوى التأثر والأثر وكل ذلك وهم وخطأ ، من حيث ان أنصار هذا المنهج الظاهري لم يدركوا ما أدركته الصوفية في كل عصر من أن وحدة الحال والمقام ينشأ عنها لا محالة وحدة وتماثلا في المذاقات ولغة التعبيرعنها . يقول ابن خلدون (شفاء السائل / ص ٨٨ تحقيق الطنجي) « كل واحد =

الفكرية والحضارية وفي مختلف الازمنة والعصور، وعلى تباين المستويات الفكرية. والى هذا التماثل الذي يصل ويقترب احياناً حد « التطابق » في المذاقات والمشاهدات، يشير الغزالي بقوله : « وقد يقع الحافر على الحافر » .

٣ – ان الكشف الصوفي معرفة وهبية في صورة إعلام إلهي وإلهام ربّاني، فهي منح وعطايا يغرفها الصوفي الذي اتصل بالله تعالى من بحر العطاء الذي لا ينتهي مدده. هذه والمعرفة تتميز بانها لحظية ومفاجئة" Instantaneous " تغلو وتروح تلبث حينا ثم تختفي قد تتبدّى في صورة لوامع ولواقح خاطفة، وقد تستقر فتصبح حالة معرفية ثابتة. فالتجربة الصوفية منازلة فيها : إقدام وتقهقر، ارتقاء، وهبوط، هجمة نحو الامام، وتراجع الى الخلف، ولهذا شبّه الصوفية طريقتهم « بالأودية والعقبات » (٣١) التي تكتنفها صعاب واهوال، ومخاطر واحباط لا يقوى على مجابهة صوارمها الا القلّة والصفوة، من أصحاب الارادات القوية القادرة على « ضبط النفس ومراقبة الانفاس » (٣٢) .

٤ – ان مضمون هذه المعرفة ومفرداتها ما لا يمكن التبعير عنها بالالفاظ « Inexpressible » فهي بطبيعتها تستعصي على اللغة العادية من حيث

= منهم عبر عما وجد وينطق بحسب مقامه ؛ انظر :

Happold. F. C. " Musticism ", A study and Anthology Penguin Books 1979, p : 54 .

وعن تاريخ وجذور التصوف الاسلامي واصوله الاولى، راجع :

a) R. A. Nicholson : " A literary History of the Arabs", Cambridge University press, 1962, pp : 384 - 392.

b) E. G. Brown : " A Literary History of Persia", Cambridge, 1928, Vol. : 1, pp : 418 - 425.

٣١– راجع ؛ فريد الدين العطار : « عطار نامه » دراسة وتحقيق للدكتور احمد ناجي القيسي حيث يشبه العطار الأنفس السائرة صوب المعرفة اللدنية بسرب من الطيور التي تقتحم أودية وعقبات وتواجه في طيرانها الأهوال والمصاعب وهكذا يتخلف منها قسم ويهلك قسم ولا يصل الغاية والنهاية الا القلة القليلة المتدرعة بالصبر والشجاعة (السيموغ) ؛ الفصل الثاني، ص/٥٢٤ وما بعدها (بغداد/١٩٧٨) .

٣٢– تعريف للتصوف ورد على لسان شيخ الصوفية « أبو بكر الشبلي » المتوفى سنة / ٣٣٤ هـ، راجع نيكلسون ؛ « في التصوف الاسلامي وتاريخه »، ص / ٣٨ .

ان اللغة أداة لوصف الخبرة الحسية المادية فلا تتكيف بيسر وسهولة للتعبير عن مضمون التجربة الروحية الغنية الثرية والعميقة ، ولهذا فليس أمام الصوفي الا ان يصطنع لنفسه لغة مخصوصة وهي لغة رمزية حائرة واسلوبها مستتر وغامض ، من حيث ان الرمز يخفي بقدر ما يظهر : فهو خفاء ووضوح معاً وفي آن واحد [٣٣] .

* كذلك فان المعرفة الصوفية من حيث انها معرفة ذوقية ومباشرة فمن الواضح انها مما لا يمكن الاطلاع عليها اي نقلها الى الآخرين، فهي بخصوصيتها ليست مما يقع في نطاق العلم او الوصف بالالفاظ « فيضيف عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر ان يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز منه » [٣٤] . يقول نيكلسون في دراساته القيمة عن « التصوف الاسلامي وتاريخه » : « ان صوفية الاسلام – وشأنهم في ذلك شأن الصوفية جميعاً . يدركون ان الغاية التي يتجهون الى تحصيلها من الطريق الصوفي ليست مما يقع في نطاق العلم او الوصف بالالفاظ ، فليس لغير من يتذوق احوال الصوفية ان يفهم هذه الاحوال وليس لهم انفسهم الاّ ان يتذوقوها أما الوصف فيقصر دون التعبير عن هدف الصوفي وان كان لا يقصر عن وصف طريق السلوك الى هذا الهدف من اوله الى آخره» [٣٥] . وقد تصل التجربة الروحية مبلغا من العلف والعمق بحيث تنتهي كلية الى كلل اللسان ، و لهذا ورد على لسان الصوفية قولهم : «من عرف ربه كلّ لسانه» [٣٦]. ولهذا ايضاً جعلوا الخرس Ineffability العلامة الثانية المميزة على صدق التجربة الباطنية ،

33) Happold · op. cit. ; p : 69.

٣٤– الغزالي : « المنقذ من الضلال » ، / ص ١٢٩ .

٣٥ –نيكلسون (ارنولد) : «في التصوف الاسلامي وتاريخه» ؛ الترجمة العربية للدكتور ابو العلا عفيفي، ص٩٧

٣٦– الاحياء : ٢٥/٣ (باب شواهد الشرع على صدق طريق اهل التصوف) ويقول محمد اقبال : (تجديد الفكر الديني في الاسلام – الترجمة العربية – ص /٢٨) ؛ وبما ان المعرفة الصوفية معرفة مباشرة فمن الواضح أنه لا يمكن ان يطلع عليها ، اي نقلها لانسان آخر وذلك لان الحالات الصوفية أشبه بالشعور منه بالتعقل) .

يقول الشيخ الاكبر ابن عربي « والعلامة الثانية « الخرس » بحيث انه لو اراد النطق بما رآه لم يقدر »[٣٧] . وهذه العلامة هي ما يسميه وليم جيمس بـ « الاستعصاء على التعبير » ويقول عنها فتجنشتاين » ما هو ثمــرة تجربة صوفية لا يمكن التعبير عنها »[٣٨] .

ان التحقق بالمعرفة اليقينية يسبقها في العادة حالات من الشك والقلق والتشتت الذهني « والشعور بالاغتراب والاضطراب في الراحة .
"Restlessness - Uncertainty and Mental Stress" وهو ما يصطلح عليه الصوفية « بالليالي المظلمة " Dark - Nights " »[٣٩] .

• وقد وصف الغزالي هذه الحالة بقوله : « فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الاخرة ، قريباً من ستة اشهر اولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة وفي هذا الشهر جاوز الامر حدّ الاختيار الى الاضطرار . اذ اقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت اجاهد نفسي ادّرس يوماً واحداً تطييباً لقلوب المختلفة إليّ فكان لا ينطق لساني بكلمة واحدة ولا

٣٧- ابن عربي « فصوص الحكم ص/١٦٦ تحقيق ودراسة للدكتور ابو العلا عفيفي دار الكتاب العربي/١٩٤٦/بيروت .

(38) James (William ; The Varietes of Religious Experience", pp ; 380 - 381, Also ; Wittgenstein. Ludwig : " Tractatus ", Proposition : 6 : 522.

ومصطلح التصوف Mysticism يرتد في جملة اللغات الاوربية الى جذر الفعل اليوناني " Moù الذي يعني كم الافواه او العيون - Close eyes or lips " ولهذا انصرف أعاظم الصوفية في كل عصر وزمن الى تأسيس؛ طرق للحياة معاشة تتخذ صورة أخوة دينية لها سنتها وتقاليدها، علها تفصح عما قصرت عن التعبير عنه الالفاظ والعبارة الشارحة ؛ انظر :
Russell ; op ; cit ; p : 123.

(39) Happold ; op. cit : p : 52.

استطيعها البتة حتى اورثت هذه العُقْلة في اللسان حزناً في القلب بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب ... ثم لما احسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابني الـــذي يجيب المضطر اذا دعاه » [٤٠] .

• ويعقب هذا الاضطراب في الراحة انقلاب روحي يكون مفاجئاً وعنيفاً وهو ما يصطلح عليه الصوفية بالتوبة والانابة **Conversion** تنتهي بولادة معنوية جديدة للانسان **" A complet Transformation or Transmutation of personality "** « فصحوة شعورية وحضور تام ويقظة وتنبّه يصحبه : الكشف والالهام فاليقين . وهذا التشتت الذهني والقلق النفسي الذي يسبق ويمهد للوصول الى اليقين ، هو ما حمل خصوم الصوفية في كل عصر وزمان الى ان يصفوا الحالة الصوفية بانها : حالات مرضية وظواهر نفسية غامضة . [٤١] .

" Neroasthinia, obscure psychological states and Nervious dibility"

بل ذهب بعضهم الى وصفها بانها حالات جنون مزمنة « **" A common Symptom of insanity "** » [٤٢] في حين يرى الصوفية انها حالات تسبق وتمهد لانتقال النفس من السكوني الى الحركي ، ومن الحياة العادية الى الحياة الصوفية الكاملة ، يقول برجسون « حالات الوجد والرؤى والبهجة حالات غير عادية وهي حالات عارضة ، استباق وتمهيد لحالة الصحو التي تليها .وكونها شبيهة بالحالات المرضية بل مشاركة فيها احياناً كل ذلك نفهمه بسهولة اذا فكرنا

٤٠- الغزالي : « المنقذ من الضلال» ص/١٢٦ .

(41) Luba (   ) " The psychology of religious mysticism", Harcourt Bace & Co; 1952.

(42) Russell. B : "History of Western Philosophy", p. 7.

في الانقلاب العميق المفاجىء الذي يقتضيه الانتقال من السكوني الى الحركي ومن المنغلق الى المفتوح، من الحياة العادية الى الحياة الصرفية ثم يستطرد قائلاً: « وهذا الاضطراب في الراحة هو الذي يميز ما نسميه بالتصوف الكامل[٤٣] » .

٦ – ان الشرط الاساسي والجوهري للتحقق بالمعرفة الكاملة ، يستلزم ضرورة اختصار المسافة بين العالم وموضوع علمه بل محاولة الغائها كلية مما يستوجب نوعاً من التأحد بين الذات وموضوع الادراك " Overcoming the duality of Subject and Object وهـــو ما يصطلح عليه الصوفية بـ« اتحاد العالم والمعلوم – the Unification of the " Known and Knower ، فلا معرفة بدون هذا التأحد » [٤٤] بل يغدو الجهد الروحي بغيره مجرد صورة خارجية جدية لمسعى لاطائل من ورائه .

وفي هذا تختلف التجربة الصوفية عن المذاهب المثالية والواقعية التي اقامت فصلاً وتميزاً حاداً بين الذات المدركة والعالم المادي الواقعي ، عالم الخبرة الحسية على اختلاف بينهما في تصور أسبقية طرف على طرف . ففي حين علق المثاليون وجود الطبيعة المادية على وجود العقل الذي يدركها ومن ثم قالوا بأسبقية الفكر على المادة ، ذهب الماديون والحسيون الى ان وجود الاشياء المادية مستقل عن

٤٣– برجسون (هنري) منبعا الدين والاخلاق ص/٢٤٥ – ٢٤٦ وهذه الحالة شبيهة بما يصطلح عليه في « علم الجمال » بمرحلة التفريخ ؛ " Incubation " التي يختفي فيها التفكير الشعوري الواعي . فهي فترة ركود وراحة تمهد لمرحلة الكشف او الابداع الفني ، انظر الطويل ؛ « اسس الفلسفة » ، ص /٤٨٠ .

٤٤– وانظر الاملي (حيدر) رسالة نقد النقود في معرفة الموجود « ملحق بكتابه » جامع الاسرار ومنبع الانوار ، تحقيق هنري كوربان وعثمان اسماعيل يحيى ، طهران وباريس /١٩٦٧ ص / ٦٢٥ .

العقل الذي يدركها ، ومن ثم قالوا بأسبقية المادة على الفكر ، فلا شيء في العقل مما لم يسبق وجوده في عالم الظواهر المادية .

• اما التجربة الصوفية فتفترض بداءة أصلا من دعوى : وجود علاقة صلة وانتماء وشيجة بين معين الذات الانسانية الباطنة وبين الحقيقة الكونية الواحدة والمطلقة وان المعرفة الكاملة ، التي لا يرقى اليها شك او خطأ ، أداتها ووسيلتها « المعاينة والمشاهدة والاتصال بين الذات العارفة وبين موضوع المعرفة . ولا يقصد بالاتصال هنا : الاتصال بين الذوات والاعيان والجواهر مما ينتهي الى القول بالحلول والاتحاد ، وانما القصد الاتصال بين الذات العارفة ، وبين مصدر المعرفة الحقة وهو الله تعالى ، اتصال مشاهدة ومعانية ينتهي الى العلم الحقيقي ، الذي هو « غاية السالكين ومنتهى سير السائرين » [٤٥] .

• يقول وليم جيمس « قد يسمّى ذلك الشعور بالانسجام مع الآله الذي يميز أعلى مرحلة من مراحل الشعور به ، وحدة واتحاداً معه ، وهكذا يمكن ان ينشأ مذهب اتحاد من احشاء مذهب التأله ؟ لكن ذلك الشعور بالاستسلام النفسي وبالاتحاد المطلق ، من ناحية عملية بين المرء وموضوع تدبره المقدس يختلف كل الاختلاف عن اي نوع من انواع الاتحاد في الجوهر . اذ لا يزال الموضوع هنا — الذي هو الآله — والذات المدركة — الذي أنا — شخصين متمايزين — فلا يزال هو موجوداً خارجاً ، احسّ بوجوده خارجاً . واعلى درجة من الاتحاد معه تكون في نفس الوقت اعلى مرحلة من الشعور بأنني : حقيقة موجودة ، اختلف كل الاختلاف عن ذلك الموجود المقدّس الذي يملأني روعة وجلالا » [٤٦] .

والمشاهدة والمعاينة وما يصحبها من كشف والهام تمثل ذروة التجربة

٤٥— ابن عباد الرندي شرح الحكم العطائية ٤٢/٢ ، ويزيد الامر وضوحاً بقوله « وصولك الى الله وصولك الى العلم به ، والا جل ربنا ان يتصل به شيء او يتصل هو بشيء » .

٤٦— وليم جيمس : ارادة الاعتقاد ، الترجمة العربية ١٠٢/٢ .

الروحية وسنامها،وهي ايضاً الغاية والنهاية في رحلة النفس الانسانية عبر المقامات والاحوال " Spiritual Stations and States "[٤٧] ، حيث عندها يفنى وجود الانسان المعنوي في بحر الوجود المطلق ، وتتجاوز الذات العارفة تقييدات الزمان والمكان " Spatio - Temporal Forms " لتعود نفساً مطلقة " Transcedental Ego " .

ان تسلق النفس الانسانية مراقيَ هذه المقامات الشعورية العليا ، يستلزم مرورها في اثناء التجربة وخلالها بمراحل اساسية ثلاث ، تتابع في سلّم السمّو الروحي ، اصطلح الصوفية عليها بـ :

أ – مقام الصحو الاول،وهو مقام الفرق والتمييز والحياة العادية والاعتيادية

ب – مقام الفناء ، او مقام الجمع ، وهو مقام الشُكر والجذب والشطح وذهاب الوعي والشعور .

ج – مقام الصحو الثاني ، او : الفرق بعد الجمع ، او جمع الجمع وهو مقام البقاء ، والحياة الصوفية الكاملة .

اما المقام الاول :

فيمثل حالـــة الانسان العادية والاعتيادية وفيها تكون الذات مالكة لشعورها ووعيها قادرة على الفصل والتمييز بين عالمين ، عالم المادة ، في صيرورته ، وسيلانه المستمر ، وفي تنوع افراده وما فيها مـــن تباين وتعدد واختلاف Finiteness-Impermanancyand Muliplicity وبين عالـــم الالوهية المطلق،

٤٧– سمي المقام ؛ مقاماً لثبوته واستقراره ، وسمي الحال حالا لتحوله وتغيره ، وما للعبد فيه جهد يدخل في باب المقامات وما يقاضي عليه من لدن الله – تعالى – فينقله درجة بعد درجة في رحلة السفر اليه تعالى ، يدخل في باب الاحوال . فالمقام مستقر مكتسب والحال موهبة من الله تعالى وهو متغير . والمقام فيه طلب ومعاناة وتكلف اما الحال فمواهب ترد على القلب من غير تعب ولا اجتلاب ، انظر ؛ السراج الطوسي ، اللمع ص/٦٥ القشيري ؛ الرسالة القشيرية ص/١٨٦ السهروردي ؛ عوارف المعارف ٤٦٩ .

حيــث لا كثرة ولا تعــدد ولا اختلاف ، بــل وجــودٌ واحدٌ ازليٌ أبديٌ ، لا يعرف الكون والفساد " Absolute Oneness " وفي هــذا المقام ، مقام العقل والخبرة الحسية بمقياس الكمّ والحاضر والمباشر تقف الذات في مقابلة الموضوع على وجه النقيض ، ووجود هذا البون الشاسع بين الذات وموضوع الادراك ، تبقى النفس الانسانية في نظر الصوفية أســيرة « العقل الضعيف ، والفكر الركيك » [٤٨] .

ب ــ اما المقام الثاني : فهو مقام الفناء " Innahilation " فناء الذات واستغراقها بالكلية في الحقيقة المطلقة عن طريق اختصار بل وإلغاء المسافة الفارقة بين طرفي الوجود : المطلق الثابت والنسبي المتغير :

" There should be no distance between the Subject and Object "

وهذه حالة غير عادية " Extra-Emperical " تتعطل فيها الحياة الشعورية والعقلية ، ويذهب الوعي ويختفي ، يفنى شعور الصوفي بذاته وبالعالم من حوله " The Complet dissolvement of Self into Nothingness "

فلا يشهد الفاني في الوجود الا الواحد ، والواحد في هذا المقام يتبدّى للصوفي الفاني المستهلك في صورة ذات تعشقها النفس ، وتجد لذتها في صحبتهــا وعذابها في غربتها عنها ، وجهلها في انفصامها منها ولهذا سمي المقام بــ (الاصطلام) اصطلام المحبّ الفاني في عشقه بنار الحب ، يغيب الصوفي المستهلك بموجوده عن وجوده ، وبمعبوده عن عبادته وبمشهوده عن شهادته ، وبمذكوره عن ذكره فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل . وهذا كما يحكى ان رجلاً كان يحب آخر ، فالقى المحبوب نفسه في الماء فالقى المحب نفسه خلفه ، فقال : انا وقعت فلم وقعت انت ؟ قال : غبت عني ، فظننت

٤٨- الاملي ؛ المصدر السابق .

أنك أنّي » [٤٩] . وهكذا فان المقام يستلزم: تضاؤل ذاتية العبد حتى تتلاشى نهائياً من خلال عملية تحول نفسي وشعوري هائل ثري وعميق وعنده يتسامى الوجود الانساني المحـدود الى سماء الوجـود الآلهي غير المحدود « " The Absorbtion of the Empirical in the Divine " دون ان تحدث هذه العملية الفائقة والغريبة اي تغير في حقيقة الذات الآلهية المطلقة وكمالها اللانهائي ولكـن التغيير هو ما يحصل للانسان في هـذا المقـام الشريف انه الآن انسان رباني " Absolute-Self "من قبل انساناً فقط Relative - Self [٥٠]

وهكذا فان فكرة الفناء تقتضي تجاوز النفس الانسانية تقييداتها من اجل ان تكون قادرة على ادراك المطلق ، فكأنّ الفاني يقول : اذا اردت الاحاطة بالمطلق فليس امامك الا أن تكون في نفسك : ذاتاً مطلقة وعنده لا يبقى موضوع

٤٩- ابن تيمية ؛ الرسائل والمسائل ؛ ٨٢/١٥ ابن القيم ؛ مدراج السالكين ٨٠/١ . وهذا الاستغراق بالكلية في « الواحد » كان الغاية والنهاية في الفلسفات الهندية القديمة وبخاصة في الديانة البوذية وهومايصطلح عليه بـ : " Shin Jin Datsu Raku "
انظر المقال الممتاز لـ : -
Toshihiko Izatsu : " The Basic Structure of Metaphysical Thinking in Islam", pp : 51 - 55 (Collected papers on " Islamic phylosophy And Mysticism " Ed, Mohaghegh & H. Landolt, Tehran, 1971.
ومع ذلك فثمة اختلاف جوهري بين صورة الفناء في التصوف الهندي وصورتها الاسلامية ، ذلك ان الفناء الهندي سلبي محض ويعبر عن عجز متأصل في الموقف الانساني وينم عن نزعة تشاؤمية صرفة ؛ في حين ان الفناء في التصوف الاسلامي يشير الى مضمون إيجابي بناء حيث أنه ينتهي ضرورة الى « البقاء » والصحوة الشعورية التي تدفع صاحب التجربة الى طلب الصلاح والاصلاح في واقع الناس ودنيا البشر ؛ انظر ؛ كتابنا ؛ « نشأة الفلسفة الصوفية » ص / ١٧٠ وما بعدها . وقارن ؛ برجسون ؛ « منبعا الدين والأخلاق » ؛ ص/٢٤٢ وما بعدها ، نيكلسون ؛ المصدر السابق ، ص/٧٥ .

٥٠- عثمان اسماعيل يحيى ؛ نصوص تاريخية خاصة بنظرية التوحيد في الفكر الاسلامي ، ضمن كتاب ؛ محي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده ، دار الكتاب العربي ١٩٦٥ الفصل العاشر / ٢٢١ .

في الخارج يصلح ان يكون موضوعاً للادراك .

• يقول الامام الغزالي : العارفون – بعد العروج الى سماء الحقيقة – اتفقوا على انهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق ، لكن منهم من كان له هذه الحال. عرفاناً علمياً . ومنهم من صار له ذلك حالاً وذوقاً ، وانتفت عنهم الكثرة بالكلّية،واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم ايضاً ، فلم يكن عندهم الا الله فسكروا سكرا دفع دونه سلطان عقولهم»[٥١] . ويقول في المنقذ : « ثم يترقّى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق المنطق فلا يحاول معبّر انْ يعبّر عنها .إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح ، لا يمكنه الاحتراز عنه »[٥٢] .

ج– واخيراً ، وبعد هذا السفر الطويل بما يتضمن من معاناة ومجاهدة وتحوّل في النفس وسمّو وارتفاع عن عالم التقييدات تعود النفس من رحلة السفر والبقاء الى عالم الصحو مالكة من جديد لوعيها وشعورها فتتعقل ذاتها وتدرك الاشياء والأغيار من حولها ولكنه ، ادراك مخصوص ومن نوع متميز ، انها الان ترى الاشياء والموجودات في عالم الواقع : مجـــرّد نسب واضافات وتقييدات « للحقيقة المطلقة ، ويتبدّى الواقع في صورة سلسلة لا تنتهي من المظاهر التي تعكس الحقيقة الوجودية الواحدة ، كقطرة الماء التي لم تكن تدرك ذاتها من قبل إلاّ في صورة جوهر مستقل ، فصارت لا ترى في نفسها الا : البحر الواسع في امتداده اللاّ مقيد واللا محدود ؟

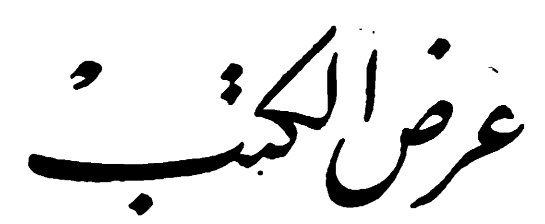
انه وجود مستقل للنفس عن الزمن كل الاستقلال فليس فيه : قبل ، او

٥١– الغزالي ؛ مشكاة الانوار ص/٥٧ .

٥٢– الغزالي ؛ المنقذ من الضلال ص /

بعد وبالتالي يستحيل فيه التغير استحالة منطقية » . وهذا الوجود الأبدي هو ما اصطلح الصوفية عليه بـ « الحياة الابدية » وسموا المعرفة التي تصحبها بـ : الحكمة الازلية : " Perennial Wisdom " .

* * *


عرض الكتب

التتمة

على ما جاء في معجم شعراء لسان العرب من أوهام

الدكتور ياسين الايوبي

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب جامعة بغداد

ـ القسم الثالث ـ

كنت قد نشرت في العدد الماضي تعقيباً على معجم الشعراء وقد حاولت ان اتابع الشعراء الذين وقف عندهم الدكتور ياسين الأيوبي لأقف عند بعض المواضع التي فاتت عليه أو وقع فيها السهو . وسأحاول ان أواكب المعجم واللسان ، ومع تقديري للجهود الكبيرة التي بذلها الباحث الكريم فانني وجدت هذه المحاولة تقدم فائدة لا تقل عن الفائدة التي اضطلع بها الباحث ، وربما سيقف على هاتين المحاولتين باحث آخر ليكمل العمل ويحقق الفائدة التي تجعل من اللسان مادة ميسّرة لكل المعنيين بجمع الشعر أو البحث عن الشاهد الضائع أو الوقوف على صاحب البيت الذي لم يذكر قائله ، وخدمة للغة هذه الأمة العظيمة التي شرفها الله سبحانه وتعالى بحمل الرسالة وأداء الأمانة ، وجعل من لغتها الشريفة لساناً مبيناً يتحدث به المؤمنون ويتفقه به أهل العلم . والله أسأل ان يوفق الجميع لما فيه الخير والسداد .

جرير :

١ – أخل المعجم بذكر خمسة وخمسين بيتاً وردت في المواضع الآتية :
بيتان في [أتأ] وبيت في [بوأ] و [لعب] و [ليث] و [سحح] و[قدد] وبيتان في [وجد] وبيت في [ثغر] و [زهر] و [سكر] و [غور] و [حفز] وبيتان في [قوس] وبيتان في [خشش] وبيت في [عشش] و [فشش] . و [فيش] و [حصص] و [عيص] و [مخض] و[غمرط] و [قبط] و [مسط] وبيتان في [خلع] وبيتان نسبا الى جرير والفرزدق في [سكف]وبيت في [سلق] و [جحدل] و [جفل] و [ذبل] و[عقل] و [ميل] وبيتان في [نقل] وبيت في [نيل] و [رخم] و [رشم] و [صمم] وثلاثة ابيات في [نكف] وبيتان في [قدم]وبيتان في [قذم] وبيت في [جبن] و [نتن] وبيتان في [جوا] وبيت في [ألا] .

٢ – أخل المعجم بذكر عشرة أشطر وردت في المواضع الآتية :
[بأبأ] و [زعب] و [دجج] و [ذيخ] و[شدخ] و[فخخ] و [صرر] و [غضض] و [مرض] و [قدم] .

٣ – وردت في الاشارات التي وقف عندها صاحب المعجم مواضع ويتمثل ذلك في :

أ – عند اشارات الباحث الى عدد الأبيات في كل مادة من مواد المعجم كانت هناك مواضع تختلف مع الأعداد التي وجدتها اثناء مراجعتي لتلك المواد من حيث الزيادة وقد تمثل هذا في الحالات الآتية :

١ – [حبب] و[لوب] و[حتت] و [عرد] و [عبد] و[خور] و [ضرر] و [غنظ] و [جرف] و [صدق] و [نطق] و [رحم] و [علم] و [قرن] و [ضعا] فقد ذكر هذه المواضع دون ان يشير الى عدد الابيات وعند المراجعة وجدت في كل منها بيتين .

٢ - ذكر ان صاحب اللسان قد استشهد للشاعر ببيتين في المواضع الآتية وعند مراجعتي لها وجدتها ثلاثة ابيات هي :

[قرح] و [ملح] و[مسك] .

٣ - وفي [دعد] ذكر بيتاً واحداً وفي اللسان ثلاثة ابيات .

وفي [ودي] ذكر بيتين وفي اللسان بيت وشطر وفي [سرا] ذكر بيتين وفي اللسان بيت واحد .

وفي [صرر] ذكر بيتين وفي اللسان اربعة .

وفي [عفر] ذكر اربعة ابيات وفي اللسان خمسة .

وفي [أذن] ذكر بيتاً واحداً وفي اللسان ستة ابيات .

وفي [خفث] ذكر بيتين وفي اللسان واحد .

وفي [ولج] ذكر بيتاً وفي اللسان خمسة اشطار .

وفي [عقد] ذكر اربعة ابيات وفي اللسان بيتان وفي [ضطر] ذكر بيتين وفي اللسان بيت واحد . وفي [رخف] و [بوا] و [صحا] و [متى] و [لقا] و [ها] ذكر بيتاً وفي اللسان شطر .

٤ - اشـــار صاحب المعجم الى ان صاحب اللسان قد استشهد للشاعر بابيات واشطار وعند مراجعتي للمواضع التي ذكرها لم أجد فيها الشواهد وهي

أ - الابيات [سجج] و[كدد] و [ثجر] و [جور] و [دهرس] و [ضفدع] و [خمل] و [سأل] و [نكل] و [بكى] و[متن] و [لوي] .

ب - الاشطار [ذبح] و [شجع] و [كشف] و[نصف] و[هقف] و [دملك] و [بغل] و [تبل] و [ثكل] و [تأم] .

٥ - وقعت في شواهد الشاعر مجموعة من الاوهام يمكن حصرها بما يلي :

أ – اخطاء الطباعة في [نبق] والأصل في اللسان [بنق] و [ترمل] وأصلها [قرمل] و[زين] وأصلها [زون] و [تآ] وأصلها [تأى] و[عسا] وأصلها [عصا] و [هرمل] وأصلها [هدمل] .

وقد تبين لي أن هذه المواضع لا وجود للشواهد فيها مما دفعني الى مراجعة الاشكال القريبة لألفاظها فوقفت عليها ووجدت فيها الشواهد الشعرية .

ب – في [سأل] ورد شاهدٌ لبلال بن جرير وليس لجرير الشاعر .

جرير العجلي :

أخلّ المعجم بذكر الشاعر وقد ذكر له صاحب اللسان بيتين في [هرق] .

جزء بن الحارث :

وقع سهو في موضع الاستشهاد فقد اشار صاحب المعجم الى شاهد ورد في [معد] والصحيح [مغد] .

جزء بن رياح الباهلي :

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان بموضعين هما [بوق] و [وشق] .

*** جَسّاس بن قُطَيب**

١ – أخلّ المعجم بذكر بيت في [شمط] وشطر في [ليط] وآخر في [وقع] .

٢ – في مادة [شرط] ثمانية ابيات لم يشر اليها الباحث واكتفى بالاحالة الى المادة .

*** جعثنة بن جوّاس الربعي :**

قال صاحب المعجم : له خمسة ابيات وهي احد عشر شطراً من الرجز وليس كما ذكر .

الجُعفي :

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي ذكر في موضعين [حصن] وفيها بيت واحد و [قتا] وفيها بيتان .

* **الجُعيد المرادي :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد به صاحب اللسان بشطر في [نطب] .

* **الجُليح :**

أشار صاحب المعجم الى أن له بيتين في [قدح] و [صمم] وعند مراجعتي وجدت بيتاً في [قدح] وشطراً في [صمم] وليس بيتاً .

* **الجموح الظفري والجموح الهذلي :**

وقع في المعجم خلط بين هذين الشاعرين ، وقد أخلّ المعجم بالشاعر الثاني ولكنه في مواضع الاستشهاد ذكر [ولع] وفيه الشاهد للجموح الهذلي كما أخلّ المعجم ببيت آخر للهذلي ورد في [خوت] .

* **الجميُح بن الطّماح الاسدي :**

أخلّ المعجم بذكر ثلاثة مواضع وردت فيها شواهد لهـذا الشاعر وهي [خيل] و [جرى] و [حشا] .

* **جميل بن معمر :**

١ ــ أخل المعجم بذكر احد عشر بيتاً وردت في [كلأ] و [حشرج] و [شنج] و [ودع] و [شلل] و [قلل] و [عون] و [أيا] و [حيا] .

٢ــ أشار الباحث الى ورود شواهد في [ملأ] و [رقب] و [شبخ] وعند مراجعتي هذه المواد لم اجد فيها شواهد للشاعر .

٣ ــ ورد أكثر من شاهد في [تلن] و [نجا] ولم يشر الى عددها الباحث الكريم .

جميل بن مرثد المَعْنيُّ :

ذكر صاحب المعجم ان له شطراً في [زعل] والصواب في [زغفل] .

جنادة بن عامر الهذلي :

ذكر المعجم ان صاحب اللسان استشهد له في [سفع] وعند مراجعتي لم اجد موضعاً للشاهد .

* **ابو جُندب الهذلي :**

١ – أخلّ المعجم بذكر سبعة ابيات وردت في [مرخ] و [قطع] و [نصف] و [غنم] و [كون] و [حشا] .

٢ – ذكر صاحب المعجم [فسد] باعتبار ان صاحب اللسان استشهد للشاعر ببيت في هذه المادة والصواب [ابن جندب] وليس [ابو جندب] .

٣ – في [ضيم] لم يشر الى عدد الابيات وهي اثنان وفي [غذرم] ذكر بيتين وهي بيت واحد .

* **جندل بن الراعي :**

١ – أخلّ المعجم بذكر ثلاثة أبيات ورد بيتان منها في [كدن]وبيت في [وشي] .

٢ – ذكر صاحب المعجم ثلاثة مواضع لم يكن الشاهد فيها الى جندل وانما فيها ابيات متدافعة بين الشاعر وابيه .

٣ – في [جندف] اشاره الى بيت واحد وهي بيتان .

* **جندل بن المثنى :**

١ – اخل المعجم بذكر سبعة وثلاثين شطراً وردت في المواضع الآتية : شطر في [صقلب] و [طيب] و [بوج] و[توج] و [رتج] و[سمرج] وخمسة اشطار في [غمدج] وشطران في [كفح] و [صند] و [خنظ]

وفي [غنظ] تسعة اشطار وشطران في [عرصف] و [سلق] و [برى] وشطر في [برشق] و [سخم] و [قوه] .

٢ — أشار صاحب المعجم الى مواضع باعتبارها استشهدت للشاعرباشطار وعند مراجعتي لم أجد فيها الشواهد وهي [غيظ] و [بذا] و [رمج] و [سيق] .

٣ — هناك ملاحظة مهمة فالشاعر من الرّجاز ولم يستشهد له صاحب اللسان بأبيات مع أن الباحث الكريم عندما اشار اليه ذكر عدد الابيات التي استشهد له بها صاحب اللسان فقال هي خمسة واربعون بيتاً وعند مراجعتي للمواضع وجدتها اشطاراً تتراوح بين الثلاثة والخمسة وهي ليست ابياتاً .

٤ — ورد شطران منسوبان للطهوي في [صلا] والمعروف ان الطهوي عندما يذكر دون تحديد الاسم فليس المقصود به جندل بن المثنى .

٥ — هناك اوهام في اعداد الاشطار التي اشار اليها الباحث وتكاد تكون في اكثر مواضع الاستشهاد ففي [جرس] مثلاً خمسة اشطار .

* **جنوب الهذلية :**

اخل المعجم بذكر ثلاثة ابيات ورد بيتان منها في [سعى] وبيت ورد في [شرى] .

* **أبو جهل بن هشام :**

اخل المعجم ببيت ورد في [بزل] .

* **جهم بن شبل أو سبل :**

اخلّ المعجم ببيت ورد في [ديم] .

* **أبو جُهيمة الهذلي :**

اخلّ المعجم ببيت ورد في [ذهل] .

• **جَوذابة بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الجراح :**

اخل المعجم ببيت ورد في [شأن] .

• **جويّـــة :**

اخلّ المعجم بذكر الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان ببيت ورد في [ســلح] .

حـرف الحـــاء

• **حاتم الطائي :**

١ – اخل المعجم بذكر ثلاثة ابيات بيتين منها تدافعت نسبتها وهما في [قسب] و [نحت] والثالث نسب له طرحة في [عند] . كما اخلّ بشطر ورد في [عشر] .

٢ – ورد في [ورق] بيت نسب للطائي دون ان يذكر الاسم فاجتهد الباحث في نسبته الى حاتم الطائي وهي نسبة لم تعودنا عليها كتب الاستشهاد

٣ – في [عـــذر] وردت ثلاثة ابيات لم يشر اليها الباحث واكتفى بذكر موضع الشاهد دون الاشارة الى عدد الابيات .

• **حاتم بن حيّاش**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان بشطرين في [خذم] .

• **حاجب المزني :**

أخلّ المعجم بذكر بيتين وردا في [قرن] . وفي [شلل] ورد بيتان لم يشر الى عددهما الباحث الكريم واكتفى بذكر موضع الشاهد .

• **الحادرة أو الحويدرة :**

١ – أخلّ المعجم بثلاثة ابيات وردت في [غرض] و [أيا] و[ظلم] .

٢ – وردت أوهام في تحديد الابيات في [درر] و [خمس] و [بضع] .

* الحارث بن حلزة :

١ – أخل المعجم بذكر احد عشر بيتاً للشاعر وردت في [نتج] و [رقح] و [عتر] و [بلغ] و [خبل] و [شمم] وبيتين في [عين] وبيت في [عجا] و [غوا] و [لقا] . وأخلّ بشطر في [عوص] .

٢ – أشار صاحب المعجم الى مواضع لم أجد فيها شواهد للشاعر وهي [رجح] و [نور] و [بلج] و[حيّل] و[شبم] و [غرا] و [وعص]

٣ – ورد في [رتا] شاهد منسوب الى الحارث وعدّه الباحث الكريم الحارث بن حلّزة ولم نجد هذه الظاهرة في بقية شواهده ، وربما يكون المقصود به غير هذا الحارث .

* الحارث بن خالد المخزومي:

١ – اخلّ المعجم ببيت واحد وشطر في [شأى] .

٢ – في [نسم] ورد شطر وليس بيتاً كما ورد في المعجم .

٣ – [صوب] و [مرق] بيتان وليس بيتاً واحداً .

* الحارث بن ظالم :

أخل المعجم بذكر بيت ورد في [خصا] .

* الحارث بنَ عبّاد :

١ – أخلّ المعجم بذكر موضعين ورد فيهما شاهدان للشاعر هما [نعم] و [عنن] .

٢ – لم يكن الشاهد في [ألف] للحارث بن عباد كما ذكر الباحث وانما هو لبكير أصمّ بني الحارث بن عباد . .

* **الحارث بن مُصرِّف (والد الشاعر مُزاحم العقيلي) :**

اخل المعجم بذكر موضعين ورد فيهما شاهدان للشاعر هما [مخـــز] و [طحل] .

* **الحارث بن وعلة الجرمي :**

١ — اشار الباحث الكريم الى أن اختلاطاً وقع في نسبة ابيات الشواهد بين وعلة وابنه الحارث وعند متابعتي لابيات الشواهد وجدت ابياتاً منسوبة لوعلة ادرجها الدكتور الايوبي في شواهد الحارث وهي واقعة في المواضع الآتيـــة [برص] و [قرع] و [قوع] و [سرا] . وما دام الباحث قـــد أفرد ترجمة وعلة في معجم الشواهد وادرج تحتها مواضع الاستشهاد كان ينبغي عليه ان يدرج الشواهد التي نسبها صاحب اللسان اليه ويضعها في مواضعها . لأن المعجم قد خص بشواهد اللسان ويمكن ان يشار في الترجمة الى اسباب الاختلاط وفرز الابيات بعد الوقوف على شعر الشاعرين .

٢ — اشار صاحب المعجم الى وجود شواهد في [علم] و [حصن] وعند مراجعتي لهاتين المادتين لم أجد فيها الشواهد لكليهما .

٣ — اهمل الباحث الكريم عدد الابيات في بعض المواد كما في [سرب] التي ورد فيها ثلاثة ابيات و [جلل] التي ورد فيها بيتان .

٤ — في مادة [سفه] التي اشار اليها صاحب المعجم لم ينسب البيت لوعلة أو للحارث وانما قال صاحب اللسان قال الجرمي ومن الصعوبة ان يبت بنسبته اليهما إذا لم تتوفر الأدلة التي تؤكد هذه النسبة قبل وجود قصيدة صحيحة النسبة تتفق مع هذه القافية ، من حيث الغرض والاتجاه والمعالجة .

* **حارثة بن بدر :**

اشار الباحث الكريم الى ورود شاهد في [ضرا] وعند مراجعتي المادة وجدت الشاهد منسوباً الى جارية بن بدر واعتقد ان البيت هو لحارثة بن بدر

وان تصحيفاً أصاب الاسم وكان على صاحب المعجم ان يشير الى ذلك حتى يلتفت اليه .

* **الحارثــي :**

ورد شاهدان للحارثي في [سجا] و [بلعق] ولم يشر الى هذا الشاعر صاحب المعجم .

* **ابو حبيب الشيباني :**

اخلّ المعجم بذكر بيت ورد في [أدلّ] .

* **حبيب بن المرقال :**

اخلّ المعجم بذكر بيت ورد في [مهل] .

* **حُبَيْنَة بن طريف العكلي :**

١ — ورد في المعجم خطأ باسم جُبينة .

٢ — ذكر صاحب المعجم أن له ثلاثة ابيات وهي خمسة اشطار مكررة في المادتين المذكورتين .

* **الحجاج :**

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان بشطرين وردا في [بختر] و [خطر] .

ابو الحجاج :

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان بأربعة ابيات نسبت اليه وإلى حُمران وردت في [نزك] .

* **حُجر بن خالد (أحد بني قيس بن ثعلبة) :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان بثلاثة ابيات ، ورد بيتان منها في [دهق] وبيت في [بوع] .

* **حُجَيّة بن المُضرّب :**

اخل المعجم بذكر هــذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان بشطر في [أنــف] .

* **حُدير عبد بني قميئة :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان بشطر في [تــأم] .

* **ابن حذّاق العبدي :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان ببيت في [ذرع] .

* **حُذيفة بن أنس الهذلي :**

أخل المعجم بذكر بيتين وردا في [نفس] و [جفن] .

* **الحزاز بن عمرو :**

ذكر صاحب المعجم عبارة (وجاء الخزّاز) .. وذكر له شاهد واحداً في [خلع] وفيه : قال الحزاز بن عمرو يخاطب امراته . ولا أعلم اين جاء اسمه (الخزّاز) وكان على الدكتور الايوبي أن يرشدنا الى موضــع هذا الاختلاف .

* **جَحْل بن نضلة :**

أخل المعجم بذكر شاهد واحد ذكره صاحب اللسان في [هنا] .

* **الحرُقة بنت النعمان بن المنذر :**

أخلّ المعجم بذكر هذه الشاعرة التي اورد لها صاحب اللسان بيتين في [نصف] وبيتاً في [بين] .

* **الحرمازي :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي اورد له صاحب اللسان شطرين في [غبر] وخمسة اشطار في [مرغ] .

* حُريث بن جَبَلة العذري :

اخلّ المعجم بذكر الشاعر الذي اورد له صاحب اللسان اربعة ابيات في [دهر] وبيتاً اختلف في نسبته في [غبط] .

* حُريث بن زيد الخيل :

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان بيتاً في [أسا] .

* حريث بن عتّاب النبهاني :

اخل المعجم بذكر بيت ورد في [مطق] .

ابو حزَابة الوليد بن حنيفة :

اخل المعجم بنسبة ثلاثة ابيات اليه في [كهمس] .

ابن ام حَزنة :

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي اورد له صاحب اللسان شاهداً في [ندب] .

الحزين الكناني :

اخلّ المعجم بذكر ثلاثة ابيات وردت في [سجر] .

* الحزين الليثي :

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي اورد له صاحب اللسان بابيات متدافعة النسب في [عقم] .

حسان بن ثابت الانصاري :

١ — اخل المعجم بذكر الشواهد التي وردت في المواضع الآتية :

[طبخ] و [ثأر] و [شرط] و [شسب] و [بلع] و [جلق] و [ثغم] و [رزَن] و [زبن] .

٢ — اخل المعجم بذكر شطرين وردا في [كيد] و [سلسل] وقسيم ورد في [جـــدا] .

٣ — اشار صاحب المعجم اشارتين في [دلع] و [حلق] باعتبارهما مواضع لذكر شاهدين وعند مراجعتي لهذين الموضعين لم اجدْ فيهما الشواهد ولعلهما محرفان بالطباعة .

٤ — لم أشر الى مواضع اختلاف عدد الابيات التي اوردها صاحب المعجم لانني آثرت اهمال هذه الملاحظة لتكررها في كثير من الشواهد .

* **الحسن بن عَرْفطة :**

اخلّ المعجم بذكر شطر ورد في [كون] .

* **الحسن بن مُزَرّد :**

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان بخمسة اشطار في [جنب] .

* **الحسن بن هانىء :**

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان ببيتين من ابيات طَرْدياته في [يـــأيـــأ] .

* **الحُصيب الهذلي :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان ببيت في [فلـــت] .

* **الحُصين بن الحمام المُرّي :**

اخلّ المعجم ببيت متدافع ورد في [شرر] .

* **حضرمي بن عامر :**

اخلّ المعجم بذكر بيت ورد في [بل] .

* الحُصين بن المنذر :

اخلّ المعجم بذكر رجز ورد في [كعظ] .

* حطام المجاشعي :

اخلّ المعجم بذكر ثلاثة اشطار وردت في [ثغا] .

* الحُطْم القيسي :

اخلّ بذكره المعجم وقد استشهد له صاحب اللسان برجز في [وضم] متدافع النسبة .

* الحطيئـــة :

١ — اخل المعجم بذكر الابيات التي وردت في المواضع الآتية :

[خلج] و [نضج] و [قذر] و [حنن] و [لسن] و [كرا] .

٢ — أخل بذكر شطرين وردا في [سَلِمَ] و [حَيا] .

٣ — اشار الباحث الكريم الى مجموعة من المواضع باعتبارها استشهدت للشاعر بابيات وعند مراجعتي لهذه المواضع لم أجد فيها شواهد للشاعر وهي [حلج] و [ضرر] و [قزر] و [حفظ] و [خبا] .

٤ — لقد اعتمد الباحث الكريم أسلوب الحاق الاشطار في نهاية المعجم وقد ذكر فيها اشطار الابيات التي استشهد بها صاحب المعجم للحطيئة وعند مراجعتي مواضع شواهد الابيات وجدت جملة من هذه المواضع تذكر اشطاراً وليست ابياتاً وكان المفروض ان تلحق بالمواضع التي اشار فيها الباحث الى الاشطار وهي [كره] و [جزى] و [نأى] و [وفى] و [وهى] .

* ابن ابي الحُقيق :

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي اورد له صاحب اللسان ثلاثة شواهد في [رعل] و [لأم] و [ســـرا] .

* **الحكم الحُضَري :**

اخلّ المعجم بذكر بيت ورد في [مرط] .

* **الحكم بن عَبْدَل الاسدي :**

أشار صاحب المعجم الى ورود شاهد في [زين] وعند مراجعتي هـــذه المادة في اللسان لم اجد شاهداً لهذا الشاعر .

* **الحكم بن مُعَيّة :**

اخلّ المعجم بذكر اربعة اشطار وردت في [كلع] وثلاثة اشطار وردت في [عيل] .

* **الحلال ابن عم الراعي النميري :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً اختلفت نسبته بين الحلال والراعي في [شرر] .

* **حلحلة بن قيس :**

اخلّ المعجم بذكر شطر ورد له في [ضغط] .

* **حمّاد الراوية :**

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي اورد له صاحب اللسان بيتاً منسوباً له ولابي عطاء السندي في [عوف] .

* **ابنة الحمارس :**

اخلّ المعجم بذكر شطرين ذكرهما صاحب اللسان في [أرر] .

* **حمزة عم النبي (صلى الله عليه وسلم) :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي اورد له صاحب اللسان بيتين في [عقـــل] .

* **حُميد الارقط :**

الغالب على شعره الرجز أو ان الرجز يشكل معظم شعره الذي استشهد به

صاحب اللسان الا أن الدكتور الايوبي سَمّى الشواهد ابياتاً دون أن يحـدد الاشطار التي استشهد بها ومع هذا فقد افرد للشاعر في الملحق الابجدي بالشعراء ذوي الاشطر المتفرقة نصيباً مع أن قسماً من الشواهد في أصل المعجم كان موضع الشاهد فيها شطراً واحداً كما في [حمر] و [وهم] . وان كثيراً من مواضع الشواهد في هذا الاصل كانت تتجاوز الشطرين فتصل الى الثلاثة والاربعة والخمسة كما في [محل] و [وتن] و [هيه] و [فيج] و[رزن] و [أتـي] و [ثبـا] و [طسس] . ومع هذا فان المعجم قد اخلّ باشطار غير هذه فقد اخلّ في مواضع استشهدت بشطر في [حبب] و [ردح] و[قدد] و [حضض] و [مطط] و [سمل] وبشطرين في [قلب] و [قنزع] و [سفط] و [مأق] و [رمم] و[كون] وثلاثة اشطار في [أرط] .

حميد بن ثور الهلالي :

١ ـ أخل المعجم بذكر الابيات التي وردت في [نضج]و[شحح] و[سفع] و [جنف] و [غفف] و [لغف] و [أين] و [رخا] .

٢ ـ أخل المعجم بذكر الاشطار التي وردت في [خدب] و [كنز] و [طسس] و [وهس] و [نشط] و [وكظ] و [همم] .

٣ ـ اشار الدكتور الايوبي الى مواضع لم اجد فيها شواهد لهذا الشاعر وهي [نفج] و [ردح] و [شحشح] . و [قنزع] و [شرف] و [أبن] و [مأق] .

٤ ـ على الرغم من افراد الباحث ملحقاً للاشطار فانه قد خلط بينها وبين الابيات ، فقد وردت اشطار في [علف] و [عيل] و [زون] و [دحن] و [بـا] ولكن الباحث ادخلها ضمن مواضع الاستشهاد بالابيات

* **حميد بن ابي شحاذ الضبّي :**

أخل المعجم بذكر شاعر استشهد له صاحب اللسان بشطر في [نجد] .

* **حنظلة بن مصبح :**

اخلّ المعجم بذكر بيت ورد له في [جرد] .

* **الحويدرة :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان ســت مرات في [حرص] و [غلل] و [ظلم] و [أمن] و [قمن] و [أيا] .

* **ابو حيان الفقعسي :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان بثلاثة ابيات في [ضمز] .

* **ابوحيّة النميري :**

١ — أخل المعجم بسبعة ابيات ذكرها صاحب اللسان في [مسل] و [أبى] و [أتى] و [جنى] و [فلا] و [كلا] و [مرا] و [ونى] .

٢ — اخل بشطرين وردا في [قدم] و [شنن] .

٣ — ذكر في [بغل] انه بيت وهو شطر وكان المفروض ان يلحق في ذيل المعجم الذي افرده الباحث للشعراء ذوي الاشطر المتفرقة .

حــرف الخــاء

* **ابن خارجة :**

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي اورد له صاحب الاسان بيتاً في [زول] .

* **خالد بن جعفر الكلابي :**

اخل المعجم بذكر بيتين للشاعر وردا في [حذف] و [عنن] .

* **خالد بن حق ؟**

اخل المعجم بذكر شاعر ورد اسمه هكذا في [حمل]

* ام خالد الخثعمية :

اخل المعجم بذكر ثلاثة شواهد ورد في [قطم] شاهدان وفي [غضا] شاهد واحد .

* خالد بن زهير الهذلي :

أخلّ المعحم بذكر بيت ورد في [بزز] .

* خالد بن أم جنبة :

اورد صاحب المعجم هذا الاسم باعتباره شاعراً استشهد له صاحب اللسان بشاهد وعند مراجعتي الموضع الذي ذكره وجدت فيه العبارة الآتية : وقال شمر قال خالد بن جنبة : الحقل : المزرعة التي يُزرع فيها البرّ وانشد » فهل يعني ان الشاهد للمترجم ؟؟ .

* خالد بن قيس بن منقذ بن طريف :

اخلّ المعجم بذكر ثلاثة اشطار في [قعل] وشطرين في [وأل] .

* خالد الكاتب :

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان ببيتين

* خالد بن مالك الهُذلي :

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان ببيت في [ضبح] .

* خالد بن الوليد :

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي اورد له صاحب اللسان شطرين في [رسب] و [عزز] واربعة أشطر في [ورق] وخمسة اشطار في [سوا]

* خُبيب بن عَدي :

اخل المعجم بذكر قسيم ورد في [هبلع] .

* **خثيم بن عدي :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان في [ختم] و [خثرم] .

* **خداش بن زهير : :**

اخل المعجم بذكر ثلاثة ابيات وردت في [أرض] و [حبق] و [حرم] وشطر في [نطق] .

* **خديج بن حبيب:**

اخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان في [وغـــم] .

* **ابو خراش الهذلي :**

١ – اخل المعجم بذكر عشرة مواضع استشهد له بها صاحب اللسان وهي [نخب] و [هذب] و [سجر] [نفس] و [حرق] و [طمل] و [عدل] و [جرم] و [سقم] و [ذحا] .

٢ – اشار صاحب المعجم الى موضعين باعتبارهما مواضع استشهد بها صاحب اللسان وعند مراجعتي لهما لم اجـــد فيهما الشواهد وهما [سحر] و[هرق] .

٣ – ادخل صاحب المعجم [دمحل] و [رمل] ضمن المواضع التي استشهد بها صاحب اللسان بابيات ، وعند مراجعتي وجدتها اشطاراً مفردة .

* **الخرنق بنت هَفّان :**

١ – حشر صاحب المعجم تحت هذا الاسم الخرنق اخت طرفة ، الخرنق بنت هفان ، والخرنق مجردة ، خرنق مجردة من أل التعريف . الخرنق بنت عبعبة . ادرج تحت الخرنق بنت هفان كل الشواهد قال في ترجمة الخرنق بنت هفان ، الأرجح ان الشواهد المذكورة هي ليست كلها للخرنق

اخت طرفة حدها ، كان الأولى بالباحث أن يتحرى هذه الاسماء ويوحدها إذا وجد سبباً للتوحيد ، أو افرادها وادراج الشواهد الخاصة بكل واحدة من الاسماء التي وردت أمانة للحقيقة العلمية ليقف الباحثون على الفروق الموجودة، أو الأسماء المتشابهة .

٢ – أخل المعجم بذكر شطر نسب الى [خرنق] ورد في [ولب] .

* **خُزز بن لوذان السدوسي :**

اخلّ المعجم بذكر خمسة ابيات وردت في [نعم] واربعة ابيات في [يمن] .

* **خزيمة بن نهد :**

أخل المعجم بذكر بيت ورد في [ردف] .

* **ابو الخشناء :**

اشار الباحث الى بيت واحد ثم قال [فقدت بطاقته] والشاهد مذكور في [قطع] ونسبه الازهري الى الجعدي وهو في ديوانه /١٧ من قصيدة طويلة .

* **الحضري :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان بيتاً في [نقد] .

* **ابو الحضري اليربوعي :**

ورد في الشاهد [شلل] الذي ثبته صاحب المعجم (ابو الحضري) وليس ابو الحضر .

* **الحطيم المجاشعي :**

اخلّ المعجم بذكر شطر ورد في [خطم] .

* **الحطم القيسي :**

اخلّ المعجم بذكر شطر ورد في [سوق] .

• **خفاف بن عبد قيس البرجمي :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان ببيت في [خنذ] ثم قال وهو للنابغة الذبياني .

• **خفاف بن ندبة :**

عند وقوفي على شواهد الشاعر خفاف بن ندبة وبعد اشارة الباحث الى ديوانه كنت اعتقد ان الباحث الكريم قد انتفع من متابعتي لديون هذا الشاعر لانـه من ضمن الشعراء الذين جهدت نفسي بتحقيق شعره ، وبعد مطابقة الاشارات التي اشار اليها وجدته قد اخلّ بمواضع ذكرتها في الديوان وهي ثمانية في :
[ربح] و [ودع] و [صدق] و [صول] و [عقم] و [عين] و[وقي] و[يدي] وهناك عدد اكبر من الشواهد التي نسبتها الى خفاف وهي غير منسوبة في اللسان وكان بامكان الباحث ان ينتفع منها ويمكن الوقوف عليها في تخريج ابيات الديوان .

ان محاولتي الاشارة الى ما لم ينسب من شعر خفاف تشكل اضافة جديدة يمكن ان يضطلع بها باحث آخر يقدم على محاولة نسبة الأبيات التي لم تنسب أو جردها بحسب القوافي لتكون بين يدي الباحثين الذين يضطلعون بمهمات جمع الشعر .

• **خلف :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في[نقد]

• **خلف الأحمر :**

اخلّ المعجم بذكره وقد أورد له صاحب اللسان ثلاثة اشطر في [طبـــق] وبيتاً في [سبل] .

• **أم خلف الخثعمية :**

اخلّ المعجم بذكرها وقد أورد لها صاحب اللسان شاهداً في [زمم] .

• **خليد اليشكري :**

اخل المعجم بشطر ورد في [قضعم] وشطرين في [كرزم] .

• **الخليل بن أحمد :**

اخلّ المعجم بذكره وقد اورد لـــه صاحب اللسان بيتين في [كون] وبيتاً في [بين] وشطراً في [عنجد] .

• **خنافر :**

اخلّ المعجم بذكره وقد اورد له صاحب اللسان شاهداً في [شصر] .

• **الخنساء :**

١ـ اخل المعجم بذكر الشواهد التي اوردها صاحب اللسان في : [شبر] و [صبر] و [جلس] ثلاثة ابيات و [كرع] و [خنشل] و [طوم] و[نوم] و [أين] و [عجل] و [عول] و [قبل] فيها بيتان و [صفن] و[كين] و[نقل]و [بكا] فيها بيتان و[رمى] و [سوا] .

٢ـ أخلّ المعجم بذكر شواهد الاشطار التي وردت في [هون] و [ثوى] و[جذا] و [نثـــا] .

• **خوّات بن جبير :**

اخل المعجم بذكر شاهد ورد في [برى] .

• **خويلد بن نوفل الكلابي :**

أخلّ المعجم بذكر ثلاثة شواهد أوردها صاحب اللسان في [دين] .

• **سالم بن دارة التغلبي :**

١ ـ أخل المعجم بذكر شاهدين وردا في [دور] و [كهر] .

٢ ـ لم يحدد الباحث الكريم عدد الابيات في مواضع الشواهد كعادته في بعض المواضع ففي [حدب] وردت ثلاثة شواهد لم يشر اليها ، وفي [روح] ثلاثة اشطار ولم وفي [جوف] ثلاثة ابيات .

٣ ـ اشار الباحث الكريم الى ورود شاهد في [لبن] وعند مراجعتي لم اجد للشاعر شاهداً فيه .

* **الدُّبيري :**

هناك اختلاط بين (أباق الدبيري) و (ديّاق الدبيري) (والدبيري) . والباحث الكريم أدخل شواهد منسوبة (للدبيري) بدون تحديد الاسم الى أباق وقد ورد هذا الشاهد في [زهر] ولم يشر الى شواهد وردت في اللسان منسوبة الى الدبيري في [مرط] [دأب] و [علد] وقد نسب شاهداً ورد في [ضبط] الى دبّاق الدبيري الى أباق الدبيري .

* **درهم بن زيد الانصاري :**

اخل المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهدين في [جرح] و [طعن] .

ابن دريـد :

أخل المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شواهد [ردد] و [غمد] و [عرف] و [برك] .

* **دريد بن الصمة :**

أخل المعجم بذكر اربعة شواهد وردت في [ضرس] و [أنن] و [صبا] و [غوى] .

* **دَلَم العبشمي (ابو زغيب) :**

أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [دلـم] .

* **ابو دهبل الجمحي :**

١ ـ أخلّ المعجم بذكر ثلاثة مواضع أوردها صاحب اللسان في [أجر] و [شكك] و [رعى] .

٢ – في اللسان [أصل] وأما قول دهبل ..
وفي المعجم اشار الى موضع الشاهد دون ان يذكر نسبة الارجاز الى دهبل وليس لابي دهبل .

• **ابو دواد الايادي :**

١– أخل المعجم بذكر ثلاثة شواهد أوردها صاحب اللسان في [عرقب] و [صنتع] و [كدن] وشطر واحد ورد في [نعت] .

٢– أورد صاحب المعجم اربعة مواضع باعتبارها ذكرت شواهد للشاعر وعند متابعتي لها لم أجد فيها الشواهد وهي [دأد] و [حوب] و [خصص] و [خما] .

٣– في [حلز] و [دكلك] شاهدان نسبا إلى الأيادي دون الاسم وكان الأولى لصاحب المعجم أن يشير إلى ذلك لأن هناك اكثر من شاعر نسب الى اياد .

٤– أشار الباحث الى [بقل] باعتبارها أوردت شاهداً للشاعر وفي اللسان نسب البيت الى [دؤاد بن ابي دؤاد] .

• **ابو دواد الرواسي :**

أخل المعجم بذكر ثلاثة شواهد أوردها صاحب اللسان في [دأدأ] و [كذب] و [دبع] .

• **دودان بن سعد الأسدي ونضلة بن خالد الاسدي :**

شاعران اخلّ المعجم بذكرهما وأورد لهما صاحب اللسان شاهداً تدافعت نسبته بينهما في [عدا] .

• **ابو ذر الغفاري وغاوي بن ظالم السُّلمي :**

شاعران أخلّ بذكرهما المعجم وأورد لهما صاحب اللسان شاهداً تدافعت نسبته بينهما في [ثعلب] .

* ابو ذَرّة الهذلي :

اخلّ المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [خزم] .

* ذروة بن خجفة الصموتي :

أخل المعجم بذكر شاهدين أوردهما صاحب اللسان في [جود] و [مطا] .

* ذو الاصبع العدواني :

أخل المعجم بذكر ثمانية ابيات وردت في [شوس] و [عشر] و [ترص] و [لكع] و [نبل] و [دبن] و [عنن] و [خزا] وشطر في [عنن] .

ذو الخزق الطهوي :

١- أخلّ المعجم بذكر بيت ورد في [بغم] .

٢- في بعض مواضع الاستشهاد ورد اكثر من بيت للشاعر ولم يشر اليها في المعجم ففي [سبب] ثلاثة وفي [حدع] بيتان وفي [بوك] بيتان وفي [عقا] خمسة ابيات .

* ذو الرُّمـــة :

١- أخل المعجم بذكر الابيات التي وردت في المواضع الآتية :

[عمر] و [لغس] و [نعش] و [نقض] و [بوع] و [قمع] و [دمغ] و [نزف] و [هيف] و [وحف] و [حلق] و [خلق] و [ودق] و [درك] و [جحل] و [حتل] و [زبل] و [سيحل] و [قدم] و [قرضم] و [رتعن] و [عضه] و [موه] و [جوا] و [ضهل] و [عجل] و [عدل] .

٢ - أخل المعجم بذكر الاشطار التي وردت في المواضع الآتية :

[هنأ] و [ترب] و [جوب] و [حصب] و [خبب] و [سقب] و [عقب] و [غرب] و [قشب] و [قضب] و [نصب] و [نهب] وفي [هدب] شطران و [مرت] و [أجج] و [حير] و [فرخ] و[شقر] و [روز] و [طوط] و [عيط] و [سجع] و [قمع] و [عرصف] و [أرق] و [بوك] و [تبل] و [مثل] و [محل] و [نحل] و [بغثم] و [تمم] و [بنن] و [دهن] و [جوا] و [سوا] .

٣ـ اوهام عامة تمثلت في : ـ

أ ـ عدم دقة عدد الابيات المثبتة في كل مادة ففي [مرأ] يشير الباحث الى بيت وهما بيتان . وفي [نبأ] واحد وهو يشير الى اثنين وفي [ضرب] اربعة ويشير الباحث الى اثنين وفي [وأب] اثنان وفي المعجم واحد وفي [مرت] اثنان وفي المعجم واحد وفي [رتج] اثنان وفي المعجم واحد وفي [سبر] اثنان وفي المعجم واحد وفي [عقر] اثنان وفي المعجم واحد وكذلك في [غمر] . وفي [غمز] ثلاثة وفي المعجم اثنان وفي [فرس] و [لعس] واحد وفي المعجم اثنان وفي [عرش] و [صيص] و [خض] و [نبط] و [هجنع] و [هفف] و [جمل] و [وعل] و [سدم] و [عين] و [دنـا] و[شكا] واحد وفي المعجم اثنان ، وفي [نفض] و [غلل] بيتان وفي المعجم اشارة الى ثلاثة ابيات ، وفي [عسف] و [عنق] و [قتل] ثلاثة ابيات وفي المعجم اشارة الى بيتين .

وفي [روق] و [حول] اشارة الى ثلاثة ابيات وفي اللسان اربعة ابيات وفي [رسا] و [شكا] اشارة الى بيت واحد وفي اللسان اربعة ابيات وفي [ادم] اشارة الى ثلاثة ابيات وفي اللسان بيت واحد .

ب ـ اشار الباحث في مواضع الابيات الى اشطار ، ففي اللسان هي اشطار ولكن ثبتت في المعجم باعتبارها ابياتاً وتتمثل هذه الظاهرة في [فرخ]

و [شقر] و [صفر] و [نعف] و [هنم]و[قوه]و [كرا] و [نزا] و [قبـــا] .

وفي [علا] و [نأى] وردت في اللسان ثلاثة اشطار ولكن الباحث وضعها في مواضع الابيات وكذلك في [شكل] .

ج – يبدو أن بعض الأوهام كانت من اخطاء الطباعة فقد اشار الباحث الى مادة [كتأ] واشار الى ورود بيتين والصحيح [كفأ] لانه ليس في [كتأ] موضع لشاهد ، وورد الفعل [هنبق] بصيغة [هنيق] وجاء الفعل [نزك]و [حوا] زائدين .

د – لم أجد لبعض الشواهد مواضع استشهاد كما في [جوا] و [صيح] و [وجف] و [سنم] .

أفرد الباحث الكريم ملحقاً أبجدياً بالشعراء ذوي الاشطر المتفرقة ، وفي القسم المخصص لذي الرمة تتضح الاوهام الآتية .

أ – اشار الباحث الى ورود شطرين للشاعر في [فور] و [أبق] وعند مراجعتي لهاتين المادتين لم أجد فيهما شواهد للشاعر .

ب – اشار الباحث الى ورود اشطار في [درك] و [عضه] وعند مراجعتي لهاتين المادتين وجدت بيتين وليس شطرين كما هو مذكور في المعجم .

ج – ورد في حصد شطران وليس شطراً واحداً كما ورد في المعجم .

* **ابو ذؤيب الهذلي :**

١ – أخلّ المعجم بذكر الابيات التي وردت في المواضع الآتية :

[جلب] و [لجج] و [مزج] و [قدح] و [ميد] و [بصر] و [جير] و [طهر]و [بيتين] في [غير] و بيت في [قمس]و[يضع] و [ضيف] و [جدل] و [رسل] و [سعل] و[ساسل] و [طول] و

[عول] و بيتين في [فصل] وبيت في [فضل] و [قطل] و [قفل] و [كلل] و [محل] وبيتين في [نبل] وبيت في [نحل]و [نسل]و [حنتم] و [سمم] و شيم] و [نظم] و [بغا] و [رجا] و [نوى] .

٢ – أخلّ المعجم بذكر الاشطار التي وردت في المواضع الآتية :
[بعج] و [قرد] و [خذع] و [فضل] و [قفل] و [حزن] و [رجا] وقسيم بيت ورد في [طلي] .

٣ – أوهام عامة تمثلت في :

أ – عدم دقة عدد الابيات المثبتة في كل مادة فقد اشار الباحث الى ورود شاهد واحد في [فوج] و [شيح] و [نجد] و [حير] و [طرر] و [مظظ] و [شفف] و [سحل] و [شلل] و [طفل] و [عجم] و [تمم] و [سقي] و [طفا] وعند متابعتي لهذه المواضع وجدت في كل موضع منها بيتين .

ب – واشار الباحث الى ورود شاهدين في [بكر] و [دين] و [ظهر] وعند متابعتي وجدت في كل موضع ثلاثة ابيات .

ج – واشار الباحث الى ورود شاهد واحد في [سير] و [خلف] و [سوا] وعند متابعتي وجدت في كل موضع ثلاثة ابيات . واشار في [مرر] الى ثلاثة ابيات وهي اربعة .

د – وهم الباحث في [هرص] وهو [حرص] وفي [حزر] وهو [حزن] وفي [رضع] وهو [رصع] وفي [سيع] وهو [سبع] وفي [رنق] وهو [رتق] .

ه – لم اجد شواهد للشاعر في المواضع التي اشار اليها الباحث وهي [قنس] و [ردع] و [رنق] و [جزل] و [حثل] و [نشب] و [قبح] و [ختم] و [رحا] .

و – ذكر الباحث الكريم مواضع استشهاد باعتبارها ذكرت ابياتاً . وعند

مراجعتي لها وجدت أنها اشطارٌ وليست ابياتاً . وهي [زعع] و [ظين] و [تلا] و [دأي] وفي سبي اشار الى ثلاثة ابيات وهي بيتان وشطر . وفي الملحق الابجدي بالشعراء ذوي الاشطر المتفرقة اشار الباحث الى وجود شطر في [نجد] ولم اجده وذكر شطراً في [نهش] وهما شطران .

* **ذؤيب بن زُنَيم الطهوي :**

لم أجد شاهداً للشاعر في [نقز] ، وانما ورد في [نقر] ويبدو أن الوهم طباعي .

* **ابن ذي كيار :**

ذكر الباحث الكريم بيتين في [خذا] والصحيح هو اربعة اشطار .

* **الراعش :**

اخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان رجزاً في عشرة اشطار .

* **الراعي النميري :**

١ – أخل المعجم بذكر الشواهد الشعرية التي اوردها له صاحب اللسان في المواضع الآتية : [حبب] و [صيب] فيها بيتان و [كلب] و [صمت] و [لوم] و [عول] و[صرم] و[شلأ] و [حول] و [وضح] و[شهل] و [شعر] و [سفل] و [محل] و [بدا] و [جثم] و [زأد] و [تلل] و [رشح] و [خرطم] و [ذرع] و [جندع] و [غور] و [عطل] و [درع] و [قزل] و [عكس] و [سيف] و[ضجج] و [صوى] و [عمر] و [عملس] و [شرق] و [لكك] و [كرز] و [ضرم] .

٢ – أخلّ المعجم بذكر الاشطار التي اوردها صاحب اللسان وقد وردت في المواضع الآتية :

[هنأ] و[قرب] و[أجم] و[هرمت] و[زجا] و[أحا] و[عمى] .

ملاحظات على كتاب

الخط العربي الإسلامي

الخطاط وليد الأعظمي

صدر عن دار البيان ببغداد كتاب (الخط العربي الاسلامي) للاستاذ تركي عطية الجبوري . يقع في (٢٧٢) صفحة ، وقد ساعدت وزارة الاعلام العراقية على نشره، واخرجته دار البيان بثوب قشيب وحلة جميلة ، وعلى ورق جيد . وقد جمع المؤلف الفاضل فيه مادة طيبة في تاريخ الخط العربي وتطوره وأنواعه ، كما زينه بنماذج توضيحية حول الموضوعات .

والمؤلف الفاضل عضو في جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين ، ويسرنا جداً أن نرى الفنانين في العراق ، يعنون بالكتابة عن الفنون وتاريخها وتطورها ، ويكشفون عن تجاربهم وآرائهم ونظراتهم . بنشرهم مثل هذه البحوث المفيدة . ويمتازون بذلك عن الفنانين في الجيل السابق ، الذين ذهبوا وذهبت معهم قابلياتهم ومعلوماتهم وتجاربهم ، لأنهم لم يحاولوا التدوين والنشر ، عما اختزن في صدورهم من معلومات وملاحظات وتجارب ونظرات .

طالعت الكتاب بشغف وامعان ، وقد هالني ما وجدت فيه من الأوهام والأخطاء اللغوية والتاريخية والفنية ، بدرجة لا يحسن معها السكوت عنها ، ولا طلب العذر لمؤلف يتصدى لبحث في الخط العربي يقوم أولا على اللغة ومعرفتها . والحرف اول مواد التعبير . ولا يذهب الظن بالقارئ الكريم انني تناولت الأخطاء المطبعية فقد اضيف في آخر الكتاب قائمة بالأخطاء المطبعية . وما دونته في هذه الملاحظات لم يرد في ذلك الجدول .

واسرد ما يلي من الأخطاء اللغوية :

ص ٣٦ قال عن الخط المكي والخط المدني في الهامش : (قيل انهما كانا موجودان قبل الاسلام) والصواب (. . موجودين . .) بالنصب .

ص ٣٩ قوله : (كما تعلموا صناعة الخزف ذو اللون ...) والصواب : ذي اللون .

ص ٤٣ قوله : (. . تعلم الخط من يشرب بن عبدالملك وحرب بن أمية اللذان ...) والصواب : . . اللذين . .

ص ٥٣ قوله : (ويذكر ان النساخ النصراني ابي زكريا...) والصواب ، ابازكريا.

ص ٥٤ قوله : (وكان الورق انواع . .) والصواب : انواعا

ص ٥٥ قوله : (كما استُخدِمَتْ لتحضير عجينة الورق طرقاً . .) الصواب : طرق ، بالرفع .

ص ٥٥ قوله : (. . ويكون خال . .) والصواب : خاليا

ص ٥٦ قوله : (ثم تصنع منه اقراصاً . .) والصواب : اقراص .

ص ٥٧ قوله : (ومن المذهبين المشهورين ابي القاسم ابراهيم . . .) والصواب : ابو القاسم .

ص ٦١ قوله : (ومن ذوي القدرة العظيمة في تزوير خط ابن مقلة ابي عبدالله الديناري .

والصواب : ابو عبدالله . . وكذا قوله : (وعماد الدين ابن الشيرازي ذا القدرة العظيمة) والصواب : ذو . . .

ص ٧٣ قوله : (. . . بعد ان طوره خطاطي الكوفة وزخرفه فنانيها . .) والصواب : خطاطو الكوفة وفنانوها .

ص ٧٤ و ٨٠ قوله : (الخط الكوفي المظفور . .) والصواب : المضفور .

ص ٧٦ قوله : (وقد استعمل الفنانون والخطاطون نماذج واشكال . . .) والصواب : واشكالاً .

ص ٩٥ قوله : (كما ان هناك قلم اسمه . . .) والصواب : قلما . . .

ص ٩٩ قوله : (يكون الألف ذنبا . .) والصواب : ذنب . .

ص ١٠٩ قوله : (وقد اعجب به الفضل بن سهل ذا الرياستين) والصواب : ذو الرياستين .

ص ١١٧ قوله : (. . ان الاوربيون . . .) والصواب : الاوربيين . .

ص ١١٨ قوله : (الى خطاطهم القديم ابو بكر الراوندي) والصواب : ابي بكر . .

ص ١١٨ قوله : (ولهذا الخط اوضاعا مشابهة) والصواب : اوضاع . .

ص ١٢٢ قوله : (. . . فان الجزائريون والمراكشيون . .) والصواب : الجزائريين والمراكشيين . .

ص ١٢٩ قوله : (من الخط التركي الاسلامي ذا الحروف . .) والصواب : ذي الحروف .

ص ١٢٩ قوله : (هذا خط جميل ذا زخرفة . .) والصواب : ذو زخرفة . .

ص ١٣٠ قوله : ـ عن خط سياقت ـ (كانت تستعمل معه ارقاما . .) والصواب : ارقام .

ص ١٣٢ قال عن البسملة : (.. صار لها اشكالا . .) والصواب : اشكال : :

ص ١٤١ قوله : (ويذكر المؤرخين ان . ..) والصواب : . . المؤرخون . . .

ص ١٤٣ قال عن الخطاط ابي علي بن مقلة : (كما ان له أخ خطاط . .) والصواب : اخا خطاطا .

ص ١٤٣ قوله : (واسمه الكامل ابي عبدالله الحسن ...) والصواب : ابو عبدالله .

ص ١٤٤ قوله : (كما ظهرت انواعا جديدة من الخط) والصواب : انواع . . .

ص ١٤٤ قوله : (. . ان أخيه . .) والصواب : اخاه . .

ص ١٤٥ قوله : (ان الايرانيون . . .) والصواب : الايرانيين . . .

ص ١٤٩ قوله : (وله ابناء خطاطين . .) والصواب : خطاطون . .

ص ١٦٣ قوله عن ابن البواب (.. وصار خطاطا على يد استاذه ابا عبدالله محمد بن أسعد (كذا)
والصواب : ابي عبدالله محمد بن أسد .

ص ١٦٥ قوله : (. . تضم حكما ونصائحا . .) والصواب : نصائح . .

ص ١٧٥ قوله : (. . كان يكتب يوميا اثني عشر ساعة ..) والصواب : اثنتي عشرة ساعة

ص ١٧٩ قوله: (.. الا انه اوعده في الاجازة ..) والصواب : وعده . لأن وعد بالخير واوعد بالسوء . والفوز بالاجازة خير .

ص ١٨٣ قوله عن المرحوم هاشم الخطاط : (كانت من آماله كتابة القرآن الكريم، فأتم ثلثاه . .) والصواب : ثلثيه .

ص ١٩١ قوله : (كما يوجد مصحفا . .) والصواب : مصحف .

ص ١٩٣ قوله : (تأليف ابو القاسم . .) والصواب : ابي القاسم . .

ص ١٩٧ قوله : (لخزانة المستظهر بالله أبو العباس . .) والصواب : ابي العباس

ص ٢١٨ قوله : (ويضاف قلقاً جديداً . .)والصواب : قلق جديد . .

ص ٢١٩ قوله : (وليس لها حروفاً . .) والصواب : حروف .

ص ٢٢١ قوله : (من الخط الرديء ذا المستوى . . .) والصواب : ذي المستوى . .

ص ٢٢٢ قوله : (اذ ان تعلم الخط الجيد امرا ضروريا محتوما ذا فائدة . . .)
والصواب : أمر ضروري محتوم ذو فائدة . .

ص ٢٢٥ قوله: (. . . يتعلم الخطاطون فنهم ويطوروه . .) والصواب : ويطورونه

ص ٢٢٩ قوله : (ثم صار لكل نوع فروعا عديدة . .) والصواب : فروع . .

ص ٢٤٢ قوله : (. . ولما يقع فيه الطلاب والمبتدئين والمتعلمين . . .) والصواب : والمبتدئون والمتعلمون . .

ص ٢٤٣ قوله : (ليست لها حروفا . .) والصواب : حروف . .

ص ٢٦١ قوله : (هناك نوعان من الخط كانا مستعملان . .) والصواب : مستعملين .
هذا بالاضافة الى الأخطاء في استعمال باء الاستبدال . حيث ترد
عنده بصورة معكوسة . . وكذلك الأخطاء في تذكير وتأنيث الأعداد .
وفتح همزة إن بعد القول . .
أما الأخطاء التاريخية والفنية فأدرجها فيما يأتي :

ص ٩٣ قوله : (الخطاط محمد زهرى . .) والصواب : الزهدي

ص ١١١ قوله عن خط الاجازة : (ولإخراج الحروف لكل خطاط مذهبه الخاص
فابن البواب مثلا له طريقة خاصة باخراج النون من اللام الأخيرة ،
وياقوت المستعصمي له طريقة خاصة باخراج القاف من اللام نفسه ،
ولابن العفيف طريقة خاصة باخراج الياء الأخيرة من اللام نفسه . .)

أقول : هذا كلام يكشف لنا ان المؤلف الفاضل . لا يعرف الخط العربي ، والا
فالذي ذكره لا يحتاج الى طريقة خاصة لكل مجتهد من أئمة الخطاطين
كالذين ذكرهم . وان اضعف الخطاطين يعرف ذلك ، بل ليس له
مندوحة عن ذلك فالقاعدة السفلى لحرف اللام تكون مشتركة بين اللام
والنون والقاف والياء . . وانا أزيد على ذلك اربعة حروف اخرى وهي السين
والشين والصاد والضاد أيضاً لأن الحروف الأربعة التي ذكرتها يكون
حرف النون كأساً لها . وازيد أيضاً انها تكون مشتركة في حالتي القصر
والمد ايضاً . كما انها تكون مشتركة في خط الاجازة والثلث والرقعة والنسخ
والتعليق ولا تقتصر على خط الاجازة .

ولو كان المؤلف الفاضل يعرف الخط العربي لأدرك ذلك أول وهلة .
ولا أدري كيف انه لم يدرك ذلك بعد تتبع وعناية بالخط طيلة ثلاثين سنة
كما يقول . .

ص ١١٥ قال عن الخط الكوفي الايراني : (. . وكان من مميزاته ان مداته أكثر

وضوحاً من جراته) وانا والله العظيم لا اعرف الفرق بين المدّة والجرّة .
فهما سواء عند الخطاطين . فهلا تفضل وشرح انا الفرق بينهما .

ص ١٣٠ قوله عن الطغراء: (يذكر ان قصة الطغراء بدأت اول مرة في عهدالسلطان مراد الاول . حيث وقّع باصابعه على المعاهدة مع المجر . .) .

أقول : ان هذه القصة تنسب الى تيمورلنك وهو قبل السلطان مراد الاول .
والصحيح ان الطغراء أقدم منهما . حيث اننا نعرف الشاعر الخطاط الحسين بن علي الطغرائي المقتول سنة ٥١٥ هـ صاحب قصيدة لامية العجم المشهورة . وكان خطاطا بارعا متخصصاً بكتابة الطغراء السلطانية . واقب بالطغرائي من أجل ذلك .

ص ١٣٣ قوله عن بسملة ابن البواب : (تساوي اربعة أحرف من الارسال هي: ارساله الميم من بسم، وارساله الراء من الرحمن وارساله الياء من الرحيم وارساله الميم من الرحمن) .

أقول : هذا كلام لا معنى له . وهو لا ينطبق على صورة البسملة المنشورة في الكتاب فهل يقصد المؤلف غيرها ؟ واذا انطبق على ميم بسم وراء الرحمن فلا ينطبق على البقية . ولو كان المؤلف يعرف الخط لادرك ذلك . واين هو الارسال في ميم الرحمن وياء الرحيم ؟ وكيف يكون الارسال في الميم الوسطى والياء غير الممدودة ؟

ص ١٤٣ قال عن الوزير ابن مقلة : (كما ان له أخ خطاط — كذا — اسمه حيون).
ولا أدري من أين جاء المؤلف الفاضل بهذا الاسم . ولم أجده في قائمة الخطأ والصواب .

ص ١٤٣ قوله : (واخذ عن ابراهيم السجزي الخطاط اسحاق بن ابراهيم — الأحول المحرر . وكان في عهد البرامكة . وكان الخليفة المأمون معجباً بخط الأحول المحرر ، كما كان استاذا للخليفة المقتدر ولاولاده . .) .

أقول : يا أخي هناك اثنان يحملان لقب المحرر . الاول اسمه احمد الأحول المحرر وهو في عهد البرامكة وكان المأمون معجبا بخطه وتوفي بعد سنة ٢١٨ هـ . والثاني اسحاق بن ابراهيم المحرر . توفي سنة ٣١٥ هـ والاحول لقب أبيه ابراهيم . والثاني كان معلما للخليفة المقتدر وأولاده . ولله درك كيف جمعت بين الثلاثة في تعريف واحد . ولو انك تتبعت تراجم الخطاطين لوجدت اعمارهم قصارا فكيف عاش الأحول المحرر من عهد البرامكة الى ايام المقتدر وأولاده من بعده .

ص ١٤٤ قال : (. . محمد السمسماني الذي تتلمذ على يد الوزير ابن مقلة،وقيل على يد محمد بن أسد الذي أخذ الخط من ابن مقلة ايضا . .)

أقول : إن الوزير ابن مقلة توفي سنة ٣٢٨ هـ ومحمد بن علي السمساني توفي سنة ٤١٥ هـ والفرق بعيد بينهما ، لا يمكن ان يتتلمذ على يده . وهناك خطاط آخر سمه محمد بن علي السمساني ايضاً توفي سنة ٤٣٤ هـ وهذا ابعد من الأول . واما محمد بن اسد فقد توفي سنة ٤١٠ هـ اي بعد ابن مقلة بتسعين عاما . ونحن نضيف ان ابن مقلة ولي الوزارة سنة ٣١٦ هـ وانشغل بذلك عن تعليم الخط حيث بقي مشغولا بالوزارة والعزل والاختفاء والحبس والمحنة . وان ايا من هؤلاء الثلاثة لم يتتلمذ على يد ابن مقلة. والافضل أن تقول كتب على طريقة ابن مقلة في الخط لتكون اكثر دقة من قولك : تتلمذ على يده او أخذ عنه . .)

ص ١٤٦ قال : (الخطاط ابن الضائع . .) والصواب : ابن الصائغ .

ص ١٥٠ قال : (أما في لبنان فمن أشهر الخطاطين عندهم . . . ونجيب هواويني

أقول : الخطاط نجيب هواويني مصرى وليس لبنانيا .

ص ١٥٣ قال عن الوزير ابن مقلة : (كان له عدة إخوة أشهرهم الخطاط ابو عبدالله مخترع خط الثلث . الذي يكبره بست سنوات) .

أقول : يفهم من قولك أن ابا عبدالله أكبر من أخيه الوزير ابن مقلة بست سنوات. والصحيح هو العكس لأن الوزير ولد سنة ٢٧٢ هـ واما أخوه فولد سنة ٢٧٨هـ

ص ١٥٤ قال عن الوزير ابن مقلة : (تعلم الخط على يد الأحول المحرر الذي كان تلميذا لابراهيم السجزي) .

أقول : وهذا عين الخلط بين احمد الأحول المحرر وبين اسحاق بن ابراهيم المحرر والثاني هو استاذ ابن مقلة . لأن الاول توفي قبل ان يولد ابن مقلة بأكثر من نصف قرن .

ص ١٥٥ قال عن الوزير ابن مقلة : (الخطاط الماهر الذي لم تنجب الامة العربية والاسلامية لحد الآن خطاطا مثله) .

أقول : وهذا شاهد آخر على عدم معرفة المؤلف بالخط العربي .

انتا نحترم ابن مقلة ونعتز به ونفخر كل الفخر ، ولا نشك في ان ابن البواب ارقى منه وامتن ، وياقوت المستعصمي ارقى من ابن البواب . . وهذه شواهد خطــوط ابن البواب لا تكـــاد ترقى الى مستوى خطوط طلاب الصف الثاني في فرع الخط العربي بمعهد الفنون الجميلة وليس في كلامي هذا طعن او انتقاص من ابن البواب وابن مقلة . ولكن هذا هو الحق . نعم إنهم كانوا خطاطين عباقرة عظماء في عصورهم .

أما ان الامة العربية والاسلامية لم تنجب لحد الآن مثل ابن مقلة . فهذا تعسف وجهل بالخط . اين اذن تضع الخطاطين امثال هاشم وصبري وحسني ومكاوي وسيد ابراهيم وبدوي وحامد وراقم وسامي وعزت و احمد الكامل والحافظ عثمان وغيرهم من عظماء الخطاطين العرب والأتراك ؟

ص ١٥٦ لوحة منسوبة الى ابن مقلة علق عليها المؤلف بقوله :

(الا أن الشك يراودنا في صدق رجوع هذه الرقعة اليه لقوتها . . ونظراً لما كان يمتاز به عهد ابن مقلة من بدائية في رسم الحروف وضعف الخط)

أقول : كيف توفق بين هذين الرأيين الصادرين منكم حول منزلة ابن مقلة ؟ أيهما الصواب ؟ كيف تستكثر هذه اللوحة على ابن مقلة الذي وصفته بأنه لم تنجب الأمة العربية والاسلامية لحد الآن خطاطا مثله .

أما اللوحة نفسها . فليست لابن مقلة . وانا لا أناقش ذلك من نظري لقوة الخط او ضعفه . ولكن اناقشها من حيث العبارة الواردة فيها وهي :

(اللهم ياولي الولى — كذا — ويا كاشف الضر والعناء ادفع عني القحط والطاعون — بالكسر — وزلزلة — نكرة — والوباء . بحق محمد المصطفى وعلي المرتضى وخديجة — بالرفع — الكبرى وفاطمة الزهرى — كذا — وحسن الرضى وحسين شهيد الكربلاء — بالتعريف . . .)

هل تصدق يا أخي أن هذه العبارات من انشاء الوزير ابن مقلة؟ وهو الاديب الشاعر البليغ الكاتب المترسل .

ان هذه اللوحة لا تعدو أن تكون لبعض النساخ من دراويش العجم . مع العلم ان هذه اللوحة كان قد نشرها الأستاذ ناجي المصرف في كتابه (بدائع الخط العربي) وكتبت عنها في مجلة الرسالة الاسلامية ببغداد بما فيه الكفاية .

ص ١٦٦ ورد (ابن العريم) والصواب : ابن العديم .

ص ١٧١ قال عن ياقوت المستعصمي :

(ولد خطاطنا ياقوت بن عبدالله الموصلي الملقب (امين الدين) المعروف بالملكي — نسبة الى ملكشاه — عام ٥٣٨ هـ وتوفي عام ٦١٨ هـ بعد أن بلغ من العمر ٨٠ عاماً) ثم قال : (وجاء في مصور الخط العربي لناجي المصرف ص ٣٢٠ ان ياقوت بن عبدالله الملكي الحموي المتوفى سنة ٦١٨هـ يختلف عن ياقوت المستعصمي) .

أقول : هنا تسكب العبرات !

يا أخي هناك ياقوت بن عبدالله الخطاط المتوفى سنة ٦٢٢ هـ وياقوت ابن عبدالله الحموي الخطاط المتوفى سنة ٦٢٦ صاحب معجم الأدباء ومعجم البلـــدان وياقوت بن عبدالله الخطاط المتوفى سنة ٦٣٨ هـ وهؤلاء الثـــلاثة بغداديون . أما ياقوت بن عبدالله المتوفى سنة ٦١٨ هـ الذي ذكرت ترجمته فليس بغدادياً . والدليل على ذلك قول الشاعر ابي النجيب يمدحه ويصف بغداد بقوله :

بلدة تستفاد فيها المعالي والمعاني علما وجـــدّاً وهزلا
لم يفتها من الكمال سو (يا قوت)لو أنها بـــه تتحلى

وهؤلاء كلهم غير ياقوت المستعصمي الذي تترجم له بالعنوان فقط والذي توفي سنة ٦٩٨ هـ فما ندرى على اي شيٍْ نحسدك ؟

ألم تفطن الى اللوحة التي نشرتها في الكتاب كنموذج من خط ياقوت وعليها تاريخ خطها بالحروف لا بالارقام (في صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة . . .)

فكيف كتبت وفاته سنة ٦١٨ هـ . . . (تعالوا على ياقوت نبكي ونلطم)

ص ١٧٥ ورد (الملا علي الدرويش) والصواب : الدروش.

ص ١٧٩ قال عن المرحوم هاشم الخطاط : (. . صيف سنة ١٩٧٢ الذي توفي فيه) والصواب ١٩٧٣

ص ١٩٨ قال : بخط مصطفى عزة سنة ١٨٢٨ هـ) والصواب : ١٢٨٨ هـ .

* * *

بعد هذه الملاحظات التي ابديناها على ما ورد في تضاعيف الكتاب من الأخطاء اللغوية والتأريخية والفنية . . . نتوجه بالعتاب اولا الى الدكتور عبدالحسين الفتلي . الذي راجع لغة الكتاب والذي شكره المؤلف على ذلك في صدر الكتاب . اللهم الا ان يكون الدكتور قد صحح اضعاف ماذكرناه حتى ملّ وترك لنا فرصة للنقد والملاحظة

كما نتوجه بالعتاب الى وزارة الاعلام العراقية . لا على مساعدتها بنشره فذلك عمل مبرور وسعي مشكور . ولكننا نعرف ان الوزارة تحيل الكتب على اجنة اوخبير ونحن لا نشك في ثقافة اللجان والخبراء . فاين هي ملاحظاتهم وتوجيهاتهم مع ما وجدناه في الكتاب من خبط وارتباك .

وما بقي من العتاب نحيله إلى الاستاذ الباحث علي الخاقاني الذي وقف على اخراج الكتاب وتصحيحه . فما كان ينبغي له ان تفوته مثل هذه الأمور . ان فاتت على من سبقه .

* * *

وخاتمة المصائب في الكتاب هي الأبجدية الجديدة التي قدمها لنا المؤلف بعنوان (الخط المنتقى) ويريد بها تطوير الخط العربي. فهدم بيده ما كان قد بناه في بعض ثنايا الكتاب .

يقول في ص ٢٤١ « وقد انبثقت احاسيسي عن مشاكل الخط ، وانا عائش في واقعه منذ اكثر من ثلاثين عاما في دراسته نظريا وتعمقت في تطبيقه عمليا . زاد تأملي والتفكير في مستقبله آنياً » .

وأنا لا أريد أن اناقش الأبجدية الجديدة . فايس هذا وقتها . ولكني اقول : ينبغي قبل كل شيء تحديد معنى الخط العربي الاسلامي على اساس انه فن أصيل له قواعده المقررة واصوله المحررة . وهذه القواعد والاصول خاضعة للتطوير ، وليست منزلة من السماء . وقد طور اجدادنا الخط وابدعوا فيه ولم يكن ن ذلك وقفاً عليهم (فهم رجال ونحن رجال) .

وأول ما يطلب من الذين يسعون لتطوير أنواع الخطوط ان يكونوا قد أتقنوها جميعاً ، وبرزوا فيها وابدعوا ، فاذا وجدوا فيها ضيقاً او قبحا ، فعليهم ان يحسنوها ويرتقوا بها الى الأفضل . اما ان يكون الذي يسعى لتطويرها غير عارف بها . فلا أدري كيف سيطوّرها .

والمؤلف الفاضل لا يعرف الخطوط ولا الخطاطين ، وان كان قد عرف بعضها وبعضهم . . وهذا قوله في ص ٢٥٣ :

« كثرة الخطوط العربية الاسلامية وتنوع اشكالها ورسومها يجعل ضبط أشكالها للجميع مستحيلا » .

اذن كيف سيسعى لتطويرها اذا استحال ضبطها عليه ؟

ثم انه يريد ان يوحد الخط العربي ويقتصره على نوعه (المنتقى) ويبرر ذلك بقوله في ص ٢٥٣ :

مآزق محرجة للجميع » .

اين هي المآزق . هلا ذكر لنا بعضها . الم يسأل نفسه لماذا عاشت هذه الخطوط طيلة الاحقاب البعيدة . وماتت غيرها الحديثة مثل خط (سياقت) وخط(التاج) . كيف عاشـــت دون مبرر ؟ هل تستطيع انت أن تعيش دون مبرر ؟

ولماذا يستكثر علينا هذه الألوان الجميلة في فن الخط العربي . اما كان عليه ان يسعى الى توحيد مدارس ومذاهب الرسم قبل الخط . وذاك هو ميدانه اولا . ثم يجعل من دوافع تطويره للخط قوله :

« تخلفنا عن الدول المعاصرة . وحتى من تكتب بحروفنا العربية لعدم توحيدنا وتطويرنا لحروفنا » .

فهل هذا صحيح يا عزيزي ؟ لا أدري كيف ارد هذه الفقرة . الا بقولي انه من ابرز مظاهر الوحدة بين الأمة العربية هو هذا الحرف البديع الجميل . فهل تريد أن تكتب الاقطار العربية بابجديات جديدة كالعراق بابجدية الصكار ومصر بأبجدية توما نصار ولبنان بابجدية حنا ابي راشد (صاحب الموسوعة الماسونية) .

ان لغتنا وحروفنا الآن في تقدم وازدهار وانتصار . وقد دخلت اللغة العربية هيأة الامم بخطها البديع القشيب السهل . فهل تريد تغييره قبل ان يتعلمه الاصدقاء

والاعداء ؟ واريد ان اذكر لك أن هناك خمسة ملايين كتاب مخطوط موزعة في مكتبات العالم كلها بخطنا الجميل الذي استحال عليك ضبطه . فما نصنع بها بعد التطوير ؟ .

ثم يرتبك المؤلف بالتماسه المبررات التي تدفعه الى تطوير الخط بقوله :

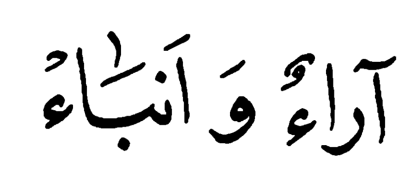
« . . . ونظراً لعدم تكامل نوع واحد من هذه الخطوط لبعده عن مجاراة التطورات الفكرية والعلمية الحديثة ، فعصرنا عصر السرعة والابتكار والتطوير . . . عصر التجديد والتغيير . ونريد لخطنا التجديد والتغيير نحو الاحسن بعد ان تعقدت الحياة واختلطت اللهجات وتشابكت الحروف » .

أقول : هل اختلاط اللهجات وتشابك الحروف ولد حديثا ؟ ثم ما هي علاقة الخط بالتطورات الفكرية والعلمية الحديثة . . ان الدول الرأسمالية والاشتراكية والتقدمية والرجعية تتبادل الصحف والكتب وكلها تقرأ. وكل دولة تكتب بحروفها وتترجمها الى الأقطار التي تريد بث الدعاية فيها .

وهناك اشكال عديدة للحروف اللاتينية في الخط والطباعة وباحجام مختلفة كل يؤدي دوره ومعناه . ثم ما علاقة الخط بالسرعة والابتكار والتغيير ؟ هل رأيت الحروف الصينية ؟ إنك تكتب سطراً كاملاً بالعربية . قبل ان يكتب الصيني حرفاً واحداً، مع العلم ان اشكال الحروف الصينية تبلغ الالف حرف . وهي على شكلها منذ عهد كونفوشيوس . فلم يمنع ذلك الخط الصين من ان تتقدم وتبز غيرها من الأقطار في ميادين السرعة والعلم والاختراع . بل لم تحاول ان تختصر من حروفها . بله تطويرها (فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم) .

وانت يا أخي في كل ما قدمته من اشكال ابجديتك ، لا تعدو انك عدت الى الخط الكوفي الذي كتب به اجدادنا قبل الف عام ووجدوه يابسا فمالوا الى تطويره وجعلوه لينا كالثلث والنسخ وبقية الانواع التي ليست فيها زوايا واستقامة مسطرية . فهل تريد بتطويرك ان تعود الى الوراء الف عام .

وفي الختام اتمنى لك العمر المديد والانتاج الحميد والرأي السديد .


آراءُ وَ انبَاءُ

تقرير عن أعمال المجمع العلمي العراقي
خلال الدورة المجمعية لسنة ١٩٨٠ - ١٩٨١

تمت دورة المجمع العلمي العراقي هذه السنة في أحوال استثنائية لجأ فيها العراق الى استخدام السلاح وخوض المعارك للدفاع عن كيانه ، واسترداد حقوقه وايقاف التجاوزات الاعتدائية الايرانية . وقد عبر المجمع عن موقفه المساند للحركة للحكومة ببرقية ارسلها رئيس المجمع الى السيد رئيس الجمهورية ، عبر فيها عن تأييد المجمع واستعداده للاسهام بكل ما يصون وحدة الامة وكرامتها ، ويدعم عزها وطموحها ، واصدر مجلس المجمع بيانا يوضح فيه موقف العراق ونواياه الحسنة ، ويطلب من مفكري العالم واحراره ، العمل على ايقاف القتال وإحلال السلام . وأسهم اعضاء المجمع من مواقعهم في العمل الحكومي بالمجهود الواجب بذله ، وشارك عددٌ من موظفي الادارة ومستخدميها في المجمع بما تطلبته الأحوال من اعمال وواجبات .

وكان للحماس الذي بعثته إرادة الانتصار أثر كبير في تخفيف بعض الآثار المعرقلة ، التي ولدها تقطع التيار الكهربائي ، وعمل الجميع على تلافي تلك الآثار بروح التعاون والشعور بالمسؤولية . وتابع المجمع أعماله وفق النظم والاساليب التي اختطها لنفسه .

تابع المجمع تنمية علاقاته وتعزيز صلاته بالمؤسسات ذات العلاقة في داخل القطر وخارجه فرفع الى الجهات العليا ، توصية باستعمال الارقام العربية المشرقية ، واجاب على عدد من الاستفسارات التي وجهها اليه عدد من دوائر الدولة ، ويسر لعدد من الباحثين الافادة من كتبه ومخطوطاته ، وطبع رقيقات لعدد غير قليل من الباحثين ، وزود الاعضاء المؤازرين . والباحثين ، والمؤسسات العلمية ، في داخل القطر وخارجه ، بمطبوعاته وببعض الكتب التراثية التي اقتناها لهذا

الغرض ، ورحب بزيارة عدد من العلماء والباحثين العرب والاجانب ، إبّان إقامتهم في العراق ، وأوفد أحد أعضائه العاملين الى المغرب ، للمشاركة في ندوة عقدت لدراسة تعريب المصطلحات ، كما اوفد أحد خبرائه العلميين الى عدد من اقطار الوطن العربي ، لاستكمال الدراسة التي يقوم بها عن اوزان الشعر العربي .

وشارك معظم أعضاء المجمع في عدد غير قليل من الندوات العلمية، والحلقات الدراسية التي انعقدت في داخل القطر وخارجه ، وقدم بعضهم دراسات وأبحاثاً في هذه الندوات .

عقد ديوان الرئاسة (١٢) جلسة ، نظر في عدد من الأمور المالية والادارية والتنظيمية المتعلقة بتوسيع أبنية المجمع ، وإكمال شراء الأجهزة والمكائن والآلات الواجب توفرها في المجمع ، وقام بدراسة الميزانية ، وأقر عدداً من المناقلات بين فصول الميزانية ، وأصدر قرارات تتعلق بتنظيم عدد وأسعار المطبوعات .

وبالنظر للتطورات الجارية في تكاليف الحياة والاوضاع المالية ، فقد قرر ديوان الرئاسة رفع بعض المكافآت ، فتقرر ان يدفع للعضو العامل المقيم خارج بغداد (٤٠) ديناراً لتغطية نفقات قدومه وتنقله وإقامته ببغداد ، ورفع المكافأة على المشاركة في جلسات اللجان إلى ثمانية دنانير عن كل جلسة ، كما رفع مكافأة النشر في المجلة الى ثلاثة دنانير للصفحة الواحدة ، والمكافأة عن الكتب المطبوعة الى مبلغ يتراوح بين ٤٠ — ٥٠ ديناراً للملزمة الواحدة من الكتب العربية ، وأقر مكافأة بعض عمال المطبعة على الانجازات الاضافية التي يقومون بها .

عقد مجلس المجمع ثماني عشرة جلسة خصص بعضها لمناقشة بعض الامور العامة المتعلقة بأسس وتنظيم عمله في الدورة الحالية ، وناقش أعمال ندوة بغداد ، وأعمال الترجمة والتأليف والنشر ، وموقف المجمع من الاعتداءات الايرانية .

أولى المجلس اهتمامه الاكبر لموضوع المصطلحات العلمية وتعريبها ، فاطّلع على تقريرين أعدت أحدهما لجنة اللغة العربية حول القواعد العامة والضوابط

للمصطلح العربي ، وأعدت الثاني رئاسة المجمع حول المؤسسات التي تعنى حاليا باعداد المصطلحات العربية وإمكان الافادة من « البنوك التي أنشئت في عدد من البلاد لجمع المصطلحات باستعمال الآلات الحسّابة » وأقر وجوب العناية بالمعاجم العربية والرجوع الى المصطلحات العربية القديمة ، التي وردت فيها وفي الكتب العلمية .

وكان المجلس قد أقر تشكيل اجنة لدراسة المصطلحات تقوم بدراسة المصطلحات التي تنجزها اللجان ، وتوزعها على اعضاء المجمع لدراستها ، وتقديم اقتراحاتهم وتعليقاتهم وملاحظاتهم الشخصية عليها ، ثم تعرض اللجنة هذه المصطلحات بعد تدقيقها على المجلس ليبدي ملاحظاته ويوافق عليها من حيث المبدأ وتكون بعد ذلك معدة للنشر في مجلة المجمع ، وبهذا الاسلوب من العمل تمت الموافقة على مصطلحات الفيزياء والرياضيات ، والهندسة المدنية والزراعية .

أجابت لجنة اللغة العربية على عدد كبير من الاستفسارات التي أحالتها اليها رئاسة المجمع حول عروبة بعض الاسماء المتصلة بالمعاملات التجارية ، ودرست بعض القواعد في وضع المصطلحات واقرارها وطبعها وضبط بعض الكلمات وكتابة الاعلام للاشخاص والمدن والقبائل ، والاعلام الجغرافية والارقام المشرقية والمغربية ، كما درست ضبط بعض الكلمات الاعجمية ، وقواعد الترجمة ، وقدمت لمجلس المجمع تقريرا حول ضبط تعريب المصطلحات .

وقامت لجنة الاصول بدراسات عن الأسماء المنتهية بتاء التأنيث ومعاني حروف الجر ، وأسماء الأشهر ، وحقيقة التضمين ، والمجاز في الحروف والاشتراك في معانيها ، والقياس عند العرب ، وموضوع الاسماء التي جاءت على مثال سيد وطيب ، واللهجات وردّها الى الفصيح ، كما درست بعض الاساليب التي انحرفت عن سنن العربية ، وأشارت الى وجوب تقويمها ، وأكدت على وجوب اختيار المأنوس من الالفاظ الفصيحة ، وإلى عيوب اللهجات وعدم وفائها بالحاجات الفكرية .

ودرست لجنة التأريخ عددا من القضايا المتعلقة بالتأريخ العربي ومنها ما عرفه العرب من التواريخ الاعجمية ، والمؤلفات في تاريخ العرب القديم ، والمؤلفات الجديرة بالنشر او بالترجمة ، والترقيم والتقويم عندالعرب قبل الاسلام ، ودراسة التاريخ في الكليات ، وأهمية إعادة كتابة التاريخ ومعوقاته ، وعوامل عدم تحول الحضارة العربية إلى حضارة تقنية ، وتطور الزراعة والري في تأريخ العراق ، وتقسيم التأريخ الى طبقات ، والسند وأهميته وظهور التدوين ، ومصطلحات التراث والموروثات ، كما درست أهمية وضع معجم تاريخي للقرآن الكريم ، ومعجم في مدن وقرى العراق القديمة ومن مصطلحات التراث والموروثات .

وعقدت لجنة الاقتصاد جلسة درست فيها أسس اعداد المصطلحات ، وتداولت في أمر عقد ندوة للتاريخ الاقتصادي .

وتابعت لجنة التراث العلمي العربي الاهتمام بدراسة مؤلفات الكندي وحنين ، فأعدت قوائم بمؤلفاتهم ، وأشارت فيها الى مالم يطبع بعد ، أو ما يصعب الحصول عليه من المطوع ، تمهيدا لجمعها وإعادة طبعها .

ودرست كذلك نطاق تاريخ العلوم والمؤلفات فيه ، ومدى توفر المعلومات عنه ، وعوامل ازدهار وجمود الحركة الفكرية في الاسلام ، ومدرسة جنديسابور في الطب: مصادر دراستها ودورها ، ودور الجزيرة في الحركة الفكرية ، وديسقوريدس وأهميته والمخطوطات العربية ومظانها وسبل الحصول عليها ، والمصطلحات العلمية العربية في كتب العلوم ، والتقاويم العربية القديمة ، وعوامل تزايد وتناقص السكان في القديم .

ودرست لجنة الحضارة والفاسفة بعض المصطلحات الحضارية والعمرانية المذكورة في عدد الكتب التراثية العربية ، وقدمت مشروعا لاختيار نصوص تراثية من مختلف جوانب المعرفة العلمية ، والانسانية واللغوية . وقد درس ديوان الرئاسة المشروع من حيث المبدأ وأقر أن يبدأ أعضاء اللجنة بتطبيقه .

وتابعت لجنة الفيزياء والرياضيات تثبيت المصطلحات فثبتت (٥٧٠) مصطلحاً في الفيزياء ، ودرست (١٦٥٠) مصطلحا في الرياضيات . وقد قدمت هذه المصطلحات الى لجنة مقرري المصطلحات لدراستها وإقرارها .

وتابعت لجنة الزراعة دراسة مصطلحات الزراعة والري وأنجزت ما يناهز (١٠٠٠) مصطلح في الري و (٢٠٠) مصطلح في علم الغابات ، وبذلك يكون ما أنجزته أكثر من (١٠٠٠) مصطلح في علم الغابات .

ودرست لجنة الكيمياء الاسس والقواعد التي يسير عليها الكيميائي في طريقة كتابة وتعريب المصطلحات الكيميائية ، ودققت عدداً من مصطلحات الكيمياء ، وأجابت على عدد من الاستفسارات الواردة من بعض الجهات الرسمية .

وتابعت لجنة الهندسة دراسة المصطلحات وتعريبها ، فأنجزت نحوا من (٣٦٠) مصطلحا هندسيا ، ودرست نحو (١١٠٠) من مصطلحات النجارة والهندسة المعمارية كان مكتب التعريب في الرباط قد طلب إبداء الرأي فيها ، واقترحت عدداً من الاصلاحات والتعديلات عليها .

انتخبت الهيئة الكردية الدكتور جوامير مجيد سليم رئيسا لها بالوكالة بعد أن أصبح رئيسها السابق عزيز رشيد عقراوي مستقيلا لتغيبه المستمر دون عذر مشروع ، وعقدت الهيئة عدة اجتماعات أعادت فيها توزيع الاعضاء والخبراء على اللجان، ودرست فيها متطلبات نشاط الانتاج الفكري ، وتحسين الطباعة وعمل اللجان ، وتوزيع المطبوعات وتابعت لجانها الثلاث :

لجنــة اللغة الكردية ، ولجنة الادب والتراث الكرديين ، ولجنة المجلة اجتماعاتها ، ودراسة القضايا الداخلة في اختصاص كل منها . وتدرس الهيئة معلمــة عن الكردية ورجال العلم فيها ، كما تدرس اعادة طبع بعض الكتب المهمة النادرة ، وترجمة الكتب الاساسية الى اللغة الكردية ووضع الاسس لإقرار المصطلحات باللغة الكردية .

وبالنظر لانتخاب المطران زكا عيواص رئيس الهيئة السريانية بطريركا أعلى الكنيسة السريا ن الارثودكس ، التي مقرها دمشق فقد انتخبت الهيئة العضو العامل يوسف خيدو رئيسا لها بالوكالة وتابعت لجنة المعجم العمل في إعـداد معجم عربي سرياني وموسوعة في الادب السرياني ، كما قامت لجنة اللغة والتراث بدراسة مقارنة للغتين العربية والسريانية ، وبجرد المصطلحات السريانية العامة والحديثة .

وقد استعانت لجان المجمع بعدد من المختصين للافادة من خبراتهم ، وبلغ عدد الخبراء الذين شاركوا في اجتماعات اللجان ومناقشاتها (٢٧) وبلغ عدد الخبراء الذين استعانت بهم لجان الهيئات الكردية (١٣) ، والذين استعانت بهم الهيئة السريانية (٤) خبراء .

وعقدت اللجنة المختصة بدراسة الاعدادات العلمية لندوة بغداد ومؤرخها الخطيب البغدادي ، عدة جلسات تابعت فيها الاتصال بالباحثين لإنجاز ما أُسنِدَ إليهم ، وعملت على جمع الخرائط والكتب المتعلقة ببغداد ، واتصلت بأمانة العاصمة لتنظيم العمل معها على إنجاز دراسات عن التطورات العمرانية الحديثة في بغداد .

وتمت الاعدادات لندوة الاملاء الكردي التي تنظمها هيئة اللغـة الكردية غير أنّ ظروفاً استثنائية طارئة قضت بتأجيل عقد الندوة .

نظرت لجنة التأليف والترجمة والنشر في عدد من الكتب التي قدمت لطبعها في المجمع ، فأحالت بعضها إلى الخبراء لإبداء الرأي في جدارتها وقررت طبع الكتب التالية التي قدمها اعضاء المجمع .

مصادر التراث العسكري عند العرب للاستاذ كوركيس عواد ، شعراء أمويون الدكتور نوري حمودي القيسيّ وتكملة الخريدة للاستاذ محمد بهجة الاثري وفهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي للاستاذ ميخائيل عواد وكتاب الشوارد في

اللغة للصاغاني تحقيق السيد عدنان عبدالرحمن والجزء الثاني من تاريخ الموصل تأليف السيد سعيد الديوجي ، وبحث « من قضايا المرأة » للعضو العامل الدكتور كامل البصير و « ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب » دراسة وتحقيق للاستاذ محمد بهجة الاثري .

وقد صدر خلال هذه الدورة الجزء الثاني من فهارس مخطوطات المجمع العلمي العراقي اعداد العضو العامل الاستاذ ميخائيل عواد ، كما صدر الجزء الثاني من فهارس المخطوطات السريانية في العراق .

وطبع المجمع عددا من الكتب التي أصدرتها هيئة اللغة الكردية وآدابها وهي تشمل (١) المجموعة الشعرية فقي قادر هماوند جمع وتحقيق الشيخ عبدالكريم المدرس وفاتح عبدالكريم (٢) كجاني كورد ترجمة الدكتور ناجي عباس احمد (٣) جغرافية كردستان الايرانية تأليف علي أصغر شميم الهمداني وترجمة عبدالرحمن ذبيحي (٤) الشيخ نوري الشيخ صالح تأليف الدكتور كامل البصير (٥) مذكرات مأمون بك بي بيكه بك . ترجمها وعلق عليها الاستاذان محمد جميل الروزبياني وشكور مصطفى .

أُوليت مكتبة المجمع عناية كبيرة ، واستمرت تنميتها بالكتب المهمة المتصلة باختصاصات المجمع ، وقد أضيف اليها في هذه السنة (٨٨٩) كتابا بالعربية تم الحصول عليها بالشراء ، أو عن طريق المبادلات والهدايا ، واستمرت تنمية المجلات العربية في المكتبة ، وتم شراء عدد من الكتب القيمة الاجنبية من عدد من المكتبات في المانيا وهولندة وانكلترة . وقد اتخذت الخطوات اللازمة لاكمال نقائص مجموعات المجلات العلمية التي تضمها المكتبة ، واضافة المجموعات التي تنقصها في نطاق اختصاصها .

وقد بلغ مجموع الكتب التي اضيفت الى المكتبة خلال هذه الدورة (٨٨٩) كتابا بالعربية و (٩٠٠) كتابا باللغة الكردية و (٣٤٠٣٠) كتابا باللغات

الاجنبية . كما انها تضم ٥٠٠ دورية منها (٥٠) دورية باللغات الاجنبية ، وبالاضافة الى ذلك فان مكتبة الهيئة الكردية تضم (٢٠و٠٠٠) كتابا و (٤٥)دورية.

وتضم مكتبة الهيئة السريانية (١٩٧٧) كتابا و (١٢٩٠) مجلة .

ويخول المجمع اعضاءه شراء ما يرونه من الكتب للمكتبة ، ويستجيب الى اقتراحاتهم في تنمية المكتبة .

واضيف الى شعبة المخطوطات أكثر من مائة رقيقة مصورة لمخطوطات متنوعة تم الحصول عليها بالشراء ، او مقابل تقـديم نسخة مصورة لا صحابها واضيف اليها ايضاً (١٢٨) كتابا مصوراً لمخطوطات او مقالات وكتب نادرة . ويبلـغ عدد المخطوطات التي تضمها هذه الشعبة (٦٠) مخطوطا ، وعـدد مصورات المخطوطات والكتب (١٣٧٢) وعدد رقيقات المخطوطات يناهز (٦٥٠) .

أما الشعبة الفنية فقد قامت باستنساخ عدد من المخطوطات والمقالات والكتب المهمة ، لمكتبة المجمع واعضائه ، ولعدد من الباحثين وبلغ مجموع ما تم تصويره للمكتبة من الرقيقات (١١١١٨) رقيقة ، واستنساخ (١٠٧٢) ورقة من كتب مطبوعة نادرة ، واتمت الشعبة ايضاً نقل واستنساخ (٨٧٧٤) ورقة للاعضاء العاملين وتمّ ايضاً تصوير (٣٥٨) رقيقة للباحثين و (٢٧٥٦) ورقة نقلت من الفلم و (٤٨٠٤) ورقة استنساخ من المطبوع ، فيكون مجموع ما تم تصويره (٢٨٨٨٢) ورقة .

وقد تم تزويد الشعبة بعدد من الادوات والاجهزة اللازمة ، ويجري العمل الآن على تزويدها باجهزة جديدة للاستنساخ والتصوير .

وقع على مطابع المجمع العبء الاكبر من الآثار المعطلـة التي نجمت عن الاعتداءات الايرانية . ، وذلك بسبب تقطع التيار الكهربائي الذي تعتمد عليه معظم آلات الطباعة ، ولكن بالرغم من ذلك انجزت المطبعة طبع الكتب التي

اصدرها المجمع ، والتي اشرنا اليها في اعلاه ، كما قامت بطبع اعداد مجلة المجمع ، ومجلتي الهيئة الكردية والهيئة السريانية كما طبعت لحساب اتحاد الادباء الاكراد « ديوان كوران » .

وبسبب الاحوال الاستثنائية ، اسند المجمع طبع بعض الكتب الى مطابع عراقية خارج المجمع .

وقد اتخذت الاجراءات اللازمة لتزويد المجمع بمولد كهربائي كبير ، يضمن استخدامه استمرار تجهيز المجمع بالقوة الكهربائية .

وتم الاتفاق على توسيع المطبعة باضافة جهاز للطبع العكسي (اوفسيت) وقدم طلب لبناء جناح جديد يخصص الطابق الارضي منه للمطبعة والطابق الثاني للمكتبة ودراسات الاعضاء .

وتمت ترميمات واسعة في بعض ابنية المجمع ، واعيد اصلاح اجهزة تكييف الهواء ، وتم شراء عدد من المراوح ومبردات الهواء لاستعمالها عند الحاجة ، كما تم شراء عدد من الخزانات والمناضد واللوازم الاخرى لتأثيث المجمع .

وتقرر تشييد اربع غرف اضافية في الجهة الجنوبية من ساحة المجمع وسيتم تنفيذ ذلك حال توفر المواد البنائية اللازمة لذلك .

وانجز المجمع طبع كتاب معجم الرياضيات ، لحساب المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، ووزعه على الاقطار العربية ،وفق الاسس المقررة .

واتمت مطابع المجمع طبع « ديوان كوران » لحساب اتحاد الادباء الاكراد
واصدر المجمع الجزءين الثالث والرابع من المجلد الحادي والثلاثين من مجلته ، وتم طبع الجزء الاول والثاني من المجلد الثاني والثلاثين ويجري حاليا اعداد الاجزاء الاخرى للطبع . ويضم كل جزء عددا من المقالات في مواضيع متنزعة ضمن اختصاص المجمع واهدافه ، ويسهم في كتابة هذه المقالات باحثون

من اعضاء المجمع وخبراء لجانه وباحثون من العراقيين والعرب . ويجري العمـــل للوصول بالمجلة الى المستوى الرفيع اللائق بالمجمع من حيث مادة الكتابة وطريقة الاخراج .

ان المجمع هيئة متكاتفة يعمل كافـــة اعضائه العاملين وموظفيه ومستخدميه لتحقيق الاهداف التي حددها قانونه من أجل خدمة الوطن وتقدم الامة وازدهار الفكر والثقافة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » والله من وراء القصـــد .

الدكتور صالح أحمد العلي



الفهرس
المقـالات

الصفحة

الصفحة

عرض الكتب

آراء وأنبـاء

إصلاح أغلاط

ص ٨٥ / س ١٠ يقرأ : وأكِلت أعمارهم

ص ٨٨ / س ٢٣ » : Lewis

ص ١٣٠ / س ٢٩ » : يراهـا

ص ١٣٠ / س ٣٠ » : والعبّاد الرجل الكثير العبادة

مجلـــة
المجمع العلمـي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص.ب. ٤٠٢٣)

قيمـة الجزء ٧٥٠ فلساً
وتضاف اليها اجرة البريـد

(تدفع قيمـة الاشتراك سلفاً)

تطلب المجلـــة من المجمع ومن الدار الوطنية للتوزيع – بغداد

* * *

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- البحوث والمقالات التي لاتنشر ، لاترد الى اصحابها .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٦ لسنة ١٩٨١
مطبعة المجمع العلمي العراقي ٤٠٠٠ / ١٩٨١

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY



VOLUME 32

Part (3 - 4)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1981